

حَقيُقتهُ ، خَوَارِهُ هُ ، نَوَاقَضِهُ عَنَداهُ لِلسُّنَة وَالْجَاعَة

موسوعة في الإيمان ومسائله راجعه وقرع له نخبة م أما تل أهل العلم

تُعشِن

جَدُلُفَي نَ جَبُرُلُ كُيْرُلُلُأَرُى حِبْرُلُفَي نَ جَبُرُلُ كُيْرُلُلُأُرُى



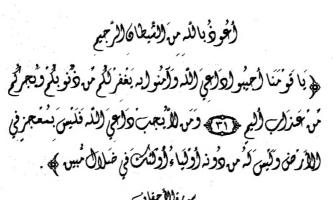


# ﴿ رَبَّنَا تَقَبُّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾



(اللَّهُمَّ! اجْعَل عَمَلي كُلَّهُ صَالِحًا، وَلِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلاَ تَجْعَلْ فِيهِ لأَحَدْ شَيْئًا)

اللَّهُمُ لَاَفِعَ بَهُ نَهُ لَالْمِالِمِنْ وَلَا لَكُوْلَا مِنْ وَفَا مِنْ مُنْ الْمِنْ مُنْ الْمِنْ وَمَا الْمِنْ وَالْمِنْ وَمَا الْمِنْ وَالْمُنْ وَمِنْ الْمُعَالِيدِ وَلَا الْمِنْ وَلِلْمُنْ وَمِنْ الْمُعَالِيدِ وَلَا الْمِنْ وَلِيْ الْمُنْ وَلِيْ وَلِيْ الْمُنْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ الْمُنْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ الْمُنْ وَلِيْ وَلِي وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْنِ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْنِ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْ وَلِيْنِيْ وَلِيْ وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِيلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِيْنِي وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِيْنِي وَلِيْنِي وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِيْنِ وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِيْنِي وَلِيْنِ وَلِيْنِي وَلِي مِنْ فَالْمِنْ فِي مِنْ فَالْمِنْ فِي مِنْ فَالْعِلِيْنِ وَلِي مِنْ فَالْمِنْ وَلِي مِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فَالْمِنْ فِي مِنْ فَالْمِلْمِ وَلِي مِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فَالْمِنْ فِي مِنْ فَالْمِنْ فِي مِنْ فِي مِنْ فِ



المرتب ا

# خِتْفُوْقُ الْطَلِيخِ هَخْفُوْطَلَنُ ( الآنس ألاد طبّه متوزيّه مِجَانًا نله ذلكه دَجَرَاه اللّه فيّا) الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

### دار الكتب المصرية

فهرست أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنيت

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الإيمان: حقيقته خوارمه نواقضه عند اهل السنة والجماعة موسوعة في الإيمان ومسائله

تصنيف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

القاهرة، دار اليسر ۲۰۱۱م. ۱۰۸۷ص، ۱۷سم × ۲۶سم.

١- الإيمان (فقه إسلامي).

أ- العنوان

724

### Signe

۲۰ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة الحسي الثيامن، مدينة نصر، القياهرة. تليف ون: ۲۲۵۷۰۹۲۹، ۲۰۰۰ في المنطقة التاسعة في المنطقة التاسعة المنطقة التاسعة المنطقة التاسعة المنطقة التاسعة ون: ۲۰۲۲۷۱۹۸۰، ۲۰۰۰ في المنطقة المنطق

Email: alyousr@gmail.com



Sent Sent



رقم الإيداع ٢٠١١/٢٤٢٦



حَقَيْقَتَهُ ، خَوَارِهُمُهُ ، نَوَاقَضِهُ عَدَدُهُ عَلَيْهُ مَعْ وَاقْضِهُ عَنْدُ الْمُعْلَقِةِ عَلَيْهِ مِنْدُا هُمُ عِلَيْهِ مِنْ السُّنَةُ وَالْحَاقَةِ مِنْدُا هُمُ عِلَيْهُ مِنْ السُّنَةُ وَالْحَاقَةِ مِنْ السَّنَةُ وَالْحَاقَةِ مِنْ السَّفِيقِيقَةً مِنْ السَّفِيقِيقَةً مِنْ السَّفِيقِيقِيقِ مِنْ السَّفِيقِيقِ مِنْ السَّفِيقِ مِنْ السَّفِيقِ مِنْ السَّفِيقِ مِنْ السَّفِيقِيقِ مِنْ السَّفِيقِ مِنْ السَامِقِيقِ مِنْ السَامِقِيقِ مِنْ السَّامِيقِ مِنْ السَّلِيقِ مِنْ السَامِقِيقِ مِنْ السَامِقِيقِ مِن



حَقَيْقتهُ ، خَوَلِهُهُ هُ ، نَوَاقَصْهُ عِنْداْهُ لِللسِّنَةِ وَأَجَاعَة

# ر (جعه وقرح له نخبه من العلماء

من راجع الكناب وفدم له فعن طبعته الأولعن سماعةالشيخالعلامةعبدالله بنعبد العزيز العقيل فضلةالشيذالعلامةعيد العزيزين عبد اللهالراجمي فضيلةالشيخ المحدث عبد اللهبن عبد الرحمن السعد فضيلةالشيخالاستاذ الدكتورعبد الرحمن بن صالح المحمود فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيزبن محمد العبد اللطيف مر راحع الكناب وفدم له في طبعته الثانية فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود فضيلة الشيخ الدكتور ناصربن يحيى المنيني فضيلةالشيغ محمد راشد بن فالد دوندار القرهكويلي فضيلة الشيخ الدكتور ماهربن ياسين الفمل فضيلة الشيخ الدكتور الأمين الماج محمد أحمد فضيلة الشيخ الدكتور مدمد يسري إبراهيم

مقدمة الطبعة الجديد للمصنف

تقديم العلماء الأفاضل للكتاب

مقرمان (لطبعة الاجريرة مقرمان الطبعة الالأولى

### مقدمة الطبعة الجديدة للمصنف

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، الرَّحمنِ الرَّحيمِ، مالكِ يومِ الدِّينِ؛ إِلهِ الأَوَّلينَ والآخرينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِهِ الأَمينِ محمَّد بنِ عبد الله؛ خاتمِ النبيِّينَ والمرسلينَ، وعلى آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وصَحبِهِ الغُرِّ المحجَّلينَ، الكرامِ المبيِّينَ والمسلينَ؛ الذين هُم قُدوةُ المؤمنينَ والصَّالحينَ والمتَّقين، ومَن والاهُ، ونَصرَهُ، واهتدَى بهديه إلى يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ: فالحمدُ للهِ القائلِ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]. فأحمدُ الله العليَّ القدير، وأَشكُرُهُ ظاهرًا وباطنًا؛ على ما أولاني من نِعَمِهِ العظيمةِ؛ التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ، كما قالَ سبحانهُ وتعالىٰ:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأثني عليه - جلَّ في عُلاه - بما هو أهله؛ لا أحصى ثناءً عليه كما هو أثنى على نفسه - سبحانه - فله الحمدُ وحده في الأولى، وله الحمدُ وحده في الآخرة، وله الثَّناء، والْمَجْدُ، والعِرَّةُ، والعظمَةُ، والكِبْرياءُ.

ومن هذه النَّعَمِ العظيمةِ الجليلةِ، والباقيةِ - إِن شاء الله تعالىٰ - ما يسرّ لي، وما تفضَّلَ علي به من التّوفيقِ والسَّدادِ - بفضلهِ ومَنّهِ وكرمِهِ - في تصنيفِ هذا الكتابِ الجليل المفيدِ بإذنه تعالىٰ، وهو:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ)

وإِنَّه لَكتابٌ جمع بين دفَّتَيْهِ جميع مسائلِ الإيمانِ، أو أَكْثَرَها؛ بأُسلوبٍ مَبْسُوطٍ وميسَّرٍ، وترتيب لطيف ومُفصَّلٍ؛ ليستفيد منه كلُّ قارئٍ؛ فلا يصعب على المبتدئ، ولا ينزلُ مستواه عن المنتهي؛ لذا لقي قبولاً من القرَّاءِ الكرامِ على مُخْتَلِفِ طبقاتِهِم؛ ثمَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ نفادِ طبعتِهِ الأُولَىٰ، وكلُّ ذلكَ كانَ بفضل اللهِ تعالىٰ، ومنَّه وكرمه وإحسانِه.

ومن فضلِ اللهِ تعالىٰ عليَ أيضًا – وكانَ فضلُهُ عليَ عظيمًا – أن تَعَاقَبَهُ ثناءُ العلماءِ ومقدّماتُهُم علىٰ الكتاب؛ ثمّا شجّعني لإعادةِ النّظرِ فيه من جديد؛ ففي هذهِ الطبعةِ الجديدة؛ أضفتُ إلىٰ الكتابِ آبوابًا وفصولاً مهمّةً، وزياداتٍ وفوائد كثيرة نافعة، وأوضحتُ ما رأيتُ أنَّه يحتاجُ إلىٰ المعاح، وأجريتُ فيه بعضَ التّغيراتِ والتّقديمِ والتَّأخيرِ لعباراتِهِ وفقراتِهِ؛ فأصبحَ الكتابُ بثوبِهِ الجديد؛ كشرح مفصلٍ ومبسُوط لمتن الكتاب الأوّل؛ مع المحافظةِ التّامّةِ علىٰ المادّةِ العلميّةِ للكتابِ وأحكامِهِ الشّرعيّةِ! التي أقرّها العلماءِ الأفاضل الذين تفضّلوا بمُراجعتِهِ وتسديدِهِ فِي طَبْعتِهِ الأولىٰ.

فالقارئ الكريم: سَيَرى فرقًا كبيرًا في حجم الكتاب بين الطَّبعتين، وأرجو أن يكون الكتاب بنوبِهِ الجديد؛ ملائمًا مع اسْمِهِ الجليلِ.

أمًّا الطبعةُ الأُولىٰ للكتابِ؛ فسوفَ أَبْقيها علىٰ ما هي عليه؛ نظرًا لطلب كثيرٍ من العلماءِ والدُّعاةِ الأفاضلِ الذين رغَّبوا أَن تبقىٰ تلكَ الطبعةِ كما هي، وفي مقدِّمتهِم شيخُنا الفاضلُ؛ العالمُ المحقِّقُ والمربِّي الجليلُ فضيلةُ الشَّيخِ عبدُ الرَّحمن بن صالحِ المحمود – وفقَّهُ اللهُ لكلِّ خيرٍ وحفظهُ من كلِّ سوءٍ وبارك له في عِلْمِهِ وعَمَلِهِ – وذلكَ للحاجَةِ الماسَّةِ إليهِ لعامَّةِ المسلمين لسهولةِ عباراتِهِ، وقِلَّةِ صفحاتِهِ، وسَمَّيْتُهُ، كما اقترحَ على شيخُنا الكريم:

### الوجيزُ في الإيمانِ حَقيقتُهُ، مَسَائِلُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهل السُّنَّةِ والجماعة

وفي الختام أُقِدِّمُ شُكْرِيَ الجزيل، وتقديرِيَ الكبير، وامتنانيَ العظيمَ

- بعد شُكْرِ اللهِ تبارك وتعالىٰ - لكلِّ مَن كانَ لَهُ عليَّ فضل، وأَخُصُّ
منهم؛ مَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ له، من مشايخنا وعلمائنا الأجلاَّءِ الأفاضلِ
في طبعتَيْهِ؛ الذينَ اسْتَفَدتُ كثيرًا من آرائِهم الثَّاقبةِ، ونظراتِهم الموقَّقةِ،
وتصويباتِهم السَّديدةِ؛ شَكَرَ اللهُ لهُم جميعًا، ونفعَ المسلمينَ بعلمهم،
وباركَ فيهِم - اللَّهُمَّ آمين - وفي مقدِّمتهم:

من راجع الكتاب وقد م له في طبعته الأولى:

سماحةُ الشَّيخ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل.

فضيلةُ الشَّيخ العلاَّمةُ عبد العزيز بن عبد الله الرَّاجِحي.

فضيلةُ الشَّيخ المحدِّثُ عبد الله بن عبد الرَّحمن السَّعد.

فضيلةُ الشَّيخ الأستاذ الدكتور عبد الرَّحمن بن صالح المحمود.

وفضيلةُ الشَّيخ الدكتور عبد العزيز بن محمَّد العبد اللطيف؛ أُستاذُ العقيدةِ في جامعةِ الإمام، وهو المتفضِّلُ بمراجعةِ الكتاب.

ومن راجع الكتاب وقدَّم لَهُ في طبعَتِهِ الثانيةِ الموسَّعةِ:

فضيلةُ الشَّيخ الأُستاذُ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور ناصر بن يحييٰ الحنيني.

فضيلة الشَّيخ محمَّد راشد بن خالد دوندار القَرَه كويلي.

فضيلة الشَّيخ الدكتور ماهر بن ياسين الفحل.

فضيلةُ الشَّيخ الدكتور الأَمين الحاج محمَّد أحمد.

فضيلة الشَّيخ الدكتور محمَّد يسري إبراهيم.

فلهؤلاء جميعًا شُكْري الصَّادق، وأَسأَلُ الله تعالىٰ أَنْ يُضاعِف لهم المثوبة والعطاء، ويرفع لهم الدَّرجاتِ في العلِّين؛ لقاء ما أَسْدَوا، وكفاءَ ما بذلوا، وأَن ينفع المسلمين بعلْمِهم؛ إنَّه سميعٌ مجيبُ الدُّعاء.

كما أَسَالُ الله الكريم - جلّت قُدْرَتُهُ - أَن يضع لهذه الطبعة الجديدة النودة والموسَّعة - القَبُولَ، وأَن يجعلها عملاً خالصًا لوجهه الكريم، وموافقًا لسنَّة نبيه الأمين محمَّد عَلَيْه ، وأَن ينفع بها المسلمين، وأَن يتقبَّلها مني، ويَدَّخر لي ثوابَها؛ ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، ويَغْفِرَ زلاَّتي، وسَيَّاتى؛ إنَّهُ غفورٌ رحيمٌ كريم.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ ؛ على الهادي البشير، والسِّراج المنير؛ نبينا، ومُرشدنا، وقائدنا، وإمامنا، وقُدوتنا، وحبيبنا، وقُرةِ أَعيوننا؛ نبيُّ الرَّحمةِ والملحمةِ مُحَمَّد بنِ عبد الله النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وعلىٰ آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وصَحْبِه الكِرام العظام؛ اللَّهمُّ آمين.

کتبه

رَاجِي رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَفُورِ جبر(لله به جبر(لحسريه جبر(للجبر لَكْ إِساجِل (لِلأَثْرِي (لعراقِ

۱ رمضان ۱٤۲۷ هـ ثمُّ راجعته وزدتُ عليه أَشياء ما بين سنة ۱٤۳۰ – ۱٤۳۱ هـ

# مقدمات الطبعة الجديدة

مقدمة فضيلة الشيخ الإستاذ الدكتور بجبر الرحس بن صالم المصود مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور ناصرين يعبى الحنيني مقدمة فضيلة الشيخ الجليل معسر راشربه خالر ووندار (ولقره كويلي مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور ما هر بن يا سين (الفحل مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور اللاس العاع بعسر أحسر مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور محسريسي (در اهير

# مقدمة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحهن بن صالح المحمود

الحمدُ اللهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشرفِ الأَنبياءِ والمرسلين نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبَعْدُ:

فقد منبَقَ أَن كَتَبَ أَخُونا الشيخُ الفاضلُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريِّ كتابًا مختصرًا في الإيمانِ ؛ سمَّاهُ:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة).

وقد طُبِعَ وانْتَشَرَ ونفعَ الله به؛ نظرًا لسهولة عباراتِهِ ووضوحِ مسائِلِه، مع شُمُولِهِ لمسائِل الإيمان، والاستدلال لها بالأَدلَّة الصَّحيحة.

ثمَّ إِنَّ المؤلفَ - وقَقَهُ الله وسدَّدَه - قام بإضافات وزيادات كثيرة على ذلك المختصر؛ حتَّى تحوَّلَ إلى كتاب كبير في الإيمان، جَمَعَ فيه مسائِلَه، وأطالَ النَّفَسَ في شرحِها، وبيانِ الأدلَّة، والنقلِ عن الأَثمَّة العلماء، مع حواشي كثيرة مُفيدة ونافعة.

وقد اطلَّعت على هذا الكتاب - بعد تلك الزِّيادات والشُّروح - ؟ فوجدتُهُ نافعًا ومُفيدًا لِطُلاَّبِ العلْمِ، موضِحًا لكثيرٍ من المسائِلِ التي قد تُشْكِلُ على البعضِ في هذا الباب ؛ فجزاهُ الله خيرًا. وإِنَّني أَقْتَرِحُ علىٰ المؤلِّفِ في مقدَّمةِ هذهِ الطبعةِ – المزيدة والموسَّعة – أَن يُبْقِيَ علىٰ المختصر كما هو، وأن يُسمَيَّهُ:

(الوجيزُ في الإيمان: حَقيقتُهُ، ومَسَائِلُهُ، ونَواقضُهُ)

لأَنَّ الحاجة ماسَّةٌ إلى هذا المختصرِ النَّافعِ؛ حتَّىٰ يكونَ بين يَدَيُ عامَّةِ المسلمينَ، نظرًا لِقِلَةِ صفحاتِهِ، وسهولة عباراته.

وعلىٰ هذا! فَهُمَا كتابَان:

أَحَدُهما: مُوسَّعٌ، وهو هذا الكتابُ الكبيرُ الذي نُقَدُّمُ له.

والآخر: وجيزٌ، وهو الكتابُ السَّابِقُ الذي سَبَقَ أَن طُبِعَ، وقد قَدَّمْنَا لَهُ - أيضًا – معَ جُملةٍ من العلمَاءِ.

أَسَأَلُ اللهَ تعالىٰ؛ أَن يُجْزِلَ المثوبةَ لمؤلفِ هذِهِ الكُتبِ، وأَنْ يَرزقنا وإِيَّاهُ الإِخلاصَ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ وَسَلَّمَ.

### كتبه

عبد الرَّحمن الصَّالح المحمود أُستاذُ قسمِ العقيدة؛ كُلِّية أُصول الدِّين جامعة الإمام محمَّد بن سعود ٢٠ / ٨ / ١٤٢٧ هـ

### مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن يحيى النيني

الحمدُ اللهِ وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من لا نبيَّ بعدَه، وبَعْدُ: فقد اطلعتُ على الكتابِ الذي ألَّفهُ أخُونا فضيلةُ الشَّيخِ عبدُ اللهِ بن عبد الحميد الأثريُّ – وقَّقهُ الله لكلِّ خير – وقد عنونَ لَهُ بـ:

( الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السَّنَّةِ والجَماعة )
وقد أَلفيْتُهُ كتابًا؛ نافعًا، جامعًا لمسائلِ الإيمانِ وأُصولِهِ، وشاملاً
لغالب مسائلِ الاعتقادِ التي تحتاجُها عامَّةُ النَّاسِ.

والكتابُ فريدٌ في بابه؛ حيثُ استطاعَ المؤلِّفُ - وقَقَهُ الله تعالىٰ - تقريبَ وتسهيلَ مسائلِ الاعتقادِ لعامَّةِ النَّاس؛ بأسلوب سهلٍ ومُيسَّرٍ، وهذا أَدعىٰ لانتشارِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، وقبُولها لدَىٰ عمومِ المسلمين.

وتشتَدُّ الحاجةُ لمثلِ هذهِ الكُتُبِ في مثلِ هذهِ الأَزمانِ التي كَثُرَتْ فيها الشُّبُهاتُ، ودُعاةُ الباطل.

فأَسأَلُ الله - عزَّ وجلَّ - أَنْ يَجْزِيَ الشيخَ عبدَ اللهِ الأَثْرِيَّ خيرَ الجزاءَ

علىٰ جُهُودِهِ المشكُورَةِ في نشرِ ونَصْرِ عقيدةِ أَهلِ السُنَّةِ والجماعة، وعنايتِهِ بالتَّاليفِ خاصَّةً؛ حيثُ إِنَّ الكتابَ من أكثرِ الوسائلِ انتشارًا وبقاءً عَبْرَ العُصور.

والله الموقَّقُ، وصلَّىٰ الله وسلَّمَ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ أَجمعين.

### كتبه

ناصر بن يحيى الحنيني المشرف العام على مركز الدراسات والآبحاث المعاصرة وأستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

# مقدمة فضيلة الشيخ الجليل محمد راشد بن خالد دوندار القره گويلى

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسُولنا وحبيبنا محمَّد صلَّىٰ الله عليه، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ أجمعين.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْعَايَة الأَسَاسَيَّة من خلقنا هي العبوديةُ للهِ \_ عرَّ وجلَّ \_ كما قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾ (١).

والعبوديَّةُ المطلوبةُ هي التي اقترَنَ بها إخلاصُ الدِّين اللهِ وحدَه، وهي المطلوبةُ من البشريةِ جمعاء؛ منذُ عهدِ أبينا آدمَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - إلىٰ عهدنا هذا، وإلىٰ أن تقومَ السَّاعةُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيْمَةِ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

<sup>(</sup>٢) سورة البينة، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٣) سبورة الزمر، الآية: ٢.

ولا يُمكنُ إِيجادُ هذا الإخلاص إِلاَّ بالإِيمانِ الصَّحيحِ الصَّادِقِ الذي أُرْسِلَ الرُّسُلُ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - لِتِبْيَانِهِ، أَو تجديده كُلَّما أَصابَ بنيانَهُ خَلَلٌ من إغواءِ الشَّياطين وإضلالهم للبشرية.

إِذًا فهذا الإيمانُ الصَّحيح هو أساسُ الأُسُسِ في الإسلام الحقّ، وبدونه يُصبحُ الإنسانُ خاسرًا؛ لذا نرى الله - سبحانه وتعالى - يُهدِّدُ أعمالَ الإنسان إِن لم يكُنْ من أصحاب هذا الإيمانِ الصَّحيح الصَّادِقِ، ويحسَبُها هباءً منثورًا، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبُهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرَّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ ﴾ (١).

بل ويُنزّلُ أصحابَها - ولو كانوا من أصحابِ العلوم الأُخرى - في بعض الآياتِ إِلى دركِ الحيوان؛ إِذ يقول الله تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿ ثَنِهُ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَىٰ الأَرْضِ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿ ثَنِهُ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَىٰ الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتُوكُهُ يَلْهَتْ وَاتَبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَتُوكُهُ يَلْهَتْ وَاتَبَعَ مَثَلُ الْفَصَصَ الْفَصَصَ لَعَلَّهُمْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَنَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَعَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وإِنَّ الإيمانَ الصَّحيحَ ليس إِلاَّ ما يطابقُ ما بيَّنه لنا الوحيانِ الشَّريفان، وما عداهُ هو مَمَا أَمْلَتْهُ شياطينُ الإنس والجنِّ.

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥ - ١٧٦.

وإِنَّ هذا السِّفْرَ الجليلَ؛ الذي أَلَفه الأُستاذُ الفاضلُ أَخونا الداعيةُ الشيخُ عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريُّ – وقَّقَهُ اللهُ تعالىٰ لما يُحبُّه ويرضاه، وبارك فيه، وفي دعوته – والمسمَىٰ ب:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

لَمِنَ المفيدِ جدًا في هذا الموضوع المهمِّ الذي نعتبرُه أساسَ الأُسُسِ؛ حيثُ إِنِّي حينما طالعته بدقَّة، وجدتُهُ مُسْتَوعبًا لجملٍ من مسائلِ الإيمانِ المبنيةِ بما يُدعِّمُها من القرآنِ والسُّنَّة؛ بعبارة سهلة جذَّابة يستفيدُ منها كلُّ من يريدُ أن يفهمَ ما هو الأحقُّ في الموضوع، ويصلُ إليه.

لذا أقول؛ ليس من المبالغ فيه إذا قُلتُ: إِنَّ هذا السَّفْرَ الجليلَ بأَن يقالَ فيه: إِنَّه يخدُمُ قضيةَ الإيمان – الذي يعيشُ اليومَ كالغريب بين تياراتِ الزيغ والإلحاد وجاهلية العلم المعاصر – بشكل مقنع، وإنَّه جهادٌ خالصٌ لنصرةِ الحق، وترسيخٌ للإيمان الصَّادق العميقِ في قلب كل مسلم، وتطهيرٌ لما علق بالقلوب والأفكار من قذارة الشَّركِ، والكُفر، والبدع، والانحراف، والغلو، والإرجاء، والافراط والتَّفريط.

وإنِّي أُوصي كلَّ الإِخوانِ، والأَصدقاءِ، والطُّلابِ؛ باقتناءِ هذا السُّفْر القيِّم، والاستفادةِ منه.

وأنا كواحد من تلاميذ القرآن والسُّنَّة، ومن المشتغلينَ بشتَّىٰ العلومِ الإسلاميَّةِ منذُ أكثرَ من خمس وثلاثين سنةً، ولي مدرسةٌ منذُ ذلكَ الوقتِ داخلَ مدينة (وان) في جنوب شرق تركيا باسم: «المدرسة الشرفية» وبما أنني مشرف عليها؛ أقومُ فيها بتربيةِ الطُّلابِ – بحمد الله – علىٰ منهج

السَّلفِ الصَّالحِ في العقيدة والسلوكِ، ومن الكُتُبِ التي نُدرّسُها: «العقيدة الطحاويَّة» لابن أبي العزِّ، و«العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الوجيزُ في عقيدة السَّلف الصَّالح» لأَخينا الشيخ عبد الله الأَثريِّ، وغيرها من الكُتُبِ المهمةِ في عقيدة السَّلف.

ومنذُ أكثرَ من خمسة عشرَ عامًا لي علاقةٌ وثيقةٌ وعلميةٌ بأخينا المفضالِ - مؤلّف هذا السّفْرِ القيّم - فشهادتي فيه منذُ أن تعارفنا وإلى الآن - حسبَ ما أظنُّ ولا نُزكِّي على الله أحدًا - أنَّه من الغيورينَ في دين الله تعالى، والدَّاعين إليه على نهج السّلف الصّالح (أهل السُّنَّة والجماعة) بالحكمة والاعتدال والوسطية.

ويشهدُ لهذا ما قام به من قبلُ من الجهدِ المشكورِ في تأليفِ كتابيه النافعين: «الوجيزُ في عقيدةِ السَّلف الصَّالح» و أحكامُ وأَنواعُ التَّوسُلِ المشروع والممنوع» وأنَّه لم يدَّخِرْ وسعًا في سبيلِ نشرِ العلمِ الصَّحيح، وإرشادِ النَّاسِ إلىٰ ما فيه سعادةُ الدَّارين سواءٌ بالمالِ، أو النَّفس.

وإنّه كان يجُولُ في كلِّ أنحاءِ تركيا كداعية إسلامي؛ يلتقي بالجماعات الإسلاميّة، ويدعو النّاسَ إلى العقيدة الصّحيحة، ويزورُ مدارسَ العلم، ويبحثُ عنها كي يُقدَّمَ إليها الخدماتِ اللازمة؛ ضمنَ ما يسمحُ به الوضع.

فها أنا أشكُرُهُ شخصيًا؛ بما لا مزيد عليه على ما بذل من الجهود نحو مدرستِنا، وما قدَّمه لنا من الخدماتِ العلميَّةِ التي لن نَسْاها، والتي تمكنًا بفضلها - بعد الله تعالى - من ترسيخ العقيدة السَّلفيَّة فيها، وما حولنا من المدارس.

وكنَّا كُلَّما أَحْسَسْنَا بوجودِ حركة دعويَّة وعقديَّة في أيِّ منطقة من مناطق تركيا، وجدنا أخانا الشَّيخ عبد الله؛ لَهُ قصب السَّبْقِ هنالك، واليد الطُّولىٰ فيها، ولا زال أَخُونا الفاضل؛ لا تأخذُه في الله لومة لائم في هذا المضمار.

وندعُو الله - العليّ القديرَ - أن يمدّ في عمرِه خدمةً للإسلام والمسلمين، وأن يوفقٌ ه فيما يقوم به من الْجُهودِ، ويقبَلَ منه تلك الخدماتِ القيّمة، ويجعلها في ميزانِ حسناتِهِ، وخالصًا لوجهِهِ الكريم؛ إنّه سميعٌ مجيب. وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد، وعلى آلِه وصحبِهِ أجمعين.

### قدمه

محمَّد راشد بن خالد دُونْدَار القَرَه گويلي المدرسة الشرفية ، والمشرف عليها المدرسة الشرفية ، والمشرف عليها إمام وخطيب جامع الشرفية بمحافظة (وان / تركيا) سابقًا المحمدي الآخر ١٤٢٧ هـ

# مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور ماهر بن ياسين الفحل

الحمدُ اللهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشرفِ الأَنبياءِ والمرسلين نبيِّنا وسيِّدنا ومُرشدنا محمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ هذا الكتابُ القيِّم:

« الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة»

من تأليف أخينا في الله تعالى ؛ العالم الجليل عبد الله بن عبد الحميد الأثري - نضر الله وجهه - قد طل علينا بطبعة جديدة أنيقة ، مبسوطًا فيه بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة في موضوع الإيمان ومسائله المهمة ؛ من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، مع حسن الإسلوب ، وجودة العبارة ، وخلوه من التعقيد .

وهذا الكتابُ ليسَ الأوَّل في بابِهِ! فقد ألف آخرون مِنَ المعاصرينَ، وثَمَن تقدمَ وتأخرَ كُتُبًا عدَّة! لكن يمتازُ هذا الكتاب! أَنَّهُ مؤلفٌ علىٰ طريقة عصرية يفهمها كلُّ أحدٌ. وما كانَ لمثلي أَنْ يُقدمَ لمثلِ هذا الكتابِ النَّفيسِ؛ لكني رأيتُ أَنَّ بيانَ ما لهذا الكتابِ من أهميةٍ أدعىٰ لقبولِهِ، وأَنَّ الإشارةَ لِجُهدِ مؤلفِهِ أدعىٰ لأَنْ يتقدمَ في الإبداعِ العلمي، وخدمةِ الدِّينِ عن طريقِ نشرِ العلمِ النَّافعِ، والعقيدةِ الصَّحيحةِ.

فأَسَأَلُ الله - جلَّ في عُلاه - أَنْ يكتبَ لمؤلفِهِ القبولَ في الأَرضِ، وأَنْ ينفعَهُ بهذا الكتابِ في الدُّنيا والآخرةِ، وأَنْ يُبَيِّضَ اللهُ بِهِ وجهه؛ يومَ تَبْيَّضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ! وأَنْ ينفعَهُ اللهُ تعالىٰ بِهِ يومَ الدِّينِ؛ يومَ تَقِلُ الحسناتُ وتكثرُ السَّيئاتُ يوم الحسرات.

أمَّا القارئُ الكريم لهذا الكتاب المبارك - إن شاءَ الله تعالى - فأوصيه بمزيد من الطَّلب، وبمزيد من تعلُّم العقيدة الإسلاميَّة الصَّحيحة، وأنْ يكونَ عالِمًا بالله - تبارك وتعالى - وبأمره سبحانه.

قالَ الإِمامُ الحافظُ الصَّدوقُ عليُّ بن خشرم، رحمهُ الله تعالىٰ:

(سمعتُ ابن عيينةَ يقولُ: قالَ بعضُ الفقهاءِ: كانَ يُقالُ: العُلماءُ ثلاثةٌ: عالمٌ باللهِ، وعالمٌ بأمرِ اللهِ، وعالمٌ باللهِ وبأمر اللهِ.

- أَمَّا العالمُ بِأَمْرِ اللهِ؛ فهو الذي يعلمُ السُّنَّةَ، ولا يخافُ اللهَ!
  - وأمَّا العالمُ باللهِ؛ فهو الذي يخافُ الله، ولا يعلمُ السُّنَّةَ!
- وأمَّا العالمُ باللهِ وبأمرِ اللهِ؛ فهو الذي يعلمُ السُنَّةَ، ويخافُ الله ا فذاك يُدْعَىٰ عظيمًا في ملكوتِ السَّمواتِ).

فإِذًا! سعادةُ المرءِ في الدنيا والآخرة بالعلمِ النَّافعِ المؤدي إلى العملِ

الصَّالح، وقيمة كلِّ امرئ في هذه الحياة الفانية بما يُحسنه، فكلَّما ازدادَ علم المرء وقوي إِيمانِه؛ ازداد قُربًا من ربِّه ومولاه، قال الله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١).

فكلَّما كانَ الإنسانُ أكثرَ علمًا، وأعلىٰ إِيمانًا كانَ أقربُ من ربِّهِ ومولاهُ، وكلَّما قلَّ علمُ الإنسانِ وإيمانِهِ؛ ازدادَ بُعدًا مِنَ اللهِ تعالىٰ.

ومن ثمرات الإيمان الصَّادِقِ؛ الفوزُ بدارِ السَّلامِ، وحصولُ الولايةِ، والنَّصرةُ مِنَ اللهِ جلَّ وعلا، قالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبُّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ اللهُمْ وَاللهُ اللهُمْ وَاللهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

فمن تعلّم العقيدة! وازداد الإيمانُ في قلبه؛ فإنَّ الله تعالى يرزقه دارَ السَّلامِ وهي الجنَّهُ، والسَّلامُ: البراءةُ من كلِّ مكروه ومن كلِّ نقص، والعافيةُ والا من الدَّائم، وكذلك ولايةُ اللهِ الدَّائمةِ لهم في الدُّنيا والآخرة، ومَن كانَ الله تعالى وليه كانَ لهُ حاميًا ومُعينًا ومسعدًا وناصرًا وملبيًا كلَّ رغباتِه، ولو كانت خاطرات لم تصل إلى مستوى الطلب.

فالعلمُ باللهِ تعالى، وبأسمائِهِ وصفاتِهِ من أعظمِ ما يحصله المرء؛ فمن كانَ باللهِ أعرف كانَ منه أخوف، ومَن أصلحَ نفسهُ كانَ ذلكَ من أعظمِ ما يدخره لولدهِ.

<sup>(</sup>١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٦ – ١٢٧.

قالَ الإِمامُ القدوةُ العابدُ عونُ بن عبدِ اللهِ الكوفيِّ، رحمهُ اللهُ:

(ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بتأويلِ القُرآنِ مِنَ القرظي. وقيلَ: كانَ لَهُ أملاكُ بالمدينةِ، وحصلَ مالاً مرةً، فقيلَ لَهُ: ادخر لولدك، قالَ: لا! ولكن أدخره لنفسي عند ربّي، وأدخر ربّي لولدي، وقيلَ: إِنَّهُ كانَ مجابُ الدُّعوةِ، كبيرُ القدرِ).

أَسَأَلُ اللهَ تعالىٰ أَنْ يستَعملنا في طاعتِهِ، وأَنْ يحسنَ عاقبتنا في الأُمورِ كلِّها، وأَن يُجيرَنا من خزي الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ.

كتبه: ماهر بن ياسين الفحل أستاذُ الحديث والفقه المقارن بكُلِيَةِ العلوم الإسلاميَّة / جامعة الأنبار وشيخُ دارِ الحديثِ في العراق 15٣٠/ ١١ / ١١ / ١٤٣٠

# مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور الأمين الحاج محمد أحمد

الحمدُ اللهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلىٰ آلهِ، وأَزواجهِ، وأصحابهِ، والتَّابعينَ.

أمًّا بعد : فقد اطلعت على الكتاب القيّم:

« الإيمانُ: حقيقتُهُ، خوارمُهُ، نواقضُهُ؛ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ »

من تأليف أخينا الشّيخ الدَّاعيَة؛ أبي محمَّد عبد الله بن عبد الحميد الأثريّ – حفظه الله تعالى ورعاه – فألفيته كتابًا جامعًا مانعًا؛ شاملاً لكلٌ مواضيع الإيمان، وما يتعلق به من المسائل والفروع؛ على منهج أهل السُنّة والجماعة، في أسلوب سهل، وعبارة سلسة، وتبويب رائع؛ مؤيدًا ما سطرة فيه؛ بالأدلّة من الكتاب والسّنّة والآثار، وأقوال الأئمة الهدى المقتدى بهم؛ سلفاً وخلفًا.

فصارَ الكتابُ ردًّا علميًا - غيرَ مباشرٍ - على الشُّبهِ الَّتي أَثارَها أَهلُ الفُرِقِ الضَّالةِ؛ من المعتزلةِ، والمرجئةِ، والخوارجِ، وغيرِهم، ومَن نَعِقَ بذلكَ من بعدِهم!

نفعَ الله - سبحانه وتعالى - به، وبتواليفه الأخرى، وثقلَ بذلك موازين حسناتِه يومَ تطيشُ الموازينَ.

فالكتابُ حَرِيٌّ أَنْ يُقرَّرَ ويُدرسَ لأَبناءِ المسلمينَ.

واللهُ من وراءِ القصدِ، وهو الهادي إلىٰ سواءِ السبيلِ.

كتبه

الأمين الحاج محمد أحمد رئيس الربطة الشَّرعيَّة للعلماء والدُّعاة بالسودان ورئيس رابطة علماء المسلمين الخرطوم / السُّودان لخمس ليال من رمضان ١٤٣١ هـ

# مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور محمد يسري إبراهيم

الحمدُ اللهِ ربِّ العالمينَ؛ شرعَ لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، وأسبغَ علينا نعمه ظاهرة وباطنة .

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد؛ خاتم النبيِّين، وقائد الغُرِّ المحجلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم أجمعين.

أمًّا بعدُ: فبينَ يديَّ كتابٌ جمُّ الفوائدِ، بديعُ الفرائدِ، سَبكَ فيه صاحبُهُ ؛ عقائدَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الإيمانِ، وأركانِهِ، ونواقضِهِ ونواقضِهِ، وما يتعلقُ بمسائلهِ ؛ بعبارة رقيقة ، وإشارة دقيقة ، وقد جعلَ عمدتَهُ صحيحَ المنقولِ ، وصريحَ المعقولِ ؛ فوقعَ كتابُهُ موقعَ القبولِ عندَ أُولِي الأَلبابِ وأهل العُقولِ .

ولقد ازدانَ هذا الكتابُ القيِّمُ! بتقريظات نفيسة ، وتقديمات مفيدة ؟ تفضل بها العلماءُ الفضلاءُ، وطلبةُ العلمِ النُبلاءُ؛ الذينَ راجعوهُ فسدَّدوهُ، ومن ثمَّ أَثنوا عليهِ فقرظوهُ. وقَّقَ اللهُ تعالىٰ؛ الشَّيخَ الحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الحميدِ الأَثريُّ، ونفعَ مؤلفاتِهِ؛ القاصي والداني، والعربي والأَعجمي، وجعلَهُ لَهُ ذخرًا؛ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ.

وصلَّىٰ الله وسلَّمَ وباركَ علىٰ نبيِّنا محمَّد وآلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

### كتبه أبو عبد الله محمَّد يُسريِّ إبراهيم

باحث بالمركز القومي للبحوث وزارة البحث العلمي؛ القاهرة. رئيس مجلس إدارة مركز فجر لتعليم اللَّغة العربية لغير الناطقين بها – وزارة التربية والتعليم – القاهرة. نائب رئيس الجامعة الجامعة الأمريكية المفتوحة – القاهرة. نائب رئيس مجلس إدارة معهد تاجان الأزهري. باحث مشارك مجمع الفقه الإسلامي؛ جدة. عضو مجلس أمناء الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين القاهرة: ٢٩ / ٢١ / ١٤٣١ هـ الموافق ٥ / ٢١ / ٢٩١ هـ



# قدمات الطبعة الأولى

# مقدمات الطبعة الأولى

مقدمة سماحة الشيخ العلامة المرالد به جر الدبه جر العزيز العنبل مقدمة فضيلة العلامة حبر العزيز به جر الد الراجمي مقدمة فضيلة الشيخ المحدث جر الدبه جر الرحس ألى معر مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور عبر الرحس به صالح لمعرو

### مقدمة سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على عبدهِ ورسُولِهِ الأَمينِ نَبيِّنا محمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

وبعدُ: فقد اطلعتُ على الرَّسالةِ القيِّمةِ الَّتِي أَلَّفها الأُستاذُ الشَّيخُ: عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثَرِيُّ، وسَمَّاها:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)
وقد تَصَفَّحتُها؛ فوجد ْتُها قد استَوعَبَت ْجملةً من مسائل الإيمانِ،
وبيانِ حقيقتِهِ، ومَراتِبِه، وما يدخُلُ في مُسمَّاهُ، وبيانِ نواقِضِهِ، وما يخلُّ به
من قولٍ، أو عَمَلٍ، وكذلك زيادتُهُ ونَقْصُهُ، والاستثناءُ فيه.

ودَعم كُلَّ مسألة بداليلها، ومن قال بها مِن أَثمَّة السَّلف المُقتدى بهم. ولم يتعرَّض للمُناقشات الخلافيَّة ؛ الَّتي تُشوَّشُ على الإِنسان عقيدته. وقد أَعجَبني صنيعه في هذا المؤلَّف المختصر، وحُسن أُسلوبه في سيقه.

وإنِّي أُوصي إخواني وأبنائي أن يستفيدُوا منه، ويَجْنُوا من ثِمارِه ؟

لأَنَّه في الحقيقةِ ثمَّا يُرَسِّخُ الإِيمانَ في القلوبِ، ويُعِينُ على الإِخلاصِ لعَلاَّمِ الغُيُوبِ. الغُيُوب.

ونسأَلُ الله تعالىٰ؛ أن ينفَعَ به الطُّلاَّبَ، ويجعَلَهُ من أقوىٰ الأسبّاب.

### قال ذلك الفقيم إلى الله

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل رئيسُ الهيئة الدَّائمة بمجلس القضاء الأَعلىٰ سابقًا حامدًا لله مصليًا مسلَّمًا علىٰ نبيًنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

### مقدمة فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجمي

إِنَّ الْحَمْدَ اللهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَغفرُهُ، وَنَعوذُ بالله مِنْ شُرورِ أَنفُسِنا، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالنا، مَن يَهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلا اللهُ وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالنا، مَن يَهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَ اللهُ وَحَدهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ سيِّدُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، قُدوتُنَا وإمامُنَا صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبَارَكَ عَليهِ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ وأعوانِهِ، أمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - تولَىٰ حِفظَ كتابِهِ بنفسِهِ، فقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

وحِفْظُ اللهِ تعالىٰ للقرآنِ الكريم حِفْظٌ لهذا الدِّين؛ الذي أصلُهُ وأساسُهُ الإيمانُ باللهِ وبربوبيتهِ، وأسمائهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، وتوحيدُ اللهِ وإخلاصُ الدِّينِ لَهُ، وصرفُ العبادةِ بجميعِ أنواعها لله، والإيمانُ بالقرآنِ وبجميعِ الدِّينِ لَهُ، والإيمانُ بالقرآنِ وبجميعِ الكُتُبِ المنزلة، والإيمانُ باليومِ الآخرِ الكُتُبِ المنزلة، والإيمانُ بعحمد عليه وبجميع الرُّسُل، والإيمانُ باليومِ الآخرِ والبعثِ بعدَ الموْتِ، والحسابِ والجزاءِ والجنّةِ والنّارِ، والإيمانُ بقدر الله؛ خيرهِ وَشَرّهِ.

<sup>(</sup>١) سورة الحجر، الآية: ٩.

ومن حِفْظِ الله تعالىٰ للقرآنِ الكريم؛ حفظُ السُّنَّةِ المطهَّرَةِ، فهي الوحيُ الثَّاني، قال اللهُ تعالىٰ :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُونَ اللَّهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

فالله تعالى حفظ دينه وكتابه وسنّة نبيه محمّد على الله تعالى الله تعالى الله تعالى الله عليهم وقيّضتهم ووقّقهم وهداهم لنصر دين الله الصّحابة - رضوان الله عليهم - وقيّضتهم ووقّقهم وهداهم لنصر دين الله فحفظوا كتاب الله وسنّة نبيه على وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ففتحوا البُلدان، وانتقلوا إليها فعلّموا النّاس دين الله، ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ثمَّ تَبِعَهم على ذلك التَّابعونَ وأتباعُهم، ومَن بعدَهُم من الأَئمَّة والعلماء، يُحْيُونَ ما انْدَقَرَ من الإسلام ويجدُّدون لهذه الأُمَّة دينها، ويُبَصَرُونَ النَّاس بالحقِّ، ويردُّون البِدعَ والشُّبَة والضَّلالات، ويَكْشِفُونَ للنَّاس زَيْفَها، ولبْسَها الحقَّ بالباطل.

والدِّينُ أَصلُهُ، وأَساسُهُ الإِيمانُ باللهِ ورسُولِهِ؛ الإِيمانُ الصَّحيحُ المبنيُّ علىٰ العلم والبصيرة.

هذا المعتقدُ الصّحيحُ تُبنى عليه الأعمال، ويُعْصَم به الدماءُ والأموال؛ فمن صحّ إيمانُه واعتقادُه صحّ عملُه، وعُصِمَ دمُه ومالُه، ومَن فسَدَ إيمانُه وعقيدتُه بالشّركِ، ونواقِضِ الإسلامِ؛ حَبِط عملُه، وصار هباء منثورًا، وحلّ دمُه ومالُه، كما قال الله تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْورًا ﴾ (٣).

وفي الحديث الصحيح؛ الذي رواه الشَّيخان؛ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنَّ النبِيُّ عَلِيْكُ ، قال:

« لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئِ مُسْلِمٍ ؛ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي ، وَالمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ للجَمَاعَة » (٤٠).

وفي الحديثِ الصَّحيح عن النَّبِيِّ عَلَيْكُم، أَنَّهُ قالَ:

« مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَا قُتْلُوهُ » (°).

وفي الصَّحيحينِ من حديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ - رضي الله عنهما - أنَّ النَّبِيُّ عَلَيْتُهُ قالَ:

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

<sup>(</sup>٣) سورة القرقان، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في: (كتاب الديات) باب «قول الله تعالى: ﴿ أَنَّ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ ٩. ومسلم في: (كتاب القسامة) باب «ما يباح به دم المسلم».

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في: ( كتاب الجهاد والسير ) باب « لا يعذب بعذاب الله . .

« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُوْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَم، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» (١٠).

وبالإيمانِ الصَّحيحِ؛ تَصْلُحُ المجتمعاتُ في أعمالها وأخلاقها وسُلُوكِها، وقد دلَّتِ التَّجارِبُ؛ أَنَّ صلاحَ أخلاقِ الأُمَ يتناسَبُ مع صلاحِ عقيدةِ أفرادِها، وأَنَّ فسادَ أخلاقِ الأُم والمجتمعاتِ يتناسَبُ معَ تَضَاقُلِ عقيدةِ أفرادِها وانحرافها.

لقد لَبِثَ نبيُّنا محمَّدٌ عَلَى في مكَّة ثلاثة عشرَ عامًا يدعُو إلى التَّوحيدِ والإيمانِ باللهِ ورسُولِهِ، ويقولُ للنَّاسِ:

ه قُولُوا لاَ إِلَه إِلاَّ الله ؛ تُفْلِحُوا ، (٢).

وكلُّ نبي بعثَهُ اللهُ تعالىٰ؛ يدعُو قومَه بادئَّ ذي بَدْء إلىٰ تصحيحِ العقيدةِ، ويقولُ لهُمْ:

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَّه غَيْرُهُ ﴾ (٢).

كما أخبرَ الله تعالى ؛ عن نوحٍ ، وهودٍ ، وصالحٍ ، ولوط ، وشُعَيْب، وغيرهم ؛ كما قال سبحانه وتعالى :

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب ه فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [التوبة: ٥] ه. ومسلم في (كتاب الإيمان) باب ه الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ه.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في والمسنده: ج٥٠، ص٤٠٤ (١٦٠٢٣).

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآيات: ٩٥، ٦٥، ٧٧، ٨٥. وسورة هود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤. . وسورة المؤمنون، الآيتان: ٣٢، ٣٢ .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ سُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبِهُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونَ ﴾ (`` ).

ومن ثَمَّ يجِبُ على الدُّعاةِ والمصلحينَ أن يدعوا أَوَّلاً وقبلَ كلِّ شيءٍ إلى إصلاحِ عقيدةِ المجتمعات، ولا يأمروا بإصلاحِ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ! حتى تصح العقيدة، وتسلَمَ من شوائب الشِّركِ، والبِدَعِ والمحدثات، والخرافات، وعوائد الجاهلية.

ولقد جمع أَخُونا الفاضلُ: الشّيخُ عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثرِيُّ؟
 مُؤلَّفًا في العقيدةِ الصّحيحةِ، سمَّاهُ:

( الْإِيمَانُ: حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة) ولقد قرأتُ هذا الكتابَ من أُوَّلِهِ إِلَىٰ أَخِرهِ، مع تعديلات طفيفة.

ولقد أَعجَبني هذا الكتابُ لِمَا لَهُ من المميِّزاتِ؛ التي تؤهِّلُ طباعتَهُ ونشرَه بين النَّاس، وترجمتَه إلى اللُّغاتِ الأُخرىٰ.

ومميزاتُ هذا الكتاب، هي:

1- شمولُ الكتاب لمسائلِ الإيمان والاعتقاد؛ مثل:

• تعريف الإيمان: لغة وشرعًا.

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

- وأنَّ الأعمالَ جزءٌ من الإيمان.
- وبيان مراتب الإيمان، وبيان مسمَّىٰ الإيمان، ومسمَّىٰ الإسلام.
  - والتلازم بين الظاهر والباطن.
  - والاستثناء في الإيمان وفي الإسلام.
  - وهل الإيمانُ مخلوقٌ أم غير مخلوقٍ؟
- وبيان أركانِ الإيمان الستّة، وهي: الإيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه،
   ورسُله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه.
- وبيان نواقض الإيمان عند أهل السُنَّة والجماعة، وأنواعها من الشَّرك والكفر، والفسق، والنِّفاق، وبيان الأكبر منها والأصغر.
  - وبيان النواقض الاعتقادية، والقوليَّة، والعمليَّة.
    - وبيان التَّكفير المطلق، والتَّكفير المعيَّن.
      - وبيان موانع التَّكفير.
      - والحكم بغير ما أنزلَ الله.
        - وحكم تارك الصّلاة.
      - وأسباب ترك الإيمان والإعراض عنه.
  - ٧- أَنَّه بحث هذه المسائل وفصَّلها وبيَّن الفروق والمشتبهات منها.
  - ٣ ـ أَنَّه يَسْتَدِلُّ لهذهِ المسائل بالأَدلَّةِ من كتاب الله وسُنَّة نبيَّه عَلَّهُ .
- ٤- أَنَّه أَكثر من النُّقولِ عن أَئمة أهل السُّنة، والعلماء، والمؤلَّفين أهل البصيرة، والمعتقد السَّليم.

أنَّه سَرَدَ أَسماءَ المؤلَّفاتِ على منهج أهل السُنَّة والجماعة في آخر
 الكتاب .

٣- أَنَّ عباراتِ الكتاب؛ ميسَّرةٌ وسهلةٌ ومبسطةٌ؛ يفهمُها كلُّ أحد.

٧- أنَّهُ لم يتوسَّع في ذكر تفاصيل المسائل، والخلاف، والرُّدود،
 والمناقشات؛ التي يَكْبُرُ بها حَجْمُ الكتاب، ويقِلُ بها انتفاعُ عموم
 المسلمين منه.

- وإنّني بهذه المناسبة! أنصَحُ وأُوصي عموم المسلمين؛ بقراءة هذا الكتاب، والاستفادة منه.
- كما أنّني أوصي بنشرِ هذا الكتاب، وترجمتِه إلى اللّغاتِ الأُخرىٰ.

وأحسبُ أَنَّ مؤلِّفَهُ؛ كَتَبَ هذا الكتابَ يُريدُ به وجه الله تعالى، ونفعَ إخوانِهِ المسلمين.

وأَسَالُ الله الكريم ربّ العرش العظيم:

\* أَن يجعلني، والمؤلِّف من الذينَ أَخلَصُوا أَعمالهُم لله تعالى، وأرادوا رضوانه سبحانه، والنُصح لعبادهِ، ونفعَهم، وتوجيهَهم، وإرشادَهم.

\* وأَسأَلُ الله - تبارك وتعالى - لي، ولعموم المسلمين الفقة في دينه، والبصيرة في شريعته، والحرص على نشر السُنَّة، والحذر من البدع والمحدثات في الدِّين.

\* كما أَسَالُ الله لي، ولإخواني المسلمين، الثّبات على دينه، والإيمان به وبرسُوله عَلَيْ دينه، والإعمان حتى الممات.

إِنَّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه، وصلَّىٰ الله، وسلَّم وبارك علىٰ عبد الله ورسوله نبيّنا محمَّد، وعلىٰ آله، وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدّين.

كتبه عبد الله الرَّاجِحِي عبد الله الرَّاجِحِي ١٤٢٧ هـ

### مقدمة فضيلة الشيخ المحدث عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

### ين القالع العالم

وبه أستعين، وعليه أتوكُّل، وإليه ألجأ، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان ٍ إلىٰ يوم الدّين.

أَمَّا بعدُ: فإِنَّ الإِيمانَ بأسماءِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - وصفاتِهِ وكمالِهِ، وإفرادَهُ بالعبادة؛ هو أَسَاسُ الأُسُس وأَصْلُ الأُصُول، قال تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰتِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ اللَّهِ يَأْمُوالِهِمْ وَلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ اللَّهِ مِنْهُ مِرْجُمَةً مِّنْهُ وَرَضُوانِ وَجَنَّاتٍ لِّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ (١٠).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿ لَ ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ لَ ۖ إِلاَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ كَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١٠). والأَدِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الأَمرِ كثيرةٌ، وهو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة.

ولا شكَ أَنَّ مَن لم يأْتِ به فهو الخاسِرُ دنيا وآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكُفُر ْ بِالْإِيمَانَ فَقَدْ حَبطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣).

فيتحتَّمُ على كلِّ مسلم أن يهتمَّ بهذا الرُّكنِ الرَّكينِ والأَصلِ الأَصيل؛ الذي هو مصدرُ سعادته، ورأْسُ مالِهِ، والقرآنُ الكريمُ والسُّنَةُ النبويَّة مليئان من التَّنبيه علىٰ ذلك، والأَمرِ به.

قال الله تعالى - مذكّرًا نبيّه ﷺ بالأصل الذي بَعْثَهُ من أجله -: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَّهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (١).

وهذه الآيةُ الكريمةُ نزلت بعد البعثة بمدة طويلة؛ لأنّها في سورة مدنية، وهي سورةُ محمّد عَلَيّهُ؛ فَمَعَ كونِهِ مبعوثًا بهذه الكلمة، وبَقِيَ مُدّةً طويلةً وهو يدعُو النّاسَ إليها، ويُجاهِدُ من أجلها، وهاجَرَ عَلَيْ من بلدهِ لتحقيقها، ومع ذلك؛ فإنّ الله تعالىٰ يُذكّرُهُ بهذا الأصل العظيم الذي هو أساسُ دين الإسلام. قال تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآيات: ١٩ – ٢١.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

 <sup>(</sup>٢) سورة العصر، الآيات: ١ – ٣.

<sup>(</sup>٤) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٩.

عَـمَـلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ يَلَ اللَّهَ فَاعْبُدُ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١). الشَّاكِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿ لَهُ لَمْ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدُ ﴿ لَهُ لَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (١٠).

وفي هذهِ الآياتِ تذكيرٌ للرَّسول عَلِيَّ بالأُصولِ التي بُعِثَ من أجلِها.

ومن اهتمام إبراهيم - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - بالأصلِ الذي خُلِقَ من أَجلِهِ وبُعِثَ بسببِهِ أنَّه خافَ أَن يقَعَ بما يُنافيهِ؛ فقال كما ذَكرَ الله تعالىٰ عنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ حَنَّ وَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي الْأَصْنَامَ حَنَّ وَبَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي الْأَصْنَامَ حَصَانِي فَإِنَّكُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

قال أبو جعفر بنُ جريرٍ في تفسيره: (ومعنىٰ ذلك: أبعدني وبنيَّ من عبادةِ الأصنام . . . وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ يقول: ياربً إِن الأصنام أضللَّنَ . يقول: أَزلَلْنَ كثيرًا من النَّاس عن طريقِ الهُدى، وسبيلِ الحقّ؛ حتىٰ عبدوهُنَّ وكفروا بك ) ( \* ) .

وأَخرِجَ عن ابن حُميدٍ: ثنا جريرٌ عن مغيرةَ، قال: كان إبراهيمُ التَّيميُّ يَقُصُّ، ويقول في قصصهِ: مَن يأْمَنُ من البَلاءِ بعد الخليلِ إبراهيمَ حينَ قال:

رَبِّي ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

 <sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآيتان: ٦٥ – ٦٦.
 (٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١ – ٤.

<sup>(</sup>٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٥ – ٣٦. (٤) « تفسير الطبري ، ج١٣، ص٢٢٨ .

وإبراهيم - عليه الصّلاة والسّلام - هو الذي كسّر الأصنام بيده، وهو الذي أراد أن يذبح ابنه طاعة لربّه تعالى، وغير ذلك من المقامات العظيمة الذي قامها تحقيقًا للتّوحيد، وقيامًا بواجب العُبوديّة للربّ - عزّ وجلّ - ومع ذلك كلّه دعى ربّه - عزّ وجلّ - أن يُجنّبه وبَنيه عبادة الأصنام؛ لكثرة من وقع من النّاس في عبادتها.

وقد أرسَلَ الله – تبارك وتعالىٰ – جبريلَ للنَّبِيِّ ﷺ لكي يسألهُ عن أصولَ الدِّين، وأركانه، وقواعده؛ حتىٰ يتعلَّمَ النَّاسُ ذلك.

أَخرجَ البخاريُّ ومسلم (١٠)؛ من طريق أبي حيَّانَ، عن أبي زُرْعَة، عن أبي وَرُعْة، عن أبي وَرُعْة، عن أبي هُريرة، قالَ: أبي هُريرة، قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْ يَوْمًا بَارِزًا للنَّاس؛ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فقالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِيمانُ؟ قَالَ: ﴿ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلَقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ». قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِسْلامُ؟

قَالَ: « الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمَ الصَلاَةَ المَكْتُوبَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، .

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَكَ تَراهُ ؛ فَإِنَّهُ وَرَاهُ وَاللهِ عَرَاكَ ﴾ . قال: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَىٰ السَّاعَةُ؟

قَالَ: « مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحَدَّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ العُرَاةُ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ العُرَاةُ

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وسؤال جبريل النبي عَظَيْ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السَّاعة ». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب وبيان الإيمان والإسلام والإحسان، واللفظ له ».

الْحُفَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْحُفَاةُ رُؤُوسَ النَّاكُ » ثُمَّ تَلاَ عَلِيَّةً: البُنْيَانِ ؟ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسِ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ » ثُمَّ تَلاَ عَلِيَّةً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزَّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيْ أَرْضِ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيْ أَرْضِ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ ﴿ يَكُ ﴾ [سورة لقمان]. قال : ثُمَّ أَدْبُرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ يَرَوُا عَلَي الرَّجُلُ » فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ : « رُدُّوا عَلَي الرَّجُلُ » فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ : « هَذَا جَبْرِيلُ ؛ جَاءَ لِيُعلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ » .

وفي رواية عند مسلم من طريق عُمارة - وهو ابنُ القَعْقَاعِ - عن أبي زُرْعَة، عن أبي هُريرة، قال: قال رَسُولُ الله عَلَيْة: « سَلُونِي » فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ... وفي آخر رواية: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْة: « هَذَا جُرُويلُ؛ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا، إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا »(١).

وقد جاءَ هذا الحديثُ - أيضًا - من رواية عُمرَ بن الخطاب، وغيرِهِ من الصَّحابة؛ رضي الله عنهم. وهذه القِصَّةُ وقعت في المدينة؛ بل جاءَ في رواية (٢) من حديثِ عمرَ - رضي الله عنه - أخرجها أبو عبد الله بنُ مندةَ في «الإيمان»(٢)، أن هذه القصَّةَ وقعت في آخِرِ عُمْرِ الرَّسُول عَلَيْكُ.

ومعَ طُولِ هذهِ المدَّةِ ما بينَ بعثته عَلَيْهُ وما بينَ وقوعِ هذه القصَّة، مع أَنَّه عَلَيْهُ لم يزل منذُ بُعِثَ وهو يُبَيِّنُ الإسلامَ والإيمانَ، ومعَ ذلكَ جاءَ

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في ٥ كتاب الإيمان ٥: برقم (١١).

<sup>(</sup>٢) صَحَّعَ ابن حَجر - رحمه الله تعالى - في « فتح الباري ، ج١، ص١١٩ هذه الرواية على شرط مسلم، وفي هذا بعض النظر، والله تعالى أعلم.

<sup>(</sup>٣) « كتاب الإيمان » ج١، ص٥٥ ١ برقم (١٢).

السُوَّالُ عن هذهِ الأُصولِ في آخِرِ حياته؛ تذكيرًا للأُمَّةِ بأَهمَّيةِ هذه الأُصُولِ، ووجوبِ معرفتها، والعمل بها.

قال عياضُ بنُ موسىٰ، رحمه الله تعالىٰ: (اشتملَ هذا الحديثُ علىٰ جميع وظائف العبادات الظّاهرة والباطنة؛ من عُقُود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السّرائِر والتّحَفُظ من آفات الأعمال؛ حتىٰ إن علوم الشريعة كلّها راجعة إليه، ومُتَشعبةٌ منه)(١).

وقال القرطبيُّ، رحمهُ الله تعالىٰ: (هذا الحديثُ يصلُحُ أَن يُقالَ لَهُ: أُمُّ السُّنَّة؛ لما تَضَمَّنَهُ من جُمَل عِلْم السُّنَّة) (٢٠).

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْاتِّصَافَ بِالإِيمانِ لِيسَ بِالأَمرِ الهِيِّن؛ لأَنَّهُ لِيسَ كُلُّ مَن ادَّعَىٰ ذلك صادقًا في دَعْوَاهُ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُهَا الرَّسُولُ لا يَعْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنًا بِأَفُواهِهِمْ وَلَمْ تُوْمِن اللَّذِينَ قَالُوا آمَنًا بِأَفُواهِهِمْ وَلَمْ تُوْمِن فَلُوبُهُمْ فَي إِلَىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أُولَئِكَ اللَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدَّنْيَا خِزْيٌ ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠).

وقد بين الله تعالى ؛ أنَّ الإنسان لا يكونُ مؤمنًا حقيقة حتَّىٰ يكونَ اعتقاده صحيحًا وعَمَلُهُ مستقيمًا، قال تعالىٰ:

<sup>(</sup>١)، (٢) انظر: وفتح الباري، ج١، ص١٢٥.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٤) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَ نَحْنُ أُولَا يَكُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَكُن نَحْنُ أُولًا مِنْ الْآخِرةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيْ أَنفُسُكُمْ وَلَيَاؤُكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيْ أَنفُسُكُمْ وَلَيَاؤُكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿ آَلَ اللهُ اللهُ اللهُ عَنُورِ رَحِيم ﴾ (١٠).

أَخرِجَ مسلمٌ في «صحيحه» من طريق هشام بن عُروَةَ، عن أبيه، عن سُفيانَ بن عبد الله الشَّقَفيّ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي في الإسْلاَمِ قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فَاسْتَقِمْ »(٢).

وفي رواية التَّرمذيّ؛ من طريقِ الزُّهْريِّ عن عبدِ الرَّحمنِ بن مَاعِزٍ عن سُفيانَ الثَّقَفيُّ، قالَ: شُفيانَ الثَّقَفيُّ، قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُّ بِهِ، قَالَ:

« قُلْ رَبِّيَ الله ثُمَّ اسْتَقِم...».

قال أَبُو عيسيٰ : (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح)(٣).

قال القاضي عياض " - رحمه الله - كما في شرح النَّوويِّ على مسلم:

(هذا من جَوامع كَلِمهِ عَلَيْ وهو مُطابقٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ استقاموا؛ فلم قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ استقاموا؛ فلم يحيدوا عن التَّوحيد، والتزموا طاعتَهُ - سبحانه وتعالى - إلى أن تُوقُوا على ذلك، وعلى ما ذكرناهُ أكثر الفسرين من الصَّحابة فمن بعدهم، وهو معنى الحديث إن شاء الله تعالى (٤٠).

<sup>(</sup>١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ - ٣٢.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب وجامع أوصاف الإسلام ٥.

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب ٥ ما جاء في حفط اللِّسان ٥ .

<sup>(</sup>٤) والمنهاج شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي؛ ج٢، ص٩.

وقال أبو فرج بنُ رجب رحمه الله تعالى: (فأصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلب على التَّوحيد، كما فسَّر أبو بكر الصدِّيقُ - رضي الله عنه - وغيرُه قولَه: ﴿ إِنَّ اللَّهِ يَنَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ بأنَّهم لم يلتفتوا إلى غيره؛ فمتىٰ استقامَ القلبُ على معرفةِ الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبَّته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتَّوكُلِ عليه، والإعراض عمَّا سِواهُ؛ استقامت الجوارحُ كلُها على طاعته؛ فإنَّ القلبَ هو ملكُ الأعضاء، وهي جُنُودهُ؛ فإذَا استقامَ الملكُ استقامت جنودُه ورعاياه...) (۱).

قلتُ: والاعتقادُ حتَّىٰ يكونَ صحيحًا؛ لا بُدَّ أَن يكونَ من الكتابِ والسُّنَّةِ، وقد بيَّنَ لنا رَبُّنا - عزَّ وجلَّ - في كتابه، وفيما أوصاهُ إلىٰ نبيه على الشَّخص أَن يعتقدهُ، والعمل الذي عليه أَن يعملَهُ.

وقد أَلَفَ أَهلُ العلمِ مُؤَلِّفاتٍ كثيرةً تُبيِّنُ ذلك. ومن هدهِ المؤلِّفاتِ - فيما أحسب - كتاب: (الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَةِ والجماعة) لأخينا الشَّيخ عبد اللهِ بن عبد الحميدِ الأثري، وقَقه الله تعالىٰ.

فقد أَفادَ وأَجادَ، وبيَّنَ ما جاءَ في الكتاب والسُّنَّة؛ فيما يتعلَّقُ بهذه المسائل العظيمة؛ فجزاهُ الله تعالىٰ خيرًا. هذا؛ وأُوصِي إِخواني بقراءة هذا الكتاب، والاستفادة منه. وبالله التَّوفيق.

#### وكتب

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ۱٤۲٥ / ۱۲ / ۲۷ هـ

<sup>(</sup>١) ه جامع العلوم والحكم ، للإمام ابن رجب الحنبلي؛ ص٧٩ شرح الحديث الحادي والعشرون.

### مقدمة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمدُ لله وحدَّهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَن لا نبيَّ بعدَه.

وبعدُ : فهذا كتابٌ مختصرٌ في الإيمانِ ومسائِلِهِ ؛ أَعدَّهُ أَخُونا الفاضلُ الشَّيخُ عبدُ الله بنُ عبد الحميد الأثريُّ .

وقد جاء الكتابُ علىٰ غِرارِ كتابيه الموجزين النَّافعين:

« الوجيز في عقيدة السلف الصَّالح ».

و« أَحكامُ وأنواعُ التَّوسَل المشروع والممنوع ».

واللَّذين سبق طبعُهُما، وقد قرأْتُ كتابَه هذا:

( الإِيمَانُ: حَقَيقَتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهل السُّنَّةِ والجماعة )

فأَلفيتُهُ مختصرًا جامعًا، مُدَعَمًا بالأَدِلَة من الكتاب والسُنَّة، والنُّقولِ عن أَثمَّةِ أَهلِ السُّنَةِ المعتبرينَ؛ ثمَّ إِنَّه ابتعَدَ فيه عن تفاصيلِ المسائلِ والخلاف فيها، والرُّدودِ والمناقشاتِ التي يَعْتَنِي بها المتخصَّصُون ونحوهم.

ومن ثمَّ جاءَ كتابُهُ:

١- نافعًا لعمومِ المسلمينَ على مختلفِ مستوياتهم؛ فهو موجزٌ،
 وشاملٌ، ومدلَّلٌ.

٧- لا يستغني عن مثله طالبُ العلم؛ إذا أرادَ جمعَ شَتَاتِ هذا
 الموضوع، وتدريسَهُ وتعليمَهُ للآخرين.

٣- كما أنَّه مناسبٌ جدًا لغير النَّاطقين بالعربيَّة؛ إِذَا تُرجمَ إِلَىٰ لُغاتهم؛
لأنَّهم سيجدُونَ فيه من السُّهولة والوضُوح ما يغني عن المطوَّلات، وصعوبة
المناقشات للمخالفين.

فجزىٰ الله المؤلِّفَ خيرَ الجزاء، ونفعَ به وبعلمه، ورزقنا وإِيَّاه العلمَ النَّافعَ والعملَ الصَّالح.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

کتبه

عبد الرحمن الصالح المحمود أُستاذُ قسم العقيدة؛ كُلِّية أُصول الدِّين جامعة الإمام محمَّد بن سعود ٩ شوال ١٤٢٣ هـ





# المقدمة المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، مالكِ يومِ الدِّينِ، إِلهِ الأَوَّلين والآخرين، المتفرِّدِ بالجلال والكمال، والمتنزِّهِ عن الشُّركاء والأَنداد والأَمثال؛ يهدي مَن يشاءُ ويُضِلُّ مَن يشاء، ويفعلُ ما يريد، والذي قسمَ خلقهُ بحِكْمَتِهِ إِلى شقيٌ وسعيدٍ، وحَبَّبَ إِلى المؤمنينَ الإِيمانَ، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّهَ إليهم الكُفرَ والفسوق والعصيان، وجعلهم من الرَّاشدين.

وأفضلُ الصَّلاةِ وأَتمُّ التَّسليم على رسُولهِ الأَمين، الهادي البشيرِ والسَّراجِ المنير، وإمامِ المؤمنين المتَّقين الصَّادقين الموحِّدين، وسيِّد الثقليْن المبعوثِ رحمةٌ للعالمين؛ الذي حقَّق التَّوحيدَ الخالص، وصدق مع ربَّه، وعاش حقائق الإيمان والدين، وعلَّم أصحابَه حقيقة العلم والإيمان.

وعلى آلهِ الطيّبين الطّاهرين، وصحبهِ الغُرِّ المحجّلين، الكرامِ الميامين؛ الذين نتقرّبُ إلى ربّنا - جلّ وعلا - بحبّهم أجمعين، والتّابعين العظامِ مِنْ بعدهم، والذين اتّبعوهم بإحسان إلى يوم الدّين.

اللَّهُمَّ! علَّمنا ما ينفَعُنا، وانْفَعْنا بمَا علَّمتنا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَعُونُذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وقُلْبٍ لا يَخْشَع. . آمين.

أمَّا بَعْدُ: فإِنَّ العقيدة الإسلاميَّة الصَّحيحة، هي الآساسُ في هذا الدِّين، وهي المنطلقُ الذي ينطلقُ منه إسلامُ المرءِ، وعليها تُبنى جميعُ المعارف.

فمَن صحَّتْ عقيدتهُ صحَّ عملُه، ومَن فسدتْ عقيدتُه فسدَ سائرُ عملِهِ! ولا يَصحُّ الدِّينُ، ولا يُقبلُ العملُ عند الله - تبارك وتعالى - إِلاَّ بالإيمانِ الصَّحيحةُ السَّالمةُ من جميع بالإيمانِ الصَّحيحةُ السَّالمةُ من جميع أنواع الشُّركِ وأَشكاله.

وإِنَّ الإِيمانَ الصَّادِقِ بِالله - سبحانه وتعالىٰ - له أهميةٌ بالغةٌ في حياةِ المسلم؛ لأَنَّ سعادتَه في الدارَيْنِ مبنيَّةٌ علىٰ قوَّةِ إِيمانِه برَبِّه - عزَّ وجلَّ - وقُربه منه، وصدقه في ذلك؛ فمَن أطاع الله تعالىٰ فيما أمرَ، وآمن به إِيمانًا صادقًا، واجتنب ما نَهَىٰ عنه وزَجَرَ، وقال: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا، آمَنًا وصَدَّقَتْاً؛ فقد زُحزح عن النَّار، وفاز فوزًا عظيمًا.

كما أنَّ نجاةَ العبدِ في الآخرة؛ من عذابِ الله الآليم، ومن شديدِ عقابهِ؛ تكون بالإيمانِ الصَّحيحِ الصَّادِقِ الذي علَّمنا إِيَّاه رسولُه الأمين عَلَيْهُ، وعاشه أصحابه الكرام – رضى الله عنهم – قالَ الله تعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن 
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ
الْغُرُورِ ﴾ (١٠).

والإيمانُ بالغيب؛ هو أساسُ التَّسليم التَّامِّ الله تعالىٰ في أمره ونهيه، وعندما يثبت هذا الإيمانُ الحقُّ في قلبِ المؤمن؛ لا تجده يعترضُ علىٰ أَيُ شيء من الشَّرع المنزل، ولا يصدُّ عنه؛ بل هو في غاية الانقياد والتَّسليم، وتمامِ الانشراح لِشرع الله تبارك وتعالىٰ.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

والإيمانُ الصَّحيحُ الصَّادقُ الراسخُ في قلبِ العبدِ المؤمنِ؛ هو الحرَّكُ الذي يُقرِّبُ من الله - تبارك وتعالىٰ - ويَجلب وَلايَتَه ورضاه، ويتحصَّن به المؤمنُ من كيد أعدائِه من شياطين الإنسِ والجنَّ، ومن معتقداتِهم الفاسدةِ، وأفعالهم القبيحةِ والشَّنيعةِ، وأُسُسُ هذا الإيمان الحقَّ هي:

العلمُ الصحيحُ المستقىٰ من الوحيَيْن الشريفَيْنِ، والإِيمانُ بالغيب، والكُفر بالطاغوت، والقيامُ بمقتضىٰ التَّكليفِ الشَّرعِي، والإخلاصُ الله تعالىٰ في العبادة، والصَّدقُ في متابعةِ الرَّسُول عَلَيْكُ.

وبهذه الأُسُس الشَّرعيَّةِ الرَّبانيَّة العظيمة؛ تترسَّخُ شجرةُ الإيمانِ في قلبِ المؤمن، وتضربُ جزُوره في الأعماق؛ ثمَّ يجدُ حلاوتَه ولذَّتَه في قلبه ونفسه، وفي حياته اليوميَّة، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ثَلُهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

فجذور شجرة الإيمان الصّادق! هي آركانها الستّة العظيمة، وسَاقُها الإخلاصُ لله تعالى ومتابعة الرّسُول عَلَيْهُ والتّسليم له، وفروعُها الأعمال الصّالحة من أعمال القلوب والجوارح، وثمراتُها اليانعة التي لا حَصْرَ لها؟ هي حياة في القلب، وقوة في الحقّ والإيمان، ثمّ يلي ذلك؛ الأمْنُ، والأمان والاطمئنان، والحياة الطيّبة الكريمة، وسعادة الدّنيا والآخرة، وولاية الله تعالى وعنايته ورضاه، قال الله تبارك وتعالى:

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآيتان : ٢٤ – ٢٥.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ آَلَهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَّالَّةُ اللَّهُ اللّ

ولقد كانت الأُمَّةُ الإسلاميَّة في عصر النَّبوةِ علىٰ هذا الإيمانِ الحقّ الصَّادقِ، والعقيدةِ الحقَّةِ التي جاء بها النَّبِيُ عَلَيُّةُ عن رَبِّه – جلَّ وعلا – وبلَّغها إلىٰ أصحابه الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – فكانوا بها؛ أكملَ النَّاس إِيمانًا، ويقينًا، وفهمًا، وتبليغًا لهذه العقيدة النَّبويَّةِ، وقد اعتصموا بها صادقين عاملين، وارتبط الإيمانُ الصَّادق عندهم بالعمل بديهيًا، وكانوا يكرهونَ الابتداعَ في الدِّين، والجدالَ والخصومات والمِراء، وكان هدْيُهُمُ التَّسليم التَّامَّ لِشرع الله تبارك وتعالىٰ.

وعندما كُسِرَ بابُ الفتنةِ! بمقتل ثاني الخلفاءِ الرَّاشدين المهدين عمر بنِ الخطابِ - رضي الله عنه -؛ تتابعت الفِتنُ من بعده كقِطعِ اللَّيْلِ المُظْلِمة، ثمَّ ظهرت فِرَقُ الابتداع؛ التي خالفت منهجَ الرَّسولِ عَلَيْ وصحابتهِ الكرام، وتمزَق شملُ الأُمَّة بَعْدَها، وأصبحت شيعًا وأحزابًا؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ -- ٦٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

وكذلك أَخبرَ النَّبِيُ عَلَيْكُ بهذه الفتن العظيمة؛ التي يضع الحليم حيران! وما يقع في الأُمَّة من اختلاف، واتّباع لغيرهم من الأُمم!

فعن الصَّحابيِّ الجليلِ؛ عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالىٰ عنهما - قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ عَلَيْكَ :

« لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِىٰ إِسْرَائِيلَ حَدْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ؛ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفْرَقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ إِسْرَائِيلَ تَفْرَقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ إِسْرَائِيلَ تَفْرَقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً ، وتَنفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً ، وتَنفْتَرِقُ أُمِّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُم في النَّار إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً » .

قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحابِي »('').

وعندما حدثت هذه الفِرَقُ في الأُمَّةِ - كما أخبرنا بها الصَّادق المصدوق محمَّد عَلَّةً - لم يُعدَم الخيرُ فيها ولن يُعدَم ؛ إِذ ظلَّت فئةٌ مؤمنةٌ صادقةٌ منها متمسَّكة بالهدى والدِّين الحق، وهي - بإذن الله تعالى - ظاهرةٌ إلىٰ قيام السَّاعة، لا يضرُها مَن خذلها، أو خالفها، أو حاربها ؛ وذلك مصداقًا لبُشرى النَّبِي عَلِي فيهم! حيث قال عَلَي :

« لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقَّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَىٰ يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ ﴾ (٢).

ولا شكَّ أَنَّ أَهِلَ السُّنَّة والجماعة؛ المقتفينَ أثَّرَ الصَّحابة الكرام،

<sup>(</sup>١) ه رواه الترمذي ه في (كتاب الإيمان) باب: «افتراق هذه الأُمَّة » وصحَّحه الأَلباني في «صحيح سنن الترمذي» ج٢، ص٣٣٤.

<sup>(</sup> ٢ ) « رواه مسلم » في ( كتاب الإمارة ) باب: « قوله عَلَيْ لا نزال طائفة من أمتي ظاهرين . •

والتَّابعين العظام، والذين اتَّبعهم بصدق وإخلاص وإحسان إلى قيام السَّاعة؛ هم الطَّائفةُ المنصورةُ، والفِرقةُ النَّاجيةُ؛ القائمةُ على دين اللهِ الحقّ؛ علمًا، وعملاً، ودعوةً، ومنهجًا، وسلوكًا، وهم الذينَ عناهم النَّبِيُ عَلَيْكُ بهذه الأحاديث الشَّريفة المباركة.

ومن هنا! وجبَ علىٰ كلِّ مسلمٍ صادقٍ مع رَبِّه - جلَّ وعلا - الذي يعمل لآخرته، ويخافُ عذابَ رَبِّه تعالىٰ؛ أَن يتعرَّفَ علىٰ عقيدة ِ هذه الطَّائفة المباركة؛ التي تلتزم الإسلام الحقَّ، والدِّين الخالص.

وعليه - أيضًا - أن يعرف الإيمان الذي آمنوا به، وعَمِلُوا بهذا الإيمان، وأن يعرف حقيقته، ومُسمَّاه، ومراتِبَه، وشُعَبَه، وخوارِمَه، ونواقِضه، وموانِعه، وأركانه الستَّة: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتُبِه، ونواقِضه، وموانِعه، وأركانه الستَّة: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتُبِه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ لأنَّ الإيمان بهذه المغيّبات أساسُ هذا الدِّين العظيم، فإنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - لا يقبل إيمان الذي يجحدُ أحدها؛ حتَّىٰ يؤمن بها جميعًا.

فالمسلم الصَّادق يجب عليه فهم هذا الإيمان الحقّ! لأَنَّ الخَطَا في فهم السمِ الإيمان وحقيقتِه؛ ليس كالخطاِ في اسم مُحْدَث، ولا كالخطاِ في غيره من الأسماء الشَّرعيَّة؛ لأَنَّ أحكام الدُّنيا والآخرة – من استحقاقِ الجنَّة والنَّار، والسَّعادة والشَّقاوة، والموالاة والمعاداة، والقَتْلِ والعِصْمَةِ – متعلَّقة باسم الإيمان، والإسلام، والكُفْر، والنَّفاق، والشَّرْك.

فمسائلةُ الإيمانِ الحقّ! من أهم مسائلِ العقيدة الإسلاميَّة؛ بل هي الأصلُّ لجميعِ مسائلِها، ويترتبُ عليها جميعُ الأحكامِ الشرعيَّةِ في الدُّنيا وفي الآخرة؛ فعلىٰ أساسِ الإيمانِ انقسمَ النَّاسُ فريقين: فريقُ أهلِ الإسلام

والإيمان الصَّادق، وفريقُ أهلِ الكفرِ والشِّركِ والضَّلال، ولكلُّ فريقٍ أحكامٌ وأحوالٌ في الدُّنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ ثَنَ هُمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١٠).

ولذا! إِنَّ دعوةَ الإِيمانَ الْمُجَرَّدةِ مِن الإِستجابِ لأَوامرِ الله تعالى بإِيمانٍ وصدق! لا تُقبل عند الله تعالى ألبتَّة ؛ إِن لم تَكُنْ صادقة حقًا، وخالصة لوجهه الكريم، ولستُطانه العظيم، ويَتْبَعُها عملٌ صالحٌ ؛ موافقٌ لسنَّة نبيّه الأمين عَلِيَّةً ، قالَ الله تبارك وتعالى:

<sup>(</sup>١) سورة الجاثية، الآية: ٢١ .

<sup>(</sup>٢) سورة القلم، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦ .

 <sup>(</sup> ۲ ) سورة العنكبوت، الآيات: ١ – ٧ .

ولما كَثُرَ كلامُ النَّاسِ في حَدِّ الإسلامِ والإيمان، ونتجَ عن ذلك الجدالُ والخصوماتُ الكثيرةُ - قديمًا وحديثًا - وزَلَّت به الأقدامُ؛ فضلُوا وأَضلُوا؛ ثمَّ ذهبَ الرَّجالُ وبقيَ الجدالُ، ولا يزالُ باقيًا - إلى ما شاء الله - يُهدَّدُ وحدةَ الأُمَّة، ويهزُّ كيانَها! والله المستعان.

ومن هذا المنطلق العظيم الجليل! نظرتُ إلى حالِ المسلمِ المعاصرِ اليومَ! - مع قلَّةِ الهِمَمِ وبُعد النَّاس عن علوم الدَّين - فإذا هو يحتاجُ أَن تتيَسرَ لَهُ العلومُ الإسلاميَّةُ على طريقة أهل السُّنَّةِ والجماعةِ المحضَّة.

لأَنَّ مخاطبة العوام بلُغة عصرهم (١)، وعلى مستوى فهمهم، وإنزالَ عُقولهم منازِلَهَا، والتعرُّف على مداخل نفوسهم؛ من الوسائل والأسباب المهمّة لهدايتهم بإذن الله – تبارك وتعالى – وهذا ما يُقِرُّه الدَّعاة العالمون العاملون في السَّاحة الإسلاميّة، وذلك من خلال تجربتهم مع دعوة عوام النَّاس، وقُربهم منهم، ومخاطبتهم إيَّاهم عن كَثَب، ولنا في سيرة إمام الدُّعاة محمّد عَلَيْ شواهد كثيرة على ذلك لمن أراد الإنارة.

فهم يحتاجون إلى تعريف ميسر للإيمان ومفهومه وحقيقته وحدّه، ومتى يُطلقُ الإيمانُ، ومتى يُمنع إطلاقه، ومتى يتطابق لفظه مع الإسلام، ومتى يفترقان! وأيَّهما أشمل؟ وما هي أركانه، ودرجاته، وشُعبُه، ومراتبه، وصفات أهله، ونعمه، وفوائده، وشمراته، وخوارمه، ونواقضه ومبطلاته التي تُزيلُ حُكْمَه وتُبْطِل أثره؟ فقد يرتد أحدهم عن الدين من حيث لا يشعر! وما هي أسباب ترك الإيمان، والإعراض عنه؟

<sup>(</sup>١) مع المحافظة على ثوابت اللُّغة، وعدم التوسع في العبارات العلمية؛ بحيث تحتمل كثيرًا من المعانى عندهم.

وكذلك يحتاجون - أي شبابُ الصَّحوة المباركة - إلى معرفة بعض التعريفات والقواعد والمصطلحات العلميَّة المُتداوَلة عند أثمَّة أهلِ السُّنَة والجماعة كتعريف الرِّدَّة، وتعريف الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، والفِسْق، والظُّلم، والهوى، والموالاة والمعاداة؛ وبيانِ الأكبرِ منها والأصغر.

وبيانِ موقف أهلِ السُّنَةِ والجماعة؛ من مسألةِ التَّكفير عامةً، وبيانِ خطورةِ تكفير المسلم، وما هي ضوابطه، وموانعه؛ من العجزِ، والجهلِ، والخطاِ، والتاويلِ، والإكراهِ، والتَّقليدِ، وكذلك بيانِ خطورةِ عدم التَّفريق بين المطلق والمعيَّن في التَّكفير، وعدم التَّكفير المطلق – أيضًا – وما خطره على إيمانِ المسلم، وكذلك عدم التردُّدِ في تكفير الكفَّار، واعتبارُ الظَّاهر في مسألة الكُفر والإيمان، وما هي عقيدة الوعدِ والوعيد، وإلى غير ذلك من المصطلحاتِ العلميَّة، وقواعد ومفاهيم شرعيَّة.

فاستعنتُ باللهِ عزَّ وجلَّ - وجمعتُ ما أمكنَ لي جمعةُ من المسائل التي تتعلَّق بالإيمان، وما تفرع منه على طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، وكلُّ ذلك من كتابِ اللهِ العزيز الحميد، وسُنَّة نبيتُه الكريم الأمين محمَّد عَلِيَّة، وأقوال أعلام أثمَّة أهل السُنَّة والجماعة المُعْتَبَرين.

واجتهدت في عرض المسائل على ضوء توفير المادَّة العلميَّة، وعَرْضِها بإختصارٍ مع سلاسة الأسلوب والعبارة، واختيار التَّبويب المناسب؛ لكي تكون قريبة من مداركِ عامَّة النَّاس، ولا يصعب فَهْمُها عليهم؛ وحتى تكون سببًا لقراءتِهم، ثمَّ لهدايتِهم بإذن الله تبارك وتعالىٰ.

والتزمتُ - أيضًا - الألفاظ الشرعيَّة المأثورة عن أثمَّة أهل السُّنَّة والجماعة قدرَ الإمكان والاستطاعة.

وحرصتُ أَن يكونَ هذا الكتاب؛ رسالةً علميَّةً ميسَّرةً، ودليلاً صحيحًا واضحًا للمسلمِ المستقيم الصَّادق – أَو المهتدي حديثًا – إلىٰ طريق الحق، وجنَّة النَّعيم، ورضوان الله تعالىٰ؛ وعونًا له لتحصيل مُجْمَلِ عقيدةِ أَهل السُنَّة والجماعة في مسألة الإيمان، وما يتعلق بها.

وتركتُ جميعَ عقائدِ المخالفين لا هلِ السُنَّة والجماعةِ! مِنَ الفِرَقِ الضَّالَةِ المُنْحَرِفة، أو المبتدِعة؛ حتى لا يُكدِّرَ أقوالهم على العامَّةِ! صفوة عقيدتهم وفطرتهم، ويُلبِّسَ عليهم الأمر! فيضطربَ عندهم الفَهمُ الصَّحيح لمسألةِ الإيمان الحقّ، وذلك لكثرةِ شُبُهاتِهم التي هي من خُطوات الشَّيطان؛ لردً طالبِ الحقِّ عن الحقَّ، ولكي ينهلوا – أيضًا – العلم من منبعِه الصَّحيح؛ كما كان الأمرُ في الصَّدرِ الأوَّل من هذه الأُمَّة المعصومة، وقبل الافتراق!

رغم أنَّي أعلم! أنَّ التَّطرُق لموضوع الإيمانِ ليس بأمرٍ سهلٍ وهينٍ ، وخصوصًا مع قلَّةِ الباع – والله المستعان وعليه التُكلان – ولكني توكَلتُ على اللهِ تعالىٰ ؛ آملاً منه – عزَّ وجلَّ – أن يجعلَ لي مخرجًا ، ويوفّقني للحقُ والسَّداد ؛ كما دلَّنا علىٰ ذلك الأمرِ كتابُ اللهِ الكريم ، وسئنَّة رسوله الأمين محمَّد عَلَيُ ، قال الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (``.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّق اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتُو كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

<sup>(</sup>٣) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلى آله وسلَّم:

« لَوْ أَنَكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكَّلِهِ ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ! تَغْدُو خِمَاصَا وَتَرُوحُ بِطَانًا » (١٠).

ثمَّ بذلتُ ما في وسعي ليكونَ هذا الكتاب المبارك - إِن شاء الله - ؛ موسوعة في الإيمان ومسائله؛ قد استوعَبَ ما يحتاجُه المسلمُ المعاصر من عقيدتِه في موضوع الإيمان، وما يتعلق به، وبمسائله وفروعه.

ولا أدَّعي أنَّني وصلتُ بهذا العمل إلى المطلوب، ولا أقول الكمال! ولا سيَّما أنِّي مسبوقٌ بأتُمَّةٍ كِبارٍ قد كتبوا في بابِ الإيمان؛ فأجادوا وأفادوا؛ فجزاهم الله عنَّا، وعن المسلمين خير الجزاء.

ولكنِّي أُومل أن أكونَ قد وفّقتُ - إن شاء الله - إلى ما سعيتُ إليه، وقرَّبتُ الموضوع، وسهّلتُ عباراتِه في هذا الكتاب الذي سمَّيته:

( الْإِيمَانُ : حَقيقتُهُ، خَوارمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهل السُّنَّةِ والجماعةِ )

هذا هو جُهد المقلِّ؛ فإن وفَّقتُ وأَصبتُ الحقُّ المبين، فمن الله - تبارك وتعالى - وحده لا شريك له، وهو الموفّق والمسدّدُ؛ سبحانه وتعالى .

وإِن أَخفقتُ وأخطأتُ وزللَّتُ؛ فَمِن نفسي، وعجزي، وقلَّة حيلَتي. وأَعوذُ بالرَّحمن - جلَّ في عُلاه - من الشَّيطانِ والخذلان.

وأحسن الله - تبارك وتعالى - لمن يدلُّني على نقْص، ولم يَبخلْ عَلَى نقْص، ولم يَبخلْ عَلَى، ونبَّهني إليه مَشْكورًا مأجورًا.

<sup>(</sup>١) ﴿ رَوْاهُ التَّرَمَذِي ۗ فِي (كتاب الرَّهَد ) بَاب: ﴿ فِي التَّوكُلُ عَلَىٰ اللَّهِ ﴿ وَصَحَّحَه الأَلْبَانِي .

كما أَشكرُ كلَّ مَن كانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَيَّ؛ مِنْ إِبْدَاءِ رَأْيٍ، أَو مُراجَعَةٍ، أَو نُصِيحَةٍ، أَو نُصِيحة، أَو دُعَاءٍ؛ فجزاهم الله خيرًا.

وأسالُ الله - تبارك وتعالى - أن يُثبّتنا على الإيمانِ الحقّ، ويُحبّبه إلينا، ويُزيّنَ قلوبنا به وبنعمه، وأن يغرسَ فيها شجَرتَه؛ كيْ نجنيَ من ثماره، ونذوق حلاوة الإيمان الصّادق، ونجد فيها طَعْمَ الحياة بالإيمان، ويُكْرِمَنا بالعيش في ظلاله.

وأساله - جلَّت قدرته - أن يعصمنا من الشَّيطان الرَّجيم، وأن يُعينَنا عليه، وعلى مكره، وكيده، وشُبُهاتِه، وخُطُواتِه وخَطَراتِه؛ بحوله وقوَّته.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارك؛ على الهادي البشير، والسِّراجِ المنيرِ؛ نبيِّنا، وقائدنا، وإمامِنا، ومرشدنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

کتبه

رَاجِي رَحْمَةِ رَبِّهِ الْفَقُورِ
أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَميدِ بْنِ عَبْدِ الْمَجيدِ
آلِ إِسْمَاعِيلَ الْبَرَّازُ الاَّ ثَرِيُّ ثُمَّ العِراقيُّ
نزيلُ اصطنبولَ ؛ عَفَا اللهُ عَنْهُ
١٤٢٢ ذُو الْحجَّة ١٤٢٢ هـ

## حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

### حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- تعريف الإيمان.
- علاقة الإيمان بأعمال الجوارح.
- إجماع أهل السُّنَّة والجماعة على تعريف للإيمان.
  - زيادة الإيمان ونقصانه.
  - أسباب زيادة الإيمان، وأسباب نقصانه.
    - شعب الإيمان.
    - مراتب الإيمان.
  - قولُ أَنْمَةِ أَهل السُّنَّة والجماعة في مسمَّىٰ الإيمان.
    - الإستثناء في الإيمان.
    - الإستثناء في الإسلام.
      - الإيمان والإسلام.
    - التلازم بين الظاهر والباطن.
      - أركان الإيمان.
      - نعمة الإيمان، وثمراته.
      - فوائد الإيمان ، وثمراته.
      - من صفات أهل الإيمان.

### تعريف الإيمان

الإيمانُ في اللُّغةِ: الإيمان لغة له معنيان:

أَوَّلاً - و الأَمْنُ »: أصلهُ طمأنينة النَّفسِ وزوال الخوف من قلب العبدِ . أَي: إِعطاءُ الأَمان والطمأنينة الَّذي هو ضدُّ الخوف . وآمنته: ضدُّ أخفته .

قَالَ اللهُ تَبَارِكُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَآمَنَهُمْ مِنْ خُوْفٍ ﴾ (١٠).

فآمنَ، أي: أصبحَ داخلاً في الأمنِ والسَّلامَةِ. واستأمَنَهُ، أي: أَدْخَلَهُ في أَمَانِهِ. والأَمنة والأَمانة: نقيض الخيانة والغدرِ.

وسُمِّي المؤمن مؤمنًا؛ لأنَّهُ يؤمن نفسه من عذاب الله - جلَّ وعلا - في الدَّارين، ومنه اسم الله عزَّ وجلَّ: «المؤمن»؛ لأنَّه - سبحانه وتعالىٰ - أمنَ عبادَه أن يَظلمهم.

ثانيًا - « التَّصديق »: أي: الَّذي يُصدَّق قولَه بالعمل ، والأَصلُ في الإيمانِ الدُّخول في صدق الأَمانة التي ائتمنهُ الله تعالىٰ عليها ؛ فإذا اعتقد التَّصديق بقلبه كما صدَّق ذلك بلسانه ؛ فقذ أَدىٰ الأَمانة ؛ أي : هو مؤمنٌ .

وإذا قالَ العبدُ: آمنتُ باللهِ تعالىٰ ربًا؛ أي: صدَّقتُ به سبحانه. والمؤمن مبطنٌ من التَّصديق؛ مثل ما يظهر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ (``).

 <sup>(</sup>١) سورة قريش، الآية: ٤.
 (٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

ومَن لم يعتقد التَّصديق بقلبه؛ فهو غير مؤدِّ للأمانةِ التي ائتمنه الله تعالىٰ عليها، أي: هو منافق ! قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ (١٠. والتَّصديقُ كما يكون بالقلب؛ يكون باللِّسانِ والجوارح أيضًا! قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيَّم، رحمه الله تعالىٰ:

(الايمان هو التَّصديق، ولكن ليس التَّصديق المجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له! ولو كان مجرد اعتقاد التَّصديق ايمانًا لكان إبليس، وفرعون وقومه، وقوم صالح، واليهود الذين عرفوا أنَّ محمَّدًا رَسُول الله عَلَيْ كما يعرفون أبنائهم مؤمنين مصدقين! فالتَّصديق إِثمَّا يتم بأمرين: اعتقاد الصدق، ومحبَّة القلب وانقياده)(٢).

والتَّصديقُ يتضمَّن الأمنَ والأمانَ. وقيلَ: هو التَّصديق للأُمورِ الغائبة، أي: بما غاب قولاً كان، أو فعلاً. ولهذا قال إِخوةُ يوسفَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - لأبيهم: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِن لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (٢).

أي: لا تقرُّ بخبرنا، ولا تثقُ به، ولا تطمئنُ إليه، ولو كنَّا صادقين.

إِذْن! الإِيمانُ لغة لهُ معنيان حسب الاستعمال؛ الأمن والتَّصديق، والمعنيان متداخلان(1).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٧٥. (٢) و كتاب الصلاة و ص ١٩.

<sup>(</sup>٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٤) انظر معاجم اللَّغة؛ مادة (أمن): وتهذيب اللغة وللأزهري؛ ج٥١، ص٥١٥. ووالصحاح و للجوهري و ج٥، ص٢٠٧، ووالقاموس المحيط وللفيروزآبادي، ص١٥٠، وولسان العرب ولابن منظور، ج١٢، ص٢١ – ٢٧، وومختار الصحاح وللرازي، ص١٥، وومفردات الفاظ القرآن وللأصفهائي، ص٩٠، ووالنهاية في غريب الحديث ولابن الأثير، ج١، ص٩٦ – ٧١.

• ولشّيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله تعالى - رَأْيٌّ في معنىٰ الإيمان اللّغوي، وهو من آرائه السّديدة، واختياراته الموفّقة؛ حيث أدخل معنىٰ « الإقرار » في الإيمان؛ لأنّه رأىٰ أنَّ لفظة « أقرَّ » أصدقُ في الدلالة والبيان علىٰ معنىٰ الإيمان الشّرعي من غيرها؛ لأمور وأسباب ذكرها ثمَّ ناقشها بالمعقول، وردَّ بتحقيق علميَّ رصين قولَ مَن ادَّعیٰ: أنَّ الإيمان مرادف للتّصديق، وذكر فروقًا بينهما؛ تمنع دعوىٰ التّرادف.

قال رَحمهُ الله: (فكان تفسيره - أي الإيمان - بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التَّصديق، مع أنَّ بينهما فرقًا)(١).

وقالَ أيضًا: (ومعلومٌ أنَّ الإِيمانَ هو الإقرار؛ لا مجرَّدَ التَّصديقِ. والإِقرار ضمِن قول القلبِ الذي هو التَّصديقُ. وعمل القلبِ الذي هو الإِنقياد)(٢).

وقالَ في ردِّه على من ادَّعي التَّرادف بين الإيمان والتَّصديق:

(إِنَّه - أَي الإِيمان - ليس مرادفًا للتَّصديق في المعنى؛ فإِنَّ كلَّ مخبرٍ عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللُّغة: صدق، كما يقال: كذبت؛ فمَن قال: السَّماءُ فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأَمَّا لفظ الإيمان؛ فلا يُستعمل إلاَّ في الخبرِ عن غائب، لم يوجد في الكلام أنَّ مَن أخبرَ عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشَّمس وغربت، أنَّه يقال: آمنًاه، كما يقال: صدَّقناه، ولهذا؛ المحدَّثون والشُّهود ونحوهم،

<sup>(</sup>١) لا مجموع الفتاوي ١ ج٧، ص ٢٩١.

<sup>(</sup>۲) «مجموع الفتاوي، ج٧، ص ٦٣٨.

يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإنَّ الإيمانَ مشتقٌ من الأمن، فإنَّما يُستعمل في خبر يؤتمن عليه المُخْبِرُ؛ كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المُخْبِر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلاَّ في هذا النوع)(١).

وقال أيضًا: (إِنَّ لفظَ الإيمان في اللَّغة لم يقابل بالتَّكذيب؛ كلفظ التَّصديق؛ فإنَّه من المعلوم في اللَّغة أنَّ كلَّ مُخْبرٍ يقال له: صَدقت، أو كذبت، ويقال: صدَّقناه، أو كذَّبناه، ولا يقال لكلِّ مُخْبِرٍ: آمنًا له، أو كذَّبناه. ولا يقال لكلِّ مُخْبِرٍ: آمنًا له، أو كذَّبناه. ولا يقال: أنتَ مؤمنٌ له، أو مُكذَّبٌ له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمنٌ أو كافر، والكُفرُ لا يختصُ بالتكذيب) (٢).

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمه الله تعالىٰ:

(أكثر أهل العلم يقولون: إنَّ الإيمان في اللَّغة: التَّصديق، ولكن في هذا نظر! لأنَّ الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنَّها تتعدَّىٰ بتعدَّيها، ومعلومٌ أنَّ التَّصديق يتعدَّىٰ بنفسه، والإيمانَ لا يتعدَّىٰ بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدَّقَه، ولا تقول آمنتُه! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له.

فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازمًا لا يتعدّى؛ إلاَّ بحرف الجرِّ بفعل مُتَعَدَّ ينصب المفعول به بنفسه، ثمَّ إِن كلمة وصَدَّقت، لا تُعطي معنىٰ كلمةِ «آمنت» فإنَّ «آمنت» تدلُّ علىٰ طمأنينة بخبره أكثر من «صَدَّقت».

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي ، ج٧، ص ٢٩١.

<sup>(</sup>٢) دمجموع الفتاوي، ج٧، ص٢٩٢.

ولهذا؛ لو فُسِّر «الإِيمان» به «الإِقرار» لكان أجود؛ فنقول: الإِيمان: الإِقرار، ولا إِقرارَ إِلاَّ بتصديق، فتقول أقرَّ به، كما تقول: آمن به، وأقرَّ له كما تقول: آمن له)(١).

وقالَ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمان في اللّغة هو التّصديق، ولكنّ الشّرع أضاف إليه إضافات، وأدخل فيه الأعمال، وأدخل فيه الأقوال؛ فأصبح الإيمان شاملاً للعقائد والأقوال والأعمال، أصبح مسمّى شرعيّا، وما ذاك إلا أنّ المسمّيات الشّرعيّة نقلت من مسمّاها اللّغوي إلى مسمّى خاص كسائر المسمّيات الشّرعيّة؛ فالعرب لا تعرف اسم الإيمان إلا أنّه التّصديق، ولا تعرف اسم الكفر إلا أنّه التّعلية، تغطية الشيء وستره؛ يسمّى عندهم كفرًا...؛ فجاء الشّرع وجعل لهذه الألفاظ مسمّيات شرعيّة، ونقلها من المسمّى اللّغوي إلى المسمّى الشّرعي، (1).

واعلم أخي المسلم الكريم! علَّمنا الله وإيَّاك طريقة السَّلفِ الصَّالح:

أَنَّ الحقائق الأَشياء؛ قد تُعرف بالشَّرع، أو باللَّغة، أو بالعرف. أي: هي إِمَّا تعريفٌ شرعيَّة كالقبض.

وأَنَّ التَّعريفَ الشَّرعيَّ قد يتَّفق مع التَّعريف اللُّغوي، وقد يختلف! بحيث يكون المعنى الشَّرعيُّ أشمل من اللُّغوي، ولكنَّ العبرة بالمعاني الشَّرعيَّة التي نتعبَّد الله تعالىٰ بها.

<sup>(</sup>١) وشرح العقيدة الواسطية و ج٢، ص ٢٢٩.

<sup>(</sup>٢) والإرشاد شرح لُمعة الاعتقاد الهادي إلى: سبيل الرشاد ، ص٢٣٤.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ، رحمه الله تعالىٰ:

(وهمًا ينبغي أنْ يُعلم أنَّ الأَلفاظُ الموجودة في القرآن والحديث؛ إِذَا عُرِفَ تفسيرُها وما أُريد بها من جهة النَّبِيِّ عَلَيْ لم يحتج في ذلك إلىٰ الاستدلال بأقوال أهل اللَّغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء: «الأسماء ثلاثة أنواع» نوع يُعرف حدُه بالشرع؛ كالصَّلاة والزَّكاة. ونوع يُعرف حدُه باللَّغة كالشَّمس والقمر. ونوع يُعرف حدُه بالعرف كَلَفْظِ القبض) (١٠).

وقال أيضًا: (وهذه طريقة سائر أثمّة المسلمين؛ لا يَعْدِلُون عَن بيان الرّسُول إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البِدَعِ التي مضمونُها أنّه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم، أو غير الحقّ، وهذا ممّا حرّمه الله ورسوله)(٢).

وهكذا في مسمَّىٰ الإيمان؛ إذ التَّصديقُ الجازم الذي لا ريب فيه، هو أحدُ أجزاء المعنىٰ الشَّرعي علىٰ الصَّحيح المشهور عند أثمَّة أهل السُّنَّة والجماعة، وعلىٰ ذلك دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة.

فالمعنى المختار للإيمان لغةً: هو الأَمن، والتَّصديق، والإِقرار.

والإقرار يكون:

• باعتقاد القلب: أي: بتصديقِه بالأخبار.

• بعمل القلب: أي: بإذعانِه وانقيادِه للأوامر.

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ، ج٧، ص ٢٨٦.

<sup>(</sup>٢) ومجموع الفتاوي و ج٧، ص ٢٨٨.

#### الإيمانُ في الاصطلاح الشَّرعي:

الإيمانُ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - هو تحقيقُ شهادة التَّوحيد: ( أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله »

ومعنىٰ شَهادَةُ ﴿ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ ﴾ هي الإيمَانُ باللهِ تَعَالَىٰ وبوحدانيَّته.

أي: هي التَّصْدِيقُ الجَازِمُ، وَالاقْرارُ الكَامِلُ، وَالاعْتِرافُ التَّامُ؛ بِوجُودِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ – أَيْ: أَنَّهُ خَالِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَمُلِيكُهُ وَمُلِيكُهُ وَمُلْيكُهُ وَمُلْيكُهُ وَمُلْيكُهُ وَمُلْيَرُهُ – وَبِأَلْوهِيَّتِهِ – أَيْ: اسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ – وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمُدَبَّرُهُ – وَبِأَلْوهِيتَةِ بِكُلُّ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الجَلالِ وَالاَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ – لاَ وَأَيْ: اتَّصَافِهِ بِكُلُّ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الجَلالِ وَالاَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ – لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَالْقِيامُ بِمُقْتَضَىٰ هَذَا الإِقْرَارِ؛ عِلْمًا وَعَمَلاً – أَيْ: اطْمِئْنَانُ الْقَلْبِ بِذَلِكَ اطْمِئْنَانًا تُرَىٰ آثَارُهُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ، وَالْتِرَامِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وشهادة «أنَّ مُحمَداً رَسُولُ الله» أي: أنَّ مُحمَداً ابن عبد الله عَنْ الله وسُولُ الله عن رَبِهِ رسولُ الله ، وخاتمُ النبيِّين والمرسلين، وقبولُ جميعِ ما أخبرَ به عَنْ عن رَبِهِ عن ربَهِ علا وعلا – وعن دين الإسلام من الأمور الغيبيَّة ، والأحكام الشَّرعيَّة ، وبجميع مفردات الدين، والانقيادُ له عَنْ بالطَّاعة المُطْلَقة فيما أمر به ، والكفُّ عمَّا نهى عنه عَنْ وزجر؛ ظاهرًا وباطنًا ، وإظهارُ الخضوع والطمانينة لكلٌ ذلك في القلب واللِّسان والجوارح .

وملخص التعريف الشَّرعي: ( هو جَميعُ الطَّاعات الباطنة والظاهرة ).

- الباطنة: كأعمال القلب، وهي تصديقُ القلب وإقراره.
  - الظاهرةُ: أفعالُ البدن من الواجبات والمندوبات.

واعلم أَخي الموحِّد! أَنَّه يجب أَن يَتْبَعَ ذلك كلَّه: قولُ اللَّسان، وعملَ الجوارح، ولا يجزيء واحد من الثلاثة إلاَّ بالآخر؛ لأَنَّ أَعمالَ الجوارح داخلةٌ في مسمَّىٰ الإيمان، وجزءٌ منه وركن فيه، ولا يقوم الإيمان إلاَّ بها.

فمُسَمَّىٰ الإيمان الشَّرعي عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ كما أجمعَ عليه أَتْمَتُهم العظام، وعلماؤهم المعتبرينَ الكبار - سلفًا وخلفًا - هو:

(اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللَّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركان؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصية).

ومن أُصولهم التي اتَّفقوا عليها في مسمَّىٰ الإيمان على اختلاف عباراتهم في الأَلفاظ - إِجمالاً وتفصيلاً - وذلك خوفًا من الاشتباه، أو الالتباس؛ أنَّ الإيمانَ مُرَكِّبٌ من:

(قول، وعمل). أو (قول، وعمل، ونيَّة).

أو (قول، وعمل، ونيَّة، واتَّباع السُّنَّة).

أو (اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارح).

وهذه العبارات وإن كانت متفاوته في التَّعبير؛ إِلاَ أَنَها مشتركة في المعنى والمراد. أيِّ: أَنَّ مسمَّىٰ الإيمان يُطلق - عندهم - على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزيء أحدها عن الآخر، وهذه الأُمور الثَّلاثةُ جامعةٌ لدين الإسلام: (اعتقادُ القلب، إقرارُ اللِّسان، عملُ الجوارح).

وبعبارة أخرى عندهم:

( قولُ القلبِ وعملِهِ ، وقولُ اللّسانِ وعملِهِ ، وعملُ الجوارحِ ) . أي :
 قولُ القلب ، وقول اللّسان . • عملُ القلب ، وعمل الجوارح .

إِذِن الإِيمانُ حقيقةٌ مركبةٌ من أربعةِ أجزاءٍ، وهي:

• قولُ باطن، وقولُ ظاهر. • عملُ باطن، وعملُ ظاهر.

ويمكن توضيح ذلك؛ بالتَّفصيل التَّالي:

أُوَّلاً - • قولُ القلب:

هو معرفةُ القلب للحقّ، واعتقادهُ، وتصديقُهُ، وإقراره، وإيقانُه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسَّك به، ولم يتردَّد فيه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ إِنَّ لَهُم مَا الْمُتَّقُونَ ﴿ إِن لَهُم مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنًا بأَفْواهِهمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ (٣).

وَعَنْ أَنَّسِ بِنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ عَيْدُ قَالَ:

« يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَةٍ مِنْ خَيْرٍ. .

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ١١.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ أَبَالُ: حَدَّثَنَا قَتَادَة ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ عَلِيْكَ : « مِنْ إِيمَانً » مَكَانَ « مِنْ خَيْرٍ » (١٠).

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلِيهُ عِن الإِيمان في حديث جبريل عليه السَّلام:

« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَر خَيْرِهِ وَشَرَّهَ » ( ) .

وهذا التَصديقُ والإيمان؛ يجب أن يكون معه طاعةٌ لأوامر الله تعالىٰ ظاهرًا وباطنًا؛ فإنَّ لم يكن معه طاعة ومحبَّة وتعظيم وانقياد لله تعالىٰ؛ لم يكن ذلك إيمانًا عند أهل السُنَّة والجماعة البتَّة.

قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( فمجرد علم القلب بالحقّ إِن لم يقترن به عمل القلب بموجَب علمه ؟ مثل محبّة القلب له، واتّباع القلب له ؟ لم ينفع صاحبه ! بل أشدُّ النّاس عذابًا يوم القيامة : عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد كان النّبيُ عَلَيْهُ يقول :

و اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْس لاَ تَشْبُعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا »(").)(1).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في: (كتاب الإيمان) باب: وزيادة الإيمان ونقصانه ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في: (كتاب الإيمان) باب: ومعرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السَّاعة ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في: (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب: والتعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٥.

<sup>(</sup>٤) ومجموع الفتاوي د: ج١٠ ص ٢٧١.

#### • قولُ اللَّسان :

هو إقرارُهُ، والتزامُه. أي: النُّطقُ بالشَّهادتين، والإقرارُ بلوازمهما؛ التي لا نجاة للعبد إلاَّ بها؛ فمن لم يتكلم بالشَّهادتين مع القدرة عليها؛ فهو كافرٌ! ظاهرًا وباطنًا بالإجماع، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُولُوا آمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبُهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مَنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (`` ).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ آمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ ؛ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَآَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ ؛ فإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنْي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بحَقِّ الإِسْلاَم ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ » ( \* ) .

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦. (٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: « فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ».

ثانيًا- • عملُ القلب:

هو نيّة القلب، وإرادتُه، وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وإنقياده، والتزامه، وإقباله وإنقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكّله عليه - سبحانه - ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وإجلاله، وحُبّه، أي: الخضوع لله تعالى: ولأوامره والخوف والرّجاء والحبّ له، ولما جاء من عنده، والبّغض فيه - سبحانه - وإخلاص العمل له، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجُهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا لِأَحَدِ عِندَهُ مِن نَعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿ آَلَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجُهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿ آَلَ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

و الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةً مِنَ الإِيمَانِ ٥(١).

وقال ﷺ: ﴿ يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قُلْبَهُ ، (°).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

 <sup>(</sup>٢) سورة الليل، الآيات: ١٩ - ٢١.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: وشعب الإيمان ٥.

<sup>(</sup>٥) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب: والغيبة ، وصحَّحه الألباني.

### • عملُ اللُّسان والْجَوارح:

أي: فعلُ المأموراتِ والواجباتِ، وتركُ المنهيَّاتِ والمحرَّماتِ.

■ فعمل اللسان: ما لا يؤدّى إلا به؛ كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار؛ من التَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، والتَّكبير، والدُّعاء، والاستغفار، والدَّعوة إلى الله تعالى، وتعليم النَّاسِ الخيرَ، وغير ذلك من الأَعمالِ التي تؤدَّىٰ باللَّسان؛ فهذا كله من الإِيمان، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَوْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿ آَلَ اللَّهُ وَكُرًا كَثِيرًا ﴿ آَلَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَأُصِيلًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُكُ : «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللَّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَٰنِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ » ( \* ) . وقالَ عَلِيْكُ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ( ° ) .

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

 <sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ – ٤٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب: ٥ فضل التسبيح ، .

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في (كتاب فضائل القرآن ) باب: ٥ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٥ .

#### وعملُ الْجَوارح:

هو كلُّ عمل لا يؤدى إلاَّ بالجوارح الإنسان؛ مثلُ الصَّلاة، والقيام، والرُّكُوع، والسَّجود، والصِّيام، والصَّدقات، والمشي في مرضاة الله تعالىٰ؛ كنقل الخطا إلىٰ المساجد، والحجِّ، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والدَّعوة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وغيرِ ذلك من أعمال شُعب الإيمان، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْحَيْرَ لَعَلَّمُ مُ تَفْلِحُونَ ﴿ إِنَّ اللّهِ عَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللّهِ مِنْ جَرَجٍ مُلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مُلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاة وَآتُوا الزَّكَاة وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاة وَآتُوا الزَّكَاة وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمُولَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُوْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي اللَّهِ فَاللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْرَاةِ مِالَعْتُ بِعَلَيْهُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ اللَّهِ مِن اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الْمَعْرُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ النَّهُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْتَاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧ – ٧٨.

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآيتان: ١١١ – ١١٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَـمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِهِمْ سُجَّدًا وَقَيَامًا ﴿ إِنَّ عَلَا لَهُ إِنَّ عَذَابٌ مَ إِنَّا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابٌ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿ وَ } إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ وَ اللَّهِ مِنْ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿ إِنَّ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ إِنَّ لَهُ عَنْ اعْفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقَيَامَة وَيَخْلُدُ فيه مُهَانًا ﴿ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ فَيَ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ إِنَّ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّفْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿ إِنَّ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُن وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ إِنَّ ۗ أُولَٰكِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَفة بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقُّونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿ وَ كَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتُ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ ﴿ فَ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ عَيْكُ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلَّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ اللهُ فِي ظِلَّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌ نَشَا فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ،

<sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ - ٧٧.

وَرَجُلاَنِ تَحَابًا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقًا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »(١).

وقالَ عَلَيْ : ﴿ مَا مِنْ نَبِيّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي ؛ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ ؛ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ ؛ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل ، (' ') .

فهذه الخصالُ الثَّلاث:

( اعتقادُ القلب، إقرارُ اللِّسان، عملُ الجوارح).

اشتمل عليها مسمَّىٰ الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة:

فَمَن أَتَىٰ بجميعها ؛ فقد اكتَمَلَ إِيمَانُهُ ، والحمد الله .

ومَن أَتَىٰ باثنين دون الثَّالث ! لم يصح إيمانه ، والعياذُ بالله.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب: ٩ من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة ٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في ( كتاب الإيمان ) باب: «بيان كون النهى عن المنكر، من الإيمان وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .

## علاقة الإيمان بأعمال الجوارج عند أهل السنة والجماعة

فإِنَّ علاقةَ الإِيمانِ بأعمالِ الجوارِحِ، وأنَّه لا إِيمانَ لمن ترك الأَعمالَ المفروضة، أو ترك ما ينعقدُ عليه أصلُ المفروضة، أو ترك ما ينعقدُ عليه أصلُ الإيمان؛ من المسائل العظيمة الجليلةِ عند أَثمَّة أهل السُّنَّةِ والجماعة.

إِذ أَنَّ الإِيمانَ - عندهم - اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ ظاهرٌ وباطنٌ، وأَنَّ لَهُ أَصلٌ وفرعٌ؛ فأصلُهُ ما في القلب، وفروعه ما يظهر على الجوارح من الأعمال، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِيعْلَمَ اللَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لِأَتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَثِذِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِللَّهُ أَوْلُونَ بَافُورَاهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بَمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢).

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةً، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

( واذا قام بالقلب التَّصديق به ، والحبَّة له ؛ لزم ضرورة أن يتحرك البدن

<sup>(</sup>١) سورة البينة، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

بموجب ذلك من الأقوال الظّاهرة، والأعمال الظّاهرة؛ فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجَب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له – أيضًا – تأثير فيما في القلب؛ فكل منهما يؤثر في الاخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله والاصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشَّجرة التي يضرب بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَوَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كُلِمَةً طَيْبَةً أَصْلُها ثَابِتٌ وَفَوْعُها في السَّمَاءِ عَنَ فَوْتِي بَاللَّهُ الأَمْ اللَّهُ الأَمْ شَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ تَوَ كَيْفَ وَرَبَ اللَّهُ الأَمْ اللَّهُ الأَمْ اللَّهُ المَّمَاءِ عَنَ السَّمَاءِ عَنَ اللَّهُ الأَمْ اللَّهُ الأَمْ اللَّهُ المَّمَاءِ عَن السَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الأَمْ اللَّهُ المَّمَاءِ عَن السَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ المَّمَاءِ عَن اللَّهُ اللَّهُ المَّامَاءِ وَلَى الطَالِقُولِ المَالِقُولِ اللَّهُ المَّامِ والربح وعرق وروي قويت فروعها، وفروعها – أيضًا – إذا اغتذت بالمطر والربح وقرق وروي قويت فروعها، وفروعها – أيضًا – إذا اغتذت بالمطر والربح أثر ذلك في أصلها) (۱).

وقالَ رحمهُ اللهُ: (فإنَّ اعتقادَ القلبِ أصلٌ لقول اللَّسانِ، وأنَّ عملَ القلب أصلٌ لعمل الجوارح) (٢٠).

وجمّا يدلُّ على أنَّه لا بُدَّ مع اعتقادِ القلبِ من إقرار اللِّسان وعملِ الجوارح؛ وَصْفُ الله تعالىٰ للمؤمنين الصَّادقين في كثيرٍ من الآيات الكريمات؛ بصفات زائدة على التَّصديق؛ إذ وصفهم بالخصالِ الثَّلاثِ: اعتقادُ القلب، وإقرارُ اللَّسانِ، وعملُ الجوارح.

كما أطلق الله تعالى صفة المؤمنين الكاملين الصَّادقين حقًّا؛ على الذين

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ٥: ج٧، ص١٥٥.

<sup>(</sup>٢) ومجموع الفتاوي، : ج١٣، ص٢٣٤.

آمنوا بالله - جلّ وعلا - وصدّقوا رسُوله الأمين عَلَيْ ولم يشكّوا في ذلك الإيمان، ولم يَرتابوا؛ بل انقادوا لأمره - سبحانه - ثمّ عملوا بما آمنوا به مخلصينَ؛ من أصول الدّين وفروعه، وظاهره وباطنه، وظهرت آثارُ هذا الإيمانِ الصّادقِ في عقائدهم، وأقوالهم، وأعمالهم الظّاهرة والباطنة، وسلوكهم اليوميّة؛ وبهذه الأعمال الشّرعيّة حقّقوا الإيمان الكامل؛ فاستَحقُوا هذا الوصف من ربّهم جلّ في علاه.

فدلَّ كلُّ هذا الأُمور علىٰ أَنَّ الإِيمانَ الحقِّ الصَّادقِ يعمُّ هذه الخصالَ الثَّلاث؛ لأَنَّ الله تعالىٰ أدخلَ أعمالَهم في مسمَّىٰ الإِيمانِ في الآيات القرآنيَّةِ، وجعلها شرطًا في قبول إِيمانهم.

إِذَن ! فلا يكون المؤمنُ مؤمنًا حقًا صادقًا ؛ إِلاَّ بتلك الأعمالِ الصَّالحةِ ، كما قال الله - تبارك وتعالىٰ - في مُحْكَم التَّنزيل :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرُوا أُولُكِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبُهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ كَا اللَّهِ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ كَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّمُؤُمْنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبُهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

٢) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١٪ \*).

أنَّ المراد من العمل - في عقيدة أهلِ السُّنَّة والجماعة - عموم العمل الصَّالح الذي أمر به الشَّارع الحكيم، أي: جنسه لا أفراده؛ لأنَّ جنس العمل ركن من الإيمان، وشرط في صحته، وجزء منه، لا يقوم الإيمان إلاَّ به، وليس كل فرد من أفراد العمل ركنًا فيه.

ولاًن مسمّى الإيمان يشمل – أيضًا – كلُّ أوامر الشُّريعة الغراء من: الاعتقادات، وأعمال القلوب، وأقوال اللَّسان، وأعمال الجوارج، وإحلال الحلال، وتحريم الحرام، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ فيدخل في ذلك فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات على درجات متفاوتة تفوتًا كثيرًا، ومن هنا فإنَّ جانبًا من الأعمال الشُرعيَة؛ والمكروهات على درجات متفاوتة تفوتًا كثيرًا، ومن هنا فإنَّ جانبًا من الأعمال الشُرعيَة؛ ركن وشرط في صحة الإيمان، لا بُدُّ من تحقيقه، وجانبًا آخر يكون مكملاً للإيمان من حيث كماله وزيادته؛ فمن الممكن أن يجتمع – عند أهل السُّنة والجماعة – في الشُّخص الواحد الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للمقاب؛ لأنَّ المؤمن قد يترك بعض الأعمال المفروضة والصنًا لحة ويبقى في دائرة الإيمان، وإن كان لا يستحق الاسم الإيمان المطلق؛ فإن ترك العمل كله؛ زال عنه مطلق الإيمان؛ لأنَّه ترك جنس العمل الذي هو ركن الإيمان، وبتركه يسقط أصل الإيمان. إذن! فلا يوجد – عندهم – مَن يدُعي الإيمان!

وعلى هذا القول الحقّ؛ كان إجماع أثمتهم الأعلام - رحمهم الله - سلفًا وخلفًا من عهد الصّحابة - رضي الله عنهم - إلى يومنا هذا، وكان شعارهم: (لا إيمان إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالإيمان) وبهذا التفصيل تميزوا في عقيدتهم عن غيرهم - ممن خالفهم - من الفرّق المبتدعة.

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

<sup>( \* )</sup> تنبية مهم ا اعلم أخى المؤمن ! علمنا الله وإناك علم أثمَّة السُّلف الصَّالح :

# الأدلة من القرآن على أن الأعمال جزء من الإيمان

قالَ اللهُ – تباركَ وتعالىٰ – في مُحْكَم التَّنزيلِ:

﴿ هَلَ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبُّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ آيَاتِ رَبُّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١)(\*) مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١)(\*)

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨. (٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

<sup>(\*)</sup> قال إمام المفسّرين أبو جعفر الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة:

<sup>(</sup>وأمًّا قوله: ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ فإنَّه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرًا من عمل صالح يُصدِّق قِيلَهُ ويُحقَّقُه، من قبل طلوع الشمس من مغربها ... ولا ينفع من كان بالله وبرسله مُصدِّقاً ولفرائض الله مُضيِّعاً، غيرَ مكتسب بجوارحه لله طاعة ؟ إذا هي طلعت من مغربها، أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك . كما حدثني محمد بن الحسين، قال : حدثنا أحمد ابن المفضل، قال : حدثنا أسباط، عن السئدي : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانَهَا لَمْ تَكُنْ آمَنت مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَت في تصديقها خيرًا ؛ عملاً صالحًا ؛ فهؤلاء أهلُ القبلة، وإن كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرًا ؛ فعلمت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها، وإن عملت قبل الآية خيرًا ؛ فعلمت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها ، وإن عملت قبل الآية خيرًا ، قبل منها ) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّمَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (١) (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَكُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحَدُودِ اللَّهِ وَبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا وَرَبَّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمًا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ( ' ' ) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَعْرِبِ وَلَكِنَ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية: ١٠. (٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

<sup>(</sup>٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢. (٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>( \* )</sup> قال إمام المفسّرين أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

<sup>(</sup>وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِبُ ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعدُ ذِكْرُ العبد إِيّاه وثناؤه ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ يقول: ويرفعُ ذِكْرُ العبد ربّهُ إليه عملَه الصَّالح، وهو العملُ بطاعته، وآداءُ فرائضه والانتهاءُ إلى ما آمر به، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال آهلُ التّاويل).

وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ السَّبِيلِ وَالسَّائِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الْمُتَقُونَ ﴾ (١). اللهَينَ صَدَقُوا وَأُولُئِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْرَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَيْ وَرَاءَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَيْ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُكِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ذَلِكَ فَأُولُكِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَ اللَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ الْفَوْدَ وَسُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

 <sup>(</sup>٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الحافظ ابن بطّة - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية الكريمة في كتابه العظيم الإبانة الكبرى و ج٢، ص٧٧١: (فقد أَخبرَ الله تعالى في كتابه آيات كثيرة منه؛ أنَّ هذا الإيمان لا يكون إلا بالعمل وأداء الفرائض بالقلوب والجوارح، وبين ذلك رسولُ الله عَلى وشرَحه في سُنّته وأعلمه أمّته. وكان مما قال الله تعالى في كتابه؛ مما أعلمنا أنَّ الإيمان هو العمل، وأنَّ العمل من الإيمان، ما قاله في سوة البقرة: ... وذكر الآية ﴿٧٧١ ﴾ ثم قال رحمه الله: فانتظمت هذه الآية أرصاف الإيمان وشرائطه من القول والعمل والإخلاص. ولقد سال أبو ذر النبي عَلى عن الإيمان؛ فقرا عليه هذه الآية ).

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ التَّبَعُوهُم بِإِحْسَانِ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

وجعلَ الله - عزّ وجلّ - في كتابه العزيز؛ جميعَ الطّاعاتِ والأعمال الصّالحة من الإيمان، وذلك في كثير من الآيات الكريمات، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (٢).

لم يختلف المفسرون من السلف والخلف؛ بأنَّ الله - تبارك وتعالى - أرادَ من: ﴿ إِيمَانَكُمْ ﴾ في الآية الكريمة؛ صلاتَكم إلى بيت المقدس؛ فسمى الصلاة إيمانا، ولو لم تكن جزءًا من الإيمان وركنًا فيه؛ لما صعً تسميتها به؛ فهذا دليلٌ قاطعٌ وبينٌ على أنَّ العمل من الإيمان، وجزءٌ منه، وداخلٌ في مُسَمَّاهُ (٤)(٥).

وكذلك قرن الله - عزَّ وجلَّ - الإيمانَ مع العمل في كثيرٍ من الآيات
 في كتابه العزيزِ، وجعلَ جنَّةَ الخُلد؛ جزاءً لمن آمن وعمل صالحًا.

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

<sup>(</sup>٤) انظر: ٥ التمهيد ٥ للإمام ابن عبد البر؛ ج٩، ص٥٥٠.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - عن هذه الآية الكريمة في • كتاب الإيمان • ص١١: ( فأيّ شاهد يُلتمس علىٰ أنّ الصَّلاة من الإيمان بعد هذه الآية؟!).

قالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدُوْس نُزُلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابِ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْحَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ التي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُم ْتَعْمَلُونَ ﴾ (''). وقالَ تعالىٰ: ﴿ والعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ ﴿ وَالعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ ﴿ وَالعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ ﴿ وَالعَصْرِ ﴾ (''). اللّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحِاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ('').

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٢) (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مَّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَّهُ

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧. (٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup>٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠. (٤) سورة الزخرف، الآية: ٧٢.

 <sup>(</sup>٥) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.
 (٦) سورة البينة، الآية: ٥.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآية الكريمة: (وقد استدل كثير من الأئمة، كالزُّهري والشَّافعي بهذه الآية الكريمة على أنَّ الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُوْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيْمَةِ ﴾).

وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١).

وقالَ الله تعالىٰ: ﴿ فَوَرَّبُكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ آَلَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

والآياتُ الكريماتُ في إِثباتِ دخولِ العملِ في مُسَمَّىٰ الإيمان في القرآن الكريم؛ كثيرةٌ جدًّا ومعلومةٌ، وهذه الآياتُ البيَّناتُ والواضحات في كتاب الله العزيز الغفَّار؛ كلُها تُدخِلُ الأعمالَ الصَّالحة، وجميعَ الطَّاعاتِ والعباداتِ – الباطنة والظاهرة – في مُسَمَّىٰ الإيمان.

• إذن ! صفة المؤمن الصَّادق العاملين في القرآن العزيز :

هو الذي يعمل ما يوجب عليه الشّرعُ الحكيم؛ من أعمالِ القلب واللّسانِ والجوارح - باهرًا وباطنًا - وإذا فعلَ ذلك كلّه؛ كانَ جزاؤُه عندَ الله تعالى؛ أن يدخله جنّة النّعيم، ويُكفّر عنه سيئاته، ويُزحزحه عن النّار، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن 
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ
الْفُرُورِ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢ – ٩٣.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

# الأدلة من السنة على أن الأعمال جزء من الإيمان

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ؛ فَاسْتَقِمْ» (١).

وقال عَلَىٰ : « الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَن الطَّرِيق، وَالحَيَاءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمان » ( ` ` .

وقال عَلَيْهُ: « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبً عِبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ اللهُ وَمَنْ أَحَبً عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ اللهُ وَمَنْ يَكُرهُ أَنْ يُعُقَى في يَكُرهُ أَنْ يُعُقَى في الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكُرهُ أَنْ يُلْقَى في النَّار » (").

وقالَ عَلَى الله مِنْ وَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ هُ أَحَدُكُمْ! حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ هُ (1).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْ قال لوفد عبد القيس؛ عندما سألوهُ عن أُمور الدِّين؛ فأمَرهم:

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: ﴿ جامع أوصاف الإسلام ﴾ .

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها».

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في كتاب (الإيمان) باب: ومَن كره أن يعود في الكفره.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: ٥ حبُّ النبي ﷺ من الإيمان ٥٠.

« بالإِيمَان باللهِ وَحْدَهُ ، وقال : « أَتَدْرونَ مَا الإِيمانُ باللهِ وَحْدَه؟ » .

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:

و شَهادَةُ: أَنْ لا إِلهَ إِلاَ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكاةِ، وَصِيامُ رَمَضانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِن المغْنَم الخُمُسَ، (١١<٠٠).</li>

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسولَ الله عَلَى سُيْلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال: ورَسُولِهِ ، قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال:

و الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ ، قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: وحَجَّ مَبْرُورٌ ، (٢).

وقالَ عَلَى الله عَلَهُ : « مَنْ قَامَ رَمَضانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه ("").

وقدالَ عَكُ : ١ لاَ يُدوْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَىٰ يُحِبُ لأَخِيهِ مَا يُحِبُ لنَفْسه ٥(١).

فهذه مجموعة من الأحاديثِ النبويَّةِ الشَّريفةِ - وغيرها كثيرة جدًا يصعب حصرها - كلَها تدلُّ أنَّ الأعمالَ الصَّالحة داخلةٌ في مُسَمَّىٰ الإيمان، وأنَّه ركنٌ فيه، وجزءٌ منه.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: وأداء الخمس من الإيمان ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: ومن قال إن الإيمان هو العمل ٥.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: و تطوع قيام رمضان من الإيمان ٥.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: ومِن الإيمان أن يُحبُّ لأخيه ما يُحب لنفسه ٥.

<sup>( \* )</sup> قالَ الإمامُ ابن أبي العَّر الحنفي - رحمه الله تعالى - بعد ذكره لهذا الحديث:

<sup>(</sup> وأَيُّ دليلِ علىٰ أَنَّ الأَعمالُ داخلةٌ في مُستمَّىٰ الإيمان فوق هذا الدَّليل؟ فإنَّهُ فسر الإيمانَ بالأَعمال، ولم يذكُر التصديق؛ مع العلم بأنَّ هذه الأَعمال لا تُفيدُ مع الجحود) انظر: وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ( ٤٧٨ ) .

فهذه الأَدلَّةُ من كتاب الله - تبارك وتعالى - وسنَّة رسوله الأَمين عَلَيْ ؛ تُثْبِتُ أَنَّ الأَعمالَ جزءٌ من الإِيمان، وداخلةٌ في مُسمَّاهُ، وأَنَّها ركنٌ فيه ؛ لا ينفع ولا يقوم الإيمان إلاَّ بها.

ولا ينفع التَّصديقُ ولا القولُ ؛ بدون العمل وأَداءِ الفرائض، وأَنَّ الإيمان والعمل الصَّالح سيَّان وقرينان ؛ لا ينفك أَحدهما عن الآخر ، ولا يصح أَحدهما إلاَّ بالآخر ؛ لأَنَّه لا يمكن قيام الإيمان بالقلب من غير تصديق البدن ذلك بالأَعمال الصَّالحة ؛ فلا إيمان إلاَّ بعمل ، ولا عمل إلاً بإيمان .

ولم يثبت في الكتاب والسُّنَّة؛ المدحُ والثَّناء على إيمان خال من عمل أَلبيَّة! إلاَّ على إيمان معه العمل الباطن والظَّاهر.

هذا هو قولُ أهل السنّنة والجماعة في الإيمان، وهو القولُ الحقُّ المبينُ، المنقولُ من سيّد المرسلين عَلَيْكُ ، والذي أجمع عليه سلفُ هذه الأُمَّةِ المباركةِ وأَتُمَّتها من الصّحابةِ الكرامِ، والتّابعينِ العظام، ومَن تَبِعَهم – من أَتُمَّة الهدى ومصابيح الدّجى – بإخلاص وصدق وإحسان، إلى يومنا هذا؛ بل الهدى ومصابيح الدّجى – بإخلاص والفارقة بينهم وبين مَن خالفهم من أصبح هذا القولُ الحقُ من مميّزاتهم، والفارقة بينهم وبين مَن خالفهم من أهل البدع والأهواء، في كلّ مكان وزمان.

فتعريف أهلَ السُّنَّة للإيمان؛ حكم شرعي موافق للمنقول والمعقول.

أَمًّا غيرهم من الفِرَقِ؛ فقد مالوا عن الحق المبين وجانبَوا الصَّواب؛ لأَنَّ السَّنَّة والجماعة آمنوا بنصوص الكتاب والسُّنَّة جميعًا، وعوَّلوا عليها، ولم يضطربوا، وبها كانوا أوسط الفِرَق، وأَسْعَدَها بالمذهب الحقُّ.

وقد قالَ الله – تبارك وتعالىٰ – في كتابه العزيز عنهم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمُوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاثِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُقرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣).

• واعلم! أخي القارئ اللَّبيب؛ علَّمنا الله وإيَّاكَ طريقَ الحقِّ:

أَنَّ المؤمنَ الصَّادقَ مع رَبِّه - جلَّ في عُلاه - والطَّالِبَ للحقِّ، العامل لآخرته؛ يبتعدُ عن شبهات الشَّيطان وخُطُواته وخَطَراته، ويتَّبع السُّنَة والجماعة، ولا يقول قولاً، أو يعملُ عملاً؛ إلاَّ وله فيه إمامٌ من أَثمَة أهل السُّنَة والجماعة المعتبرين، وإلاَّ أتىٰ ببدعة ضلالة.

ويَكفيه - أيضًا - دليلٌ واحدٌ صحيحٌ من الشَّرع، لكي يعتقد ذلك الأمر ويعمل به؛ فكيف وقد تضافرت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ الصَّريحةُ من كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّة رسُولِهِ الأمين عَظِّ علىٰ صحَّة ما أجمع عليه سلفُ هذه الأُمّة المعصومة، في مُسَمَّىٰ الإيمان، وفي جميع ما يعتقدون ويعملون به، والحمد لله رَبِّ العالمين.

(٢) سورة النور، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية : ٢٨٥ .

#### خلاصةُ القولِ في مسمَّىٰ الإيمان:

- هو ما وَقَرَ في القلب، وصدَّقه اللِّسانُ والعمل، وبَدَت ثمراتهُ واضحةً في الجوارح؛ بالامتثال لأوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه.
- لأن اسم الإيمان يقع على من يُصدق بجميع ما جاء به الرَّسولُ عَلَيْكَ
   عن رَبِّه جلَّ وعلا اعتقادًا، وإقرارًا، وعملاً.
- وأنَّ العباد لا يتساوون في الإيمان ولا يتماثلون فيه أبدًا؛ لذا مَن صدَّق بقلبه، وأقرَّ بلسانه، ولم يعمل بجوارحه الطَّاعات التي أمر بها؛ لم يَستحق اسمَ الإيمان.
- ومَن أقرَّ بلسانه، وعمل بجوارحه، ولم يصدِّق ذلك قلبُهُ؛ لم
   يَستحق اسمَ الإيمان .
- وإذا تجرّد التّصديق عن العمل؛ فلا فائدة فيه، ولو كان التّصديق المجرّدُ عن العملِ ينفعُ أحدًا لنَفَع إبليسَ نعوذ بالله منه ومن خُطُواته فقد كان يعرف أنَّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ لا شريك له، وأنَّ مصيرَه لا شكَّ إليه سبحانه؛ ولكنَّه عندما جاءه الأمر الإلهي: ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبليسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرينَ ﴾ (١).

لم يَشْفع له عِلْمه بالوحدانيَّة والربوبيَّة؛ لأنَّه لم يُحقِّق توحيدَ العبادة الذي من أجله خلق الله تعالى الخلق.

إذن ! فالتَّصديقُ الحِرَّدُ عن العملِ لا قيمةَ لهُ عندَ رَبِّ العالمين ! والإيمانُ لم يأت في القرآن والسُّنَّة مجرَّدًا عن العمل؛ بلَ عُطف عليه

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

العملُ الصَّالحُ في كثيرٍ من الآيات والأحاديث - كما بيَّنا ذلك - وهذا من باب عطف الخاص على العام، أو البعض على الكلَّ؛ وذلك للتَّأكيد على الأعمال الصَّالحة؛ كما في قوله تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَن كَانَ عَدُواً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوًّ لِلْكَافِرِين ﴾ (١). فإنَّ جبريل وميكال داخلان في الملائكة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْن مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا عَلِيظًا ﴾ (٢٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلُوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدَّينَ حُنَفَاءَ وَيُوتُوا الرَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيْمَةِ ﴾ ( ' ' ).

فالصِّلاة والزَّكاة؛ من العبادة.

فالإيمانُ والعملُ متلازمان؛ لا ينفكُ أَحدُهما عن الآخر أَلبَتَة!
 والعملُ صورةُ الإيمان، وجوهَرُهُ، وجز من مسمَّاهُ، وهو من لوازمه ومقتضياته، ونصفُ معناه.

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

 <sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

<sup>(</sup> ٤ ) سورة البينة، الآية : ٥ .

# إجماع أئمة أهل السنة والجماعة على تعريف الإيمان

وقد أجمع أثمّة أهلِ السُنّة والجماعة على أنَّ الإيمان: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، والإيمان بلا عمل لا يصحُّ ولا يجزي، وحكى الإجماع عنهم جمعٌ غفير من أثمَّة التَّابِعين، ومَن تبعهم بإحسان؛ فهذه بعضها:

- قالَ الإمامُ سُفيان بن عُيينة، رحمةُ اللهُ تعالىٰ: (الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ؛ أَخذناهُ ثَمَن قبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنّه لا يكون قولٌ إلا بعَمَل) (().
  - وقالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( كان الإِجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ من بَعدِهِم ثَمَن أَدركناهُم: أَنَّ الإِيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَة، ولا يجزئ واحدٌ من الثَّلاثةِ إِلاَّ بالآخر)(٢).

• وقالَ الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أَجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأَنمَّةِ المسلمين، وأَئمَّةِ السَّلف، وأَعَمَّةِ السَّلف، وفُقهاءِ الأَمصار على أَنَّ السَّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ الله عَلَّةُ ... – فذكر أُمورًا منها –: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعة، ويَنقصُ بالمعصية) (٢٠).

<sup>(</sup>١) • كتاب الشريعة • الآجري: ج٢، ص٢٠٤ (٢٣٩).

<sup>(</sup>٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنة واللالكائي: جو، ص٥٦٦ (١٥٩٣).

<sup>(</sup>٣) اطبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي: ج١، ص١٣٠.

• وقالَ الإمامُ الآجري، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - أَنَّ الذي عليه علماء المسلمين:

أَنَّ الإيمانَ واجبٌ على جميع الخلق؛ وهو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

ثمَّ اعلموا: أَنَّه لا تَجْزَى المعرفةُ بالقلب والتَّصْديق؛ إِلاَّ أَن يكون معه الإيمان باللِّسان نُطقًا، ولا تجزى معرفة بالقلب، ونطق باللِّسان؛ حتى يكون عَمَلٌ بالجوارح؛ فإذا كَمُلَتْ فيه هذه الخصال الثَّلاثُ: كان مؤمنًا؛ دَلَّ على ذلك القرآنُ والسُّنَّة، وقولُ علماء المسلمين)(().

• وقالَ الإمامُ البغوي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون فمن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ علىٰ أَنَّ الأَعمالَ من الإيمان... وقالوا: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدة ) (١٠٠٠ ...

• وقالَ الإمامُ ابن بطة ، رحمهُ الله تعالىٰ :

(اعلموا - رحمكم الله - أنَّ الله - جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه - فرض على القلب المعرفة به، والتَّصديق له، ولرسوله، ولكتبه، وبكلٌ ما جاءت به السَّنَّة، وعلى الألسن النَّطق بذلك، والإقرار به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح العَمَل بكل ما أمر به، وفَرضَه من الأعمال ؛ لا تجزئ واحد من هذه إلاً بصاحبها، ولا يكون العبدُ مؤمنًا إلاً بأن يجمعها

<sup>(</sup>١) ه كتاب الشريعة ، الإمام الآجري: ج٢، ص٢١١. دار الوطن.

<sup>(</sup>٢) وشرح السُنّة و الإمام البغوي: ج١، ص٢٨.

كلّها ؛ حتى يكون مؤمنًا بقلبه مقرًا بلسانه ، عاملاً مجتهدًا بجوارحه ؛ ثمّ لا يكون أيضًا مع ذلك مؤمنًا ؛ حتى يكون موافقًا للسُنّة في كلّ ما يقوله ويعمله ؛ متبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله ، وبكلٌ ما شرَحْتُه لكم ؛ نزل به القرآن ، ومضت به السُنّة ، وأجمع عليه علماء الأُمّة )(١).

• وقال الإمامُ الحافظ سفيان الثوري، رحمهُ اللهُ تعالى:

(كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنيَّة، ولا يستقيم قول وعمل ونيَّة إلا بموافقة السُنَّة)(١).

• وقالَ الإمامُ أبو عُبيد القاسم بن سلاًّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فلم يجعلِ الله للإيمان حقيقةً؛ إلا بالعمل على هذه الشروط، والذي يزعمه أنّه بالقول خاصة يجعله مؤمنًا حقًا، وإن لم يكن هناك عمل فهو معاند لكتاب الله والسّنة ... أفلست تراه - تبارك وتعالى - قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل؟ ولم يرض منهم بالإقرار دون العمل؟ حتى جعل أحدَهما من الآخر؛ فأيُ شيء يُتّبعُ بعد كتاب الله وسنتة رسوله على ومنهاج السّلف بعده؛ الذين هم موضعُ القدوة والإمامة؟! فالأمرُ الذي عليه السّنة عندنا ما نصّ عليه علماؤنا؛ ثما والإمامة؟! فالأمرُ الذي عليه السّنة والقول والعمل جميعًا)(٢).

<sup>(</sup>١) «الإبانة الكبرى» ابن يطة: ج٢، ص٧٦٠. باب: (بيان الإيمان وفرضه وأنَّه تصديق بالقبل وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات لا يكون العبد مؤمنًا إلاَّ بهذه الثلاث). (٢) والإبانة الكبرى، ابن بطة: ج١، ص٣٣٣.

<sup>(</sup>٣) و كتاب الإيمان ، أبو عبيد القاسم بن سلام: ص ١٨ - ١٩. تحقيق الألباني.

• وقالَ الحافظُ أبو عمر بن عبد البر، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( أَجْمَعَ أَهْلُ الِفقهِ وَالْحَديثِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمانَ قُولٌ وَعَمَل، وَلا عَمَلَ إِلاَّ بنيَّة، والإِيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمعْصيةِ، والطَّاعَاتُ كُلُها عِنْدَهُمْ إِيمانٌ ) (١٠).

• وقال الإمام ابن أبي العزّ الحنفي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( ذهبَ مالك والشافعيُ وأحمدُ والأوزاعيُ وإسحاقُ بن راهويه، وسَائِرُ أَهلِ الحديث، وأَهلُ الظاهر، وسَائِرُ أَهلِ الحديث، وأَهلُ المدينة – رحمهم الله تعالىٰ – وأَهلُ الظاهر، وجماعةٌ من المتكلمين: إلى أَنَّهُ تَصْدِيقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللَّسان، وعَمَلٌ بالأَركان) ( ٢ × \* ).

<sup>(</sup>١) والتمهيد، الإمام ابن عبد البر: ج٩، ص٢٣٨.

<sup>(</sup>٢) وشرح العقيدة الطحاوية ٥: ص ٢٥٩.

<sup>(\*)</sup> وقد نقل الإجماع عن السلف الصالح على هذا التعريف للإيمان: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام – رحمه الله – وذكر جملة من أسماء التابعين الذين يقولون: بأنَّ الإيمان قول وعمل، وروى ذلك الإمام ابن بطة – رحمه الله – في كتابه: «الإبانة الكبرى» ج٢، ص٤ ٨ – ٢٦٨. وكذلك نقل الإمام البخاري – رحمه الله – عن أكثر من ألف من العلماء! وروى ذلك الإمام اللالكائي في كتابه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة ع ج١، ونظر – أيضًا – فصل: «قول أثمة أهل السنّة والجماعة في مسمى الإيمان » من هذا الكتاب: ص ( ١٥١) .

### زيادة الإيمان ونقصانه

ومن عقيدة أهل السُّنَة والجماعة التي أجمعوا عليها: أنَّ الإِيمان يزيدُ بالطَّاعات؛ حتى يكون كحبَّة بالطَّاعات؛ حتى يكون كالجبل، وينقص بالمعاصي؛ حتى يكون كحبَّة الخردل، وأهله يتفاضلون فيه؛ فقد وردت أدلَّة كثيرة من الآيات والأحاديث، وعن أثمَّة السَّلف الصَّالح من الصَّحابة الكرام، والتَّابعين العظام على أنَّ الإيمان؛ درجات وشُعبٌ، يزيدُ وينقص.

- الإيمانُ يزيدُ: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللّسان؛ كالطّاعات والعبادات؛ من التَّصديق والمعرفة والعلم والعمل، والتَّقوى والإخلاص والصَّلاح، وذكرُ الله تعالى، والحبّ والبُغضِ في الله، والخوف والخشية والرَّجاءِ من الله، والتوكُّلِ على الله، والمسارعة إلى رضوان الله تعالى، والقيام بجميع شعائر الدِّين من الأعمال الصَّالحة.
- وينقصُ الإيمانُ: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللّسان؛ كفعل المُحرَّمات والمعاصي والمُنْكَرات، واقترافِ المنهيَّات، وارتكابِ الذُّنوب والكَبائرِ، والأقوالِ والأفعال الرَّديئة، وبغفلة القلبِ ونسيانِ ذكرِ الله تعالىٰ، وبالحسد، والكبر، والعُجبِ، والرِّياءِ والسُّمْعَةِ، والجهلِ، والإعراضِ، والتعلُّقِ بالدُّنيا، وقُرَناءِ السوء، وجميع الأعمال الطالحة.

وأَنَّ أَهل الإيمان يتفاضلون في إيمانهم على حَسَب عِلْمِهم وعَمَلِهم؛ فبعضهُم أكملُ إيمانًا من بعض.

# الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان

قالَ اللهُ - تباركَ وتعالىٰ - في كتابهِ العزيزِ:

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٢)(\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ لَهُ اللَّهُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَنَّونَ حَقَّا يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ لَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرَيمٌ ﴾ (٢) (٠٠).

<sup>(</sup>١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٢) سورة التوية، الآية: ١٢٤.

٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

<sup>( \* )</sup> قالَ الإمامُ لبن كثير – رحمه الله تعالىٰ – في و تفسيره ، عن هذه الآية الكريمة : ( وهذه الآية من أكبر الدُّلائل علىٰ أنَّ الإيمان يزيد وينقص؛ كما هو مذهب أكثر السُّلف والحلف من أثمَّة العلماء؛ بل قد حكىٰ غيرُ واحد الإجماعَ علىٰ ذلك ) .

<sup>( \* \* )</sup> قال الإمامُ ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في و تفسيره ، عن هذه الآية الكريمة :

<sup>(</sup> وقد استدلُ البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها؛ على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهبُ جمهورِ الأُمّة؛ بل قد حكى الإجماع على ذلك غيرُ واحد من الأئمّة؛ كالشّافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد، كما بَينًا ذلك مستقصيًا في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمئة).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (`` .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتُدُواْ هُدِّي ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدِّى ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَـمًّا رَأَىٰ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (°).

وقالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدَّى وَآتَاهُمْ تَقُو اهُمْ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ فَسَيَكُفْيِكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧).

وقد استدَّل أَثمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ بهذه الآياتِ الكريماتِ وغيرها من كتاب الله تعالى على زيادة الإيمان ونقصانه.

<sup>(</sup>١) سورة الفتح، الآية: ٤.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

<sup>(</sup>٣) سورة مريم، الآية: ٧٦.

<sup>(</sup>٤) سورة الكهف، الآية: ١٣.

<sup>( ° )</sup> سورة الأحزاب، الآية : ٢٢ . -

<sup>(</sup>٦) سورة محمد، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٧) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

قالَ الإمامُ التَّابِعيُّ الجليلُ؛ الحسنُ البصري - رحمهُ اللهُ - عن قول
 الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وتَسْلِيمًا ﴾:

( وما زادهم البلاءُ؛ إِلاَّ إِيمانًا بالرَّب، وتسليمًا للقضاء)(١).

• وقالَ الإِمامُ ابن بطة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اعلموا - رحمكم الله - أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - تفضَّل بالإيمان على من سبقت له الرَّحْمَةُ في كتابه، ومَن أحبَّ أن يُسْعِده؛ ثمَّ جعل المؤمنين في الإيمان متفاضِلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ ثمَّ جعله فيهم يزيد ويقوى بالمعرفة والطَّاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية.

وبهذا نزل الكتاب، وبه مضت السُّنَة، وعليه أجمع العقلاء من أَنمَة الأُمَّةِ، ولا ينكر ذلك، ولا يخالفه إلاَّ مرجئ خبيثٌ؛ قد مرض قلبه، وزاغ بَصَرُهُ، وتلاعبتْ به إخوانه من الشَّياطين؛ فهو من الذين قال الله - عزَّ وجلَّ - فيهم:

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢) (٢).

<sup>(</sup>١) رواه اللالكائي في: وشرح أصول أهل السُنَّة والجماعة ،: ج٥، ص١٠٢٣ ( ١٧٣١).

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٢.

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: والإبانة الكبرى ابن بطة: ج٢ ، ص٨٣٢.

#### الأدلة من السنة على زيادة الإيمان

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« أَوْتُقُ عُرَىٰ الإِيمَانِ: الْمُوالاَةُ في الله والْمُعَاداةُ في الله، والحُبُّ في الله، والحُبُّ في الله،

وقالَ ﷺ : « مَنْ أَحَبُّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنْعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإيمَانَ » ( ` ' ) .

وقالَ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّمُو مِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ﴿ ( \* )( \* ) .

وقالَ عَلَيْهُ: « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلْبه؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان ( ' ' ' ( \* \* ' ).

وقالَ ﷺ : «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وزْنُ

<sup>(</sup>١) انظر تخريج هذا الحديث في: ٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ للآلباني، رقم: (٩٩٨).

<sup>(</sup>٢) ، (٣) و رواهما أبو داود ، في (كتاب السُّنَّة) باب: والدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، وصحَّعهما الألباني في وصحيح سنن أبي داود ، ج٣، ص٨٨.

<sup>(</sup>٤) « رواه مسلم » في (كتاب الإيمان) باب: «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان ».

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن عبد البر، رحمه الله: (ومعلوم أنَّه لا يكون هذا أكمل؛ حتى يكون غيرهُ أنقص) انظر: «التمهيد» ج٢، ص٥٢٠.

<sup>( \* \* )</sup> قال الإمام ابن مندة رحمه الله: ( ذكر خبر يدل على أنَّ الإيمان قولٌ باللَّسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالأركان؛ يزيد وينقص) انظر: ٥ التمهيد ١ ج٢، ص ٢٤٠٠.

بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، ( ' ) ( \* ).

وقى ال عَلَى اللهُ يَوْنِي الزَّانِي حِينَ يَوْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ؛ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، (٢)(\*\*).

فهذه الأدلَّةُ من القرآن والسُّنَّة؛ تُبَيِّنُ أَنَّ الإيمانَ يزيد وينقص، وأنَّ أهلَهُ متفاضلون؛ منهم السَّابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظَّالمُ لنفسه، ومنهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم؛ ليسوا عند الله سواء؛ بل فضَّل الله – تبارك وتعالى – بعضهم على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، والله – عزَّ وجلَّ – يؤتي من فضله مَن يشاء من عباده، ولا معقب لحكمه تعالى، وهو العليمُ الحكيم، العزيز الكريم.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإعان) باب: وزيادة الإعان ونقصانه ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب: (ما يحذر من الحدود: الزنا وشرب الخمر ٥.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الحافظ أبو بكر الأثرم، رحمه الله: قيل لأبي عبد الله - أي الإمام أحمد -: فنقول الإيمان يزيد وينقص، فقال: (حديث النبيّ تك يدل على ذلك قوله: وأخرجوا من في قلبه كذا. . أخرجوا من كان في قلبه و فهذا يدل على ذلك) رواه الخلال في والسنّة و (١٠٤١).

<sup>( \*\* )</sup> قال الإمام النووي، رحمه الله: (إجماع أهل الحق على أنَّ الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر – غير الشرك – لا يُكفَرون بذلك؛ هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر؛ كانوا في المشيئة؛ فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنَّة أولا، وإن شاء عذبهم ثمَّ أدخلهم الجنَّة) انظر: وشرح مسلم للنووي، ج٢، ص٢٦ ( كتاب الإيمان) باب: «نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية ٥. قلت للتنبيه!: كلام الإمام النووي في صاحب المعصية التي لا يستحل معصيته؛ أمَّا المستحل للمعصية فيكفَّر! بإجماع أهل العلم.

واعلم أَنَّ هذه الأَدلَّةَ دالَّةٌ على زيادة الإيمانِ تصريحًا، وعلى نقصانه لزومًا، أو تضمنًا؛ إِذ ما من شيء يزيدُ إِلاَّ وهو ينقص؛ لأَنَّ زيادةَ الإيمان تستلزم نَقْصَهُ، وهما متلازمان؛ وما جازَ عليه الزيادةُ، جازَ عليه النقصانُ – كما قال أَثمَةُ السَّلف – والذي تعتريه الزيادةُ لا بُدَّ وأَنَّه ينقص؛ بدليل كونه قبل الزيادة أنقص منه بعدَها، وإِلاَّ فلا معنى للزيادة؛ إِذ لا يمكن أَن يُتَصَوَّرَ شيءٌ قابلٌ للزيادة غيرَ قابل للنقصان.

فلهذا؛ أَنَّ كلَّ دليلٍ دلَّ على زيادة الإِيمان في القرآن والسُّنَّة؛ فهو يدُّلُ على نقصانه، وكذا العكسُ؛ فما دلَّ على نقصان الإِيمانِ؛ فهو يدُّلُ على زيادته.

- قالَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل رحمه الله عندما سُئِلَ عن كيفية نقصانِ الإيمان: ( فكما يزيد ؛ كذا ينقص)(١).
  - وقالَ الإمامُ البيهقي، رحمه الله تعالىٰ:
  - (وأَنَّ الإِيمانَ؛ يزيد وينقص، وإذا قَبلَ الزيادة قَبلَ النقص)(١).
- وقد قيل للإمام التَّابعيَّ الجليل سفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالىٰ الإيمان يزيد وينقص؟ قال:

(أليس تَقْرَؤن القرآن؟ ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ في غير موضع). قيل: ينقص؟ قال: (ليسَ شَيءٌ يزيد إلا وهو ينقص) (٣٠.

<sup>(</sup>١) رواه الخلال في (السُّنَّة ١: (١٠٣٠).

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: • الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، باب: « القول في الإيمان . .

<sup>(</sup>٣) رواه الآجري في: ٥ كتاب الشريعة ٥: ج٢، ص٥٠٥ ( ٢٤٠ ). دار الوطن.

• وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان - في الإيمان - عن الصّحابة، ولم يعرف فيه مُخالِفٌ من الصّحابة) (١٠).

وقد استشعر هذه الحقيقة الصَّحابيُّ الجليل؛ حنظلة الأُسيَّدي - رضي الله عنه - وهو أَحد كُتَّابِ الوحي؛ حقيقة تقلب الإيمان بين الزيادة والنقص تبعا لتغير أحوال العبد؛ فقال لأبي بكر، رضي الله عنه:

نَافَقَ حَنْظَلَةً! قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ! قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ عَنْدٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَيْ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْى عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكُمْ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا! فَانْطَلَقْتُ أَنَا، وَأَبُو بَكُمْ ؛ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولَ الله ! فَقَالَ رَسُولُ الله عَلَىٰ رَسُولِ الله عَلَىٰ رَسُولَ الله عَلَىٰ رَسُولَ الله عَلَىٰ مَسُولَ الله عَلَىٰ الله عَلَىٰ عَنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ الله عَلَىٰ : « وَمَا ذَاكَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْحَبَّة حَتَّى كَأَنَّا رَأْى عَيْنٍ ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالْحَبَّة حَتَّى كَأَنَّا رَأْى عَيْنٍ ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالْا وَلاَ ذَ وَالطَيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا! فَقَالَ رَسُولُ الله عَلَىٰ :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذُّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ! سَاعَةً وَسَاعَةً ، ثَلاَثَ مَرَّات ) (٢).

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي ، ج٧، ص٢٢٤.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب وفضل دوام الذكر والفكر في أُمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدني .

وكذلك لو تَأملنا تصوير النَّبِيِّ الكريم عَلِيَّ لإيمان بعض العُصاةِ حال تلبسهم بالمعاصي والذُّنوب والكبائر، في قوله عَلِيَّةً:

« لاَيَنْنِي الزَّانِي حِينَ يَنْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ ، وَلاَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَلاَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَيَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (١).

إِنَّ نَفِي النَّبِيُّ عَلَيْكُ الإِيمان عن هؤلاء العُصاة والمذنبين - وإِن قال العلماء إِنَّ المقصود هو نفي كمال الإِيمان لا نفي أصله - يُصور لنا المستوى الذي يهبط إليه الإيمان حال مقارفة المعصية؛ حتى لم يعد فاعلاً في نهي صاحبه عن المنكر، ودفعه إلى الصَّلاح؛ فكانَه لا وجود له.

فكل ذلك يدُّلنا على حقيقة الإيمان، وأنَّه ليس أمرًا ثابتًا لا ينقص؛ بل هو قابل للزيادة؛ إذا أتى صاحبه بأسباب الزيادة! وقابل للنقص - بل وذهابه بالكلية - إذا أتى صاحبه بنواقضه ومبطلاته.

وقد أوضح الله تعالى في كتابه العزيز، وفي سُنَة نبيه الأمين عَلَيْه حقيقة زيادة الإيمان ونقصانه في كثير من آياته والأحاديث النبويَّة؛ حتى يُبيِّنَ – سبحانه – للمسلمين أنَّ الإيمان هبة ربَّانية، وعطية رحمانية؛ يجب المحافظة عليها! باجتناب ما ينقصها من اقتراف المعاصي والذنوب والكبائر، أو يذهبها صاحبه بفعل شيءٍ من الشَّرك، أو الكفر.

وبناءً على زيادة الإيمان ونقصانه يتكامل المؤمنون في إيمانهم،
 ويتفاضلون بقدر طاعتهم لله وموافقتهم لشرعه جلَّ وعلا، قالَ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب: ٥ ما يحذر من الحدود: الزنا وشرب الخمر ٥.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبيِّينَ عَلَىٰ بَعْضِ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّنَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ 
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) (٠).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الحديد، الآية: ١٠.

<sup>(</sup>٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

<sup>(\*)</sup> فائدة: اعلم - آخي المسلم - كما أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وهو مراتب وشعب؛ كذلك الكفر يزيد، وهو دركات بعضها أظلمُ من بعض، والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكُفر يزيد، وهو دركات بعضها أظلمُ من بعض، والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكُورَاةَ وَالإَنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِكُم وَلَيزِيدَنَ كَثِيرًا منهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكُ مِن رَبِكَ طُفْيَانًا وكُفْرًا فَلا تأسَ عَلَى الْقُومِ الْكَافرينَ ﴾ [الماتدة: كثيرًا منهُم مَّا أُنزِلَ إلَيْكَ من رئيكَ طُفْيَانًا وكُفْرًا فَلا تأسَ عَلَى الْقُومِ الْكَافرينَ ﴾ [الماتدة: ٨٦]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبِّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّوْيًا الَّتِي أَرِيْنَاكَ إِلاَّ فَتَنقُ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُفْيَانًا كَبِيرًا ﴾ وفيرها من الآيات.

# أسباب زيادة الإيمان

فَإِنَّ أَعظمَ نعمةً ، وأكرم مِنَةً يَمُنُّ بها الله - تبارك وتعالى - على عبده المسلم في الدُّنيا ؛ هي نعمة الإيمان الصَّادق بعد نعمة الإسلام .

فالإيمانُ الصَّادقُ؛ ليس كلمةً تُقال وتُطلق! ولا أُمنيةً يتمناها العبد! فتحقق له ذلك متى شاء! كما أَنَّ الإيمانَ الصَّادقِ؛ ليسَ شيئًا حسيًّا يمكن أن يمتلكه الإنسان بماله، أو قوته وسلطانه، أو أنَّه شيء يمكن لاَحدٍ أَن يتصنعه، أو يتزين به! كما يحلو له، كلا ثمَّ كلا!

فإنَّ الإيمان الصَّادق اعتقادٌ في قلب العبد الصَّادق؛ ينتج عن علم ويقين ومشاهدة، ثمَّ يتبع ذلك قولٌ وعملٌ صادقٌ، وتضحية ومجاهدة دائمٌ؛ يظهرف في سلوكه اليوميَّة؛ فالعلم الذي هو منبع الإيمان، وأصله في القلب؛ هو معرفة الله تعالى، ومعرفة دينه الحقُ، ومعرفة رسُوله الأمين عَلَيْكُ وهذه الأُمور الثلاثة: هي الأُصولُ العظيمة للإسلام. والمشاهدة؛ هي مشاهدة لآيات الله الشَّرعيَّة، والكونيَّة العظيمة.

إذن! فالإيمانُ يزيد بالفقه في الدِّين والعمل به، وينقص بالجهل بالدِّين؛ الذي يتبعه فعل المعاصى والدُّنوب والكبائر.

وإِنَّ الإِيمانَ الصَّادقِ؛ هو الدَّافعُ الحقيقي لكلِّ التَّصرفاتِ والأَفعالِ السُّلوكيَّة للإِنسانِ على اختلافِ أَشكلها وأَلوانها، والَّتي تُحَدِّدُ طبيعته، وتشكل نمط حياتهِ في الدُّنيا، وتكتب في الآخرةِ النَّهاية سعادتِهِ أَو شقائهِ.

<sup>(</sup>١) انظر: (أسباب ضعفُ الإيمان: أعراضه وعلاجه) من هذا الكتاب: ص٥٨٥.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾ (١٠).

وقالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِذَا غرست شجرة الحبَّةِ في القلبِ، وسقيت بماءِ الإخلاصِ ومتابعةِ الحبيب؛ أَثمرت أَنواع الثمار، وآتت أُكلُها كلَّ حين بإذن ربَّها أَصلُها ثابتٌ في قرارِ القلب، وفرعها متصلٌ بسدرة المنتهيٰ)(٢).

فمن هنا يجبُ على كلِّ مسلم صادق؛ يرجو لقاءَ رَبِّهِ - جلَّ في عُلاه - أَن يجتهدَ قبل كلَّ شيء، ويسعى جادًا ليتعلمَ فقه الإيمان الصَّادق؛ الذي علَّمة رَسُولُ اللهِ عَلَى أصحابه الكرام - رضي الله عنهم - وعليه معرفة سبل زيادته ونموه، وأسباب نقصه وضعفه في القلب؛ كما كان حالُ أَثمَّة السَّلف الصَّالح مع الإيمان الصَّادة .

ثمَّ اعلم! أَنَّ الله - تبارك وتعالى - جعلَ للإيمانِ مواردَ عديدة تُعَزِّرُهُ وتقوِّيه، وأسبابًا كثيرة تزيده وتُنمِّيه؛ إذا عملَ بها العبدُ، وسعىٰ في طلبها جادًا، وفعلها تقرُبًا إلى الله تعالىٰ بصدق وإخلاص؛ قويَ يقينهُ، وزادَ إيمانه، وارتفعَت درجاتهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فالإيمانُ سببٌ لكلٌ خيرٍ عاجلاً كان، أم آجلاً.

ومن أهم أسباب زيادة الإيمان التي وردت في الكتاب والسُّنَّةِ، هي:

<sup>(</sup>١) سورة الشورئ، الآية: ٥٢.

<sup>(</sup>٢) ومدارج السالكين ، ج٢، ص٩ (فصل منزلة الحبَّة).

1 - طلبُ العلمِ النَّافعِ المستمدِّ من كتاب الله تعالى، ومن سُنَّةِ رسوله عَلَيْ والالتزام به ؛ لأنَّه يورث العمل، والخشية من الله تعالى ؛ فمن وُفَّقَ فيهما، فقد وُفِّقَ لاَعظم أسبابِ زيادةِ الإيمان، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١).

٢- التقرّب إلى الله تعالى، والتعرّف إليه سبحانه، وذلك بتحقيق التوحيد الخالص، ومعرفة أسماء الله الحسنى؛ الواردة في الكتاب والسنّة، والحرص على فهم معانيها الصّحيحة، والتعبّد بها، قال الله تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَّهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (١).

٣- الاقتداءُ بالنّبِيّ الآمين عَلَيْ واتّباعُ هديه الكريم، والتسنّنُ بسئنّته الشّريفة عَلَيْ في كلّ كبيرة وصغيرة من أمور الدّين والدّنيا والآخرة، والعضّ عليها بالنّواجذ! ثمّ تأمّلُ في سيرته العطرة عَلَيْ ، ومعرفة ما كان عليه عَلَيْ من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة، والخصال الكريمة، والشّمائل الحميدة؛ لأنّ من درسَ سيرته وصفاته عَلَيْ وتأمّل فيه؛ فقد استكثر لنفسه من الخير، وازداد يقينه وحبّه للنّبِي عَلَيْ وأورثته هذه الحبّة متابعة هديه، والعَمَل بسنّته عَلَيْ ، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمُ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٢) سورة محمد 🌣، الآية: ٩.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٤ - تركُ جميع المحرَّمات والكبائر والمعاصي والمنهيَّات؛ تقرُّبًا إلى الله تعالىٰ، وابتغاء وجههِ الكريم سبحانه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبُهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيُّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (١).

الإقبالُ على الدَّار الآخرة والسَّمْيُ لها بالقول والعمل، والزَّهْدُ في الدُّنيا، والإعراضُ عن زخرفها الذي يُشْفِلُ عن طاعة الله تعالى، ولكنَّ الزُهدَ يجب يكون بضوابط الشَّرع، ومن غير إفراط ولا تفريط!

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرَّثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثُ الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ﴾ (١٠).

٣- قراءةُ القرآن وتدبُّره؛ بخشوع وإخلاص: من أهم أسباب زيادة الإيمان؛ فالقرآنُ هو كتاب هداية، وآياته البيناتُ هي النُّور الذي يستضيء به العبد طريقه إلى الحق والصراط المستقيم، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقُومُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢).

فقراءة القرآن هو من أنفع دواعي زيادة الإيمان؛ فالذي يقرأه بتدبّر وتأمّل؛ يجد فيه من العلوم والمعارف ما يُقوّي به إيمانه، ويزيده وينمّيه، ولا تكون هذه الزّيادة إلا مع فهم القرآن وتطبيقه، والعمل به.

<sup>(</sup>١) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الشُّوري، الآية: ٢٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

٧- الإكثارُ من ذكرِ الله تعالىٰ؛ من الدُّعاء، والتَّضرَّع، والاستغفارِ، والتَّسبيح، والتَّهليلِ، والتَّفكُرِ في عظمةِ الله تعالىٰ، والتَّامُلِ في عظيم مخلوقاته العجيبة، وبديع صنعته الفريدة؛ لأنَّ ذكر الله - جلَّ في عُلاه من أهم أسبابِ صلةِ العبدِ بربِّهِ وخالقه ورازقه - عزَّ وجلَّ - فهو يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيه، ويقويه، ويُأصِلُهُ في أعماقهِ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنَ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (٢).

٨- الإكثارُ من النَّوافلِ بعد الفرائضِ؛ لأَنَّها تُقرِّبُ العبدَ إلى رَبِّه - عزَّ وجلَّ - والإِتقانُ في إِداءِ جميع العبادات؛ كما جاءت في السُّنَّةِ النبويَّةِ، والاجتهادُ في تحقيق مقام الإحسان في العبادة، قالَ النَّبِئَ عَلَيْكُمْ:

«إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ! وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِي بِشَىْءٍ أَحَبَ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ عِبْدِي بِشَىء أَحبَهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ بِالنَّوَافِلِ حَتَىٰ أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُسْمِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي اللّهِ يَسْمِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي اللّهُ عَظِينَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْء أَنَا فَاعِلُهُ لَلْعُطِينَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْء أَنَا فَاعِلُهُ لَرَدُدِي عَنْ نَفْس الْمُؤْمِن ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (").

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب (التواضع).

٩ - الاتّصافُ بصفاتِ المؤمنين الصّادقين، وأولياءِ الله الصّالحين المتقين العاملينَ بسنّنةِ نبيته عَلَيْهُ، واتّباعُ آثارهم وخُطُواتهم، والأخذُ بهديهم، والتّأسّي بهم، ومجالستُهم؛ لأنّ ذلك يُذكّرُ العبد بربّه تعالى، ويُرقَّق قلبَهُ، ويزيده إيمانًا وإحسانًا وصدقًا، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِي يُرِيدُ وَنِنَةَ الْمُعَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفُلْنَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِحِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجدَ رِيحًا خَيثَةً (٢).

وقالَ عَلَيْهُ : « الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ (' ' ' .
وقالَ عَلَيْهُ : « لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا ، وَلاَ يَاْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقَى " (° ' ) .

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب واستحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٥.

<sup>(</sup>٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب دما جاء في أخذ المال ٥. وصححه الألباني.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه أبو داود في (كتاب الآداب) باب ومن يؤمر اضن يجالس ، وصححه الألباني.

• 1 - الإحسان إلى عباد الله المؤمنين؛ من بر الوالدين، والأقارب، والجيران، وعامّة المسلمين، وإحسان إليهم، وإكرامهم، والرفق معهم، وتعامل معهم بحسن الحُلق، والآدب النّبويّ؛ من وقوف إلى جانبهم، وقضاء حوائجهم، ورفع نوائبهم، وحضور أفراحهم وأتراحهم، ورحمة الفقراء والمساكين والأيتام وأبناء السبيل، قال الله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْعَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالْعَارِ الْعَبْلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةَ » (٢).

وقالَ عَلَىٰ الله رَفِيق يُحِبُ الرِّفْق، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرَّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الرَّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ »(").

وقالَ عَلَىٰ اللهُ الرَّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ اللَّا زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ » (1) .

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب ولا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ه.

<sup>(</sup>٣)، (٤) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب ، فضل الرفق .

1 1- تأمُّلُ محاسن الإسلام، ومقاصد أحكامه الحكيمة؛ حيث إِنَّ الدِّينَ الإسلامي كلَّه محاسن، ومقاصده يحقق مصالح العباد في الدَّارين؛ فعقائده أصحُّ العقائِد وأنفعها وأصدقها من بين عقائد الأديان والمِلَل، وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلُها وأنصفها للعباد والبلاد، وأخلاقه أجملُ الأخلاق وأكملُها إطلاقًا؛ فالمتأمِّلُ في هذه كلِّها! يُزيِّنُ الله تعالىٰ الإيمان في قلبه ويحبِّبه إليه، فيجد حلاوتَهُ ولذته؛ فيزداد إيمانًا وإحسانًا.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَقًا لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَبِعْ أَهُواءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمْ وَاحِدَةً وَلَا تَتَبِعْ أَهُواءَهُمْ عَمَا أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِمْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنبَئِكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ مُو الْحَمِيدِ ﴾ (٢٠). هُوَ الْحَرِيدِ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْدَعَقُ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (1). الشَّاهِدِينَ ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٣. ﴿ ٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

<sup>(</sup>٣) سورة سبأ، الآية: ٦. ﴿ ٤) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

١٦ - تأمُّلُ آياتِ اللهِ تعالى ومخلوقاته العظيمة؛ فالمتأمَّل في عظمة خلق السَّموات والأرض، وما فيهنَّ من المخلوقات المتنوَّعة والعجيبة، وفي نفس الإنسان، وما هو عليه من الصَّفات الدقيقة؛ من الأسباب القويَّة لزيادة الإيمان ونموه، وترسيخِه في أعماق القلب، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَنْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١).

١٣ - الدعوةُ إلى الله تعالى، ونشرُ رسالةِ الإسلام الخالدةِ من التَّوحيد الخالص، والأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، والتَّواصى بالحقُ والصَّبر.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِيْ مِنَ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِيْ مِنَ

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيَّةً : «فَوَاللهَ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمَ (<sup>7)</sup>.

البُعدُ عن شُعَبِ الكُفر، وعن كبائرِ الذُّنوب، والنَّفاق، والفُسوق، والظُّلم، والعصيان، وجميع ما ينافي الإيمان؛ لأنَّ هذه المعاصيَ سببُ مباشرٌ لضعفِ الإيمان في قلب العبد، والبُعدَ عنها؛ من أهمَ أسبابِ زيادة الإيمان وقوته.

إلىٰ غير ذلك من الأسباب التي تؤدِّي إلىٰ زيادة الإيمان .

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

<sup>(</sup>٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب ا فضل من أسلم على يديه رجل ١.

#### • واعلم! - أخي المسلم - علَّمنا الله تعالى وإيَّاك طريق النَّجاة :

أنَّ عدمَ تعاهدِ هذه الأسبابِ الشَّرعيَّة في زيادة الإيمان في القلب، وإهمالُ تقويتها، وتركَ العناية بها؛ هو من أهم أسبابِ نقصانِ الإيمان في قلب العبد! لأنَّ المحافظة على هذه الأسباب المهمة؛ سببٌ مباشرٌ في زيادةِ الإيمان وتقويته في قلب عبد المؤمن الصَّادق؛ فكذلك تكون إهمالُها سببٌ في نقصه وضعفه!

#### وصفوةُ القولِ :

كُلَّما زاد العبدُ المؤمن من الطَّاعاتِ والأَعمال الصَّالحة؛ ازداد إِيمانًا ويقينًا، ثمَّ منزلةً ورفعةً عند الله عزَّ وجلَّ، قال تعالىٰ في مُحْكَم التَّنزيل:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَنَ النَّبِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١٠). النَّبِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَعَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ اللَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّفْوِ مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِللَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ إِلاّ عَلَىٰ لِلرَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ إِلاّ عَلَىٰ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَلِكَ فَأُولَانَهُمْ وَاللَّهِمْ وَاللَّهِمْ وَاللَّهِمْ وَاللَّهُمْ فَالْمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٩٦.

 <sup>(</sup> ۲ ) سورة المؤمنون، الآيات: ۱ - ۹ .

# أسباب نقص الإيمان

فاعلم! أخي المسلم: كما علمنا أنَّ للإيمانِ أسبابًا تزيده وتُنمَّيه وتقويه؛ فكذلك للإيمانِ أسبابٌ تنقصه وتضعفه؛ فعلى المسلمِ الصَّادق أن يكون حريصًا لمعرفة هذه الأسباب؛ حتى يحذر من الوقوعِ فيها، ويسعى لبُعد منها، ومن أهم هذه الأسباب:

- الجهل بأمور الدِّين، وعلوم الشَّرع، والتَّقليدُ الأعمىٰ.
  - الابتداعُ في الدِّين، وتركُ سُنَّةِ الرَّسول عَلْكَ .
  - اتِّباعُ الأَئمَّة المضلِّين! من أهل الأهواء والبدع.
    - اتبًاعُ الهوى، والشهواتِ والشُّبُهات.
- الاقتداء بأصحاب الجحيم؛ من أهل الكُفر، والشَّرك، والمعاصي.
  - عدمُ إظهار البراءة والعداء؛ لأعداء الإسلام.
  - عدمُ الشُّعور بالمسؤولية تُجَاهَ الأُمَّةِ الإسلاميَّة والمسلمين.
  - طاعة النَّفس الأمَّارَة بالسُّوءِ، وعدمُ مجاهدتها بطُرق الشَّرعيَّة.
    - مجالس اللُّهو، وقُرْنَاءُ السُّوء.
    - الغفلة، والإعراض، والتَّناسي؛ عن ذكر الله تعالىٰ.
    - فعل المعاصي والآثام، وارتكابُ الذُّنوبِ، والاستهانةُ بها.
- الرُّكون إلى الدُّنيا الرَّائلةِ الفانية، وفتنتها، وزينتها، وملهياتِها،

ومغرياتِها، والانهماكُ في طلبها، والجري خلف مَلَذَّاتِها؛ من الأَموال والأَولاد، والنِّساء، وحبِّ الشَّهوات.

- الإعراض عن الدَّار الآخرةِ، وعدم السَّعي في طلبها، والعملِ لها.
- التَّقصير في الطَّاعات والقُرُبات، والتَّكاسل عنها، وعدمُ استغلال الأَوقات في الأَعمال الصَّالِحة.
- اتباع خُطوات الشَّيطان؛ لأنَّ الشَّيطان نعوذ بالله منه عدو لدود للمؤمنين، يتربَّص بهم الدوائر، وهمه الأكبرُ وغايتُهُ الأَسْمَىٰ هي؛ إفساد عقائد المؤمنين، وزعزعه الإيمان الصَّادق في قلوبهم وتخريبُها، أو إضعافها.

قالَ الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَبِعُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَاْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَ اللَّهَ يُزَكِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

واعلم أخي الموحد: أنَّ العبد إذا لم يلجا إلى الله تعالى من شرَّ الشَّيطان وخُطُواته وخَطَراته وشبُّهاته ووساوسه؛ بالدعوات النَّافعة والأَذكار المباركة؛ يضعف إيمانه وينقُص؛ بل وربما يذهب كليًّا بحسب استجابته للشَّيطان، ويبتعد عن ولاية الله جلَّ وعلا، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِضْ لَهُ شَيْطَانَا فَهُو لَهُ قَرِينٌ ﴿ وَ الرَّحْمَنِ نُقَيِضْ لَهُ شَيْطَانَا فَهُو لَهُ قَرِينٌ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيُعُمْ لَيَصُدُونَ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهُتَدُونَ ﴿ وَيَعْنَلُ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِنْسَ الْقَرِينُ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ٢١. (٢) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ – ٣٨.

إلى غير ذلك من الأسباب التي تُنْقِصُ إِيمان العبد، وتُبْعِدُهُ عن ربّه
 جلّ في عُلاه – ويُعرّضُه إلى مقته وشديد عذابه، والعياذ بالله.

فائدة جليلة: فقد ذكر الله تعالى في «سورة مريم»: صفات الذين ينالون رضاة والجنّة بعد ما أورد سيرة بعض الأنبياء والرّسل – عليهم الصّلاة والسّلام – وما قاموا به من الإيمان واليقين، والتّوحيد الخالص، والصّد قي مع الله، وإقامة حدود الله، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره، والمدعوة إلى الله تعالى، وتعليم النّاس الخير، وتحذيرهم من الشّرك بالله والكفر، وما قدّموا من الصبر، والبلاء الحسن، والأعمال الصاّلحة، وما تعرّضوا له من أجل دعوتهم من الأذى الكثير؛ فقال عنهم:

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرَّ يَّةٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (١٠).

ثمَّ ذكر الله تعالى بعد ذلك؛ صفات الذين أضاعوا الدين واتَّبعوا الشَّهوات، وعمِلوا بنواقص الإيمان ونواقضه، بأنَّ مصيرهم الحُسران يوم القيامة، ثمَّ وعد — سبحانه — مَن تابَ منهم بصدق وإخلاص، وعملَ صالحًا؛ برضوانه والجنَّة؛ فقال الله — تبارك وتعالىٰ — عنهم:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَبَعُوا الشَّهُوَاتِ فَصَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿ إِلاَ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ فَسَوَفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿ إِلاَ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ يَ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الرَّحْمَنُ الْمَالِمَ وَعَدَ الرَّحْمَنُ اللَّهِ وَعَدَ الرَّحْمَنُ اللَّهُ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ إِنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُولُولُ الللْمُلْكُولُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُ اللْمُلْكُولُ الللْمُلْمُ اللْمُلْكُلُولُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُلْكُولُ اللَّهُ اللْمُلْكُولُ الللْمُ اللْمُلْ

<sup>(</sup>١) سورة مريم، الآية: ٥٨.

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿ لَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٢) (٠٠). وعن الصَّحابيُ الجليلِ حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أنَّه قال: (كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخافَةَ أَنْ يُدْركنِي ...) (٣).

١٠ - ٩٠ - ١٢ . (٢) سورة مريم، الآيات: ٩٥ - ٦٢ .

 <sup>(</sup>٣) رواه مسلم في: ٥ كتاب الإمارة ٤ باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور
 الفتن، وفي كل حال، وتحريج الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة).

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: (لما ذكر تعالى حزب السّعداء وهم الآنبياء - عليهم السّلام - ومَن تبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدّين فرائض الله التاركين لزواجره، ذكر أنّه ﴿ خَلَف من بعدهم خَلْف ﴾ أي قُرون أخر وأضاعُوا الصّلاة ﴾ وإذا أضاعُوها؛ فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأنّها عماد الدّين وقوامُه وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدّنيا وملادها، ورضوا بالحياة الدّنيا واطمأنوا بها؛ فهؤلاء سيَلْقُون غيًّا، أي: خسارًا يوم القيامة ... وقوله: ﴿ إِلا مَن تَاب وآمَن وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: إلا مَن رجع عن ترك الصلوات واتّباع الشّهوات؛ فإنّ الله يَقبل توبعه، ويحمد عاقبته، ويجعله من ورثة جنّة النعيم).

<sup>( \*\* )</sup> قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: (قد أفلح من زكى نفسه و فكثر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال ... وقد خاب في طاعته وفلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح من دساها، يعني من دسس الله نفسه فأخملها، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى وحتى ركب المعاصى، وترك طاعة الله ).

### ناحياا بحث

قد تبيَّن لنا مما مضى؛ أَنَّ حقيقةَ الإيمانِ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ هي: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعات؛ لأَنَّ الطَّاعات كلَّها من الإيمان، وينقصُ بالمعاصى والمنكرات.

والإيمانُ: مركّبٌ من شُعبٍ وأجزاءٍ ومراتب ودرجاتٍ؛ تتفاوتُ وتتفاضل؛ بعضُها أفضل وأعلىٰ من بعض، وأجر بعضها أعظم من بعض.

وأهلُ الإيمانِ: متفاوتون ومتفاضلون فيه على حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم، وبما قام لديهم من علم، ويقين، وصدق، وإخلاص، وإحسان، وحبّ، وخضوع لله تعالى، وبما يقومون به من الأعمال الصّالحة؛ من البرّ والتّقوى، وامتثال أوامر الله - تبارك وتعالى - واجتناب نواهيه.

فَمَن أَتَىٰ منهم بأكثر عدد من شُعب الإيمان؛ كان أفضلَ من المُقِلِّ عند الله تعالىٰ، ومَن أتىٰ بأعلىٰ الشُّعب؛ كان أفضلَ من الذي أتىٰ بأدنىٰ الشُّعب، والله يرفع مَن يشاء درجات، وهو العليم الخبير.

فأفضلُهم وأعلاهم درجةً عند الله تبارك وتعالىٰ؛ هم أولو العزم من الرُّسُل - صلوات الله وسلامه عليهم - وأدناهم المخلصون من أهل التَّوحيد الحالص، وبين ذلك مراتب ودرجات؛ لا يُحيط علمًا بها إلاَّ الله تعالىٰ، وبحسب ذلك يتسابقون في دخول جنَّة الحُلد، وعلىٰ حسبه تُرفع

درجاتهم، وبقدره تكون مقاعدهم عند الله تعالى، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وعلى كلّ شيء قدير، قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١).

وقد ذكرَ الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز؛ آيات كثيرة فيها من شُعَب الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية؛ الظَّاهرة والباطنة، وشهدَ الله تعالى بالإيمان؛ لمن أتَى بهذه الشُّعب بالصِّدق وبإخلاص وبالتَّقوى، وسمَّاهم المؤمنين المتَّقين الصَّادقين؛ ثمَّ بشُّرهم بالصَّلاح والفلاح والنجاح والفوز والنَّجاة والجنَّة، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَيْسَ الْبِرُ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي حُبِهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولْئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

<sup>(</sup>٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَعَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ لَكُ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْرَكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْرَكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَا فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ذَلِكَ فَأُولُؤِنَ هُو وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ الْعَادُونَ هُو مَا مَلَكَ هُمُ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَلْكَ وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَ اللَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مُ الْعَادُونَ هُو مَا مَلَكَ اللَّهُ مُ الْوَارِثُونَ فَي وَاللَّذِينَ هُمْ الْمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ مُنْ الْوَارِثُونَ فَى اللَّهُ وَاللَّهُ مُ الْعَادُونَ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا الْمُولُونَ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا الْوَارِثُونَ الْمُؤْونَ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا الْعُولُونَ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَكُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى مَلْولُونَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَالَالَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ الْعَلَالُونَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَولَ الللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّالِ الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّوْلِولَ الللَّهُ اللَّهُ اللَّولَالِ الللللَّهُ اللْعُلِولُ اللَّهُ اللَّهُ

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ آلَ الْمُصَلِينَ ﴿ آلَ اللَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ صَلَاتِهِمْ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ آلَ إِلاّ الْمُصَلِينَ ﴿ آلَ اللَّهِمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ وَالِّمُونَ ﴿ آلَ لَا لَيْنَ فِي أَمُوالِهِمْ حَقِّ مَعْلُومٌ ﴿ آلَ لِلسَّائِلِ صَلَاتِهِمْ وَالَّذِينَ هُم مِنْ وَالْدِينِ ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِنْ وَالْمَحْرُومِ ﴿ وَ الَّذِينَ يُصَدِقُونَ بِيَوْمِ الدِينِ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُم مِنْ عَذَابَ رَبِهِمْ غَيْرُ مَا مُلُونٍ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابَ رَبِهِمْ عَيْرُ مَا مُلُونٍ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْمُونِ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُمْ الْمَعْدُونَ ﴿ آلَ وَالَّهِمْ عَيْرُ مَالْمُونَ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُمْ الْمَعَدُونَ وَالَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ آلَ فَيَنِ الْبَعْمَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَلِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَا اللَّهِمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ آلَ فَي الْمَعْدُ وَالَّهُمْ وَاللَّهِمْ وَاللَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ آلَ فَي فَيْنِ الْبَعْمَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَاكِمُ وَاللَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ آلَ فَي فَاللَّهِمْ وَاللَّهُ اللَّهِمْ مُلْوَمِينَ عَلَى اللَّهِمْ وَعَهُ لِهُمْ رَاعُونَ ﴿ آلَ وَالَّذِينَ هُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا مَلَكَتْ أَيْمُونَ وَلَا لَهُ مَا مَلَكَتْ أَيْمُونَ وَالَّهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ الْمُونَ وَلَا اللَّهُ مُ وَاللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا مَلَّكُ وَالَّهُ وَلَا مَلَّكُونَ اللَّهُ وَلَا مَلْكَتْ أَيْمُونَ وَلَا لَكُونَ اللَّهُ وَلَوْلُولُ وَالْمُونَ وَلَالَونَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَا مُولَى مَلْ اللَّهُ مُولًا مَلْكُولًا وَاللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ مُولًا مُولًا مَلَّالِهُ مُولِولًا الللَّهُ وَلَا مُولِيلًا عَلَى مَلْ الللَّهُ وَلِيلَا لَا الللَّهُ وَلَا مُولًا اللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا لَا الللَّهُ وَلَا لَا اللَّهُ وَلَا لَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا لَا لَا اللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّالِيلُولُ اللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا لَا الللَّهُ وَلَا اللللَّهُ وَاللّذِيلِ اللللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا اللللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللّ

وقالَ تعالىٰ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

 <sup>(</sup>١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

 <sup>(</sup>٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٣٤.

السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَشيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدُوسِ نُزُلاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فِيهَا لا يَنْغُونَ عَنْهَا حِولاً ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« الإيمَانُ بِضْعٌ وَمَبْعُونَ – أَو بِضْعٌ وَمَبِتُونَ ('') – شُعْبَةً ؛ فَأَفْضَلُهَا ('') قُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » ('°) (\*) .

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ - ١٠٨.

<sup>(</sup>٣) الراجح عن أهل العلم: ٩ بضعٌ وسبعُون ٥.

<sup>(</sup>٤) جاء في بعض الروايات: وأَعْلاَهَا، أَو أَرْفَعُهَا ٤.

<sup>(</sup> ٥ ) بهذا اللفظ رواه مسلم في: وكتاب الإيمان ، باب: (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ). ورواه البخاري في: وكتاب الإيمان ، باب: (أمور الإيمان) بلفظ: والإيمان بيضعٌ وسيتُونَ شُعبَةً، وَالْحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمان ، ورواه أمور الإيمان ) بلفظ: والإيمان أبيضعٌ وسيتُونَ شُعبةً، والرجاء ). ورواه الترمذي في: وكتاب أبو داود في: وكتاب السئنة ، باب: (في ردّ الإرجاء ). ورواه الترمذي في: وكتاب الإيمان ، باب: (ذكر الإيمان ، باب: (ذكر شعب الإيمان ). وكلهم رووه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

<sup>( \* )</sup> و بضع ٥ : ( في العدد - بكسر الباء وقد يفتح - ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل : ما بين الواحد إلى العشرة ) . انظر : والنهابة ٥ : ج ١ ، ص١٣٣٠ .

<sup>«</sup> الشُّعبةُ» بضم الشين: هي القطعة، والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي: إنَّ الإيمان ذو خصال متعددة. انظر: وفتح البارى، لابن حجر؛ ج١، ص٧٢. دار السلام.

فالآياتُ والأحاديثُ في شعب الإيمان في كتاب الله تعالى، وفي سُنَةِ نبيّهِ الأمين عَلَيْ كثيرةٌ جدًا؛ يصعبُ حصرها والإحاطة بها – وخصوصًا في هذا الكتاب – فإنَّ جميع ما ثبت عن النّبِيِّ عَلَيْ من الأوامر والنّواهي، وما جاءت به الشّريعة الغراء؛ تُعدُّ من شعب الإيمان، من أعلاها: لا إله إلا الله، إلى أدناها: إماطة الأذى عن الطريق – كما حدَّدها النّبِيُ عَلَيْ – الله، إلى أدناها: إماطة الأذى عن الطريق – كما حدَّدها النّبِيُ عَلَيْ وجميع هذه الشّعب من الإيمان؛ سواءً كانت من الأعمال القوليّة، أو العمليّة؛ الظّاهرة، أو الباطنة.

قالَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني، رحمه الله تعالىٰ:

(إِنَّ هَذِهِ الشُّعَبِ تَتَفَرَعُ عن: أَعمالِ القلبِ، وأَعمالِ اللِّسان، وأَعمالِ اللِّسان، وأَعمالَ اللِّسان، وأَعمالَ البدن)(١).

وقالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(ولَمَّا كان الإِيمان أصلاً له شُعبٌ متعددة، وكلّ شُعبة منها تُسمىٰ إيمانًا؛ فالصَّلاة من الإيمان، وكذلك الزَّكاة والحج والصِّيام، والأَعمالُ الباطنة؛ كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه؛ حتىٰ تنتهي هذه الشُعب إلىٰ إماطة الأَذىٰ عن الطريق، فإنَّهُ شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب؛ منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأَذىٰ عن الطريق، وبينهما شُعبٌ متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يلحق بشُعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشُعبة إماطة الأَذىٰ، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشُعبة إلى المناهدة الم

<sup>(</sup>١) ﴿ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج١، ص ٧٣.

<sup>(</sup> ٢ ) « الصلاة وحكم تركها » فصل: ( في الحكم بين الفريقين ) .

وقد صَنَفَ العلماءُ - رحمهم الله تعالى - في « شعب الإيمان » مصنفات عديدة وعظيمة ، واجتهدوا في ذكر جميع هذه الشعب وتحديدها ، والإحاطة بها ؛ بأدلتها من الكتاب والسُنَة .

ومن المفيد أن أنقُلَ هنا أبواب أحد هذه المصنفات؛ لكي يتسنَّىٰ لنا الاطلاع على هذه الكُتب العظيمة، وجهود مؤلفيها - من العلماء - في تحديد هذه الشَّعب.

ومن هذه الكُتب الجليلة العظيمة الفريدة من نوعها؛ كتاب:

« الجامع لشُّعب الإيمان».

للحافظ الكبير أبي بكر البيهقي - رحمه الله تعالى - حيث إِنَّه وُفَقَ في تبويب أبواب كتابه، وترتيب شعب الإيمان فيه.

وقد رتبَ هذه الشُّعب في سبعة وسبعين بابًا؛ فاستدل على أقواله في كلِّ بابٍ؛ بالآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة.

وأصبح كتابه هذا موسوعة حديثية ، وثروة عظيمة في الأحاديث ؛ جمعت روايات وألفاظًا عديدة لأحاديث شعب الإيمان ؛ إضافة إلى فوائد عديدة في فنون شتى ، وعلوم أخرى ، وجاء فيه – أيضًا – روايات وآثار كثيرة في الرَّقائق ، والزُّهد ، والتَّربية ، وتزكية النَّفس ، والسُّلوك .

وقد قسَّمَ الحافظ البيهقي - رحمه الله تعالى - شُعبَ الإيمان في كتابهِ الكبير إلى سبع وسبعين شعبة، وسوف أنقلها مع بعض الاختصار والتَّصرف اليسير، وهذه الشُّعب هي:

- ١ الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.
- ٢- الإيمان برُسُل الله صلوات الله عليهم.
  - ٣- الإيمان بالملائكة.
- ٤- الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزَّلة قبله.
- ٥- الإيمان بأنَّ القدرَ خيرَه وشرَه من الله عزَّ وجلَّ.
  - ٦- الإيمان باليوم الآخر.
  - ٧- الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت.
- ٨- الإيمان بحشر النَّاس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف.
- ٩- الإيمان بأنَّ دار المؤمنين ومأواهم الجنَّة، ودار الكافرين ومأواهم النَّار.
  - ١٠ الإيمان بوجوب محبَّة الله عزَّ وجلَّ .
  - ١١ الإيمان بوجوب الخوف من الله عزَّ وجلُّ .
  - ١٢ الإيمان بوجوب الرَّجاء من الله عزَّ وجلَّ .
  - ١٣ الإيمان بوجوب التوكل على الله عزَّ وجلَّ.
    - ٤ ١ الإيمان بوجوب محبَّة النَّبِيِّ عَلِيُّكَ .
    - ٥١ الإيمان بوجوب تعظيم النَّبِيِّ عَيْكُ .
- 17 شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النَّار أحبَّ إليه من الكُفر.
  - ١٧ طلب العلم.

١٨- نشر العلم.

١٩ حفظ حدوده وأحكامه، وحفظ حدوده وأحكامه، وعلم حلاله وحرامه، وتبجيل أهله وحفاظه.

٢٠ - الطهارات.

٢١ - الصلوات الخمس.

٢٢ - الزَّكاة .

٢٣ - الصيّام.

٢٤ - الاعتكاف.

٢٥ - الحج.

٢٦- الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلُّ.

٢٧ – المرابطة في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

٢٨ - الثبات للعدو، وترك الفرار من الزحف.

٢٩ - الحُمسُ من المُفْنَم إِلَىٰ الإِمام وعُمَّاله علىٰ الفناثم.

٣٠– العتق بوجه التَّقرب إِلَىٰ الله عزُّ وجلَّ .

٣١ - الكفَّارات الواجبات بالجنايات.

٣٢- الإيفاء بالعقود.

٣٣ - تعديد نعم الله - عزَّ وجلَّ - وما يجب من شكرها.

٣٤ - حفظ اللَّسان عمًّا لا يحتاج إليه.

٣٥- الأمانات وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها.

٣٦ تحريم قتل النفوس والجنايات عليها.

٣٧ - تحريم الفروج وما يجب بها من التعفف.

٣٨- قبض اليد عن الأموال المحرَّمة.

٣٩ - وجوب التورُّع؛ في المطاعم، والمشارب، والاجتناب عمًّا لا يحل منها.

- · ٤ الملابس والزِّي والأواني وما يكره منها.
- ١٤ تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة.
- ٤٢ الاقتصاد في النفقة، وتحريم أكل المال بالباطل.
  - ٤٣ ترك الغل والحسد، ونحوها.
- ٤٤ تحريم أعراض النَّاس، وما يجب من ترك الوقوع فيها.
  - ٥٠ ـ إخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ وترك الرِّياء .
    - ٤٦ السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيَّعة.
      - ٤٧ ـ معالجة كلّ ذنب بالتوبة.
        - ٤٨ الأَضاحي والقرابين.
          - ٤٩ ـ طاعة أولى الأمر.
      - . ٥- التَّمسُك بما عليه الجماعة.
      - ١ ٥- الحكم بين النَّاس بالعدل.

٢٥- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٥٣- التعاون على البرّ والتقوي.

٤٥- الحياء.

٥٥ - برُّ الوالدين.

٥٦ صلة الرحم.

٥٧ - حُسن الحُلق.

٥٨ - الإحسان إلى الماليك.

٩ ٥- حقُّ السَّادة إلى الماليك.

٦٠ حقوق الأولاد والأهل.

٦١ - مقاربةُ أهلِ الدِّين ومودتهم، وإفشاء السُّلام بينهم، والمصافحة

لهم.

٦٢ - رد السلام.

٦٣ - عيادة المريض.

٢٤- الصَّلاةُ على من مات من أهل القبلة.

٥٥- تشميت العاطس.

٦٦- مباعدة الكُفَّار والمفسدين، والغلظ عليهم، والبراء منهم.

٦٧ - إكرام الجار.

٦٨ - إكرامُ الضيف.

٦٩ - الستر على أصحاب القروف.

• ٧- الصبر على المصائب، وعمَّا تنزع النفس إليه لذة وشهوة.

٧١ – الزُّهد وقِصرُ الأَمل.

٧٢ - الغيرة وترك المذاء.

٧٣- الإعراض عن اللَّغو.

٧٤ - الجود والسَّخاء.

٧٥- رَحْمة الصغير، وتوقير الكبير.

٧٦- إصلاحُ ذات البين.

٧٧- أَن يُحِبُّ الرَّجلُ لأَخيهِ المُسلم؛ ما يُحبُّ لنفسه، وأَن يكره لأَخيه ما يكره لنفسه.

• هذه هي شُعب الإيمان؛ التي اجتهد العلماء في جمعها وبيانها.

وقد جُمعَ في هذه الشُّعب العظيمة الإسلام الحقِّ بكماله، وما أحرى بنا – نحن المسلمين – أن نتعلَّمها، ونعمل بها بصدق وإخلاص وإحسان على نكون من المؤمنين الصَّادقين العاملين من أولياء الله تعالى الذين جمعوا خيري الدُّنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٣.

#### • فائدةٌ جليلةٌ من إمام جليل إ! إ

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن حبَّان، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(وقد تَتَبعتُ معنىٰ الخبرِ مُدَةً، وذلكَ أَنَّ مَدْهبنا: أَنَّ النَّبِيُ عَلَيْهُ لَم يَتَكلم قطُ إِلاَّ بِهائدة، ولا من سُننِهِ شيءٌ لا يُمْلَمُ معناهُ؛ فجعلتُ أَعُدُ الطَّاعاتِ من الإيمانِ؛ فإذَا هي تزيدُ علىٰ هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعتُ إلىٰ السُنن؛ فعددتُ كلَّ طاعة عدَّها رسُولُ عَلَيْهُ من الإيمان؛ فإذا هي تنقص من البضع والسبعين، فرجعتُ إلىٰ ما بين الدَّقَتيْن من كلام ربنا، وتلوتُه آيةً آيةً بالتدبُّر، وعددتُ كُلَّ طاعة عدَّها الله - جلَّ وعلا - من الإيمان؛ فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين؛ فضممتُ الكتابَ إلىٰ السُنن، وأسقطتُ المُعادَ منها؛ فإذا كلُّ شيءِ عَدَّه الله - جلَّ وعلا - من الإيمان في كتابه، وكلُّ طاعة جعلها رسُولُ الله عَلَيْهُ من الإيمان في سُننِهِ الإيمان في سُننِه وسبعون شعبةً لا يَزيدُ عليها ولا يَنْقُص منها شيءٌ؛ فعلمتُ أَنَّ مرادَ النَّبِيَ عَلَيْهُ كانَ في الخبرِ أَنَّ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة في الكتاب النَّبِيَ عَلَيْهُ كانَ في الخبرِ أَنَّ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة في الكتاب والسَّنن) (۱).

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان ٥ ج١، ص٣٨٧. ٥ كتاب الإيمان ٥ باب: ( ذكر بيان بأنَّ الإيمان أجزاء وشعب لها أعلى وأدنى ).

### مراتب الإيمان

علمنا - ثمَّا سبق - أخي القارئ العزيز؛ أنَّ الإِيمانَ عند أهلِ السُّنَةِ والجماعةِ: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، وينقص بالمعاصي، وأهلهُ متفاوتون فيه على حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم.

والإيمان: مركّبٌ من شُعبٍ وأجزاءٍ، وهو درجاتٌ ومراتبٌ؛ له حَدُّ أعلىٰ الذي يبلغ بصاحبه درجة الصّدِّيقين، وحَدُّ أَدنىٰ الذي مَن أَخلٌ به ذهب إيمانه.

- والإيمانُ يزيدُ بالطّاعات، والأعمال الصَّالحة، وبمتابعة هديّ الرَّسُولِ عَلَيْ وسُنّته، وبالتّوحيد الخالص، وصفاء الإخلاص لله تعالى، إلى ما شاء الله تعالى أن يزيد كريد على يُوصل صاحبه درجة أولياء الله الصَّالحين، والصَّدّيقين، والشّهداء، والمتقين العاملين، ويرفعه هذا الإيمانُ الصَّادق إلى عليين في جنّات النّعيم. وهذه المرتبة تُسمَّى: «حقيقة الإيمان».
- والإيمانُ ينقص بالمعاصي والذُّنوبِ والكبائر، والأعمال الطالحة؛ لكن يبقى مع صاحبه أصلُ الإيمان الذي يخرج به من النَّار، فلا يُخلد فيها، ويُسمَّىٰ مسلمًا، ولا يُسمَّىٰ مؤمنًا بإطلاق؛ بل لا بُدَّ من التَّقييدِ؛ فيقال: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، كما أنَّه لا يُنفىٰ عنه الإيمان بإطلاق؛ فيقال: ليس بمؤمن حقًا، أو ليس بصادق الإيمان، وهذا أقلُّ مراتب الإيمان وأدناها.

وهذه المرتبة تُسمَّىٰ: الإسلام، أو أصل الإيمان، أو الإيمان المجمل، أو مطلق الإيمان، وتنعقد هذه المرتبة بثلاثة أمور أساسيَّة! لا بُدَّ منها:

الأول: النَّطقُ بالشَّهادتين.

الثَّاني: قول القلب، وهو العلم، والتَّصديق بمعناهما، وأَنَّ الرَّسُول عَلَّظُ صادقٌ في كلِّ ما أخبرَ، وأمرَ به عن الله تعالىٰ.

الثَّالث: عمل القلب، وهو قبول التَّوحيد، والبراءةُ من ضدّه، ومحبَّة الله تعالى ورسُوله عَلَي ودينه، والعزم على الانقياد لهما.

ومن لم يأت من العباد! بهذه الأمور الثّلاثة مجتمعة؛ لم ينعقد له أصلُ الإيمان، ولا يدخُلُ في حضيرة الإسلام البتّة، قالَ الله تعالى:

﴿ فَلا وَرَبُكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكَّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مُمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

وكذلك قد سَمَّىٰ الله - تبارك وتعالىٰ - في كتابه العزيز؛ المتحاكمين لغير شرعه! بالمنافقين، فقالَ تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكُفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلِّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿ وَقَدْ أَفِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (٢).

 <sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٠ - ٦١.

فإذا جاءَ العبدُ بأصلِ الإيمانِ، ودخلَ في الإسلامِ؛ فهو مكلَّف بعدها بتكميل إيمانه؛ بامتثال الطَّاعات، واجتناب الحرَّمات والنَّواهي؛ قولاً وعملاً! وذلكَ لأنَّ الله — تبارك وتعالىٰ — قال في صحة إسلام العبد:

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِلُ الآيَاتِ لِقَوْم يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

• وكذلك! أنَّ الإيمان - عند أهلِ السُّنَةِ والجماعةِ المحضة - ينقص ثمَّ ينقص فينقص فينقص؛ حتى يكون أمرُ صاحبهِ على خطرٍ عظيم؛ بل ربَّما يذهبُ إيمانه كليًا! بقدر مخالفته لأمرِ الله تعالى، وبحسب إصرارهِ على المعاصي والذُّنوب؛ التي تقودُهُ إلى ما يُناقض إيمانه من الأعمال، وفي النهاية المطاف! لا يبقى معه من الإيمان شيءٌ ينفعه عند ربَّه - سبحانه وتعالى - يوم الحساب؛ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاً من أتى الله تعالى بقلب سليم فيها إيمانٌ صادقٌ.

إِذِن ! فللإيمان حَدِّ أَدْنَىٰ ؛ مَن أَخلَّ به ذهب إيمانه وإسلامهُ بالتَّمامِّ ، ولن ينجو صاحبه من الخلودِ في النَّار ، والعياذ بالله .

• فالإيمان - عندهم - مراتب ودرجات ومنازل، والمؤمنون فيه على طبقات متفاوتون في مراتب إيمانهم؛ فمنهم من معه أصل الإيمان، ومنهم من عمل بحقائقه واستكمل الإيمان، وبلغ درجات الكمال الواجب، أو المستحب؛ فهؤلاء معهم «حقيقة الإيمان».

فمراتب الإيمان - عند أهل السُّنَّة والجماعة - ثلاثة مراتب، هي:

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١١.

أَصلُ الإيمان، والإيمانُ الواجب، والإيمانُ الكامل.

المرتبةُ الأُولىٰ: ﴿ أَصِلُ الإِيمَانِ ﴾ :

ويسمَّىٰ أيضًا ( الإيمان المجمل ، أو ( مطلق الإيمان ، .

وهذه المرتبة من الإيمان غيرُ قابلة للنُّقصان؛ لأنَّها حدّف الأدنىٰ للإيمام، وهي حَدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الإيمان والكُفر.

وهذا النَّوع واجبٌ على كلٌ مَن دخلَ دائرةَ الإيمان والإسلام، وشرطٌ في صحَّته، وبه تَثْبُتُ الأحكام الشَّرعيَّة؛ لأَنَّ اسمَ الإيمان وحكمهُ يشملُ كلَّ مَن دخل فيه، وإن لم يستكمله، ولكن معه الحدُّ الأدنى منه، وهو ما يصحُّ به إسلامه.

ومرتكبُ الكبائر داخلٌ في هذا المعنىٰ، والمنفي عنه؛ ليس اسمَ الإيمان والدُّخول فيه، وإِنَّما المنفي هو حقيقته وكماله الواجب؛ فهو لا يُسلب عنه مطلَق الإيمان – أي أصله – ولا يُعطىٰ الإيمان المطلق التَّام.

وهذا الإيمانُ يتحقَّق بالتَّصديق، والانقياد المجمل، وتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، واستحقاقه - سبحانه - وحده للعبادة، واتِّباع أوامره ونواهيه، واتِّباع رسُوله عَلَيْكُ .

وهذه المرتبة – أيضًا – لا يشترط فيها وجود العلم التَّام بالإيمان .

فإذا عَمِلَ العبدُ بهذا كلّه؛ فقد حقّق أصلَ الإيمان الذي ينجو به من الحُفر، وأمًّا في الآخرة؛ فينجو به من الخُلود في النّار، ومصيره يكون إلىٰ الجنّة؛ إن مات علىٰ هذا الإيمان، ولم ينقضه بقول أو عمل أو اعتقاد، وإن قصّر في بعض الواجبات، أو اقترف بعض المحرّمات، ولكن منهم من

يدخلها ابتداءً برحمة الله تعالى ومغفرته، أو بعد شفاعة أو سبب آخر، ومنهم من يدخلها بعد أن يُعذَّب في النَّار - والعياذ بالله - والله أعلم.

وصاحبُ هذه المرتبة يدخل في دائرة الإسلام، أو الإيمان المقيَّد، وكذلك يدخل فيها مَن أسلم من أهل الطَّاعة ثمَّن لم تدخل حقائقُ الإيمان في قلوبهم، ويدخل فيها – أيضًا – أهلُ الكبائر عمومًا، ويسمَّىٰ صاحبه: مؤمنًا ناقص الإيمان، أو فاسقًا، أو عاصيًا.. إلخ (\*). قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْاءُ وَمَن يُشْاءُ وَمَن يُشْرك باللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

<sup>( \* )</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ( فعامَّةُ النَّاس إذا أسلموا بعد كُفر، أو ولدوا على الإسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسُوله؛ فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم؛ إنَّما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك، وإلاَّ فكثيرٌ من النَّاس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفَّارًا ولا منافقين؛ بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرا الرِّيب، ولا عندهم من قوة الحبِّ لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنَّة، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم؛ فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلاَّ صاروا مرتابين، وانتقلوا إلىٰ نوع من النَّفاق . . . ) ثمَّ قال عنهم : ( فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ؛ ماتوا علىٰ هذا الإسلام الذي يثابون عليه، ولم يكونوا من المؤمنين حقًّا الذين امتحنوا فثبتوا على الإيمان، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم! إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق أكثرهم أو كثير منهم، ومنهم من يظهر الرِّدة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرَّسُول باطنًا وظاهرًا لكن إيمانًا لا يثبت على المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم) انظر: «مجموع الفتاوي، ج٧، ص ٢٧١ - ٢٨١.

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيكُ : ﴿ مَنْ مَاتَ لاَيُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ (١٠).

وهؤلاء! وإن كانوا في عِداد المسلمين؛ لكنهم على خطر عظيم، إن لم يتوبوا من ظلمهم ومعاصيهم، ويُكملُوا إيمانهم الشَّرعيُّ؛ لأَنَّهم معرَّضون لتسلط الشَّياطين – الإنس والجن – عليهم بسبب ظلمهم؛ فتجرهم بالشَّهواتِ والشُّبُهاتِ إلى الكُفرِ أو النِّفاق – والعياذُ بالله – وكذلك معرَّضون للعقوباتِ في الدُّنيا والآخرة، فقالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرَّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَخْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

<sup>(</sup> ١ ) رواه البخاري في ( كتاب التوحيد ) باب و كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ٥ .

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

 <sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

## المرتبة الثَّانية « الإيمانُ الواجب » :

ويسمَّىٰ - أيضًا - «الإيمانَ المفصل» أو «الإيمانَ المطلق» أو «حقيقةً الإيمان».

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة «أصل الإيمان» أي: هم الذين زادوا على أصل الإيمان من فعل الواجبات، وترك المحرمات، وجاءوا بكمال الإيمان الواجب؛ ثمن يؤدّون الواجبات، ويجتنبون المحرمات والكبائر والمنكرات والمنهيات، ويلتزمون بكلّ تفصيلات الشّريعة الغراء؛ تصديقًا وعملاً، ظاهرًا وباطنًا؛ حسب ما استطاعوا ذلك، وسلمت قلوبهم من الشّرك والرّيب، وأمراض الشّبهات والشّهوات، وهم يعبدون الله تعالى على بصيرة وعلم، وبقدر ما يزيد من عِلْمِهِمْ وعَمَلِهِمْ؛ يزداد إيمانهم.

كما سَلِمت أعمالُهم من الإصرار على المعاصي والذُّنوب؛ فهم ملازمون طاعة الله تعالى واستغفاره، وإذا ارتكبوا بعض الصَّغائر؛ تُكفَّر عنهم بأدائهم للفرائض، واجتنابهم للكبائر، ولكنَّ المتورِّع عن الصَّغائر؛ أكمل إيمانًا ثمن يقع فيها.

وهم في الدُّنيا: من أهل ولاية الله تعالى، وعنايته وتسديده ورحمته، ولا يمنع ذلك من أن تصيبهم بعض المصائب والمكروهات؛ تمحيصًا للذُّنوب، وتحقيقًا للصَّبر والإيمان، وزيادة في الحسنات، ورفعة في الله تكفيرًا للسَّيئات.

وفي الآخرة: يتولاً هم الله تعالى برحمته ومنّه وكرمه وإحسانه ولطفه؟ فيُؤمّنُهُم من الفزع الأكبر، ومن يوم الحساب، ويدخلهم الجنّة ابتداءً؛ لأنّ الله تعالى حرّم عليهم النّار، ولا يمنع ذلك أن ينال بعضهم! بعض المكروه

عند الموتِ، أو في القبر، أو في الحشر؛ تكفيرًا لما قد أصاب في الدُّنيا من المعاصى، أو صغائر الذُّنوبِ.

وأصحاب هذه المرتبة الجليلة العظيمة؛ هم أهلُ الله تعالى وخاصته، وهم أهل الله تعالى وخاصته، وهم أهل السَّلامة، والأَمن، والفلاح، والنَّجاح، والتَّوفيق، والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة، وهم السُّعداء أهل الجنَّة، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاً تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَكُن نَحْنُ أُولَيَاوُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَيَاوُكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿ يَكُ فُولِ مَنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٠).

وَيدخلون في عداد المؤمنين الأبرار الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿ أُولَئكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بَأَمْوَ الهَمْ وَأَنفُسهمْ فَي سَبِيلَ اللَّه أُولَٰتِكَ هُمُ الصَّادَقُونَ ﴾ (٣).

 <sup>(</sup>١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ – ٣٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنفال، الآية: ٤.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

المرتبة الثَّالثة « الإيمانُ الكامل »:

ويسمَّىٰ أيضًا: ﴿ الْإِيمَانَ المستحب ، .

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة: « الإيمان الواجب » .

وسمِّيت: الإيمان الكامل؛ لأنَّه كَمُلَ بالمستحبات والنوافل.

وهي «مرتبة الإحسان» وهذه المرتبة هي درجة المقرَّبين المحسنين، والمخلصين المتَّقين الأَبرار، والسَّابقين، وعباد الله، وعباد الرَّحمن، والمسارعين في الخيرات؛ من الأَنبياء، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، وأولياء الله الصَّالحين.

- فهم المقرّبون؛ الذين يتقرّبون إلى الله سبحانه وتعالى بفعل الخيرات، والاجتهاد في الطّاعات والقرُبات؛ من الواجبات والمستحبّات والمندوبات؛ وملازمتها والمسارعة فيها، واجتناب المكروهات والمشتبهات؛ بقدر ما يُيسَرُّ الله تعالىٰ لهم ذلك.
- وهم المحسنون؛ الذين أكملوا مراتب الإسلام والإيمان، وارتفعوا إلى مراتب الإحسان؛ فيعبدون الله تعالى كأنّهم يرونه؛ فإن لم يكونوا يرونه، فإنَّهم يستشعرون أنَّ الله عزَّ وجلَّ يراهم في كلِّ أمرهم؛ فعبادتهم لله تعالى بإخلاص وصدق وذُلُّ وخضوع وإنابة ومسكنة؛ فعندهم من قوة التَّصديق واليقين ما يرفعهم إلى أعلى منازل الإيمان، ويحصلون على أوفر الحظ من ولاية الرَّحمن، وينالون به أعلى الدَّرجات في جنَّة النعيم.
- وهم عباد الله تعالى، وعباد الرَّحمن؛ الذين جاءوا بالعبوديَّة الحقَّة، فتعلَّقت قلوبهم بالله تعالى، بكامل الخضوع والإنابة والخشيَّة، واطمئنَّت قلوبهم بطاعة الله جلَّ في عُلاه وأنسَت نفوسهم بالله، وذلَّت ألسنتهم

لذكره تعالىٰ، وخضعت جوارحهم لاتّباع شرعِهِ الحكيم سبحانه؛ أحبُّوا الله تعالىٰ غاية الْحُبِّ، وقدَّموا محبَّته - جلَّ وعلا - ومحبَّة رسوله الأمين علىٰ النَّفْس والأهل والمال والولد.

- وهم أهل الإخلاص لله تعالىٰ؛ الذين حقَّقوا كلمة التَّوحيد بشقَّيه:
- \* «شهادةُ أَن لا إِلهَ إِلاَّ الله»: بالتَّوحيد الخالص، والخُلوص من الشِّرك بجميع أنواعه وأشكاله؛ فأعمالهم كلُها لله تعالىٰ الظَّاهرة والباطنة؛ من عبادة، وحُبِّ، وبُغض، وعطاء، ومنع... إلخ.
- \* « شهادةُ أَنَّ محمَّدًا رسُولُ الله »: بالتَّمسُّكِ بشريعته عَلِيَّةً ؛ فأعمالهم وعباداتهم كلُها موافقٌ لسُنَّتِهِ وهديهِ عَلِيَّةً ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ ﴿ آَنَ اللَّهِ لَا شَرِيكَ لَ لا شَريكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

- وهم أهل الإيمان؛ الصَّادقون الرَّاسخون العاملون، القائمون على العلم الحقّ بالله تعالى، وملائكته، وكُتُبه، ورسُله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره منه؛ سبحانه وتعالى، ومن أعظم ما تميّزهم هو قوة معرفتهم بالله تعالى، وبوحدانيته، واستحقاقه وحده للألوهية والعبادة بكلّ أنواعها، واستشعار قلوبهم لمعاني صفاته سبحانه من خلال تفكرهم في آياته الكونية، وتدبرهم لآياته المنزلة على نبيّه الأمين عَلَيْكُ.
- فكُلُّ هذه الصِّفات الكريمة العزيزة؛ جعلت أهل هذه المرتبة يذوقون حلاوة الإيمانِ حقًا وصدقًا؛ ثمَّ حملهم ذلك علىٰ تقديم أرواحهم،

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ – ١٦٣.

وأموالهم، وأوقاتهم في سبيل الله تعالى؛ بالجهاد أو المرابطة، أو التعليم، أو الدَّعوة والنَّصح للمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . إلى غير ذلك من الأعمال الصَّالحة التي يحبُّها الله تعالى ويرضاها .

وأصحابُ هذه المرتبة الرَّبانيَّة: هم الفائزون بالمراتب العليَّة، والمقامات السَّامية الجليلة، والفردوس الأَعلىٰ؛ برفقة النبييِّن، والصِّديقين، والشُّهداء، والصَّالحين، وحسُن أُولئكَ رفيقًا، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١٠). النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١٠).

\* وهم في الدُّنيا! عباد الله المخلصون؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً.

\* وفي الدار الآخرة ! هم أهلُ مقعد صدق في الفردوس الأعلى ؛ عند مليك مقتدر ، قالَ اللهُ تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿ فَيْ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدِّقٍ عِندَ مَلِيكِ مِ اللهِ عَلَيكِ مَلِيكِ مَقْتَدِرِ ﴾ (٢).

فهم أولياء الله تعالى وأحبًاؤه، وأهل عنايته الفائقة، وخاصته،
 وصفوته من خلقه، قال الله – تبارك وتعالى – عنهم:

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

<sup>(</sup>٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٠ – ٥١ .

<sup>(</sup>٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

هذه هي مراتب الإيمان عند أهلُ السُّنَة والجماعة، وهذه المراتب مستنبَّطة باستقراء والإستنباط والقياس من الكتاب والسُّنَة من قبل أَثمَتهم المعتبرين الأعلام، رحمهم الله تعالىٰ.

ويتفاوتُ أصحابُ هذه المراتب عند الله تعالى في الدُّنيا والآخرة؛ بقدر تفاوتهم في العلم والعمل والإخلاص والإحسان، ويقابلُ ذلك تفاوتهم في الدَّرجات العُلىٰ من جنَّة الخُلد والنَّعيم الدَّائم.

وقد قال الله – سبحانه وتعالىٰ – في كتابه العزيز عن هذه المراتب:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ وَمِنْهُمْ فَيَاتُ عَدْن يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّون فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُواً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (١).

#### • فالسَّابقُ بالخيراتِ:

هو المحسن الذي حقَّق أصل العبودية لله تعالى، وعَبَدَ الله تعالى كأنَّه يراه، وهو الفاعل للواجبات، والمستحبَّات، والمندوبات؛ التَّاركُ للمحرَّمات، والكباثر، والمعاصي، والذُّنوب، والمكروهات، والمجتنب للمحظورات، والمشتبهات، والشَّهوات.

وهو من أولياء الله تعالى وأحبَّائه، وخاصته، وصفوته من خلقه. وهو صاحبُ: ( الإيمان الكامل المستحب ».

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٢ -- ٣٣.

#### • والمقتصدُ:

المكتفي بفعل الواجبات، واجتناب المحظورات، دون فعل المسنونات والمنتحبات، ودون ترك بعض المنهيَّات والمكروهات.

وهو صاحب: «الإيمان الواجب».

## • والظَّالمُ لنفسه:

هو التَّاركُ لبعض الواجبات والفروض، أو المرتكب لبعض المحرَّمات والمعاصي والذُّنوب؛ التي لا تصل إلى الكُفر الأكبر، أو الشِّرك الأكبر.

وهو صاحب: « الإيمان المجمل».

قالَ حَبْر الأُمَّةِ ؛ عبدُ الله بن عباس، رضي الله عنهما :

(السَّابِقُ بالخيراتِ يَدخلُ الجِنَّةَ بغير حساب، والمُقتصدُ يَدخلُ الجِنَّةَ برحمة الله، والظَّالمُ لنفسه وأصحابُ الأَعراف يَدخلونَ الجِنَّةَ بشفاعة محمَّد عَلِيَّ (١).

وقالَ الإِمامُ ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في تفسير هذه الآية:

( يقول تعالى : ثمَّ جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدِّق لما بين يديه من الكُتب الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأُمَّة ؛ ثمَّ قسمهم إلىٰ ثلاثة أنواع، فقال تعالىٰ :

﴿ فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفسِهِ ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات؛ المرتكب لبعض المحرمات.

<sup>(</sup>١) انظر: « تفسير ابن كثير » في تفسيره الآية: ﴿ ٣٢ ﴾ من سورة فاطر.

﴿ وَمِنْهُم مُقْتَصِد ﴾ وهو المؤدي للواجبات؛ التأرك للمحرَّمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

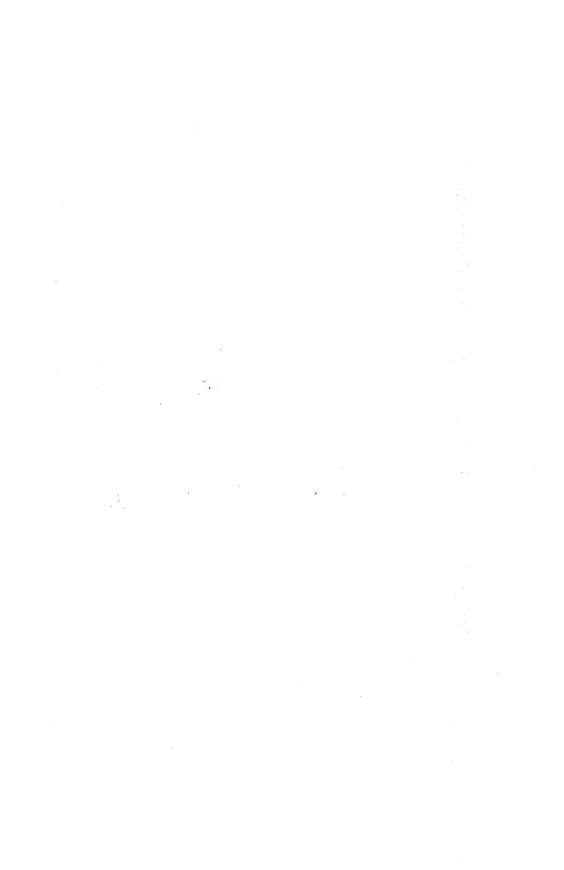
﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات؛ التَّارك للمحرَّمات والمكروهات، وبعض المباحات.

قالَ عليُّ بن أبي طلحة ، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ :

﴿ ثُمَّ أُوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

قال: هم أُمَّة محمَّد عَلَيْ ، ورَّثهم الله تعالىٰ كلَّ كتاب أنزله؛ فظالمهم يُغْفَر له، ومقتصدهم يُحاسَبَ حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنَّة بغير حساب).

# قول أئمة أهل السنة والجماعة في مُسمَّىٰ الإِيمان



# قول أنهة أهل السنة والجماعة في مُسمَّىٰ الإيمان

اتَّفَقَ أَثَمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة - سلفًا وخلفًا - على أَنَّ الإِيمانَ: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ قولُ القلبِ واللَّسانِ، وعملُ القلبِ والجوارحِ. وهذا الإِيمان: يزيدُ بالطَّاعةِ، وكثرةُ العبادةِ، والمداومةُ عليها. وينقصُ بالمعصيةِ، والغفلةِ، والتَّقصير في فعل الطَّاعةِ.

ولم يكن بينهم نزاعٌ في ذلك البتَّة! وقد حكى الإجماع على هذا القول؛ أكثرُ أهل العلم - رحمهم الله تعالى - بل أصبح هذا القولُ من ميزاتِ أهل السُنَّة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وقولهم في هذا البابِ كثيرةٌ جداً؛ لا يمكن حصرها في هذا الكتابِ! ولكن نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر.

ونبدأ من الذين تتلمذوا وتعلمُ العلم على يدي النّبِيّ عَلَيْهُ مباشرة ؛ الصّحابة الكرام - رضي الله عنهم - ثمّ من الذين تتلمذوا على يدي الصّحابة ؛ التّابعين العظّام - رحمهم الله - ثمّ أتباعُ التّابعين، ثمّ من يليهم من بعدهم من أثمّة الأعلام ؛ الذين نقلوا لنا هذا العلم النبويّة الشّريف.

وذلكَ مرتبًا أقوالهم حسب وفيًاتهم - رحمهم الله -؛ عدا الصّحابة والتَّابعين؛ فنبدأ بأعلامهم العظّام:

## قول أَثمَّة أَهلُ السُّنَّة والجماعة في مُسمَّىٰ الإِيمان

١ قالَ أميرُ المؤمنينَ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - الأصحابه:
 ( هَلمُوا نَزْددْ إِيمانًا ) فيذكرون الله تعالىٰ (١).

٢ - قالَ أميرُ المؤمنينَ علي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

(لاَ يَنْفَعُ قُولٌ إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلٍ إِلاَّ بِقُولٍ، وَلاَ قُولٌ وَعَمَلٌ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ نِيَّةٍ؛ إِلاَّ بِمُوافَقَةِ السُّنَّةِ)(٢).

وقالَ: (الصَبْرُ مِنَ الإِيمَانِ؛ بِمَنْزِلَةِ الرَأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، مَنْ لاَ صَبْرَ لَهُ؛ لاَ إِيمَانَ لَهُ) (٣).

٣- قالَ الصَّحابيُّ الفقيه؛ عبدُ الله بن مسعود، رضي الله عنه:

(اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقينًا، وفِقْهًا)(١٠٠.

٤ - قالَ الصَّحابيُّ الجليلِ؛ معاذُ بن جبل، رضي الله عنه:

( اجْلِسْ بنَا نُؤْمَنْ سَاعَةً ! \_ يعني نذكر الله عزَّ وجلَّ \_ ) (°).

<sup>(</sup>١) «السُّنَّة » الحلال: ج٥، ص٣٩ (١١٢٢). وه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص١١٣٤ (١١٣٤).

<sup>(</sup>٢) والإبانة ، ابن بطة: ج٢، ص٨٠٣ (١٠٨٩).

<sup>(</sup>٣) « شرح أُصول اعتقاد أهل السُنَّة ، اللالكائي: ج٤ ، ص١٩٢ ( ١٩٦٩ ) . و« الإيمان ، ابن أبي شيبة: ص٨٤ (١٣٠) .

<sup>(</sup>٤) وشرح أصول اعتقاد أهل السنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص١٠١٣ (١٧٠٤).

<sup>(</sup>٥) ه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص١٠١ (١٧٠٦).

٥ - قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ عبدُ اللهِ بن رواحة، رضي الله عنه:

( تَعَالُوا فَلْنُؤْمِنْ سَاعَةً ؛ تَعَالُوا فَلْنَذَكَرِ اللهَ ، وَلَتَزْدَادُوا إِيمَانًا ؛ تَعَالُوا نَذْكُرُه بِطَاعِتِهِ ؛ لَعَلَّهُ يَذْكُرُنَا بِمَغْفِرَتِهِ ) (١٠).

٦ - قالَ الصَّحابِيُّ المحدِّث؛ أبو هريرة، رضي الله عنه:

( الإِيَّانُ نَزِهٌ ؛ فَمَنْ زَنَىٰ فَارَقَهُ الإِيَّانُ ، فَإِنْ لاَمَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ ؛ رَاجَعَهُ الإِيَّان ) ( ` ` .

٧- وكانَ مِنْ أَعْلامِ الصَّحابةِ؛ عبدُ الله بن عباس، وأبو هريرة، وأبو الدَّرداء - رضي الله عنهم - يقولونَ: (الإيكانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ) (٢٠).

٨- قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ عمَّار بن ياسر، رضي الله عنه:

( ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلام لِلْعَالم ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتِارِ)(1) .

٩ - قالَ الصَّحابيُّ الجِليل؛ جندبُ بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه:

(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهُ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرةً ؛ فَتَعلَّمْنا الإِيمَانَ قَبْلَ أَن نَعلَّمَ القُرآنَ ؛ ثُمَّ تَعلَّمْنَا القُرآنَ ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا ) (°)(\*).

<sup>(</sup>١) «الإيمان» ابن أبي شية: ص٤٣ (١١٦).

<sup>(</sup> ٢ ) « كتاب الشَّريعة » الآجري: ج٢ ، ص٩٦ ٥ ( ٢٢٨ ) تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي.

<sup>(</sup>٣) ﴿ شُرِحَ أُصُولُ اعتقادَ أَهِلَ السُّنَّةَ ﴾ اللالكائي: ج٥، ١٠١٦ ( ١٧٠٩، ١٧١١، ١٧١١).

<sup>(</sup> ٤ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب: « إفشاء السَّلام من الإسلام ٥ .

<sup>(</sup> ٥ ) رواه ابن ماجة في المقدمة ( كتاب السُّنة ) باب « الإيمان » برقم ( ٦١ ) وصححه الألباني.

<sup>( \* )</sup> حَزَاوِرة : ( جَمْع حَزُور وحَزَوْر ، وهو الذي قارب البلوغ ، والتاء لتأنيث الجمع ) « النهاية » .

• ١ - قالَ الصَّحابيُّ عمير بن حبيب الخطمي الأنصاري، رضى الله عنه:

( الإيمَانُ يزيدُ وينقصُ )! قيل: ومازيادته ونقصانه؟

قالَ: ﴿ إِذَا ذَكُرُنَا الله تَعَالَىٰ، وحمدناه، وسبحناه؛ فتلك زيادته.

وإذا غفلنا، ونسينا؛ فذلك نقصانه )(١).

١١ - قال الصَّحابيُّ الفقيه؛ عقبة بن عامر الجهني، رضى الله عنه:

(إنَّ الرَّجُلَ ليَتفضلُ بالإيمان ؛ كما يتفضلُ ثوب المرأة )(٢).

١٢ - قالَ التَّابِعيُّ الإمامُ الفقيه الحافظ؛ أبو شبل علقمة بن قيس النَّخعي - رحمه الله تعالىٰ - لأصحابه:

(امْشُوا بِنَا؛ نَزْدَدْ إِيمانًا - يعني تفقهًا -)(٢).

١٢ - قالَ التَّابِعيُّ الفقيه؛ عروة بن الزبير بن العوام، رحمه الله تعالىٰ:

( مَا نَقصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ قَطِ؛ إِلاَّ نَقَصَ إِيمَانُهُ ) ( 1 ) .

١٤ - قالَ الخليفةُ العادلُ؛ عمرُ بن عبد العزيز، رضى الله عنه:

(فإنَّ للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسُننًا؛ فمَن استكملَها استكملَ الإيمان، ومَن لم يستكمل الإيمان، (°).

<sup>(</sup>١) و الإيانة ، ابن بطة: ج٢، ص٥٥٨ (١١٣١).

<sup>(</sup>٢) ١ الإيانة ١ ابن بطة: ج٢، ص٧١٦ (٩٦٩).

<sup>(</sup>٣) ١ شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص١٠٢ ( ١٧٣٠).

<sup>(</sup>٤) ه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: جه، ص١٠٢٣ ( ١٧٢٩).

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وبني الإسلام على خمس ٥.

١٥ - قالَ التَّابِعيُّ الإِمام المفسِّر؛ مجاهدُ بن جبر، رحمه الله:

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ )(١).

١٦ - قالَ التَّابِعيُّ الإِمامُ ؛ سعيد بن جبير، رحمه الله :

﴿ لاَ يُقْبَلُ قُولٌ إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلاَّ بِقَولٍ، وَلاَ يُقْبَلُ قُولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ ؛ إِلاَّ بنِيَّةٍ مُوافَقَةٍ للسُّنَّةِ ) (٢).

١٧ - قالَ الإِمامُ ؛ الحسن البصريِّ ، رحمه الله (ت ١١٠ هـ):

(الإيمانُ قولٌ، وَلاَ قُولٌ إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ قُولٌ وَلاَ عَمَلٌ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ قُولٌ وَعَمَلٌ ونِيَّةٌ؛ إِلاَّ بسُنَّةٍ ﴾ (٣).

وقالَ: (لَيْسَ الإِيمَانُ بالتَحلِّي وَلا بالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ في القُلوبِ وَصَدَقَتْهُ الأَعْمالُ)(1).

١٨ - قالَ الإمامُ الحافظُ النَّضرُ بن شميل، رحمه الله (ت ١١٠ هـ):
 ( الإيمانُ قولٌ وعملٌ، والإيمان يتفاضل)<sup>(٥)</sup>.

9 - قالَ الإمامُ المحدِّثُ الحجَّةُ والفقيه القدوةُ؛ زيد بن أسلم، مولى عمر - رضى اللهُ عنه - (ت ١٣٦ هـ):

<sup>(</sup>١) " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة " اللالكائي: جه، ص١٠٢٣ (١٧٢٨).

<sup>(</sup>٢) اشرح أصول اعتقاد أهل السنّة » اللالكائي: ج١، ص٦٤ (٢٠).

<sup>(</sup>٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج١، ص ٦٤ (١٨). و الإبانة ، ابن بطة: ج٢، ص ٨٠٣ (١٨).

<sup>(</sup>٤) « الإبانة » ابن ببطة: ج٢، ص٥٠٥ (١٠٩٤). و« اقتضاء العلم العمل » الخطيب البغدادي: (٥٦).

<sup>(</sup>٥) « السُّنَّة » عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣١٦ ( ٦٣٢ ) .

( لا بُدَّ لأَهلِ هذا الدِّينِ من أَربع: دخول في دعوة الإسلام. ولا بُدَّ من الإيمان، وتصديق بالله وبالمرسلين أولهم وآخرهم، وبالجنَّة وبالنَّار، وبالبعث بعد الموت. ولا بُدَّ من أن تعمل عملاً صالحًا؛ تُصدِّق به إيمانك. ولا بُدَّ أَن تعلم علمًا تحسن به عملك! ثمَّ قرآ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لَّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ١٨٦] (١٠).

٠٠ - قالَ شيخُ الإسلام الإمامُ الأوزاعيُّ، رحمه الله (ت ١٥٧هـ):

(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلا بالقول، ولا يَستقيم الإيمانُ والقولُ إلا العمل، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلا بنيَّة موافقة للسُنَّة؛ فكان من مضىٰ مَن سلف لا يُفرُقون بين الإيمان، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها وتصديقه العمل؛ فمن آمن بلسانِه وعَرفَ بقلبه وصَدَّق ذلك بعمله؛ فذلك العُروة الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه ولم يَعرف بقلبه ولم يُعرف بقال بلسانه ولم يَعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقال بلسانه ولم يَعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقاله بلسانه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقاله بلسانه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقلبه ولم يُعرف بقاله بله يُقبَلُ منه، وكان في الآخرةِ من الخاسرين) (٢٠).

٢١ - قالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيان الثُّوري، رحمه الله (ت ١٦١ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، ونيَّةٌ؛ يَزيدُ ويَنْقُص: يزيدُ بالطَّاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول والعمل إلاَّ بالعمل، ولا يجوز القول والعمل والنيَّة؛ إلاَّ بموافقة السُّنَّة) (٢٠).

<sup>(</sup>١) رواه ابن أبي شبية في ه كتاب الإيمان ، برقم ١٣٦ . ص ٤٩ . وصححه الألباني .

<sup>(</sup>٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص ٩٥٥ – ٩٥٦ ( ١٥٩١).

<sup>(</sup>٣) اللالكائي: ج١، ص١٧٠ (٢١٤). و الإبانة ، ابن بطة: ج١، ص٣٣٣ (١٩٠).

٢٢ - قالَ الإمامُ الوليدُ بن مسلم القُرَشي الدمشقيّ، رحمه الله:

سمعتُ الأوزاعي، ومالكَ بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز؛ ينكرون قول مَن يقولُ: إِنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل، ويقولون: ( لا إيمانَ إلاَّ بعمل، ولا عملَ إلاَّ بإيمان) (١٠). وقال - أيضًا - سمعتُهم يقولون:

(ليس للإيمان مُنتهى هو في زيادة أبدًا، ويُنكرون على مَن يقول: إنَّه مُستكملُ الإيمان، وإنَّ إيمانهُ كإيمان جبريل؛ عليه السَّلام)(٢).

٢٣ - قالَ الإمامُ مالك، رحمه الله تعالى (ت ١٧٩هـ):

( الإيمانُ: قولٌ وعملٌ )<sup>(٢)</sup>.

٢٤ قالَ الإِمامُ الحافظ خالدُ بن الحارث، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):
 (الإِيمانُ: قولٌ وعملٌ؛ يَزيدُ وَيَنْقُصَ) ( ).

٢٥ ـ قالَ الإِمامُ الحافظُ وكيعُ بن الجرَّاح، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(أَهْلُ السُّنَّة يقولونَ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ) (°).

٢٦ – قالَ الإِمامُ عبدُ الله بن المبارك، رحمه الله (ت ١٨١ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، والإيمانُ يَتَفاصَل)(١).

<sup>(1) «</sup> شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ج٤، ص٩٣٠ (١٥٨٦).

<sup>(</sup>٢) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص ٣٢٣ (٦٨٧). وو الإبانة»: ج٢، ص ١٠٩ (٢٨٧).

<sup>(</sup>٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السِّنة » اللالكائي: ج٥، ص١٠٣ (١٧٤٢).

<sup>(</sup>٤) والسُّنة وعبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٣٦ ( ٢٩٩).

<sup>(</sup> ٥ ) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ج٤ ، ص ٩٣ ( ١٥٨٥ ).

<sup>(</sup>٦) «السُّنة » عبد الله بن الإمام أحمد: ج٥، ص١٥ (٢٢٧).

٢٧ - قالَ الإِمامُ القدوةُ الفُضيل بن عياض، رحمه الله (ت ١٨٦ هـ):

(الإيمانُ عِنْدنا داخِلهُ وخارِجُهُ؛ الإقرار باللّسان، والقبول بالقلب، والعملُ به)(۱). وقال أيضًا: (لا يَصْلح قولٌ؛ إلاَّ بالعمل)(۲).

٢٨ - قالَ الإمامُ يحيي بن سعيد القطَّان، رحمه الله (ت ١٩٨):

(كُلُّ مَن أَدْرَكْتُ من الأَثمَّةِ كانوا يقولونَ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، ويُكفُرون الجهميَّة، ويُقدَّمون أبا بكر وعُمَرَ في الفضيلةِ والخلافة)(٣).

٢٩ ـ قالَ الإمامُ سفيان بن عُيينة، رحمه الله (ت ١٩٨ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ )(١).

وقال أيضًا: ( الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ أَخذناهُ ثَمَن قَبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَل) (°).

٣٠- وعن الإمام الحافظ الحميدي - رحمه الله - قال: سمعتُ ابن عُيننَة يقول: (الإيجانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص) فقال له أخوه إبراهيمُ بن عُينة: يا أبا محمَّد، لا تقولَنَّ: يزيدُ وينقص؛ فغضب وقال: (اسكتْ يا صبَيُّ ! بليٰ حتىٰ لا يَقيٰ منهُ شَيءٌ) (١٠).

<sup>(</sup>١) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص١٠٣٧ (١٧٤٧).

<sup>(</sup>٢) ( السُّنَّة ، عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٣٧ (٧٠٢).

<sup>(</sup>٣) وسير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٩، ص١٧٩.

<sup>(</sup>٤) وسير أعلام النبلاء ، الذهبي: ج٨، ص ٤٦٨ .

<sup>(</sup>٥) ٥ كتاب الشريعة ، الآجري: ج٢، ص١٠٤ ( ٢٣٩ ).

<sup>(</sup>٦) ه كتاب الشَّريعة ٥ الآجري: ج٢، ص٢٠٧ (٢٤٤).

٣١ - قالَ الإِمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالى (ت ٢٠٤هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصية؛ ثُمَّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمنوا إِيمانًا ﴾)(١).

وقال أَيضًا: (كان الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ من بَعدِهِم ثَمَن أَدركناهُم: أَنَّ الإِيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئ واحدٌ من الثَّلاثةِ إِلاَّ بِالآخر)(٢).

٣٢ - قالَ الإِمامُ عبدُ الرِّزاق الصَّنعانيُّ، رحمه الله (ت ٢١١ هـ):

( سَمِعتُ مُعمرًا، وسُفيانَ الثَّوري، ومالكَ بن أنس، وابن جريج، وسُفيان بن عُيينة، يقولون: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص (٣٠).

٣٣ - قالَ الإمامُ عبد الله الحميدي، رحمه الله (ت ٢١٩ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، لا يَنفعُ قولٌ إِلاَ بعملٍ، ولا عملٌ ولا عملٌ ولا عملٌ ولا قولٌ إلاَ بنيَّة، ولا قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ إلاَ بسُنَّة) (1).

٣٤ - قالَ الإمامُ أبو عُبيد القاسمُ بن سلاَّم، رحمه الله (ت ٢٢٤ هـ):

(اعلم – رحمك الله – أنَّ أهلَ العلمِ والعنايةِ بالدِّينِ افترقُوا في هذا الأَمرِ فرقتين: فقالت إحداهما: الإيمانُ بالإخلاصِ للهِ، وشهادة الأَلسنة والعَمل. وقالت الفرقةُ الأُخرى: بل الإيمان بالقُلوب والأَلسنةِ؛ فأمَّا

<sup>(</sup>١) « حلية الأولياء» الأصفهاني: ج٩، ص١١٥. والآية: ١٣١. من سورة المدثر.

<sup>(</sup>٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: جه، ص٥٦ ( ١٥٩٣).

<sup>(</sup>٣) ٥ كتاب الشَّريعة ، الآجري: ج٢، ص٧٠ ( ٢٤٤).

<sup>(</sup>٤) ﴿ أُصُولُ السُّنَّةِ ﴾ الحميدي: مطبوعة في آخر ﴿ مسنده ﴾ ج٢، ص ٤٦٥.

الأَعمالُ، فإنَّما هي تقوى وبرَّ، وليست من الإيمان. وإنَّا نَظرنا في اختلافِ الطَّائفة التي جعلت اختلافِ الطَّائفة التي جعلت الإيمانَ بالنيَّة والقولِ والعملِ جَميعًا، ويَنفيان ما قالت الأُخرىٰ)(١).

وقال أيضًا: (فلم يجعل الله للإيمان حقيقة؛ إلا بالعمل على هذه الشروط، والذي يزعم أنّه بالقول خاصة يجعله مؤمنًا حقًا، وإن لم يكن هناك عملٌ؛ فهو معاند لكتاب الله والسّنّة)(٢).

٣٥- قالَ الإمامُ الحافظُ على بن المديني، رحمه الله (ت ٢٣٤ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ على سُنَّة وإصابة ونيَّة، والإيمانُ: يزيدُ وينقص)(٢).

٣٦ - قالَ الإمامُ إِسحاق بن رَاهَويه، رحمه الله (ت ٣٣٨هـ):

(الإيمانُ يزيدُ وينقصُ؛ حتىٰ لا يَبقىٰ منه شيءً )(١٠).

٣٧ - قالَ الإمامُ أبو ثور الكلبي البغدادي، رحمه الله (ت ٢٤٠ هـ):

( الإيمانُ تَصْديقٌ بالقلب، وقولٌ باللَّسان، وعملٌ بالجوارح) (°).

٣٨- قالَ الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله (ت ٢٤١ه):

( أَجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأَثمَّة المسلمين، وأَثمَّة السَّلف،

<sup>(</sup>١) ه كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلام: ص٩. تحقيق الألباني.

<sup>(</sup>٢) ه كتاب الإيمان ، أبو عبييد القاسم بن سلام؛ ص١٨. تحقيق الألباني.

<sup>(</sup>٣) ه شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، اللالكائي: ١ / ١٨٧ (٣١٨).

<sup>(</sup>٤) والسُّنَّة والخلال: ج٤، ص١٨٠ (١٠١١).

<sup>(</sup>٥) « شرح أصول اعتقاد أهل السُنة » اللالكائي: ج١، ص٩٣٢ (١٥٩٠).

وفُقهاءِ الأَمصار؛ على أَنَّ السُّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ الله عَلِيُّة : ... فذكر أُمورًا منها: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعةِ، ويَنقصُ بالمعصيةِ )(١). وقال – أيضًا – رحمه الله:

(الإيمانُ: يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالعمل، ونُقصانه بتركِ العمل)(١).

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني: أنَّه سأَل أَبا عبد الله: الإيمانُ قولٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ وعملٌ ونيَّة ، لا بُدَّ من النيَّة – قال لي – النيَّةُ متقدِّمة ) (٣).

٣٩ - قالَ الإمامُ البخاريّ، رحمه الله (ت ٢٥٦ هـ):

(كَتبتُ عن أَلفِ نفر من العُلماءِ وزيادة، ولم أَكتب إلاَّ عمَّن قال: الإيمانُ: قَولٌ وعمل، ولم أَكتب عن من قال: الإيمان قول)(1).

وقال: (لَقيتُ أَكثرَ من أَلف رجلٍ من العلماء بالأَمصار فما رأَيتُ أَحدًا يَختلفُ في أَنَّ الإِيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص)(°).

· ٤ - قالَ الإِمامُ أَبُو زرعة الرَّازيِّ، رحمه الله (ت ٢٦٤ هـ):

( الإيمانُ عندنا قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، ومَن قال غيرَ ذلك؛ فهو مُبتدعٌ مُرجئ )(1).

<sup>(</sup>١) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ١ / ١٣٠ .

<sup>(</sup>٢) ٥ شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة ٥ اللالكائي: ج٥، ص٥٥ (١٧٩٨).

<sup>(</sup>٣) ١ السُّنَّة ١ الخلال: ج٣، ص٧٩٥ (١٠٠٢).

<sup>(</sup>٤) ٥ شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: جه، ص٥٥ (٥٩٧).

<sup>(</sup>٥) و فتح الباري و ابن حجر العسقلاني: ج١، ص٤٧.

<sup>(</sup>٦) ه طبقات الحنابلة » ابن رجب الحنبلي: ج١، ص٢٠٣.

. ٤١ - قالَ الإمامُ إسماعيل بن يحيى المزني، رحمه الله (ت ٢٦٤):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ مع اعتقادهُ بالجنانِ؛ قولٌ باللّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركانِ، وهما سيَّانِ ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما؛ لا إيمان إلاَّ بعمل، ولاَ عملُ إلاَّ بإيمانِ)(١).

٢٤ - قالَ الإمامُ أبو حاتم الرَّازيِّ، رحمه الله (ت ٢٧٧ هـ):

(مذهبنا واختيارُنا وما نعتقدُه ونَدينُ الله به ونَسأَلهُ السَّلامة في الدِّين والدُّنيا: أَنَّ الإِيمانَ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقصُ (٢٠).

٤٣ قالَ الإمامُ الحافظُ؛ أبو يوسف يعقوب بن يوسف البسوي،
 رحمه الله تعالى ( ٣٧٧٠ هـ) عن العلماء الذين حفظ عنهم الدين :

(الإيمانُ عند أهل السُنَّة: الإخلاصُ لله بالقلوبِ والألسنة والجوارح، وهو قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، على ذلك وَجَدَنا كُلَّ مَن أَدْركنا من عَصرنا بمكَّة والمدينة والشَّام والبَصرة والكوفة).

ثمَّ ذكر منهم ثلاثين ونيفًا ثمَّن أَخذَ عنهم العلم، وقال: كلُّهم يقولون: (الإيمان قولٌ وعملٌ، ويطعنون على المرجئة وينكرون قولهم)(٦).

٤٤ - قالَ الإمامُ العارفُ الزَّهدُ؛ سَهْلُ بن عبد الله التُسْتَرِيُّ، رحمه الله
 ٢٨٣ هـ) عندما سُئِلَ عن الإيمان ما هو؟:

<sup>(</sup>١) ه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٤، ص٩٣١ – ٩٣٣ ( ١٩٥٠).

<sup>(</sup>٢) ه طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي: ج١، ص٢٨٦.

<sup>(</sup>٣) ﴿ شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ﴾ اللَّالكَاثي: ج٥، ص٥٩ (١٥٩٧).

(هو قولٌ ونيَّةٌ وعملٌ وسُنَّةٌ؛ لأَنَّ الإِيمانَ إِذَا كَانَ قولاً بلا عملٍ؛ فهو كفرٌ! وإِذَا كَانَ قولاً وعملاً بلا نيَّةٍ؛ فهو نفاقٌ! وإِذَا كَانَ قولاً وعملاً ونيَّة بلا سُنَّة؛ فهو بدعةٌ (١٠).

٥٥ - قالَ الإمامُ محمَّد بن نصر المروزي، رحمه الله (ت ٢٩٤هـ):

( الإيمانُ: أَن تُؤمنَ بالله ): أَن تُوحِّدَه ، وتُصدُق به بالقلب والله الله ): أَن تُوحِّدَه ، وتُصدُق به بالقلب والله الله الله ولأمره ؛ بإعطاء العزم للأداء لما أمر ، مُجانباً للاستنكاف والاستكبار ، والمُعاندة ، فإذا فعلت ذلك لزمت محابه ، واجتنبت مساخطه ) (٢٠).

٢٦ - قالَ شيَخُ المفسّرين وعمدتهم؛ الإمامُ الجليلُ الثّبتُ الثّقةُ أبو
 جعفر محمّد بن جرير الطّبريُّ، رحمه الله تعالىٰ (ت ٣١٠هـ):

(أَمَّا القولُ في الإِيمان هل هو قولٌ وعمل، وهل يزيدُ وينقص، أَم لا زيادة فيه ولا نُقصان؟ فإنَّ الصوابَ فيه قولُ مَن قالَ: هو قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص، وبه جاء الخبرُ عن جماعة من أصحاب رسولِ اللهِ عَلَيْهُ وعليه مضىٰ أَهلُ الدِّينِ والفضل)(٢). وقال في تفسير قول الله تعالىٰ:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ﴾ نقلاً عن الحسن وقتادة : (لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل قبلَ الله منه ) ( \* ) .

<sup>(</sup>١) " الإبانة " ابن بطة : ج٢، ص١١٨ (١١١٦).

<sup>(</sup> ٢ ) « تعظيم قدر الصَّلاة » المروزي: ج١، ص٢٩٤.

<sup>(</sup>٣) ( صريح السُّنَّة ) الإمام ابن جرير الطبري: ص٢٥. تحقيق بدر بن يوسف المعتوق.

<sup>(</sup> ٤ ) ٥ تفسير الطبري ، ج ٢ ١ ، ص ١ ٢ ١ . والآية ﴿ ١ ١ ﴾ من سورة فاطر .

٧٤ - قالَ الإمامُ أبو الحسن الأشعريّ - رحمه الله - عن ما أجمع عليه أَثمَّة السّلف من الأصول (ت ٣٢٤ ه):

( وأَجْمَعُوا علىٰ أَنَّ الإِيمانَ: يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنقصُ بالمعصية ) (١٠).

٤٨ - قالَ الإمامُ القدوة البَرْبَهَارِيّ، رحمه الله (ت ٣٢٩ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ، وعملٌ وقولٌ، ونيَّةٌ وإصابة؛ يزيدُ وينقصُ، يزيدُ ما شاءَ اللهُ، ويَنقصُ حتىٰ لا يَقَىٰ منهُ شيءٌ )(١).

٩٤ - قالَ الإمامُ المحدّثُ أبو بكر الآجُرّي، رحمه الله (ت ٣٦٠ هـ):
 (اعلموا - رحمنا الله وإيّاكم - أنّ الذي عليه علماء المسلمين:

أنَّ الإيمانَ واجبٌ على جميع الخلق؛ وهو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

ثمَّ اعلموا: أَنَه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتَّصديق؛ إلاَّ أَن يكون
 معه الإيمان باللَّسان نُطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونُطْق باللَّسان؛ حتىٰ
 يكون عمل بالجوارح؛ فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمنًا.

دلَّ علىٰ ذلك القرآنُ والسُّنَّة، وقولُ علماء المسلمين)(٢).

وقال أيضًا: (فالأعمالُ - رحمكم الله - بالجوارح تصديقٌ عن الإيمان بالقلب واللّسان، فمن لم يُصدّق الإيمان بعمل جوارحه؛ مثل الطّهارة والصّلة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وأشباه هذه، ورضي

<sup>(</sup>١) ورسالة إلى أهل الثغره الأشعري: ص ٢٧٢. تحقيق عبد الله شاكر الجندي.

<sup>(</sup>٢) و شرح السُّنَّة و الإمام الحسن بن علي البربهاري: ص ٦٧. تحقيق خالد الردادي.

<sup>(</sup>٣) ه كتاب الشَّريعة ، الإمام الآجري: ج٢، ص١٦١. تحقيق د. عبد الله الدميجي.

من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تَركُهُ للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تَصديقًا منه لإيمانه، وبالله التوفيق)(١).

وقال أيضًا، رحمه الله: (اعلموا - رحمنا الله وإيًاكم - يا أهل القرآن، ويا أهل العلم بالسنن والآثار، ويا معشر من فَقَهَهُم الله تعالىٰ في الدّين بعِلْم الحَلال والحَرام: أَنَّكُم إِن تَدبَّرتُم القرآن - كما أمركُم الله تعالىٰ - علمتم أنَّ الله تعالىٰ أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العَمل، وأنَّه تعالىٰ لم يُشِ على المؤمنين بأنَّه قد رضي عنهم وأنَّهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدُّخولَ إلىٰ الجنَّة والنجاة من النَّار؛ إلاً رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدُّخولَ إلىٰ الجنَّة والنجاة من النَّار؛ إلاً بالإيمان وحده؛ حتىٰ ضمَّ إليه العمل الصَّالح.

قَرَنَ مع الإيمان العمل الصَّالح، لم يُدخلهُم الجنَّة بالإيمان وحده حتى ضمَّ إليه العملَ الصَّالح الذي وقَقهُم له، فصار الإيمانُ لا يتمُّ لأَحد حتى يكون مُصدَّقًا بقلبه، وناطِقًا بلسانه، وعاملاً بجوارحه، لا يخفىٰ علىٰ مَن تدبَّر القرآنَ وتصفَّحهُ، وَجَدَهُ كما ذكرت.

واعلموا - رحمنا الله وإيًاكم - أنّي قد تَصفَّحتُ القرآنُ فوجدتُ ما ذكرتُه في شبيه من خمسين مَوضعًا من كتاب الله تعالى، أَنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يُدخل المؤمنين الجنَّة بالإيمان وحده؛ بل أَدخلهم الجنَّة برحمته إيًاهم، وبما وقَقهم له من الإيمان والعمل الصَّالح)(٢).

<sup>(</sup>١) « كتاب الشَّريعة ٥ الإمام الآجري: ج٢، ص٢١٤ . تحقيق د. عبد الله الدميجي.

<sup>(</sup> ٢ ) « كتاب الشَّريعة » الإمام الآجري: ج٢ ، ص٦١٨. تحقيق د. عَبد الله الدميجي.

وبوَّبَ بابًا - رحمه الله - في كتابه العظيم « الشَّريعة » وسمَّاهُ:

(باب: القول: بأنَّ الإيمانَ؛ تصديقٌ بالقلب، وإقْرَارٌ باللَّسان وعَمَلٌ بالجُوارح؛ لا يكون مؤمنًا إلاَّ بأنْ تَجْتَمع فيه هذه الخِصالُ الثلاث )(١٠.

٥- قالَ الإمامُ المحدّثُ أبو عبد الله عبيد الله بن محمّد بن بطّة العكبري، رحمه الله (ت ٣٨٧ه) في كتابه العظيم (الإبانة الكبرئ):

(باب: بيان الإيمان وفرضه، وأنَّه تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنًا؛ إلاَّ بهذه الثلاث:

اعلموا - رحمكم الله - أنَّ الله - جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه - فرضَ على القلب المعرفة به، والتَّصديق له، ولرُسُلِه، وكُتُبه، وبكلً ما جاءت به السُّنَة، وعلى الألسن النُّطق بذلك، والإقرار به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح؛ العمل بكلً ما أمر به، وفرضه من الأعمال؛ لا تجزي واحدة من هذه إلا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمنًا؛ إلا جمعها كلَّها حتىٰ يكون مؤمنًا؛ إلا جمعها كلَّها يكون مؤمنًا بيجوارحه، ثمَّ لا يكون – أيضًا – مع ذلك مؤمنًا؛ حتىٰ يكون موافقًا للسُّنَة في كلٌ ما يقوله ويعمله؛ متبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله، وبكلٌ ما شرَحْتُهُ لكم نزل به القرآنُ، ومضت به السُّنَة، وأجمع عليه علماءُ الأُمَّة) (٢).

وقال أيضًا: (واعلموا - رحمكم الله - أَنَّ الله - عزُّ وجلُّ - لم يُثن

<sup>(</sup>١) «كتاب الشَّريعة » الإمام الآجري: ج٢، ص١٦. تحقيق د. عبد الله الدميجي.

<sup>(</sup> ٢ ) « الإبانة ، ابن بطة : ٢ ج، ص ٢٠٠٠ .

علىٰ المؤمنين، ولم يصف ما أعد لهم من النّعيم المقيم والنّجاة من العذاب الأليم، ولم يُخبرهم برضاه عنهم؛ إلا بالعمل الصّالح والسّعي الرّابح، وقرَنَ القولَ بالعمل، والنيّة بالإخلاص؛ حتىٰ صار اسم الإيمان مُشتملاً علىٰ المعاني الثلاثة، لا يَنفصلُ بعضُها من بعض، ولا ينفع بعضُها دون بعض؛ حتىٰ صار الإيمانُ قولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، ومعرفة بعض؛ حتىٰ صار الإيمانُ قولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، ومعرفة بالقلب؛ خلافًا لقول المرجئة الضّالة الذين زاغت قلوبهم، وتلاعبت الشّياطين بعقولهم، وذكر الله – عزّ وجلّ – ذلك كلّه في كتابه، والرّسُول عَلَيْ في سُنّتِه والرّسُول عَلَيْ في سُنتِه والرّسُول عَلْمَ في كتابه،

وقال أيضًا: (فكلٌ مَن ترك شيئًا من الفرائض التي فرضها الله عن وجلً – في كتابه، أو أكَدها رسُولُ الله عَلى في سُنتِهِ – على سبيل المحود لها والتكذيب بها – فهو كافر بيّنُ الكُفر لا يَشُكُ في ذلك عاقلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر، ومَن أقر بذلك، وقاله بلسانه؛ ثمّ تركه عقل يؤمن بالله واليوم الآخر، ومَن أقر بذلك، وقاله بلسانه؛ ثمّ تركه تهونًا ومجونًا، أو معتقدًا لرأي المرجئة ومتّبعًا لمذهبهم؛ فهو تارك الإيمان، ليس في قلبه منه قليلٌ ولا كثيرٌ، وهو في جملة المنافقين الذين نافقوا رسُولَ الله عَلى فنزل القرآن بوصفهم، وما أعد لهم، وإنّهم في الدّرك الأسفل من النّار؛ نستجير بالله من مذاهب المرجئة الضّالة) (٢٠).

وقال كذلك رحمه الله: (فقد تلوت عليكم من كتاب الله - عزًّ وجلَّ - ما يدلُّ العقلاء من المؤمنين؛ أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ، وأنَّ مَن

<sup>(</sup>١) « الإبانة » ابن بطة: ج٢، ص٧٧٩ (١٠٧٢).

<sup>(</sup>٢) « الإبانة » ابن بطة: ج٢، ص٧٦٤. (١٠٦٣).

صدَّقَ بالقولِ وتركَ العمل؛ كان مكذِّبًا وخارجًا من الإيمان، وأَنَّ الله لا يقبل قولاً إلاَّ بعمل، ولا عملاً إلاَّ بقول)(١٠).

٥ - قالَ الإمامُ الحافظُ؛ أبو بكر الإسماعيلي - رحمه الله - عن اعتقاد أَثمَة الحديث والدِّين؛ إِنَّهم كانوا يقولون (ت ٣٧١ هـ):

(إِنَّ الإِيمَانَ: قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ؛ ومَن كُثُرت طاعتُه أَزْيدُ إِيمَانًا ثَمَن هو دونه في الطَّاعة )(٢).

٥٢ - قالَ الإمامُ ابن أبي زيد القيرواني، رحمه الله (ت ٣٨٦ هـ):

(أَنَّ الإِيمَانَ: قولٌ باللَّسانِ، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح؛ يَزيدُ بزيادَة الأَعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها؛ فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكُمُلُ قولٌ إلاَّ بعمل، ولا قولٌ ولا عملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا قولٌ ولا عملٌ ولا نيَّة إلاَّ بموافقة السُنَّة، وأَنَّه لا يكفرُ أحدٌ بذنب من أهل القبلةِ)(٣).

٥٣ - قالَ الإمامُ الحافظُ ابن مندة، رحمه الله (ت ٣٩٥ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ باللّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان؛ يزيدُ ويَنقص )(1).

٤ ٥ - قالَ الإمامُ القدوةُ أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الأندلسي؛ الشهير بابن أبي زَمَنِيْن، رحمه الله (ت٣٩٩ هـ) في كتابه « أصول السُّنَّة »:

<sup>(</sup>١) والإبانة؛ ابن بطة: ج٢، ص٥٩٥ (١٠٧٤).

<sup>(</sup>٢) واعتقاد أثمَّة الحديث والإمام أبو بكر الإسماعيلي: ص٩٣.

<sup>(</sup>٣) وقطف الجني الدَّاني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيَّد القيرواني والعلاُّمة عبد المحسن العباد.

<sup>(</sup> ٤ ) و كتاب الإيمان ، الإمام ابن مندة: ج٢ ، ص ٣٤١.

( باب : «في أَنَّ الإيمان قولٌ وعمل» ومن قول أهل السُّنَّة :

إنَّ الإيمان إخلاصٌ لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح؛ على نيَّة حسنة، وإصابة السُّنَّة... والإيمان بالله هو باللِّسان والقلب، ويُصَدِّقُ ذلك العمل؛ فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلاً بصاحبه.

باب: «في تمام الإيمان وزيادته ونقصانه» ومن قول أهل السُّنَّة:

إِنَّ الإِيمَانَ درجَاتٌ ومنازلُ؛ يتمُّ وينريلُ ويَنقَص، ولو لا ذلك لاستوى النَّاس فيه، ولم يكن للسَّابق فضلٌ على المسبوق )(١).

٥٥ - قالَ الإمامُ إسماعيل الصَّابونيِّ، رحمه الله (ت ٤٤٩ هـ):

ومن مَذهب أهلِ الحديث: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ومعرفة؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)(١).

٥٦ قالَ الحافظُ المحدِّثُ الفقيه العلاَّمة؛ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطَّال القرطبي المالكي، رحمه الله ( ٤٤٩ هـ):

(مذهبُ جماعة أَهلِ السُّنَّةِ من سَلَفِ الأُمَّةِ وخلفها: أَنَّ الإِيمانَ قولٌ وعمل؛ يزيدُ وينقص، والحُجَّةُ على زيادته ونُقصانهِ ما أورَدَه البخاري من كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيانُ ذلك أَنَّه مَن لم تحصل له بذلك الزيادةُ؛ فإيمانه أَنقص من إيمان مَن حصلت له )(٢).

<sup>(</sup>١) « أصول السُّنَّة » الإمام ابن أبي زمنين: ص٢٠٧ - ٢١١. « مكتبة الغرباء الآثرية ».

<sup>(</sup> ٢ ) « عقيدة السلف » الإمام الصابوني: ص ٢٦٤. « دار العاصمة ».

<sup>(</sup>٣) « شرح صحيح البخاري » ابن بطال: ج١، ص٥٥. «مكتبة الرشد ».

٥٧ - قالَ الحافظُ الحليميِّ البخاريِّ، رحمه الله (ت ٢٠٣ هـ):

(الإيمان بالله: إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له: القبول عنه والطَّاعة له. والإيمان بالنَّبِيِّ: إثباته والاعتراف بنُبُوَّته، والإيمان للنَّبِيِّ موافقته والطَّاعة له... ومن هذا الوجه الذي بيَّناه أوجبنا أن تكون الطَّاعاتُ كلُّها - فرائضها ونوافلها - إيمانًا...

وكذلك الإيمان الله ولرسُوله عَلَيُّ ينقسم إلىٰ جَلِيٌّ وخَفِيٌّ:

فالحَفيُّ منه هو: النيَّاتُ والعزائم التي لا تجوز العبادات إلاَّ بها...

والجلِيُّ: ما يقام بالجوارح إقامةً ظاهرة، وهو عِدَّةُ أُمورِ منها: الطَّهارة، والصَّيام، والجهاد في سبيل الله...

وهمًا يدلُّ على أَنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقص؛ قول النَّبِيِّ عَلَيْ للنَّساء: «إِنَّكُنَّ نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينِ » (().

٥٨ - قالَ القاضي أبو يعلى الفرَّاء (ت ٤٥٨ هـ) - رحمه الله - عن تعريف الإيمان الشَّرعي:

(وأمًّا حدُّه في الشرعِ فهو جميع الطاعاتِ الباطنةِ والظاهرة؛ فالباطنةُ أَعمالُ القلب، وهو تصديقُ القلب، والظاهرةُ هي أَفعالُ البدنِ الواجبات والمندوبات (٢٠).

<sup>(</sup>١) «المنهاج في شعب الإيمان ، الحافظ الحليمي البخاري: ج١، ص٠٤ - ٦٣.

<sup>(</sup>٢) ومسائل الإيمان ، القاضي أبو يعلى: ص٢٥١. و دار العاصمة ، .

٥٩ - قالَ الحافظُ البيهقيّ، رحمه الله (ت ٤٥٨ هـ):

(إِنَّ الإِيمَانَ يزيدُ وينقص، وإذا قبلَ الزيادة قبلَ النقص) (١٠٠

• ٦- قالَ الحافظُ؛ أبو عمر بن عبد البر، وحمه الله (ت ٢٦٠ هـ):

(أَجْمَعَ أَهْلُ الفقهِ وَالحَديثِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمانَ قَولٌ وَعَمَل، وَلا عَمَلَ إِلاَّ بنيَّة، والإِيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمعْصيةِ، والطَّاعَاتُ كُلُها عِنْدَهُمْ إِيمان )(٢).

١٦ - قالَ الإِمامُ الحافظُ البغويّ، رحمه الله (ت ١٦٥ هـ):

(اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون، فمن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ؛ علىٰ أَنَّ الأَعمالَ من الإِيمان؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؛ فجعلَ الأَعمالَ كلَّها إِيمانًا، وكما نطق به حديثُ أبى هريرة.

وقالوا: إِنَّ الإِيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدةٌ؛ يزيدُ بالطاعة، ويَنقُصُ بالمعصية؛ على ما نطق به القرآنُ في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء... واتفَقُوا: على تفاضُل أَهلِ الإيمانِ في الإيمان، وتباينهم في درجاته)(").

وقال - رحمه الله تعالى - أيضًا: (والتَّصديق والعمل: يتناولهما المي الله الله عليه قوله سبحانه وتعالى:

<sup>(</sup>١) « الاعتقاد » الإمام البيهقي: ص١١٥. باب: « القول في الإيمان ».

<sup>(</sup> ٢ ) « التمهيد » الإمام ابن عبد البر: ج٩ ، ص ٢٣٨ .

<sup>(</sup>٣) اشرح السُّنَّة الإمام البغوي: ج١، ص٢٨ - ١٠.

﴿ إِنَّ الدِينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ وقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

فأَخبرَ أَنَّ الدِّينَ الذي رضِيَهُ، ويقبلُه مِن عبادِه؛ هو الإسلام، ولن يكون الدِّينُ في محل القبول والرَّضا؛ إلاَّ مانضمام التَّصديق إلىٰ العمل!)(١).

٢٢ - قالَ الإمامُ قِوَامُ السُّنَّةِ الأصفهانيّ، رحمه الله (ت ٥٣٥ هـ):

(الإيمانُ في الشَّرعِ عبارةٌ عن جميع الطَّاعاتِ الظَّاهرةِ والباطنة)(1).

وقال أيضًا: (قال علماءُ السَّلف: . . . الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة ؛ يَزيدُ ويَنقص؛ زيادَتُه البِرُّ والتقوى، ونُقصانُه الفسوقُ والفجور)(٣) .

٦٣ - قالَ الشَّيخُ عبد القادر الجيلانيّ، رحمه الله (ت ٥٦١ هـ):

( ونَعتقدُ أَنَّ الإِيمانَ: قولٌ باللَّسان، ومَعرفةٌ بالجنان، وعَملٌ بالأَركان) ( ) . بالأَركان ( ) .

٦٤ قالَ الحافظُ عبد الغني المقدسي، رحمه الله (ت ٦٠٠ هـ):
 (الإيمانُ: قولٌ وعملٌ ونيَة؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقصُ بالمعصية)(٥٠).

<sup>(</sup>١) وشرح السُّنَّة ، الإمام البغوي: ج١، ص١٠.

<sup>(</sup>٢) والحجة في بيان المحجة ، : ج١، ص٣٠٦.

<sup>(</sup>٣) والحجة في بيان المحجة ، ح٢، ص٢٦٢ - ٢٦٤.

<sup>(</sup>٤) والغنية لطالبي طريق الحق والجيلاني: ج١، ص٦٢. ودار الألباب و دمشق.

<sup>(</sup> ٥ ) و الإقتصاد في الاعتقاد و الإمام المقدسي: ص١٨٢. تحقيق د. أحمد الغامدي.

٥٠ - قالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيِّ، رحمه الله (ت ٢٠٠ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ باللِّسان، وعملٌ بالأَركان، وعقدٌ بالجنان؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان) (١٠).

٦٦- قالَ الإمامُ النوويِّ، رحمه الله (ت ٦٧٦ هـ):

(قال عبد الرزاق: سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا:

سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، يقولون:

الإيمانُ قولٌ وعمل؛ يَزيد ويَنقص.

وهذا قولُ ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك.

فالمعنى الذي يَستحقُّ به العبدُ المدحَ والولايةَ من المؤمنين؛ هو إتيانه بهذه الأُمور الثلاثة:

التَّصديقُ بالقلب، والإقرارُ باللِّسان، والعملُ بالجوارح)(٢).

وقال أيضًا رحمه الله:

(إِنَّ الطاعات تُسمَّىٰ إِيمانًا ودينًا، وإِذا ثبتَ هذا علمنا أَنَّ مَن كَثُرت عبادتُه؛ زادَ إيمانُه ودينُه، ومَن نقصت عبادتُه؛ نقص دينه (٣).

<sup>(</sup>١) «لُمعة الاعتقاد»: ص٣٣. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، رحمه الله «مكتبة دار البيان».

<sup>(</sup>٢) « شرح صحيح مسلم » النووي: ج١، ص١٤٦.

<sup>(</sup> ٢ ) « شرح صحيح مسلم » النووي: ج٢ ، ص٦٨ .

٦٧ - قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ):

( ومن أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ والإيمانَ ؛ قولٌ وعملٌ.

قولُ القلبِ واللّسانِ، وعملُ القلبِ واللّسانِ والجوارحِ، وأَنَّ الإِيمانَ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ ) (١٠).

وقال أيضًا: (ولهذا كان القولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ - عند أهل السُنَّة - من شعائر السُنَّة، وحكىٰ غيرُ واحدِ الإجماعَ علىٰ ذلك )(٢).

٦٨ – قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيّم، رحمه الله (ت ٧٥١ هـ):

(حقيقةُ الإيمانِ مُركَّبَةٌ: من قول وعمل.

والقولُ قسمان: قولُ القلب، وهو الاعتقادُ، وقولُ اللَّسان، وهو التكلُّمُ بكلمةِ الإسلام.

والعملُ قسمان: عملُ القلب، وهو نيَّته وإخلاصُه، وعملُ الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأَربعة، زال الإيمانُ بكماله، وإذا زال تصديقُ القلب، لم تنفع بقيَّة الأَجزاء)(٢).

٩ - قالَ الإمامُ الحافظُ المفسرُ العلاَمةُ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن
 كثير، رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ) في تفسير الآية ﴿ ٢ ﴾ من سورة الأنفال :

( وقد استدلَّ البخاري وغيرُه من الأُئمَّة بهذه الآية وأشباهها ؛ علي

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي، : ج٣، ص١٥١.

<sup>(</sup>٢) ومجموع الفتاوي ٥: ج٧، ص٣٠٨.

<sup>(</sup>٣) ٥ كتاب الصلاة وحكم تاركها ٥: ص٥٥. فصل: ٥ في الحكم بين الفريقين ٥.

زيادة الإيمان وتفاضُلِه في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأُمَّة؛ بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأَئمَّة؛ كالشَّافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيَّنَا ذلك مستقصى في أُوَّلِ شَرِح البخاري، ولله الحمد والنَّة).

وقال - أيضًا - في تفسير الآية ﴿ ١٢٤ ﴾ من سورة التوبة:

(وهذه الآيةُ: من أكبر الدلائل علىٰ أنَّ الإيمانَ؛ يزيدُ وينقص، كما هو مذهبُ أكثر السَّلف والخلف من أثمَّة العلماء؛ بل قد حكىٰ غيرُ واحد الإجماعَ علىٰ ذلك، وقد بسط الكلام علىٰ هذه المسألة في أوَّل شرح البخاري، رحمه الله).

٠٧- قالَ العلاَّمةُ ابن أبي العزِّ الحنفيِّ، رحمه الله (ت ٧٩٢ هـ):

(اختلف النَّاسُ فيما يقع عليه اسمُ الإِيمانِ اختلافًا كثيرًا: فذهب مالك، والشَّافعي، وأحمد، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وسائرُ أهلِ الحديث، وأهلُ المدينة - رحمهم الله - وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلِّمين: إلى أنَّه تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللَّسان وعملٌ بالأركان)(١).

٧١ - قالَ الإمامُ الحافظ؛ أبو الفرج ابن رجب الحنبليّ الدّمشقيّ، رحمه الله (ت ٧٩٥ هـ) في شرح حديث النّبيّ عَلِيلةً:

« اللَّهُمَّ زيِّنا بزينَةِ الإِيمان ، واجعلنا هُداةً مُهْتَدين » (``).

<sup>(</sup> ١ ) « شرح العقيدة الطحاوية »: ج٢ ، ص٩ ٥ ٤ ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه النسائي في ( كتاب السهو ) باب : « الدعاء بعد الذكر ، وصحَّحه الألباني .

قال: (أَمَّا زينةُ الإِيمان؛ فالإِيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ فزينةُ الإِيمان تَشملُ زينة القلب بتحقيق الإِيمان له، وزينة اللسان بأقوال الإيمان، وزينة الجوارح بأعمال الإيمان)(١).

وقال في شرحه لقول الإمام البخاري: ( الإيمانُ: قولٌ وعملٌ):

( وأَكثرُ العلماءِ قالوا: هو قولٌ وعملٌ. وهذا كلُّه إجماعٌ من السَّلفِ وعلماءِ أَهلِ الحديث. وقد حكى الشَّافعيُ إجماعَ الصَّحابة والتَّابعين عليه، وحكى أبو ثور الإجماعَ عليه أيضًا، وقال الأوزاعيُّ: كان مَن مضىٰ كَمَن سلفَ لا يفرِّقون بينَ الإيمان والعمل.

وحكاه غيرُ واحدٍ من سلف العلماء عن أهل السُّنَّة والجماعة.

و ثمن حكى ذلك عن أهل السُّنَّة والجماعة: الفضيلُ بن عياض، ووكيع بن الجراح.

وهمن رُوي عنه أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ: الحسنُ، وسعيدُ بن جبير، وعمر بن عبد العزيز، وعطاءٌ، وطاوس، ومجاهد، والشَّعبي، والنخعي، والزُّهري، وهو قولُ الثوريّ، والأوزاعيّ، وابن المبارك، ومالك، والشَّافعيّ، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي ثور، وغيرهم...). وقال – أيضًا – رحمه الله:

(زيادةُ الإِيمانِ ونُقصانُهُ: قولُ جمهور العلماء)(١).

<sup>(</sup> ٢ ) « فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن رجب الحنبلي : ج ١ ، ص ٥ - ٨ ، مكتبة الغرباء » .

٧٢ - قالَ العلاَّمةُ السَّفارينيِّ، رحمه الله (ت ١١٨٨ هـ):

(الذي اعتمدَه أَنَمَّةُ الأَثرِ وعلماءُ السَّلف: أَنَّ الإِيمانَ: تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالأَركان؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان، وإلاَّ فمجرَّدُ تصديق القلب من غير إقرار باللِّسان لا يحصلُ به الإيمان؛ فإنَّ إبليسَ لا يُسمَى مؤمنًا بالله، وإن كان مُصدِّقًا بوجوده ورُبوبيَّه) (١).

٧٣ - قالَ شيخُ الإسلام المجدد العلاَّمةُ؛ محمَّد بن عبد الوهاب التَّميمي، رحمه الله (ت ١٢٠٦ه):

( لا خِلافَ أَنَّ التَّوحيدَ لا بُدَّ أَن يكونَ بالقلب، واللِّسان، والعملِ: فإن اخْتَلَّ شَيءٌ من هذا؛ لم يكن الرَّجلُ مُسْلِمًا: فإن عرفَ التَّوحيد، ولم يعمل به؛ فهو كافرٌ معاندٌ؛ كفرعون، وإبْليس، وأمثالهما)(٢).

وقال - أيضًا - رحمه الله: ( اعلم - رحمك الله - أنَّ دينَ الله:

يكون على القلب بالاعتقاد، وبالحبِّ والبُغض.

ويكون على اللِّسان بالنُّطق، وترك النُّطق بالكفر.

ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام، وترك الأفعال التي تكفّر؛ فإذا اختل واحدةٌ من هذه الثَّلاث: كَفَرَ وارتد ("").

<sup>(</sup>١) « شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد » السفاريني: ج٢، ص٢١٨.

<sup>(</sup> ٢ ) « كشف الشبهات »: ص ٩٨ . تحقيق عبد الله القحطاني .

<sup>(</sup>٣) « الدُّرر السُّنية في الأجوبة النجدية » جمع: عبد الرحمن القاسم: ج. ١، ص٨٧.

٧٤ قالَ علاَّمةُ العراقِ؛ أبو الفضل شهاب الدِّين محمود الآلوسيِّ،
 رحمه الله (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيَّانًا وَعَلَىٰ رَبُهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١):

(وهذا أَحدُ أَدلَّةِ مَن ذهبَ إِلَىٰ أَنَّ الإِيمانَ يقبلُ الزيادةَ والنقص.

وهو مذهب الجمّ الغفير من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين، وبه أقول لكثرة الظواهر الدالّة على ذلك من الكتاب والسُنّة من غير مُعارض لها عقلاً؛ بل قد احتج عليه بعضهم بالعقل – أيضًا – وذلك أنّه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان؛ لكان إيمان آحاد الأُمّة؛ بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة – عليهم الصّلاة والسّلام – واللازمُ باطلٌ؛ فكذا الملزوم)(٢).

٧٥ - قالَ العلاَّمةُ السيِّد؛ أبو الطيب صديق حسن خان القنوجيِّ البخاريِّ، رحمه الله (ت ١٣٠٧ ه):

( إِنَّ الإِيمَانَ الشُّرعيُّ المطلوبَ لا يكون إلاَّ اعتقادًا وقولاً وعملاً:

هكذا ذهبَ إليه أكثرُ الأَئمَّةِ؛ بل قد حكاه الشَّافعي، وأحمد، وأبو عبيد، وغيرُ واحدٍ؛ إجماعًا أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعمل)(٣).

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٢) وروح المعاني؛ الآلوسي: ج٥، ص١٦٥.

<sup>(</sup>٣) ه بغية الرائد في شرح العقائد ، القنوجي: ص٤٤ . الطبعة الهندية .

٧٦ - قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، رحمه الله (ت ١٣٧٦ هـ) في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّهِ ﴾ (١).

(وفي هذا دليلٌ على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السَّلفُ الصَّالح، ويدلُ عليه قوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمانًا ﴾ ، ﴿ وإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمانًا ﴾ ويدلُ عليه - أيضًا - الواقع.

فإنَّ الإيمانَ: قولُ القلب واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأُمور أعظم تفاوت).

٧٧ - قالَ العلاَّمةُ حافظ الحكميِّ، رحمه الله (ت ١٣٧٧ هـ):

(الإيمان: قولٌ وعملٌ؛ قولُ القلب واللّسان، وعملُ القلب واللّسان واللّسان وعملُ القلب واللّسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه (٢).

٧٨ – قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ؛ محمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله (ت ١٣٨٩ هـ) في شرحه لكتاب «كشف الشُّبهات»:

(بل الإجماع بين أهل العلم: أنَّ التَّوحيدَ لا بُدَّ أن يكون: بالقلب واللِّسان والعمل؛ فلا بُدَّ من الثَّلاثة؛ لا بُدَّ أن يكون هو المعتقد في قلبه، ولا بُدَّ أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بُدَّ أن يكون هو الذي

٧٦) سورة مريم، الآية: ٧٦.

<sup>(</sup> ٢ ) « أعلام السُّنَّة المنشورة لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ): ص ( ٤٥ ) تحقيق أحمد الرشد .

تعمل به جوارحه؛ فإن اختل شيءٌ من هذا، لو وحّد بلِسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحّد بأركانه دون الباقي؛ لم يكن الرّجُلُ مُسْلِمًا. هذا إجماع أن الإنسان لا بُدّ أن يكون مُورَحّدًا؛ باعتقاده ولسانه وعمله (١٠).

٧٩- قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ المفسِّر الأُصوليِّ؛ محمَّد الأَمين بن محمَّد الخَتارَ الجُكني الشَّنقيطيِّ، رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ):

(إِنَّ الحقَّ الذي لا شكَّ فيه الذي: هو مَذهبُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة أَنَّ الإيمانَ ؛ شاملٌ للقولِ والعملِ مع الاعتقاد، وذلك ثابتٌ في أحاديث صحيحة كثيرة (٢٠).

٨٠ قالَ الشَّيخُ العلاَّمة الفقيه المحدَّثُ؛ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
 رحمه الله (ت ١٤٢٠هـ):

(ومعلومٌ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ.

ولأَهلِ السُّنَّة عبارةٌ أُخرى في هذا الباب، وهي أنَّ الإيمانَ:

قول وعمل واعتقاد ؛ يزيد بالطّاعات، وينقص بالمعاصي، وكلتا العبارتين صحيحتان : فهو قول وعمل، يعني قول القلب واللّسان، وعمل القلب والجوارح، وهو قول وعمل واعتقاد ؛ قول باللّسان، وعمل بالجوارح، واعتقاد بالقلب ؛ فالجهاد في سبيل الله، والصّلاة،

<sup>(</sup>١) ه شرح كتاب كشف الشبهات ٥: ص١٢٦. جمع: محمد بن عبد الرحمن القاسم.

<sup>(</sup>٢) ٥ أضواء البيان ، الشنقيطي: ج٧، ص٢٠١.

والزّكاة، والصّيام، والحجُّ، وسائِرُ الأَعمال المشروعة؛ كلُّها أَعمالٌ خيرية، وهي من شُعبِ الإيمان؛ التي يزيدُ بها الإيمانُ، وينقص بنقصها، عند أَهل السُّنَّة والجماعة)(١).

٨١ - قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ الفقيه؛ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمه الله تعالىٰ (ت ١٤٢١ه):

(الإيمانُ عندَ أَهلِ السُّنَةِ والجماعةِ هو: الإقرار بالقلب، والنطق باللِّسان، والعمل بالجوارح؛ فهو يتضمَّن الأُمورَ الثَّلاثة: إقرار بالقلب، ونطق باللَّسان، وعمل بالجوارح. وإذا كان كذلك؛ فإنَّه سوف يزيدُ وينقص)(٢).

٨٢ - قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ الفقيه؛ عبدُ الله بن عبد الرَّحمن الجبرين، رحمه الله تعالى (ت ١٤٣٠هـ):

(من أصول أهل السنّنة: القول في الإيمان؛ لأنَّ الإيمانَ والدّين قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، وأنَّها كلَّها داخلةٌ في الدِّين وفي الإيمان، فالإيمان: قولٌ باللّسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان؛ يزيدُ بالطّاعة، وينقصُ بالعُصيان، وأنَّ الأعمال من مُسمَّى الإيمان؛ الأعمال التي هي العبادات داخلة في الإيمان... الإيمان شرعًا هو: القولٌ باللّسان؛ كالنطق بالشّهادتين والأذكار. والاعتقادٌ بالجنان؛ كاعتقاد وحدانية الله والتّصديق بأسمائه وصفاته واعتقاد الجزاء على الأعمال، واعتقاد

<sup>(</sup>١) «مجموع فتاوي ومقالات متنوعة »: ج٥، ص ٣٥.

<sup>(</sup> ۲ ) « مجموع فتاوي ورسائل » : ج۱ ، ص ۶۹ .

البعث والنشور، وما أشبهه. والعمل بالأركان؛ كالركوع، والسجود، والطواف بالبيت، والصَّلاة، والجهاد)(١).

هذا غيضٌ من فيض! من قولِ أَثمَّةِ السَّلفِ الصَّالحِ – أَهل السَّنَّة والجماعة – المعتبرين؛ سلفًا وخلفًا، وقولهم واحد هو:

أَنَّ الإيمانَ: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والقُرباتِ، وينقصُ بالمعاصي والغفلةِ، لا قولَ لهم غيره؛ بل أجمعوا علىٰ ذلك قديمًا، ومَن نسبَ إليهم خلاف ذلك؛ فقد أخطأ! أو تَقَوَّلَ عليهم، وجهلَ مذهبهم، ونسب إليهم ما لم يقولوه ألبَتَّة.

وعلى هذه العقيدة الحقّة؛ توفّي الرَّسُولُ عَلَيْ وعلى هذا المنهج كان جميع الصَّحابة الكرام والتَّابعين العظام، ومَن تَبِعَهم بإحسان: من المحدُّثين، والمقهاء، وجميع أئمَّة الدِّين، ولم يخالفهم أحدٌ من السَّلفِ والحلفِ؛ إلاَّ الذين مالوا عن الحقّ في هذا الأمر، وجانبوا الصَّواب والتَّوفيق.

والآثارُ عن أَثمَّةِ السَّلفِ في مُسَمَّىٰ الإيمانِ وحقيقتِهِ كثيرةٌ جدًّا، لا يمكن حَصرُها هنا، وقد قالَ بهذا القولِ - أيضًا - خلقٌ كثير من أَثمَّة أهل السُّنَّة والجماعة غير الذين ذكرناهم.

فمن أراد البسط والإحاطة في معرفة أقوالهم في هذا الباب؛ فعليه مراجعة مصنّفاتهم وكُتُبِ أَثمَّتهم، وخُصوصًا كُتب العقيدة المسندة، وهي كثيرة جدًا، وقد ذكرنا بعضًا منها في نهاية هذا الكتاب.

<sup>(</sup>١) « التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية ٤: ج٢، ص١٧٤ – ١٧٧.

## الاستثناء في الإيمان

ومن مُمَيِّزاتِ أُصولِ العقيدةِ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، والتي تُميِّزهم عن عُمل الأهواءِ والبِدَع، والفِرَقِ الضَّالَّةِ:

- أنَّهم يَرونَ جوازَ الاستثناءِ في الإيمانِ في أحوالِ فعلاً وتركًا، استحبابًا لا إيجابًا ولكنَّ الاستثناءَ عندهم أوَّليْ من عدمِهِ؛ لما في الإطلاقِ من تزكيةِ للنَّفس؛ بإيهامه أنَّه مستكمل للإيمان.
- ولا يرون الاستثناء على وجه الشَّكِّ؛ لأنَّ الشَّاكَّ في إيمانِهِ لم يَعُدُ مؤمنًا.
  - ويكرهون السُّؤال عن الإيمان، ويرونه بدعة.

وذهبَ إِلَىٰ هذا القولِ: جمهورُ أَثمَّتهم من السَّلف والخلف.

وصيغة الاستثناء: قولُ الْمُسلم عن نفسه إذا سُئِلَ: (أمؤمن أنت؟) فيقول بإجابة ليس فيها ما يُوهِمُ الجزم، والقطع بكمال الإيمان:

(أَنا مؤمنٌ إِن شَاءَ الله) أو (آمنت بالله) أو (أَرجو...) أو نحو ذلك من الصِّيع؛ لأنَّ العبدَ المُسلم الذي يعتقدُ ويقول:

إِنَّ الْإِيمَانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقُصُ؛ ينبغي عليه إِذا قال:

(أَنَا مؤمنٌ) أَن يستثني؛ لأَجل تجنب تزكية نفسه، بما يوهم استكماله للإيمان؛ لأَنَّ الله - سبحانهُ وتعالىٰ - يقول:

## ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (١).

فإذا قال المسلم: أنا مؤمن ! فقد شهد لنفسه بأنَّهُ من المتقينَ الأبرار القائمن بفعل جميع ما أمروا به، وترك مانهوا عنه على أتم حاله!

لأَنَّ المسلمُ الصَّادق؛ مهما بَلَغَ أمره من الالْتزام، ومن فعلِ الطَّاعاتِ والقُرباتِ والواجباتِ، ومن تركِ جميعِ الحرَّمات؛ لا يستطيع أن يَجزمَ بأنَّ معه كمالَ الإيمان؛ لأَنَّه لايستطيع أن يَجزم بأنَّه أتى بجميع ما يُطلَب منه من أعمالُ الشَّرعيَّة، أو هل قُبِلَت هذه الأعمالُ! أم لا؟ ولعلَّ هناك أُمورًا خَفِيَتْ علىٰ العبد يُحْبَطُ بها عَمَلُه! وهو لا يدري.

وعدم الاستثناء؛ يتضمَّنُ أَنَّ العبد فَعَلَ جميع ما أُمِر به من قِبلِ الشَّارع، أَو زاد على ذلك من المستَّحبات، وإن جزم بذلك! فقد زكَّىٰ نفسه، وشهد لنفسه الجنَّة إن مات على هذا الحال، وهذا قولٌ بغير علم.

لأَنَّ الإيمانَ المطلَق؛ شاملٌ للاعتقادات، والأقوال، والأعمال الظَّاهرة والباطنة؛ فالاستثناء واردٌ - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - على الإيمانِ المطلق، أو حقيقة الإيمان.

وأَمَّا تركُ الاستثناء؛ فإِنَّهُ واردٌ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - على مطلق الإيمان؛ الذي هو حدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الكُفر والإيمان، أي أصلُ الإيمان دون كماله، والدخول فيه دون تمامه؛ كما يقولُ المسلم:

(أَنَا حَاجٌ، وَصَائِمٌ، أَو مُتَصِدِّقٌ..) لمن شَرَعَ في ذلك.

وكما يُطْلِقُهُ في قوله: (آمنتُ بالله ورسوله).

<sup>(</sup>١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

وقد حكى الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز؛ عن بعضِ المؤمنين؛ الذين أَثبتوا الإيمانَ لأَنفُسِهِم بلا استثناءٍ، قال الله تعالى حكايةً عنهم:

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رَبُّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبُّكُمْ فَآمَنًا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ (٧٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (1).

وأَهْلُ السُّنَّةِ وِالْجَمَاعَةِ:

يَرونَ الاستثناءَ في الإيمان؛ لشدّة خوفهم من الله - تبارك وتعالى - وإثباتًا لأقدارِه سبحانه، ونفيًا لتزكية أنفسهم الضّعيفة؛ لا شكًّا فيما يجبُ عليهم الإيمانُ به! ولكن خوفًا أن لا يكونوا قد قامُوا بحقائقه، ورجاءَ أن يأتُوا بواجباته وكمالاته.

وعليه فهم! يمنعون الاستثناء بشدة؛ إذا كان على وجه الشَّكُّ في

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٦. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

<sup>(</sup>٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.

الإيمان؛ لأنَّ الشكَّ في ذلك كُفرٌ؛ بل يقصُدُونَ من ذلك: نفي الشَّكِّ في إِيمانهم من جهةٍ، وعدمَ الجزمِ بكمالِهِ من جهةٍ أُخرى، وذلك لعدم تزكيتهم لأنفسهم.

ولاَنَّ الإيمانَ النَّافعَ هو المتقبَّلُ عندَ اللهِ تعالىٰ، إِذ أَنَّ مَن قام بالعمل الصَّالح وأتىٰ به، أو بجميع الواجبات؛ لا يدري هل يُقبَلُ منهُ عملُه هذا أم لا؟ فالاستثناءُ هنا معناهُ عدمُ العلمِ بالعاقبة، والخوف من تغيِّر الحال، وبما يُختمُ للعبد؛ فلا يدري أهو من المقبولينَ، أم من المحرومين؟

ولذا فأهلُ السُّنَّة والجماعة تراهُم: قلِقينَ وخائفينَ في هذا الشَّانِ؟ خشية عدم قبول أعمالهم؛ فهمُ يتقلَّبونَ بين الحوفِ والرَّجاءِ؛ طامعين في رحمةِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - وَجلِينَ من سَخَطِه.

قال الله تعالىٰ في وَصْفِ المؤمنين المتَّقين الصَّادقين: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبُهِمْ رَاجِعُون ﴾(١).

فأَهْلُ السُّنَّةِ والْجَماعَةِ:

لا يجزمون لأنفسيهم بالإيمان المطلق؛ الذي يشمل فعل جميع الطّاعات، وترك جميع المنهيّات، ولَنْ يستطيع أحدٌ من المسلمين – كائنًا من كان – أن يدّعي لنفسه أنّه جاء بذلك كله على التّمام والكمال، وإن قال! فقد شهد لنفسه بأنّه من الأبرار المتّقين، وأولياء الله الصّالحين! وضمين لنفسه دخول الجنّة ابتداء، وهذا من التألي على الله تبارك وتعالى – والعياذ بالله – ولا يقولها مسلم عاقل.

<sup>(</sup>١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

فهُم: بَعِيدُونَ كُلُّ البُعد عِن تزكيةِ أَنفسهِم، ولا أَعظمَ للنَّفْسِ تزكيةً وراء الشَّهادة لها بالإيمان الشَّامل لكلِّ شُعبِه؛ بتَمامِه وكمالِه!

وقد وصف الله المؤمنين الصَّادقين المتَّقين حقًّا، في قوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ السَّلَاةَ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ لَلْصَلَاةَ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

وأَهْلُ السُّنَّةِ وِالْجَمَاعَةِ:

من فقهِهِم في الدِّينِ، وحكمتِهِم في التَّعامُلِ مع صفاتِ رَبِّهم - عزَّ وجلَّ - وتأدُّبهم مع اللهِ - جلَّ وعلا - يُعلَّقُون الأُمورَ كلَّها - حتى المُتيَقِّنَ منها - بمشيئتِه سبحانه وتعالىٰ.

- وهم يفضّلونَ الاستثناءَ، ولم يوجُبوه؛ مخافةً واحْتِياطًا، أَن لا يكونُوا قد كَمَّلُوا الأَعمالَ، وأتَوْا بها على وجْهِها المطلوبِ، ولِمَا في تَرْكِهِ من الإيهام بتزكيةِ النَّفس، والشَّهادةِ لها بالكمال.
- ويكرهون تركه، ولم يُحرِّموه؛ وأجازُوه على معنىٰ الدُّخول في
   أصل الإيمان، لا على كماله.

فهم يجوزُونَ الأمرين؛ لعدم ورود الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة على التحريم، أو الوجوب، والله تعالى أعلم.

 <sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

#### وأَهْلُ السُّنَّةِ وِالْجَمَاعَةِ:

يكرهُونَ سُوَالَ الْمُسلَم لأَخاهُ المسلم: (أَمؤمنَّ أَنتَ؟) ويكرهُون الجوابَ أَيضًا، ويرونَ أَنَّ هذا السؤالَ بدعةٌ أَحدَثَهَا أَهلُ البِدَعِ من المُرْجِعَةِ؛ ليحْتجُوا بها على قولهم في الإيمان: إِنَّه التَّصديقُ أَو القولُ، وإِنَّ العملَ ليس من مُسمَّى الإيمان؛ خلافًا لعقيدةِ السَّلفِ الصَّالح.

وإذا أجابوا عن السؤال مع الكراهيَّة؛ فيكرهُونَ جَوَابَ إطلاقِ الإيمان؛ إلاَّ أَن يُقَيَّدَ؛ فَيُقْرَنُ بما يفهمُ منه أن قصدهم ليس قصد أهل الأهواء والبدع: أنَّ الإيمانَ مجردُ قول! بل يقصدون: نَفْيَ الشَّكُ في إيمانهم من جهة، وعدمَ الجزم بكمالِه من جهة أخرى.

- والآدلَّةُ على جوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ؛ كثيرةٌ في كتابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهُ، وأصحابه الكرام، والتَّابعين العِظامِ، ومَن تبعهم بإحسان، وآثار السَّلفِ الصَّالح، وأقوال الأَثمَّةِ، والعلماء، منها:
- قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُون ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١).

وقولُه تعالىٰ: ﴿ وَلا تَقُولَنَ لِشَيْءِ إِنِّي فَاعِلَّ ذَلِكَ غَدًا ﴿ آَنَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [اللهُ وَاذْكُر رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣ – ٢٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِهُ، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا » (٢٠).

وكانَ النَّبِيُّ عَلِيلُهُ يقولُ حينَ يدخلُ المقبرة:

« السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَآتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ؛ اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ، ('').

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِى اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهُ يَسْتَفْتِيه - وَهِي تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! تُدْرِكُنِي الصَّلاةُ، وَأَنَا جُنُبٌ أَفَاصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلِيْكُ: « وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاةُ ! وَأَنَا جُنُبٌ أَفَاصُومُ » فقالَ : لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَفَرَ اللهُ لَكُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَاخَرً! فَقَالَ : لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَفَرَ اللهُ لَكُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَاخَرً! فَقَالَ عَلِيْكَ :

« وَاللَّهِ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ للَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتْقَىٰ ('').

<sup>(</sup>١) سورة التوية، الآية: ١٠٦.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ( اختباء النبي عَلَيْ دعوة الشفاعة لأُمته ) .

<sup>(</sup>٣) « رواه مسلم » في (كتاب الجنائز) باب « ما يقال عند دخول القبور والدعاء الأهلها » .

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب الصيام) باب الصحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ١٠.

• وقالَ أَميرُ المؤمنينَ؛ عمرُ بن الخطاب، رضى الله عنه:

( مَنْ قَالَ أَنَا مُوْمِنٌ ؛ فَهُو كَافِرٌ ! وَمَنْ قَالَ هُوَ عَالِمٌ ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ ! وَمَنْ قَالَ هُوَ عَالِمٌ ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ ! وَمَنْ قَالَ هُوَ فِي الْنَارِ ! ) ( ' ' ) .

\* وقالَ الصَّحابيُّ الفقية؛ عبدُ الله بنُ مسعودٍ، رضى الله عنه:

( مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ؛ فَلْيَشْهَدَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ ) (٢٠).

وقالَ رجلٌ عندَ ابن مسعودٍ، رضى الله عنه: (أَنا مؤمن!).

فقال ابن مسعود: ﴿ أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ ﴾ فقال: ﴿ أَرْجُو ﴾ .

فقال ابن مسعود: ﴿ أَفَلاَ وَكُلْتَ الْأُولَىٰ ؛ كَمَا وَكُلْتَ الْأُخْرَىٰ ؟ ) (٢٠).

\* وعن التَّابِعيُّ الإمام سعيد بن جُبَيْرٍ - رحمه الله - قال:

(سَأَلَتُ ابنَ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ أَغْتَسِلُ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ هُوَ؟ قُلْتُ: أَرْجُو، قَالَ: فَتَمَسْحَ بِالْمُؤْمِن، وَلاَ تَغْتَسِلْ مِنْهُ)(1).

\* وقالَ إِمامُ أَهل السُّنَّةِ؛ أحمدُ بنُ حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(أَذَهَبُ إِلَىٰ حَدَيْثِ ابْنِ مُسْعُودٍ فِي الاستثناءِ فِي الإِيمَان؛ لأَنَّ الإِيمَانَ وَلَمَّىٰ أَن نَكُونَ قَد قُولٌ وَعَمَلٌ، والعملُ الفعلُ، فقد جَنْنَا بالقول، ونَخْشَىٰ أَن نَكُونَ قد

<sup>(</sup>١) • شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة • اللالكائي: ج٥، ص١٠٤٧ (١٧٧٧).

<sup>(</sup>٢) ه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص٤٨ ( ١٧٧٩ ). وه كتاب الإيمان ، ابن أبي شيبة: ص٤٩ (١٣٨). وه السُّنَّة ، عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٢٢ (٢٥٦).

<sup>(</sup>٣) و كتاب الإيمان ، الإمام أبو عبيد القاسم: ص ٢ (٩) .

<sup>(</sup>٤) والسُّنَّة ، عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٢١ (٢٥٤).

فرَّطنا في العمل؛ فيعجبني أَن نَستثنيَ في الإيمانِ، نقولُ: أَنا مؤمنٌ إِن شَاءَ اللهِ)(١).

\* وقالَ الإمامُ الوليدُ بنُ مسلم، رحمه الله: سمعتُ أبا عمرو - يعني الأوزاعي - ومالك بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز؛ لا يُنْكِرُونَ أَن يقولَ: أَنا مؤمنٌ، ويَأْذَنُونَ في الاستثناءِ أَن أقول: (أَنا مؤمنٌ إِن شاء الله)(٢).

\* وقالَ الإمامُ يحييٰ بنُ سعيد القطَّان، رحمه الله تعالىٰ:

( مَا أَدركتُ أَحَدًا من أَصحابنا ولا بلغنا إلاَّ علىٰ الاستثناءِ)(٣).

\* وعن الإمامِ الحافظ؛ جَرِيرِ بن عبد الحميد - رحمه الله - قال:

سمعتُ منصورَ بن المُعْتَمِر، والمغيرة بن مقسم، والأعمش، وليث بنَ أبي سليم، وعمارة بن المُعتَمِر، وابن شُبْرُمَة، والعلاء بن المُستَبِ، وإسماعيلَ بن أبي خالد، وعطاء بن السَّائب، وحمزة بن حبيب الزيات، ويزيد بن أبي زياد، وسفيان الثَّوري، وابن المبارك، ومَن أدركت:

( يَسْتَثُنُونَ فِي الإِيمانِ ، ويَعيبُونَ عَلَىٰ مَنْ لا يَسْتَثْنِي ) ( \* ) .

\* وقالَ الحافظُ البيهقيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

( وقد رَوَيْنا هذا - يعني الاستثناء - عن جماعة من الصّحابة والتّابعين والسّلف الصّالح رضي الله عنهم أجمعين )(٥).

<sup>(</sup>١) (السُّنَّة ) الإمام الخلال: ج٣، ص١٠٠٠ (١٠٥١) .

<sup>(</sup> ٢ ) « السُّنَّة » عبد الله بن الإمام أحمد: ج ١، ص ٣٤٧ ( ٧٤٤ ).

<sup>(</sup>٣) «السُّنَّة» الخلال: ج٣، ص٥٩٥ (١٠٥٢).

<sup>(</sup>٤) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص٥٠٠ (١٧٨٥).

<sup>( 0 ) «</sup> شعب الإيمان » البيهقي: ج١ ، ص٢١٣ .

\* وقالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ علقمةُ بن قيس - رحمه الله تعالىٰ - لِمَنْ سَالَهُ: أَمُوْمِنٌ أَنْتَ؟ قالَ: (أَرْجُو إِنْ شَاءَ الله)(١).

\* وسُئلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل - رحمه الله - عن الإيمانِ ؟ فقال:

( قُولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّة ) قيل له : فإذا قال الرَّجُلُ: مؤمنٌ أنت؟ قال :

( هَذه بَدْعَة ) قبل له: فما يُرَدُّ عليه؟ قال:

(يقول: مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ إِلاَّ أَن يَسْتَثْنِيَ فِي هذا الموضع)(٢).

\* وقالَ الإمامُ ؛ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ ، رحمه الله تعالىٰ :

(سُوَّالُ الرَّجُلِ الرَّجُلِ: أَمؤمنٌ أَنتَ؟ بدعة )(٢).

\* وقالَ الإمامُ؛ سفيانُ بنُ عيينةً، رحمه الله تعالىٰ:

(إذا سُئِلَ: أَمؤمن أَنت؟ إِن شاءَ لم يُجِبُهُ، أَو يقولُ: سُؤالكَ إِيَّايَ بِدعةٌ، ولا أَشُكُ في إيماني، ولا يعنفُ مَن قال: إِنَّ الإيمانَ يَنقُصُ، أَو قال: مؤمن إِن شاءَ الله، وليس يُكَرَهُ وليسَ بداخلٍ في الشَّك )(1).

\* وقالَ الإمامُ أَبُو بكر الآجُريُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(من صِفَةِ أَهلِ الحقِّ - مِمَّنْ ذكرنا من أَهلِ العلمِ - الاستثناءُ في الإيمانِ ، لا على جهة الشَّكُّ - نعوذ بالله مِنَ الشَّكُ في الإيمان - ولكن خوف التَّزكية لأَنفُسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يَدْري أَهُوَ مِمَّنْ

<sup>(</sup>١) « السُّنَّة ٥ عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص ٣٤١ (٧٢٠).

<sup>(</sup>٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة و اللالكائي: جه، ص ١٠٥٧ (١٧٩٨).

<sup>(</sup>٣) والإبانة ، ابن بطة : ج٢، ص ٨٨٠ (١٢١٢).

<sup>(</sup>٤) ١ الإبانة ، ابن بطة: ج٢، ص ٨٨١ (١٢١٣).

يَستحِقُّ حقيقةَ الإيمانِ أَم لا؟ وذلك أَنَّ أَهلَ العلمِ من أَهلِ الحقِّ إِذَا سُئِلُوا: أَمؤمنٌ أَنتَ؟ قالَ: آمنتُ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُلِه، واليومِ الآخر، والجنَّةِ والنَّار، وأشباه هذا؛ فالناطق بهذا والمصدَّقُ بقلْبهِ مؤمنٌ، وإنَّما الاستثناءُ في الإيمان لا يَدْري أَهو مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ ما نَعَتَ الله به المؤمنينَ من حقيقةِ الإيمان أَم لا؟

هذا طريقُ الصَّحابةِ والتَّابعينَ لهم بإحسان، عندهُم أَنَّ الاستثناءَ في الأَعمال لا يكونُ في القولِ والتَّصديقِ في القلب، وإنَّما الاستثناءُ في الأَعمالِ المُوجِبةِ لحقيقة الإيمان، والنَّاسُ عندهم على الظَّاهرِ مؤمنون، به يتوارثونَ، وبه يتناكحونَ، وبه تجري أَحكامُ ملَّة الإسلام، ولكنَّ الاستثناء منهم على حسب ما بيَّنَاهُ لكَ، وبيَّنهُ العلماءُ من قبلنا، رُويَ في هذا سنن كثيرةٌ، وآثارٌ تدلُّ على ما قلنا) (۱).

\* وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةً، رحمه الله تعالىٰ:

(إِنَّ الإيمانَ المطلق؛ يَتضمَّن فعلَ ما أَمرَ اللهُ به عبدَه كُلَّه، وترك الحُرَّماتِ كلِّها؛ فإذا قال الرجلُ: أنا مؤمنٌ بهذا الاعتبارِ؛ فقد شهدَ لنفسه بأنَّه من الأبرار المتَّقينَ القائمينَ بفعلِ جميعِ ما أُمرُوا به، وتركِ كلِّ ما نُهوا عنه؛ فيكونُ من أولياء الله، وهذا من تزكيةِ الإنسان لنفسه، وشهادته لنفسه بما لا يَعلمُ، ولو كانت هذه الشهادةُ صَحيحةً؛ لكانَ ينبغي له أن يشهدَ لنفسهِ بالجنَّة إن مات على هذا الحال، ولا أحد يَشهدُ لنفسه بالجنَّة؛

<sup>(</sup>١) «كتاب الشَّريعة » الآجري: ج٢، ص ٢٥٦ (باب ذكر الاستثاء من الإيمان من غير شك فيه) تحقيق د. عبد الله الدميجي.

فشهادَتُه لنفسه بالإيمان؛ كشهادَتِه لنفسه بالجنَّة إِذا مات على هذا الحال، وهذا مأُخذُ عامَّةِ السَّلفِ الذين كانوا يَستثنونَ، وإِن جَوَّزوا تركَ الاستثناء بعنى آخر)(١).

وقالَ رحمهُ الله: (والمَاثورُ عن الصَّحابة، وأَثمَّة التَّابعينَ، وجمهورِ السَّنَة: أَنَّ السَّنَة: أَنَّ السَّنَة: أَنَّ السَّنَة: أَنَّ وهو المنسوبُ إلى أهل السُّنَّة: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ ويَنقُصُ، يَزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقُصُ بالمعصية، وأَنَّه يجوزُ الاستثناء فيه)(٢).

وقال - رحمه الله - أيضًا:

(وأمَّا مذهبُ سَلَفِ أصحابِ الحديث؛ كابن مسعودٍ وأصحابه، والتَّوريِّ، وابن عُيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطَّان؛ فيما يرويه عن علماء البصرة، وأحمد بن حنبل، وغيره من أثمَّة السُّنَّة؛ فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواترٌ عنهم)(").

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي ، ج٧، ص ٤٤٦.

<sup>(</sup>٢) د مجموع الفتاوي، ج٧، ص ٥٠٥.

<sup>(</sup>٣) دمجموع الفتاوي، ج٧، ص ٤٣٨.

## الاستثناء في الإسلام

وصيغة الاستثناء: قولُ العبد عن نفسه، إذا سُئِلَ، هل أنتَ مسلمٌ؟: (أنا مسلمٌ إِن شاءَ الله).

فجمهورُ أهل السُّنَّة والجماعة - سلفًا وخلفًا - والمشهور عن أَثمَّة السَّلف الصَّالح الأَعلام؛ أنَّهم لا يَرونَ الاستثناءَ في الإسلام؛ كما يرونه في الإيمان؛ لأنَّ الإيمان - عندهم - درجات؛ أقلُها وأدناها الإسلام.

ويرون - أيضًا - أنَّ هنالكَ فرقًا بين الإسلام والإيمان؛ فالإسلامُ غيرُ الإيمان، والمسلمُ غيرُ المؤمن.

فالإيمانُ - عند أهل السُّنة والجماعة - درجاتٌ ومنازلُ، والنَّاسُ فيه طبقاتٌ: منهمُ المحسنُ، ومنهمُ المؤمنُ، ومنهمُ المسلمُ، وأكملُهُم إيمانًا ودينًا وإحسانًا! هو المحسنُ، ثمَّ الذين يلونَهم؛ فالإسلامُ هو أقلُ هذه الدَّرجاتِ والمراتب، وهو أصلُ الدِّين، أو الإيمان المجمل، أو الإيمان المطلق، والإسلام هو الفيصلُ بين الإيمان والكُفر، وليس وراءَ الإسلام؛ إلاَّ الكُفرُ الأكبرُ، والحُروجُ من ملَّةِ الإسلام والدِّين؛ فمن لم يكنْ مُسلمًا كان كافرًا، وأمًّا من لم يكن مؤمنًا؛ فقد يكون مسلمًا.

لأَنَّ مَن نَطَقَ بالشَّهادتين، وأرادَ الدُّخولَ في الإسلام؛ أصبحَ مسلمًا، وتميَّزَ عن غيره من الكُفَّار، فتَجْرِي عليه أحكامُ الإسلام الظَّاهر التي تَجْرِي على عامَّةُ المسلمين.

فقد دَلَّت النَّصوصُ الشَّرعيَّةُ، وأقوال أَثمَّةِ أَهل السُّنَّةِ والجماعةِ علىٰ جوازِ العبدِ عن نفسه عندما يُسئلُ هل أنت مسلمٌ؟ فيقولُ: (أنا مسلمٌ) بدُونِ استثناء؛ كما في قول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قُولًا مُمَّن دَعَا إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

وقول الله تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مَنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةً - رحمه الله - عن هذه الآية:

(وهذه الآيةُ ثما احتجَ بها أحمدُ بنُ حنبلٍ وغيرُه؛ على أنَّه يُستثنىٰ في الإيمان دونَ الإسلام، وأنَّ أصحابَ الكبائر يخرجُون من الإيمانِ إلىٰ الإسلام. قال الميمونيُّ: سألتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ عن رأْيه في «أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله؟ » فقال: أقولُ: مؤمنٌ إن شاءَ الله. وأقولُ: مسلمٌ ولا أستثنى.

قال: قلتُ لا حمد: تُفرُقُ بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم. فقلتُ له: بأيّ شيء تحتجُ ؟ قال لي:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ("").

<sup>(</sup>١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

<sup>(</sup> ٢ ) « مجموع الفتاوي » ج٧ ، ص ٢٥٣ .

وقالَ الإمامُ الحافظ؛ هشامُ بن حسَّانِ الأَردِيُّ، رحمه الله تعالى:

(كان الحسنُ البصريُّ ومحمَّدُ بنُ سيرينَ ، يقولانِ : مُسْلِمٌ ، ويهابانِ مُؤمن )(١).

وقالَ الإمامُ أبو بكر المروزيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(قيلَ لأَبِي عبدِ الله، نقولُ: نحن المؤمنونَ؟ قال: نقولُ نحن المُسلِمُون) (١٠).

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ أحمدُ بنُ محمَّد بن هانئ الأثرَم، رحمه الله:

(قلتُ لأَبي عبدِ الله: فأمًّا إذا قال أنا مُسلمٌ فلا يستثنى؟ فقال: لا يستثني إذا قال: أنا مُسلم (<sup>(1)</sup>.

وقالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد الميمونيّ، من كبار تلميذ الإمام أحمد، رحمهم الله:

قلتُ لاَبِي عبد الله: تفرُق بين الإيمان والإسلام؟ قال: نعم، وأقولُ مسلمٌ، ولا أستثنى. قلتُ بأيَّ شيء تحتجُ ؟ قال: عامَّةُ الاَحاديثِ تدُّل علىٰ هذا، ثمَّ قال: « لاَ يَزْنِي الزَّاني حينَ يَزْني، وهوَ مؤمنٌ، ولاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِق وهو مؤمنٌ، ولاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِق وهو مؤمن، ولاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِق وهو مؤمن » وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَا قُل لَمْ تُوْمنُوا وَلَكن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ قلتُ: وفي كتاب الله :

<sup>(</sup>١) ٥ السُّنَّة ١ لعبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٢٣ (١٥٨).

<sup>(</sup>٢) «السُّنَّة» للخلال: ج١، ص٢٠٢ (١٠٧٣).

<sup>(</sup>٣) « الإبانة » ابن بطة : ج٢، ص٧٦٨ (١٢٠١).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ وَ كَا فَي اللَّهُ أَنْ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتُ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوا قُل لاَ تَمُنُوا عَلَي بِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَ اللَّهُ يَعْمَلُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَ تَمُنُوا عَلَي إِسْلامَ كُمْ بَلِ اللهَ يَعْمَلُ عَلَيْكَ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنستُمْ وَادْ وَاللَّهُ مِنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنستُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)(٥).

<sup>(</sup>١) ه السُّنَّة ٥ للخلال: ج١، ص١٠٤ (١٠٧٧).

<sup>( \* )</sup> تنبية لمسألة!: « هل الإيمان مخلوق أم غيرُ مخلوق؟ ، فاعلم أنَّ هذه المسألةُ تفرَّعت من مسألةِ القول بخلق القرآنِ التي ابتدعها أهلُ البدع والأهواء، وقد عدَّ كثير من أثمَّة السلَّف - رحمهم الله - هذه المسألة من البدع العظيمة! التي تخالف النقل والعقل!

وأهل السُنَّة والجماعة: اتَّفقوا على أنَّ القرآن كلامُ الله - تبارك وتعالى - منزل غيرُ مخلوق، والله - سبحانه - لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكلامه لا نهاية له؛ وهم بهذا أثبتُوا ما أثبته الكتابُ والسُّنَّة، ومَن اتَّبع الوحيين الشُريفين؛ فقد أصاب وأهتدى ونجا وسلم؛ فعليها إن كان المراد من الإيمان شيئًا من صفات الله تعالى وكلامه؛ فهو غيرُ مخلوق.

وإن كان المراد منه شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم؛ فالعبادُ كلُّهم مخلوقون، وجميعُ أفعالهم وصفاتهم مخلوقة؛ بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة.

للبسط في هذا الموضوع، انظر: ٥ مجموع الفتاوى ٥ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ؟ ج٦، ص ٣١٣ وما بعدها. ج٧، ص ٣٥٥، ج٨، ص ٤٢٦ . فقد فصلً فيه كعادته وأجاد وأفاد، رحمه الله تعالى، وجزاه عن المسلمين خيرًا.

# الإيمان والإسلام

اختلف أَثمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مُسَمَّىٰ الإيمان والإسلام علىٰ قولين: هل هُما بمعنىٰ واحد، أم أنَّ أحدَهما غير الآخر؟ أو هل هما مترادفان، أو متغايران؟

والمتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة؛ يجد أَنَّ اسمَ الإيمان تارةً يُذكر مفردًا غير مقرون باسم الإسلام، وتارة يُذكر مقرونًا به، وإذًا ذُكِرَ أَحدُهما مقرونًا بالآخر؛ فيكونان أحدهما مفردًا؛ فهما مترادفان، وإذَا ذُكِرَ أَحدُهما مقرونًا بالآخر؛ فيكونان متغايرين.

والذي عليه جمهور أَتُمَّة أهل السُّنَّة والجماعة، رحمهم الله تعالىٰ:

أَنَّ الإسلام والإيمان؛ يختلف معناهما من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وأنَّهما يتفقان في موطن، ويختلفان في موطن آخر؛ فقد يطلق الإيمان، ويراد به الإسلام، وكذا العكس.

وقد يطلق الإسلام على الأعمال الظّاهرة، ويطلق الإيمان على الأعمال الباطنة، وأنَّ مُسمَّاهما يختلف على حسب الإفراد والاقتران.

أي: أَنَّ مُسَمَّىٰ الإسلام؛ غير مُسَمَّىٰ الإيمان، وبينهما فرق.

والإيمان: أكمل وأفضل وأعلى مرتبة من الإسلام.

والعملُ: داخل في مُسمَّىٰ الإسلام، ومُسمَّىٰ الإيمان.

فباعتبار الحقيقة اللُّغوية؛ يفترق الإسلام والإيمان.

فالإسلام معناه: الاستسلام لله تعالى وحده، والخضوع له بالعبادة.

والإيمان معناه: تصديقٌ، وإقرارٌ، ومعرفةٌ، وانقياد.

■ وباعتبار الحقيقة الشَّرعيَّة يتضمَّن الإيمانُ الإسلام؛ لأنَّ بينهما تَلازُمًا في الوجود؛ فكلُّ واحد منهما مُكمَّلٌ للآخر بحيث لا ينفكَّان عن بعضهما؛ وأنَّهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

لأَنَّ الإيمانَ من حيث العموم أشملُ من الإسلام؛ لأنَّه يشمل الإيمان والإسلام، ولفظ المؤمن يشمل المؤمن والمسلم.

والإيمان أعلى من الإسلام مرتبة ودرجة ؛ فمن وصل إلى مرتبة الإيمان ؛ فقد تجاوز الإسلام، كالإحسان ! فإنّه أعم من الاثنين ؛ فمن بلغ مرتبة الإحسان ؛ فقد تجاوز مرتبتي الإسلام والإيمان .

أي: أَنَّ الإسلام داخل في الإيمان، وليس العكس.

إِذَن ؛ فالإيمانُ أعمُّ من الإسلام، والإسلام أخصُّ منه بهذا الاعتبار.

والإسلام والإيمان إذا اجتمعا؛ اختلفا في مدلولهما، أي: يفترقان في المعنى؛ فيُفسَر الإسلام: بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة؛ فيصبح لفظ الإسلام أعمَّ، ولفظ الإيمان أخصَّ.

أي: إذا اجتمعا في نصِّ واحد؛ فكلِّ منهما يفسُّر بمعناه المذكور.

وإذا افترقا؛ اجتمعا في مدلولهما، أيْ: إذا ذُكر أحدهما في نصّ، ولم يُذكر معه الآخر؛ فهو لازم له، ويكون معناهما واحدًا.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ ﴾ (١) (\*).

فهذه الآيةُ الكريمة: تدُّل على الافتراق والتَّلازم بين الإيمان والإسلام.

أي: أنَّ الإسلامَ في هذه الآية إسلامٌ شرعيٌ؛ يثابُ عليه أهله الذين نفىٰ الله تعالىٰ عنهم الإيمان الواجب (المطلق) الذي يستحقُّ عليه صاحبه المدح والثَّناء؛ لأنَّ المخاطبين في الآية ليسوا منافقين؛ بل معهم أصل الإيمان، ولكنهم لم يبلغوا حقيقته، ولهذا قبل الله تعالىٰ أعمالهم إذا أطاعوه؛ بخلاف المنافقين، وأنَّ نفي الإيمان هنا؛ كنفيه عن الزَّاني، والسَّارق، وشارب الخمر.

وعلى ذلك فنقول: إِنَّ الإِسلام والإِيمان؛ إِذا اجتمعا باللَّفظ؛ افترقا بالمعنى، أي: إِذا قُرِنَ الإِسلامُ والإِيمانُ في نصِّ واحد:

فيراد بالإسلام: الاستسلامُ لله تعالى وحده لا شريك له،
 والخضوعُ، والإنقيادُ له – سبحانه – بالطّاعةِ والعمل.

أي: الأعمال الظّاهرة من العبادات: الشّهادتان، والصّلاة، والزّكاة، والرَّكاة، والرَّكاة، والرَّكاة،

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام؛ كما هو مذهب أهلُ السُّنَّة والجماعة، ويدلُّ عليه حديث جبريل - عليه الصَّلاة والسَّلام - حين ساَل عن الإسلام، ثمَّ عن الإيمان، ثمَّ عن الإحسان؛ فترقىٰ من الاَعم إلى الأَخص، ثم للاَخص منه).

• ويراد بالإيمان: تصديقُ القلب، وإقرارهُ، ومعرفته.

أي: الأعمال الباطنة من الاعتقدات؛ كالإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكُتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتَّوكل، والخوف، والحبَّة، والرَّعبة، والرَّعبه، وغيرها من الأُمور الغيبيَّة والعقديَّة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْصَّادِقَاتِ . . . ﴾ (١) (٠) .

وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) (٠٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الحافظ قوام السّنة أبو القاسم الأصفهاني، رحمه الله: (الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين؛ فالإسلام عبارة عن الشّهادتين مع التّصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطّاعات؛ خلافًا لمن قال الإسلام والإيمان سواء، إذا حصلت معه الطمانينة، والدّليل على الطّاعات؛ خلافًا لمن قال الإسلام والإيمان سواء، إذا حصلت معه الطمانينة، والدّليل على الفرق بينهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالدّلام على الإيمان معنى زائدً على الإسلام) انظر: «الحجة في بيان الحجة ع ج ١، ص ٤٤١.

<sup>( \*\* )</sup> قال الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ( ففرَق بين الإسلام والإيمان هنا لسرً اقتضاه الكلام؛ فإنَّ الإخراج هنا عبارةٌ عن النَّجاة، فهو إخراجُ نجاةٍ من العذاب، ولا ريب أنَّ هذا مختصٌ بالمؤمنين المتبعين للرُّسل؛ ظاهرًا وباطنًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدُنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لما كان الموجودون من المخرَجير أوقع اسم الإسلام عليهم؛ لأنَّ امرأة لوط كانت من اهل البيت، وهي مسلمة في الظَّاهر؛ فكانت في البيت الموجودين، لا في القوم النَّاجين، وقد أُخبرَ الله - سبحانه - عن خيانة امرأة لوط، وخيانتها أنها كانت تدُّل قومها علا أضيافه وقلبها معهم، وليست خيانة فاحشة؛ فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا، وليست من المؤمنين النَّاجين. ومن وضع =

وعَنْ أَميرِ المؤمنين عُمَرَ بن الخطابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله عَظَةَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الله عَظَةِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثَّيَابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّقَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ؛ حَتَىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِ عَظَةٍ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ مَنَّا أَحَدٌ ؛ حَتَىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِ عَظِيَّةٍ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وقالَ: يَا مُحَمَّد أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ: «الإسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلْيهِ سَبِيلاً».

قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ! يَسْأَلُهُ وَيُصِدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَر خَيْرهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ:

« أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَال:

« مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » .

دلالات القرآن وألفاظه مواضيعها؛ تبين له من أسراره وحكمه ما يهز العقول، ويعلم معه أنه تنزيل من حكيم حميد. وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور، وهو: إنَّ الإسلام أعمُ من الإيمان؛ فكيف استثنى الاعم من الاخص، وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس؟ وتبيَّن أنَ المسلمين المستثنين ما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنين منه؛ بل هم المخرجون النَّاجون) انظر: «الرَّسالة النَّيوكيَّة» ص ٢١٩. دار ابن حزم.

قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رَعَاءَ الشَّاءِ؛ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ (١٠).

وإذا افترق الإسلام والإيمان في نصّ؛ اجتمعا بالمعنى؛ فيُفَسَّر الإسلامُ عما يُفسَّر به الإيمانُ؛ فيشمُلُ كلُّ واحد منهما الدِّينَ كلَّه؛ من أصولِهِ وفروعِه؛ من اعتقاداته وأفعاله؛ الظَّاهرة والباطنة.

أي: إذا جاء ذكرُ الإسلام مفردًا، أو الإيمان مفردًا؛ فالمراد بهما الدينُ كله، بما فيه من إسلام، وإيمان، واستسلام، وشعائِر، وشرائع، وعقائِد، ومناهج، وأحكام، وآداب ... إلى آخره، قالَ الله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (\*).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب دبيان الإيمان والإسلام والإحسان.

 <sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
 (٣) سورة المائدة ، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥. (٥) سورة المائدة، الآية: ٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ آمنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿ فَ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادَقُونَ ﴾ (٧٠.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيق، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »(٣).

وقال عَلِيَّةَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ »(1).

وقال عَلِيَّة : «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ؛ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجَبَالِ وَمَواقِعَ القَطْر؛ يَفِرُ بدِينِهِ مِنَ الفِتَن »(°).

وقول النَّبِيِّ عَلَيْكُ لِوَفْدِ عبدِ القيسِ؛ عندما سَأَلُوهُ عَلَيْهُ عِن أُمورٍ، فقالوا: فَمُرْنا بأمرٍ فصلٍ؛ نُخبر بهِ مَن وراءَنا، ونَدْخُل بهِ الجنَّةَ؛ فأمرَهُم النَّبِئُ

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآيتان: ٧ – ٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه مسلم في ( كتاب الإيمان ) باب «بيان عدد شعب الإيمان » .

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

<sup>( ° )</sup> رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب « من الدين الفرار من الفتن » .

عَلَيْكُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، فقال: ﴿ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ ﴾ قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قال:

« شَهادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصِيامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَم الْحُمُسَ ﴿(١).

وَعَنْ عَامِرِ بِنْ سَعْدِ بِن أَبِي وَقَاصٍ، عِن سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلِيُّ أَعْطَىٰ رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ؛ فَتَركَ رَسُولُ اللهِ عَلِيُّ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُم إِلَىَّ، فقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، مَا لكَ عن فُلان ؟ فواللهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال عَلَى اللهُ : « أَو مُسلِمًا ، فَسَكَتُ قُلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ؛ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلتُ: مَا لَكَ عِن فُلانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لاَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال عَلِيُّهُ : ﴿ أُو مُسلِمًا ﴿ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ؛ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكُ ثُمَّ قال: « يَا سَعْدُ! إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارَ " ( ' ' ) ( \* ) .

الإسلام، وتوقَّف في اسم الإيمان؛ فمن قال: هُما سواء؛ كان مخالفًا). وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٩٣ . تحقيق شعيب الأرناوط.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وأداء الحمس من الإيمان ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب ه إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام ٥.

<sup>( \* )</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله: ( فأجاب سعدًا بجوابين: أحدهما؛ أنَّ هذا الذي شهدت له بالايمان قد يكون مسلمًا لا مؤمنًا. الثاني: إن كان مؤمنًا، وهو أفضل من أُولئك؛ فأنا قد أعطى من هو أضعف إيمانًا؛ لئلا يحمله الحرمان على الرُّدَة! فيكبه الله في النَّار عليْ وجهه، وهذا من إعطاء المؤلفة قلوبهم ) ه مجموع الفتاوي، ج٧، ص٧٤. وقال العلامة ابن أبي العز - رحمه الله - تعليقًا على هذا الحديث: ( فأثبتَ لهُ اسم

وَعَنْ عَمْرُو بن عَبَسَة السُّلَميِّ - رَضِيِّ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قالَ رجُلٌ : يا رَسُولَ الله ؟ مَا الإسلام؟ قال :

« أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ اللهِ عَزَ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِك » قال: قَالَ: قَالَ: قَالَ: وَمَا الإِيمَان؟ قال: وَيَدِك » قال: قَالَ: وَمَا الإِيمَان؟ قال:

« تُؤْمِن بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوتِ » قال: فَأَيُّ الإِيمان أَفضل؟ قال: « الهِجْرَةُ » قال: فما الهجرة؟ قال: « تَهْجُرَ السُّوءَ » قال فَأَيُّ الهجرة أَفضل؟ قال: « الجهادُ » قال: وما الجهادُ؟ قال:

« أَنْ تُقَاتِلَ الكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ » قالَ: فَأَيُّ الجهاد أَفضلُ؟ قالَ:

« مَنْ عُقِرَ جَوادُهُ وَأُهريقَ دَمُهُ » قالَ رَسُولُ الله عَلَيْكُ :

«ثُمَّ عَمَلانِ هُمَا أَفْضَلُ الأَعْمالِ؛ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، أَوْ عُمْرَةٌ "(').

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيْكَ : « أَسْلَمَ النَّاسُ ، وآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي » (٢).

فمثلُ الإسلامِ منَ الإيمان؛ كمثلِ الشّهادتين إحداهُما منَ الأُخرى؛ فالشّهادةُ للرَّسولَ الأَمين محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ عَلَيْكَ بالرِّسالة والنَّبوَّة؛ غيرُ اللهِ عَلَيْكَ بالرِّسالة والنَّبوَّة؛ غيرُ الشَّهادة لله تعالى بالوحدانيَّة والعبادة.

<sup>(</sup>١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٤، ص١١، وعبد الرزاق في «مصنفه» ج١١، ص١٢ ص١٢٧ (٢٠١٠) وقال الهيشمي في «مجمع الزوائد» ج١، ص٥٥: ( رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد موثقون) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» تحت رقم (١٥٥).

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب المناقب ) باب « مناقب عمرو بن العاصي رضى الله عنه » . وصححه الألباني

ومثلِ لفظ الفقير؛ إذا أُطلِقَ دخلَ فيه المسكينُ، وإذا أُطلِقَ لفظ المسكينِ تناولَ الفقيرَ، وإذا قُرنَ بينهما؛ فأحدُهما غيرُ الآخر.

ومِثْلُ ذلكَ البَّرُّ والتَّقوى، والإثمُ والعُدوانُ؛ فهُما شيئانِ في الأَعيانِ، وأَحدُهما مرتبطٌ بالآخرِ في المعنى، والْحُكم كشيء واحد.

فهذه الأسماءُ التي تختلفُ دلالاتُها بالإطلاقِ والتَّقييدِ والتَّجريدِ والتَّجريدِ والتَّجريدِ والاقترانِ ؟ تارةً يكونانِ إذا أُفرد أحدُهما كان أعمَّ من الآخر، وتارةً يكونانِ مُتَساويَيْنِ في العُمُوم والْحُصُوصِ ؟ فأيهما أُطلق تناولَه الآخر.

كذلك الإسلامُ والإيمانُ: إذْ لا إيمانَ لمنْ لا إسلامَ لَهُ، ولا إسلامَ لمن لا إيمانَ له، ولا يَخلُو المؤمنُ من إيمان يصحُّ به إسلامه، ولا يَخلُو المؤمنُ من إيمان يصحُّ به إسلام يُحقِّق به إيمانه، والعملُ داخلٌ في الاثنين.

ولكنَّ الإيمانَ الكاملَ؛ لا بُدَّ أن يكونَ معه إسلامٌ كاملٌ، أمَّا الإسلامُ الكاملُ؛ فلا يلزمُ منه الإيمانُ الكاملُ، ولكن لا بُدَّ أن يكون معه أصلُ الإيمان! وبهذا التَّفصيلِ؛ يحصل الجمعُ بين الأدلَّةِ، وهذا هوَ القولُ الوسَطُ، وبه تجتمعُ النُّصُوصُ الشَّرعيَّة.

ويمكنُ القولُ: إِنَّ الخلافَ بين علماءِ السَّلفِ في هذه المسألةِ خلافٌ لفظيٌّ يسيرٌ ؛ لأَنَّ الجميعَ متَّفقونَ على أَنَّ العملَ يدخُلُ في مُسَمَّىٰ الإيمانِ ، وأَنَّ الإيمانَ ؛ يزيدُ بالطَّاعة ، ويَنْقُصُ بالمعصية ، والفريقان لا يُخرجون أَهلَ المعاصي والكباثر من الإيمان إلى الكفر ؛ بل إلى الإسلام ؛ وإذا أخرجوهُم من الإيمانِ إلى الإسلام ؛ لم يقولوا إنَّه لا يبقىٰ معهم شيءٌ من الإيمان ؛ بل يبقىٰ معهم أصلُ الإيمان .

قالَ الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ محمَّد بن مسلم الرُّهْرِيُّ - رحمه الله - في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ قالَ:

(نَرَىٰ أَنَّ الإِسْلاَمَ الْكَلِمَةُ، وَالإِيمَانُ الْعَمَلُ)(١).

وقال إمامُ أهل السُّنَّة؛ الإمام أحمدُ بنُ حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ مقصورٌ في الإسلام؛ فإذا زَني، خَرَجَ من الإيمانِ إلي الإيمانِ إلي الإيمانِ إلي الإسلام... وقال: الإسلامُ غيرُ الإيمان)(١).

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ، رحمه الله تعالىٰ:

(ولو قُدِّرَ أَنَّ الإِسلامَ يَستلزمُ الإِيمانَ الواجبَ، فغايةُ ما يُقالُ: إِنَّهما متلازمانِ؛ فكلُّ مسلمِ مؤمنٌ، وكلُّ مؤمنِ مسلم.

وهذا صحيحٌ؛ إذا أُريدَ أَنَّ كلَّ مسلم يدخلُ الجنَّةَ معهُ الإيمانُ الواجبُ، وهو متفقٌ عليه؛ إذا أُريدَ أَنَّ كُلَّ مسلم يُثابُ على عبادته؛ فلا بُدَّ أَن يكونَ معهُ أصلُ الإيمان فما من مسلم إلاَّ وهو مؤمنٌ، وإن لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النَّبِيُ عَلَيْهُ عمَّن لا يُحبُّ لأَخيه ما يُحبُ لنفسه، وعمَّن يفعلُ الكبائر، وعن الأعراب وغيرهم.

فإذا قيلَ: إِنَّ الإسلامَ والإيمانَ التَّامَّ متلازمان، لم يلزم أَن يكونَ أحدُهما هو الآخرَ؛ كالرُّوح والبدن، فلا يوجدُ عندنا روحٌ إِلاَّ مع البدنِ، ولا يوجدُ عندنا روحٌ إِلاَّ مع الرُّوح، وليس أحدُهُما الآخر؛ فالإيمانُ كالروح،

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب «الدليل على زيادة الايمان ونقصانه». وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) «السُّنَّة » الإمام الخلال: ج٣، ص٧٠ ( ١٠٨٠) .

فإِنَّه قائمٌ بالرُّوحِ ومتَّصلٌ بالبدن. والإسلامُ كالبدن، ولا يكونُ البدنُ حيًّا إِلاَّ معَ الرُّوح، بمعنىٰ أَنَّهما متلازمان، لا أَنَّ مُسمَّىٰ أَحدهما هو مُسمَّىٰ الآخر، وإسلامُ المنافقين كبدنِ الميِّتِ، جسدٌ بلا روح، فما من بدن حي ً إِلاَّ وفيه روحٌ، ولكنَّ الأرواحَ متنوَّعةٌ؛ كما قال النَّبِئُ عَلَيْهُ :

« الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا الْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكُرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ، (1) اخْتَلَفَ ، (1) .

وليس كلُّ مَن صلَّىٰ ببدنه يكونُ قلبُهُ منوَّرًا بذكر الله والحشوع وفهم القرآن، وإن كانت صلاته يُثابُ عليها، ويسقط عنه الفرضُ في أحكام الدُّنيا؛ فهكذا الإسلامُ الظَّاهر؛ بمنزلةِ الصَّلاةِ الظَّاهرة، والإيمانُ بمنزلة ما يكونُ في القلب حينَ الصَّلاة من المعرفة بالله والحشوع وتدبُّر القرآن؛ فكلُّ من خشعَ قلبُهُ، خشعت جوارحه، ولا ينعكس، ولهذا قيل: إِيَّاكم وخشوعَ النفاق، وهو أن يكونَ الجسدُ خاشعًا، والقلبُ ليس بخاشع؛ فإذا صَلَحَ القلبُ صَلَحَ الجسدُ كله، وليسَ إذا كانَ الجسدُ في عبادة يكونُ القلبُ قائمًا بحقائقها) (١).

وقال أيضًا - رحمه الله - في موضع آخر:

(ولهذا صارَ النَّاسُ في الإيمانِ والإسلام على ثلاثة أقوالٍ: فالمرجئةُ يقولونَ: الإيمانُ على ثلاثة أقضلُ؛ فإنَّه يدخلُ فيه الإيمانُ. وآخرونَ يقولونَ: الإيمانُ والإسلامُ سواءٌ، وهم المعتزلةُ والخوارج وطائفةٌ من أهلِ الحديثِ والسُّنَّة

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في: (كتاب البر والصلة والآداب) باب «الأرواح جنود مجندة».

<sup>(</sup>۲) ه مجموع الفتاوي و ج٧، ص ٣٦٧.

وحكاه محمَّد بنُ نصرِ عن جمهورهم، وليس كذلك. والقولُ الثَّالثُ: أَنَّ الإيمانَ أَكملُ وأَفضلُ، وهذا هو الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة في غير موضع، وهو المأثور عن الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان)(١).

وقالَ الإمامُ الحافطُ؛ ابنُ رجبَ الحنبليُّ، رحمه الله تعالى :

(وقالت طائفة : الفرق بين الإسلام والإيمان : أنَّ الإيمان هو التَّصديق ؛ تصديق القلب، فهو عِلمُ القلب وعملُه . والإسلام : الخضوع والاستسلام والانقياد ؛ فهو عمل القلب والجوارح .

وهذا قولُ كثيرٍ من العلماءِ، وقد حكاه أبو الفضلِ التَّميميُّ عن أصحاب أحمد، وهو قولُ طوائفَ من المتكلِّمين؛ لكنَّ المتكلِّمين عندهم أنَّ الأَعمالَ لا تدخلُ في الإسلام.

وأمَّا أصحابُنا وغيرهُم من أهلِ الحديث؛ فعندهُم أنَّ الأعمالَ تدخلُ في الإيمان مع اختلافهم في دخولِها في الإسلام - كما سبق - فلهذا قال كثيرٌ من العلماء: إنَّ الإسلام والإيمان تختلفُ دلالتُهُما بالإفرادِ والاقترانِ؛ فإن أفْرِدَ أحدُهما دخلَ الآخرُ فيه، وإن قُرنَ بينهما كانا شيئين حينئذٍ.

وبهذا يُجمعُ بينَ حديثِ سؤال جبريلَ عن الإسلام والإيمان؛ ففرَّقَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ بينهما، وبين حديث وفد عبد القيس؛ حيث فسَّر فيه النَّبِيُّ عَلَيْكَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ اللهمان المنفردَ بما فسَّر به الإيمان المقرونَ في حديث جبريل.

وقد حكى هذا القولَ؛ أبو بكر الإسماعيلي - رحمه الله - عن كثيرٍ من أهل السُنَّة والجماعة، ورُوي عن أبي بكر بن أبي شيبة ما يدلُّ عليه،

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ، ج٧، ص ١٤.٤.

وهو أقربُ الأقوال في هذه المسألة، وأشبهُها بالنُّصوص، واللهُ أعلم.

والقولُ بالفرق بينَ الإسلامِ والإيمانِ مَرْويٌ عن: الحسنِ، وابن سيرينَ، وشُريكَ، وعبد الرَّحمن بن مهدي، ويحيىٰ بن مَعين، ومؤمل ابن إهاب، وحُكيَ عن مالك أيضًا، وقد سبقت حكايتُه عن قتادة، وداودَ بن أبي هند، والزُّهريُّ، وابن أبي ذيب، وحمَّاد بن زيد، وأحمدَ، وأبي خَيْنَمَة، وكذلك حكاه أبو بكر بن السَّمعانيُّ عن أهل السُّنَة والجماعة جملةً.

فحكايةُ ابن نصرٍ وابن عبد البرِّ عن الأكثرينَ التَّسويةَ بينهما غيرُ جيدة؛ بل قد قيلَ: إِنَّ السَّلفَ لم يُروَ عنهم غيرُ التَّفريق، والله أعلم)(١).

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله تعالى:

(ولا عَلِمتُ أحدًا من المتقدِّمين خالفَ هؤلاء؛ فجعلَ نفس الإسلام نفس الإيمان، ولهذا كان عامَّةُ أهل السُّنَّة علىٰ هذا الذي قاله هؤلاء)(٢).

<sup>(</sup>١) « فتح الباري » لابن رجب الحنبلي (كتاب الإيمان) ج١، ص ١٢٩ مكتبة الغرباء.

<sup>(</sup>٢) «مجموع الفتاوي ، ج٧، ص٩٥٩.

#### التلازم بين الظاهر والباطن

- (التّلازم): هو ارتباط الظّاهر بالباطن، وتأثير كل منهما في الآخر.
  - (الظَّاهِرُ): هو العملُ، أي: قولُ اللِّسانِ، وعملُ الجوارح.
    - (الباطنُ): هو الإيمانُ، أي: قولُ القلبِ، وعملُه.
    - قاعدة: (لا إيمانَ إلاَّ بعمل، ولا عملَ إلاَّ بالإيمان).

فعلى ضوء هذه القاعدة السَّلفيَّة لأَثمَّة السَّلفِ الصَّالح؛ سلفًا وخلفًا:

فإِنَّ ظاهرَ العبدِ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - هو الوجهِ الآخَرُ لقلبه وباطنه، وأنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صالحًا كان الظاهرُ كذلك، وإذا كان الباطنُ فاسدًا كان الظاهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفىٰ الظاهرُ دلَّ ذلك علىٰ عدمِ ما في القلبِ، وإذا نقصَ ما في القلب، وكذلك العكس.

- \* فصلاحُ الباطنِ يستلزمُ صلاحَ الظَّاهرِ؛ لأنَّهُ ينعكسُ حتمًا بالضَّرورةِ على الظَّاهرِ فيُصلِحُه.
- \* وفسادُ الباطنِ يستلزمُ فسادَ الظَّاهِرِ؛ لأنَّهُ كذلك ينعكسُ حتمًا بالضَّرورةِ على الظَّاهر فيُفْسِدُه.

فمن هُنا لا يمكنُ البتَّةَ؛ ادِّعاءُ الإيمانِ الشَّرْعِيِّ الصَّادق؛ مع ظهورِ الفسادِ في أعمال الجوارح.

لأَنَّ أَصلَ الإيمانِ في القلبِ، وأعمالَ الجوارح؛ دليلٌ وشاهدٌ عليه. وأصلُ الإيمانِ الذي في القلبِ، هو:

- قولُ القلبِ من المعرفةِ، والعلم، والتَّصديق.
- عملُ القلبِ من الإذعانِ والانقيادِ، والاستسلام، والنيَّةِ والإخلاص.

ولكن من لوازم هذا الإيمان الصَّادق - إذا تحقَّق في القلب - تحقيقة في الظّاهر؛ فالظّاهر؛ فالظّاهر لا يتخلّف عن الباطن ولا يُضاده؛ لائه ترجُمان الباطن، ومرتبط به ارتباطًا وثيقًا؛ فالإيمان الذي في القلب من التّصديق والحبّ والبُغض، وغيرها من أفعال القلب وأعماله؛ يستلزمُ الأمور الظّاهرة من الأقوال والأعمال، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ قُلْ كُلِّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ (١).

لأنَّ الأعمالَ الظَّاهرةَ؛ يرتبطُ مباشرةً بعملِ القلب من الإذعان والحبَّة والخشية والتَّوقير؛ أكثر ثمَّا يرتبطُ بقول القلبِ من علم ومعرفة وتصديق.

فالعبدُ قد يكونُ عالمًا ومصدِّقًا للحقِّ ومعتقدًا له، ولكنَّ خشيةَ الله تعالىٰ في قلبه، والخوفَ منه، ومحبَّتَهُ، والانقيادَ له بالسَّمعِ والطَّاعة؛ لم تصل إلى الدَّرجةِ التي تنجُو به من ظلماتِ الكُفرِ والشِّرك بأنواعها، أو أن يكونَ ما في قلبه من الحسدِ والكبر، أو حُبَّ الدُّنيا والشَّهوات! قد غلبت عليه؛ فطمسة وجعل ما معه من التَّصديق – وبعضُ أعمال القلب – لا قيمة له عند رَبِّ العزَّةَ والجلال والكبرباء! كالمشركين الذين لا يعبُدُونَ اللهَ تعالىٰ وحدة لا شريك له؛ بل يجعلونَ مع اللهِ شُركاءً؛ لأنَّ قلوبَهم ليست تعالىٰ وحدة لا شريك له؛ بل يجعلونَ مع اللهِ شُركاءً؛ لأنَّ قلوبَهم ليست

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

خالصة لله وحدة؛ بل فيها من حبّ غيره وطاعته وتعظيمه! ما صرفهم عن التّوحيد الخالص لله تعالى وحده لا شريك له.

والمؤمنونَ عكس ذلك تمامًا؛ فهم موحدون الله تعالى، أي: قلوبهم خالصة لله ويعبدون الله - جلَّ في خالصة لله - ولا يُشركون في عبادته أحدًا، وشعارهم الذي يتميزون به:

(آمنًا وصدَّقنا؛ سمعنا وأطعنا).

إِذَن! فالظَّاهرُ والباطنُ متلازمانِ - عند أَهلِ السُّنَةِ والجماعةِ - لا تنفكُ أحدهما عن الآخر! ولا يكونُ الظَّاهرُ مستقيمًا وسليمًا؛ إِلاَّ باستقامة وسلامةِ الباطن، وليسَ العكس! وإِلاَّ يكون ذلكَ نفاقًا؛ لأَنَّ الظَّاهرَ لا يختلفُ عن باطن، ولا يضادُه البتَّة؛ بل هو صورته، وحقيقته، ووجهه الشَّرعيّ؛ فالإيمانُ الصَّادق، والمطلوبُ شرعًا، هو:

الإيمانُ الظَّاهرُ والباطنُ، وتلازمُ عملِ القلب بعمل الجوارح؛ لانَّهُ لا يُصحُّ إيمانُ العبد بواحدة دون الأُخرى؛ فمن زعمَ وجودَ العمل في قلبه دونَ جوارحِهِ! لا يشبتُ لهُ اسمُ الإيمانِ البسَّة؛ لأَنَّ الأَعمالَ والأَقوالَ الظَّاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفكُ عنه، وتدخلُ في مُسمَّاه.

ومن هنا جُعلَتِ الأعمالُ الظّاهرةُ في الشَّرعِ الحكيم؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا على حال العبد، وذلك بالنظر إلى ظاهر أعماله دونَ الباطن؛ فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أو الكفر؛ فمَن أظهرَ الإسلام حكمنا بإسلامه، ومَن أظهر الكُفر حكمنا بكُفره؛ لأنَّ الإنسانَ مهما بلغَ من أمره؛ فليس في طاقتِه، ولا في سلطانه الاطلاعُ على ما في بواطن الخلق وسرائرهم؛ لأنَّ هذا الأمرَ من خصائص الله تعالى وحده لا شريك له.

فجعلَ الله - سبحانه وتعالى - ظاهرَ النَّاسِ دليلاً على بواطنهم؛ ثمَّ أعطاهمُ الحقَّ في الحكمِ على البواطن؛ بمقتضى ما يبدو لهم من ظواهرهم؛ فإن أظهروا الإسلام حُكِمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أظهروا الكُفر حُكِمَ لهم بالإسلام الكُفر عُكمَ لهم بالكُفر فاهرًا وباطنًا.

قالَ اللهُ – جلَّ وعلا – في صفةِ المؤمنينَ الصَّادقينَ الذين صَلُحَ بَاطِنُهم وظاهِرهُم، وقالوا: سَمِعْنَا وأطعنا، آمنًا وصدَّقنا، ثمَّ عَمِلُوا بما آمنوا به:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيَمَانًا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ عَلَى اللَّذِينَ يُقِيمُونَ اللَّهُمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَاكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ وَلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَحْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ عَرْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسُجَّدًا وَسَجَّدُا وَسَجَّدُوا بِحَمْدِ رَبِهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبُرُونَ ﴾ (٣).

١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

<sup>(</sup>٢) سورة المجادلة ، الآية: ٢٢.

٣) سورة السجدة، الآية: ١٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَو ْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَرْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا وَرَبُّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمًّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ (٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« لاَ يَسْتَقيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقيمَ لِلهُ وَلاَ يَسْتَقيمَ لِللهُ وَلاَ يَسْتَقيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لاَ يَاْمَنُ جَارُه بَوَائِقَهُ (1).

وقالَ ﷺ: «الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ! لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْراً لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ! كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يُواقِعَهُ؛ أَلاَ وَإِنَّ فِي الشُّبُهَاتِ! كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يُواقِعَهُ؛ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ، أَلاَ إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ، أَلاَ إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَافِعَةً إِذَا صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُهُ، وَإِذَا فَسَدَتُ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ » (°).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» مسند أنس بن مالك: ج٣، ص١٩٨ وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: ج٦، ص١٨٢ ( ٢٨٤١).

<sup>( ° )</sup> رواه البخاري في « كتاب الإيمان » باب: « فضل من استبرأ لدينه » .

وقالَ الإمامُ المحدِّثُ الحجَّةُ، والفقيه القدوةُ، والمفسِّر الملهم؛ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ العدويِّ - رحمه الله - مولىٰ عمر، رضى اللهُ عنه:

(لا بُدَّ لأَهلِ هذا الدِّينِ من أَربع: دخولٌ في دعوة الإسلام، ولا بُدَّ من الإيمان وتصديق بالله وبالمرسلين أُوَّلِهم وآخرِهم، وبالجنَّة وبالنَّار، وبالبعث بعد الموت، ولا بُدَّ من أَن تعملَ عملاً تُصَدِّقُ به إيمانك، ولا بُدَّ من أَن تعملَ عملاً تُصَدِّقُ به إيمانك، ولا بُدَّ من أَن تعملَ عملاً تُصدَّقُ به إيمانك، ولا بُدَّ من أَن تعملَ عملاً تُحسنُ به عملك؛ ثمَّ قرأً: ﴿ وَإِنِي لَفَقَارٌ لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: ١٨٦] (١).

وقالَ التَّابِعيُّ الإمامُ الحافظ؛ مَيْمُونُ بنُ مُهْرانَ الجَزَرِيُّ – رحمه الله – لأَصحابه يومًا؛ عندما رأَىٰ راهبًا في الصومعةِ يتعبدُ الله تعالىٰ:

(فيكم مَن بلغَ من العبادةِ ما بلغَ هذا الرَّاهب؟) قالوا: لا. قال:

( فما ينفعه ذلكَ ! ولم يُؤْمِنْ بمحمَّد عَلَيْهُ ؟ ) قالوا : لا ينفعه شيء .

قَالَ : (كَذَلْكَ لَا يَنْفَعُ قُولٌ ؛ إِلاَّ بِعَمَلِ )(٢).

وقالَ شيخُ الإسلام الإمامُ الحجَّة الأوْزَاعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلا بالقول، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ إلا بالعمل، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلا بنيَّة موافقة للسُنَّة؛ فكان مَن مضىٰ ثَمَن سلف لا يُفرَقونَ بينَ الإيمان، والعمل من الإيمان، والإيمانُ من العمل، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يجمعُ كما يجمعُ هذه الأديانُ اسمها

<sup>(</sup>١) رواه ابن أبي شيبة في «كتاب الإيمان » ص٤٩ (١٣٦) تحقيق الألباني. (٢) انظر: « تهذيب الكمال » للإمام الحافظ المزّي؛ ج٩٢، ص٢١٧.

وتصديقهُ العملُ؛ فمن آمنَ بلسانِهِ وعَرفَ بقلبهِ وصَدَّقَ ذلك بعملِهِ؛ فذلكَ العُروةُ الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه، ولم يَعرفْ بقلبه ولم يُصدِّقُهُ بعمله لم يُقبَلْ منه وكانَ في الآخرةِ من الخاسرين) (١٠).

وقالَ الإمامُ الحافظُ الحُجَّة ؛ سفيانُ الثُّوريُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ، ونيَّةٌ؛ يَزيدُ ويَنْقُص: يزيدُ بالطَّاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوزُ القولُ والعملُ إلاَّ بالعملِ، ولا يجوزُ القولُ والعملُ إلاَّ بالنيَّة، ولا يجوزُ القولُ والعملُ والنَّيَّةُ؛ إلاَّ بموافقةِ السُّنَّة)(٢).

وقالَ الإمامُ الوليدُ بن مسلم القُرَشيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

سمعتُ الأوزاعيَّ، ومالكَ بنَ أنسٍ، وسعيدَ بنَ عبدِ العزيز؛ يُنكِرُونَ قولَ مَن يقولُ: إِنَّ الإِيمانَ قولٌ بلا عمل، ويقولون:

( لا إِيمَانَ إِلاَّ بعملٍ، ولا عملَ إِلاَّ بإيمان ) (٢).

وقالَ الْإِمامُ الزَّهدُ ؛ الفُضيلُ بنُ عياضٍ، رحمه الله تعالىٰ :

(الإيمانُ عِنْدنا داخِلُهُ وخارِجُهُ؛ الإقرارُ باللّسانِ، والقولُ بالقلبِ، والعملُ به) (١٠).

وقال أيضًا: ( لا يَصْلُحُ قولٌ ؛ إلا بالعمل)(٥).

<sup>(</sup>١) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٥، ص٥٥٥ – ٥٥٦ ( ١٥٩١).

<sup>(</sup>٢) ﴿ شُرَحَ أُصُولُ اعتقاد أهل السُّنَّة ﴾ اللالكائي: ج١، ص١٧ (٣١٤).

<sup>(</sup>٣) ه شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة » اللالكائي: ج٤، ص ٩٣ (١٥٨٦).

<sup>(</sup>٤) الشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة اللالكائي: ج٥، ص١٠٠ (١٧٤٧).

<sup>( 0 ) «</sup> السُّنَّة ، عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص٣٧٧ (٧٠٢).

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيان بن عُيينة، رحمه الله تعالىٰ:

( الإيمانُ قولٌ وعملٌ ؛ أَخذناهُ ثَمَن قَبلنا قولٌ وعملٌ ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَلِ ) ( ' ' ).

وقالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(كانَ الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ من بَعدِهِم ثَمَن أَدركناهُم: أَنَّ الإِيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئُ واحدٌ من الثَّلاثةِ إِلاَّ بالآخر)(١).

وقالَ الإمامُ عبدُ اللهِ الحميديُّ، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقُصُ، لا يَنفعُ قولٌ إلاَ بعملٍ، ولا عملٌ ولا عملٌ ولا عملٌ ولا عملٌ الله بنيَّة ولا قولٌ وعملٌ بنيَّة؛ إلاَّ بسنَّةً ("").

وقالَ الإِمامُ المحدِّثُ؛ ابن بطَّةَ العكبَري، رحمه الله تعالىٰ:

( فقد تلوتُ عليكُم من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ما يدلُّ العقلاءَ من المؤمنينَ؛ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ، وأَنَّ مَن صدَّقَ بالقولِ وتركَ العمل؛ كان مكذّبًا وخارجًا من الإيمان، وأَنَّ الله لا يقبل قولاً؛ إلاَّ بعمل، ولا عملً؛ إلاَّ بقول)(1).

وقالَ الإمامُ الحافظُ؛ أبو عمرو الدّاني القرطبي المقري، رحمه الله:

(ومن قول الفقهاء والحدّثين: إنَّ الإيمانَ؛ قولٌ، وعملٌ، ونيَّةً،

<sup>(</sup>١) (كتاب الشريعة ، الآجري: ج٢، ص ٢٠٤ (٢٣٩).

<sup>(</sup>٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص ٥٥٦ (١٥٩٣).

<sup>(</sup>٣) و شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٥، ص١٠٢٨ (١٧٣٥).

<sup>(</sup>٤) • الإيانة • ابن بطة: ج٢، ص٩٥٥ (١٠٧٤).

وإصابةُ السُّنَة. القولُ: الشَّهادةُ الله - سبحانه وتعالى - بما تقدَّمَ وصفنا له، والإقرارُ؛ بملائكته، وكتبه، ورسُله، وبجميع ما جاء من عنده. والعملُ: أَدَاءُ الفرائض التي فرضها، واجتنابُ المحارمِ التي حرَّمها. والنيَّةُ: معرفةُ الدِّيانة بالعلم)(١).

وقالَ الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقُصُ، وإذا عملت الحسن زاد، وإذا ضيغت نقص والإيمان لا يكون إلاَ بعمل (٢٠).

وقالَ الإمامُ إسماعيل بن يحيى المزني، رحمه الله تعالىٰ:

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ مع اعتقادهُ بالجنانِ؛ قولٌ باللّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركانِ، وهما سيَّانِ ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما؛ لا إيمان إلاَّ بإيمان) (٣).

وقالَ التَّابِعِيُّ الفقيه الإمامُ؛ الحسنُ البصريُّ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

( الإيمانُ كلامٌ! وحقيقته العمل؛ فإنْ لم يُحقق القول بالعمل لم ينفعه القول)(1).

وذكر شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - في «كتاب الإيمان » قول الإمامُ الحافظُ الفقيه؛ محمَّد بن مسلم الزُّهْرِي، رحمه الله:

<sup>(</sup>١) « الرسالة الوافية » للإمام أبي عمرو الداني؛ ص١٦٩؛ تحقيق: دغش العجمي.

<sup>(</sup> ٢ ) « الإيمان » ص٥٣ . للقاضي أبي يعلى .

<sup>(</sup>٣) 8 شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » اللالكائي: ج٤، ص٩٣١ - ٩٣٢ ( ١٩٥٠).

<sup>(</sup> ٤ ) ٥ كتاب الشُّريعة » الآخري: ج٢ ، ص٦٣٤ .

(كنا نقول: الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل؛ قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله؛ فإن كان عمله أوزن من قوله صعد إلى الله، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله. ورواه أبو عمرو الطلمنكي بإسناده المعروف) (١٠).

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله تعالىٰ - في شرحِ حديثِ النَّبِيِّ عَلَيُّ : و أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُهُ ؛ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » :

( فبيَّن أَنَّ صَلاحَ القلبِ مستلزمٌ لصلاح الجسدِ؛ فإذا كان الجسدُ غيرَ صالح، دلَّ على أَنَّ القلبَ غيرُ صالح، والقلبُ المؤمنُ صالحٌ؛ فعُلِمَ أَنَّ مَن يتكلَّمُ بالإيمانِ، ولا يعملُ به، لا يكونُ قلبُهُ مؤمنًا، حتى أَنَّ المكرَّة في إظهارِ الإيمان؛ لا بُدَّ أَن يتكلَّم مع نفسِهِ، وفي السَّرِّ معَ من يامنُ إليه، ولا بُدَّ أَن يتكلَّم مع نفسِهِ، وفي السَّرِّ مع من يامنُ إليه، ولا بُدَّ أَن يُظهرَ على صفحاتِ وجههِ وفلتاتِ لسانه؛ كما قال عُثمان.

وأَمَّا إِذَا لَم يُظْهِرْ آثرَ ذلكَ لا بقولِهِ، ولا بفعلِهِ قَطَّ؛ فإِنَّه يدلُّ علىٰ آنَه ليس في القلب إيمانٌ، وذلكَ أنَّ الجسدَ تابعٌ للقلب؛ فلا يستقرُّ شيءٌ في القلب إلاَّ ظهرَ موجَبُهُ ومُقتضاه علىٰ البدنِ، ولو بوجه من الوجُوه)(٢).

وقالَ الإِمامُ الحافظُ؛ ابنُ رجبَ الحنبليُّ – رحمه الله تعالىٰ – في شرحه لهذا الحديث أيضًا:

(إِنَّ صلاحَ حركاتِ العبدِ بجوارحِهِ، واجتنابَهُ للمحرَّماتِ واتَّقاءَهُ

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي ٤: ج٧، ص ٢٩٥.

<sup>(</sup>٣) ومجموع الفتاوي ، ج١١، ص١٢١.

للشُّبهاتِ بحسْبِ صلاحِ حركةِ قلبِه. فإن كانَ قلبُه سليمًا، ليسَ فيه إِلاَّ محبَّةُ اللهِ، ومحبَّةُ اللهُ، وخشيةُ الله، وخشيةُ الله، وخشيةُ الله، وحبَّةُ الله، ومحبَّةُ الله، ومحبَّةُ الله، وخشيةُ الله، وخشيةُ الله، ومحبَّةُ الله، ومحبَّةُ الله، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرَّماتِ كلّها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرَّماتِ كلّها، وتوقّي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرَّمات.

وإن كانَ القلبُ فاسدًا، قد استولى عليه اتّباعُ هَوَاه، وطلبُ ما يحبُّه، ولو كرههُ الله، فسدت حركاتُ الجوارحِ كلُّها، وانْبَعَثَتْ إلىٰ كلّ المعاصي والمشتبهات بحسب اتّباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلبُ مَلِكُ الأعضاءِ، وبقيَّةُ الأعضاء جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائعونُ له، مبعوثونَ في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيءٍ من ذلك؛ فإن كان الملكُ صاحًا كانت هذه الجنودُ صالحةً، وإن كان فاسداً كانت جنودُه بهذه المثابَةِ فاسدةً، ولا ينفعُ عندَ اللهِ إلاَّ القلبُ السليم...

فإنَّ أعمالَ الجوارحِ لا تستقيمُ إلاَّ باستقامةِ القلبِ، ومعنى استقامةِ القلبِ أَن يكونَ ممتلئاً من محبَّةِ الله، ومحبَّةِ طاعته، وكراهية معصيته... وحركاتُ الجسدِ تابعةٌ لحركةِ القلب وإرادته، فإن كانت حركتُه وإرادتُه لله وحده؛ فقد صَلَحَ وصَلَحَتْ حركاتُ الجسدِ كلّه، وإن كانت حركةُ القلب وإرادتُهُ لغيرِ الله تعالى، فسد، وفسدت حركاتُ الجسد بحسب فسادِ حركة القلب...

ومعنى هذا أنَّ حركات القلب والجوارح إِذا كانت كلَّها لله؛ فقد كَمُلَ إِيمَانُ العبد بذلك ظاهرًا وباطنًا، ويلزمُ من صلاح حركات القلب صلاحُ

الجوارح؛ فإذا كان القلبُ صالحًا ليس فيه إِلاَّ إِرادةُ الله، وإِرادةُ ما يريدُهُ لم تنبعثِ الجوارحُ إِلاَّ فيما يُريدُهُ الله)(١).

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة ، رحمه الله تعالى :

(فأصلُ الإيمانِ في القلب، وهو قولُ القلبِ وعمله، وهو إقرار بالتَّصديق والحبِّ والانقياد، وما كان في القلب، فلا بُدُّ أَن يظهر مُوجَبُهُ ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه ؛ دلَّ على عَدَمه، أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمالُ الظاهرةُ من موجب إيمانِ القلبِ ومقتضاه، وهي التَّصديقُ لما في القلب، ودليلٌ عليهِ وشاهدٌ له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق، وبعضٌ له؛ لكنَّ ما في القلبِ هو الأصلُ لما على الجوارح ؛ كما قال أبو هريرة، رضى الله عنه:

إِنَّ القلب ملك، والأعضاءَ جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك؛ خبثت جنوده (٢٠).

وقال أيضًا: (فهذا الموضع ينبغي تدبُّرُهُ فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن؛ زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعَلِمَ أَنَّ مَن قالَ من الفقهاء: إنَّه إذا أَقرَّ بالواجب وامتنعَ عن الفعل لا يُقْتَلُ، أو يُقتلُ مع إسلامِه؛ فإنَّه دخلت على المرجئة والجهميَّة، والتي دخلت على المرجئة والجهميَّة، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامَّة، لا يكون بها شيءٌ من الفعل، ولهذا كان المُتنعُون من قتل هذا من الفقهاء بَنَوهُ على قولهم في مسألة

<sup>(</sup>١) ه جامع العلوم والحكم ، ج١، ص ٢١٠ في شرح الحديث السادس من الأربعين النووية ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط

 <sup>(</sup> ٢ ) ۵ مجموع الفتاوئ ۵ ح۷. ص ۲ : ٢ .

الإيمان، وأنَّ الأعمالَ ليست من الإيمان، وقد تقدَّم أنَّ جنسَ الأعمالِ من لوازمِ إيمانِ القلب، وأنَّ إيمان القلبِ التَّام بدون شيءٍ من الأعمالِ الظاهرةِ متنعٌ؛ سواء جعلَ الظاهرَ من لوازم الإيمان، أو جزءًا من الإيمان )(١).

وقال في موضع آخر: (وهنا أصولٌ تنازع النّاسُ فيها: منها أنَّ القلبَ هل يقوم به تصديقٌ، أو تكذيبٌ، ولا يَظْهَرُ قط منه شيءٌ على اللّسانِ والجوارح، وإنَّما يظهَرُ نقيضُه من غيرِ خوف؟ فالذي عليه السَّلفُ والأَثمَّةُ وجمهورُ النَّاس؛ أنَّه لا بُدَّ من ظهُورِ موجَبِ ذلك على الجوارح، فمن قال: إنَّه يُصَدِّقُ الرَّسولَ عَلَيْ ويحبّه ويُعَظِّمُهُ بقلبه، ولم يتكلم قطُّ عالمٍ بلا خوف؛ فهذا لا يكون مؤمنًا في بالإسلام، ولا فعلَ شيئًا من واجباته بلا خوف؛ فهذا لا يكون مؤمنًا في الباطن، وإنَّما هو كافر) (١).

وقال كذلك: (وقد تبيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لا بُدَّ فيه من قول وعمل، وأنَّه يُمتَنَعُ أَن يكونَ الرَّجلُ مؤمنًا بالله ورسولِه بقلبِه، أو بقلبِه ولسانه، ولم يؤدِّ واجبًا ظاهرًا، ولا صلاةً ولا زكاةً ولا صيامًا، ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأَجل أَنَّ الله أوجبها؛ مِثْلَ أَن يؤدِّي الأَمانَة، أو يصدُّق الحديث، أو يعدلِلَ في قسمِه وحُكمِه؛ من غير إيمان بالله ورسوله، لم يَخرُّج بذلك من الكُفر؛ فإنَّ المشركين، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكونُ الرَّجُلُ مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيءٍ من الواجبات التي يختصُّ الرَّجُلُ مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيءٍ من الواجبات التي يختصُ بإيجابها محمَّد عَلَيْ (٢).

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ، ج٧، ص١٦٦.

<sup>(</sup>٢) مجموع الفتاوي ، ج١١، ص١٢٠.

<sup>(</sup> ٣ ) « مجموع الفتاوي » ج٧ ، ص ٢٢ .

وقال - أيضًا - رحمه الله: (إذا نقصت الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ ؛ كان ذلك لنقصِ ما في القلبِ من الإيمان؛ فلا يُتَصَوَّرُ مع كمالِ الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ ؛ بل يلزم من وجود هذا كاملاً ؛ كما يلزم من نقصِ هذا، نقصُ هذا ؛ إذ تقديرُ إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل ، كتقدير موجَب تامً بلا موجبه ، وعلّة تامّة بلا معلولها ، وهذا ممتنع )(1).

وقال - أيضًا - رحمه الله: (وإذا قام بالقلب التَّصديق به والحبَّة له؛ لزم ضرورةً أن يتحرَّكَ البدنُ بموجبِ ذلك من الأقوال الظَّاهرة، والأَعمال الظَّاهرة؛ فما يظهرُ على البدن من الأقوال والأَعمال هو موجبُ ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله؛ كما أنَّ ما يقومُ بالبدن من الأقوال والأَعمال له - أيضًا - تأثيرٌ فيما في القلب.

فكلٌ منهما يؤثّرُ في الآخر؛ لكنَّ القلبَ هو الأصلُ، والبدنَ فرعٌ له، والفرعُ يستمدُ من أصله، والأصلُ يثبت ويقوىٰ بفرعه؛ كما في الشجرة التي يضرب بها المثلُ لكلمة الإيمان، قال تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إراميم: ٢٤].

وهي كلمةُ التوحيدِ، والشجرةُ كلما قويَ أصلُها وعرقَ وروي؛ قويت فروعُها، وفروعُها - أيضًا - إذا اغْتَذَتْ بالمطرِ والرَّيحِ أثر ذلك في أصلها.

وكذلك الإيمانُ في القلب، والإسلامُ علانيةً، ولما كانتِ الأقوالُ

<sup>(</sup>١) ومجموع الفتاوي، ج٧، ص٨٢٥.

والأعمالُ الظَّاهرةُ لازمةً ومستلزمةً للأقوالِ والأعمالِ الباطنة؛ كان يُستَدَلُّ بها عليها)(١).

وقالَ الإِمامُ الحافظُ ابنُ القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(وها هنا أصلٌ آخرُ: وهو أنَّ حقيقةَ الإيمانِ مُرَكَّبَةٌ من؛ قول وعمل.

والقولُ قسمان: قولُ القلبِ، وهو الاعتقادُ. وقولُ اللّسانِ، وهو التكلمُ بكلمة الإسلام.

والعملُ قسمان : عملُ القلب، وهو نيَّتُهُ وإخلاصهُ. وعملُ الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمانُ بكماله. وإذا زال تصديقُ القلب، لم ينفع بقيةُ الأجزاء؛ فإنَّ تصديقَ القلب شرطٌ في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عملُ القلب مع اعتقاد الصّدق؛ فهذا موضعُ المعركة بين المرجئة وأهل السُنَّة؛ فأهل السُنَّة مُجْمِعُونَ على زوال الإيمان، وأنَّه لا ينفعُ التَّصديقُ مع انتفاءِ عملِ القلب، وهو مُحَبَّتُهُ وانقيادُه؛ كما لم ينفع إبليسَ وفرعونَ وقومه، واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدونَ صدق الرَّسول؛ بل ويُقِرُّونَ به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتَّبعه، ولا نؤمنُ به.

وإذا كان الإيمانُ يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مُسْتَنْكَر أَن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزومًا لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزومٌ لعدم التَّصديق الجازم - كما تقدَّم تقريرُه - فإنَّه يلزم من عدم طاعة القلب عدمُ طاعةِ الجوارح، إذ لو أطاع القلبُ وانقادَ؛ أطاعت

 <sup>(</sup>١) د مجموع الفتاوئ و ج٧، ص١٤٥ – ٢٤٥.

الجوارحُ وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدمُ التَّصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقةُ الإيمان.

فإنَّ الإيمانَ ليس مُجَرَّدَ التَّصديق - كما تقدَّم بيانه - وإنَّما هو التَّصديقُ المستلزمُ للطاعة والانقياد، وهكذا الهُدئ ليس هو مجردَ معرفة الحقِّ وتبيَّنه؛ بلْ هو معرفته المستلزمة لاتِّباعه، والعمل بموجَبه، وإن سُمِّيَ الأُوَّلُ هدَّى؛ فليس هو الهُدَىٰ التَّامَّ المستلزمَ للاهتداء؛ كما أنَّ اعتقاد التَّصديق، وإن سُمِّي تصديقًا؛ فليس هو التَّصديق المستلزم للإيمان، فعليك التَّصديق، وإن سُمِّي تصديقًا؛ فليس هو التَّصديق المستلزم للإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته)(۱).

وقالَ العلاُّمة المحقِّق؛ أبو إِسحاق الشاطبي، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(ومن هنا جُعلت الأعمالُ الظاهرةُ في الشَّرِعِ دليلاً على ما في الباطن؛ فإنْ كان الظاهرُ مُنْخَرِمًا؛ حُكِمَ على الباطن بذلك، أو مستقيمًا؛ حُكِمَ على الباطن بذلك، أو مستقيمًا؛ حُكِمَ على الباطن بذلك أيضًا، وهو أصلٌ عامٌ في الفقه وساثِر الأحكام العاديات والتجريبيَّات؛ بل الالتفاتُ إليها من هذا الوجه نافعٌ في جملة الشريعة جدًّا، والأدلَّةُ على صحته كثيرةٌ جدًّا، وكفىٰ بذلك عمدة أنَّه الحاكم بإيمان المؤمنِ، وكُفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيانِ العاصي، وعدالةِ العدل، وجرحةِ المجرَّح، وبذلك تنعقد العقودُ وترتبط المواثيقُ، إلىٰ غير الكامن من الأمور؛ بل هو كُليَّةُ التشريع، وعمدةُ التَّكليف بالنسبة إلىٰ إقامة دلك من الأمور؛ بل هو كُليَّةُ التشريع، وعمدةُ التَّكليف بالنسبة إلىٰ إقامة حدود الشَّعائر الإسلاميَّة الخاصَة والعامَّة) (٢).

<sup>(</sup> ۱ ) ه كتاب الصُّلاة وحكم تاركها ه: ص٤ ه . تحقيق تيسير زعيتر .

<sup>(</sup> ٢ ) و الموافقات ، للشاطبي: ج ١ ، ص٣٦٧ . تحقيق مشهور حسن السلمان .

# أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة

#### أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- الركن الأُول: الإيمان بالله تعالىٰ.
  - الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.
  - الركن الثالث: الإيمان بالكتب.
  - الركن الرابع: الإيمان بالرسل.
- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.
  - الركن السادس: الإيمان بالقدر.

### أركان الإيمان

إِنَّ أَهْلَ السُنَّةِ والجماعة - السَّائرين على نهج السَّلف الصَّالح - يسيرون على أصول ثابتة وواضحة وبيِّنة في الاعتقاد، والعمل، والسُّلوك، وهذه الأصول مُسْتَمَدَّةٌ من الوَحْيَيْنِ الشَّريفَيْنِ: كتابِ الله تبارك وتعالى، وكلِّ ما صحَّ من سُنَّة رسُوله عَلَيْ متواترًا كان أو آحادًا، وعلى ضوء فهم سلف هذه الأُمَّة من الصَّحابة، والتَّابعين، ومن تبعهم بإحسان.

فهم يُسلِّمونَ لنصوصِ الوَحْيَيْنِ، ويجمعون بينهما، ويردُّونَ متشابهها إلى محكمِها، وينقادون لهما مع غاية التَّعظيم والإجلالِ، ولا يختلفون فيهما، ولا يتفرَّقون شيعًا وأحزابًا؛ بل يَعْتَصِمُونَ بحبل اللهِ المتين.

ولا يعارضونَ الوَحْيَيْنِ: بالعقولِ القاصرةِ، والأَقيسة الباطلة، والفلسفة، والكشف، والذَّوق.

فأصولُ الدِّينِ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - قد بَيَّنها النَّبِيُّ عَلَيْكَ بيانًا شافيًا؛ فليس لاَحد أن يُحدث فيها شيئًا، ويزعُمَ أنَّه من الدِّين.

ولهذا تمسَّكُوا بهذه الأصول العظيمة، واجتنبوا الآلفاظ المبتدعة، والتزموا بالألفاظ المبتدعية، والذا كانوا هم الامتداد الطبيعيّ والحقيقيّ للسّلف الصَّالح، ومن هذه الأصول؛ أصول الإيمان:

فإِنَّ معتقدَهم في أُصول الإيمان؛ يتلخَّصُ في التَّصديق بأركانه السِّتَّة،

كما أخبرَ بذلك النَّبِيُّ عَلَيْهُ في حديث جبريلَ الطَّويل - عليه الصَّلاة والسَّلام - لمَّا جاءَ يسألُه عن الإيمانِ؛ فقال عَلَيْهُ:

«أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه »(١).

فالإيمانُ يقوم على هذه الأركانِ السِّتَّة؛ إذا سقطَ منها ركنٌ، لم يكن الإنسانُ مؤمنًا البِتَّة؛ لأنَّه فَقَدَ رُكنًا من أركانِ الإيمان؛ فالإيمانُ لا يقومُ إلاَّ على أركانِه مكتملة.

لذا لا يتمُّ الإيمانُ؛ إلاَّ بأركانه السَّتَة جميعًا على الوجهِ الصَّحيحِ الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَة، ومَن جحد شيئاً منها فليس بمؤمن، وإن ادَّعى الإيمان، وقامَ ببعضِ أركان الإسلام.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وسؤال جبريل النبي عَلَي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ه. ومسلم في (كتاب الإيمان) باب وبيان الإيمان والإسلام والإحسان ه.

## الركن الأول

#### الإيمان بالله تعالىٰ

الإِيمَانُ بِاللهِ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ: هُوَ التَّصْدِيقُ الجَازِمُ، وَالاقْوارُ الكَامِلُ، وَالاغْتِرافُ التَّامُ:

- \* بِوجُودِ اللهِ تعالىٰ ؛ جَلَّ فِي عُلاَهِ.
- \* وَبِورُبُوبِيَّتِهِ، أَيْ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ، وَمَلِيكُهُ، وَمُلِيكُهُ، وَمُلِيكُهُ، وَمُلدَبِّرُهُ، وَرَازِقُهُ وحدهُ لا شريك له؛ حيِّ لا يموت.
  - \* وَبِأَلُوهِيَّتِهِ، أَيْ: اسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَةَ والطَّاعَةَ.
- \* وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَيْ: اتَّصَافِهِ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَال، وَنُعُوتِ الجَلال، وَالأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ.
- \* لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءِ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَالْقِيَامُ بِمُقْتَضَىٰ هَذَا الْإِقْرَارِ؛ عِلْمًا وَعَمَلاً، أَيْ: اطْمِئْنَانُ الْقَلْبِ بِذَلِكَ اطْمِئْنَانًا تُرَىٰ آثَارُهُ فِي سُلُوكِ الْعَبْدِ، وَالتِزَام أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

والإيمَانُ بِاللهِ تَعَالَىٰ: هو أَوَّلُ أَركانِ الإيمانِ الستَّةِ وأعظمُها وأساسُها؛ بل هو أَسَاسُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ ولُبُّها؛ فهو الركنُ الرَّكينُ، وأصلُ الأُصُول،

والحَجَرُ الأساسِيُّ، وقاعدةُ الدِّين، ورأْسُ كلَّ فلاحٍ ونجاحٍ ونجاةٍ، و المحوَرُ الذي تَدُورُ حولَه أُمورُ العقيدةِ كلَّها، والعُمدةُ التي كلُّ أُركانِ العقيدةِ مضافةٌ إليه، وتابعةٌ لَهُ، وفرعٌ منه، وهو أوَّلُ المعارفِ، وأسبقُها إلىٰ الأفهامِ، وأسهلُها علىٰ العقولِ، وكلَما كانَ حظُّ العبدِ من الإيمانِ باللهِ تعالىٰ عظيمًا وصادقًا وخالصًا؛ كانَ حظُّهُ في الإسلام كبيرًا وعزيزًا.

فالإيمانُ بالله تعالى: يَتضمَّنُ الإيمانَ بوحدانيَّته، واستحقاقِهِ وحده للعبادةِ، وبأسمائه وصفاته؛ لأنَّ وجودَهُ - جلَّ وعلا - وروبوبيته - تبارك وتعالى - أكبرُ الحقائقِ على الإطلاقِ، وأعظمُها، وأجلاها، وأظهرُها، وأوَّلُها، وهو مِنَ المسلَّماتِ الفطريَّة والعقليَّة والبصريَّة والتأريخيَّة؛ التي لا شكَّ فيه عند بني آدمَ ولا ريبَ، منذ أن خلق الله تعالىٰ الأرض ومن عليها.

وهو أمرٌ فطريٌّ بالضرورة، والأدلَّةُ في الأنفُسِ، والآفاقِ، والنُّبوَّاتِ؛ شواهدُ تُكثَّفُ هذا الشُّعورَ الفطريَّ، والأدلَّةُ كثيرةٌ في دلالتها على ما يتضمَّنُهُ هذا الأصلُ من خصائص الله تعالىٰ وحقوقِهِ، وقد دلَّ عليه:

الفطرة السّليمة ، والعقلُ السّليم ، والحسُّ عند الإنسان ، الشَّرعُ المنزَّل . وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ : الإِيمَانُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَٱلْوهِيَّتِهِ ، وَٱسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَذَلِكَ بَالإَقْرارِ بِٱنْواعِ التَّوْحِيدِ الثَّلاَئَةِ ، واعْتِقَادِهَا ، والْعَمَلِ بِهَا ، وهذهِ الأنواعُ ، هي :

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ.

#### ١ - تُوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ (\*):

مَعْنَاهُ الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالإِقْرَارُ الْكَامِلُ، وَالاعْتِرَافُ التَّامُ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَحُدَهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ وَخَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ وَلاَ مَسَمِيَّ لَهُ؛ حَيِّ لاَ يَمُوتُ، وَقَيُّومٌ لاَ يَنَامُ، مُنَزَّةٌ عَنِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ وَالْعَيْبِ، سَمِيَّ لَهُ؛ حَيٍّ لاَ يَمُوتُ، وَقَيُّومٌ لاَ يَنَامُ، مُنزَّةٌ عَنِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ وَالْعَيْبِ، بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ، مُدبِّرُ الْعَالَمِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ؛ لَهُ الْحُكْمُ وَلَهُ الأَمْرُ كُلُهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُهُ؛ لاَ رَادً لاَ مْرِهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، الْحُكْمُ وَلَهُ الأَمْرُ كُلُهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُهُ؛ لاَ رَادً لاَ مْرِهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَمُنُ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَالأَرْضِ عَبْدٌ لَهُ وَقَدَرِهِ، وَالأَوْرارُ وَيُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ عَبْدٌ لَهُ وَفِي قَبْضَتَةِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالإِيمَانُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَالإِقْرارُ بِعَدْل اللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ مَا يُقَدِّرُهُ، وَبُوحُدَانِيَّةِ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: « تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرَادُهُ بِأَفْعَالِهِ » .

وَقَدْ قَامَتِ الأَدِلَةُ الشَّرِعِيَّةُ عَلَىٰ وجُوبِ الإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالقُرآنُ الْعَظِيمُ مَلِيءٌ بِذِكْرِ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ تَكَادُ سُورَةٌ مِنْ سُورِهِ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، أَوِ الإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ الأَسْاسُ بِالنِّسْبَةِ لأَنُواعِ التَّوحِيدِ الأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ تَبَارِكَ وتَعَالَىٰ:

<sup>(\*)</sup> الربوبيّة لغة : (هي نسبة لاسم الله جلّ وعلا: «الرّب» والربّ : مصدرُ رَبّ يَرُبّ ، بمعنى : نشّاً الشيء من حال إلى حال الشمام ، يُقالُ : ربّه وربّاه وربّبه ، ولها عدة معان في اللغة منها : المربّي ، المالك ، السيّد ، المدبّر ، الوالي ، المنعم ، المتمّم ، القيّم . والله تعالى هو ربّ كلّ شيء ، أي : مالكه ، وله الربوبيّة على جميع الخلق لا شريك له ، وهو ربّ الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك . ولفظ «ربّ » مصدر مستعار للفاعل ، ولا يُطلَقُ لفظ «الرّب » - بالألف واللام - لغير الله تعالى إلا بالإضافة المحدودة ، فيقال : ربّ الدار ، ورب الفرس : يعني واللام - لغير الله تعالى إلا بالإضافة المحدودة ، فيقال : ربّ الدار ، ورب الفرس : يعني صاحبها ) انظر : «لسان العرب » ج ١ ، ص ٣٣٩ . و« تاج العروس » ج ٢ ، ص ١٧٩ . و« النهاية » ج ٢ ، ص ١٧٩ .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وَقُولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِيْ الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٣).

وَقُولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ( ' ' ).

وَقُولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ (\*).

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوحِيدِ أَقَرَّ بِهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَآكُثَرُ أَصْحَابِ الْمِلَلِ وَالنَّحَلِ وَالدِّيَانَاتِ، وَالْمُشْرِكُونَ القُدَامَىٰ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ؛ فَكُلُّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَمَنْ فِيهِ، وَرَازِقَ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا؛ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلَقَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبُّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (٧).

وَذَلِكَ لأَنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ مَفْطُورةٌ عَلَىٰ الإِقْرارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ – جَلَّ وَعَلاَ – وَلَمْ يُنْكِرْ هَذَا التَّوجِيدَ إِلاَّ الدَّهرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا هَذَا.

<sup>(</sup>١) سورة الفاتحة، الآية: ١.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨.

<sup>(</sup>٧) سورة يونس، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

<sup>(</sup>٦) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

لِذَا؛ فَلاَ يُصْبِحُ مُعْتَقِدُه مُوحِدًا، وَلاَ يَدْخُلُ فِي حَضِيْرةِ الإسْلاَمِ، وَلاَ يَعْصِمُ دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَلاَ يُنْجِيْهِ فِي الآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَالْحُلُودِ فِيهَا؛ حَتَىٰ يَلْتَزِمَ بِالنَّوْعِ الثَّانِي مِنْ أَنْواعِ التَّوحِيدِ، وَهُوَ تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ.

#### ٧ - توحيدُ الأُلوهيَّة (\*):

مَعْنَاهُ الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالإِقْرارُ الْكَامِلُ، وَالاعْتِرافُ التَّامُ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الإِللهُ الْحَقُ وَحْدَهُ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ وَلاَ مُعْبُودَ سِوَاهُ؛ الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ الْمُطلَقَةِ وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِواهُ بَاطِلٌ، وَالبَراءَةُ مِنْهُمْ جَمِيعًا.

أَيْ: هُوَ إِفْرادُ اللهِ - جَلَّ وَعَلا - وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ بِجَمِيعِ أَنُواعِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَة؛ قُولاً وَعَمَلاً، وَإِخْلاصُ الدِّينِ لَهُ، وَأَلاَّ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ كَالصَّلاَةِ، وَالصِّيام، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجْ، وَالدُّعَاءِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَالاسْتِعَانَةِ، وَاللَّرْمِ، وَالدَّبْحِ، وَالتَّوكُلِ، وَالدَّعْوِهُ وَالرَّجَاءِ، وَالْحُبِ، وَالإَنَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالاَجْوَاءِ وَالرَّجَاءِ، وَالْمُعْمِةَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ بِالْحُبُ وَالْحَوفِ وَالرَّجَاءِ جَمِيعًا، وَعَبَادَةِ، وَأَنْ يُعْمِدَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ بِالْحُبُ وَالْحَوفِ وَالرَّجَاءِ جَمِيعًا، وَعَبَادَةُ بِبَعْضِهَا دُونَ بَعْضِ ضَلاَلٌ.

<sup>(\*)</sup> والألوهيّة »: (مشتقة من كلمة «إله» والجمع «آلهة » بمعنى المعبود المطاع، أي: المألوه الذي تألهه القلوب. وكلّ ما اتّخذ معبودًا إلة عند مُتّخِذه، أي: هو شامل لكلّ مَا يُعبد، ويطلق على المعبود بحقّ وهو الله تعالى الإله الحقّ، ويطلق - أيضًا - على المعبود بالباطل الذي يُعبد من دون الله؛ ولكن الإله الحق يجب أن يكون خالقًا قادرًا رازقًا مُدبرًا، وعلى كلّ شيء مقتدرًا؛ فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِد ظلمًا، وسُمّي إلهًا. ولفظ الجلالة «الله » مشتقٌ من الإله، وأصله إلاهٌ؛ أي: معبود، ولا يؤخذ منه صفة فعليّة كالخلق والرزق ونحو ذلك، وإنّما يدلّ على صفة ذاتيّة هي استحقاقه تعالى للعبادة) ولسان العرب » ج ٢٠، ص ٢٥٠ . و «القاموس المحيط» ص ٢٠٠ .

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: ﴿ تَوحِيدُ اللَّهِ تَعَالَىٰ ﴾ وَإِفْرادُهُ بِٱفْعَالِ الْعِبَادِ ﴾ .

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١).

وقَـالَ تَـعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ يَـدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ لاَ بُـرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّـمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢).

وَمِنْ أَجْلِ تَوحِيدِ الْعِبَادَةِ؛ خَلَقَ اللهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾ (٣).

هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ وَظَاهِرُهُ وَبَاطِئُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرَّسُلِ وَآخِرُهَا، وَلاَّ جَلِهِ أُرْسِلَتِ الرَّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَسُلَّتْ سُيوفُ الْجِهَادِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قُولِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قُولِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِهُ هُوَ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ ﴾ وهُو مَا دَعَا إِلَيْهِ جَمِيعُ الرَّسُلِ، وَإِنْكَارُهُ هُو اللّذِي آوْرَدَ الاُمْمَ السَّابِقَةَ مَوارِدَ الهَلاكِ. قالَ اللهُ تَعَالَىٰ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونَ ﴾ ( \* ) .

فَتُوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلْزِمٌ تَوحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَزِمَهُ أَنْ يَعْبُدُ اللهِ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكَ بِهِ أَحَدًا؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ وَاحِدًا، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّمَا عَبَدُوا آلِهَةُ مُتَعَدِّدَةً، وَزَعَمُوا أَنَّهَا تُقَرِّبِهُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ مَعَ لَهُ، وَإِنَّمَا عَبَدُوا آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً، وَزَعَمُوا أَنَّهَا تُقَرِّبِهُمْ إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ مَعَ

( ٢ ) سورة المؤمنون، الآية : ١١٧.

<sup>(</sup>١) سورة الفاتحة، الآية : ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦. (٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَرَعْمَ ذَلِكَ لَمْ يُسَمِّهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ مُوْمِنِينَ، بَلْ جَعَلَهُمُ فِي عِدَادِ الْكَافِرِينَ؛ بِإِشْرَاكِهِمْ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ.

فَمَنْ كَانَ رَبًّا خَالِقًا، رَازِقًا، مَالِكًا، مُتَصَرِّفًا، مُحْبِيًا، مُمِيتًا، مَوْصُوفًا بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَاحِدًا لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَلاَّ تُصْرَفَ الْعِبَادَةُ إِلاَّ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَمِنْ هُنَا يَخْتَلِفُ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَنْ غَيْرِهِمْ فِي تَوْحِيدِ الأَّلُوهِيَّةِ؛ فَهُمْ لاَ يَعْنُونَ كَمَا يَعْنِي البَعْضُ أَنَّ مَعْنَىٰ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » لاَ خَالِقَ وَلاَ رَازِقَ إِلاَّ اللهُ فَحَسْبُ؛ بَلْ إِنَّ تَوحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ لاَ يَتَحَقَّقُ – عِنْدَهُمْ – إِلاَّ بِتَحْقِيقِ مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » أَيْ: لاَ مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلاَّ اللهُ ، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَ تَوجِيدَ الأُلُوهِيَّةِ يَقْتَضِي؛ إِفْرَادَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ بِإلْعِبَادَةِ. وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَ تَوجِيدَ الأُلُوهِيَّةِ يَقْتَضِي؛ إِفْرَادَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ بِإلْعِبَادَةِ.

وَالْعِبَادَةُ: هِيَ الطَّاعَاتُ مِنَ الأَعْمَالِ الشَّرِعِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لِينَالَ رِضَاهُ ؛ وَتَتَحَقَّقُ الْعِبَادَةُ ؛ بِقُولِ الْقَلْبِ وَاللَّسَانِ، وَبِعَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِح.

وَالْعِبَادَةُ الَّتِي تُصْرَف لللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِشَرْطَيْنِ:

الأَوَّلُ: الإِخْلاَصُ، أَيْ: أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿ إِنَّ ۖ فَاعْبُدُوا مَا شَئْتُم

١٥ – ١٤ ) سورة الزمر، الآيتان : ١٤ – ١٥ .

النَّانِي: الْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْكَ، أَيْ: أَنْ يُعْبَدَ اللهُ بِمَا شَرَعَ، وَطَاعَتُهُ فِيْمَا أَمْرَ، وَتَصْدِيقُهُ فَيْمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ مُوافِقَةً - مَكَانًا وَزَمَانًا - لِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ عَلِيْكَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١٦).

فَتَوْحِيدُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ: هُو تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ».

وَمُتَابَعَةُ رَسُولِ اللهِ عَنْ وَسُنْتِهِ، وَالإِذْعَانُ لِمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَىٰ عَنْهُ،
 وَالانْقِيَادُ الْمُطْلَقُ لَهُ عَلْ : هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنَ ( مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ .

وَتَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ وَلاَ إِلَّهَ إِلاَّ اللهُ ، لَهَا رُكْنَان عَظِيْمَان :

أَوَّلاً – أَنْ تُصْرَفَ جِمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ.

ثَانِيًا - أَنْ لاَ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعَبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ؛ أَنْ لاَ يُعْطَىٰ الْمَخْلُوقُ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِ الْخَالِقِ وَخَصَائِصِهِ وَالَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، أَيْ: أَنْ لاَ يُعْبَدَ إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلاَ يُصَلَّىٰ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُسْجَدَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُنْذَرَ وَلاَ يُذبحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُتُوكُلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَلاَ يُسْتَعَانَ إِلاَّ باللهِ، وَلاَ يُدعَىٰ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ، إلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

#### فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَلاَ يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْعًا؛ فَلاَ يَسْأَلُونَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَسْتَعِينُونَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ يَسْتَعِينُونَ إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلاَّ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلاَّ مِنْهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَعَلاَ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلاَّ مِنْهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَعِمَالِحِ الأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهِ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾ (١٠).

#### ٣- تُوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

مَعْنَاهُ: الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصَّفَاتُ الْعُلَىٰ، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّةٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ، مُتَفَرِّةٌ بِذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْكَاثِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ.

وأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ - جَلَّ وَعَلاً - بِصِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَيَصِفُونَ رَبَّهُمْ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ عَلِيلًةٌ وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ (\*) فِي أَسْمَاتِهِ وَاللهُ عَلِيلًةً وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ (\*) فِي أَسْمَاتِهِ وَآيَاتِهِ، وَيُثْبِتُونَ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلاَ تَكْيِيفٍ، وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَلاَ تَحْدِيفٍ، وَقَاعِدَتُهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

<sup>( \* ) «</sup> الإلحاد »: هو الميل عن الحقّ، والانحراف عنه، ويدخل فيه: « التّعطيل، والتحريف، والتحييف، والتمثيل ».

<sup>•</sup> التعطيل: عدم إثبات الصفات، أو إثبات بعضها ونفي الباقي.

التحريف: تغيير النص لفظا أو معنى، وصرفه عن معناه الظاهر إلى معنى لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح؛ فكل تحريف تعطيل، وليس كل تعطيل تحريفًا.

<sup>•</sup> التكييف: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.

<sup>•</sup> التمثيل: إثبات المثل للشيء؛ مشابهًا له من كلِّ الوجوه.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (١).

وَقُولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَلْهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ لَلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

لاَ يُحَدَّدُونَ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ اللهِ؛ لأَنَّهُ – جَلَّ وَعَلاَ – لَمْ يُخْبِرْ بِالْكَيْفِيَّةِ، وَلاَنَّهُ لاَ أَحَدَ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ بنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (٢).

وَقَالَ: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعَلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (''). وَلاَ أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللهِ بَعْدَ اللهِ، مِنْ رَسُولِهِ عَلَيْكُ الَّذِي قَالَ اللهُ فِي حَقِّهِ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ ﴿ ﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ('').

وَأَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - هُوَ الأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي الْأَوَّلُ الله شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ:

﴿ هُوَ الْأُوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَّاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليِّمٌ ﴾ (١٠).

وَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – لاَ تُشْبِهُ الذَّوَاتِ، فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لاَ تُشْبِهُ الصُفَاتِ؛ لأَنَّهُ – جَلَّ وَعَلاً – لاَ سَمِيً لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ وَلاَ نِدَّ لَهُ،

<sup>(</sup>١) سورة الشورى، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

<sup>(</sup>٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

 <sup>(</sup>٤) سورة النحل، الآية: ٧٤.

<sup>(</sup>٦) سورة الذاريات، الآية: ٨٥.

وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ؛ فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ اللهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، إِثْبَاتًا بَلاَ تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بَلاَ تَعْطِيلٍ؛ فَحِيْنَ يُثْبِتُونَ اللهِ تَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ لاَ يُمَثِّلُونَ، وَإِذَا وَتَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ لاَ يُمَثِّلُونَ، وَإِذَا وَتَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ لاَ يُمَثِّلُونَ، وَإِذَا وَتَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ لاَ يُعَطِّلُونَ الصَّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِهَا؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مُحِيْطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَازِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَازِقُ كُلِّ حَيِّ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُو َ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢٠).

وَأَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُوْمِنُونَ بِأَنَّ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - اسْتَوَىٰ (\*) عَلَىٰ اسْتَوَىٰ (\*) عَلَىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِعُلُوهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَفِي سَبْع آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ؛ بَلاَ تَكْيِيفٍ، قَالَ الله تَعَالَىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتُوكَىٰ ﴾ (٢).

 <sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٢) سورة طه، الآية: ٥.

<sup>(\*)</sup> الاستواء على العرش والعلو؛ صفتان نئبتهما الله تعالى كباقي الصفات؛ إثباتًا يليق بجلاله، وبكمال صفاته، وتفسير كلمة «استوى» عند أنمّة السّلف الصّالح هو: (استقر، علا، ارتفع، صعد) وهم يفسرونها بهذه الكلمات؛ لا يتجاوزونها، ولا يزيدون عليها ألبّتة! ولم يَرِدُ في تفسير السّلف؛ تفسيرها بمعنى: (استولى، ولا ملك، ولا قهر)؛ لأنّ صفة الكيفة مجهولة؛ لا يعلمه إلا الله - جلّ في عُلاه - والإيمان بصفات الله تعالى واجبة؛ لثبوت الأدلة الشّرعية، والسؤال عنها بدعة؛ لأنّ كيفية الاستواء وغيرها من الصّفات؛ لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى، ولأنّ الصّحابة - رضي الله عنهم - لم يسألوا النّبي عَلَكُ عن الإطلاق! الكيفية! بل سلّموا لا دلّة الشّرعية تسليمًا تامًّا؛ وهم كانوا أفصحوا العرب على الإطلاق!

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ اسْتُوىٰ عَلَىٰ الْعَرْشَ ﴾ (١)(٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ كَالَىٰ هِيَ تَمُورُ ﴿ كَا الْمَاتُمُ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعهُ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبُّهُم مِنْ فَوقِهم ﴾ (1).

وقال النَّبِيُّ عَلَى : و أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟» (°).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ حَقِّ لاَ رَيْبَ فِيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلَيُّ العَظيمُ ﴾ (١٠).

وَالْعَرْشُ هُوَ أَعْلَىٰ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَكْبَرُهَا وَأَعْظَمُهَا وَسَقْفُهَا، وَهُوَ كَالْقُبَّةِ عَلَىٰ الْعَالَمِ، لاَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلاَّ الله، وَهُوَ ذُو قُوائِمَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ، وَالْمُوسِيُّ بَيْنَ يَدَي الْعَرْشِ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ لِلْبَارِئُ – عَزَّ وَجَلَّ – وَهُوَ وَالْكُرْسِيُّ بَيْنَ يَدَي الْعَرْشِ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ لِلْبَارِئُ – عَزَّ وَجَلَّ – وَهُوَ

 <sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ٤.
 (٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦ – ١١.

<sup>(</sup>٣) سورة فاطر، الآية: ١٠. (٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.

 <sup>(</sup>٥) رواه البخاري في (كتاب المفازي) باب «بعثة علي بن أبي طالب وخالد بن وليد إلى اليمن».

<sup>(</sup>٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

<sup>( \* )</sup> قال الإمام إسحاق بن راهويه - رحمه الله - في هذه الآية : (إجماع أهل العلم أنَّه فوق العرش استوى، ويعلمُ كُلُّ شيء في أسفل الأرض السابعة) رواه الإمام الذهبي في ه العلو للعلى الغفاره.

فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاَةٍ وَسِعَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ مُسْتَغْنِ عَنِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَهُو - سُبْحَانَهُ - مُنزَةٌ عَنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَىٰ مُسْتَغْنِ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، فَسَأَنْ اللهِ - جَلَّ وَعَلاً - أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ بَلِ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَحْمُولاَنِ بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِيَدَيْهِ، وَأَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ الدَّهُودُ يَدُ اللهِ مَعْلُولَةٌ خُلَّتْ أَيدِيهِمْ ولُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١٠).

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُشْبِتُونَ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَقُوَّةً، وَعِزًّا، وَكَلاَمًا، وَخَيَاةً، وَمَحَبَّةً، وَرَحْمَةً، وَنَفْسًا، وَغَضَبًا، وَسَخَطًا، وَكَرَاهِيَّةً، وَرِضًا، وَخَينًا، وَسَخَطًا، وَبَصَرًا، وَوَجْهًا، وَعَيْنًا، وَضِحْكًا، وَمَعِيَّةً، وَقَدَمُا وَسَاقًا، وَيَدًا، وَسَمْعًا، وَبَصَرًا، وَوَجْهًا، وَعَيْنًا، وَغَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَالَّتِي وَعَيْنًا، وَصَفَ اللهُ - عزَّ وَجَلً - بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيّهِ عَلَيْكُ بِكَيْفِيّةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ وَلا نَعْلَمُهَا؛ لأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْنَا بِالْكَيْفِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة ص، الآية: ٧٥.

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

<sup>(</sup>٣) سورة طه، الآية: ٤٦.

﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٠).

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (٢).

﴿ وَيَنْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإِكْرَامِ ﴾ (٢).

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ ﴾ (1).

﴿ يُحبُّهُمْ ويُحبُّونَهُ ﴾ (°).

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمنا مِنْهُمْ ﴾ (١).

﴿ غَضِبَ اللهُ عَلَيهِمْ ﴾ (٧).

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقَ وِيُدْعَوْنَ إِلَىٰ السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (^).

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيومُ ﴾ (١).

وَغَيْرُهَا مِنْ آيَاتِ الصُّفَاتِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بِأَنَّ أَفْضَلَ وَأَلذَّ نَعِيْمٍ يَنَالُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؛ هُوَ رُوْيَةُ رَبِّهِمْ فِي الآخرة بأبصارهِم، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذِ نَاضِرَةً ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبُّهَا نَاظِرَةً ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة التحريم، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

<sup>(</sup>٥) سورة المائدة، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٧) سورة المتحنة، الآية: ١٣.

<sup>(</sup>٩) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

 <sup>(</sup>٤) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

<sup>(</sup>٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

 <sup>(</sup> ٨ ) سورة القلم، الآية: ٢٢ .

<sup>(</sup>١٠) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.

وَأَنَّهُمْ سَيَرَونَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - كَمَا يَرَونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ يُضَامُّونَ فِي رُوْيَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُ عَيَّكُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَروْنَ رُبِّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ البَدْر، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُوْيَتِهِ »(١).

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الأَخِيْرِ مِنَ اللَيْلِ؛ نُزُولاً يَلِيْقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ - جَلَّ وَعَلاً - بِلاَ كَيْفٍ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِيْنَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْطِيهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْطِيهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْظِيهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْظِيهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْظِيرَ لَهُ ؟ » (٢٠).

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَجِيءُ يَوْمَ الْمِيعَادِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا لِلْفَصْلِ
بَيْنَ الْعِبَادِ وَلِلْحُكُم بَيْنَهُمْ ، مَجِيئًا يَلِيْقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ - جَلَّ وَعَلاً - بِلاَ
كَيْفٍ ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، بقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

﴿ كَلاَ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكَّا دَكًا ﴿ آلَ ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا ﴾ (٢٠).

وَقُولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب مواقيت الصلاة) باب ٥ فضل صلاة العصر وصلاة الفجر٠ .

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب (الدعاء والصلاة في آخر الليل).

<sup>(</sup>٣) سورة الفجر، الآيتان: ٢١ – ٢٢.

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

## فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ يَتَلَخُّصُ:

بِالإِيمَانِ الْجَازِمِ، وَالإِقْرارِ الْكَامَلِ، وَالتَّسْلِيمِ التَّامِّ؛ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْ فِي سُنَّتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ مَا مِنْ جَمِيعِ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْ فِي سُنَّتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ مَا مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِمَا مِنْ دُونِ إِلْحَادِ، أَوْ تَحْرِيفٍ، أَوْ تَأْوِيلٍ، أَوْ تَعْطِيلٍ، أَوْ تَكْبِيفٍ، وَجُوهِهِمَا مِنْ دُونِ إِلْحَادِ، أَوْ رَيْبٍ؛ بَلْ إِيمَانٌ وَتَسْلِيمٌ وَعَمَلٌ؛ كَمَا قَالَ وَمِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ، أَوْ شَكُ، أَوْ رَيْبٍ؛ بَلْ إِيمَانٌ وَتَسْلِيمٌ وَعَمَلٌ؛ كَمَا قَالَ الإَمْامُ – التَّابِعِيُّ الْفَقِيهُ – مُحَمَّدُ مِنْ مُسْلِمِ الزَّهْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

( مِنَ اللهِ الرُّسَالَةُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ الْبَلاَغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ ) (١٠).

وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ - الْحَافِظُ الْحُجَّةُ - سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ الله:

( كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي القُرآنِ؛ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيْرُه، لاَ كَيْفَ، وَلاَ مِثْلَ)(٢).

وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ ) (٢٠).

وَقَالَ - إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ - مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

( إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ ! ! ) قِيلَ: وَمَا الْبِدَعُ ؟ ! قَالَ، رَحِمَهُ اللهُ: ( أَهْلُ الْبِدَعِ ؛ هُمُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ، وَصِفَاتِهِ، وَكَلاَمِهِ، وَعِلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ،

<sup>(</sup>١) وسير أعلام النبلاء والإمام الذهبي: ج٥، ص٣٧٧.

<sup>(</sup>٢) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ، الإمام اللالكائي: ج٤، ص٧٨ (٧٣٦).

 <sup>(</sup>٣) هلمة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، الإمام ابن قدامة المقدسي: ص٧.

وَلاَ يَسْكُتُونَ ! عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ('').

وَسَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ مَالِكًا - رَحِمَهُ الله - عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ فَقَالَ: (الاسْتِوَاءُ عَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّوَالُ عَنْهُ عَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّوَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلاَّ ضَالاً ). وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ (٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةً، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

( لاَ يَنْبَغِي لاَ حَدِ أَنْ يَنْطِقَ فِي ذَاتِ اللهِ بِشَيْءٍ؛ بَلْ يَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يَقُولُ فِيْهِ بِرَأْيهِ شَيْئًا؛ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(٣).

وَقَالَ: (مَنْ أَنْكُرَ أَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي السَّمَاءِ؛ فَقَدْ كَفَرَ)(1).

وَلَمَّا سُعِلَ عَنْ صِفَةِ النُّزُول، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (يَنْزِلُ بَلاَ كَيْفٍ) (°).

وَقَالَ - الإِمَامُ الْحَافِظُ - نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزاعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

( مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ ﴿ كَفَرَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ ﴿ كَفَرَ ، وَلَيْسَ فِيْمَا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ وَلاَ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا ﴾ (١٠).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْوَلِيْدُ بْنُ مُسْلِمِ الْقُرَشِيِّ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَسُفْيَانَ بْنَ

<sup>(</sup>١) « شرح السُّنَّة » الإمام البغوي: ج١، ص٢١٧.

 <sup>(</sup>٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة » الإمام اللالكائي: ج٣، ص٤٤ (١٨٣).

<sup>(</sup> T ) 8 شرح العقيدة الطحاوية 8 الإمام ابن أبي العز: ص٤٢٧ تحقيق الأرنؤوط.

<sup>(</sup>٤) ٥ العُلُو للعي الغفار ٤ الإمام الذهبي: ج٢، ص٩٣٥ (٣٣٢) تحقيق د. عبد الله البرك.

<sup>(</sup>٥) وعقيدة السلف أصحاب الحديث و الإمام الصابوني: ص٤٠.

<sup>(</sup>٦) ه شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، الإمام اللالكائي: ج٤، ص٥٨٧ (٩٣٦).

عُيَيْنَةَ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ؛ عَنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّوْيَةِ، فَقَالُوا: ( أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ؛ بَلاَ كَيْفِي)(١)(\*).

وَقَالَ بَعْضُ أَثِمَّةِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(قَدَمُ الْإِسْلاَمِ لاَ تَشْبُتُ إِلاَّ عَلَىٰ قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ)(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَةُ الْهَحَالَ الْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِمْرَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصَّفَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصَّفَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةٍ رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَاوِيلِهِ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالْاقْتِفَاءِ لَآثَارِهِمْ وَالْاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ ) (").

#### فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

بَرِيتُونَ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ، وَالتَّفْويضِ، وَالْحَمْدُ لللهِ.

هَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ أَهِلِ السُّنَةِ والجماعةِ، وَأَقْوَالُ أَثِمَّتِهِمْ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ فَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ يَكُونُ مُلْتَزِمًا بمنهجِ الرَّسُولِ عَلَيْ وَأَصْحَابِهِ الْكَرَام؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

<sup>(</sup>١) ٥ شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، الإمام اللالكائي: ج٣، ص٨٢ه (٩٣٠).

<sup>(</sup>٢) « شرح السُّئَّة » الإمام البغوي: ج١، ص١٧١ . (٣) انظر: « لُمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد، للإمام ابن قدامة المقدسي.

<sup>(\*)</sup> قولُ الأَثمَّةِ، رحمهم الله: (أمرُّوها كما جاءت!) فيه رَدِّ على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف! « رَدُّ على المعللة وتعالى – كيف! » رَدُّ على المعللة ومعنى كلامهم: إثبات معانيها اللاثقة بالله – تبارك وتعالى – كما وردت في نصوص الوحيين، وليس معناها إثباتها بدون معرفة معناها؛ فهذا مذهب المفوضة والمعطلة، وفيه اتهام للرسول عَظَ وأصحابه؛ أنَّهم كانوا يقرون كلامًا لا يفهمونه؛ كقوله تعالى: ﴿ وهو السميع البصير ﴾ معناه مفهوم، وهو إثبات السمع والبصر الله تعالى، ولكن دون تكيف .

# الركن الثاني

## الإيمان بالملائكة

الإيمَانُ بِالْمَلاَئِكَةِ: هُوَ الإيمَانُ بِوجُودِهِمْ، وَالتَّصْدِيقُ بِأَعْمَالِهِمْ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ؛ فَهُمْ خَلْقٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ لاَ نَرَاهُمْ، وَلَكِنْ يَقُومُونَ بِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ؛ فَهُمْ خَلْقٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ لاَ نَرَاهُمْ، وَلَكِنْ يُقُومُنُ بِهِمْ إِيمَانًا جَازِمًا لاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكَّ، وَلاَ رَيْبٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبُهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رَّسُلِهِ ﴾ (١).

فَمَنْ أَنْكُرَ وجُودَ الْمَلاَئِكَةِ؛ فَقَدَ كَفَرَ، لِقَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَن يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَّ ضَلاً بَعِيدًا ﴾ (١).

#### فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بِالْمَلاَثِكَةِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً: إِجْمَالاً فِيْمَنْ لَمْ يُسَمَّ، وَآمَّا تَفْصِيلاً؛ فِرَمَنُ فَرَسُولُهُ عَلَى اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ عَلَى اللهُ عَجِيْرِيلَ تَفْصِيلاً؛ فَبِمَنْ صَعَّ بِهِ الدَّلِيلُ مِمَّنْ سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ عَلَى اللهُ عَجِيْرِيلَ الْمُوكَلِ بِالنَّفْخِ فِي الْمُوكَلِ بِالْمَطَرِ، وَإِسْرَافِيلَ الْمُوكَلِ بِالنَّفْخِ فِي الْمُوكَلِ بِقَبْضِ الأَرْوَاح، وَمَالِك خَازِنِ النَّادِ. الصَّوْدِ، وَمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوكَلِ بِقَبْضِ الأَرْوَاح، وَمَالِك خَازِنِ النَّادِ.

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

## وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِوجُودِ الْمَلاَئِكَةِ الْكِرَامِ، وَأَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ السَّمَاءَ، وَهُمْ عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ؛ خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورٍ، وَهُمْ ذَوَاتٌ حَقِيقيَّةٌ، وَلَيْسُوا قُوَى خَفِيَّةً، وَأَنَّهُمْ خُلِقُوا قَبْلَ خَلْق آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَالْمَلاَثِكَةُ خِلْقَتُهُمْ عَظِيمَةً: مِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاَثَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثُرُ مِنْ ذَلِكَ، وَثَبَتَ أَنَّ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – لَهُ ستمَاثَةُ جَنَاحٍ؛ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا سَلاً الأُمْقَ.

وَيُوْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَهُمْ قُوةً عَظِيْمَةً، وَهُمْ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ؛ بَلْ هُمْ أَعْظُمُ جُنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، قادِرُونَ عَلَىٰ التَّمَثُّلِ بِأَمْثَالِ الأَسْيَاءِ، وَالتَّشَكُّلِ بِأَمْثَالِ الأَسْيَاءِ، وَالتَّشَكُّلِ بِأَمْثَالِ الأَسْيَاءِ، وَالتَّشَكُلِ بِأَمْثَالِ اللهُ تَعَالَىٰ، بِإَسْكَالٍ جِسْمَانِيَّةٍ؛ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهَا الْحَالاَتُ الَّتِي يَأْذُنُ بِهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَهُمْ يَتَحَرَّكُونَ، وَيَصْعَدُونَ، وَيَنْزِلُونَ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ الْكِرَامَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ وَلاَ يُحْصِيهِمْ؛ إِلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

## ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (١).

وَالْمَلَائِكَةُ عِبَادٌ مُقَرَّبُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمُكَرَّمُونَ؛ لاَ يُوصَفُونَ بِالذُّكُورةِ وَالأَنُوثَةِ، وَلاَ يَتَنَاكَحُونَ وَلاَ يَتَنَاصَلُونَ. لاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرُبُونَ، وَلاَ يَمَلُونَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ يَفْتُرُونَ عَنْهَا، وَلاَ يَتْعَبُونَ، وَيَتَّصِفُونَ بِالْحُسْنِ، وَالْجَمَالِ، وَالْحَمَالِ الرَّشِيْدَةِ، وَالصَفَاتِ الْحَمِيدَةِ.

<sup>(</sup>١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

وَالْمَلاَئِكَةُ؛ يَخْشُونَ اللهَ تَعَالَىٰ وَيَخَافُونَهُ، ويُسَبِّحُونَهُ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وَيُوْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ البَشَرِ؛ بِأَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَعَدَم الْعِصْيَانِ، خَلَقَهُمْ اللهُ لِعِبَادَتِهِ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكُرْمُونَ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقُولِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿ لَا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَن ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (١).

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ يَعْلَمُونَ الْفَيْبَ إِلاَّ مَا عَلَّمَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ. قالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكيمُ ﴾ (١٠).

وَالْمَلاَثِكَةُ لاَ يَدْخُلُونَ بَيْتًا فِيْهِ تِمْثَالٌ، وَلاَ صُورَةٌ، وَلاَ كَلْبٌ، وَلاَ يُصَاحِبُونَ رُفْقَةً فِيْهَا جَرَسٌ، وَيَتَأَذُّونَ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ.

قَالَ النَّبِيُ عَلَىٰ : ﴿ لَا تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيْهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةٌ ﴿ ( " ) . وَقَالَ عَلَىٰ : ﴿ لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيْهَا كَلْبٌ ، وَلاَ جَرَسٌ ﴾ ( ' ' ) .

وَأَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَلاَثِكَةَ الْكِرَامَ قَدْ حَجَبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَّا؛ فَلاَ نَراهُمْ فِي صُورِهِمُ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ كَشَفَهُمْ لِبَعْضِ عِبَادِهِ كَمَا رَأَىٰ النَّبِيُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْن.

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ - ٢٨. (٢) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة ) باب و تحريم تصوير صورة الحيوان ٥.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب: ٥ كراهية الكلب والجرس في السفره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿ آَلَ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾ ((). وَقَالَ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونَ ﴿ آَلَ ﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفْقِ الْمُبِينِ ﴾ ((). وَقَالَ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونَ مِنْ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفْقِ الْمُبِينِ ﴾ ((). وَأَهْلُ السُنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ يُؤْمِنُونَ بَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ :

مِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحَمْلِ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْوَحْيِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْوَحْيِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِبَال، وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ وَخَزَنَةُ النَّارِ.

وَمِنْهُمُ الْمُوَكُلُونَ بِحِفْظِ آعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرًّ، وَمِنْهُمُ الْمُوكُلُونَ بِقَبْضِ آرْوَاحِ الْكَافِرِينَ، وَمِنْهُمْ اللَّمُوكُلُونَ بِسُتُوالِ الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُومِنِينَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُحَتَّونَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْهَدُونَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَحَلَقَاتِ الذَّكْرِ؛ فَيَحَقُونَهُمْ بِآجْنِحَتِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ قَرِينٌ لِلإِنْسَانِ لاَ يُقَارِقُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْهُمُ مَنْ يُومِنْهُمْ مَنْ يُومِنْهُمْ مَنْ يُحَلِّي لِلإِنْسَانِ لاَ يُقَارِقُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ فِعْلِ الْحَيْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يُومِنَهُمْ مَنْ يُومِنَهُمْ مَنْ يُحْدِينَ، وَيَذْلِكَ يَكُونُ الدُّعَاءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الإِجَابَةِ. وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ الدُّعَاءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الإِجَابَةِ. وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ الدُّعَاءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الإِجَابَةِ. وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ الدُّعَاءُ اللهُ وَكُلُونَ الدُّعَاءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الإِجَابَةِ. وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ الدُّعَاءُ وَيُعْلُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُغْتُونَهُمْ فِي جِهَادِهِمْ مَعْ آعْدَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ بِلَعْنِ الْكُفَّارِ، وَإِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ. وَمِنْهُمُ الْمُوكَلُونَ بحِمَايَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ النَّبَويَّةِ مِنْ دُخُول الدَّجَّال.

وَمِنْهُمُ مَنْ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَىٰ وَعَلَىٰ الْمُوْمِنِينَ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُبَلِّغُونَ النَّبِيَّ عَلَىٰ عَنْ أُمَّتِهِ السَّلاَمَ.

 <sup>(</sup>١) سورة النجم، الآيتان: ١٣ - ١٤.
 (٢) سورة النجم، الآيتان: ٢٢ – ٢٢.

# الركن الثالث

## الإيمان بالكتب

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ وَيَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا بِأَنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْزَلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ كُتُبًا فِيْهَا أَمْرُهُ، وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، وَمَا أَرَادَهُ الله الذي أَنْزَلَهَا. الله - سُبْحَانَهُ - مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلاَّ الله الَّذِي أَنْزَلَهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (١٠).

وَأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ جَمِيْعًا فِيْهَا هُدَّىٰ وَنُورٌ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصَّدُورِ، وأَنَّ اللهُ أَنزَل كُتُبَهُ علىٰ رُسُلِهِ لِهِدَايةِ البشريَّةِ جَمْعَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ اللَّهِ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُحْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢٠).

وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الَّتِي ثَبَتَ فِي الْوَحْيَيْنِ: الْقُرآنُ، وَالتَّورَاةُ، وَالإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْمُخِيلُ وَالقُرآنُ، وَالْمُرَاةُ وَالْمِنْجِيلُ وَالقُرآنُ، وَأَعْظَمُهَا التَّورَاةُ وَالْمِنْجِيلُ وَالقُرآنُ، وَأَعْظَمُ التَّورَاةُ وَالْمِنْجِيلُ وَالقُرآنُ، وَأَعْظَمُ الثَّلاَقَةِ وَنَاسِخُهَا وَأَفْضَلُهَا عَلَىٰ الْإِطْلاقِ هُوَ القُرآنُ الْعَظِيمُ.

وَلَمْ يَتَكَفُّلِ الله - سُبْحَانَه - بِحِفْظِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ - عَدَا

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. (٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

القُرآنَ - بَلْ اسْتُحْفِظَ عَلَيْهَا الأَحْبَارُ وَالرَّبَّانِيُّونَ ؛ لَكِنَّهُمْ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ؛ فَحَصَلَ فِيهَا تَغْبِيرٌ وَتَبْدِيلٌ ؛ فَضَاعَتْ أُصُولُهَا وَغُيِّرَتْ أَحْكَامُهَا، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْكُتُبِ تَحْرِيفًا التَّوْرَاةُ.

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الإيمَانَ بِالْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِيمَانٌ مُجْمَلٌ؛ يَكُونُ بِالإقْرارِ بِهِمْ بِالْقُرارِ بِهِمْ بِاللَّقْرارِ بِهِ وَاللِّسَانِ، أَمَّا الإيمَانُ بِالقُرآنِ فَإِنَّهُ إِيمَانٌ مُفَصَّلٌ؛ يَكُونُ بِالإقْرارِ بِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَاتَّبَاعِ مَا جَاءَ فِيْهِ، وَتَحْكِيمِهِ فِي كُلَّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ.

## وَالْقُرآنُ الْعَظِيمُ:

هُوَ كَلاَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكِتَابُهُ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلاَوَتِهِ ؟ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَلَىٰ لِيَخْتِمَ بِهِ الْكُتُب؟ كَمَا خَتَمَ بِمُحَمَّد عَلَىٰ الْأُنْبِياءَ وَالرُّسُل؟ وَلِيَكُونَ مَنْهَجًا لِلاُمَّةِ، وَمُخْرِجًا لِلنَّاسِ مِنَ الظُلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَهَادِيًا لَهُمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ، وَإِلَىٰ الصَرَاطِ الْمُسْتَقِيم.

وَقَدْ بَيْنَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَخْبَارَ الأَوْلِينَ وَالآخِرِينَ، وَسِيْرَةَ الأَنْسِياءِ وَالصَّالِحِينَ، وَخَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينَ وَمَا فِيْهِنَ، وَفَصَّلَ فِيْهِ الْحَلاَلَ وَالصَّالِحِينَ، وَخَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَخْلاَقِ، وَأَحْكَامَ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ، وَالْحَرَامَ، وَأُصُولَ الآدَابِ وَالأَخْلاقِ، وَأَحْكَامَ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلاَتِ، وَالْحَرَاءَ الْمُوْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ الْجَنَّةَ دَارَ الْمُوْمِنِينَ، وَالنَّارَ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَهُ شِفاءً لِمَا فِي الصَّدُورِ، وَتِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْء، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُومِنِينَ، قالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَلُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانً لَكُلُّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَهُشُرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

وَيَجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ الأُمَّةِ اتِّبَاعُهُ وَتَحْكِيمُهُ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ اَحْكَامِهِ، مَعَ مَا صَحَّ مِنَ السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْ اللَّهُ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ إِلَىٰ الثَّقَلَينِ اللَّهُ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ إِلَىٰ الثَّقَلَينِ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذَّكُورَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذَّكُورَ لَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزْلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

## وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بِأَنَّ القُرآنَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ - حُرُوفَهُ وَمَعَانِيهِ - مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، مُنَزَّلٌ عَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ تَكَلَّم الله تَعَالَىٰ بِهِ حَقًّا بِصَوتِ مَسْمُوعٍ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ، وَتَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ مَسْمُوعٍ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ، وَتَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَسَمِعَهُ مِنَ اللهِ - جَلَّ شَائنَهُ - فَبَلَّعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ، وَبَلَّعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ، وَتَلَقَّاهُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ، وَتَلَقَّاهُ مُحَمَّدٌ عَلِيهٍ إِلَىٰ آصُحَابِهِ اللهُ مُحَمَّدٌ عَلِيهِ إِلَىٰ آصُحَابِهِ الْحَرَامِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَىٰ أُمَّتِهِ، وَأَنْذِرَ بِهِ الْأُمَمُ ؛ أَنْزَلَهُ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ بِلِسَانٍ عَرَبِي مُئِنٍ، وَنُقِلَ إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ الَّذِي لاَ يَرْقَىٰ إِلَيْهِ شَلَكً، قالَ الله تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ اللَّهِ لَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ اللَّهِ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَيكٍ مَرْبِي مُبِينٍ ﴾ (٢).

## وَالْقُرآنُ الْكُويمُ:

لَمْ يُنَزَّلُ مَكْتُوبًا كَالتَّوْرَاةِ، وَلَمْ يُنَزَّلُ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ أَنْ لُنُ نُزُلَ مُنَجَّمًا لِيُحْفَظ، أَيْ: مُفَرَقًا حَسَبَ الْوَقَائِعِ، أَوْ جَوابًا عَنْ أَسْعِلَةٍ، أَوْ حَسَبَ مُقْتَضِيَاتِ الأَحْوَال، وَفِي ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

## وَالقُرآنُ الْكَريمُ :

مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَتَحْفَظُهُ الصُّدُورُ، وَتَتْلُوهُ الأَلْسُنُ، وَمَكْتُوبٌ فِي الطَّحُفِ، وَهُوَ سُورٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَمَكْتُوبٌ فِي الصَّحُفِ، وَهُوَ سُورٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ ؛ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِة، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌ وَعَامٌ، وَأَمْرٌ وَنَهِيٌ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿ آَنِ لَهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿ آَنِ كَالِ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿ آَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْهِلْمَ ﴾ (٢٠. وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُورِ الْقُرآنِ وَآيَاتِهِ، وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ أَنْكَرَ سُورَةً، أَوْ زَادَ أَوْ نَقَصَ، أَوْ زَعَمَ أَنَ أَنْكَرَ سُورَةً، أَوْ زَادَ أَوْ نَقَصَ، أَوْ زَعَمَ أَنَ اللَّهِ رَادَ أَوْ نَقَصَ، أَوْ زَعَمَ أَنَ اللَّهِ اللَّهِ مَتَنَاقِضٌ فِي آيَاتِهِ، أَوْ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ بَعْضِ الْخُرَافَاتِ؛ فَيُوْمِنُونَ إِيمَانًا القُرآنِ مُتَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وقد نُقِلَت إلَيْنَا جَارِمًا بِأَنَّ كُلُّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرآنِ مُتَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وقد نُقِلَت إلَيْنَا بِطَرِيق التَّوَاتُو الْقَطْعِيِّ الَّذِي لاَ يَرْقَىٰ إِلَيْهِ شَكُ الْبَتَّةَ.

#### وَالْقُوآنُ الْكُرِيمُ:

هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَىٰ الْخَالِدَةُ لِنَبِيّ الإسلام مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهُ الْمُعْجِزُ فِي أُسْلُوبِهِ وَنَظْمِهِ وَعُلُومِهِ وَحُكْمِهِ وَتَشْرِيعِهِ وَأَخْبَارِهِ وَتَأْثِيرِهِ الْمُعْجِزُ فِي أُسْلُوبِهِ وَنَظْمِهِ وَعُلُومِهِ وَحُكْمِهِ وَتَشْرِيعِهِ وَأَخْبَارِهِ وَتَأْثِيرِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَهُو آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ؛ لاَ يُنْسَخُ وَلاَ يُبَدَّلُ، وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ مِنْ أَيِّ تَحْرِيفٍ، أَوْ تَبْدِيلٍ، أَوْ زِيَادَة، أَوْ نَقْصٍ إِلَىٰ يَوْمِ يَرْفَعُهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ قَبْلَ يَوْم الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧- ٨٠ . (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٩٠ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

## وَالْقُرآنُ الْكُرِيمُ:

كُتِبَ فِي عَهْدِ النَّبِيُ عَلَيْكُ وَبِمَرَّأَىٰ مِنْهُ ؛ حَيْثُ كَانَ لِلْوَحْي كَتَبَةٌ مِنْ خِيْرَةِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ؛ لاَ يُفَارِقُونَ النَّبِيَ عَلَيْكُ وَيَكْتُبُونَ كُلَّ مَا نَزَلَ مِنَ القُرآنِ ، وَكَانَ النَّبِيُ عَلَيْ عَالَىٰ مَوْضِعِ كُلِّ آيَةٍ مِنْ سُورَتِهَا ؛ ثُمَّ جُمعَ القُرآنِ ، وَكَانَ النَّبِيُ عَلَيْ عَالَىٰ مَوْضِعِ كُلِّ آيَةٍ مِنْ سُورَتِهَا ؛ ثُمَّ جُمعَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكُم الصِّدِي بَيْنَ دَفَّتَي الْمُصْحَفِ ، وَفِي عَهْدِ عُشْمَانَ ذِي فِي عَهْدِ أَبِي بَكُم الصِّدِينِ بَيْنَ دَفَّتَي الْمُصْحَفِ ، وَفِي عَهْدِ عُشْمَانَ ذِي النَّهُ وَكُتَّابِ النَّورَيْنِ عَلَىٰ حَرْف وَاحِدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشْرَاف ِ أَعْلاَمِ الصَّحَابَةِ وَكُتَّابِ النَّورَيْنِ عَلَىٰ حَرْف وَاحِدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشْرَاف ِ أَعْلاَمِ الصَّحَابَةِ وَكُتَّابِ النَّورَيْنِ عَلَىٰ حَرْف وَاحِدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشْرَاف ِ أَعْلاَمِ الصَّحَابَةِ وَكُتَّابِ النَّهُ وَعَلَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

## وَالْقُرآنُ الْكُرِيمُ:

يَحْتَوِي عَلَىٰ « ١١٤ » سُورَةً ، « ٨٦ » مِنْهَا نَزَلَتْ فِي مَكَّةً ، وَ « ٢٨ » مِنْهَا نَزَلَتْ فِي مَكَّةً ، وَ « ٢٨ » مِنْهَا نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْهَا نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِالسُّورِ الْمَكَنِيَّةِ ، وَفِيهِ بِالسُّورِ الْمَكَنِيَّةِ ، وَفِيهِ بِالسُّورِ الْمَكَنِيَّةِ ، وَفِيهِ السُّورِ الْمَكَنِيَّةِ ، وَفِيهِ « ٢٩ » تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً ؛ افْتُتِحَتْ بالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ .

## وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَهْ تَمُونَ بِتَعْلِيمِ القُرآنِ وَتَعَلَّمِهِ، وَحِفْظِهِ، وَتِلاَوَتِهِ بِحُسْنِ الصَّوْتِ، وَالإِنْصَاتِ إِلَيْهِ إِذَا قُرِئَ، وَتَقْسِيرِهِ عَلَىٰ نَهْجِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ وَالإِنْصَاتِ إِلَيْهِ إِذَا قُرِئَ، وَتَقْسِيرِهِ عَلَىٰ نَهْجِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيْ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيْ اللهُ لَيْدَبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الحجر، الآية: ٩.

وَيَتَعبَّدُونَ الله تَعَالَىٰ بِقِرَاءَتِهِ؛ لأَنَّ فِي قِرَاءَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ حَسَنةً، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُ عَلَيْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ:

« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسنَةٌ ، وَالْحَسنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَلاَ أَقُولُ : أَلِم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ ، (١) . وَأَهْلُ السُّنَة وَالْجَمَاعَةِ :

لاَ يُجَوِّزُونَ تَفْسِيرَ القُرآنِ بِالرَّاْيِ الْمُجَرَّدِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ عَلَىٰ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – بِغَيْرِ عِلْم، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو مُبِينٌ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠).

بَلْ يُفَسِّرُونَ القُرآنَ بِالقُرآنِ؛ فَيَحْمِلُونَ الْمُجْمَلَ عَلَىٰ الْمُبَيِّنِ، وَالْمُطْلَقَ عَلَىٰ الْمُجْكَمِ. وَيُفَسِّرُونَ عَلَىٰ الْمُحْكَمِ. وَيُفَسِّرُونَ القُرآنَ بِالسُّنَةِ النَّبَويَّةِ الشَّابِقِةِ، ثُمَّ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، ثُمَّ بِأَقْوَالِ التَّابِعِيْنَ الْمُحْكَمِ، ثُمَّ بِاللَّغَةِ النَّرَبِيةِ التَّابِعِيْنَ الْمُطَامِ، ثُمَّ بِاللَّغَةِ الْعَرَبِيَةِ الْتِي نَزَلَ بِهَا القُرآنُ الْعَظِيمُ، ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ بَعْدَ الْعِظَامِ، ثُمَّ مِباللَّغَةِ الْعَرَبِيَةِ الْتِي نَزَلَ بِهَا القُرآنُ الْعَظِيمُ، ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ ضَوْءِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ، وَيَتَقَيَّدُونَ بِالضَّوابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلاَ ذَلِكَ عَلَىٰ ضَوْءِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ، وَيَتَقَيَّدُونَ بِالضَّوابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلاَ يَخْرُجُونَ عَنْ قُواعِدِهَا؛ فَهُم بهذا المنهج جمعوا بينَ الأَثْر والنَّظَر.

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ) باب: دما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجره وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨ – ١٦٩.

# الركن الرابع

## الإيمان بالرسل

أَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ وَيَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ أَرْسَلَ إِلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ صَفْوةِ الْحَلْقِ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَدُعَاةً إِلَىٰ دِينِ الْحَقِّ لِهِدَايَةِ البَشَّرِيَةِ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ؛ فَكَانْتَ دَعْوَتُهُمْ إِنْقَاذًا لِلاَّمَمِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْوَثَنِيَّةِ، وَتَطْهِيرًا لِلْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ التَّحَلُّلِ وَالْفَسَادِ، إِنْقَاذًا لِلاَّمَمِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْوَثَنِيَّةِ، وَتَطْهِيرًا لِلْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ التَّحَلُّلِ وَالْفَسَادِ، وَأَنَّهُمْ بَلُخُوا الرِّسَالَةَ، وَأَدَّوُا الأَمَانَةَ، وَنَصَحُوا أُمَمَهُمْ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ وَأَنَّهُمْ بَلُغُوا الرِّسَالَةَ، وَأَدَّوُا الأَمَانَةَ، وَنَصَحُوا أُمَمَهُمْ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جَادِهِمْ وَقَدْ جَاوُلُوا بِدَلاَئِلَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالاَتِهِمْ، وقَدْ جَاوُلُوا بِدَلاَئِلَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالاَتِهِمْ، وقَدْ جَاوُلُوا بِدَلاَئِلَ بَاللهِ عَلَى صِدْقِهِمْ.

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

لاَ يُفَرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِحَمِيع الرُّسُلِ، قالَ اللهُ تَباركَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَويدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَويدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بَبَعْضٍ وَيَويدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿ قُلُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

وَقَدْ بَيْنَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْحِكْمَةَ مِنْ بِعْثَةِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ - فَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ جَمِيعَ الرَّسُلِ يَدْعُونَ لأَصْلِ وَاحِدٍ؛ هُو تَوحِيدُ اللهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالنَّهِيُ عَنِ الشَّرْكِ؛ فَالإسْلاَمُ دِينُ جَمِيعِ الأَنْبِياءِ – وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ حَسْبَ الظُّرُوفِ وَالْحَاجَاتِ – وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ – جَلَّ وَعَلاً – مِنْ عِبَادِهِ دِيْنًا غَيْرَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَاَ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ ( ` ' ) .

وَلَقَد أَرْسَلَ الله تَعَالَىٰ رُسُلاً وَأَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُمْ لَنَا فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيهِ عَلِي وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُخْبِرْنَا عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ :

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠ - ١٥٢.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

 <sup>(</sup>٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

وَالَّذِينَ وَرَدَ أَسْمَا وُهُمْ فِي القُرآنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَسُولاً وَنَبِيًّا، وَهُمْ:

آدَمُ - أَبُو الْبَشَرِ - إِدْرِيسُ، نُوحٌ، هُودٌ، صَالِحٌ، إِبْرَاهِيمُ، لُوطٌ، إِسْمَاعِيلُ، إِسْحَاقُ، يَعْقُوبُ، يُوسُفُ، شُعَيْبٌ، أَيُّوبُ، ذُو الْكِفْلِ، مُوسَىٰ، هَارُونُ، دَاوُدُ، سُلَيْمانُ، إِلْيَاسُ، الْيَسَعُ، يُونُسُ، زَكَرِيًّا، يَحْيَىٰ، عِيْسَىٰ، وَمُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُل؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ.

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ قَدْ فَضَّلَ بَعْضَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْ مَعَتَ الأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ أُولُو الْعَرْمِ، وَهُمْ خَمْسَةً: مُتَفَاضِلُونَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ أُولُو الْعَرْمِ، وَهُمْ خَمْسَةً: نَبِينَا مُحَمَّدٌ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، قالَ الله تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْن مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢) (\*).

<sup>(</sup>١) سورة غافر، الآية: ٧٨ .

<sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

<sup>(\*)</sup> الرَّسُولُ لَغَةً: من الإرسالِ، وهو البعثُ والتَّوجيه. والنَّبِيُ لَغَةً: مشتقٌ من النبا، وهو الخبر. الرَّسُولُ والنَّبِيُ شرعًا: كلَّ مَن أُوحي إليه بخبر السَّماءِ وأُمِرَ بتبليغِهِ للنَّاس؛ إلاَّ أَنَّ النَّبِيُ أُوحي إليه بشريعة مَنْ قبله لتقريرهِ، بخلاف الرَّسُولِ؛ فإنَّهُ يوحىٰ إليه بشريعة جديدة ليبلغها إلى قوم كفار؛ كنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد؛ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وَأَفْضَلُ أُولِي الْعَزْمِ نَبِيُّ الإسْلاَمِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْفالَمِينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِهِمْ جَمِيعًا مَنْ سَمَّىٰ اللهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ، مِنْ أَوَّلِهِمْ آدَمَ إِلَىٰ آخِرِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ نَبِيِّنَا وَإِمَامِنَا وَقُدْوَتِنَا وَمُرْشِدِنَا وَقَائِدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِسْلاَم؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ إِيمَانٌ مُجْمَلٌ؛ يَكُونُ بِالاعْتَقَادِ وَالْقَوْلِ.

وأَمَّا الإِيمَانُ بِنَبِيِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْكُ فإِيمَانٌ مُفَصَلٌ؛ يَكُونُ بِالاعْتَقَادِ وَالْقَوْلِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، أَيْ: يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اتَّبَاعَهُ عَلَيْكُ فِيْمَا جَاءِ بِهِ مِنْ رَبِّهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ.

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

# ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﴾

#### « صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ »

هو: أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِم بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَنَافِ بْنِ قُصَيً بْنِ كَلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُوَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَنَافِ بْنِ قُطْرِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَنَافِ بْنِ النَّعْرُ بْنِ كَعْبِ بْنِ إلْيَاسَ بْنِ مُصْرَ بْنِ نِوَارِ مَالِكِ بْنِ النَّعْرُ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إليّاسَ بْنِ مُصْرَ بْنِ نِوَارِ النَّهِ إليّه اللهِ إليّاسَ بْنِ إبْرَاهِيمَ الْحَليلِ ابْنِ مَعَدًّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَعَدْنَانُ مِنْ وَلَدِ نَبِيّ اللهِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ الْحَليلِ عَلَيْ نَبِينًا، وَعَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وَهُو خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولُ اللهِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَالْمَبْعُوثُ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَهُو عَبْدٌ وَالْمَبْعُوثُ إِلَىٰ النَّقَلَيْنِ؛ بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهُو عَبْدٌ لاَ يُحْبَدُ، وَرَسُولٌ لاَ يُحَذَّبُ، وَهُو حَيْرُ الْحَلاَئِقِ، وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَىٰ لاَ يُحَدَّبُ ، وَأَعْرَمُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَعْلَهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيْلَةً، وَشَرِيْعَتُهُ عَلَىٰ الشَّرِيْعَةُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَعْلَمُ مَا لِيهِ وَسِيْلَةً، وَشَرِيْعَتُهُ عَلَىٰ اللهُ وَمَكانٍ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَمُصْلِحَةً لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنْهَا اللهُ تَعَالَىٰ يَوْم الْقِيَامُةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ وَائْتَمَنَهُ عَلَىٰ دِيْنِهِ، وَكَلَّفَهُ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَقَدْ عَصَمَهُ مِنْ الزَّلَلِ فِي تَبْلِيغَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهُوَىٰ ﴿ إِنَّ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

وَلاَ يَصِحُ لِمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مُمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

وَكَانَ كُلُّ نَهِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْكُ بُعِثَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١). وأَهْلُ السَّنَّة وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَيَّدَ نَبِيَّهُ عَلَيْهُ بِالْمُعْجِزَاتِ (\*) الظَّاهِرَة، وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ البَاهِرَة:

وَمِنْ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ؛ بَلْ أَعْظَمُهَا وَآبْهَرُهَا القُرآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي تَحَدَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ أَفْصَحَ الأُمَمِ وَأَبْلَغَهَا، وَأَقْدَرَهَا عَلَىٰ الْمَنْطِقِ، عَلَىٰ أَنْ يَحَدَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلهُ مَنْ المُتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ. وَاقْتَضَتَ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ؛ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ. وَاقْتَضَتَ حَكُونَ القُرآنُ مِنْ أَكْبَرِ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْكُ لاَنَّهُ لَوْ كَانَت حَكْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ القُرآنُ مِنْ أَكْبَرِ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْكُ لاَنَّهُ لَوْ كَانَت اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الللهِ اللهِ

 <sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٥ .
 (٢) سورة سبا، الآية: ٢٨ .

<sup>(\*) «</sup>المعجزة »: اسم الفاعل من الإعجاز، أو العَجْز المقابِل للقدرة، ومعجزة النّبِيّ: ما أعْجَزَ به الخصم عند التحدي، والهاءُ فيها للمبالغة، وهي أمر خارق للعادة؛ لا يقدر عليه البشر، يظهره الله تعالى على يد النبيّ وفق دعواه تصديقًا له ولرسالته، وإنَّ وقوعَ المعجزة أمر ممكن نقلاً وعقلاً؛ لأنَّ الله – جلت قُدرته – الذي خلق الأسباب والمسببات؛ قادرٌ على أن يغير نظامها؛ فلا تخضع لما كانت له من قبل! ولا عجب في ذلك الأمر! ولا غرابة؛ بجانب قدرة الله – تبارك وتعالى – التي لا تُحد بحدود؛ فهو يفعل ما يريد بأسرع من لمع البصر، قال تعالى: ﴿ إِمَّا أَمِنُ وَإِذَا أَرَاد شَينًا أَن يَقُولَ لهُ كُن فيكرنُ ﴾ [يس: ١٨].

مُعْجِزَتُهُ حِسِيَّةً فَقَطْ، لانْتَهَتْ بِانْتِهَاءِ عَصْرِهَا؛ كَمَا انْتَهَتْ مُعْجِزَاتُ الرُسُلِ السَّابِقِينَ.

• وَمِنْ أَكْبَرِ الْمُعْجِزَاتِ - بَعْدَ القُرآنِ - مُعْجِزَةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ النَّبِيَ عَلَيْكَ عُرِجَ بِهِ فِي اليَقْظَةِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الإسْرَاءِ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ بِنَصِّ القُرآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا اللَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُريَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ عَلَيْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، حَيْثُ صَعِدَ حَتَّىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ فُوقَ ذَلِكَ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْعُلَىٰ، إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَاْوَىٰ. وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ، وَكَلَّمَهُ – سُبْحَانَهُ جَنَّةُ الْمَاْوَىٰ. وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ، وَكَلَّمَهُ – سُبْحَانَهُ – سُبْحَانَهُ – سُبْحَانَهُ وَشَرَعَ لَهُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَاطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَاطَلَعَ عَلَيْهَا، وَاطَلَعَ عَلَيْها مُورَتِهِ الْجَنَّةِ اللّهِ عَلَيْها مُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ اللّهِ عَلَيْها مُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ اللّهِ عَلَيْها مُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ اللّهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْها .

وَمَا كَذَبَ فُؤَادُ النَّبِيِّ عَلَيْ مَا رَأَىٰ بَلْ كَانَ كُلُّ مَا رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ حَقًا؛ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَشْرِيفًا عَلَىٰ سَأَئِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِظْهَارًا لِعُلُو مَقَامِهِ عَلَيْ فَوْقَ الْجَمِيعِ؛ ثُمَّ نَزَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَصَلَّىٰ إِمَامًا بِالأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ قَبْلَ الْفَجْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

 <sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ١.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿ مَا ضَلُّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ وَمَا يَنْ فَرِ اللَّهُ وَكُنْ ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴿ وَمُو اللَّهُ وَكُنْ الْمَهُ شَدِيدُ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَكُنْ اللّلِكُولُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَكُنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ أَيْضًا ؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

- انْشِقَاقُ الْقَمَرِ: آيَةٌ عَظِيمةٌ أَعْطَاهَا اللهُ لِنَبِيّهِ عَلَى دَلِيْلاً عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوّتِهِ عَلَىٰ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الهجرَةِ ؛ حِيْنَمَا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ آيَةٌ .
   آيَةٌ .
  - تَكْثِيرُ الْقَلِيلِ مِنَ الطُّعَام، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا مِنْهُ عَظَّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.
- تَكْثِيرُ الْمَاءِ وَنَبَعُهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ، وتَسْبِيحُ الطَّعَامِ لَهُ وَهُوَ يُؤْكِلُ، وقد وقع هذا الشَّيْءُ كَثِيرًا مِنَ الرَّسُول عَلَيْكُ.
- إِبْرَاءُ الْمَرْضَىٰ، وَشِفَاءُ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ يَدَيْهِ عَلَىٰ دُونَ دَوَاءٍ
   حِسِّىً .

١٨ – ١ : الآيات : ١ – ١٨ .

- أَدَبُ الْحَيوانِ مَعَهُ، وَإِذْعَانُ الأَشْجَارِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمُ الأَحْجَارِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؛ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ .

  قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؛ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ .
  - رُؤْيْتُهُ عَلَيْهُ مَنْ كَانَ خَلْفَهُ فِي الصَّلاَّةِ؛ كَمَا يَرَىٰ مَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ.
    - نُطْقُ ذِرَاع الشَّاةِ الَّذِي قُدُّمَ لَهُ عَلَيْهُ لِيَا ْكُلَّهُ؛ بِأَنَّهُ مَسْمُومٌ.
- إِخْبَارُهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَإِخْبَارُهُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعِيدًا عَنْهُ فُورَ وُقُوعِهَا.

وَإِخْبَارُهُ عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ قَبْلَ حُدُوثِهَا؛ فَحَدَثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا؛ وَحَدَثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

- إِجَابَةُ دُعَائِهِ عَلَيْكُ عَامَّةً.
- انْتِقَامُ اللهِ تَعَالَىٰ الْعَاجِلُ مِنْ بَعْضِ مَنْ خَانَهُ عَلِيْكُ أَوْ عَانَدَهُ.
  - عُقُوبَةُ مَنْ لَمْ يُوقِّرَهُ عَلِيلَةِ أَوْ يُوقِرْ قَوْلَهُ، أَوْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.
- وَحِفْظُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ عَلَيْكُ وَكَفُّ الأَعْدَاءِ عَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجُهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَم ! فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ مُحَمَّدٌ وَجُهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَم ! فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ مُحَمَّدٌ وَجُهَهُ فِي التَّرَابِ.

قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ وَهُو يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطاَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُو يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً؛ فَقَالَ عَلِيهُ :

## « لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ؛ عُضْوًا عُضْوًا» (١٠٠٠.

- (١) رواه مسلم في (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) باب «قوله: ﴿ إِن الإنسان ليطغي ﴾ ».
  - ( \* ) تنبية مهم الحقيقة معنى الإيمان برَسُولِ الله محمَّد بن عبد اللهِ عَلَيْهُ ! !

ومعناها: تصديقهِ، وطاعته، واتَّباع شريعته ﷺ، في كلُّ صغيرة وكبيرةٍ.

واعلم! أخي المسلم الكريم: أنَّ لهذا الإيمان مقتضيات وشروطًا؛ لا يتم إيمان العبد إلاَّ بها؛ فينبغي للمسلم - الحريص على آخرته ورضا ربَّهِ - أن يعرفها جيدًا، ويحيط بعلمها، ويلتزم بها؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً، نذكر أهمهًا:

- أنَّهُ عَلَيْ رَسُولُ اللهِ إلى العالمينَ جميعًا إنسهم وجنَّهم وليسَ خاصًّا بالعربِ!
  - أنَّهُ عَلَيْهُ خَاتُمُ النبيينَ والمرسلينَ؛ فلا نبي، ولا رسُول، ولا رسالة بعده.
- أنَّهُ لا يصحُّ إيمان ولا إسلام أحد بعد بعثته عَنْ إلا بالإيمان به، واتّباع شرعه وحكمه؛
   لأنّ رسالته خاتمة الرّسالات، وناسخة لما قبله من الشّرائع.
- أَنَّهُ عَلَيْهُ بِلَغَ رسالتَهُ تَبْلِيغًا مُبِينًا، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح لأمَّته؛ حتىٰ تركهم على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك!
- أنّه ﷺ معصومٌ من الأخطاء في تبليغ رسالته على الإطلاق، ومن الوقوع في الكباثر والمعاصى والذُّنوب.
- النَّهي عن الغلوّ في حقِّه ﷺ بأيّ شكلٍ من أشكاله! وأنَّه عبد الله ورَسُوله؛ فحسب!
   فلا افراط فيه، ولا تفريط.
  - وجوبُ تقديم محبته ﷺ علىٰ النَّفس، والولدِ، والوالدِ، والنَّاس أجمعين.
- وجوبُ التَّاسي به عَلَيْهُ والأخذُ بهديه القويم، ولزوم سُنته، والمحافظة عليها، وطاعته عَلَيْهُ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، في كل صغيرة وكبيرة .
  - التَّحذيرُ من معصيته عَلَيُّ مطلقًا، وأنْ لا يُعْبَدُ الله تعالى، إلاَّ بما شرع.
- النَّبِيُّ محمَّد عَلَى هو أفضل المتعبَّدينَ بالاتَّفاق؛ فكلُّ عبادة خالفت عبادته، أو طريقه، أو لم يشرعها، أو لم يُقرُّها عَلَى الله أو لم يشرعها، أو لم يُقرُّها عَلَى الله على الله تعالى الله تع
  - العلمُ بأنَّ طريقَ الوحيدِ موصلِ إلى اللهِ تعالى، وإلى رضوانِه وجنَّتِهِ ؛ هو طريقه عَلى .
- بيانُ عظيم قدره على ورفعة مكانته عند ربه جلُّ وعلا والإكثارُ من ذكره على والصُّلاة والسُّلام عليه، وبر آله، وذريته، ومعرفة حقُّ أزواجه، وأصحابه الكرام.

# الركن الفامس

## الإيمان باليوم الآخر

أَهْلُ السُنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْتَقِدُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي يُحْيِي اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِ الْحَلْق بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَيَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، ثُمُّ الّذِي يُحْسِبُهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ. أَيْ هُو: الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ، وَالتَّصْدِيقُ الْكَامِلُ بِيَوْمِ اللهُ يَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهُ الْكَامِلُ بِيَوْمِ اللهُ يَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ عَلَيْهُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَحْوَال وَأَهْوَال مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَحْوال وَأَهْوَال مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلاَمَاتِهَا، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَالبَعْثِ وَالْمَوْرَاطِ وَالْمَوْرِ، وَالْبَعْثِ وَالْمَنْورِ، وَالْمَوْرِ، وَالْمَرْاطِ السَّاعَةِ وَالْحَشْرِ وَالنَسْرِ، وَنَشْرِ الصُّحُف وَالْحِسَابِ وَالْمِيْزَانِ وَالْحَوْضِ وَالصَرِّاطِ السَّاعَةِ وَالْجَوْرَاءِ ، وَالْمَوْر الصَّحُف وَالْحِسَابِ وَالْمِيْزَانِ وَالْحَوْضِ وَالصَرَاطِ، وَالْمَوْر وَالْمَوْر الصَّحُف وَالْحِسَابِ وَالْمِيْزَانِ وَالْحَوْمِ وَالصَرَاطِ، وَالْمَوْر وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّقْخِ فِي الصَّور، وَالمَرْاطِ، وَالْمَوْر الصَّحُف وَالْحِسَابِ وَالْمِيْزَانِ وَالْحَوْضِ وَالصَرْاطِ، وَالشَّفَاعَةِ وَالْجَزَاءِ ، حَتَىٰ يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار النَّار النَّار النَّار النَّار الْوَالِمُ الْمَا وَالْمَالُ الْنَارِ النَّارِ الْوَالْمَالُ الْمُؤْلِدُونَ وَالْمَالُونَ الْوَالُولُ الْمَالِ السَّامِ الْمَالُولُ الْمَالُولُ النَّارِ النَّارِ السَّامِ اللْمَالِ اللَّهِ الْمَالُ الْمَالُ السَّامِ اللْمَالُ الْمَالُ الْمَالُونُ الْمَالُولُ الْمَالِهِ الْمَالُولُ الْمَالِيَّالُ اللَّهُ الْوَلُولُ الْمَالُ الْمَالُ اللَّهُ الْمَالُولُ الْمَالِ الْمَالُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُ اللَّهُ الْمَالُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالِمُ الْمَالُولُ الْمَالُولُولُ

لَقَدْ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَ الْيَوْمِ الآخِرِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ، وَرَبَطَ الإِيمَانَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلاً، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِئُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٤.

#### أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ عِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدُّ إِلاَّ هُوَ سُبْحِانَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةَ ﴾ (١).

وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ أَخْفَىٰ وَقْتَ وُقُوعِ السَّاعَةِ عَنْ عِبَادِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ لَهُ اللهُ قَدْ أَمْارَاتٍ وَعَلاَمَاتٍ وَأَشْرَاطًا؛ تَدُلُّ عَلَىٰ قُرْبِ وُقُوعِهَا.

وَيُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا وَقَعَ وَسَيَقَعُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصَّغْرَىٰ وَالْكُبْرَىٰ الَّتِي هِيَ أَمَارَاتٌ عَلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ لأنَّهَا تَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ.

#### عَلاَمَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ:

وَهِيَ الَّتِي تَتَقَدَّمُ قِيَامَ السَّاعَةِ بِأَزْمَانِ مُتَفَاوِتَةٍ وَمُتَطَاوِلَةٍ، وَتَكُونُ مِنَ النَّوْعِ الْمُعْتَادِ، وَقَدْ يَظْهَرُ بَعْضُهَا مُصَاحِبًا لِلأَشْرَاطِ الْكُبْرَى، وَعَلامَاتُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الصَّغْرَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًا؛ نَذْكُرُ شَيْعًا مِمَّا صَعَّ مِنْهَا:

فَمِنْ ذَلِكَ بِعْنَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلِيُّكُ وَخَتْمُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ بِهِ، وَمَوتُهُ عَلِيُّكُ .

فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَظُهُورُ الْفِتَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَاتَّبَاعُ سُنَنِ الْأُمَمِ الْمُاضِيَةِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَخُرُوجُ الدَّجَالِينَ، وَأَدْعِيَاءِ النَّبُوَّةِ.

وَضْعُ الأَحَادِيْثِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ وَرَفْضُ سُنَّتِهِ، وَكَثْرَةُ الْكَذِبِ، وَعَدَمُ التَّنَبُّتِ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ، وَرَفْعُ الْعِلْمِ وَالتِمَاسُهُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ، الْكَذِبِ، وَعَدَمُ التَّشَبُّتِ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ، وَرَفْعُ الْعِلْمِ وَالتِمَاسُهُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ، وَظُهُورُ الْجَهْلِ وَالفَسَادِ، وَذَهَابُ الصَّالِحِينَ، وَنَقْضُ عُرَىٰ الإسْلامِ عُرُوةً وَظُهُورُ الْجَهْلِ وَالفَسَادِ، وَذَهَابُ الصَّالِحِينَ، وَنَقْضُ عُرَىٰ الإسْلامِ عَلَىٰ المَّةِ مُحَمَّد عَلَىٰ أُمَّة مُحَمَّد عَلَىٰ أُمَّة مُحَمَّد عَلَىٰ أُمَة مُحَمَّد عَلَىٰ اللهِ عُرْبَةُ الإسلام وَأَهْلِهِ.

<sup>(</sup>١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

كَثْرَةُ القَتْلِ، وَتَمَنِّي الْمَوْتِ، وَغِبْطَةُ أَهْلِ الْقُبُورِ وَتَمَنِّي الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ شَدَّةِ البَلاَءِ، وَكَثْرَةُ مَوْتِ الْفَجْأَةِ وَالْمَوْتِ فِي الزَّلاَزِلِ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ شَدَّةِ البَلاَءِ، وَكَثْرَةُ النِّسَاءِ، وَظُهُورُهُنَّ كَاسِيَاتٍ وَالأَمْرَاضِ، وَقَلْهُورُ الْمَعَازِفِ، وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا، عَارِيَاتٍ، وَقَلْهُورُ الْمَعَازِفِ، وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا، وَالرَّبَا، وَالْمَسْخِ وَالْقَدْفِ.

تَضْيِيعُ الْأَمَانَةِ، وَإِسْنَادُ الْأَمْرِ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَزَعَامَةُ الْأَرَاذِلِ مِنَ النَّاسِ، وَارْتِفَاعُ أَسَافِلِهِمْ عَلَىٰ خِيَارِهِمْ، وَوِلاَدَةُ الْأَمَةِ رَبَّتَهَا، وَظُهُورُ أَعْوَانِ الظُّلَمَةِ الدَّيْنَ يَجْلِدُونَ النَّاسَ، وَحُدُوثُ الْفِتَنَ كَقِطَع اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.

التَّطَاولُ فِي البُنْيَانِ، وتَبَاهِي النَّاسِ فِي زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ، وَكَفْرَةُ الْمَسَاجِدِ، وَكَفْرَةُ الْمَالِ الْكَثِيْرِ فِي آيْدِي النَّاسِ مَعَ عَدَمِ الشَّجَارَةِ، وَتَقَارُبُ الأَسْوَاقِ، وَوُجُودُ الْمَالِ الْكَثِيْرِ فِي آيْدِي النَّاسِ مَعَ عَدَمِ الشَّكْرِ، وَكَثْرَةُ الشُّحِ، وَكَثْرَةُ شهادة الزُّورِ، وَكِثْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الشَّكْرِ، وَكَثْرَةُ الشُّعةِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّشَاحُنِ، وقطيعة الرَّحِم، وسُوءِ الْجَوَارِ، اللهُ حُش وَالتَّخَاصُمِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّشَاحُنِ، وقطيعة الرَّحِم، وسُوءِ الْجَوَارِ، وَالسَّلامُ عَلَىٰ الْمَعَارِفِ فَقَطْ، وَوُقُوعُ التَّنَاكُرِ بَيْنَ النَّاسِ، وتَشَبَّهُ الشَّيُوخِ بِالسَّنَنِ التِي رَغِّبَ فِيْهَا الْإسْلامُ.

تَغَيَّرُ الزَّمَانِ ؟ حَتَّىٰ تُعْبَدَ الأَوْثَانُ ، ويَظْهَرَ الشِّرْكُ فِي الأُمَّةِ ، وَكَثْرَةُ الأَمْطَارِ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ ، وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ ، وَقِلَّةُ الْبَرَكَةِ فِي الأَوْقَاتِ ، وَالْتِفَاخُ الأَمْطَارِ وَقِلَّةُ النَّبَاعِ وَالْجَمَادَاتِ لِلإِنْس ، وَصِدْقُ رُؤْيَا الْمُؤْمِن .

حَسْرُ مَاءِ الفُرَاتِ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَا يَقَعُ فِي مَدِيْنَةِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهُ حَيْثُ تَنْفِي الْخَبَثَ؛ فَلاَ يَبْقَىٰ فِيْهَا إِلاَّ الاَ تُقِيَاءُ الصَّالِحُونَ، وَعَودَةُ جَرِيرَةِ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَخُرُوجُ رَجُلٍ مِنْ قَحْطَانَ يَدِينُ لَهُ النَّاسُ.

كَثْرَةُ الرُّومِ، وَقِتَالُهُمُ لِلْمِسْلِمِينَ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِينَ لِلْيَهُودِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: ( يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيُّ؛ فَتَعَالَ فَاقْتُلُهُ ( ( ) .

وَفَتْحُ رُومًا؛ كَمَا فُتِحَتْ الْقَسْطَنْطِينِيَّةُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ الصَّغْرَىٰ الثَّابِتَةِ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَويَّةِ الصَّحِيحةِ.

عَلاَمَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ:

وَهِيَ الأُمُورُ الْعِظَامُ وَالاَ شُرَاطُ الْجِسَامُ الَّتِي تَظْهَرُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَتَكُونُ غَيْرَ مُعْتَادَةِ الْوُقُوعِ، وَإِذَا ظَهَرَتْ أَوَّلُ عَلاَمَةٍ تَتَابَعَتِ الْعَلاَمَاتُ الأُخْرَىٰ كَتَتَابُعِ الْخَرَزِ فِي النِّظَامِ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ دَلَّتْ عَلَيْهَا، وَتَكُونُ السَّاعَةُ عَلَىٰ إِثْرِهَا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الأَشْرَاطَ ثَابِتَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا كَمَا جَاءَتْ، وَمِنْهَا:

ظُهُورُ الْمَهْدِئِ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِئِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ وَيَحُرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيُبَايَعُ لَهُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ فَحُكْمُهُ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النَّبُوّةِ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، يَمْلاُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً بَعْدَمَا مُلِقَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَيُعْطِي الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ؛ تَنْعَمُ الأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ؛ وَجَوْرًا، وَيُعْطِي الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ؛ تَنْعَمُ الأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ؛ تُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا.

وَخُرُوجُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ الأعورِ الْكَذَّابِ (\*) مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ مِنْ

<sup>(</sup>١) ورواه البخاري، في (كتاب الجهاد) باب: وقتال اليهود،.

<sup>( \* )</sup> وفتنة ظهور المسيح الدُّجَال من أعظم الفتن؛ لأنَّ الدُّجَال هو منبع الكفر والضلال والفتن، ومن أَجل ذلك فقد حذَّر منه الأنبياء أقوامهم، وكان النبي عَلَيْ يستعيذ من فتنة الدُّجَال دُبُر كل صلاة، وحذَّر منه أُمته

خُرَاسَانَ وَمَعَهُ سَبْعُونَ ٱلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، ومَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ويَظْهَرُ أَمْرُهُ لِلْمِسْلِمِينَ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ثُمَّ لاَ يَتْرُكُ بَلَدًا إِلاَّ دَخَلَهُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ دُخُولَهُمَا؛ لأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَحْرُسُهُمَا، ويَمْكُثُ فِي وَالْمَدِينَةَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ دُخُولَهُمَا؛ لأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَحْرُسُهُمَا، ويَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، ويَوْمٌ كَشَهْرٍ، ويَوْمٌ كَجُمْعَةٍ، وسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَّامِنَا.

وَنُزُولُ الْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - عِنْدَ الْمَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ الشَّام.

وَيَكُونُ نُزُولُهُ عَلَىٰ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي تُقَاتِلُ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَتَكُونُ مُجْتَمِعةً لِقِتَالِ الدَّجَّالِ؛ فَيَنْزِلُ وَقْتَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَيُصلِّي خَلْفَ أَمِيْرِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ - وَهُوَ الْمَهْدِيُّ - وَأَنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ بِحَرْبَتِهِ بِبَابِ لُدٌ الشَّرْقِيِّ فِي الطَّائِفَةِ - وَهُو الْمَهْدِيُّ - وَأَنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ بِحَرْبَتِهِ بِبَابِ لُدٌ الشَّرْقِيِّ فِي الطَّائِفَةِ الْإِسْلاَمِ؛ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَحْكُمُ فِي الأَرْضِ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلاَمِ؛ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، ويَضَعُ الْجِزْيَةَ، فَلاَ يَقْبُلُ إِلاَّ الإِسْلاَمَ، ويَسُودُ الأَمْنُ وَالْأَمَانُ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، ويَضَعُ الْجِزْيَةَ، فَلاَ يَقْبُلُ إِلاَّ الإِسْلاَمَ، ويَسُودُ الأَمْنُ وَالْأَمَانُ وَلَقَتَامُ اللَّمَانُ مِنَ الأُمَّةِ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاعُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وتَعُمُّ الْبَرَكَةُ وتَكُثُّرُ والشَّعْمُ اللَّمَانُ المَعْمُورَةِ، وَتُرْقَعُ مِنَ الأُمُّةِ الشَّحْنَاءُ والتَّبَاعُ لِكَفْرَتِهِ، ويَنْتَشِرُ السَّلْمُ فِي جَمِيعِ الْحَرُوبُ.

وَخُرُوجُ يَا ْجُوجَ وَمَا ْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ؛ يُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا عَظِيمًا ؛ فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا صَغِيرًا يَدْخُلُ فِي دِمَاغِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوتَ الْجَرادِ، وَتَمْتَلِئُ الأَرْضُ مِنْ دُودًا صَغِيرًا يَدْخُلُ فِي دِمَاغِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوتَ الْجَرادِ، وَتَمْتَلِئُ الأَرْضُ مِنْ نَتْهِمْ ؛ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا تَحْمِلُهُمْ وَتَطْرَحُهُمْ فِي الأَرْضِ حَيْثُ شَاءً اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا يَغْسِلُ آثَارَهُمْ .

وَوُقُوعُ الْخُسُوفَاتِ الثَّلاَثَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَعُمُّ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنَ الأَرْضِ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

وَخُرُوجُ الدُّخَانِ الْكَثِيفِ يَمْلاُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيَعُمُّ الدُّنْيَا؛ فَيَاْخُدُ بِالْمُؤْمِنِينَ كَالْزُكْمَةِ، وَيَدْخُلُ فِي مَنَافِدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ؛ فَيَنْتَفِخُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ كُلُّ مَسْمَعِ مِنْهُمْ.

وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَلاَ يَرَاهَا أَحَدٌ إِلاَّ آمَنَ، وَلَكِنْ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ، وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَاصِي بَعْدَهَا.

وَخُرُوجُ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَهَذِهِ الدَّالَةُ عَظِيمةٌ تُخَالِفُ مَا عَهِدَهُ البَّاسَ وَتُكَلِّمُهُمْ، وَتُمَيِّزُ عَهِدَهُ البَّاسَ وَتُكَلِّمُهُمْ، وَتُمَيِّزُ البَّاسَ وَتُكَلِّمُهُمْ، وَتُميَّزُ الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهَا تَجْلُو وَجْهَهُ حَتَّىٰ يُشْرِقَ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهَا تَجْلُو وَجْهَهُ حَتَّىٰ يُشْرِقَ وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً إِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهَا تَخْطِمُهُ عَلَىٰ أَنْفِهِ عَلَامَةً عَلَىٰ كُفْرِهِ.

وَخُرُوجُ نَارٍ مِنْ قَعْرِ عَدَن، وَمِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْت، وَتُحِيْطُ بِالنَّاسِ مِنْ وَرَائِهِم؛ فَتَسُوقُهُمْ مِنْ كُلُّ جَانِب إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ بِلاَدُ الشَّامِ. وَرَائِهِم؛ فَتَسُوقُهُمْ مِنْ كُلُّ جَانِب إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ بِلاَدُ الشَّامِ. وَأَهْلُ السَّنَّة وَالْجَمَاعَة:

يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا يَكُونُ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْكُ مِنْ سَكَراتِ الْمَوْتِ، وَحُضُورِ مَلاَئِكَةِ الْمَوْتِ، وَعَرَجِ الْمُؤْمِنِ بِلِقَاءِ رَبَّهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَحُضُورِ الشَّيَاطِينِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعَدَم قَبُولِ إِيمَانِ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعَدَم قَبُولِ إِيمَانِ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعَدَم قَبُولِ إِيمَانِ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَالْإِيمَانِ بِعَالَمِ البَرْزَخِ، وَنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَفِتْنَتِهِ لِلرُّوحِ وَالْجَسندِ،

وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَهْلِ السَّعَادَةِ مُنَعَّمَةٌ، وَأَرْوَاحَ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ.

وَأَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ الَّذِي يُحْيِي اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِ الْمَوْتَىٰ، وَيَبْعَثُ الْعِبَادَ مِنْ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُمْ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَأَنَّ إِسْرَافِيلَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – مُلْتَقِمُ الْقَرْنَ مُنْتَظِرٌ الأَمْرَ بِالنَّفْخِ، وَهِيَ نَفْخَتَانِ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: ثَلاَثُ نَفَخَاتٍ:

الأُولَىٰ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ.

وَالثَّافِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ الَّتِي يَتَغَيَّرُ بِهَا الْعَالَمُ الْمُشَاهَدُ، وَيَخْتَلُّ نِظَامُهُ، وَفِيْهَا هَلاَكُ مَنْ قَضَىٰ اللهُ إِهْلاَكُهُ.

وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ البَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَيُوْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَالنُشُورِ، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، تَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ؛ فَيَعْرَفُونَ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمهُ الْعَرَقُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ وَتَنْشَقُ عَنْهُ الأَرْضُ نَبِينَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهُمْ مَنْ يُلْجِمهُ الْعَظِيْمِ يَخُرُجُ النَّاسُ مِنْ الآجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهُمْ ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيْمِ يَخُرُجُ النَّاسُ مِنْ الآجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَرِّ، مُسْرِعِيْنَ مُهُطِعِيْنَ إِلَىٰ الدَّاعِ، وَقَدْ خَفَتَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ، وَخَيَّمَ جَرَادٌ مُنْتَرِّهُ مُسْرِعِيْنَ مُهُطِعِيْنَ إِلَىٰ الدَّاعِ، وَقَدْ خَفَتَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ، وَخَيَّمَ السَّعْمَةُ الرَّهِيبُ، حَيْثُ تُنْشَرُ صُحُفُ الأَعْمَالِ؛ فَيُكُشَفُ اللهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَسْتُورُ، ويُفْتَضَعُ الْمَكُنُونُ فِي الصَّدُورِ، وَيُكَلِّمُ اللهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَسْتُورُ، ويُفْتَضَعُ الْمَكُنُونُ فِي الصَّدُورِ، وَيُكَلِّمُ الله عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُسَاتِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالْمِيْزَانِ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِمَا يَكُونُ مِنْ نَشْرِ الدُّوَاوِينِ، وَهِيَ صَحَاثِفُ الأَعْمَالِ؛ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَيُوْمِنُونَ بِأَنَّ الصِّرَاطَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُ مِنَ الشَّعْرَةِ؛ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمْ، يَتَجَاوَزُهُ الأَبْرَارُ، وَيَزِلُ عَنْهُ الفُجَّارُ (\*).

وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، مَوْجُودَتَانِ الآنَ، لاَ تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلاَ تَبِيدَانِ.

وَالْجَنَّةُ: هِيَ دَارُ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ الدَّاثِمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَّقِينَ، وَالْمُجَاهِدِينَ، وَالصَّالِحِينَ الأَبْرَارِ.

وَالنَّارُ: هِيَ دَارُ العِقَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَالْكَافِرِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْلْحِدِينَ وَالْوَثَنِيِّينَ وَالْعُصَاةِ الْأَشْرَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِعَدَمِ خُلُودِ عُصَاةِ الْمُوَخِّدِينَ فِي النَّارِ؛ بَلْ يُعَدَّبُونَ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِمَعَاصِ

<sup>(\*) «</sup>الصرّاط»: هو الجسرُ الممدودُ على ظهرِ جهنّمَ ليَعْبُرَ النّاسُ عليه إلى الجنّة. ويَمُرُّ النّاسُ على الصرّاط بقدرِ أعمالهم؛ فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالربح المرسلة، ومنهم من يمر كالفرّسِ الجوادِ، ومنهم من يمر كراكب الإبل، ومنهم من يعددُ عدوًا، ومنهم من يخطف ويلقى يعددُ عدوًا، ومنهم من يحطف ويلقى في جهنم؛ كل بحسب عملهِ، حتى يَطهرُ من دنوبه وآثامِه، ومن اجتاز الصرّاط تَهَيّاً في جهنم؛ كل بحسب عملهِ، حتى يَطهرُ من دنوبه وآثامِه، ومن اجتاز الصرّاط تَهَيّاً للدخول الجنّة؛ فإذا عبروا الصرّاط وقفوا على تنظرة بين الجنّة والنّار؛ فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذَب وانتُقوا؛ أذن لهم في دخول الجنّة، وآوَلُ مَن يدخول الجنّة على الإطلاق؛ هو رسُول الله يَهِ .

ارْتَكَبُوهَا غَيْرِ الإِشْرَاكِ بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُونَ فِي النَّارِ لأَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا، وَالْعِيَادُ بِاللهِ.

وَيُوْمِنُونَ بِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْ أُولَىٰ الأُمَمِ مَحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُولَىٰ الأُمَمِ مَحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُولَىٰ الأُمَمِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ الْأُمَمِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ الْغَنْرِ حِسَابٍ.

وَيُؤْمِنُونَ بِحَوْضِ نَبِينَا ﷺ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَتَّجِهُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بَعْدَ الْبَعْثِ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ الْخَلْقُ بَعْدَ الْبَعْثِ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَآنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضُهُ أَطْيَبُ مَنْ الْمِسْكِ، وَآنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظَمَأُ أَبِدًا.

وَيُذَادُ عَنِ الْحَوْضِ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَيْهُ عَيْرُوا وَبَدُّلُوا! كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيْح، قَالَ النَّبِيُ عَلِيْهُ:

«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُوم السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبِدًا »(١).

وَقَالَ عَلَى اللهِ : « إِنِّي فَرَطُكُم عَلَىٰ الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبِدًا ؛ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقُوامٌ أَعَرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » . وَفِي رِوَايَةٍ :

« فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِي؛ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَرَ بَعْدِي « ( ) .

<sup>(</sup>١)، (٢) رواهما البخاري في (كتاب الرقاق) باب «في الحوض».

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُثْبِتُونَ الشُّفَاعَةَ، وَالْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

- شَفَاعَتُهُ لا هُلِ الْمَوْقِفِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ؛ هِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.
  - شَفَاعَتُهُ لا هُلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْ خُلُوهَا، وَالرَّسُولُ عَلَيْكُ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِيْهَا.
    - شَفَاعَتُهُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ أَنْ يُخَفُّفَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ.

وَهَذِهِ الشُّفَاعَاتُ الثَّلَاثُ؛ خَاصَّةً بِالنَّبِيِّ عَلَيْهُ وَلَيْسَتْ لاَحَدٍ غَيْرهِ.

وَشَفَاعَتُهُ عَلَيْهُ لِرَفْعِ دَرَجَاتِ بَعْضِ أُمَّتِهِ مِمَّنْ بَدْ خُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَىٰ دَرَجَاتٍ عَلْيَا، وَشَفَاعَتُهُ عَلِيْهُ لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ يَدْ خُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرٍ حِسَابٍ.

وَشَفَاعَتُهُ عَلَيْكُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّقَاتُهُمْ؛ فَيَشْفَعُ فِيْهِمْ لِيَدْ خُلُوا الْجَنَّةَ، وَفِي أَقْوَامِ آخَرِيْنَ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ أَنْ لاَ يَدْ خُلُوهَا.

وَشَفَاعَتُهُ عَلَيْكُ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ الْمُوحِّدِينَ مِنَ النَّارِ؛ فَيَشْفَعُ لَهُمْ عَلَيْكُ فَيَدُ خُلُونَ الْجَنَّةَ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ تُشَارِكُ مَعَ النَّبِيِّ عَلَى الْمَلاَئِكَةُ، وَالنَّبِيُّونُ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّدِيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ،

<sup>(\*)</sup> وَيُشْتَرَطُ لهذهِ الشَّفاعةِ شرطانِ: الأول: إذنُ الله – جلُّ وعلا – للشافع، لقوله تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندهُ إِلاَّ بإذنهِ ﴾ [البقرة: ٥٥٧].

الثاني: رضا الله - حلُّ شأنه - عن المشفوع له، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ التَّفَيٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقد جَمَعَ الله تعالىٰ شروط الشُّفاعة في قوله سبحانه: ﴿ وَكُم مِّن مُلَكَ فِي السُّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْفًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِـمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦].

ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَصْلِهِ، وَمَنَّهِ، وَمَنَّهِ،

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيْضًا - كَمَا أَخْبَرَ بِذَلْكَ النَّبِيُ عَلَيْكَ فَقَالَ: « الصَّيَامُ وَالقُرآنُ يَشْفَعَانَ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةَ » (١٠).

فَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ ؛ فَلاَ شَفَاعَةَ لَهُمْ البَّنَّة ! لِقَولِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيم وَلا شَفِيع يُطَاعُ ﴾ (١).

وَقُولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (").

وَالْمُوتُ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُذْبَحُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ عَلَا ۗ .

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُنْعِمُ الله - جَلَّ وَعَلاَ - بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْجَيَّاةِ وَمِنْ أَشَدُ مَا يُحْزِنُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ؛ هُوَ البَقَاءُ الأَبَدِيُّ، وَعَدَمُ زَوَالِ الْجَيَاةِ الأُخْرُويَّةِ.

وَالْمَوْتُ أَمْرٌ مَعْنَويٌ غَيْرُ مَحْسُوسٍ بِالرُّوْيَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَجْعَلُهُ شَيْعًا مَرْقِيًّا مُجَسَّمًا؛ فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَ النَّبِيُّ عَلِيْكَ :

« إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، أَتِي

<sup>(</sup>١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمرو، ج٢، ص١٧٤ وصححه العلاّمة أحمد شاكر في تحقيقه المسند، ج١، ص١١٨ (٦٦٢٦) وصححه الألباني في: المحيح الجامع الصغير، للألباني، برقم: (٣٨٨٢).

<sup>(</sup>٢) سورة غافر، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٣) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

بِالمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ الْمَوْتَ؛ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ الْمَوْتَ؛ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيْزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ، (١٠).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب والنَّار يدخلها الجيارون، والجنَّة يدخلها الضعفاء و.

## الركن السادس

## الإيمان بالقدر

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا جَازِمًا لاَ رَيْبَ فِيْهِ؛ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَشَرِّ فِي الْوُجُودِ يَكُونُ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ بِإِرَادَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلاَ يَخْرُجُ عِنْ مَشْيِئَتِهِ وَتَقْدِيْرِهِ سُبْحَانَهُ.

وَاللّٰهُ تَعَالَىٰ عَلِمَ كُلَّ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الأَشْيَاءِ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي الأَرْلِ، وَعَلِمَ أَنَّ هَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ - جَلَّ وَعَلاً - وَعَلَىٰ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ؛ فَهِي تَقَعُ عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَهُ سُبْحَانَهُ.

وقداً رَ الْمَقَادِيْرَ لِلْكَاثِنَاتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَمَا أَحْوَالَ عِبَادِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَعَادَةٍ وَشَقَاوَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شُوُونِهِمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ؛ فَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَعَادَةٍ وَشَقَاوَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شُوُونِهِمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ؛ فَكُلُّ مُحْدَثٍ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَخُلاَصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ الْقَدَرَ سَبَقَ بِهِ عِلْمُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَجَرَىٰ بِهِ الْقَلَمُ، مِمَّا هُو كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ، والتَّسْلِيمُ التَّامُّ وَالإِذْعَانُ الْمُطْلَقُ للهِ تَعَالَىٰ فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ؛ لأَنَّ الْقَدَرِ؛ لأَنَّ الْقَدَرِ؛ لأَنَّ الْقَدَرَ غَيْبٌ، وَالْغَيْبُ مَبْنَاهُ عَلَىٰ التَّسْلِيم، قالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (``. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (``.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

﴿ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرَّهِ مِنَ اللهِ، وَحَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، ( ' ' ).

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ بِالْقَدَرِ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ، وَتُسَمَّىٰ: مَرَاتِبَ الْقَدَرِ، أَوْ أَرْكَانَهُ، وَهَذِهِ الأُمُورُ هِيَ الْمُدْخَلُ الصَّحِيْحُ لِفَهْمِ مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ، وَلاَ يَتِمُّ الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلاَّ بِتَحْقِيقِ جَمِيعِ أَرْكَانِهِ وَعَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيح؛ وَلاَ يَتِمُّ الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلاَّ بِتَحْقِيقِ جَمِيعِ أَرْكَانِهِ وَعَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيح؛ لاَنَها مَتَكَامِلَةٌ وَبَعْضُهَا مُرتَبِطٌ بِبَعْضٍ؛ فَمَنْ أقرَّ بِهَا جَمِيعًا اكْتَمَلَ إِيمَانُهُ لِلْقَدَرِ، وَمَن انْتَقَصَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَوْ أَنْكَرَهُ؛ فقد اخْتَلَ إِيمَانُهُ بِالْقَدَرِ.

## الْمَرْتَبَةُ الأُولَىٰ: الْعِلْمُ:

هُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِمَا كَانَ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ؛ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَلاَ يَعْزُبُ

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

<sup>(</sup> ٣ ) سورة القمر، الآية: ٩٩ .

<sup>(</sup> ٤ ) ه رواه الترمذي، في ( كتاب القدر ) باب: «ما جاء أنَّ الإيمان بالقدر خيره وشره» وصحَّحه الألباني.

عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّهُ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ خَلْقِهِمْ، وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَقُوالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَعَلِمَ الشَّقِيَّ مِنْهُمْ وَالسَّعِيدَ، وَذَلِكَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَداً.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

الْمَرْ تَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْكِتَابَةُ:

هِيَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ مَقَادِيْرِ الْخَلاَئِقِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي لَمْ يُفَرِّطْ فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ؛ فَكُلُّ مَا جَرَىٰ وَمَا يَجْرِي، وَكُلُّ كَائِنٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

وَيُسَمَّىٰ: الذِّكْرَ، وَالإِمَامَ، وَالْكِتَابَ الْمُبِينَ، قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَينَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينً ﴾ (٢).

وَقَالَ النَّبِيُ عَلِيْكُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ : اكْتُبْ، قَالَ : مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اللَّهُ الأَبَدِ » (٣) . أَكْتُبُ؟ قَالَ : الْأَبَدِ » (٣) .

الْمَرْتَبَةُ التَّالِثَةُ: الإِرَادَةُ وَالْمَشِيئَةُ:

أَيْ: أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الْكُونِ فَهُوَ كَائِنٌ بَإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

<sup>(</sup>٢) سورة يس، الآية: ١٢.

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب القدر) باب « ما جاء في الرضا بالقضاء » وصحَّحه الألباني.

وَمَشْيْقَتِهِ الدَّاثِرَةِ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ يهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُمْ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُمْ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ الْمَكْتُوبِ فِي اللَّوْحِ يُسْأَلُونَ، وَمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ الْمَكْتُوبِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ السَّامِلَةٌ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا الْمَحْفُوظِ، فَمَشِيقَةِ اللهِ تَعَالَىٰ نَافِذَةٌ، وَقُدْرَتُهُ شَامِلَةٌ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَحُرُجُ شَيْءٌ عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِيعَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠).

وَقَالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : ﴿ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبِعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن ، كَقَلْبِ وَاحِدٍ ؛ يُصرِّفهُ حَيْثُ يَشَاءُ » (٢) .

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلْقُ:

هِيَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، وَأَنَّ كُلِّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَخْلُوقٌ مُوْجَدٌ مِنَ الْعَدَمِ، كَاثِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَكُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَحَرَكَتَهِ؛ فَلاَ يَقَعُ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَهُوَ خَالِقُهُ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٣).

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالْإِيْجَادِ؛ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِلاَ اسْتِثْنَاءٍ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، قَالَ اللهُ تَبَارِكَ وَتَعَالَىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في ( كتاب القدر ) باب « تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ه .

<sup>(</sup>٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِ شَيْءٍ ﴾ (١٠.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِق غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾ (٣).

فَهُوَ سُبْحَانَهُ؛ خَالِقُ الْعِبَادِ وَأَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ، وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ شَاءَهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ وَخَلَقَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسِ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (1).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيْبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (°).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٦).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُؤْمِنُونَ بَأَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – يُحِبُّ الطَّاعَةَ وَيَأْمُرُ بِهَا، وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا، وَيَكْبِهُا، وَيَكْبُهَا، وَيَكْبُهَا، وَيَكْبُهَا، وَيَكْبُهَا، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَمَنْهِ، وَيَضْلُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَيَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَتَوْرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

<sup>(</sup>٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٥) سورة التوبة، الآية: ١٥.

 <sup>(</sup>٧) سورة الزمر، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٢) سورة غافر، الآية :٦٢.

<sup>(</sup>٤) سورة يونس، الآية:١٠٠.

<sup>(</sup>٦) سورة الصافات، الآية:٩٦.

الأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْأَعْنِ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١).

وَلاَ حُجَّةَ لِمَنْ أَضَلَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ – وَلاَ عُذْرَ لَهُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِقَطْعِ الْحُجَّةِ، وَأَضَافَ عَمَلَ الْعَبْدِ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ كَسْبًا لَهُ، وَلَمْ يُكَلِّفُهُ إِلاَّ بِمَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لَلِنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (1).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (°).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٦).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يُوْمِنُونَ بَأَنَّ الشَّرَ لاَ يُنْسَبُ إِلَىٰ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، لاَ فِي ذَاتِهِ، وَلاَ فِي أَسْمَائِهِ، وَلاَ فِي صِفَاتِهِ، وَلاَ فِي أَفْعَالِهِ، وَذَلِكَ لَوُجُوهِ، لاَ فِي خَالَىٰ أَمْرَ بِالْهُدَىٰ وَالإحْسَانِ وَالْخَيْرِ، لِكَمَالِ صِفَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ؛ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَمْرَ بِالْهُدَىٰ وَالإحْسَانِ وَالْخَيْرِ، وَلَيْمَا يَكُونُ الشَّرِّ؛ بِمُقْتَضَىٰ وَنَهَىٰ عَنِ الشَّرِّ وَالْكُفْرِ وَالضَّلالِ وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّرِّ؛ بِمُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ، وَإِرَادَتِهِ النَّافِذَةِ، وَيَكُونُ فِي مَخْلُوقًاتِهِ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٣) سورة الإنسان، الآية:٣.

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

<sup>(</sup>٦) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (١).

وَالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مُنزَّةٌ عَنِ الظُّلْمِ، وَمُتَّصِفٌ بِالْعَدْلِ الْمُطْلَقِ؟ فَلا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ ذَرَةٍ، وَكُلُّ أَفْعَالِهِ عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامِ لِلْعَبِيْدِ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَظَلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٢٠).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (1).

لأَنَّ الله - جَلَّ وَعَلاً - لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ ﴾ (°).

#### وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَأَفْعَالَهُ، وَجَعَلَ لَهُ إِرَادَةً وَقُدْرَةً وَاخْتِيَارًا وَمَشِيفَةً، وَوَهَبَهَا الله تَعَالَىٰ لَهُ لِتَكُونَ أَفْعَالُهُ مِنْهُ حَقِيْقَةً لاَ مَجَازًا، ثُمَّ جَعَلَ لَهُ عَقْلاً يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَنْ يُحَاسِبَهُ إِلاَّ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الَّتِي فَمَ جَعَلَ لَهُ عَقْلاً يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَنْ يُحَاسِبَهُ إِلاَّ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الَّتِي هِمَحْض إِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ.

فَالْإِنْسَانُ غَيْرُ مُجْبَرٍ، بَلْ لَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ؛ فَهُوَ يَخْتَارُ أَفْعَالَهُ وَعَقَائِدَهُ؛ إِلاَّ أَنَّهُ تَابِعٌ فِي مَشِيْئَتِهِ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكُلُّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٧٩. (٢) سورة ق، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup>٣) سورة الكهف، الآية: ٩٤. (٤) سورة النساء، الآية: ٤٠.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣ .

يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ لأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَهُمُ الفَاعِلُونَ لَهَا حَقِيقَةً لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ فَهِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ خَلْقًا وَإِيْجَادًا وتَقْدِيْرًا، وَمِنَ الْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، قَالَ اللهُ تباركَ وتَعَالَىٰ:

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ عَظَّةً : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاً وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ:

« اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ » لُمَّ قَرَا عَلِيَّهُ :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ (٢).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْخَارِ؟ قَالَ: « نَعَمْ » قَالَ فَلِمَ يَعْمَلُ اللهِ! أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْخَارِ؟ قَالَ: « نَعَمْ » قَالَ فَلِمَ يَعْمَلُ

<sup>(</sup>١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ – ٢٩.

<sup>(</sup>٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب: ٥ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ ، والآيتان الكريمتان: (٥ - ٦) من سورة الليل.

الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: ﴿ كُلِّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَوْ لِمَا يُسِّرَ لَهُ ﴾ (١).

وَلَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ حِيْنَ احْتَجُوا بِالْقَدَرِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ (٢).

فَرَدُّ اللهُ - جَلُّ وَعَلاً - عَلَيْهِمْ كَذِبَهُمْ، بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ (٣).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يَعْتَقِدُونَ أَنَّ القَدَرَ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَلَكُ مُقرَّبٌ وَلاَ نَبِيِّ مُرْسَلٌ، وَلاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلاَّ بَعْدَ وُقُوعِهِ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظُرُ فِي ذَلِكَ ضَلاَلَةٌ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ فِي ذَلِكَ ضَلاَلَةٌ؛ لأَنَّ الله تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمًا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (1).

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُسَلِّمُونَ تَسْلِيمًا مُطْلَقًا لِقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ كُلِّ مِنْ عِندِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٥). وَيُحَاجُونَ بِهِ مَنْ خَالَفَهُمْ.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب «جف القلم على علم الله ٥.

<sup>(</sup>٢) ، (٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة النساء، الآية : ٧٨ .

فالإيمان بالقدر: يغرسُ في نفسِ المؤمنِ! حقائق الإيمان المتعدِّدة؛ فهو دائم الاستعانة باللهِ تعالى، يعتمد عليه وحده، ويتوكل عليه مع أخذ بالأسباب، وهو يغرس – أيضًا – في نفسِ المؤمن الانكسار والاعتراف لله تعالىٰ حين يقع منه الذَّنب، ومن ثمُّ يطلب من اللهِ تعالىٰ العفو والمغفرة.

ويبعث في القلوب الشَّجاعة على مواجهة الشَّدائد، ويقوي فيها العزائم؛ فيثبت صاحب العقيدة الصَّحيحة في ساحات الجهاد، ولا يخاف الموت؛ لأنَّهُ موقن أن الآجال محدُّدة، ويصدع بدعوته، ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم.

وَبِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ لِلْقَدَرِ - كَمَا كَانَ يُؤْمِنُ بِهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ - يُصْبِحُ الْعَبْدُ عَابِدًا لِرَبِهِ حَقًّا؛ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّهَدَاءِ فَيَكُونُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِينَ والصَّدِّيقينَ والسُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ، وَكَفَىٰ بهذه الصَّحْبَة غَبْطَةً وَسَعَادَةً.

# ناهياًا نمحن

## نعمة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- كتابةُ الإيمان في القُلوب.
- حلاوةُ الإيمان في القُلوب.
  - طعمُ الإيمان في القُلوب.
  - نورُ الإيمان في القُلوب.
  - محبَّةُ الإيمان في القُلوب.
    - زينةُ الإيمان في القُلوب.
- الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب.
  - الإيمانُ يتبوَّأُ في القُلوب.
  - نداءُ الإيمان في القُلوب.
- الإيمانُ ينفع صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة.
  - للإيمان مجالسُ يزدادُ فيها ويتجدُّد.
    - الإيمانُ يَعْلُو ولا يُعْلَىٰ عليه.
  - الإيمانُ: شُعبٌ، ومراتبٌ، ودرجات.

## نعمة الإيمان

إِنَّ الإِمَانَ نعمةٌ عظيمةٌ جليلةٌ كريمةٌ عزيزةٌ في حياةِ المسلم؛ بل هو من أجلٌ نِعَمِ هذه الحياة؛ تزكِّي العمر، وتُبارك الحياة، ويجعلُ لها طعمًا، وتَرْفَعُ صاحِبها في الدُّنيا، وتضمنُ له الآخرة؛ لأَنَّ فيها الحياة الحقيقية، والسَّعادة الدَّائمة، والعبودية للهِ تعالى، والسَّعادة الأَبدية الأُخرويَّة.

وهذه النعمةُ لا يعرفُها إلا من ذاق طعْمَها، ولا يُحِسُ بها إلا من
 عاشَ حقائقها، واستجاب لجميع معالمها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ اللَّهُمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَمَعْفُونَ عَلَىٰ اللَّهُمُ اللَّهُ وَمَعْفُرَةٌ وَرَزُقٌ كَرِيمٌ ﴾ (أي لئك هُمُ الْمُؤْمِنُون حَقًا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

• والإيمانُ نورٌ هاد مضيءٌ، يُضيءُ حياةَ العباد، ويُسعدُها ويباركُها، وهو سِرُّ سعادة حياة الدُّنيا ولذَتها؛ يَهبُهُ الله - جلَّ وعلا - لمن يشاءُ من عباده الصَّادقينَ؛ وذلكَ برحمتِهِ ومَنَّهِ وكرمِهِ وفضله، ويَصرفُه عمَّن يشاءُ؛ بعدله وحكمته ومشيئته، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْه مَنْ أَنَابَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

 <sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

فالإيمانُ مِنحةٌ ربانيةٌ كريمةٌ؛ يَمُنُها الله - عزَّ وجلَّ - على عبادِهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ المتقينَ العامِلينَ برحمتِه وبفضلِه وعطائِه؛ فمَن وجده أا فقد وجد الخيرَ كلَّه في الدَّارين بتمامه وكماله، ومَن فقده أ فقد كلَّ شيءٍ، ولم ينفعه أيُّ شيءٍ بعده، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَ تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١).

• والإيمانُ نعمةٌ يشعُرُ بها ويعيشها ويحسَّها مَن صدق مع الله تعالى، وقال: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وآمنَ بالله - جلَّ وعلا - ربًّا، وبرسُوله الكريم عَلَيْكُ نبيًّا، وأطاع الله سبحانه، وأطاع رسوله عَلَيْكُ وعَمِلَ فيما أمر به، وانتهىٰ عمًّا نُهِيَ عنه وزجر، باطنًا وظاهرًا؛ فإذا فعلَ ذلك كلَّه؛ كان من المؤمنينَ الصَّادقينَ، وحُشر في زمرتهم، ومع خِيْرَتِهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢).

والإيمَانُ المطلقُ الواجبُ؛ إذا حُقَقَ صدقًا من قِبَلِ العباد؛ ظاهرًا وباطنًا - ويتحقق ذلك بالإيمان بالله تعالى، وتصديق رسُوله الأمين عَلَيْكُ وكمال طاعته في الاعتقاد والأخلاق وصالح الأعمال - تُنال به أرفعُ المقامات في الدُّنيا، وأعلىٰ المنازل في الآخرة، وهي منزلةُ «الصّدِيقين» وأصحابُ هذه المنزلة، قد أثنىٰ الله تعالىٰ عليهم، وهم أعلىٰ العباد درجةً

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء ، الآية : ٦٩ .

عند الله - جلَّ وعلا - بعد الأنبياء والرُّسُل - عليهم الصَّلاة والسَّلام - في الدُّنيا والآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيم ﴾ (١).

وعن أبي سعيد الحُدْريِّ – رضي الله عنه – أنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَامُ قَالَ:

«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ؛ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَ مِنْ المُنْوقِ أَوْ المَغْرِبِ ؛ لِتَفَاضُلِ مَا الكَوْكَبَ الدُّرِيُّ الغَابِرَ مِنَ الأُفْقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوْ المَغْرِبِ ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ » قالوا: يا رَسُولَ اللهِ ! تِلْكَ منازلُ الأنبياءِ ، لا يبْلُغُها غَيْرُهم ، قالَ :

« بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرسْلِينَ » (٢٠٪.

• وبالإيمانِ المطلقِ الشَّاملِ الكاملِ العامِّ من الانقيادِ، والاستسلامِ، والإخلاصِ لله؛ تُنالُ هذه المنازل العظيمةُ عند الله جلَّ وعلا، قال تعالىٰ:

﴿ قُولُوا آمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب « تراثي أهل الجنة أهل الغرف ٩.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا خُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْأَكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْمُومِينَ وَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُمْ فَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَلَكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ فَلَا اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ ولَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَالْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا

• وللإيمانِ المطلقِ الصَّادقِ معَ المؤمنينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ العاملينَ بأوامرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - بإخلاصٍ، والمتَّبعينَ لسُنَّةِ رسولِهِ الكريم عَلَيْ ظاهرًا وباطنًا؛ حالاتٌ وصفاتٌ عجيبةٌ! يَهبُها الله - تبارك وتعالى - لهم بفضله، ورحمته، ومنَّه، وكرمه، وبإحسانه سبحانه.

ومن هذه الحالات الكريمة العزيزة العظيمة:

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

<sup>(</sup>٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

#### • كتابةُ الإيمان في القُلوب:

يكتُبُ الله - سبحانه وتعالى - الإيمان في قلوب عباده الصَّالحين الصَّادقين كتابة دائمة ثابتة! فلا يفارقُهم ما داموا مع الله - جلَّ وعلا - فإذا ثبت ورسخ واستقرَّ في القلوب؛ أصبح زادًا لها للمفاصلة على أساس العقيدة، ولا يقوى أحدٌ بعدها - كائنًا مَن كان - على مَحْوهِ أبدًا؛ لأنَّه هبةُ الله - جلَّ وعلا - لعباده الصَّالحينَ العاملينَ المتَّقين، قال الله تعالىٰ:

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلْا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

قال الإمامُ ابنُ كثير - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في تفسير هذه الآية:

(أَي: مَن اتَّصف بأَنَّه لا يُوادُّ مَن حادَّ الله ورسُولَهُ، ولو كان أباه، أو أخاه؛ فهذا مُثَن كتب اللهُ في قلبه الإيمان، أي: كتب له السَّعادة، وقرَّرها في قلبه، وزيَّن الإيمان في بصيرته. قال السُدِّيُّ: جعلَ الله في قلوبهم الإيمان).

وقال العلاَّمةُ عبدُ الرحمن السَّعديُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(أَي: رَسَمَهُ، وثبَّته، وغرسَهُ غرسًا؛ لا يتزلزل، ولا تُؤَثِّر فيه الشُّبَهُ، والشُّكُوك).

<sup>(</sup>١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

#### • حلاوةُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ الصَّادقُ! لَهُ حلاوةٌ لا يتذوق طعمها إِلاَّ المؤمنون الصَّادقون المتقون العاملون؛ الذين يتصفون بصفات تؤهلهم لذلك النعمةُ العظيمة، وليس كل مَن ادعى الإيمان يجد هذه الحلاوة!

فحلوة الإيمان إذا خالطت بشاشة القلب تجعل صاحبه مع الله تعالىٰ في كلِّ وقت وحين، في حركاته وسكناته، في ليله ونهاره؛ فيجدُ العبدُ المؤمنُ الصَّادقُ؛ حلاوة الإيمانِ الطيِّبةَ اللّذيذة في قلبه، ويذوقُها، ويسعَدُ بها، وإذا ذاقها؛ سيبقىٰ يطلُبها، ويشتاقُ إليها؛ لأنَّه إذا وجدَها سَلَّتُهُ عن الحبوبُاتِ الدُّنيويَّة، وعن الأَغراض النَّفسيَّة، وإذا عاشَ معها المؤمنُ؛ تتحول حياتُهُ إلىٰ السَّعادة، والسُّرور، والاطمئنان، والاستقرار الدَّائم في الدُّنيا؛ ثمَّ إلىٰ الحياة الطيَّبة الكريمة العزيزة في الآخرة.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَ اللهِ مِمَّا سِواهُمَا. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ إِلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكَفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ » (١٠).

قالَ الإمامُ النُّوويُّ - رحمه الله - في شرح هذا الحديث:

( هذا حديث عظيم ؛ أصلٌ من أصول الإسلام، قال العلماء رحمهم الله : معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطّاعات، وتحمُّلُ المشَّقات في رضى

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب دمن كره أن يعود في الكفره. ومسلم في (كتاب الإيمان) باب دبيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ه.

الله - عزَّ وجلَّ - ورسُوله عَلَيْهُ، وإيشار ذلك على عرض الدُّنيا، ومحبَّة العبد ربَّة - سبحانه وتعالى - بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبَّة رسول الله عَلَيْهُ حقيقةً، وحبُّ الحبَّة لله ورسوله عَلَيْهُ حقيقةً، وحبُّ الآدمي في الله ورسوله عَلَيْهُ وكراهية الرجوع إلى الكُفر؛ إلا لمن قوي بالإيمان يقينُهُ، واطْمَأنَتْ به نفسهُ، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته).

وقالَ العلاَّمةُ الحافظُ؛ أَبُو العبَّاسِ القرطبيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

« وقد أفاد هذا الحديث: أنَّ مَحَبَّة المؤمن الموصِلَة لحلاوة الإيمان، لا بُدَّ أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدُّنيويَّة، ولا الحظوظ البشريَّة؛ فإنَّ مَن أحبَّه لذلك انقطعت محبَّته إن حصل له ذلك الغرض، أو يس من حصوله. ومحبَّة المؤمن وظيفة متعيِّنة على الدُّوام وُجِدَت الأغراض والمصالح أو عُدِمَت ولاً كانت الحبَّة للأغراض هي الغالبة قل وجدان تلك الحلاوة؛ بل قد انعدم – لا سيما في هذه الأرمان التي قد امحىٰ فيها أكثرُ رسوم الإيمان – وعلى الجملة؛ فمحبَّة المؤمنين من العبادات التي لا بُدَّ فيها من الإخلاص في حُسن النيَّات) (١).

<sup>(</sup>١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي ج١، ص١٥. دار ابن كثير.

#### • طعمُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ رغمَ كونه أمرًا معنويًا! لكن له طعمٌ لذيذٌ حلوٌ طيّبٌ فريدٌ؛ يُحِسُّ به المؤمنُ الصَّادقُ العاملُ، ويَجدهُ، ويَذوقهُ في قلبهِ وكيانه، ويعيش معه بسعادة تامَّة ؛ فطعم الإيمان حلو داثمًا لا يتغيَّر، وإنَّما الذي يتغيَّر هو حال من يتذوقه من العبادِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلِيهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى إِلاَّ اللهُ وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ (١٠).

وقالَ ﷺ: « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبَّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنًا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنًا، وَبِمُحَمَّدِ رَسُولاً » (٢٠).

قالَ الإمامُ النوويُّ - رحمه الله - في شرح هذا الحديث:

(قوله عَلَيْكُ ( ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ... ) قال صاحبُ التحرير، رحمه الله: معنى رضيتُ بالشيء ؛ قنعتُ به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره.

فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يَسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلُك إلا ما يوافقُ شريعة محمَّد عَلَيْ ولا شكَّ في أنَّ مَن كانت هذه صفته؛ فقد خَلَصَت علاوةُ الإيمان إلىٰ قلبه، وذاق طعمه).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب (بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ». (٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب (الدليل على أن مَن رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمّد على الله على أن مَن رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا

وقالَ القاضي عياض، رحمه الله تعالى:

وقوله عَلَيْ (« ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَان»: معناه: صحَّ إِيمانه، واطمأنَّت به نفسه، وخامر باطِنه؛ لأنَّ رضاه بالله ربًا، وبمحمَّد نبيًا، وبالإسلام دينًا؛ دليلٌ لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، بما رضي به من ذلك ومخالطة بشاشته قلبه، وهذا الحديث كالحديث الآخر: « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمان: مَنْ كُنَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبً إليهِ مِمَّا سِواهُمَا».

وذلك أنَّ الإنسان إذا رضي أمرًا واستحسنه؛ سهل عليه أمره، ولم يشقَّ عليه شيءٌ منه؛ فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان؛ سَهُلَتْ عليه طاعات ربَّه ولذَّت له، ولم يشقَّ عليه معاناتها)(١).

وقالَ العلاَّمةُ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدِّي، رحمه الله تعالىٰ:

(والرضى بذلك يقتضي الفرَحَ بذلك، والسُّرورَ بربوبية الله له، وحُسْنِ تدبيره وأقضيته عليه، وأن يرضى بالإسلام دينًا، ويفرَحَ به، ويحمدَ الله على هذه النعمة؛ التي هي أكبرُ المِنن؛ حيث رضي الله له الإسلامَ ووقَّقه له، واصطفاه له، ويرضى بمحمَّد عَلَيْهُ نبيًّا؛ إذ هو أكمل الخلق، وأعلاهم في كلِّ صفة كمال، وأُمَّتُهُ وأتباعه أكملُ الأُم وأعلاهم، وأرفعهم درجةً في الدُّنيا والآخرة)(٢).

<sup>(</sup>١) « إكمال المعلم بفوائد مسلم » ج١، ص ٢٧٠ . تحقيق د . يحيي إسماعيل / دار الوفاء . (٢) « التوضيح والبيان لشجرة الإيمان » ص ٣٠ . أضواء السُّلف .

#### • نورُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ نورهُ مشرقٌ مُضيءٌ، محسوسٌ في عالم المعنى؛ يُشرقُ قلبَ المؤمن الصَّادق؛ فيجعلُه حيًّا ذكيًّا، ويهديه إلى الصَّراط المستقيم؛ صراطِ المؤمن الله عليهم من النبيِّينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصَّالحين، وحسن أُولئك رفيقا.

ثمَّ يخرجه من ظُلماتِ الكُفر! وضلالات العصيان والفسق والفجور، إلى نور الإسلام والهداية والولاية والقُرآن والهدى والعمل الصَّالح والطَّمَانينة؛ ثمَّ يُضيءُ جوارحَه وكيانَهُ وطريقَه بهذا النُّور الرَّبانيِّ.

ثمَّ ينعكسُ ذلك النعمةُ على حياته في الدُّنيا، ويَجعلُه مباركًا أينما كان، ومن أسعد عباد الله على الإطلاق!

ثمَّ يُنير طريقه من بعد حياة الدُّنيا في قبره، وفي أهوال يوم القيامة، ويوم الحشر والحساب والصرِّاط؛ حتَّىٰ يوصله إلىٰ رحمة الله العزيز الغفَّار، إلىٰ جنَّة الخُلد التي تجري من تحتها الأنهار، والتي نعيمها دائمٌ لا يفنيٰ.

فالمؤمنُ يعيشُ في النُّور، ويتقلَّبُ في النُّور، ويتعبَّدُ في النُّور، ويسعىٰ ويتحرَّكُ في النُّور، ويواجه ويجاهد في النُّور، وحياته كلُها نور، وكلُّ أمرهِ نورٌ علىٰ نورٍ؛ فنورهُ من نورِ الله جلَّ في عُلاه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَخْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّنَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

ونورُ الإِيمان: من نورِ الله – جلَّ في عُلاه – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَة مُّبَارَكَة إِلَّهُ شَرُقِيَّة وَلا غَرْبِيَة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسُهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلسَّاسَ وَاللَّهُ بِكُلِّ نُورٍ مِنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلسَّاسَ وَاللَّهُ بِكُلِّ

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

<sup>(</sup>٢) سورة الحديد، الآية: ١٢.

<sup>(</sup>٣) سورة تحريم، الآية: ٨.

شَيْء عَلِيمٌ ﴿ وَ إِلَهُ أَن اللَّهُ أَن اللَّهُ أَن اللَّهُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا السَّمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُو وَالآصَالِ ﴿ وَ إِلَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ ال

وكانَ النّبيُ عَلَيْهُ حريصًا أَشَدُ الحرصِ على نور الإيمانِ؛ فكان دائمًا يسأَلُ رَبّهِ - جلّ في عُلاه - أن يهبته النّور، ويجعله في النّور، ويمدّه من النّور! وكان عَلَيْهُ كثيرًا ما يدعو؛ في ذهابه الى المسجد، وفي صلاته، وفي سجوده، وخصوصًا في قيام الليل، بهذا الدّعاء المبارك:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا.

وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي دَورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا» (٢٠).

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي»(٢).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآيات: ٣٥ - ٣٧.

<sup>(</sup>٢) جميع هذه الخصال: رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب ه الدعاء إذا انتبه بالليل، ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب والدعاء في صلاة الليل والقيام،

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب ٥ دعاء: اللهم إني أسالك رحمة من عندك ٥.

«وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا» . «وَهَبْ لِي نُورًا عَلَىٰ نُورٍ» (٢٠).

وفي مُقابلِ نُورِ الإيمانِ، وحياةِ المؤمنِ الكريمةِ العزيزة المصونة المنور بنور الإيمان والعلم؛ ثمَّ هنالك ظُلماتٌ تقابلُ هذا النور، وهي ظُلماتُ الكُفر والشَّرك والنَّفاق والظُّلم والفسقِ والكباثرِ والمعاصيِ والذُّنوب، والضَّلال والبدعة والجهل؛ تُحِيطُ بأصحابها من كلِّ جانب، إِنَّهم في ظُلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، ليسوا بخارجين منها، وفي عُمْي لا يرونَ حياتهم ولا طريقهم ولا غايتهم؛ فشتَّان بين الصورتين! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضَ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَمْ يَجْعَل اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُور ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» باب « دعوات النبي عَلِيَّةً » برقم: ( ٦٩٥ ).

<sup>(</sup>٢) انظر: «فتح الباري ٣ ج ١١، ص ١٤٢ . عند شرحه لحديث في البخاري (كتاب الدعوات) باب «الدعاء إذا انتبه بالليل» وقال ابن حجر العسقلاني، رحمه الله: (ويجتمع من اختلاف الروايات - كما قال ابن العربي - خمس وعشرون خصلة).

ر٣) سورة النور، الآية: ١٠ .

<sup>(</sup>٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

#### • محبَّةُ الإيمان في القُلوب:

محبَّةُ الإيمانِ أمرٌ فطرية؛ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وهي حبيبٌ أنيسٌ لطيفٌ، ودليلٌ للخير، والصَّلاح، والفلاح، والنَّجاح، وصحة القلب، والحياة السَّعيدة، واستقامة الفطرة عند صاحبه.

وإذا استقرَّت محبَّةُ الإيمان في قلب المؤمن الصَّادق؛ عكست على ظاهرِه نورَه، ولا يبقى لنقيضه مكان فيه، ونقيضه هو الكُفرُ والفسوقُ والعصيان؛ لأنَّها تعمُّ كلَّ القلب، وتتغلغل فيه، ولا تسمحُ للقلب أن يغفلَ عنه.

ومحبَّةُ الإيمانِ نعمةٌ ومنَّةٌ وعطاءٌ منَ الله تعالىٰ لعبادهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملينَ؛ المستجبينَ لنداءِ ربِّهم، والرَّاغبين والطَّالبين لرحمته وعفوه وكرمه وجنَّته جنَّة النَّعيم، والله – سبحانه وتعالىٰ – هو الذي يُحبِّبَ الإيمان لهم، ويُكرِّه إليهم نقيضه، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَبَتُمْ وَلَكِنَ اللَّهُ وَلَكِنَ اللَّهُ وَلَكِنَ اللَّهُ وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَلَكِنَ اللَّهَ وَبَعْمَةً وَلَكُونَ وَلَيْكُمْ وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿ وَ فَصْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

قالَ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، رحمه الله تعالى :

(فهذه أكبرُ المِننِ؛ أَن يُحَبِّبَ اللهُ الإيمان للعبد، ويُزيِّنَه في قلبه، ويُزيِّنَه في قلبه، ويُبَغِّضَ اللهُ إليه

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ - ٨.

أصناف المُحرَّمات، والله عليمٌ بمن يستحقُّ أن يَتَفضَّل عليه بهذا الفضْل، حكيمٌ في وضْعِه في محله اللائق به)(١).

ومحبَّةُ الإيمانِ لا تتحقَّقُ بالقول والادَّعاء فقط! بل يجبُ أن يتبعه العملُ الصَّالح؛ حتىٰ يُثبتَ العبدُ صِدْق قوله مع رَبِّه - جلَّ في عُلاه - لأَنَّهُ لا يجتمعُ في القلبِ نقيضان؛ فالإيمانُ يقضي علىٰ نقيضه في القلب؛ فلا يتركُ مجالاً لمحبَّته ولو يسيرًا، ويجعلُ قلبَ العبد يتجرَّد كلَّه للإيمان.

ومَن أحبَّ نقيضَ الإيمان من الكُفر والشِّرك والنَّفاق والظُّلم والفسق والكبائر والمعاصي والذُّنوب؛ لا يمكنُ أن يكون مُحبًّا للإيمان البتَّة!!

وأصلُ محبَّةِ الإيمان هي حبُّ الله تعالى، وحبُّ رسولِه عَلَيْهُ وأصلُ الحبِّ هو الإِتِّباع للمحبوب، وطاعةُ أمره، واجتنابُ نواهيه، وإِن خالف فعلُه قولَه؛ فهو غيرُ صادقٍ في دعواه، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) « التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص٢٢. أضواء السَّلف.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

#### زينةُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ زينةٌ جميلةٌ عزيزةٌ كريمةٌ؛ للمؤمن الصَّادق في الدُّنيا والآخرة؛ ولن يبدو المؤمنُ جميلاً بديعًا لطيفًا بدونه؛ لأنَّ زينة الإيمان إذا استقرَّت في القلب؛ إنعكست ثمارُها خيرًا علىٰ أخلاق المؤمن، وجوارحه وحياته.

وهذه الزينة الحبيبة؛ هبة وعطاة ومنّة ولطف من الله - جلّ وعلا - يهبها لمن يَشاء من عباده المؤمنين الصّّادقين العاملين، المتقين الصّّالحين، ويضاعفها لهم، ويقذفها في قلوبهم، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَلَكِنَ اللَّهَ وَلَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهُ مَنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

وكان من أدعية النَّبِيِّ عَلِيُّهُ سؤال الله - سبحانه وتعالى - أن يُزيِّنَ قلبهُ بزينة الإيمان؛ فكان يقول عَلِيُّهُ:

«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرَّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالغُمْرَ وَالغُمْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ - ٨.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الإمام أحمد في « المسند، مسند عبد الله الزَّرَقي ، ج٣، ص٤٢٤. وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد ، باب: « دعوات النبي عَيِّكُ ، برقم: ( ٦٩٩ ) وصححه الألباني .

### • الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب:

الإيمانُ: كشجرة طيّبة، مباركة ، كريمة ، خيّرة ، نافعة ، مشمرة ، حيّة ، راسخة ، قويّة ، ثابتة ، نامية ؛ أصلُها ثابت ، وفرعها في السّماء ممتد مرتفع عال ، وأغصائها الخضراء تملأ الآفاق ، وجذورها ضاربة في أعماق الأرض ، وتؤتى أكلها كلّ حين ، وقطوفها دانية تُثمر كلّ وقت .

وهكذا حالُ الإيمانِ مع العبد المؤمن الصّادق العامل؛ فقد غرسَ بذرتها في قلبه الخصب، وتعاهدها بالرّعاية والعناية والاهتمام؛ فأينعت وغذيت شجرة الإيمان في قلبه، وضربت جذورها ورسخت في أعماقه، واستمدّت من هذا القلب غذاءَها فنَمَتْ فيه وترَعْرَعت، وارتفعت ساقها إلى سماء قلبه، وتفرّعت فروعها في أرجائه؛ حتى أحاطت به من كلّ جانب، وتخلّلت شغافه ونواحيه؛ حتى أصبحت لا تزعزعها الأعاصيرُ والعواطف، ولا تُضْعِفُها الفتن والأهواء.

ثمَّ أثمرت شجرةُ الإيمانِ المباركةُ الثمرات الطيّبة اليانعة المباركة؛ انعكست ثمارُها على كيان العبد المؤمن وحواسه وجوارحه، وظلَّلَت له حياته، في كلِّ مرحلة من مراحل عمره؛ بل في كلِّ ساعة من أيامه، آناء الليل وأطراف النَّهار، ألا وهي الالتزامُ والطَّاعاتُ والعباداتُ والحسناتُ، وجميعُ الأعمال الصَّالِحةِ، والطمانينة، والسَّكينة، وانشراحُ القلب، وعند ذلك يذوقُ العبدُ الصَّالح حلاوةَ الإيمان، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللّ

الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ المُثَنَّةِ المُخْتُثَةُ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارِ ﴾ (١).

الإيمانُ في هذه الآية الكريمة؛ ثابت راسخٌ قويٌ متينٌ، وكما أنَّ الشجرة لا بُدَّ لها من عروق، وساق، وفروع، وثَمَر؛ فكذلك شجرة الإيمان الطَّيبة؛ جذورها العلمُ واليقينُ، وأركانها الستَّة، وساقها الإخلاص والمتابعة، وفروعها الأعمال الصَّالحة من أعمال القلوب والجوارح، وثمارها اليانعة هي الأمن، والاطمئنانُ، والحياة الطيَّبة، والآثارُ الحميدة، والآخلاق الكريمة، والسَّمتُ الصَّالح، ووَلاَية الله تعالى، والبُشرى في الدُّنيا والآخرة؛ في الكريمة على غرس هذه الشجرة في القلب وتُبوتها بهذه الأمور التي تُورثُ عند نضجها صاحبَها حلاوة يجدُها في قلبه، وطمأنينة تملأ نفسه.

قالَ العلاَّمةُ عبدُ الرحمن بنُ ناصر السَّعدي، رحمه الله تعالىٰ:

( فَمَثَّلَ اللهُ كَلَمةَ الإيمانِ التي هي أطيبُ الكَلماتِ؛ بشجرةٍ هي أطيبُ الاَشجار، مَوْصُوفة بهذه الأوصاف الحميدة، أُصُولها ثابتة مستقرَّة، ونماؤها مُسْتَمرٌ، وثَمَراتُها لا تزالُ كلَّ وقت وكلَّ حين تَفُلُّ على أهلها وعلى غيرهم المنافع المتنوعة، والثمرات النافعة، وهذه الشجرة مُتَفاوتة في قلوب المؤمنين تَفاوتًا عظيمًا؛ بحسب تَفاوت هذه الأوصاف التي وَصَفَها اللهُ بها) (٢).

 <sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ – ٢٦.

<sup>(</sup> ٢ ) « التوضيح والبيان لشجرة الإيمان » ص٨. أضواء السلف.

#### • الإيمانُ يتبوَّأُ في القُلوب:

تَبَوَّءُ الإِيمانِ في القُلوب - في الأصل - أمرٌ معنويٌّ وليس حسَّيًّا، وهو محبَّةُ الإِيمانِ وأَلفتُهُ، أو تمكينُهُ في القلب(١).

ولكن عندما يتبوُّ الإيمانُ في القلبِ المؤمنِ الصَّادق؛ يتحوَّلُ إلى أمرٍ محسوسٍ ملموسٍ؛ يدركُه المؤمنُ ويلمحُه، ويصبح له «بيتُ الإيمان».

أي: أنَّ القلبَ يكون للإيمان دارًا، ومنزلاً، وقرارًا، ومقامًا يُقيمُ فيه، ويحتمي داخلَهُ؛ يجد فيه طيبَ الإقامةِ، والسَّعادةِ، والرَّاحةِ؛ ولا يتخلَّىٰ عنه لحظةً من لحظاتِ حياته.

وقالَ الله - تبارك وتعالى - عن الأنصارِ في المدينة؛ حين تبُّوءوا الدَّارَ قبل المهاجرين فامتلكوها، وتبوَّءوا الإيمانَ فتمكُّنوا منه:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُونَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٧).

قالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي – رحمه الله تعالىٰ – في تفسير هذه الآية الكريمة:

(ثمَّ ذكر تعالى الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، وأنَّهم حقيقون بإلإعانة، مستحقُّون ؛ لأن تجعل لهم،

<sup>(</sup>١) قال ابن عاشور، رحمه الله: (التبوُّء: اتخاذ المباءة، وهي البُقعة التي يَبوء إليها صاحبها، أي: يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله) انظر: «التحرير والتنوير» ج٢٨، ص.٩٠. (٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

وأنّهم ما بين مهاجرين قد هاجروا المحبوبات والمألوفات من الدّيار والأوطان، والأحباب والخلأن والأموال رغبة في الله، ونصرة لدين الله، ومحبّة لرسُول الله؛ فهؤلاء هم الصّادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدّقوا إيمانهم بأعمالهم الصّالحة، والعبادات الشَّاقَة، بخلاف من ادَّعىٰ الإيمان، وهو لم يُصدّقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصار وهم الأوس والخزرج؛ الذين آمنوا بالله ورسوله طوعًا ومحبّة واختيارًا، وآووا رسول الله عَلَيْ ومنعُوهُ من الأحمر والأسود، وتبوّءوا دار الهجرة والإيمان؛ حتى صارت موثِلاً ومرجعًا يرجعُ إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلّها بلدان حرب وشرك وشر؛ فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار؛ حتى انتشر حرب وشرك وقوي، وجعل يزيد شيعًا فشيعًا وينمو قليلاً قليلاً حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيّف والسّنان).

وقالَ أميرُ المؤمنينَ؛ الفاروق عُمر بن الخطّاب - رضي اللهُ عنه - في وصيته؛ عندما طعنه أبو لُؤلؤة المجوسيّ:

(أُوصِي الْخَليفَةَ بِالْمُهَاجِرِينَ الأُولِينَ: أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأُوصِي الْخَليفَةَ بِالأَنْصَارِ؛ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإيمانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهَاجِرَ النَّبِيُّ الْخَليفَةَ بِالأَنْصَارِ؛ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإيمانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهَاجِرَ النَّبِيُّ الْخَليفَةَ بِالْأَنْصَارِ؛ اللهِ عَنْ مُسِيئِهم ) (١).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب تفسير القرآن) باب ه والذين تبوؤوا الدار والإيمان ٥.

#### • نداءُ الإيمان في القُلوب:

نداءُ الإيمانِ مُحبَّبٌ إلى قلوبِ المؤمنين الصَّادقينَ العاملينَ المستجيبينَ لله تعالىٰ ولرسُوله عَلَيْهُ ؛ لأَنَّه نداءُ الفطرة السَّليمة المستقيمة؛ فهم يبادِرُونَ ويسارعونَ في الاستجابة لداعية الله جلَّ وعلا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ رَبُّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِكُمْ فَآمَنًا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّعَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١) .

هذه الآيةُ الكريمةُ العظيمةُ؛ تبيِّنُ فضيلةَ نداءِ الإيمان، وفضلَ مَن ينادي به، وفضلَ مَن يَسْتَجيبُ له، وثمرةَ هذه الاستجابة، وجزاءَ هذه الطَّاعة.

والمنادي بنداء الإيمان؛ يحمل أعظم رسالة خالدة إلى العالمين، ويؤدّي أرفع العبادات، وأفضل وأشرف وظيفة في حياة البشريّة، والقائمين عليه هم أفضل الخلق وخيرتُهُم على الإطلاق، وهم رسل الله - جلّ وعلا - وأنبيائه، والدَّاعون من بعدهم بنداء الإيمان؛ هم القائمون بوظيفة الرُّسُل الكرام - عليهم الصّلة والسّلام - وهم أصفياء من عباد الله الصّالحين، ودعاته المخلصين الصّادقين، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

والمنادي بنداء الإيمان؛ هو الدَّاعي إلى الله - تبارك وتعالى - ورضوانه وولايته وعنايته، وإلى الخير كله، وإلى النُّور والطمانينة والسَّكينة والبركة

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

<sup>(</sup>٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

والعزَّة، والحياة السَّعيدة العزيزة الكريمة في الدُّنيا، ويبشِّرُ بالنَّعيم الدائم، والسَّعادة السرمديَّة، والحياة الأبديَّة في الدار الآخرة.

ورسُولُ اللهِ؛ محمَّدٌ بنُ عبدِ اللهِ عَلَيْ هو إمامُ الدُّعاة وخيرتهم، وهو مُعلَّمُ النَّاسِ الخير، وهاديهم إلى الصراطِ المستقيم، ومُحذَّرهم من سُبُلِ الخُسران، والسَّعادةُ والهُدىٰ في مُتابعته عَلَيْ والضَّلالُ والشَّقاءُ في مخالفته؛ فاستجابتُه عَلَيْ وطاعتُه والتزامُ أوامره، والاهتداءُ بهديه المبارك؛ واجبٌ على جميع المسلمين عامَّة دون استثناء، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١).

قال إمامُ المفسرينَ الإمامُ الطبريُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(معناهُ: استجيبوا لله وللرسُول؛ بالطَّاعة إِذا دعاكُم الرَّسُولُ لِمَا يُحْييكُم من الحقّ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بِنِ الْمُعلَىٰ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ عَلِيُّ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّىٰ صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ:

« مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِللهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ . . . « ` ` .

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

 <sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب تفسير القرآن) باب ه يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ..
 وقال البخاري، رحمه الله: (استجيبوا: أجيبوا، لما يحييكم: يُصلحكم).

#### • الإيمانُ ينفع صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة:

الإيمانُ ينفعُ صاحِبَهُ في الحياة الدُّنيا: يُزكِّي روحَه، وقلبَه، ونيَّته؛ ثمَّ يعكسُ ذلك على بدنه؛ فيُزكِّي أخلاقه، وسلوكه، وعبادتَه، وتعاملَه، ثمَّ يسدِّدُه ويوفَّقُه لكلِّ خيرٍ، ويجعلُه في نورٍ، وبصيرةٍ، وطمأْنينةٍ، وسكينةٍ، واستقرارٍ، وعزَّةٍ، وكرامة، وحياة سعيدة.

وهذا الأمرُ ملحوظٌ وثابتٌ في أهلِ الإيمان: أهلِ الطَّاعة، والتُّقوى، والخُسية، والخُوف، والرَّجاء، والفضل، والقيم، والأخلاق الحميدة، والخياء، والتَّواضع؛ من المؤمنينَ الصَّالحينَ المتقينَ العاملين.

والإيمانُ ينفعُ صاحبَه في الآخرة: يومَ الحساب، يومَ الحسرة والندامة، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ إلا مَن أتى الله بقلب سليم، يومَ يخسرُ الكافرون أنفسهُم وأهليهم وأموالهُم، ومَن حولهُم؛ يومها يتبوّأ المؤمنونَ الصّادقون العاملونَ – ومَن تبعهُم من ذُرِّيتهم (\*) – مكانهم في جنَّاتِ الخُلد خالدين فيها أبدًا؛ بما كانوا يعملون، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة محمد على ، الآية: ٢.

<sup>( \* )</sup> قال الله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِيَّتُهُم بِإِيمَانِ ٱلْـحَقْنَا بِهِمْ ذُريَّتَهُمْ وَمَا ٱلنَّنَاهُمِ مَنْ عَمَلِهِم مَن شَيْء كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿ جَنَاتُ عَدُّن يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ وَالْمَلاثِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابِ ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكُرِ أَوْ أُنتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِنَهُ حَيَاةً طَيْبَةً وَلَنجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضُوانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَـهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ( أ ) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتِ تَحْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلِّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ

<sup>ِ (</sup>١) سورة النحل، الآية: ٩٧. (٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٧.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًَ ظَلِيلاً ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّمُاتِهِمْ وَلَا دُخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَلَا يَعْمَاتِهِمْ وَلَا ذُخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْ رَبِّهِمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) . . . .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلُولًا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِين ﴾ (٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٥٧. (٢) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ – ٦٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦. (٤) سورة يونس، الآية: ٩٨.

<sup>(</sup>٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

#### • للإيمان مجالسُ يزدادُ فيها ويتجدُّد:

مجالسُ الإيمانِ: هي الجلساتُ الإيمانيَّة الرَّبانيَّة المباركة؛ التي يجتمعُ فيها أهلُ الذِّكر والإيمانِ والطَّاعةِ والتَّقوىٰ من المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملين؛ كحضور صلاة الجماعة والجمعة، ودروس طلب العلم وحلقاته، ومُجالسة الصَّالحين؛ يذكُرون فيها الله – تبارك وتعالىٰ – ويتدارسُون كتابه العزيز، ويتدبَّرون آياتِهِ وأحكامَه وعجائبه، ويتدارسونَ سُنَّةَ نبيّه الأمين عَلَيْ وهَدْيَه العَطِرَ، ويتفقَّهونَ في أحكامه؛ لكي يعملُوا بها ويطبقوها، ويتدارسون الإيمانَ وأصولَه وأركانَه وواجباتِه، وحالاتِه، ويحاولونَ أن ويتفقه في ظلاله وبنعمته.

فهذه المجالس؛ هي قُوتُ قلوبهم، ودواءُ أرواحهم، وسكينةُ نفوسهم، وبها تدفع الكُربات، وتُرفع الدَّرجاتُ، ويرضىٰ الرَّحمنُ - جلَّ في عُلاه - ويُزال الهمُّ والغمُّ عن القلبِ، وبها يُطردُ الشَّيطان وأعوانه.

ويتواصون في هذه الأجواء الإيمانيَّة الرَّبانَّية : بالحقّ، والصَّبر، والتَّقوى، ومخافة الله تعالى، والنَّبات، واتَّباع السُنَّة، وعدم الابتداع، وبالعبادات من الصَّلاة، والدُّعاء، والإقبال على الله تعالى، وطلب رضوانه ومغفرته ورحمته، ويتواصون بالأمر بالمعروف والنَّهى عن المنكر.

ويُحيون في هذه المجالس إيمانهم ويجدَّدونه؛ فينمو إيمانهم ويزداد ويقوى؛ فيزدادون في هذه المجالس المباركة؛ إيمانًا على إيمانهم، ونورًا على نُورهم وتصحبهم الملاثكة والرَّحمةُ والبركةُ والسَّكينةُ والطمأنينةُ ويذكرهُم الله تعالىٰ فيمن عنده، ويغفر لهم ذنوبهم، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ لَّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ عَدُو ۗ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿ آَنَ عَادُ لِللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُ وَينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْمَحْزَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَدْمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>٢) سورة الزخرف، الآيات: ٧٧ – ٧٠.

<sup>(</sup>٤) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ - ٣١.

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١. (٣) سورة الكيف، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة التوبة الآية: ٧١ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوْءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ: إمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ. وَكِيرُ الحَدَّادِ: يُحْرَقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » (١).

وقالَ عَلِيَّةَ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمُ الرَّحْمَةُ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَشْيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَشْيَتْهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ... (٧٠).

وقال عَلَيْ : « إِنَّ الله مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذَّكْرِ ؟ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ الله تَنادَوا : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ . قَالَ : فَيَحُقُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُو أَعْلَمُ فَيَحُونَهُمْ ، مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قالَ : تَقُولُ : يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، مِنْهُمْ ، مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قالَ : تَقُولُ : يَسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيُحَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَقُولُ نَى اللهِ مَا رَأُونِي ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لَوْ وَيَعْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لَوْ وَلَوْنَ : لَوْ وَاللهِ مَا رَأُونِكَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأُونِي ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَشَدَّ لَكَ عَبَادَةً ، قالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأُوهُا كَانُوا أَشَدَ لَكَ عَبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَآكُثُورَ لَكَ تَسْبِيحًا ، وَآكُثُورَ لَكَ تَسْبِيحًا ، وَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَ لَكَ عَبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَآكُثُورَ لَكَ تَسْبِيحًا ، وَأَوْهَا ؟ قالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأُوهُا ؟ قالَ : يَقُولُونَ : لَا وَاللهِ يَارَبُ مَا رَأُوهَا كَانُوا أَشَدَ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَالَّذِهُمْ رَأُوهُا كَانُوا أَشَدَ عَلَيْهَا حِرْصًا ، أَنَّهُمْ رَأُوهُا كَانُوا أَشَدَ عَلَيْهَا حِرْصًا ، أَنَّهُمْ رَأُوهُا كَانُوا أَشَدَ عَلَيْهَا حِرْصًا ،

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب البيوع) باب ه في العطار وبيع المسك ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء) بأب وفضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكره.

وأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبٌ مَا مِنَ النَّار، قالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبٌ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبٌ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأُوْهَا كَانُوا رَأَوْهَا ، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأُوْهَا كَانُوا أَشَدَ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ اللَّائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ (١٠).

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ عبدُ الله بن رواحةُ، رضي اللهُ عنهُ:

(تَعَالُوا نُؤْمِنْ سَاعَةً؛ تَعَالُوا فَلْنَذْكُرِ اللهَ، وَنَزْدَدْ إِيمَانًا؛ تَعالُوا نَذْكُرُهُ بطاعته؛ لعَلَه يَذْكُرُنَا بَمَغْفِرَتِهِ ) (٢٠).

> وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ معاذُ بن جبلٍ، رضي اللهُ عنهُ: (اجْلِسْ بنا نُؤْمِنْ سَاعَةً )(٣)(\*).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب « فضل ذكر الله عز وجل». ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء) باب « فضل مجالس الذكر ».

<sup>(</sup>٢) « الإيمان » ابن أبي شيبة: ص ٢٤ (١١٦).

<sup>(</sup>٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ج٥، ص١٠١٤ ( ١٧٠٦). والبخاري في (٣) « كتاب الإيمان) باب «بني الإسلام على خمس ».

<sup>(\*)</sup> قال ابن حجر، رحمه الله: ( ووجه الدلالة منه ظاهرة؛ لأنّه لا يحمل على أصل الإيمان؛ لكونه كان مؤمنا، وأيّ مؤمن! وإنّما يحمل على إرادة أنّه يزداد إيمانا بذكر الله تعالى. وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: لا تعلق فيه للزيادة؛ لأنّ معاذًا إنّما أراد تجديد الإيمان؛ لأنّ العبد يؤمن في أول مرة فرضًا، ثمّ يكون أبدًا مجددًا كلما نظر أو فكر، وما نفاه أولاً أثبته آخرًا؛ لأنّ تجديد الإيمان إيمان إيمان ). انظر: « فتح الباري» ج ١، ص ٦٧. دار السلام.

#### • الإيمانُ يَعْلُو ولا يُعْلَىٰ عليه:

الإيمانُ الصَّادقُ الرَّباني: هو أساسُ كلِّ خير، ومنبعُ كُلِّ عزَّةٍ، ومصدرُ الكرامة، والأَنفَة، والشَّرف، والحريَّة، والحرامة، والإقدام، والشَّرف، والحريَّة، والسيّادة، والاستعلاء؛ يعيش صاحبُه سعيدًا، مطمئنًا، عزيزًا، كريمًا، قويًّا، ثابتًا على طريق الحقّ؛ لا تؤثّر فيه العواطفُ ولا العواصف.

وقد وعد الله - عزَّ وجلَّ - أهلَ الإيمانِ والتَّوحيد والطاعةِ؛ بالنَّصر والتمكين في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، وأن يُبَدُّلَ خَوفهم أَمنًا، وأن يستخلِفهُم في الأرض، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتُولُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ آلِكَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْفَالِبُونَ ﴾ (°). لَهُمُ الْفَالِبُونَ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

<sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآية: ٥١.

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة، الآية: ٦٥. (٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.

<sup>(</sup>٥) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ – ١٧٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ ﴿ وَقَالَ تَعَالَىٰ الْكَاتُم مُّوْمِنِينَ ﴿ وَقَالَ تَعَالَىٰ اللَّهُ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّنْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُ الظَّالِمِينَ ﴿ لَيُعَلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠). الظَّالِمِينَ ﴿ فَي مُحَقِّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠).

ولكنَّ وعد الله تعالى؛ بالنَّصر والتَّمكين والاستخلاف للمؤمنين في الأرض، له شروطٌ لا تتحقَّقُ إلاَّ بها؛ فإنَّ تمسك بها جنده فهم الغالبون، وإن أَخلُوا بها فالله تعالىٰ غالبٌ علىٰ أمره - سبحانه - لا معقب لكلماته، ولا يُسأَلُ عمًا يفعل وهم يُسألون! وهذه الشُّروطُ هي:

- تحقيقُ الإيمان بكلُ معانيه وشروطه، وبكافّة أركانه وأصوله،
   والابتعادُ عن نواقضه، والتّحذيرُ منه، ومحاربته.
- تحقيقُ العبادة لله تعالى، وممارسةُ العمل الصّالح بكلِّ أنواعه، والحرصُ عليه، وتقوى الله عزَّ وجلَّ في السرِّ والعلن، والتَّوكل على اللهِ
   عزُّ وجلَّ والاستعانة به وحده،

وأَمًّا لوازمُ استمرار النَّصر والتَّمكينِ فهي: إِقامةُ الصَّلاة، وإِيتاءُ الزَّكاة، وطاعةُ الرَّسُول عَلَيْ المطلقة، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلُونَ لِهُ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن لَهُمْ وَلَيْبَدًا لَيُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّكاةَ وَأَلُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ( ' ).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرُ كُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢).

• ولكي يتحقَّقَ وعدُ الله تعالى؛ بالنَّصرِ والتَّمكينِ والاستخلاف في . الأَرضِ؛ يجبُ على المؤمنين الصَّادقين – بعد التَّوكُّلِ على الله تعالىٰ – الاَخذُ بالاَسباب التي تؤدِّي إلى التَّمكين، وعدم التَّقصير فيها، مهما كلَّف الاَمر! وذلك من الإعداد الشَّامل لمواجهة أعداء الأُمَّة؛ من القوَّة العسكريَّة والاَمنيَّة بأنواعها وأشكالها، والإعداد العقديِّ، والتربويِّ، والسُّلوكيِّ، والاقتصاديِّ، والإعلاميُّ، والسياسيِّ؛ الذي يُعينُ الأُمَّةَ على نشر الإسلام والمقتاديِّ، أو الدفاع عن نفسها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رَّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوا لَهُم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا عَدُوً اللَّهِ وَعَدُوا كُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَ هُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبيل اللَّهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآيتان: ٥٥ - ٥٠.

<sup>(</sup>٢) سورة محمد على ، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

#### • الإيمانُ: شُعبٌ، ومراتبٌ، ودرجات:

الإيمانُ: مُركَّبٌ من شُعبٍ ومراتبَ ودرجاتٍ؛ تتفاوتُ وتتفاضَلُ؛ بعضُها أَفضلُ وأَعلىٰ من بعضٍ، وأَجرُ بعضها أعظمُ من بعض.

وأهلُ الإيمان والطَّاعة: متفاوتونَ ومتفاضلونَ فيه على حسب عِلْمِهمْ وعَمَلِهمْ ، وبما قامَ لديهم من علم، ويقين، وصدق، وإخلاص، وحبً، وخضوع لله تعالى، وبما يقومونَ به من الأعمالِ الصَّالحة؛ من البرِّ والتقوى، وامتثال أوامر الله – تبارك وتعالىٰ – واجتناب نواهيه.

وقد ذكرَ الله تعالىٰ في كتابه؛ شُعَبَ الإِيمانِ الاعتقاديَّة والقوليَّة والفعليَّة؛ الظاهرة والباطنة، وشهد لمن أتىٰ بها بالصِّدق والتَّقوىٰ، وسمَّاهم المؤمنين المتقين الصادقين؛ ثمَّ بشَرهم بالفوز والنجاة، قال الله تعالىٰ:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُّوا و جُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ و لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الْرُقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ إِلَى الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ إِنَّ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ فَمَنِ الْبَغَى وَرَاءَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ الْبَغَى وَرَاءَ فَاوْ لَكِنَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَلْكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ اللَّهِ الْوَارِثُونَ فَي اللَّهُ الْوَارِثُونَ فَي اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ الْوَارِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

« الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ – أُو بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعبةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في « كتاب الإيمان » باب (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان).

## فوائد الإيمان الصادق وثمراته

الإيمانُ الصَّادقُ، واليقينُ الحقُّ؛ له من الفوائدِ والشَّمراتِ المباركة العظيِّمة الطيِّبة النَّافعة؛ العاجلةِ والآجلة في الدُّنيا والآخرة:

■ في الحياة الدُّنيا: الإيمانُ الصَّادقُ! يبعثُ الطَّماْنينة في القلبِ، والسَّكينة في النَّفس، والرِّضا بالأَقدار، ويَقي صاحبهُ من أمراضِ القُلوب، ووساوس الشَّيطان، وبالإيمان الصَّادقِ وحده؛ يستطيع العبدُ أَن يَصبرَ على مصائبِ الدُّنيا وشدائدها ومحنها وفتنها.

■ في الدَّار الآخرة: الإيمانُ الصَّادقُ! هو الأَمنُ والسَّلامةُ من وحشَّةِ القبر، ومن أهوال يوم القيامة، وبالإيمان الصَّادقُ وحده؛ ينالُ العبدُ رضوان الله تعالىٰ، وجنَّة الخُلد، ومساكنَ طيَّبةً، والسَّعادةَ الأَبديَّة السَّرمديَّة.

• وعن جزاء المؤمنينَ في الحياةِ الدُّنيا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَئَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبُّكَ ثُوابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًا ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة مريم، الآية : ٧٦ .



and the second of the second o

## ٣ – أَهلُ الإِيمان الصَّادق : ينالونَ رضاً الله تبارك وتعالىٰ :

فالرّضا من الله - سبحانه وتعالى - هو الحكم باستحقاق الثّواب، وزيادة الهدى، والتّنوير والألطاف، أي: هو تمام الحبّة التي يعقبه الاقتراب بين المحبيين؛ فما أروع أن يقترب العبد من جلال المولى - جلّ جلاله - فيعيش عذب المحيا؛ فرضا الله تعالى من أسباب سعادة المؤمن وطمأنينته في الدُّنيا وفي الآخرة؛ لأنَّهُ مَن رَضِيَ الله - جلّ في عُلاه - عنه؛ فقد فاز فوزًا عظيمًا، ونالَ سعادة الدَّارين، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلْ أَوُنَبُنُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بالْعِبَادِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضُوَانٍ وَجَنَّاتٍ لِّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقْيِمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْن ورضوان مِّنَ مِن اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة ، الآية: ٢١.

<sup>(</sup> ٣ ) سورة التوبة ، الآية : ٧٢ .

٣- أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: رَضِي الله تعالىٰ عنهم في الدُّنيا والآخرة:

فقد أَخبرَ الله - جلَّ في عُلاه - في كتابه العزيز: أَنَّهُ رضيَ عن سَلَفِ هذه الأُمَّة المباركة، وهم أصحابُ رسُول الله عَلَيْتُ ومَن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان؛ من المؤمنينَ العاملينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ، إلىٰ يوم الدِّين.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَاللَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانِ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ وَاللَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانِ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

وقالَ تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادً اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولِكِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حَزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَئِكَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَئِكَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَئِكَ عَلَيْهُمْ وَرَصُولَ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ إِلَا إِنَّ عَرْبُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَيَعْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ إِنْ عَنْ اللَّهُ عَلْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ أَوْلَالُولَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَهُ الْمُعْلِعُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الْمُعْلِعُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمُعْلِعُونَ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الْمُ الْمُعْلِعُونَ اللَّهُ عَلَوا اللَّهُ عَلَيْهُمْ الْمُعْلِعُونَ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمُعْلِعُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُنْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُنْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ الْعُولُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمِ الْعُلْمُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُعْلِمُ الْعُلْمُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُعْلِمُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ الْعُلْعُلُولُ اللّهُ اللّهُ الْعُلْمُ الْعُلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الفتح، الآية: ١٨. (٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْسَرِيَّةِ ﴿ كَالَ عَدْنَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ الْسَرِيَّةِ ﴿ كَا تَحْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَبَّهُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثُ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِحُ فَتَرَاهُ مُصْفُراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢).

وقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : وإِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! يَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ ، لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُ : أَخِلُ عَلَيْكُمْ فَضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُ : أُحِلُ عَلَيْكُمْ رَضُوانِي ؛ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » (").

وقالَ عَظِيدٌ: ه إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، (٤). عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، (٤).

<sup>(</sup>١) سورة البينة، الآيتان: ٧ - ٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقائق) باب وصفة الجنَّة والنَّار ٥.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه مسلم في ( كتاب الذكر والدعاء والتوبة ) باب ( استحباب حمد الله تعالى بعد الاكل والشرب . .

## ٤- أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: يُدافعُ الله - تبارك وتعالى - عنهم:

أي: أَنَّ الله تعالى يدفع السُّوء عن عباده المؤمنين الصَّادقين المتقين وتُقوَّي عزائمهم وحتى يقبلوا على ما شرع لهم من جهاد أعدائهم بثبات لا تردُّد معه، وبأمل عظيم في نصره - سبحانه - وتأييده، ويجعل العاقبة لهم، وعلى أعدائهم.

يُدافع الله تعالى عنهم كلَّ مَكروه، ويُنجِّيهم من الشَّدائد والمِحَنِ والمُصائب، ويُدافعُ عنهم كيدَ الأَعداء من شياطين الإنس وشياطين الجنَّ، ومَن يُدافع الله تعالى عنهم؛ لا يُهزموا أبدًا؛ فهم المنصورون الظَّاهرون إلى قيام السَّاعة، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَننصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ آَنِ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾ (١٠). لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾ (١٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

<sup>(</sup>١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

<sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ – ١٧٣.

## ٥ - أَهَلُ الإِيمَانِ الصَّادق: في معيَّةِ الله تبارك وتعالىٰ:

وهذه المعيَّةُ من الله - جلَّ في عُلاه - خاصَّةٌ بالمؤمنينَ الصَّادقين العاملينَ المتقين؛ ثابتٌ في شرعه، وفي سُنَّة نبيّه الأَمين ﷺ، وهي: معيَّةُ التَّاهيد، والتَّسديد، والنُّصرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ (``. وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (``).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (°).

وقولُ النَّبِيُّ ﷺ لصاحبه أبي بكر الصَّديق – رضي الله عنه – في غار حراء؛ كما حكىٰ عنه الله تعالىٰ في كتابه العزيز، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٣) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٥) سورة محمد 🛎 ، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

<sup>(</sup> ٤ ) سورة الأنفال، الآية : ٨٦ .

<sup>(</sup>٦) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

## ٣- أَهَلُ الإِيمَانِ الصَّادقِ: يُنَجِّيهُم الله تعالَىٰ في الدُّنيا والآخرة:

• في الحياة الدُّنيا: فقد نَجَّىٰ الله تعالىٰ؛ جميع أُنبياءه ورسُله - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - ومَن تبعهم من المؤمنينَ والصَّالحينَ، والدُّعاةِ العاملينَ؛ الذين كانوا معهم، والذين اتَّبعوهم وجاؤوا من بعدهم؛ فنجاهم الله تعالىٰ من عذاب الدُّنيا؛ فكانوا هم المنصورن، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكُرُوا بِهِ أَنَجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابِ بَئِيسِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٢٠).

• في الدَّار الآخرة: فقد وعد الله - جلّ وعلا - أن يُنجِي أنبياءَه ورسُلَه - عليهم الصّلاةُ والسّلامُ - ومَن تبعهم من المؤمنين والصّالحين، والعاملين المتّقين؛ من جميع أهوال يوم القيامّة وما يتبعها من الفزع ومن خزي عذاب النّار، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَيُنجَي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالى : ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (°).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

<sup>(</sup>٣) سورة النمل، الآية: ٥٣.

<sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآية: ٦١.

<sup>(</sup>٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

## ٧- أَهلُ الإِيمان الصَّادق: يَرفعُ الله درجاتهم في الدُّنيا والآخرة:

فأهلُ الإيمانِ الصَّادقِ والعلم واليقين؛ يَرفعُ الله تعالى درجاتهم في الدُّنيا؛ بالكرامة، والعزّ، والسَّيادة، والرِّيادة، والنَّصر، والتَّمكين.

وفي الآخرة: بالثَّواب الجزيل والرَّضوانِ، وبأعلىٰ درجات جنَّات الخُلدِ عند ملك مقتدر، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ آمَنُوا وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْـمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنـدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ وَهَ جَنَّاتُ عَدْن تَحْدِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ ( أ ) .

<sup>(</sup>١) سورة المجادلة، الآية: ١١. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

 <sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٤.
 (٤) سورة طه، الآيتان: ٧٥ – ٧٠.

## ٨- أَهلُ الإيمان الصَّادق: هم أَهلُ العزِّ والكرامة:

فعزَّة أهل الإيمان الصَّادق! وقوتهم من عزَّة الله تعالى وقوته؛ لأنَّ المؤمنينَ الصَّادقينَ الأَبرار؛ نفوسُهُم متصلةٌ بالله تعالىٰ؛ فتكونُ قويَّة أبيَّة عزيزة، لا تأخُذها في الله لومةُ لائم، لا تعرفُ الصَّغار، ولا اللِّين لغير الله – عزَّ وجلَّ – فهم عزيزو النَّفس، وقويُّو العقيدة والإيمان.

وأَمَّا مع إِخوانهمُ المؤمنين أمثالهم: فهم رفيعو الخُلق، عفيفو الطَّبع؛ هيِّنونَ، ليِّنونَ، سمحُونَ، ودودونَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْحَلَامُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا اللَّهَ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَغُونَ عِندَهُمُ الْعزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لللهِ جَمِيعًا ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (1).

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية : ١٠.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١٣٩. ﴿ ٤) سورة يونس، الآية: ٦٥. ٠٠٠٠

## ٩ - أَهَلُ الإِيمَانِ الصَّادق : يُحبُّهُمُ اللهُ تعالَىٰ ، ويحبُّهُمُ المؤمنون :

فأهلُ الإيمانِ الصَّادق؛ يُحبُّهُمُ الله - جلَّ في عُلاه - بسبب صدق إيمانهم، وقوَّةِ يقينهم، وصالح أعمالهم، وطاعتهم لله تعالى ولرسُوله عَلَيْهُ واستجابتهم لهما، والتَّسليم التَّامِّ لحكمهما، واتصافهم بجميع صفات المؤمنين الصَّادقين؛ فإذا أحبَّهُم الله تعالىٰ؛ كتبَ لهم القبولَ في الأرض، وجعلَ لهم الحبَّة والمودَّة في قلوب المؤمنينَ وعامَّة النَّاس، ويبقىٰ لهم ذِكرٌ صالحٌ، وثناءٌ حَسَنٌ، ودعاءٌ لهم، والاقتداءُ بهم، وبهذا يحصُلُ لهم السَّعادةُ والفلاحُ في الحياة الدُّنيا، وفي الآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (١٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكَّلِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة مريم، الآية: ٩٦.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

<sup>(</sup>٧) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

<sup>(</sup>٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُم بُنْيانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدُّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُخَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يُشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا أَحَبُّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبَّهُ ؛ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ ؛ جِبْرِيلُ ، فَيُعَبِّوهُ ؛ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ ؛ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ الأَرْضِ » (٣).

قالَ الإمامُ النوويُّ - رحمه اللهُ - في شرحه لهذا الحديث:

( وسبب حبّهم إِيَّاه كُونُه؛ مطيعًا لله تعالىٰ محبُوبًا له، ومعنىٰ يوضع له القبولُ في الأرض: أي: الحُبُّ في قلوب النّاس، ورضاهُم عنه؛ فتميلُ إليه القلوب، وترضىٰ عنه. وقد جاء في رواية: « فَتُوضَعُ لَهُ المَحبَّة» ).

<sup>(</sup>١) سورة الصف، الآية: ٤.

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الخلق) باب « ذكر الملائكة ». ومسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب « إذا أحب الله عبدًا؛ حببه إلى عباده ».

## • ١- أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: لَهُمُ البُّشْرَىٰ فِي الحِياةِ الدُّنيا والآخرة:

فأهلُ الإيمان الصَّادقِ! لهُمُ البُشرى من الله تعالى في الحياة الدُّنيا:

من الأمن، والأمان، والطمأنينة، والسَّعادة، ونور الإيمان، والحياة الكريمة العزيزة السَّعيدة، والنصر، والتَّمكين، والخير العاجل والآجل.

وفي الآخرة: لهمُ البُشرى منذُ خروج أرواحهمُ الذَّكيَّةِ من أجسامهم الطَّاهرة، والملائكةُ تُبشَّرهم؛ برحمة الله تعالى وبكرمه وإحسانه ورضوانه، وفي قبورهم؛ التي هي روضةٌ من رياض الجنَّة، وفي عرصات القيامة وما فيها من الأهوال والشَّدائد، إلىٰ أن يدخلوا جنة النَّعيم بأمان وسلام، وهنالك لهم البُشرىٰ الأخيرة، ألا وهي الخلودُ فيها، ورؤية ربِّهم ذي الجلال والإكرام، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقُونَ ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدَّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبشِّرْ عِبَادٍ ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشُرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢).

 <sup>(</sup>١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ – ٦٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ( ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١٠).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقُومُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ اللَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لِّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمً ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (^).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَكَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَكَاثِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٥)

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٥٥١.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الإسراء، الآية: ٩ .

<sup>(</sup>٧) سورة التوبة، الآية: ٢١.

<sup>(</sup>٩) سورة فصلت، الآية:٣٠.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

 <sup>(</sup>٤) سورة يونس، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.

<sup>(</sup>٨) سورة التوبة، الآية: ١١١.

١ - أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: هُمُ أَهِلُ الأَمن والأَمان والاطمئنان في الحياةِ الدُّنيا والآخرة:

لأَنْهم أهلُ الخضوعِ والطَّاعة والتَّسليم التَّامِ لشَّرعِ اللهِ تعالىٰ، والرِّضا بأقداره؛ فهم أهلُ الأَمن، والاَّمان، والطمأنينة، والاطمئنان، والسَّعادة، والرَّاحة، والسُّكون، وهم أبعدُ الخلق عن الخوف، والفزع، والحزن، والهمَّ، والعمَّ، والوحشة، والاضطراب، والشَّقاء، والعذاب؛ فأمرهم كلُهُ خيرٌ وبركةٌ؛ في الحياة الدُّنيا قبل الدَّار الآخرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ۚ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزيزِ الْحَكِيم ﴾ (٧٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبُهمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨١ – ٨٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

<sup>(</sup>٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

 <sup>(</sup>٤) سورة الزخرف، الآية: ٦٨.

وقالَ تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبعُونَ مَا أَنفَقُوا مِنَّا وَلا أَذِّي لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلا هُمْ 

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِينَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَر أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْبِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٥).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾(١).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧. (٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

 <sup>(</sup>٥) سورة النحل، الآية: ٩.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

<sup>(</sup>٦) سورة الفتح، الآية: ٤.

## ٢ - أَهُلُ الإِيمَانِ: ينعمون بالحياة الطيُّبة في الدُّنيا والآخرة:

أهلُ الإيمان الصَّادق: يعيشون الحياة الطيّبة الكريمة العزيزة السّعيدة؛ فيها راحة القلب وطمأنينته، وراحة البال واستقراره، وانشراح الصّدر وانفتاحه، وفيها زينة الحياة الدُّنيا من النّعم والطّيّبات؛ لأنّهم رُزِقُوا بما قسّم الله تعالىٰ لهم من كنز القناعة التي بسببها تلوح نضرة النّعيم في وجوههم مشرقة من السّعادة، وطيب الحياة، ولذّة العيش، وما نالوا هذه الحياة الطيّبة؛ إلا لأنّهم يتمتّعون بنعمة الإيمان الصّادق، والعمل الصّالح.

وفي الدار الآخرة: فهم يعيشون - بما عَمِلُوا في الحياة الدُّنيا - في عيشة هي راضيةٌ من نفسها؛ فكيف بالذين يعيشُونَ فيها حياةً أَبديَّةً؛ نعيمٌ لا نظير له، ولا مثيل، ولا شبيه؛ لا عينٌ رأْت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ أَحدٍ من البشر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَئَبَةً وَلَيْبَةً وَلِيْبَةً وَلَيْبَةً وَلَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المالية والمالية والمالي

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَننصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآية: ١٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ السِّرِّوْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقَيَامَةِ كَذَلِكَ لَلْكَ نُفَصًّلُ الآيَاتِ لِقَوْم يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَالِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَئِذِ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابِهَ فِيَ الْمَ عَلَيْهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهُ ﴿ أَنِي طَنَنتُ أَنِّي مُلاقِ حِسَابِيَهُ ﴿ أَنِي طَنَنتُ أَنِّي مُلاقِ حِسَابِيَهُ ﴿ أَنِي فَقُولُهُمَا مِنَا مَا أَسْلَفُتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٢٠). دَانِيَةٌ ﴿ آَنَ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِينًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مُوازِينُهُ ﴿ فَهُو َ فِي عِيشَةٍ ، وَالْ تَعالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مُوازِينُهُ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ ال

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْن ورضُوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الحاقة، الآيات: ١٨ – ٢٤.

<sup>(</sup>٥) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

<sup>(</sup>٢) سورة يونس، الآية: ٦٤.

 <sup>(</sup>٤) سورة القارعة، الآيتان: ٦ - ٧.

## ٣ ١ - أَهِلُ الإيمان الصَّادق: وعَدَهُم اللهُ تعالَىٰ بالنَّصر والتَّمكين:

أَهلُ الإيمان الصَّادقِ؛ وعَدَهُمُ اللهُ تعالىٰ بالنَّصر والتَّمكين، وبشَّرهم بالغلبة والعلوِّ في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، وأن يُبَدِّلَ خَوفهم أَمنًا، وأن يستخلِفهم في الأرض، ويجعلهم هم الوارثين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِبُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَننصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ إِنَّهُمْ الْعَالِبُونَ ﴾ ( " ). لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾ ( " ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مَثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاولُهَا

<sup>(</sup>١) سورة المنافقون، الآية: ٨. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

 <sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآية: ١٥.
 (٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ – ١٧٣ . ﴿ ٦ ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥ .

بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ. شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿ آ ﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَ بَقْدِ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ لَيَسْتَخْلِفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيْبَدُّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيْبَدُّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَ اللهُ وَأَقِيمُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُر َّكُمْ وَيُثَبِّت ْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ ﴾ هُوَ اللَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

<sup>(</sup>٣) سورة محمد على ، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٤) سورة الصف، الآيتان: ٨ – ٩.

١٤ - أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يهديهُمُ الله تعالىٰ بإيمانهم الصَّادق إلىٰ الصّراطِ المستقيم والطريق القويم:

أهلُ الإيمانِ الصّادق؛ يهديهمُ الله - تبارك وتعالى - بإيمانهم وصدقهم ويقينهم، وبتوحيدهمُ الخالص للهِ تعالى وحده، واستمساكهم بالعُروةِ الوُثقى، وطاعتهم المطلقِ لأوامره سبحانه، واتباع سُنَّة نبيه عَلَيْكُ وبما يقومون به من الأعمال الصَّالحة؛ فيهديهم الله تعالى إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمَ الله عليهم من النبيّينَ والمرسلين؛ يهديهم في كلِّ أمرٍ من أمور الدُّنيا والدِّين، إلى طريق الحق واليقين، في العلم والعمل، وفي الشُّكر، والصَّبر، والرضا، والقناعة، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيَمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ فَ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوَا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿ ﴿ ﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ (٣٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبُّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾ ( ' ' ).

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآيتان: ٩ - ١٠ (٢) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

<sup>(</sup>٣) سورة محمد 🛎 ، الآيتان: ٤ - ٥ . (٤) سورة مريم ، الآية: ٧٦ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مُمَّا كُنتُمْ تُخفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ مُمَّا كُنتُمْ تُخفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿ وَ اللَّهُ مَن التَّهُ مَن التَّهُ مَن التَّهُ مَن التَّهُ مِن التَّهُ مِنْ التَّهُ مِن التَّهُ مِن التَّهُ مِنْ التَّهُ مِن التَّهُ مِنْ التَّهُ مِن التَّهُ مِن التَّهُ مِن التَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُعْلَى الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الْمَ ﴿ يَلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿ هُدًى هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَهُمْ وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ ال

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقُواهُمْ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ ( اللَّهُ وَأُولَةِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ ( اللَّهُ وَأُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ ( الله عُلْمَاللهُ وَأُولُوا المُلْبَابِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَأُولُوا المُؤْلِّالِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَأُولُوا المُؤْلِّالِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَأُولُوا المُؤْلِّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَأُولُوا المُؤْلِّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَأُولُوا المُؤْلِّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَأُولُوا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَأُلُوا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْوَالِمُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الل

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآيتين: ١٥ – ١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة محمد ﷺ، الآية: ١ - ٥.

 <sup>(</sup>٢) سورة لقمان ، الآيات : ١ - ٥ .

<sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآية: ١٨.

# ١٥ - أَهِلُ الإِيمَانِ: تَستغفرُ لهُم ملائكةُ عرشِ الرَّحمن جلَّ جلاله:

أهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم أسعدُ عبادِ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – علىٰ الإطلاق؛ تَستغفر لهم أفضلُ أجناس الملائكة وأشرفهم، وهم ملائكة حملة عرشِ الرَّحمنِ – جلَّ جلاله – ومَن حوله، ويدعونَ الله تعالىٰ لأهل الإيمان الصَّادقِ؛ أن يقيهُم من عذاب الجحيم وأهوالها، وأن يدخلهُم الجنَّة ونعيمَها، ويُدْخِل مَن صلُحَ من آبائهم وأزواجهم وفريَّاتهم، وأن يقيهُم ويُجنَّهمُ السَّيَّات ووبالها.

وما أعظم هذا الجزاء وما أجله الله وما أسعد من ناله وما أكرمه الواهل الإيمان والطّاعة على السالة المرتبة إلا بإيمانهم الكامل، وبيقينهم الصّادق، وباتّباعهم سبيل المؤمنين والصرّاط المستقيم، وبصالح أعمالهم، وتوبتهم المستمرة من الذُّنوب والمعاصى، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَوْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ ﴾ رَبُنَا وَأَدْخِلُهُمْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ جَنَّاتِ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَتُهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ فِذَرِيَّاتِهِمْ فَانَتَ الْعَزْيِزُ الْحَكِيمُ ﴿ أَنَ السَّيْمَاتِ وَمَن تَقِ السَيِّمَاتِ يَوْمَئِذِ إِنَّا لَا لَعَرْيِلُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠) فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠)

وقال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرُنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ

<sup>(</sup>١) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

يُسَبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاثِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ لَمُ وَاعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (١٠).

قالَ العلاَّمة عبد الرحمن السعديُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم أن جعل من صلاته عليهم وثنائه وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الدُّنوب والجهل إلى نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل؛ فهذا أعظمُ نعمة أنعم بها على عباده الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه أفضل الملائكة، ومن حولهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا... فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدُّنيا. وأمَّا رحمتُه بهم في الآخرة؛ فأجلُّ رحمةٍ، وأفضلُ ثوابٍ، وهو الفوزُ برضا ربهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، الفوزُ برضا ربهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير الذي لا يدري ولا يعرف كنهه إلاَّ مَن أعطاهم إياه، ولهذا قالَ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾).

 <sup>(</sup>١) سورة الشورئ، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٣ – ٤٤.

١٦ - أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: نورُ إيمانهم الصَّادق دليلٌ لهم للخير في الدُّنيا والآخرة:

أَهلُ الإيمان الصَّادقِ! بنورِ إيمانهم الصَّادق، وبيقينهم الثابت، وبعلمهم الخالص؛ يُضيء طريقهم في الحياة الدُّنيا، ويمشون به على بينةٍ؛ فبها يُميِّزونَ بين الحقِّ والباطل، وبين الهُدَىٰ والضَّلال، وبين البدعة والسُّنَّة.

وفي الآخرة، وفي يوم القيامة والحساب؛ عندما تطفأ جميعُ الأنوار أمامَ العباد؛ فأهلُ الإيمان يمشونَ بنور إيمانهم الصَّادق ظاهرًا على الصرّاط؛ حتىٰ يجوزون به إلىٰ دار القرار والنّعيم الدّاثم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّ لَلُهُ فِي النَّاسِ كَمَن مَّ لَلُهُ فِي الظَّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفُورٌ كَفُورٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ كَفُورٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحْمَةِ وَيَخْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإنَّك لَتَهْدي إلى صراط مِنْسَتَقِيم ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الشوري، الآية: ٥٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتِ فِي بَحْرٍ لِلَجِّيِّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدُ يَرَاهَا وَمَن لَمْ يَجْعَل اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبَأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ آَنَ ﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِللّهَ هُو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ آَنَ ﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلّهَ فِيهَا ذَلِكَ هُو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ آَنَ فَو رَكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا لِلّهَ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِئهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِرَ عَنكُمْ سَيِّمَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ٤٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الحديد، الآيتان: ١٣ -- ١٣.

<sup>(</sup>٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

١٧ - أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: أعظم تسليتهم عند المصائب هو إيمانهم الصَّادق:

أهلُ الإيمان الصَّادق؛ أعظم تسليتهم عند وقوع المصائب والمحن والشّدائد والخوف والحزن والفزع؛ هو قوة إيمانهم الخالص، وصدق يقينهم بالله - تبارك وتعالى - ثمّ ما يجدونَه من حلاوة هذا الإيمان الصَّادق في قلوبهم الحيَّة النَّابضة بحبّ الله - جلّ في عُلاه - ويعلمون أنَّ نزولَ المصائب لعباد الله الصَّالحينَ الصَّادقينَ؛ ابتلاءٌ وامتحانٌ من الله تعالى، ويفقهونَ - أيضًا - ما يترتَّبُ على صبرهم، وعلى تسليمهم لمرِّ قضاء الله وقدره! من الثَّواب الجزيل من ربَّ كريم غفور، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهُ عَنِ الْمُنكَرِ واصْبرْ عَلَى مَا أَصَابِكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمُوالِ وَالْأَنفُسِ وَالتَّمْرَاتِ وَبَشْرِ الصَّابِرِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ الصَّابِينَ الْمُؤْتَدُونَ ﴾ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

#### ١٨ - أَهلُ الإِيمان الصَّادق: يلجؤون إلى إيمانهم في اليُسر والعسر:

أهلُ الإيمان الصَّادق: يلجؤُونَ إلى إيمانهم الصَّادق، وتوحيدهم الخالص، وعقيدتهم الصَّافية، وصدق إخلاصهم الله تعالى، ويتقوُّونَ بها في كلِّ ما يَلمُ بهم من خير وشرّ، وطاعة ومعصية، ويُسر وعُسر، وفي الرَّخاء والشَّدائد.

- فعند اليُسر، والرَّخاء، والفرح، والسُّرور، والنَّعم، وعند فعل الطَّاعات، وعند كلِّ ما يحبُّه القلبُ من خير الدُّنيا وزينتها: يلجؤونَ إلىٰ إيمانهِمُ الصَّادق الذي يأمُرُهُمْ؛ بفعل أحسنِ الطَّاعات، وأفضل الخيرات، والأَعمال الصَّالحات، والتَّواضع لله تعالىٰ، وعدم الكبرياء علىٰ خلقه مهما والأَعمال الصَّالحات، والتَّواضع لله تعالىٰ، وعدم الكبرياء علىٰ خلقه مهما فتحت لهم الدُّنيا؛ فيحمدُون الله تعالىٰ ويشكرونَهُ، ويثنون عليه بما هو أهل له؛ علىٰ ما مَنَّ عليهم من نِعَمِهِ وكرمه وفضله، ثمَّ يستعملُونَ النَّعَم فيما يُحبُّه الله تعالىٰ ويرضاه؛ ثمَّ يزدادون لله عزَّ وجلَّ طاعةً وتسليمًا بهذه الأعمال الصَّالحة.
- وعند العُسر، والمكاره، والأحزان، والمصائب، والشّدائد، والحن، وعند وقوعهم في المعاصي والذُّنوب والكبائر: يلجؤون إلى إيمانهم الصّادق، ويعتصمون به، ويعلمون بمقتضى إيمانهم الخالص، وصدق يقينهم بالله تبارك وتعالى -؛ أنَّ مع العُسر يُسرًا، ومع الصّبر فرجًا وأجرًا، ومع التَّوبة كرمًا وعفوًا ومغفرةً؛ فيبادرون على الفور بالتَّوبة النَّصوح، والاستغفار الخاشع، والإنابة الصَّادق، وبلوم أنفسهم المذنب، ثمَّ يرون أنَّ ما أصابهم من المكاره والذُّنوب هو من عند أنفسهم، وما اقترفت يداهم من الذُنوب والمعاصي، أو عدم الطَّاعة؛، فيبادرون بعدها على يداهم من الذُنوب والمعاصي، أو عدم الطَّاعة؛، فيبادرون بعدها على يداهم من الذُنوب والمعاصي، أو عدم الطَّاعة؛، فيبادرون بعدها على

الفور؛ بفعل ما يقدرون عليه من الخيرات، والطَّاعات، والحسنات، والحسنات، والصَّالحات؛ لجبر نقصها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَـمًّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلُوا مِن قَبْلِكُم مَّشَلُ الْبَالْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَلَا إِنْ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُورُوا الْكَتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْم الأُمُور ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

<sup>(</sup>٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

<sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٦) سورة آل عمران الآية: ١٨٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ وَهِ اللَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ وَهُ اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ وَهُ اللَّهِ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن وَبَعِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ( <sup>ئ )</sup>.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشُلُوا وَتَذْهَبَ رَيحُكُمْ وَاصْبُرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٥٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٦٠).

<sup>(</sup>١) سورة محمد على الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

 <sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ -- ١٥٧.
 (٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

<sup>(</sup>٤) سورة ال عمران، الآية: ٢٠٠٠

<sup>(</sup>٦) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

#### ١٩ - أَهلُ الإيمان الصَّادق: ينتفعون بالمواعظ والتَّذكير:

أهلُ الإيمانِ الصَّادق: ينتفعونَ بالمواعظِ والتَّذكير من الآيات القرآنيّة، والأَحاديث النّبويّة؛ لأنّ نورَ الإيمان الصَّادق، وفُرقانَه السَّاطع، وعلمه النّافع؛ قد أشرق على قلوبهم! فجعلها سليمة عامرة حيَّة، وعلى إيمانهم! فجعلها صادقة خالصة لله تعالى، وعلى عواطفهم! فجعلها سليمة على الفطرة التي فطر الله عليها، وعلى إراداتهم! فجعلها خيّرة نيرة؛ فكلُ هذه الأُمور يجعلُ لهم مَلَكَة وحساسيَّة وميزانًا يعرفونَ بها الحق المبين! فيميلون الله ويسكنون له، ويميّزون بها بين الخير والشَّر، والهدى والضَّلال، والسُنّة والبدعة، وبهذا الإيمان يتذوّقون الأعمال الصَّالحة؛ ثمَّ يحملهم إيمانهم على التزام قول الحق واتباعه؛ علمًا وعملاً، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَذَكُر ْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (``).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ اللَّهِ مِنْ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَلَكُ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِل اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٤).

<sup>(</sup>١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.

<sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ` ` .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقيمِي الصَّلاةِ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتُهُ هَنهِ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ وَأَمَّا اللَّهِ مِنْ فَي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (1) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأُويِلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأُويِلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَتَقُولُونَ آمَنَا بِهِ كُلُّ مَنْ عِدِ رَبِّنَا وَمَا يَنَدَّكُم لِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>١) سورة الرعد، الآية: ٢٨. (٢) سورة الحج، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٣) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠ . (٤) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤ – ١٢٥.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

# ٢٠ أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: يَحفظُهُم إيمانُهُم الصَّادق من الوقوع في الموبقات المهلكات:

أَهَلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يَحفظُهم إِيمانُهم القويُّ، وتوحيدُهم الرَّاسخُ، ويقينُهم الثَّابت، وإخلاصُهم لله تعالىٰ، وعبادتُهُم الدَّائمة، وخوفُهُم من الله تعالىٰ المستمر، وحياءُهُم منه سبحانه؛ يحولُ بينهم وبين الوقوع فيما يُسخطُ الله – عزَّ وجلَّ – ويوجب دخول النَّار، ويحفظهم من جميع الموبقات والمهلكات، ومن كبائر الذُّنوب والمعاصي والشُّرور، والفواحش وحب الشَّهوات المحرَّمة، وطاعة النَّفس الأمَّارة بالسُّوء والفحشاء والمنكر!

لأَنَّ إِيمانهُم الحقَّ قد طَهَّرَ قُلوبهم من هذه الأَمراض الخبيثة الشَّنيعة الشَّيطانية؛ فجعلها سليمةً نقيةً حيَّةً عامرةً بمحبَّة الله تعالى وخشيته والخوف منه سبحانه، وجعلها على فطرة الله التي فطر النَّاس عليها، وذاقت هذه القلوبُ المؤمنةُ من حلاوة العبوديَّة لله تعالى ومُحَبَّتِه، ما يمنعهُم من صرفها لغيره جلَّ في عُلاه، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِنَّ الْمُصَلِّينَ أَنْ الشَّرُ جَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَهُ الشَّرُ جَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ إِلَا الْمُصَلِّينَ ﴿ آَلَ اللَّهِ مَا عَلَى صَلاتِهِمْ فَالْمُونَ ﴿ آَلَ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالْمُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبُهِم فَيْ وَاللَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبُهِم مَشْفَقُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُم مِنْ عَذَابِ رَبُهِم مَشْفَقُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ مَشْفَقُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ مَنْ مَلُومِينَ مَلُومِنَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ مَنْ عَذَابِ رَبُهِم عَيْرُ مَا مُلِكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ فَيْرُ مَلُومِينَ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ فَإِنَّهُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَ اللَّذِينَ هُمْ الْعَادُونَ فَلَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُئِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُئِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَي اللَّهُمْ فَيْرُ مَلُومِينَ هُمْ الْعَادُونَ فَي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُئِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولُكِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَي وَرَاءَ ذَلِكَ فَلُولُ فَا مَلَكُونَ الْعَادُونَ فَي وَرَاءَ ذَلِكَ فَلُولُ الْمُعَادُونَ الْعَادُونَ فَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَا مَلَكُونَ الْعَادُونَ فَا مَا مَلَكُونَا فَا مَلَكُولُونَ الْمُنْ الْمُعَلِي الْعَادُونَ فَي وَلَاكُونَا فَا مَلَاكُونَ الْمَالُولُونَ مُؤْلِكُونَ الْمُنْ الْمُؤْلِقُونَ مُ مِنْ الْمُؤْلِلُ فَا الْعَادُونَ فَا مِلْكُونَ الْمُهُمْ الْمُهُمُ الْمُؤْلِقُونَ الْمُؤْلِقُونَ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُونَ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُعُمُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُعُلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُعُلِقُولُ الْمُعُلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُعُلِقُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُولُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُعُلِقُولُ الْمُؤْلِقُ الْم

لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿ آَنَ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿ آَنَ اللَّهِ وَاللَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ آَنَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ آَنَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ آَنَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ آَنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ آَنَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّا اللَّالِي الللَّاللَّا اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ ال

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ وَلَهُ مِنَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَان أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ الله تعالىٰ عن نبيِّه يوسَف عليه الصَّلاة السَّلام:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (\*).

<sup>(</sup>١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ ــ ٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٤.

<sup>(</sup>٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

<sup>(</sup>٤) سورة النور، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٥) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

## ٢١ – أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: هم الطَّائفةُ المنصورةُ والفرقة النَّاجية:

أَهلُ الإيمان الصَّادق: من ثمرات إيمانهم الكامل ويقينهم الصَّادق؛ أنَّهم ينالونَ وصفَ الطائفةِ المنصورةِ، والفرقةِ الناجيةِ، وأَهلِ التَّوحيدِ الخالصِ، والعقيدةِ الصَّافيةِ، والحنيفيةِ ملَّةٍ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام.

فهم؛ أهلُ السُّنَّة والجماعة، والآثر والحديث، وأهلُ الشَّريعة، والاتَباع، والتَّسليم لله تعالى ولرسُوله عَلَيْ ، وهم أهلُ القرآن وخاصَّتُه، وأهلُ العلم والعبادة، وأهلُ السَّلامة والنَّجاة.

وهم؛ أهلُ الموالاة في الله والمعاداة فيه، وأهلُ الجهاد والإنفاق في سبيل الله، وأهلُ الدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وهم؛ أهلُ الإخلاص، والصّدق، والطّاعة، والعبادة، والبراءة من الطاغوت، والشّرك وأهله، والبدع، والمعاصي.

وهم؛ أهلُ الشُّكر، والخوف، والرَّجاء، والحبِّ، وأهلُ النَّصيحة، والرَّحمة، واللَّين، والعدل، والصَّبر، وحُسن الخلق والأدب، وسعة الأفق، وعلوَ الهمَّة، والأمانة، والوسطيَّة.

وهم؛ الغُرباءُ: الذين يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ، ويَصلُحون إِذَا فَسَدَ النَّاسُ! وهم؛ الغُرباءُ: الذين يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ! وهم؛ أهلُ العزَّة والغلبة والتَّمكين في الأرض، والاستخلاف عليها! وهم؛ الظَّاهرون إلىٰ قيام السَّاعة! وهم؛ القدوةُ الصَّالحُون والمتقون والمعاملون! وهم؛ السَّلفُ الصَّالحُ للمؤمنين من بعدهم إلىٰ أَن يرث الله والعاملون! وهم؛ السَّلفُ الصَّالحُ للمؤمنين من بعدهم إلىٰ أَن يرث الله الأرض ومن عليها! وهم؛ أولياءُ الله وخاصَتُهُ؛ الذين تولاً هُم بعنايته ونصرته في الدار الآخرة! قالَ الله تعالىٰ:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِينَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ لَقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (1).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيُّ : «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَيَرْجِعُ غَرِيبًا ؛ فَطُوبَى للْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي »(°).

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ – ٦٣. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥. (٤) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه الترمذي في ( كتاب الإيمان ) باب ( ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا » . وصحَّحه الألباني .

#### ٢٢ - أهلُ الإيمان الصَّادق: هم أهلُ التَّقوى:

أهلُ الإيمان الصَّادق: من ثمراتِ إِيمانهِمُ الكامل، ويقينهِمُ الصَّادق؛ أنَّهم ينالون وصف أهلِ التَّقوي، والصَّلاح، والفلاح، والنَّجاح، والتَّوفيق، والسَّداد، والصَّدق، والعفو، والعدل، والنَّجاة في الدَّارين؛ لأنَّ التَّقويٰ هي أعلىٰ مراتب الإيمان الصَّادقِ ودرجاته.

والتَّقوىٰ؛ هي أَن تجعلَ بينكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ وقايةً من الإيمان الصَّادق والعمل الصَّالح؛ تقيكَ من ما تخشاهُ من غضبه وسخطه وسوءِ عقابه، وهو طاعة الله تعالىٰ؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وأَصلُ التَّقوى! هي أن تعبدَ الله – تبارك وتعالىٰ – كَأَنَّكَ تراه، وإن لم تكن تراه؛ فتوقن بإنَّه – سبحانه – يراك .

وتقوى الله تعالى ! هي وصيتُهُ - جلَّ وعلا - للأَوَّلينَ والآخرينَ من عباده الصَّالحين المتقين العاملينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ وَلَقَدْ وَصَيْنا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّـقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (``).

وتقوى الله تعالى ! لها ثمرات عظيمة ؛ عاجلة وآجلة في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، منها :

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٣١

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٢

نيلُ معيَّةِ الله - تبارك وتعالى - وولايتِه ورضاة ، ومحبَّتِه سبحانه ، ومحبَّة ملائكته ، وعباده الصَّالحين ، ووضعُ القبول لصاحبها في الأرض ، وثناء الخلق عليه ، ومحبَّته مله ، ونصر الله تعالى وعنايته ، وتأييده ، وتسديده ، وحفظ الذرية وتسديده ، وحفظ الذرية الضَعاف بعناية الله تبارك وتعالى .

والتَّقوىٰ؛ تورثُ النَّقة بالنَّفس والطمأنينة والقوة والكرامة والعزَّة، وتنفي الخوف والحزن من أهلها، وتحفظهم من وساوس الشَّيطان وكيده، وتُيسِّر لهم العلم النَّافع الذي ينفعُ صاحبَهُ في أمور دنياه، والعمل الصَّالح الذي يدخله الجنَّة، والفلاح والتَّوفيق والسُّهولة واليُسرِّ في كلِّ أمرٍ، والخرج من كلِّ ضيق، والرِّزق من حيثُ لا يحتسبُ العبد، وتفتح أبواب البركات من السَّماء والأرض، والبُسْرى بالرؤيا الصَّالحة، وإطلاق نور البَّصيرة الذي يفرِّقُ به صاحبه بين الحقِّ والباطل.

والتَّقوى؛ هي ميزانُ التَّفاضل عند الله تعالى، وهي السبب الرئيسيُ لقبول الأَعمال الصَّالحة؛ التي بها سعادةُ العباد في الدَّارين، وسبب النَّجاة من عذاب الدُّنيا، ومن عذاب القبر، وتكفير السيَّئات؛ وهو سببُ النَّجاة من النَّار، وعظم الأَجر؛ وهو سبب الأَمن والأَمان يومَ القيامة، والفوز بالجنَّة ونعيمها، وبمقعد الصَّدق عند مليك مقتدر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿ فَي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقَتَدِرِ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة القمر، الآيتان: ٤٥ - ٥٥.

#### ٣٧ - أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادقِ: وعدهُمُ الله تعالىٰ نعيمَ الْجنَّة:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادق؛ وعدهُمُ الله تعالىٰ جنَّةَ الْخُلد! التي عرضُها عرض السَّموات والأرض! لا يصيبُها الفناء، ولا يدرك النَّاس فيها الموت، وهي دارُ الكرامةِ والسَّعادةِ، ودار الثَّواب الجزيل، والنَّعيم المقيم.

وهي دار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّدِّيقين والشُّهداء والصّالحين، ودارُ الذين آمنوا وعملُوا والصّالحين، ودارُ المؤمنين الموحِّدين والمتَّقين العاملين، ودارُ الموفين بعهد الله إذا الصَّالحات، والذين اتَّقوا ربَّهم ومنه يخافون، ودارُ الموفين بعهد الله إذا عاهدوا، ودارُ المجاهدين في سبيل الله تعالىٰ بأنفُسهم وأموالهم، ودارُ التَّابينَ العابدينَ الحامدين السَّاجدين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر.

وهي دار الفوز والجزاء العظيم؛ التي خلقها الله تعالى وأعدَّها! لأَهلِ الإِيمان الصَّادق من عباده الصَّالحين، وأوليائه المتقين، وأهل طاعته العاملين، وذلك فضلاً منه ومنًّا وكرمًا؛ سبحانه وتعالىٰ.

وفي جنّة الخُلدِ من النّعمِ الدّائمة المقيمة! التي ما لا عين ّراًت، ولا أُذن سمعت، ولا خَطْرَ على قلبِ بشر؛ فظلها دائم، وهواؤها معتدل لا حرارة فيها ولا برودة، وطعامها لذيذ ودائم، وثمارها دانية مسخرة للقائم والقاعد والمتكئ، وشرابها لذيذ الطعم مختلف اللون والنّوع؛ أهلها يأكلون فيها ويتمتعون، ولا يمتخطون ولا يبولون بل مسك يرشحون، وأوانيها من الذّهب والفضة، وخدم أهلها ولدان مخلدون حسان الوجوه، وحُلي أهلها من الذّهب والفضة واللؤلؤ، ولباس أهلها الحرير والسنّدس والاستبرق، وفرُشها ظاهرها في منتهى الجمال، وبطائنها من الاستبرق، وأزواج أهلها من الحور العين إلى جانب زوجاتهم في الدُنيا من المؤمنات

الصَّالحات، وقصورها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وخيامها اللُّؤلُؤ المجوف، وهي نور يتلألا، ومساكن طيبة، وأهلها يحيون ولا يموتون، وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وطول الجنَّة عظيم، وعرضها كعرض السَّموات والأَرض؛ تجري من تحتها الأَنهار، ومهما عبَّرنا عن صفاتها، فإنَّ تعبيرنا لا يُحيط بما هي عليه؛ لأَنَّ تصوُّرها يحيِّر العقول ويذهلها، وأقل النَّاس فيها درجة له أمثال ما في الدُّنيا، والنَّاس فيها درجات علىٰ حسب أعمالهم، وأعلىٰ مراتبها الفردوس الأَعلىٰ؛ التي سقفها عرشُ الرَّحمن جلَّ في عُلاه.

وأكبرُ من ذلك النعم لأهل الجنَّة! هي الفوزُ العظيمُ، ورؤيةُ ربِّ العللين، وكلامه لأهل الجنَّة؛ إنَّه يُرفع الحجاب بينهم وبين رَبِّ العزَّ والجلال؛ فينظرون إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالىٰ.

ومَن أوفى بوعده من الله تعالى، وقد أعدها لهم رَبُّهم - سبحانه وتعالى - جزاءً لصدق إيمانهم، وقوة يقينهم، وإخلاصهم في العبادة، وما كانوا يعملون في الحياة الدُّنيا من الطَّاعات والأَعمال الصَّالحة وباستنارتهم بتقوى الله تعالى في كلِّ شأْن من شُؤُونهم، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفُوْزُ الْمُظِيمُ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدُخِلُهُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (١). اللَّهِ قِيلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنَ وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدَّتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنَ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي اللَّهِ اللَّهِ عَالَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْدُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مَنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَّثُلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٤

<sup>(</sup> ٥ ) سورة يونس، الآية: ٤

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة، الآية: ٩.

<sup>(</sup>٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنَ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مُّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مُّنْيَةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ (٤).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأُوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ ( ° ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيًاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزَّلُ عَلَيْهِمُ الْسَقَامُوا تَتَنزَّلُ عَلَيْهِمُ الْسَعَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْحَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الفرقان، الآية: ١٥.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الزمر، الآية : ٧٤ .

<sup>(</sup>٧) سورة فصلت الآية: ٣٠.

 <sup>(</sup>٢) سورة مريم الآية: ٦١.

<sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآية: ٢٠.

<sup>(</sup>٦) سورة غافر، الآية: ٨.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصَّدْق الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنِ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِلاً فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (٢).

• وغيرُها من ثمراتِ شجرةِ الإيمانِ المباركة؛ التي لا يكادُ يمضي على المؤمن زمنٌ قليلٌ حتىٰ يَجنيَ ثمرةً من ثمراتها، وتبلُغُ الشَّمرةُ كمالَها ونُضجَها، إذا كان اللهُ تعالىٰ ورسولُه عَلَيْ أَحبٌ إليه ممَّا سواهما، ويصبحُ العبدُ يُحبُّ ويُبغضُ لله تعالىٰ، ويَكرهُ أَن يعودَ إلىٰ الكُفر، كما يكرهُ أَن يُقذفَ في النَّار، والعياذ بالله.

فالإيمانُ سبيلُ السَّعادة الأبديَّة والنَّعيم الدَّاثم؛ وهو غذاءُ الرُّوح والنَّفس، ولا ريب أنَّ قيمة العبد بروحه ونفسه! لا بجسده.

نسألُ الله - جلَّتْ قدْرتُه - أَن يرزُقنا حلاوة الإيمان الصَّادق، وحقيقتهُ وكمالَهُ، وأَن يرزُقنا الحشر مع النبيّينَ والصدّقيين والشُّهداء والصَّالحين، وحسنن أولئك رفيقًا؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ، وبالإجابة قدير؛ آمين! آمين!

١٦) سورة الأحقاف الآية: ١٦.

<sup>(</sup>٢) سورة محمد على الآية: ١٥

# من صفات أهل الإيمان

فإنَّ أَهلَ الإيمانِ الصَّادقِ، والطَّاعة المطلقِ، والتَّسليمِ التَّامِّ الله - تبارك وتعالى - ولرسوله الأمين محمَّد عَلَيْهُ من عبادِ اللهِ المخلصينَ، المؤمنينَ المصَّادقينَ، ومن أوليائه المتَّقينَ، الموحِّدينَ العاملينَ بعلمهم، والذين شعارهم: آمَنَا وَصَدَّقْنَا، سَمِعْنا وأطعْنا؛ هم عبادُ الرَّحمن حقًّا وصدقًا!

فقد جاءت صفاتُهم كثيرة في القرآنِ والسُنَّة؛ فهذه الصِّفاتُ قد عَرضَها ووصفَها لنا الوَحْيان الشَّريفان؛ بأنَّها صفاتٌ كريمةٌ، فاضلةٌ، مباركةٌ، خيِّرةٌ، حميدةٌ، عاليةٌ، ساميةٌ، عزيزةٌ ربانيَّةٌ؛ فهم صَفوةُ خلقِ الله – تبارك وتعالى – وخيرتُهُم؛ بصفاتهم المميَّزة المتكاملة، وأخلاقهم الحميدةِ الفاضلة، ومعاملاتهم الفريدة، ونفوسهمُ السَّامية، وقيمهمُ الكريمة العالية.

وهمُ الذين يَستحقُّونَ أَن يضافوا إِلَىٰ اسم الله - جلَّ في عُلاه - الرَّحمن، ويكونوا عبادهُ المخلصينَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَن ﴾ كيف لا، وقد تكفَّل الله بتهذيبهم وتربيتهم، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُو ۗ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴿ آلَ ﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (١).

 <sup>(</sup>١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ – ١٢٤.

وقد دعا الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز، ورسولُهُ الأمين عَلَيْكُ في سُنتِهِ المطهرة؛ جميع المؤمنين الصَّادقينَ والمسلمينَ الموحدينَ؛ العاملين بشرعه الحكيم إلى أن يتَّصفوا بصفاتِ عباد الرَّحمن، ويتحلُّوا بها، ويتخلَّقوا بأخلاقهم الرَّبانيَّة؛ حتَّىٰ يعيشوا حياةً إيمانيةً كريمةً، مباركةً سعيدةً عزيزةً في الحياة الدُّنيا؛ ثمَّ ينالوا بذلك صفات الجليلة ثوابَ الله تعالىٰ ورضوانَه وجنَّته، ونعيمَه الاَبدئ في الحياة الآخرة.

والمؤمنُ الصَّادقُ مع ربّه - جلّ في عُلاه - تجده حريصٌ على هذه الصُّفات الكريمة العزيزة، والأَخلاق الحميدة الفاضلة؛ لكي يبقىٰ قلبُه وحياتُه في الإيمان الصَّادق ومعه وبه، وأن يتّصفَ بصفات أهلها، ويحاولَ جادًا أن يعيها ثمّ يعيشها؛ حتىٰ ينالَ بها رضوان الله تعالىٰ والجنّة.

فهذه بعض صفات أهل الإيمان الصّّادق حقًّا وصدقًا؛ كما جاءت في كتاب ربِّهم وخالقهم وهاديهم، وفي سُنَّة نبيِّهم ومربيهم ومُرشدهم عَلَيْهُ ؛ لعلّنا إن صدقنا مع الله تعالى مثلهم؛ فنحذو حَذوهم، ونتمسَّك بمنهجهم، ونتَصف بصفاتهم؛ حتى نحقِّق الإيمان الصّّادق ونبلغ كماله، ونكون مع المحسنين السَّابقين إلى جنَّات الحُلد، والنَّعيم الدَّاثم؛ التي فيها ما لا عين المَّادة ولا أُذنَّ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر! الله أكبر.

اللَّهُمَّ! أجعلنا من أهلِها، وجميع المسلمين؛ يا أرحم الرَّاحمين! يا أرحم الرَّاحمين! يا أرحم الرَّاحمين! آمين.

### ١ - أَهلُ الإِيمانِ الصَّادق: من صفاتهم أنَّهم ﴿ عِبَادُ الرَّحْمَن ﴾ :

﴿ الرَّحْمٰنُ ﴾ : اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ الْحُسنىٰ ، ورد في القرآن العظيم في خمسة وأربعين موضعًا ، واقترن بإسم الرَّحيم ستة مرات ، ولم يقترن بغيره في بقية المواضع .

و ﴿ الرَّحِمْنَ ﴾ اسمٌ مشتقٌ منَ الرَّحمة، دالٌ على أنَّ الرَّحمة من صفاتِ اللهِ سبحانه وتعالى .

وهو اسمٌ خاصٌ بالله - عزَّ وجلَّ - فلا يجوزُ إطلاقهُ على أحدٍ من خلقه؛ عَكْسَ ﴿ الرَّحيم ﴾ . خلقه؛ عَكْسَ ﴿ رحيم ﴾ .

ف ﴿ الرَّحمنُ ﴾ يجمع كلَّ معاني الرَّحمة؛ فهو ذو الرَّحمة الذي لا نظير لَهُ فيها، وهو ذو الرَّحمة الواسعة والشَّاملة لجميع الخلق في الدُّنيا؛ مؤمنهم وكافرهم؛ من أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وفي الآخرة للمؤمنين خاصة.

و الرَّحيم ﴾: هو اسمَّ دالٌّ علىٰ أنَّه - سبحانه وتعالىٰ - يرحمُ خلقه برحمته في الدُّنيا والآخرة، وهو الدائمُ الرَّحمة، والواسعُ الرَّحمة، وذو الرَّحمة الخاصَّة بالمؤمنين يومَ القيامة (١).

و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ : اسمان مشتقان من الرَّحمةِ ، والرَّحمة تستدعي مرحومًا ، ولا مرحومًا إلاَّ وهو محتاج! وهو الذي ينقضي به حاجة المحتاج من غير قصد وارادة وعناية ، وإنَّما الرَّحمة التَّامَّة إضافة الخير على المحتاجين

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ تفسير ابن كثير، في تفسير البسملة. وه جامع البيان، للإمام الطبري: ج١، ص٤٣ . وه بدائع الفوائد، للإمام ابن القيم: ج١، ص٤٣.

وإرادته لهم وعنية بهم، والرَّحمة العامَّة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله تعالىٰ تامَّة عامَّة.

والرَّحمنُ - سبحانه وتعالى - هو المتصف بالرَّحمة العامَّة الشَّاملة ؛ حيث خلق العباد، ورزقهم وهداهم سبلهم، وإسترعاهم في أرضه سبحانه ؛ ليبلوهم أيَّهم أحسنُ عملاً ؛ فرحمة الله تعالى في الدُّنيا وسعتهم جميعًا - تحقيقًا لحكمته في إبقائهم على معانى الإبتلاء - يرزقون ويتقلبون في نعمه فشملت المؤمنين والكافرين، والرَّحمة تفتح أبواب الرَّجاء والأمل، وتدفع أبواب الياس والخوف.

والله - جلَّ في عُلاه - سبقت رحمته غضبه، ولم يجعل من واسع رحمته إلاَّ جزءًا يسيرًا في الدُّنيا يتراحم به خلق بينهم ويتعاطفون ؛ حتى ترفع الدَّابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه! قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ :

« إِنَّ الله خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ؛ فَاَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْاسْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَرْابِ لَمْ يَاْمَنْ مِنَ النَّارِ » (١) .

والرَّحمة التي دلَّ عليها الإسم رحمة، عامَّة تظهر مقتضىٰ الحكمة في أهل الدُّنيا؛ فمن رحمته تعالىٰ أنَّهُ أنعم علىٰ عباده ليشكروا! ولكن كثيرًا منهم جاحدون، ولذلك فإنَّ الله - تباركَ وتعالىٰ - قد خص هذا الإسم ليقرنه بإستوائه علىٰ عرشه العظيم - سبحانه - في جميع المواضع التي

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب د الرجاء مع الخوف.

وردت في القرآن العظيم والسُّنَّة النبويَّة؛ فقالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتُوَىٰ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَإِذَا سَالَّتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ! فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَن، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُهُ (٢).

الرَّحْمَن، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُهُ (٢).

وذلك لأنَّ الله تعالى فوق الخلائق أجمعين؛ سواء كانوا مؤمنين، أو كافرين؛ فحياتهم قائمة بإذنه - سبحنه - وأرزاقهم مكنونة في غيبه، وبقائهم رهن مشيئته وأمره - جلَّ في عُلاه - فلا يستغني عنه في الحقيقة مؤمن، أو كافر على الإطلاق!

وحظ العبد من اسم الرَّحمن:

بأن يرحم عباد الله تعالى الغافلين، وأن ينظر إلى العُصَّاةِ بعين الرَّحمة، وأن يحسه في نفسه بكلِّ معصية تجري من حوله كمعصية له!

وحظ العبد من اسم الرَّحيم:

بأن لا يدع حاجة للعباد، وفاقة لمحتاج؛ إلا أن يُحاول سدها بقدر طاقته واستطاعته، ولا يترك محتاجًا في جواره إلا ويقوم بتعهده ودفع حاجته؛ إمًّا بماله، أو جاهه، أو السَّعي في حقه بالشَّفاعة إلىٰ غيره؛ فإن

<sup>(</sup>١) سورة طه، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب و ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَرْشِ الْعَطْيِمِ ﴾ .

عجز عن جميع ذلك! فيعينه بالدُّعاء وإظهار الحزن لسبب حاجته؛ حتىٰ كأنَّهُ مساهم له في ضره وحاجته.

إذن الرَّحمة آجلُّ صفة تتدفَّقُ بفيضِ العطاءِ دونَ حساب؛ فمن كان من عباد الرَّحمن حقًّا وصدقًا؛ تدفَّقُ عليه من ربَّه فيضُ العطاء، لا يستطيعُ العادُّون حصرَه، ولا الواصفونَ وصفَه، ولا بيانَ حقيقته أو مقداره؛ ولقد وسعَ الله كلَّ شيء رحمةً وعِلْمًا؛ فبرحمته – سبحانه – يهدي المؤمنينَ إلىٰ الصراط المستقيم، ويُدخلُهُم جنَّة النَّعيمَ، ويغفرُ لِمُسيئهم.

وجما أنَّ أهلَ الإيمان الصَّادق: هم أهلُ الطَّاعة والعبادة والتَّقوى، والتَّسليم التَّامُ لله تعالى ولرسوله عَنَّهُ وهم المؤمنون الصَّادقون، والمتَّقون المخلصون، والموحدون العاملون بعلمهم، وهم؛ صفوة خلق الله تعالى وخيرتُهُم، وهم ورثَةُ الأنبياء - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - الذين بهم تكثرُ الخيراتُ، وبسببهم تنزلُ الرَّحماتُ، وتُرفعُ البلايا وتَزُولُ النكباتُ، والذين حقَّقُوا كاملَ العبودية لله تعالى ونالوا شرقه، وتحلَّوا بصفات عباد الرَّحمن التي جاءت في الوَحيين الشَّريفين.

إذن: فأهلُ الإيمانِ الصَّادق! هم عبادُ الرَّحمن حقًّا وصدقًا؛ الذين يَستحقُّون أَن يُصفوا بهذه الصّّفة الخاصة العزيزة، وأَن يُضافوا صفتهم إلىٰ اسم ربَّهم – جلَّ في عُلاه – الرَّحمن، ويُنسبوا إليه – سبحانه وتعالىٰ – ويكونوا عبادَه المخلصينَ العابدينَ العاملين؛ فوصفهُم الله تعالىٰ: بأَنَّ صفاتهم أَكملُ الصّّفات، ونعوتَهُم أَفضلُ النَّعوت، وما وصَلُوا إلىٰ هذه الدَّرجة العالية؛ إلاَّ برحمة الله – جلَّ وعلا – لهم، وبمَنّه وكرمه وفضله وإحسانه، قالَ الله – تبارك وتعالىٰ – عن صفاتهم:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿ لَكُ اللَّهِ الْمُعَا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَآلَ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿ إِنَّ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ إِنَّ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقَيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا والله من تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدلُ اللَّهُ سَيُّعَاتِهِمْ حَسنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ ثَلَيْهُ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ إِنَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا باللَّفُو مَرُّوا كِرَامًا ﴿ آَنِ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكُّرُوا بآيَاتِ رَبُّهمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿ ﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُن وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ إِنَّ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقُّونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ ﴿ ﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(١).

صفات عباد الرحمن؛ التي تظهر على سُلُوكهم وأعمالهم الظّاهرة
 في هذه الآيات الكريمات؛ هي اثنتا عشرة صفة ميَّزة، وهي :

التَّواضع، والحلم، وقيام الليل، والخوف من عذاب الله تعالى،

<sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ – ٧٧.

والاعتدال في الإنفاق، والبُعْد عن الشّرك، والبُعْد عن القتل، والبُعْد عن القتل، والبُعْد عن الزّنا، والبُعد عن شهادة الزّور والكذب، وحسن الحُلق، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله تبارك وتعالى .

## الصفةُ الأُولَىٰ: التَّواضع؛ أنَّهم يَمْشُونَ علىٰ الأَرض هَوْنًا:

أي: أنَّهم يمشونَ على الأرض بتواضع مشية سهلة هينة ؛ ليس فيها تكلف ولا تصنع! بل يمشون بخفَّة ، ورفق ، وسكينة ، ووقار ، وعزَّة ، وشجاعة ، وقوة ، وجد ؛ بلا تجبر ولا استكبار ولا استعلاء على أحد ؛ بل متواضعينَ لله تعالى ولخلقه ؛ غيرَ أشرينَ ، ولا مرحينَ ، ولا مُتكبِّرين .

وهذا لا يعني أنَّهم؛ يمشون كالمرضى منكسي الرؤوس تصنَّعًا ورياء؛ فقد كان النَّبِيُ عَلَّهُ إِذَا مشى فكأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له؛ فَعَنْ أبى هُرَيْرَةً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

«مَا رَأَيْتُ شَيْمًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهُ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطُوى لَهُ ! إِنَّا لَنْجُهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ (١٠).

وقد كره السلف الصالح المشي بتضعف وتصنع؛ لأنّه يفتح بابًا من أبواب الشّيطان على العبد في الرّياء! ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه – رجلاً يمشي رويدًا مطاطأ الرأس! فقال له: ما بالك! أأنت مريضًا؟ قال: لا، فعلاه بالدّرة، وأمره أن يمشى مشية الأقوياء.

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب المناقب) باب وفي صفة النُّبئ عَلَى ١.

وقد نهى الله تعالى عن مشي المرح والبطر والفخر، قال تعالى: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَسرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالِ فَخُورٍ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَّهُ: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ؛ فَخَسَفَ الله بِهِ الأَرْضَ! فَهُو يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَةِ » (٢).

وقد كان النّبِيُ عَلَيْكُ سيد المتواضعين كان يمشي خلف أصحابه كواحد منهم ؛ حتى أن الرجل الغريب لياتي فيقول أيكم ابن عبد المطلب؟! وكان في بيته في مهنة أهله ؛ يرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته .

وقالَ النَّبِيُّ عَلَىٰكَ : « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبْرِ » ! قَالَ رَجُلٌّ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ؟ قَالَ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » ( \* ) . قَالَ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » ( \* ) .

وغمط النَّاس: هو الاحتقار، وبطر الحقِّ: هو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا؛ نفهم من هذا الحديث أن المتكبر لا يدخل الجنَّة!

ومن الكبر عدم تقبل نصيحة والإرشاد والتوجيه من أحدٍ، وظن الشّخص بنفسه أنَّهُ هو عالم بكلٌ شيءٍ؛ فلا يملي عليه أحد بنصيحة.

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٣٧. (٢) سورة لقمان، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب و تَحْرِيم التَّبخُتُر فِي الْمَشْي مَعَ إِعْجَابِهِ بِثِيَابِهِ ١٠

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب و تحريم ألكبر وبيانه ، .

فاعلم أخي المسلم: إِنَّ أَوَّلَ ما عُصي به الله تعالىٰ هو الكبر! فقد تكبر إبليس - نعوذُ بالله منه - وأبىٰ أن يسجد لآدم - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - وقال: أأسجدُ له! وقد خلقتني من نار وخلقته من طين!!

فينبغي للعبد ألا يتكبر على غيره ألبتة! ولا يرى نفسه أكبر من غيره! مهما بلغ أمره، وأعظم التّكبر هو التّكبر على الله تعالى! وذلك بالامتناع من قبول الحق، والإذعان له بالعبادة؛ فمن لم يتصف بالتّواضع لا يدخل قلبه الإيمان الصّادق البتّة! قالَ النّبِي عَلَيْهُ:

« مَا نَقَصَتُ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفُو إِلاَّ عِزًا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ عِزًا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ ، (١).

فأين نحن من التواضع؟ فمن لم يتصف بالتواضع لن يتصف بباقي صفات عباد الرَّحمن، والداعية إلى الله تعالى إنَّما هو نموذج للتَّواضع وخفض الجناح؛ فلا يغتر بعلم، ولا يظنن أنَّه قد اكتسب مكانته بين النَّاس بجهده؛ بل هو محض فضل من الله تعالىٰ عليه، وكرم لما يحمل من خير، وليبن ذلك في حديثه وسلوكه وفي غضبه ورضاه.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب ٥ استحباب العفو والتواضع٥.

الصفةُ الثانية: الحلم؛ أنَّهم إذا خاطبهم الجاهلون، قالوا: سلامًا:

أي: إذا خاطبهُمُ الجاهلونَ والسُّفهاءُ والحمقىٰ بجهالة وسَفَه مُستثيرين غضبَهُم، قالوا لهم: سلامًا، ويُفارقونَ بإعلان السَّلام مجلس الجاهلين، ويسلمونَ من الإثم، ويسلمونَ من مقابلة جهلهم بالجهل.

أي: من صفاتهم المميَّزة؛ التي تظهرُ على سلوكهمُ الظَّاهر: الحلمُ، والخُلقُ الحَسنُ، ومقابلةُ المُسِيءِ بالإحسان، والعفوُ عن الجهَّال، والصَّبر على أَذاهُم، وهذا هو ضبط النَّفس عند الغضب!

ومن رُجْحانِ عقولهم؛ أنَّهم لا يُشغلونَ أوقاتَهَمُ الثَّمينة بالاشتباك مع الجُهَّال في جدل وعراك ، ويترقَّعونَ عن المهاترة؛ بل يضبِطون ألسنتَهُم عن السَّفَهِ، وتَصَرُّفاتِهم من العواقب غير المحمودة .

فعباد الرَّحمن هم مَنْ يتحملون في سبيل الله تعالىٰ؛ كل إهانة من القول، وكل قُحشٍ من الكلام، وكل أذى من اللِّسان، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسنِينَ ﴾ (١٠.
وقالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : ﴿ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُنَفِّذَهُ ! دَعَاهُ اللهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلاَئِق يَوْمَ الْقِيَامَة ؛ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ ﴾ (١٠).

وعباد الرحمن لا يقابِلون الإساءة بالمثل؛ بل يقابِلون الإساءة بالإحسان، ولهم في ذلك قدوة حسنة ومثل أعلى هو سيد الصَّابرين والمَّواضعين نبيَّ الهُدى محمَّد عَلَيْ أَنَّهُ كيف صبر على أذى قومه في

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع) باب ٥٤٨ .

الدعوة إلى الله تعالى؛ فعَنْ ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْ يَعَلَّهُ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ؛ فَهُو يَمْسَحُ الذَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: ﴿ رَبِ اغْفِرْ لِقَوْمِي ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وَقَالَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قَسَمَ النَّبِيُ عَلَيْ قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ! فَشَقَ مُا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ! فَشُقَ مُلْتُ: أَمَّا أَنَا لاَ قُولَنَّ لِلنَّبِيُ عَلَيْ فَاتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ؛ فَسَارَرْتُهُ! فَشَقَ فُلْتُ: أَمَّا أَنَا لاَ قُولَنَّ لِلنَّبِي عَلَيْ وَجْهُهُ وَغَضِبَ؛ حَتَىٰ وَدِدْتُ أَنِي لَمْ آكُنْ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّبِي عَلَيْ وَرَعْمُهُ وَغَضِبَ؛ حَتَىٰ وَدِدْتُ أَنِي لَمْ آكُنْ أَخُرْتُهُ ثُمْ قَالَ: ( قَدْ أُوذِي مُوسَى بِأَكْثُورَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَوَ ) ( ) .

ثم لنا في قصة نبي الله الكريم ابن الكريم يوسف - عليه الصَّلاة والسَّلامُ - مع إخوته العبرة والعظة؛ كيف وضعوه في بئر، وشروه بثمن بخس، وأصبح عبدًا عند إمرأة تطمع فيه وفي جماله، ثم لبث في السَّجن بضع سنين، ثم كيف هو يعفو عن إخوته الذين كادوا له، وبعد أن أعزّه الله تعالى وأصبح الملك على خزائن مصر، يقول لهم معتذرًا:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣).

أي: لا أُعاتبكم بعد اليوم على ما فات، والله يغفر لكم! الله أكبر! هذا هو الصَّفح كبير، وهذا هو الحلم عظيم، والصَّبر جميل، وهذه هي سُنَّةُ سيد المرسلينَ محمَّد عَلَيْهُ يوم فتح مكة عندما قال لاَسرىٰ قريش:

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (استتابة المرتدين) باب ٥٥٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (الأدب) باب ه الصبر على الأذى ه.

<sup>(</sup>٣) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ! مَا تَرَونَ إِنِي فَاعِلٌ فِيْكُمْ؟ » قالوا: خَيرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٌ،

وَعَنْ أَبِي ذَرٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ عَلَى :

« اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّفَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بخُلُق حَسَنَ (٢).

وقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ لاَسْتُوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّمَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا اللهِ عَلَىٰ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيَّ حَمِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ خُدِ الْعَفْوَ وَأَمُر ۚ بِالْعُر ْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ( ° ). فالمؤمن يعرضُ عن الجاهل مطلقاً ؛ لاَنَّهُ ينظر بنور الله تعالىٰ، وينظر إلىٰ ما عنده – سبحانه – أمَّا هؤلاء الجاهلون هم أعداة للحقّ بطبيعتهم ؛ فلا يبال بهم ولا يعبأُ بشانهم ؛ وإنما عليه أن يقول لهم: سلامًا ! قال تعالىٰ :

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) انظر: « فتح الباري » (كتاب المغازي) باب « دخول النبي ﷺ من أعلىٰ مكة ».

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب البر وصلة) باب ٥ ما جاء في معاشرة الناس ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤. ﴿ ٤ ) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

<sup>(</sup>٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩. (٦) سورة القصص، الآية: ٥٥.

## الصفةُ الثالثةُ: قيامُ الليل؛ أنَّهم يبيتون لرَّبُهم سُجِّدًا وقيامًا:

ومن صفاتِ عباد الرحمن العزيزة: أَنَّ لياليَهُم مراقبةُ الله – عزَّ وجلَّ – وتقواهُ، والشُّعورُ بجلالِهِ وعظمتِهِ ورحمتِهِ، وأنَّهم يَبيتونَ مُخلصينَ فيها لربِّهم، مُتذلِّلينَ لله وحدَه، لا شريكَ له؛ سُجَّدًا وقيامًا.

أي: يتفرّغون في ظُلُماتِ الليلِ للعبادةِ، والصّلاةِ، والذّكرِ، والتّوبةِ، وقراءةِ القُرآن، وتدبّر آياته وأحكامه؛ بعيدًا عن كلّ رياءٍ وسمعةٍ، ويتهجّدون بطول القيام في الصّلاة والسّجود لله - جلّ وعلا - ذاكرين الله تعالىٰ؛ بأعمالهم، وبألسنتهم، وقلوبهم، وأفكارهم؛ يمجّدونَهُ، ويحمدونَهُ، ويسبّحون بحمده، ويُقدّسون له، ويسالونه خوفًا وطمعًا، خشية ورجاء، يخشون عذابَهُ، ويرجون ثوابه؛ إنّهم حقًّا قومٌ مؤمنون صادقون عاملون؛ اتّخذُوا لأنفسهم وقايةً وسترًا من عذاب الله وشديد غضبه؛ بهذه العبادات في جوف الليالي المظلمة، والنّاسُ حولهم نيام.

فقيامُ الليل هو دأب المؤمنين الصَّادقين، وتجارة الفالحين، وعمل الصَّالحين، وما يحافظ عليه إلا الفائزين؛ الذين يهتدون بهدي إمام المصلين والمتهجدين والقائمين، وسيد الرَّاكعين والسَّاجدين عَيْكُ .

ففي الليل يخلو المؤمنون الصّادقون بربهم - جلّ في عُلاه - ويتوجهون فيه إلى خالقهم وبارثهم ورازقهم؛ فيشكون إليه أحوالهم، ويساًلونه من فضله - سبحانه - فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارثها، تتنسم من تلك النّفحات الإيمانية، وتقتبس من أنوار تلك القُربات الذكيّة، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات السّخيّة من ربّ البريّة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (١)(\*).

وقد ذكر الله - جلُّ وعلا - المتهجدين في عبادته، فقال تعالىٰ عنهم:

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْ جَعُونَ ﴿ وَبِالْاَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُو قَانِتُ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَى اللهِ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّعَات، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَن الْجَسَدَ» (3).

وقالَ عَلَى الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِعَشْرِ أَيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ أَيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْظَرِينَ»(°). بِمِائَةِ أَيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْظَرِينَ»(°).

والمقنطرون: هم الذين لهم قنطار من الأَجر.

وقالَ عَلَيْكَ : « أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتَ » (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآية: ١٦. (٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ - ١٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب « في دعاء النبي ﷺ » وصححه الألباني.

<sup>(</sup>٥) رواه أبو داود في (كتاب شهر رمضان) باب «تحزيب القران» وصححه الألباني.

<sup>(</sup> ٦ ) رواه مسلم في (كتاب المسافرين وقصرها ) باب ﴿ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ ﴾ .

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: (يعني بذلك قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيقة).

وقالَ عَلَيْكَ : ﴿ أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفُريضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ ﴾ (١) .

وَذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَى لَهُ لَا فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلاَة ! فَقَالَ عَلِي اللهُ عَلَى الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ! (٢٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ في شَأْنِ عَبْد الله بن عمر ، رضي الله عنهما:

« نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ (° ").

فقال ابنه سالم: ( فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً)

وقد أمرَ الله تعالى إمامُ عباد الرَّحمن عَلِي الله بقيام الليل، قالَ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ نَصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ '' .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ (°).

وَعَنْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ الصِّدِّيقَةُ بنت الصِّديق؛ عَاثِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ نَبِيَّ اللهِ عَلَيْهُ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ! فَقَالَتْ عَاثِشَةُ: لِمَ تَصنْعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ! وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرً! قَالَ عَلِيهُ:

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الصيام) باب و فضل صَوْم المُحَرُّم ،

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب وإذًا نام ولم يصلُّ بال الشيطان في أذنه ، .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب و فضل قيام الليل ٥.

 <sup>(</sup>٤) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٤.

<sup>(</sup>٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

« أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا » فَلَمَّا كَثْرَ لَحْمُهُ صَلَّىٰ جَالِسًا ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ، فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ (١).

وهذا يدل على أنَّ الشُّكرَ لا يكون باللِّسان فحسب، وإِنَّما يجب يكون باللِّسان فحسب، وإِنَّما يجب يكون بالقلب واللِّسان والجوارح معًا؛ فقد قام النَّبِيُّ عَلَيْ بحقِّ العبودية للهِ تعالىٰ على وجهها الأكمل وصورتها الأتم، مع ما كان عليه من مهمة نشر الإسلام وتبليغه، وتعليم المسلمين أحكام دينهم، والجهاد في سبيل الله، والقيام بحقوق النَّفس والأهل والذَّرية.

فَعَنْ حُذَيْفَةَ بِنْ اليمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَاهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَاهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَاهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقرَاهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقرَاهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقرَاهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً ؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَال سَالَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوِّذِ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ عَلِيْكَ :

« سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ » ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ » فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ (٢).

وَعَنْ أَبِي وَاثِلِ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعودٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ:

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب ٥ ﴿ لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدُّمْ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب ( استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل).

صَلَيْتُ مَعَ النَّبِيِّ عَلَى لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ! فَلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتَ أَنْ أَقْعُدَ، وَأَذَرَ النَّبِيَّ عَلَى (١).

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (وفي الحديث دليل على اختيار النّبي الله تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظًا على الاقتداء بالنّبيّ على وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده).

فقد ذكر العلماء أسبابًا ظاهرة، وأُخرى باطنة ميسرة لقيام الليل: فأمًّا الأسباب الظَّاهرة؛ فأربعة أمور، هي:

- ألا يكثر الأكل؛ فيكثر الشُّرب، فيغلبه النُّوم، ويثقل عليه القيام.
  - ألا يتعب نفسه بالنَّهار بما لا فائدة فيه .
  - ألا يترك القيلولة بالنَّهار؛ فإنها تعين على القيام.
  - ألا يرتكب الأوزار بالنَّهار؛ فيحرم القيام بالليل.

وأمَّا الأسباب الباطنة؛ فأربعة أمور - أيضًا - هي:

- سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع وفضول الدُّنيا.
  - خوف غالب يلزم القلب، مع قصر الأمل.
    - أن يعرف فضل قيام الليل.
- الحبُّ الله تعالى، وقوة الإيمان، بأن لا يتكم في قيامه بحرف إلا وهو مناج رَبَّه؛ جلَّ في عُلاه.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب «استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل».

الصفةُ الرابعةُ: الخوف من عذاب الله تعالىٰ؛ أَنَّهُم يقولونَ في دعائهم لربَّهم: ربَّنا اصْرِف عنَّا عذابَ جهنَّمَ إِنَّ عذابَها كانَ غرامًا إِنَّها ساءَت مُستقرًا ومُقامًا:

أي: إِنَّ عبادَ الرَّحمنِ؛ المؤمنين الصَّادقين القائمين بالليل: يدعونَ رَبَّهم – جلَّ جلاله – في قيامهم وسُجودهم تضرُّعًا وخشوعًا، وخوفًا ورجاءً؛ أن يصرفَ عنهم عذابَ جهنَّمَ وأهوالَها – التي لم يروها ولكن آمنوا بها بالغيب – لأَنَّ عذابها لا يُطاق، وأنَّه ملازم لصاحبه لا يتحوَّلُ عنه ولا يُفارقُهُ، وعذابُها هو أشدُّ العذابِ على الإطلاق، ولا يستطيع أحدُّ النَّجاة منه إلاَّ بإذن الله – جلَّ وعلا – وأنَّها ساءَتْ مُستقرًا ومُقامًا، وأنَّها دارُ الذَّلِ والهوان، والعذابِ والخذلان، دارٌ أهلُها أهلُ البُوْس والشَّقاءِ والنَّدامة والحسرة، والبُكاءِ.

فعباد الرحمن وجلون مشفقون من عذاب الله تعالى خائفون من عقابه؛ لأنّهم يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر وما فيه من الأهوال والأحوال وأشدُها عذاب نار جهنّم؛ فيؤمنون بهذه النّار العظيم التي وقودها النّاسُ والحجارة أعدد للكافرين والمذنبين، ويعرفون مدى شدّتها وفضاعتها وخزي حال أهلها! فيستعيذون بالله تعالى من شرها، ويلجأون إليه سبحانه؛ مستجيرين مستغيثين، ضارعين خائفين وجلين: ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذَابَ جَهَنّم إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ عذاب أهل النّار من الكفّار والمنافقين؛ غرام ملازم لهم إلى أبد الآبدين، لو يريدون أن يستريحوا منه لحظة! لا يجدون إلى ذلك سبيل، ولا يموتون فيها حي يستريحون، ولا يحييون! فيلازمهم العذاب الدّئم؛ بسبب كفرهم وشركهم بالله تعالىٰ.

قالَ الله - تبارك وتعالى - في وصف نار جهنَّم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿ آَنَّ ﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيُّهُ: ﴿ نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ﴾ قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: ﴿ فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا ﴾ ("").

وقالَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ إِلَىٰ رَبِّهَا ، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ، وَأَشَدُ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرَ ﴾ ( أ ) .

فمن عظمت أمر نار جهنَّم وعذابه؛ كان النَّبِيُّ عَلَظَة يستعيذُ بالله تعالىٰ منه في دبر كلِّ صلاة، ويعلم ذلك أصحابه الكرام وأُمنهُ المرحومة.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكُ :

<sup>(</sup>١) سورة التحريم، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٢٠) سورة المرسلات، الآيتان: ٣٣ ـ ٣٣.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب: (في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المغذيين).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب بدء الحلق) باب: ٥ صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ٥.

« إِذَا تَشْهَدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتَّنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتَنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فَتَنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فَتَنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فَتَنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ

فعبادُ الرَّحمن المخلصينَ العاملين: يعلمونَ أَنَّ دُعاءهم؛ سببُّ لتوفيقهم للهداية، والصِّراط المستقيم، وللإيمان الصَّادق، والعمل الصَّالح، وللتَّوبة، والاستغفار، والإنابة إلى الله تعالىٰ.

ومع هذا فهم لا يركنون إلى أعمالهم الصَّالحات! ولا يرونها الضَّمان، ولا الأَمن من عذاب جهنَّم، ولو كانت هذه الأعمال كثيرة وصادقة؛ إن لم تتداركُهُم رحمة الله - تبارك وتعالى - وفضلُه، ومغفرتُه، وعفوه.

قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : ﴿ لَنْ يُنجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ ! ﴾ قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله ! قَالَ : ﴿ وَلاَ أَنَا ؛ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاغْدُوا وَرُوحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا ﴾ (٢).

فعباد الرَّحمن لا يياسُونَ من رحمة الله، ولا يؤمنون من مكره سبحانه ؟ بل يطلبون منه - سبحانه - أن يغفر لهم، وينجيهم من عذاب جهنَّم، ولا يغلب جانب الرَّجاء على جانب الخوف عندهم ؟ فهم يراقبون أنفسهم دائمًا ويخافون عليه من سوء الخاتمة ؟ بل يخافون على أنفسهم النَّفاق والرِدَّ، وبهذا هم يتبعون هدي نبيهم عَلَيْكُ فيجمعون بين الخوف والرَّجاء .

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضيع الصلاة) باب: «ما يستعاذ منه في الصلاة». (٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب: «القصد والمداومة على العمل».

الصفةُ الخامسةُ: الاعتدال في الإنفاق؛ أنَّهُم إذا أَنفقوا؛ لم يُسرفوا، ولم يَقْتُروا، وكان بين ذلك قوامًا:

أي: أنَّ إِنفاقهم في سبيل الله تعالىٰ - الواجب والمستحبُّ - وسط معتدل، لا إسراف فيه، ولا تَضييق.

• فعبادُ الرَّحمنِ؛ ليْسُوا بمبذَّرينَ ولا مُسرفينَ في إنفاقهم؛ فلا يصرفون فوق الحاجة، ولا يزيدونَ على الحدُّ، ولذا لا يدخلون في قسم التَّبذير والإسراف، وإهمال الحقوق الواجبة؛ فالتَّبذيرُ والإسرافُ: ضياعٌ ومفسدةٌ للنَّفسِ والمال والمحتمع؛ لأنَّهم يعرفون أنَّ المالَ نعمةٌ من اللهِ تعالىٰ، وأنَّ المعبدَ مسؤولٌ عن هذا المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ فيتصرفون فيه باعتدال وبحكمة وبتوسط؛ فلا تبذير وإسراف ولا تقتير.

والإسراف مجاوزة الحد؛ يتجاوز العبد الحد في الإنفاق! فيسرف في مأكله وفي مشربه وملبسه، أي يضع المال في الحرام والمعاصي! والمبذّرون هم إخوان الشّياطين؛ لأنّ الإسراف يجعل العبد يضيّع ماله، ويبدده في سبيل عدوه الأكبر الشّيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُبَذّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشّياطِينِ وَكَانَ الشّيطانُ لِرَبّهِ كَفُورًا ﴾ (١).

فعباد الرَّحمن ليس للشَّيطان عليهم سبيل؛ فلا يخدعهم! فيدفعهم للإسراف، ولا يخوِّفهم بالفقر، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَامُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

وعبادُ الرَّحمن؛ ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ لم أي: يبخلوا أن يضعوا المال في مواضعه؛ فيؤدون الرَّكاة، ويصل الأرحام، وينفق على الفقراء والمساكين.

وهم ليسوا بُخلاءَ على أهليهم؛ فلا يقترونَ عليهم، ولا يُقصرونَ في حقّهم؛ ولا يَكْفُونهم، فلذا لا يدخلون في باب البُّخل والشُّحِ؛ فالتَّقتير: داءٌ ومَفْسَدَةٌ، وهو حَبْسُ المال عن انتفاع صاحبه، أو مَن حولَه، ويورثُ جحود النَّعمَةِ، ويبعث على الكذب، ويمزَّقُ شملَ الأُمَّة، ويزرَعُ العداوة فيما بينها، وهو وعدُ الشَّيطانِ لبني آدم.

فعباد الرَّحمن! لا يتَّصفون بصِّفات المسرفين، والسُّفهاء الطائشين المبذرين، ولا يتَّصفون بصفة البُّخلاء الجبناء؛ بل إِنفاقهمُ التَّوسُّطُ والاعتدال، بين الإسراف والتَّقتير، وخيرُ الأُمور أوسطُها، وهذا من عدلهم واقتصادهم، ومن اتِّباع هدي نبيَّهم عَيَّاتُهُ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ (١).

وهذه سِمَتُهُم! وهم يعيشون حياة التَّوسُّط بين الإفراط والتَّفريط، في كلَّ أَمر من أُمورهم الدينيَّة والدُّنيويَّة، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الصفةُ السَّادسة: البُعْد عن الشِّرك؛ أنَّهم لا يدْعونَ مع الله إلهًا آخرَ:

أي: لا يُشْرِكُونَ بالله - عزَّ وجلَّ - أحدًا كائنًا مَن كانَ، ولا يصرفون شيئًا من العبادة لغيرة تعالىٰ؛ كالصَّلاة، والصِّيام، والزَّكاة، والحجِّ، والدُّعاء، والاستعانة، والنَّذر، والذَّبع، والتوكُّل، والخوف والرَّجاء، والحبُّ، والإنابة، والحشية، والتَّذلُّل، وغيرها من أنواع العبادة الظَّاهرة والباطنة؛ بل يعبدون الله - تبارك وتعالىٰ - وحدة لا شريك له، له الملك، وله الحكم والأمر، وله الحمدُ والشُّكرُ، وهو علىٰ كلَّ شيء قديرٌ؛ مخلصين له الله ين حنفاء علىٰ ملَّة أبيهم خليلُ الله إبراهيم - عليه وعلىٰ جميع أحفاده من الأنبياء الصَّلاة والصَّلام - مقبلين عليه بكلُّ أعمالهم وأفعالهم، معرضينَ عمًا سواه بكلُّ حالهم وأحوالهم.

والتَّوحيد الخالص: الذي هو إِفرادُ الله تعالىٰ وحده بالعبادة، وإخلاص العبوديَّة لله - جلَّ وعلا - وإفرادها له وحده، وتنزيه الله تعالىٰ عن الندُّ والشَّريك، والبراءة من الشَّركِ بجميع أنواعه وأشكاله؛ من أهمَّ سِمَاتِ عباد الرَّحمن، وصفاتهم وميُّزاتهم.

فعبادُ الرَّحمنِ قومٌ موحِّدونَ، عاملونَ بعلمهم، قومٌ أَخلصوا دينهُم لله تعالىٰ، وأَسلموا له بكلِّ كيانهم، وأقبلوا عليه بكلِّ قلوبهم؛ فأصبحت كلُّ أعمالهم – الظَّاهرة والباطنة – لله وحدَهُ لا شريكَ له، والتَّوحيدُ بهذا المعنىٰ هو الغاية التي من أجلها خَلَقَ الله الخلق، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنِّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبَدُونِ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦

الصفة السَّابعة : البُعْد عن القتل؛ أنَّهم لا يقْتُلونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ اللهُ تعالىٰ؛ إلا بالحقِّ:

أي: لا يقتلونَ النَّفسَ التي حرَّمها الله تعالىٰ، وذلك حماية للدماء والنُّفوس، وهي: النَّفسُ المسلمة، ومنه قَتْلُ الشَّخصِ لنفسه، وقتلُ الكافر المعاهد؛ لأَنَّ الله - جلَّ في عُلاه - قد حرَّم قتل النَّفس، فقالَ تعالىٰ:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١). جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١).

وجعل حكم القصاص في شرعه الحكيم ملزمًا، وذلك حماية للنَّفوس والحفاظ عليها، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢). وشدَّد الله تعالىٰ الله تعالىٰ :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنهُ وَأَعَدًّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُّهُ: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئُ مُسْلِم يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنِّي رَسُولُ الله ؛ إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةَ »(1).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٣٢. ﴿ ٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات) باب ١ ما يباح به دم المسلم ٤.

وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ مَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةً، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ قَالَ: قُلْتُ أُرِيدُ مَثَا الرَّجُعُ مَسُولِ اللهِ عَلَيُّ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي يَا أَحْنَفُ ارْجع فَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ عَلَيُّ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي يَا أَحْنَفُ ارْجع فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيُّ يَقُولُ: ﴿ إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ المُعْتَولِ ؟ قَالَ : ﴿ إِنَّهُ قَلَى اللهِ الْمَا اللهِ الْمَا اللهُ الْمَا اللهِ الْمُعْمَلِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وتزولُ هذه العصمةُ من العبد؛ بحقُّ الله - تبارك وتعالى - عليها، وهذه الحقوق هي:

- القصاص: أي: قتل النَّفس بالنَّفس.
  - وقتلِ الزَّاني المحصن رَجْمًا.
    - وقتل المرتَدُّ عن الدُّين.
- وقتلِ الذينَ يسعون في الأرض فسادًا؛ كقطًاع الطُرُقِ الذين يسلبون النّاس ويقتُلونَهُم.
- وقتلِ الكافر الذي يحلُ قتلُه؛ كالمحارب لدين الإسلام والأهله،
   والذين يقفون في طريق دعوة الإسلام، ويمنعون تبليغها وانتشارها.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الفتن وأشراط السُّاعة) باب واذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٤.

الصِّفةُ الثامنةُ: البُعْد عن الزِّنا؛ أنَّهم لا يَزْنُون:

أي: أنَّ فعلَ الزِّنا! لا يكونُ من عاداتِ عبادُ الرَّحمنِ واَفعالهم، واَنَّهم لا يقعونَ في جريمة الزِّنا مع امراة من غير عقد شرعي؛ بل يحفظونَ فروجَهُم من هذا العمل القبيح الخبيث الفاحش، وهم يتحرَّجونَ من الزِّنا والوقوع فيه؛ لأنَّ الله تعالىٰ قد حرَّمه، وشدَّد في تحريمه والنهىٰ عنه، وشدَّد في العقوبة عليه، وجعله محرَّمًا في كلِّ ما أنزل من الشَّرائع؛ لأنَّه من أكبر الكبائر بعد الشَّرك والقتل، وهو رجس وفاحشة مهلكة، وجريمة موبقة تنفر منها الطبائع السَّليمة، وهو فساد لا تقف جرائمه عند حد ولا تنتهي آثاره ونتائجه إلىٰ غاية، وهو ضلال في الدِّين وفساد في الأخلاق، وانتهاك للحرمات والأعراض وإستهتار بالشَّرف والمروءة، وداعية للبغضاء والعداوة، والوقوعُ فيه؛ إثمَّ كبيرٌ، وذنبٌ عظيمٌ؛ فلا يَمحوه إلاَّ التَّوبة الصَّادةة.

فقد حرَّم الله - تبارك وتعالى - جريمة الزَّنا في شرعه الحكيم بكلِّ أنواعها، ونهى عن الخُطوات التي تسبقها وتؤدي بالوقوع بها، وبينَ قُبحها وفسادها، وحذرا العباد من الوقوع فيها، وذلك لصيانة الأعراض والأفراد والمجتمعات من هذه الجريمة النَّكراء، قالَ الله تباركُ وتعالىٰ:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ولعظيم شناعة جريمةُ الزِّنا والوقوع فيها؛ فإنَّ الله - جلَّ وعلا - لم

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

ينهي عن الوقوع فيه فحسب! بل نهي عن القرب منه، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿ ( ٢ ) .

وقالَ عَلَى : ٥ ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَـٰذَابٌ ٱلِيمِّ؛ شَـِيْخٌ زَانٍ، وَمَـٰلِكٌ كَـٰذَّابٌ، وَعَـَائِلٌّ مُسْتَكُبُرٌ ، (٣) <٠).

وقالَ عَلَيْكَ : ( مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؛ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَشْبُتَ الْجَهْلُ، وَيَشْبُتَ الْجَهْلُ، وَيَشْبُتَ الْجَهْلُ،

والزُّنا مراتبٌ متفاوتة، قد ذكرها العلماء:

فالزنا بأجنبية لا زوج لها عظيمٌ، وأعظم منه بأجنبية لها زوج، وأعظم منه بأجنبية لها زوج، وأعظم منه بمحرم، وزنا الثَّيب أقبح من البكر بدليل اختلاف حديهما، وزنا الشَّيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشَّاب، وزنا الحر والعالم لكمالهما أقبح من زنا العبد والجاهل.

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

 <sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ابيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ».

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ابيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على ارادة نفى كماله .

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب العلم) باب ٥ رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٥.

<sup>( \* ) (</sup> عائل ) هو الفقير .

الصفةُ التَّاسعةُ: البُعد عن شهادة الزُّور والكذب؛ أَنَّهم لا يَشهدون شهادة الزُّور:

أي: أنَّ عبادَ الرَّحمنِ! لا يحضرون مجالسَ الزُّور، ويتجنبونها، ولا يدخلونها البتَّة، ولا ينظرونَ إليه، ولا يتكلَّمونَ به، ولا ينطقونه؛ بل يبغضُون هذه الجالس، ويكرهونها، ويحذرون منها.

وشهادةُ الزُّور: هي كلُّ قول وفعل محرَّم، أي: يشمل جميعَ الحرَّمات، والمعاصي، والكبائر، والذُّنوب.

وعبادُ الرَّحمن؛ يتجنَّبونَ جميعَ هذه المجالس المشتملة على الأقوال والأفعال المحرَّمة؛ كمجالس الشَّرك بالله تعالى، والخوض في آياته بغير علم، والجدال الباطل العقيم، والغيبة، والنَّميمة، والسَّب، والشَّتم، والقذف، والاستهزاء، ومجالس اللهو المحرَّم، والغناء والرقص المحرَّم، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وفرش الحرير، والصُّور، وشهود أعياد المشركين والكفَّار، ونحو ذلك.

وشهادة الزُّورِ؛ داخلة في قول الزُّور، وهي الميلُ عن الصِّراط المستقيم والصِّدق والعدل، وهي شهادة كاذبة، وباطلة، وظالمة، شديدة القبح، وسيَّنة الأثر؛ بل هي من أخطر وأقبح صور الكذب، التي تُغيَّرُ وجه الحقِّ.

وشهادة الزُّور هي أن يشهد الإنسان بغير الحقِّ! فهي سببٌ لزرع الاَحقاد والضغائن في القلوب؛ لأنَّ فيها ضياع حقوق العباد وظلمهم وطمس معالم العدل والإنصاف ومن شأنها أن تعين الظَّالم على ظلمه، وتعطي الحقَّ لغير مستحقه، وتقوض أركان الأمن، وتعصف بالمجتمع وتدمره.

قالَ تعالىٰ: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (``. وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴾ (``

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آبِي بَكْرَةً، عَنْ آبِيهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّهِ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّهِ عَنْهُ : وَآلاَ أُنَبِّكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ! ، ثَلاَثًا. قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: وَالإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِفًا! فَقَالَ: ﴿ أَلاَ قَالَ: ﴿ أَلاَ وَقُولُ الزُّورِ ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا ؛ حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ ! (\* \* \* \* ) .

وشهادة الزُّورِ ؟ لا تصدُرُ عن آحاد المؤمنينَ ؟ فكيف تصدُر عن عباد الرَّحمن ، وإذا كانوا لا يشهدون الزُّور ؟ فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ولا يفعلوه ؟ لاَنَّ قلوبهم لا يشغلها إِلاَّ ذكر الله \_ عزَّ وجلً \_ ومحبَّته ، فلا مكان لهذه المجالس السَّيَّعة وأهليها في قلوبهم النيَّرة .

فطوبي لهؤلاء الصَّفوة الأخيار الغرباء الأبرار .

 <sup>(</sup>١) سورة الحج، الآية: ٣٠.
 (٢) سورة المجادلة، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الشهدات) باب ٥ ما قيل في شهادة الزور ٥.

<sup>(\*)</sup> قالَ الحافظ ابن حجر -- رحمه الله - في قول الراوي و وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِفًا ! ٤ : ( يشعر بأنَّه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكفًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه، سبب الاهتمام بذلك كون قول الزُور ، أو شهادة الزُور أسهل وقوعًا على النَّاس، و التهاون بها أكثر ؛ فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع ، وأمَّا الزُور فالحوامل عليه كثيرة ؛ كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج للاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطمًا ؛ بل لكون مفسدة الزُّور متعدية إلى غير الشَّاهد بخلاف الشَّرك فإنَّ مفسدته قاصرة غالبًا ؛ بل إنَّ رسول الله عَلَيْ حذر من الزُور وقوله والعمل به ؛ حتى قال عَلَيْ : و مَنْ لَمْ يَدَعْ قُولَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ؛ فَلَيْسَ للْهِ حَاجَةً فِي وقوله والعمل به ؛ حتى قال عَلَيْ : و مَنْ لَمْ يَدَعْ قُولَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ؛ فَلَيْسَ للْهِ حَاجَةً فِي

الصفةُ العاشرةُ: حُسْنُ الْخُلق؛ أنَّهم إذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِرامًا:

أي: أنَّ عبادَ الرَّحمنِ! لا يقصدُونَ مجالسَ اللَّغو البتَّة، ولا يحضرُونَه، وإذا قُدَّرَ لهم أن مرُّوا بها من غير قصد؛ أسرعُوا الخُطَا، حتىٰ لا تَتَلوَّتَ أَسماعُهم، ولا أَبصارُهم، ولا أَفعدتُهم؛ بأفعال أهل هذه المجالس من اللَّغو، والباطل، والعبث، والصَّدِّ عن ذكر الله تعالىٰ، ويُنزَّهونَ أَنفُسهُم، ويُكرمونَها عن الخوض فيها، وعن تضييع أوقاتهم بها، ويمرون عليها كرامًا، ومرورًا عابرًا؛ غير مستأنسين بها، لا مرورَ تطفَّل ومقام؛ بل ينكرونها، وينكرونَ أفعال أهلها، ويبغضونها، ويتبرُّوُون إلىٰ الله تعالىٰ منها، ولا يرضونه لغيرهم، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (١)(\*).

وذلكَ لأَنَّ عبادَ الرَّحمن مؤمنون صادقون ؛ فيتحلَّونَ بصِّفات النَّبوَّةِ من حُسنْ الْخُلقِ والآدب، وعلُوِّ الهمَّة والنيَّة، وتقوى الله تعالى في السَّرِّ والعلانية ؛ التي يترفعون بهذه الصُّفات الجليلة العزيزة عن محقَّرات الأُمور وصغائرها، ويَنْشُدُونَ بها معالى الأُمور وكمالاتها، ويعلمون أنَّ الصَّغائر

<sup>(</sup>١) سورة القصص، الآية: ٥٥.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (أَيُ لا يُخَالِطُونَ أَهْله وَلا يُعَاشِرُونَهُمْ؛ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّهْ ِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ وإِذَا سَفِه عَلَيْهِمْ سَفِيه! وَكَلْمَهُمْ بِمَا لا يَلِيق بِهِمْ الْجَوَابِ عَنْهُ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنْ الْكَلام الْقَبِيح وَلا يَصْدُر عَنْهُمْ إِلاَّ كَلام طيب، ولهذا قال عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ لَنَا آعْمَالنَا وَلَكُمْ أَعْمَالكُمْ سَلام عَلَيْكُمْ لا نَبْتَفِي الْجَاهِلِينَ ﴾ أَيْ: لا تُويد طريق الْجَاهِلِينَ وَلا نُحِبُّهَا).

والمحقّرات؛ من دناءة النَّفس وانحطاط همَّتها، وهذا لا يفعَلُهُ عزيزو النُّفوسِ، وكبيرو القلوب، قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفهم:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ غِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ (١).

وعبادُ الرَّحمنِ! يفقهونَ حقًّا، ويعملون صدقًا؛ بمعنىٰ قول الله تعالىٰ:

﴿ وَقَدْ نَزُلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجُواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نَوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُوَّادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُولاً ﴾ (1).

وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (°).

وقول النَّبِيُّ عَلِيْكُ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَصْمُت ﴾ (١) .

 <sup>(</sup>١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ -٣.
 (٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١١٤. (٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

 <sup>(</sup>٥) سورة ق، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٦) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب و حِفْظِ اللَّمانِ ٥.

وقوله عَلِيَّةَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » (١٠).

فإذا حسن إسلام العبد! ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال، وحفظُ اللَّسان وأُذنيه من لغو الكلام.

واللَّغُو: هو ما لا يعتد به من الأقوال والأفعال، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، ولا خير يرجى منه، ولا فائدة تحصلُ من ورائه، ولا ينفَعُ صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه؛ ككلام السُّفهاء من المُغنين، والمهرَّجين، والقصَّاصين، ونحوهم، ولغو الكلام: هو ما يبدر من اللِّسان، ولا يراد معناه.

واللَّغو نوعان: لغو ليس فيه فائدة ولا مضرة، ولغو فيه مضرة؛ أمَّا الأوَّل فلا ينبغي للعاقل أن يُذهب وقته فيه؛ لأنَّه خسارة. وأمَّا الثاني؛ فإنّه يحرم عليه أن يمضي وقته فيه؛ لأنَّه منكر محرم.

وقد كان السلف الصالح مثالاً أعلى في تطبيق صفات المؤمنين من عباد الرَّحمن؛ فقد روى الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: (عن ابن ميسرة: أنَّ ابن مسعود - رضي الله عنه - مر بلهو؛ فلم يقف، فقال رسُول الله عَلَى : « لَقَدْ أَصْبَحَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَمْسَىٰ كَرِيمًا » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغُو مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ).

فالبعدُ عن اللَّغو وأهله ومجالسه! من أركان الفلاح والنَّجاح والسَّداد، ودلائل الكمال والرُّشد، وجمال العقل، وعين الحكمة، وتوفيقٌ من الله تعالى، وهو من صفات عباد الرَّحمن المؤمنون الصَّادقون؛ الذين

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) وصححه الألباني.

حصلت لهم العزّة والسيادة والقيادة والكرامة في الدَّنيا؛ فاستخلفهم الله تعالى في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ونشروا العدل والأمن والرَّخاء في أنحاء المعمورة؛ فسُعدَ الخلق بإيمانهم وعدلهم وإحسانهم، وهم فازوا برضوان الله - جلَّ في عُلاه - وبجنَّته دار النَّعيم والكرمة في الآخرة، وتحقق فيهم وعد الله تعالى بقوله في كتابه العزيز:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدَّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِيَ لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولُكِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

وما أجدر بنا – أخي المسلم الكريم – أن نقتدي بسلفنا صالح في التَّحلي بصِّفات المؤمنين الصَّادقين؛ عباد الرَّحمن المخلصين، وفي تطبيقهم لا حكام الدين بكلِّ صغيرة وكبيرة؛ لتحصل لنا ما حصل لهم من العزَّة والكرامة في الدُّنيا، والثُّواب والفوز في الآخرة، نسالُ الله الكريم رَبَّ العرش العظيم أن يوفقنا لذلك؛ بمنه وكرمه وإحسانه، قال الله تعالىٰ:

﴿ أُولَٰكِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٣).

 <sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ٥٥.
 (٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الزمر، الآية: ١٨.

الصفةُ الحادية عشرةَ: قبول المواعظ؛ أنَّهم إذا ذكِّروا بآيات ربُّهم لم يَخِرُّوا عليها صُمًّا وعُمْيانًا:

أي: أنَّ عبادَ الرَّحمن؛ إِذَا ذُكِّروا بآيات رَبِّهِمْ - الذي أَمرهم باستماعها والاهتداء بها - خرُّوا سُجَّدًا لله تعالىٰ؛ سامعين لها ومبصرين، ومتفهّمين لما تتضمَّنُ هذه الآياتُ الكريمات من الهُدىٰ والنُّور، ومتدبّرين لدلالاتها وأحكامها؛ بقلوبهم الواعيّة، ويُقابلونَها بالقبول والافتقار، والرضىٰ والتَّسليم، والفرح والسُرور.

ولا يُقابلونها بالإعراض عنها، والصدّ عن سماعها، وصرَفِ النَّظر والقلوب عنها، كما يفعلُه من لم يؤمن ولم يصدّق بها، أو من يكونُ عنها من الغافلين، أو كالمنافقين الذين يخرُّون عليها خرورًا جسديًا فقط، مشاركة لمن حولهم من المسلمين، وهم عن دلالاتها صمٌّ وعميانُ، وقلوبُهُم ونفوسهم لم تخضع ولم تسجُد؛ بل هي كافرةٌ مستكبرة.

وكأن الآيةُ الكريمةُ فيها التعريض بهؤلاء الذين إِذا ذكروا بأيات ربِّهم خروا عليها صُمًّا وعُميانا، وهؤلاء هم أعداء الله تعالى الذين لا يسمعون ولا يستجيبون؛ بل يبتعدون عن آيات الله تعالى، وسقوطهم وخروجهم؛ يعني إعراض عن الله تعالىٰ.

أمًّا عباد الرَّحمن؛ فهم مقبلونَ على رَبِّهم – جلَّ وعلا – مطيعون له سبحانه حقَّ طاعته! إذا ذكروا تذكروا واتعظوا وأقبلوا؛ فخرورهم هنا معنوي وكناية عن إقبالهم على الله تعالى، يستمعون كلام ربِّهم، وهم يعون ذلك، ويفهمون ذلك؛ فهم أقبلوا حقًّا علىٰ آيات ربِّهم، وحالهم مع آيات ربِّهم عند سماعها هي كما وصفهمُ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكُرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ ٢٠٠٠ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْـمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ ٢٠٠٠ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبُّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أُوْلَئِكَ اللَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرَيَّةِ آدَمَ وَمِشَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرَيَّةٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِشَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾(٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجُدًا ﴿ إِنَّ لِلْأَذْقَانِ سُبْحَانَ رَبُنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبُّنَا لَـمَفْعُولاً ﴿ يَنْ كُونَ وَيَزِيدُهُمْ كَانَ وَعْدُ رَبُّنَا لَـمَفْعُولاً ﴿ يَنْ كُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١٠).

فهذه الأيات بيان لعبادة عباد الرَّحمن! كيف يعبدون ربَّهم - جلَّ في عُلاه - وكيف يتقربون إليه، وكيف يستمعون النَّصيحة من كتاب الله تعالىٰ، ومن هدي رسُوله الأمين عَلَيْ فإذا ذُكِرُوا تَذكَّرُوا، وإذا ذكرُوا لم ينسوا، فإذا ذُكرُوا بأيات الله تعالىٰ أقبلوا عليها بقلوبهم ووجوههم وعقولهم متفهمين متدبرين واعين متعظين منتفعين بها.

 <sup>(</sup>١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ – ١٦ (٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

 <sup>(</sup>٣) سورة مريم، الآية: ٥٨.
 (٤) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٩ – ١٠٩.

الصفةُ الثانيةُ عشرةَ: صفةُ دعائهم وابتهالهم لله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنِ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾:

هذا هو دعاء عباد الرَّحمن؛ يدعون ربَّهم - جلَّ في عُلاه - وهم مقنون بالإجابة، ويرجون رحمته وفضله وعطائه، يدعون ربَّهم دعاء ينفعهم في الدَّارين؛ فهم يسألُونَ الله تعالىٰ خيري الدُّنيا والآخرة:

• فمنَ الدُّنيا: \* فهم يدعون الله - تبارك وتعالى - أن يهبَ لهُم من أزواجهم وذُرِّياتهم قُرَّة أعين؛ تَقَرُّ أعينُهم وتُسرُّ وتَرضى بهم، ولا يكونون كذلك ما لم يكونوا من عباد الله الصالحين العاملين، والمتَّقينَ الأخيار؛ فصلاحُ الأزواج والأبناء قُرَّةُ عين المؤمن في الدُّنيا والآخرة:

فمنَ الأزواج؛ مخافةُ الله في السرِّ والعلاتية، وطاعتُهُ - سبحانَهُ - في ما أَمَرَ وما نهي، وحُسنُ الخُلق والمعاشرة، وحُسن التربية للأولادِ والأجيال، وطاعة الزَّوج، وجميعُ الصَّفاتِ الحميدة؛ التي يرضها ربُّنا تعالىٰ.

ومن الأبناء والذُّرية؛ فيدعون الله تعالىٰ أن يكونوا من عباده الصَّالحين العاملين، المقيمين للصَّلاة والمحافظين عليه، والمطيعين له - سبحانه - ومهتدين بهدي رسوله الأمين عَلِيه ، وأن يكونوا من الموقّقين السُّعداء في حياتهم، ومن الذين يبرُّن أبائهم ويدعون لهم بالخير والذكر الحسن.

\* ثمَّ يدعوا عباد الرَّحمن ربَّهم - سبحانه وتعالىٰ - أَن يجعلهم أَثَمَّةً للمتقين! وهذا دعاءٌ عظيمٌ؛ بأن يكون العبدُ إِمامًا لاَهل التَّقوىٰ! فضلاً أَن يكون إِمامًا للمؤمنين، أو المسلمين، أو لجميع النَّاس؛ فهذه درجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ نادرةٌ وعزيزةٌ للعبد المؤمن الصَّادق؛ لأنَّه إِذَا اقتدىٰ به النَّاس! فكل عمل صالح يعملونه يكون له أَجر فيه دون أَن ينقص من أُجورهم شيئًا،

وقد يموت العبدُ ومازال الأحياء يعملون ما علَّمهم إيَّاهم من العلم النَّافع والعمل الصَّالح؛ فيصل أجر هذه الأعمال إليه بعد موته، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ :

« مَنْ سَنَّ فِي الإسْلاَمِ سُنَّةً حَسنَةً ؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُهَا وَوِزْرُهَا وَوِزْرُهَا وَوِزْرُهَا وَوِزْرُهَا مِنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا »(١).

فعبادُ الرَّحمن! هم حقًّا وصدقًا أَثمَّة في الخير؛ حتىٰ في إِرشاد النَّاس بكيفة الوصل إلىٰ درجة الإمامة؟! فبكثرة دعاء العبد لربِّهم - سبحانه - والتبتل إليه، والوقوف بين يديه يجعله الله تعالىٰ إِمامًا يُقتدىٰ به في الخير.

• ومن الآخرة: فعبادُ الرَّحمن؛ يسألونَ الله تعالىٰ أن يوفّقهُم إلىٰ أن يكونوا من عباده المتَّقينَ الأبرار، المحسنينَ الآخيار، الصَّالحين العابدين، الطَّاتعين العاملين بأوامر الله تعالىٰ وبسنَّة رسُوله الأمين عَلَيْكُ، وأن يجعلهم أثمَّة يُقتدىٰ بعلمهم وعملهم، وبأقوالهم وأفعالهم، وبخلقهم وهديهم؛ حتىٰ ينالوا بها صحبة الآخيار في الجنَّة الحُلد مع النبيين والصِّديقين والشُهداء والصَّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا.

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْهُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢).

فعباد الرَّحمن يسألونَ الله - تبارك وتعالىٰ - أمتَع ما في الحياة الدُّنيا، وأرفع مرتبة إِيمانية ؛ تهيَّقُهم لأرفع منزلة ، وأنعمها في الدَّار الآخرة .

<sup>(</sup>١) رواه النسائي في (كتاب الزكاة) باب والتحريض على الصدقة ). وصححه الألباني. (٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

## • جزاء عباد الرَّحمن في الآخرة:

قال الله - تبارك وتعالى - في محكم التَّنزيل:

﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿ وَهُ لَكُمْ وَيَهَ فَلَا مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِي وَهُ فَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ وَهُ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ وَ جَنَّاتِ عَدْن الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ وَ جَنَّاتٍ عَدْن الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ الْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿ وَ لَهُ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا إِلاَّ سَلامًا ولَهُمْ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿ وَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ يَنُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن رَوْقُهُمْ فِيهَا لَهُ وَكُن وَعَشِيًّا ﴿ وَ عَشِيًّا ﴿ وَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى ثُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ يَكُمْ تُولَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ آَكُمْ يَعْفِرْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ آَكُ يَعْفِرْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ آَلَ كُمْ يَعْفِرْ لَكُمْ فَرَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَنَاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِبَةً فِي خَنَاتٍ عَدْن ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (آ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلُّفُ نَفْسًا إِلاَّ

 <sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآيات: ٧٥ – ٧٦.

 <sup>(</sup>٢) سورة مريم، الآيتان: ٦٠ – ٦٣.

<sup>(</sup>٣) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٢.

وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا صُدُودِهِم مِنْ غِلَّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثِتَّمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مُثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقُوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَبُوكَتُهُم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٣) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَقُلِ بَهُمْ اللهُمْ خَزَنتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿ ثَلُهُ الَّذِي صَدَقَتَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ خَالِدِينَ ﴿ ثَنَى الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَيَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١٠).

نَتَوا أُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَيَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينِ ﴾ (١٠).

فهنيئاً لمن اتَّصف بصِّفات عباد الرَّحمن، ثمَّ رضي عنه المنان، ونجا به من النَّيران، ونال شرف دخول الجنان، وجاور فيها الأَخيار.

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآيتان: ٤١ – ٤٢.

<sup>(</sup>٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية، ٢٥.

 <sup>(</sup>٤) سورة الزمر، الآيتان: ٧٣ - ٧٤.

٢ - أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادق: من صفاتهم أَنَّهم يؤمنونَ بالغيب:

الْغَيْبُ: هو خلاف الشَّهادة، وهو كلُّ ما غابَ عن الإنسان في هذا الكون الواسع! ثمَّا لا يعلَمُه إلاَّ الله تعالىٰ؛ فإنَّه لا يغيبُ عنه شيءٌ في هذا الكون الرَّحب الذي لا يعلمُ مدها وعظمتها إلاَّ هو - سبحانه - ولا يَعزبُ عن علمه مثقالُ ذرة في السَّموات والأرض.

والكون: هو هذا العالم الواسع الذي نعيش فيه، وما فيها من جميع المخلوقات، ويطلق عليه اسم العالم. والعالم: هو ما سوى الله تعالى من المخلوقات؛ فكل موجود عدا الله تعالى هو عالم. والعالم نوعان:

\* عالم الشّهادة: هو ما تدركه حواسُّ الإنسانِ، وتبصره أعينه من أجسام، وأرض، وسماء، وكلُّ ما هو كائنٌ من حوله، والعلم عند إدراكه علم ضروريٌّ لا يتوقَّفُ على استدلالٍ، أو نظر عقلي، ويشارك الإنسان في ذلك من المخلوقات الحيوانات.

\* عالمُ الغيب: هو خلاف عالم السُّهادةِ، ثمَّا لا يبصره الإنسان ولا يدركه بحواسه القاصرة، ولا بمداركه المحدودة الوسائل، وهو العالم الذي غابَ عن حواسٌ الإنسان؛ سواءٌ كان محصَّلاً في القلوب أم غير محصَّل، ولا يمكن معرفته إلاَّ بالخبر الصَّادق من الله تعالىٰ عن طريق الأنبياء والرُّسُل – عليهم الصَّلاةُ والسَّلام – أو يهتدي العبد لبعضها عن طريق العقل والفطرة السَّليمة؛ كوجود الله تعالىٰ، ويبقىٰ بعضها سرًّا لا يعلمه إلاَّ الله العزيز اللطيف الخبير.

والغيب ليس عدمًا أو غير معقول؛ لأنَّه يقابل الشَّهادة ويمكن إحساسه من قبيل العبد في الدُّنيا أو في الآخرة، ولا يلزم من تَعَذُّر رُؤْية الشَّيء في حال تعذّر رُؤْيَتِهِ في حال أُخْرَىٰ؛ بل قد يُرىٰ الشّيءُ في حال دون حال، وقد جمع الله تعالىٰ بين الكلمتين (الغيب والشّهادة) كثيرًا في القرآن كما قوله تعالىٰ: ﴿ عَالِم الْغَيْبِ وَالشّهادة فَتَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَ ﴾ (٢).

فعالم الشَّهادة هو العالم الذي نشهد وجوده، وعالم الغيب هو عالم موجود، ولكنه غائب عن حواسنا، ومن هنا يظهر لنا جليًا خطأ الذين يعتبرون الإيمان بالغيب إيمانًا بشيء غير معقول، أو إيمانًا بشيء معدوم.

والإيمان بالغيب هو ميزان الخشية؛ إذ الخشية في الغيب أفضلُ بكثير من الخشية بالشَّهادة، والغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان من مرتبة الحيوان – الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه – إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك الوجود الذي حوله؛ أنَّه أكبر وأشمل وأعظم من ذلك الحيز الصَّغير المحدود بالحواس القاصرة.

فحقيقة الإيمان بالغيب: هو التصديق الجازم، والتسليم التّام، والإقرارُ الكامل، والإيمانُ المطلَقُ؛ بكلٌ ما أخبرَ به الله تعالىٰ من الأمور الغيبيّة، وبما أخبرَ به رسولُه المعصومُ عَلَيْكُ المتضمِّنُ لانقيادِ الجوارحِ والأركانِ؛ كالإيمانِ باللهِ – تبارك وتعالىٰ – وباسمائِهِ وصفاتِهِ، والإيمانِ بملائكتِهِ، ورسُلِهِ، وكُتبِهِ، وأخبارِ الأمم السَّابقةِ، والإيمانِ بالجنَّ، والشَّياطين، وغيرها.

والإيمانُ بما سيكونُ في مستقبَلِ الزَّمانِ؛ مِنَ الإيمانِ بالقدرَ خيره وشرَّه، والإيمان بالرُّوحِ، وبالحياةِ بعد الموتِ، وعذابِ القبرِ، والسَّاعةِ وما فيها من الأهوال، واليوم الآخِرِ، وما فيه من حقائق ومقوَّمات؛ كالبعثِ، والحشر،

<sup>(</sup>١) سورة المؤمن، الآية: ٩٢. (٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

والنشر، والحساب، والميزان، والصرَّاط، والجنَّة ونعيمها، والنَّار وما فيها من العذاب، وكذلك ما جاء في القرآن عن خلق السَّمْوات والأَرض، إلى غير ذلك من الأُمور الغيبيَّة، مَّا أَخبرَت بها الشَّريعةُ الغرَّاءُ؛ فكلُّ ذلك من عالم الغيب؛ فمَن أنكرَ شيئًا منها؛ فقد كَفَرَ، وخَرَجَ من ملَّة الإسلام.

وأخبرَ الله تعالى في كتابه العزيز بأنَّ الإيمانَ بالغيبِ من صفاتِ عباده المؤمنين المتَّقينَ العاملينَ بعلمهم ؛ الذينَ لا يتردَّدُونَ في إِيمانهم، ويُسلمونَ للهِ تعالىٰ ولاَ وامره ؛ تسليمًا تامًا، فقال الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ اَلَّمْ ﴿ فَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿ اللَّذِينَ لَوْمُنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ وَاللَّهِ مِن اللَّهِ مُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وأصلُ الإيمانِ بالغيب؛ هو الإيمانُ بالله - تبارك وتعالى - وباقي مسائل الغيب تَبعٌ له، وفرعٌ منه، ومبنيٌ عليه، وعباد الرَّحمن المؤمنونَ المتقونَ يؤمنونَ بالغيب إيمانًا مطلقًا بالأدلَّة النقليَّة والعقليَّة القطعيَّة؛ بأنَّ الله تعالىٰ هو رَبُّ العالمين، ورَبُّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكُهُ، وهو الإلهُ الحقُّ وحده لا شريك له؛ إِلهُ الأولينَ والآخرينَ، مالكُ يومِ الدِّين، خالقُ الكونِ ومدبَّرُه، والمحيي والمميتُ، الرزَّاق ذو القوَّة المتين، له الاسماءُ الحسنى والصَّفاتُ العلىٰ، ومُنزَّةٌ عن جميع صفاتِ النَّقصِ - سبحانه - لأنَّ ما نُشاهِدُهُ من الآياتِ الباهراتِ والبراهين السَّاطعات، وما نَجِدُهُ من آثارِ الله تعالىٰ الآياتِ الباهراتِ والبراهين السَّاطعات، وما نَجِدُهُ من آثارِ الله تعالىٰ

 <sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

الفعليَّة؛ تدلُّ دلالةً قطعيَّةً علىٰ أَنَّ لهذا الكونِ - العظيمِ البديعِ الرَّحب - خالقًا رازقًا، مدبِّرًا لأَمره، مُنفَّذًا فيه مشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكُن؛ فهم يؤمنونَ باللهِ تعالىٰ، وإن لم يُدْرِكُوا ذاتَه، وكيفيَّاتِ أَفعاله.

فعبادُ الرَّحمن! يؤمنونَ باللهِ تعالىٰ، ويُوحِّدُونَهُ بربوبيته، أي: بأفعالِهِ العظيمةِ الحكيمةِ الجليلةِ، وبألوهيَّته، أي: استحقاقِهِ وحدَهُ للعبادة والإخلاص، وبأسمائه وصفاته، أي: الإيمان بها كما جاءت من غير تعطيل، أو تأويل، أو تشبيه، أو تكييف، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣).

وعبادُ الرَّحمن! من المؤمنين الصَّادقين يؤمنون باَنَّ الغيبَ المطلقَ الشَّاملَ للأُمورِ كلِّها - كلياتِها وجزئياتِها وظواهرِها وبواطنِها - لا يعلمهُ إِلاَّ الله تعالىٰ - اللطيفُ الخبيرُ - وإنَّه استأثرَ بهذا العلم لنفسه - جلَّ في عُلاه - ونفاه عمَّن سواه من خلقه؛ فعلمُ الغيبِ علىٰ وجه الإحاطة به، وعلمُ مفاتيحه؛ من خصائصِ الله - جلَّ شأنه - ويعجز كلُّ مخلوق عن علمه؛ لأنَّه يغيبُ عن الخواس والعقول معًا؛ فهو محجوبٌ عن الخلق جميعًا، ولا

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

يمكن لمخلوق أن يعلَمَهُ مهما بَلَغَ من الأمر، ولو كان مَلَكًا مُقَرَّبًا، أو نبيًّا مرسكلاً، ومَن ادَّعىٰ هذا العلمَ بأيِّ صُورةٍ من صُورها؛ فقد كَفَرَ بالله تعالىٰ بإجماع المسلمين، وخرج من ملَّةِ الإسلام، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلَ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(٣). وقال تعالىٰ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٣).

وعبادُ الرَّحمن يؤمنون بأنَّ مفاتيحَ الغيبِ التي لا يعلمه إلاَّ الله تعالىٰ ، هي خَمْسَةٌ: علمُ السَّاعة، وإنزالُ الغَيْثِ، وعلمُ ما في الأرْحام، والكَسْبُ في المستقبَل، ومكانُ الموتِ، وهذا العلمُ لا سبيل إليه بالوحي، ولا بغيره؛ فهو محجوبٌ عن جميع الخلق، حتَّىٰ الأنبياءِ والرُّسُل والملائكةِ المقرَّبين.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْض وَلا رَطْبِ وَلا يَابِسِ إِلاَّ فِي كِتَابِ مُّبِينِ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأُرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥).

<sup>(</sup>١) سورة النمل، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الجن، الآية: ٢٦.

<sup>(</sup>٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

<sup>(</sup>٢) سورة السجدة، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

## ٣- أَهلُ الإِيمان الصَّادق: من صفاتِهم أنَّهم يقيمونَ الصَّلاة:

فإِنَّ الصَّلاةَ لها منزلةٌ كبيرةٌ، وشأنٌ عظيمٌ في الإسلام، لا تَعدلُها آيةُ عبادة، وهي أول ما فُرض من العبادات، وهي أهمٌ ركن في الإسلام بعد ركن التَّوحيد، وهي أفضلُ الأعمال وأحبُها إلى اللهِ تعالى، وقد عظَّم الله شأنها في كتابهِ العزيز، وعظَّم أمرها وشرَّفها وشرَّف أهلها، وخصَّها بالذكر من بين سائر الطَّاعات، ووصَّى بها خاصَّتَهُ.

وقد جعلها النّبيُّ الأمين عَلَى قُرةً لعينِهِ وراحةً لنفسهِ، وعلَّمَ أصحابَهُ الكرامِ - رضي الله عنهم - فضل الصّلاة، وصفة إقامتها، وحذَّرهم عَلَى من إضاعتها والتهاون في إدائها، وبذلك خشعت قلوبهم وجوارحهم، واستقام سلوكهم، وحسنت أخلاقهم، ولذا كانوا هُمُ السَّادة والقادة، ولانَشُكُ بأنَّ الصَّلاة الصَّحيحة الخاشعة من أبرزِ الأسبابِ المؤدية لنصرِ الأُمَّة؛ فإنَّها سبيل الفلاح والنَّجاةِ في الدَّارين.

والصّلاة هي عمادُ الدّينِ الذي لا يقوم إلا به، وإذا سقطَ العمودُ سقطَ ما بُنيَ عليه، وهي أوّلُ ما أوجبَهُ الله تعالىٰ مِنَ العباداتِ، وهي أعظمُ فريضة بدنيّة ، مِمّا يدلُّ على عظم شأنها أنَّ الله لم يفرضها في الأرض بواسط جبريل – عليه الصّلاةُ والسّلامُ – كباقي العبادات، وإنّما فرضها الله مشافهة بدون واسطة بينه وبين نبيّه عَلَيْهُ وذلك في ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سموات، ولاً هميّتها عند الله تعالىٰ؛ قد فرضها خمسين صلاة ؛ ثمّ خفّها – سبحانة – إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، إكرامًا لهذه الأمّة المباركة وإكرامًا لنبيّها الأمين عَلَيْهُ ؛ فهي خمسون في الميزان، وخمس في العمل، وهي آوّلُ شيء يَسألُ عنها الله تعالىٰ عبادة يوم الحساب!

وعن أنَسِ بْنِ مَالِكِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في حَديثُ الإسراء الطويل، قالَ: فُرِضَتْ على النَّبِيِّ عَلَيْ الصَّلواتُ ليلةَ أُسريَ بِهِ خمسينَ، ثمَّ نقصتْ حتى جُعلتْ خمسًا، ثمَّ قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

« يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ؛ فَهِي خَمْسُونَ فِي أُمُّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ » (١).

وقالَ اللهُ تعالىٰ عن أهميةِ الصَّلاةِ وفرضيتها ووجوبها على كلِّ عبدر: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِم الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لِمُعِبَادِيَ اللَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ (٢٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَّهُ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنامِهِ الجهادُ»(1).

وقالَ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَأَنَّ الْمُ عَلَىٰ خَمْسِ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الْصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانٍ » ( ° ).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب دما جاء في قوله عز وجل: ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ النساه: ١٦٤.

<sup>(</sup>٢) سورة طه، الآية: ١٤. (٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٤) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب وما جاء في حرمة الصَّلاة ٥.

<sup>(</sup>٥) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب (بُني الإسلام على خمس،

والصَّلاةُ: هِيَ الصِّلةُ بِينَ العبدِ المسلمِ ورَبَّهُ جلَّ وعلا، وهي عبادةٌ اللهِ تعالىٰ مَخْصُوصَةٌ بفرائضٍ وسُنَنٍ؛ ذاتِ أقوالٍ، وأفعال معلومة؛ مِنَ القِرَاءَةِ، والتَّسْبِيحِ، والدَّعاءِ، والرُّكُوعِ، والسَّجودِ، والقيامِ، والجُلُوسِ، والاسْتِقْبَال لِلقَبْلَةِ، مُفْتَقَحَةٌ بالتَّسْليمِ، ولها شُرُوطٌ، وأرْكان، وواجبَات، وسُنَنَّ.

والصّلاةُ: واجبةُ بالكتابِ والسّنّةِ وإجماع الأُمّةِ؛ علىٰ كلّ مسلم بالغ عاقلٍ، ذكرًا كان أو أنثى، حُرًّا أو عبدًا، غنيًّا أو فقيرًا، مقيمًا أو مسافرًا، صحيحًا أو مريضًا؛ فلا تَسْقُطُ الصّلاةُ عن المسلمِ بأيّ حالٍ من الأحوال؛ إلاَّ أن يموت، أو يفقد العقل الذي هو مناطُ التّكليف، ولا تسقطُ حتىٰ في حال الخوف والمرضِ الشديد؛ فإنّه يصلّي علىٰ قدر استطاعته قائمًا، أو قاعدًا، أو مُضطجعًا؛ حتىٰ ولو لم يقدر أن يُصلّي إلاَّ بأنْ يُشيرَ بعينه، أو بقلبه فليفعل، ولا تسقطُ الصّلاةُ إلاَّ عن الحائضِ والنّفساء؛ حتىٰ يَطْهُرن، ولا تجبُ الصّلاةُ علىٰ المجنونِ، ولا علىٰ النائمِ ولا تجبُ الصّلاةُ علىٰ الجنونِ، ولا علىٰ الصبيّ حتىٰ يَبْلغَ، ولا علىٰ النائمِ حتىٰ يستيقظ.

والصَّلاةُ واجبةٌ خمسَ مرَّاتٍ في اليومِ والليلةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مُوْقُوتًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدَّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيمَةِ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) سورة البينة، الآية: ٥.

وقالَ النَّبِيُّ عَلَىٰ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله عَلَىٰ الْعِبادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ ، لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ . . . » (١٠).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْدَمَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ إِلَى اليَمَنِ عَاضِيًا، قَالَ لَهُ: «فَأَعَلِّمْهُمْ أَنَّ اللهُ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوم وَلَيْلَةٍ» (٢).

والصَّلاةُ: من أعظم أسباب دخول الجنَّة برفقة النَّبِيِّ عَلَيْكَ، وهي آخرُ وصيَّة وصيَّى بها النَّبِيُ عَلَيْكَ عند فراقه للدُّنيا، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرةَ في مرض موته، فكان يقولُ عَلَيْكَ: «الصَّلاَةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيَمانكُم »(٣).

والصّلاة: عبادةٌ مشتملةٌ على عمومِ أنواع العبوديَّة؛ من اعتقادِ في القلب، ونطقٍ في اللّسانِ - من قراءة وتسبيح وتهليل وتكبير - ومن عملِ بالجوارح كالركوع والسُّجود، وعلى الطهارة الحسية مِنَ النجاسات، والطهارة المعنوية مِنَ الشَّركِ والكفرِ.

والصَّلاة : صلة بين العبد وربّه تعالى تقف بين يديه - سبحانه - تناجيه ويُناجيك، تدعوه فيسمع لدعائك؛ فيجب أن يؤدّيها المسلم على طهارة، فيقف بين يدي ربّه كلّ يوم طاهرًا خاشعًا متذللاً يشكر الله على نعمِه، ويسألُهُ من فضلِه، ويستغفره من ذنوبه.

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الصلاة) باب ﴿ فيمن لم يوتر ﴾ . وصححه الألباني .

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الزكاة) باب و وجوب الزكاة».

<sup>(</sup>٣) رواه ابن ماجة في (كتاب الوصايا) باب ووهل أوىٰ رسول الله ﷺ . وصححه الألباني.

والصّلاة : مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان الذي يُصلى فيه، والطهارة من الأحداث، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم، والخشوع وحضور القلب فيه فريضة.

والصَّلاةُ: تدى بطهارة الجسد، وتنتهي بطهارة الروح والنفس؛ فمن أداها بحقها كان له عند الله تعالى عهد أنْ يُدْخِلُه الجنَّة، ومن لم يُؤدِّها لم يكن له عند الله تعالى عهد.

والصَّلاةُ: بخشوع القلب وتَذلَّله؛ تُقرِّبُ المسلمَ من ربَّه، وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وتكفر السيئات، ويغفر الله تعالىٰ بها الذنوب فيما بينهما وما قبلها، وذكر الله - عزَّ وجلَّ - في الصَّلاة؛ كالروح في الجسد.

والصَّلاةُ: نورٌ ونجاةٌ تُنِيرُ للعبد سبيله في الدُّنيا والآخرة، ويرفع الله تعالىٰ بها الدرجات ويحط الخطايا ويمحوها، وانتظارها رباط في سبيل الله، وهي سببٌ من أسباب نزول الرَّحمة مِنَ الله عزَّ وجلَّ.

والصَّلاة : شِعارُ المسلم، وعنوان المؤمن، وحناً رنا الله تعالى من إضاعَتِها، وذمَّ المضيعين لها والمتكاسلين عنها، وأخبر تعالى عن مصير من يضيعها، ومن فاتتهُ صلاةً؛ فكأنَّما وُيرَ أهلهُ ومالهُ.

والصَّلاةُ: أمرنا الله تعالى بتنشئة الصِّغار عليها، وضربهم عليها إذا بلغوا سنَّ العاشرة؛ إذ لم يحافظوا عليها.

والصّلاةُ: عونٌ للعبد على الشدائد والكُرُبات، والصبر على مشاقِ الحياةِ أمر لا يتحمله؛ إلاَّ المحافظون عليها، وكان النَّبِيُّ عَلَيْهُ إذا حَزَبَهُ أمرٌ، أو إذا نزلت بالمسلمين نَازِلَةٌ؛ صلَّىٰ، وكان يقول عَلَيْهُ:

« قُمْ يَا بِلاَلْ ؛ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ»(١).

والصَّلاةُ: فرضٌ علىٰ كلٌ مسلمٍ مع الجماعة في المسجد؛ إِلاَّ لعذرٍ شرعي، وأَفَضلُ صلاة المسلم في بيته إِلاَّ الفرائض الخمسة، وانتظار الصَّلاة بعد الصلاة؛ سببٌ لاستغفار الملائكة للمصلين.

- والصّلوات الرواتب؛ فيها فضلٌ عظيمٌ، وذلك أَنَّ الذي يُحافظُ علىٰ
   اثنتي عشرة ركعةً في اليوم والليلة؛ يُبْنىٰ لهُ قصرٌ في الجنَّة.
- وإسباغ الوضوء والمحافظة عليه؛ كفارة من الذنوب، ويخرج الخطايا
   من جسد، ويرفع الله تعالى به الدرجات.

والصَّلاةُ: آخرُ ما يُفقَدُ من الدِّين؛ فإذا ذهبَ آخرُ الدِّين لم يبقَ شيءٌ منه، وهي شِعارُ المسلم وعنوانُ المؤمن، وهي الفيصلُ بين المسلم والكافر.

وأَهلُ الإيمان الصَّادق: يدركونَ كلَّ هذه المعاني العظيمة والجليلة عن الصَّلاة؛ فهم من أحرص النَّاس على إقامتها، والخشوع فيها، والمحافظة عليها، ولذلك لا يسهون عنها البتَّة؛ بل يؤدُّونها في أوقاتها مع الجماعة في المساجد، ويقيمون أركانها، ويحملون نفوسهُم على الاهتمام بها، وبما ينبغي أن تتمَّ به أوصافها؛ لأنَّهم يفقهونَ قول الله تبارك وتعالى:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلُوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى مَا لَمْ تَكُونُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب ٥ في صلاة العتمة ، وصححه الألباني.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ – ٢٣٩

وقد وصف الله تعالى أهل الإيمان الصَّادِقِ في كتابه العزيز بهذه الصَّفةِ العظيمةِ الجليلة:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١).

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢).

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٣).

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (1).

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (°).

ووصفَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ حَالِ تَارِكِ الصَّلاَةِ يَومَ الْقَيَامَةِ:

﴿ كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ إِلاَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿ آَلَ فِي سَقَرَ جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ عَنِ الْمُحْرِمِينَ ﴿ وَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ عَنِ الْمُصَلِّينَ ﴿ وَ الْمُ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿ وَ اللَّهِ مَا الْمُصَلِّينَ ﴿ وَ كُنَّا نُكَذَّبُ بِيَوْمِ الدّينِ ﴿ وَ كُنَّا نُكَذَّبُ بِيَوْمِ الدّينِ ﴿ وَ كُنَّا نُكَذَّبُ بِيوْمِ الدّينِ ﴿ وَ كُنَّا نُكَذَّبُ بِيَوْمِ الدّينِ ﴿ وَ كُنَّا الْيَقِينُ ﴾ (1) .

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٣) سورة المعارج، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٤) سورة المعارج، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٦) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ - ٤٧.

٤- أهلُ الإيمان الصَّادِق؛ هُمْ أهلِ الأَعمالِ الصَّالِحةِ، والطاعةِ الْمُطْلَقَةِ، والعبادَةِ الخالصةِ للهِ تعالىٰ وحده لا شريك لَهُ سبحانه:

فمن صفات أهلِ الإيمانِ الصَّادقِ التي هي سببٌ لتوفيقهم، وسدادهم، وفلاحهم، ونجاحهم، ونجاتهم، وسعادتهم في الدَّارينِ، وفوزهم برضوان الله تعالىٰ، ثمَّ بجنَّةِ الفردوس الأعلىٰ، والحُلود فيها إلىٰ آبد الآبدين؛ ما يقومون به من الأعمال الصَّالحة، والعبادةُ الخالصة، والطَّاعةِ المطلقة لله تعالىٰ؛ كما وصفهمُ اللهُ تعالىٰ في كتابه العزيز في قولهِ:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُؤُمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالْصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالْصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْحَاثِمَاتِ وَالْحَاثِمَاتِ وَالْحَاثِمِينَ وَالْحَائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَعْفِرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

فهذه هي عَشْرُ صفات لأهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ؛ الذين يُعْرَفُونَ بها، ويتميَّزون بهذه الصَّفاتِ العزيزةِ والأَعمالِ الصَّالِحةِ عن غيرهم من عباد اللهِ تبارك وتعالى .

- فقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ أي: هُمُ الذين دخلوا في الإسلام دينُ الحقّ واعتقدوا به، ووحدوا الله تعالىٰ، وانقادوا لشرعه الحكيم انقيادًا تامًّا.
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتَ ﴾ أي: أنَّ ظاهرهم

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم سواء؛ لأنَّهم مع خضوعهم المطلق لله تعالىٰ ظاهرًا؛ فهم مؤمنون - أيضًا - بالقلوبهم باطنًا، ومصدقون بما يقولون، ويفعلون بما يومنون، لا كالمنافقين!

- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ القنوتُ هي دوام الطاعة،
   أي: أنَّهم مع إسلامهم وإيمانهم استقاموا علىٰ طاعة اللهِ تعالىٰ ورَسُولِهِ عَيْلَكُمْ.
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ أي: أنَّهم صابرون علىٰ طاعة رَبِّهم جلَّ في عُلاه وعلىٰ تركِ معصيته سبحانه رجالاً ونساءٌ، ولا شك أنَّ الصَّبرَ من أخلاق المؤمنينَ والمؤمناتِ الصَّادقينَ المتقينَ ؛ فهم صابرون علىٰ الطَّاعَةِ المطلقة ، وصابرون عَنِ المعصيةِ بجميع أنواعها وأشكالها ، وصابرونَ علىٰ المصائبِ والمحن، وهذه أنواع الصَّبْرِ الجميل ؛ فمن استكملها ! استكمل دينه وضمنَ آخرته ؛ بإذن الله تعالىٰ .
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ أي: أنَّهم خاشعون في طاعة رَبُّهم جلَّ وعلا وفي طاعة ورَسُولِهِ الأمين عَلَيْ والحشوع هو التُّواضع والذُّل والسُّكون والطمأنينة، وهذا الأمر يستلزم من القلب اللين التَّامُّ المنافي للقسوة؛ فخشوع القلب يتضمن عبوديته المطلق لربَّه جلَّ في عُلاه وطمأنينته، فهذا الأمرُ يكون بالتعظيم والإجلال الوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب له –سبحانه كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحباء والحباء، وشهود بنعم الله تعالىٰ، فبعدها يخشع القلب لا محالة! والحب والحياء، وشهود بنعم الله تعالىٰ، فبعدها يخشع القلب لا محالة! فيتبعه خشوع الجوارح، ولهذا كان الخشوع في الصَّلاةِ يتضمن هذا وهذا التَّواضع والسُّكون؛ فهم يؤدون صلواتهم في خشوع وخضوع وطمأنينة، وهم مع ذلك متواضعون في جميع أعمالهم غير متكبرين ولا فخرين،

- عملاً بهذهِ الآيةِ الجليلةِ، وعملاً بقول نبيّهِ عَلَيْ : «إِنَّ الله أَوْحَىٰ إِلَى أَنْ تَوَاضَعُوا ؛ حَتَّىٰ لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ (١٠).
- وقولُهُ تعالى: ﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ أي: أنَّهم مجتهدونَ في إعطاءِ الصَّدقةِ، وبذلِ الإحسان بالمالِ والنَّفسِ والجاهِ! أي: بالغالي والنَّفسِ؛ يتصدقون بكلِّ ما يستطيعون حسب طاقتهم وقدرتهم.
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ﴾ أي: أنَّهم يُعرفونَ بهذهِ العبادةِ العظيمة؛ التي هي آحدُ أركان الإسلام الحمسة، وسبب مباشر لتَّقوىٰ الله تعالىٰ؛ فالصَّومُ عبادة يَتَقَرَّب بها العبدُ الصَّالحُ إلىٰ الله تعالىٰ بترك محبوباته المجبول على محبَّتها من طعام وشراب ونكاح؛ لينال بذلك رضا ربَّهُ الكريم، والفوز بدار كرامته العظيم.
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ أي: أنَّهم لا يقعونَ في جريمةِ الزِّنا البيَّة، ويحفظونَ فروجَهُم مِنَ الوقوعِ في هذا العملِ القبيح الفاحش؛ الحرَّم في جميع الشرائع السَّماوية.
- وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتَ ﴾ أي: أنَّهم مجتهدون بهذه العبادة العظيمة، ويُعرفون بكثرة ذكرهم لله تعالىٰ، ورطب لسانهم بذكره سبحانه وتعالىٰ في كلّ وقت، وفي كلّ مكان؛ حتى السانهم بذكره سبحانه وتعالىٰ في كلّ وقت، وفي كلّ مكان؛ حتى إذا جاءت لحظة فراقهم؛ فإذا هم ينطقون: بلا إله إلا الله، وتكون هذا هو آخر كلامهم؛ فهنيئًا لمن وفقه الله تعالىٰ لذلك، وختم له بخاتمة السُّعداء.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها) باب «الصَّفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنَّة وأهل النّار».

وكذلك وصفهم الله تعالى في صدر «سورة المؤمنون» من خشوع في الصلاة؛ الذي هو حضور القلب، والإعراض عن اللَّغو؛ وهو الكلام الذي لا خير فيه، ومن أداء زكاة أموالهم، وعدم وقوعهم في الزِّنا وما شابهها، ومراعاتهم لا ماناتهم التي هي حق الله تعالى، ثمَّ إقامتهم لصلواتهم التي هي المداومة عليها في أوقاتها، ومراعاة حُدُودِهَا وشروطها وأركانها.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَهُ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ فَلَا اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ اللَّهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ أَلْدُينَ هُمُ الْوَارِثُونَ فَي وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ وَ أَلْدُينَ هُمْ الْوَارِثُونَ الْفِرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٠).

وجاءَ وصفُهُمْ - أيضًا - في سورة الذَّارياتِ في قولِهِ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ أَمْوالِهِمْ حَقِّ لِللسَّائِلِ وَبِي الْمُوالِهِمْ حَقِّ لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢). وغيرها من الآيات في كتابه العزيز.

١١ – ١ ) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١

<sup>(</sup>٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٩ - ١٩

٥- أهلُ الإيمان الصَّادِقِ: من صفاتهم الخوفُ من الله عزَّ وجلَّ:
 ومن صفاتهم العزيزة العظيمة الجليلة؛ الخوفُ مِنَ اللهَ تبارك وتعالىٰ.
 والحَوْفُ محلُهُ القلبُ، وآثارهُ تكونُ علىٰ الجوارح.

وحقيقة الخَوْفِ هو الفَزَعُ، وتألَّمُ القلبِ بِسَبَبِ تَوَقَّعِ عقوبة، أو مكْروهِ عن أمارة مظنُونة، أو معلومة، وهو اضطرابُ القلبِ وحركتُهُ من تذكِّرِ الْمَخوف، والهَرَبُ منه عند استشعارهِ. ويُضادُ الخَوْفُ الأَمْنَ.

والحَوْفُ، والوجلُ، والخشيةُ، والرَّهبةُ؛ أَلفاظٌ متقاربةٌ غيرُ مترادفةٍ.

والخَوْفُ مِنَ اللهِ تعالى: هو عبادة جليلة تَعَبَّدَ اللهَ تعالى بِهِ جَميعَ عبادِهِ مِنَ اللهِ تعالى بِهِ جَميعَ عبادِهِ مِنَ الملائكةِ المقرَّبينَ والأنبياءِ والمرسلينَ وسائرِ عبادِهِ الصَّالحِينَ، وهو من أَهمِّ العباداتِ وأَنفعِها للقلبِ، وهو كالسِّراجِ لَهُ؛ به يُبْصِرُ ما فيه الخَيْرُ والشَّرُ، وهو القَرَعُ عَن وإذا خَلا القلبُ منه خَرِبَ، وهو الذي يَصِحُ به الإيمانُ، وهو الوَرَعُ عَن الآثام ظاهرًا وباطنًا، والذي يحُولُ بين صاحِبِهِ، وبينَ محارم الله تعالىٰ.

والخوفُ مِنَ اللهِ تعالىٰ: هو الخوفُ المحمودُ، وهو المطلوبُ من كلِّ عبادِه - سبحانه - أَن يخافُوا الله وحدهُ، وأَنْ لا يخافُوا أحدًا سِواهُ، ويخافون شديد عذابِه وعيده للعصاة والكافرين والمشركين، وهذا هو خوفُ تَأَلُّه وَتَعَبُّد، وتقرُّب الخائِفُ بذلك إلىٰ مَنْ يخافُهُ.

وهذا النَّوعُ يعتبرُ من أعلى مراتب الإيمانِ ؛ فالخوفُ الحقيقيُّ هو الذي يجعَلُ العبدَ أَن يقومَ بحدودِ الله تعالىٰ ، ويكونُ حائلاً بينه وبينَ مُحرَّماتِ اللهِ تعالىٰ ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِين ﴾ (١).

وأَخبرَ الله له سبحانه وتعالى - بأنَّ أَعْبَدَ الحُلقِ لَهُ، وأَكمَلَهُمْ إِيمانًا هو أَخْوَفُهُمْ مِنَ اللهِ - جلَّ في عُلاه - وأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مَّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ اللَّهَ وَيَتَّقَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ اللَّهَ وَيَتَّقَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٣).

والخوف من الله تعالى: هُوَ صفة أولياءه وصفوة عباده مِنَ الملاثكة المقرّبين، والآنبياء والمرسلين، وساثر عباده المتقين الصّالحين العاملين، ولا أدَلَّ على فضل الخوف مِن الله تعالى من أنّه يدفع بصاحبه إلى البر والاحسان والطّاعات بجميع أنواعها، وإذا استقرّ في القلب أحرَق مواضع الشّهوات منها، وطرّد الدّنيا وزينتها عنها.

والعجيبُ! في مسألةِ الخوفِ من اللهِ تعالىٰ؛ إِنَّ كلَّ شيءٍ إِذَا خِفْتَهُ هرَبْتَ إِليه، وطلبْتَ رحمتَهُ وعفوهُ ومغفرتَهُ؛ لأنَّه رَبِّ غفورٌ رحيمٌ، وفي العطاء جوادٌ كريمٌ قديرٌ، وبالإجابة جَديرٌ، وبعباده رؤوفٌ رحيمٌ.

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٩.

 <sup>(</sup>٣) سورة نور، الآية: ٥٢.

ومن هنا كان من صفات أهل الإيمان الصَّادِق؛ الخوفُ من اللهِ تعالىٰ والوَجَلُ عند ذكره سبحانه، وذلك لقوّة إيمانهم، ومراقبتِهم لربّهم - جلّ في عُلاهُ - وكأنّهم واقفون بين يَدَيْهِ - جلّ وعلا - لأنّ الخوف من عظمة الله - جلّ جلاله - لا يفارق قلوبهم، ويعلمون أنّ الله تعالىٰ هو الغنيّ، وما سواه فقيرٌ إلىٰ رحمته، وهو القويُّ، وما سواه عاجزٌ، وهو العالمُ المطّلعُ علىٰ خفايا النّفوس، وما سواه جاهلٌ لا يحيطُ بشيء من علمه.

وأهلُ الإيمان: إذا ذكرُوا الله وحدَه؛ فَزِعَتْ قلوبهم، واضطربت نفوسهُم، واقشعرَّت جلودُهُم، وخشعت أصواتُهم؛ استعظامًا الأمره، وتهيبًا لجلاله، وعزةً لسلطانه، وحذرًا من أليم عقابه.

وإذا ذكروا كمالَ رأفة الله تعالى، وسعة رحمته، وجزيل ثوابه، وكبير عطائه لعباده؛ اطمأنَّت قلوبهم بالرَّجاء، ولانت جلُودُهم، وانشرحت صدورهم، وفرحت نفوسهم.

فقلوبُ أهل الإيمان الصَّادِقِ: وجلةٌ بذكر الله تعالى إذا ذُكر جلالُهُ وسطوتُهُ وعقابُهُ، ومطمئنَّةٌ إذا ذُكرت رحمتُهُ وجزيلُ ثوابِهِ؛ فهذه حال العارفينَ بالله تعالىٰ الخائفينَ من آليم عقابه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أَنُ اللَّهُ مُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أَنُ اللَّهُ اللَّهُ مُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

 <sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِهِم مُّشْفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمُّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبُّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿ وَأَمُّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبُّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿ (٢) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكِّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿ إِلَى اللَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكُّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿ إِلَى اللَّذِينَ يُصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ يَعْشُونَ الْمِيشَاقَ ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشُونَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشُونَ اللَّهُ مِنْ الْحِسَابِ ﴾ (٥).

<sup>(</sup> ۱ ) سورة المؤمنون ، الآيات : ۷ه ــ ۲۰ .

 <sup>(</sup>٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ - ٤١
 (٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الرعد، الآيات: ١٩ - ٢١ .

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

## ٦- أَهلُ الإِيمان الصَّادِق : من صفاتهم عدمُ الشُّكِ في إِيمانهم :

ومن صفات أهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ عدمُ الشَّكُّ فيما آمنوا به؛ ممَّا أُوجبَ عليهم دينهُمُ العظيمِ وشرعهمُ الحنيفِ، وذلك لكمال إيمانهم الصَّحيحِ الصَّادِقِ القائم على العلم المستقىٰ من الوحيينِ الشَّريفينِ، وبإخلاصِ نياتهم لله تعالىٰ وحده لا شريك له، وبأعمالهم الصَّالحة الموافقة لهدي النَّبِيُ عَلَيْ وسُنَّتِهِ المطهرة، ولصلاح قلوبهم وإعمارها بذكر الله تعالىٰ وتقواه والعملِ برضاه، وسلامته من الشرِّ والظَّلالةِ والبدعِ بجميع أنواعها وأشكالها وألوانها، وعمرانه بالصّدة والخير والإحسان والصلاح والهداية؛ الذي يجعله حِصْنًا حَصِينًا وسدًا منيعًا من جميع أنواعِ الشَّك والشَّركِ والضَّلالة، والأفكار الخبيثة الأثيمة الفاسدة والمفسدة.

لأَنَّ الشَّكَ والوهم والتردُّد، وعدم اليقين، وعدم الجزم، وعدم القطع، فكلَّ هذه الأُمورِ مِنَ الظُّنونِ وثمَّا تهوى به الأَنفس؛ التي هي من عمل الشَّيطان ووساوسه ومن حيليه وخُطواطه وخطراته ومكائده، وليس من صفات أهل الإيمان الصَّادِقِ البَّة، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانِ إِن يَتَبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النجم، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٢) سورة النجم، الآية: ٢٣.

فالإيمانَ النَّافعَ الصَّادقَ هو الجزمُ اليقينيُّ؛ بما أمر اللهُ تعالىٰ بالإيمان به، والذي لا يعتريه شك بوجه من الوجُوه، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (`` .

أي: أنَّ الإيمان الصَّادق الذي معهم دفع الرَّيب والشَّك الموجود في قلوبهم، وأَزاله بالكلية منها، وقاوم جميع الشُّكوك والظُّنون التي تلقيها شياطين الإنس والجنَّ، والنُّقوسِ الأَمَّارة بالسُّوءِ؛ فليس لهذه العلل المهلكة دواء؛ إلا تحقيق الإيمان الصَّادق في قلب العبد المؤمن، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكَة :

 « لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ ! حَتَّىٰ يُقَالَ : هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ؛ فَمَنْ خَلَقَ الله ؟ (٢) .

 خَلَقَ الله ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؛ فَلْيَقُلْ امَنْتُ بِالله ﴾ (٢) .

وقالَ ﷺ : ﴿ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ! فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّىٰ يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهَ ﴾ (٢) .

وبهذا بَيَّنَ عَلَي الدُّواءَ النَّافع لهذا الدَّاء المهلك، وهي ثلاثةُ أشياءٌ:

- الانتهاءُ عن الوساوس الشُّيطانيَّة.
- الاستعادة من شرّ من ألقاها وشبّه بها؛ ليضل بها العباد.
- الاعتصام بالإيمان الصّادق الذي من اعتصم به كان من الآمنين من جميع الشُّرور ؛ بإذن واحد الأحد سبحانه وتعالىٰ.

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب دبيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله مَن وجدها.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب بدء الحلق) باب وصفة إبليس وجندوه ، .

وحقيقة الإيمان الصَّادِق: هو الإيمان بالله تعالى ربًّا وإلهًا، وبالدَّارِ الآخرةِ أمرًا واقعًا لا محال، وبالقرآن العظيم كتاب الإسلام منزلاً للعمل به.

والقُرآن الجيدُ؛ هو مصدر الإيمان الصَّادق، والاعتقاد الحقّ، واليقين الخالص، والثَّابت الصَّادق، وإخلاص النيَّة، والتقوى الله، والخشوع له، والخوف منه، ورجاء رحمته – سبحانه وتعالىٰ – لأنَّ هذا الكتابُ الكريم مشتمِلُ علىٰ ما لم تشتمل عليه كتبُ الأولين من العلم اليقين، والحقّ المبين؛ فلا ريب فيه ولا شكَّ بأيِّ وجه من الوجوه، ولنفي الرَّيب عنه يستلزمُ ضدَّه، وضدَّهُ هو اليقينُ الصَّادق، قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الَّهَ حَلَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

إِذِن! الإيمان الصَّادق هو حقائقٌ وعقائدٌ تستقرُ في سويداء القلب، وينطقُ بِهِ اللَّسان إِقرارًا، وتعمل بموجبه جميع الجوارح بالأعمال الصَّالحة المامورة به شرعًا، وهذا الإيمان له نور وحلاوة يقذفها الله تعالى في قلب من يشاء من عباده الصَّادقين الصَّالحينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنُ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة ، الآيتان : ١ - ٢ .

<sup>(</sup>٢) سورة السجدة، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

وبسبب كمال إيمان أهلِ الإيمانِ الصَّادقِ، وبصالحِ أعمالهم خالصة؛ أنزلَ الله تعالىٰ علىٰ قلوبهم اليقين، والطمأنينة، والسَّكينة، والثبات، وأزالَ عنها الشَّك والظنون والوساوس، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُومِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ حاكيًا عن صفة دعائهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لِأَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٠).

ومثل هذا الإيمان الصَّادِقِ هو الذي يُشْمِرُ اليقينَ الكاملَ الثابتَ المنافي للشَّكِّ - الذي لا ريبَ فيه ولا تردُّد - والعقائدُ الحقَّةُ الصَّادقة، والأعمال الصَّالحة، والعواطف السَّليمة، والإرادات الطيّبة، والأفكار الخيِّرة والنيِّرة.

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأُمَّةِ المرحومةِ! أَنَّهُ - سبحانه وتعالى - تجاوز لها عمَّا حدَّثت به نفسها ما لم تتكلم أو تعمل به ؛ إلاَّ إذا أصبحت هذه الشُّكوك والظُّنون والوسَّاوس والرَّيب عقيدة تبنى عليها إيمان العبد، فهنالك تكون الخطورة التي قد تذهب إيمان العبد بالكليَّة، أو إذا انعقد العزم عليها سلوكًا! فتضعف الإيمان الصَّادِق وتمرضه، ثمَّ تقض عليه.

<sup>(</sup>١) سورة الفتح، الآية: ١٨

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ٩.

## ٧ - أَهِلُ الإِيمَان : من صفاتهم طاعةُ الله تعالى وطاعة رسوله على :

ومن الصّفاتِ العزيزة الكريمة لأَهلِ الإيمانِ الصّادِقِ: طاعةُ الله - عزَّ وجلَّ - وطاعةُ رسُولِهِ الكريم عَلَّةُ المطلق، والتَّسليم التَّامُ لهما في كلِّ صغيرة وكبيرة، واجتناب ما نهيا عنه وما زجرا، وأنَّهم يُقدِّمونَ طاعتهما ورضاهُما على كلِّ شيء مهما كان أمره، وأنَّهم يَردُّون الأَمرَ إليهما عند النَّزاع والخلاف، ولا يتقدمون على أمرهما البتَّة، ويعتصمُون بكتاب الله تعالى، وبسنَّة نبيَّه الأَمين عَلَيْ وشعارهم: آمنًا وصدَّقنا، سمعنا وأطعنا.

لأَنَّ الله تعالىٰ قد أرشد عباده إلىٰ طاعته - جلَّ في عُلاه - وطاعة رَسُولِهِ الصَّادِقِ عَلَيْكُ ، قالَ الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الآخِر ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأُويلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسلَّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَولَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمَّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمَّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٢).

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ في كتابه العزيز علىٰ مَن أطاعَهُ وأطاعَ رسولَهُ عَلَيْكُ وَوَعَدَهُمْ بحُسن العاقبةِ، وأن يرضىٰ عنهم ويُدْخِلَهُمُ الجنَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجُهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ( \* ) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ( ° ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٩٢

<sup>(</sup> ٣ ) سورة البقرة، الآية : ١١٢

<sup>(</sup> ٥ ) سورة النساء، الآية: ١٣

<sup>(</sup> ٢ ) سورة النور ، الآية : ٤ ٥ .

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَوْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ومن هذا المنطلق العظيم الجليل! فأهل الإيمان الصَّادِق؛ يحرصون كلُّ الحرص على تحقيق طاعة الله تعالى وطاعة رسوله عُلِك في كلّ صغيرة وكبيرة، وامتثال أمرهما امتثالاً صادقًا خالصًا، وترك ما نهيا عنه وزجرا؟ قولاً وفعلاً، اعتقادًا ودعوةً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْحِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبينًا ﴾ (٣).

هكذا يكون الامتثال الصَّادق الحقيقى: ليس لهم الخيرة! بل عليهم الامتثال الكامل، والتُّسليم التَّامّ، فهذا هو حقيقة الطَّاعة المطلقة.

مباشرٌ للحياة الحقيقية، حياة الإيمان والهدى والرُّشاد والعرَّة والسُّعادة والتَّوفيق والسَّداد والنَّجاح والفلاح، وحُسن العاقبة في الدَّارين.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (١).

وقالَ تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ ( ° ) .

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ١٥. (١) صورة التوبة، الآية: ٤٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الرعد، الآية: ١٨.٠٠ (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٥) سورة الكهف، الآية: ٨٨.

وأخبر الله - جلّ في عُلاه - في كتابه الكريم؛ أنّ ما عنده من الثّوابِ في دارِ الآخرة خير وأبقى لأهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ الذين من صفاتهم الرئيسة الاستجابة لرّبهم الحكيم، وذلك باتّباع رَسُولِهِ عَلَيْ وطاعة أمرهِ واجتنابِ نهيهِ، مع توكلهم الحقّ على الله تعالى، وبعدهم الصَّادق عن الكبائر والفواحش، وإقامتهم الخاشعة للصَّلاةِ، وإحسانهم الخالص إلى خلق الله تعالىٰ بالمالِ والعفو والحلم وكظم الغيظ عند الغضب، قال الله تعالىٰ:

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِوا لِرَبِّهِمْ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَالْفَوَاحِشَ وَاللَّهِ مَنْ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

ومن طاعة الله تعالى الصَّادقة؛ طاعة رَسُولِهِ الأمين عَلَيْكُ واقتداء بهديه والتَّمسك بسُنَّتِهِ المطهرة؛ ففي طاعتهما الخير العاجل والآجل؛ خير الدُّنيا وخير الآخرة، ولذلك رتب الله تعالى على الإيمان الصَّادق، والعمل الصَّالح! الحياة الطَّيبة الكريمة، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرِ أَوْ أُنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُوْزَقُونَ فِيهَا بِفَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الشورئ، الآيات: ٥٥ - ١٠.

 <sup>(</sup> ٢ ) سورة غافر، الآية: ١٠ .

وأمًّا الذين يأْخذونَ بعضًا من أوامر الله تعالى ويتركونَ بعضًا؛ كما يهوىٰ لهم أَنفسهم! فهؤلاء لم يمتثلوا لطاعة الله تعالى وأَمره حقًا وصدقًا؛ فيصدق عليهم قولهم هذا كمقالة اليهود التي قصها الله تعالى علينا؛ حتى نحذر منها ولا نقع فيها، وتوعد على ذلك، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدُّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠).

وأمًّا الذين لم يستجيبوا لله تعالى ولم يطيعوه سبحاته؛ فإنَّ أمرهم جسيم، وعاقبتهم وخيم، ومصيرهم مؤلم، ومأواهم في الآخرة جهنَّم بعد سوء الحساب حين يناقشون الحساب، ومن نوقش الحساب عُذَّب؟ يحاسبون على أعمالهم جليلها وحقيرها، ثمَّ يستقرون في النَّار وبئس الفراش والمهاد لهم – والعياذُ باللهِ – ويودون لو يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله تعالى بملئ الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة، ولكنَّ لا يتقبل منهم ذلك البيَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولُتِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٢).

وقد ذُمَّ الله تعالىٰ في كتابه العزيز؛ الذين عصوا أمرَه وأمر رسوله عَلَيْ ووعدهُم بسوء العاقبة، وأنَّها إلىٰ سخط الله ونار جهنَّم، قال الله تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ١٨.

﴿ وَمَن يَعْص اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدُّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَثِنْدِ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بهمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِق الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلاً ﴾(1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾ (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ باللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾(١).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

<sup>(</sup>٥) سورة الأحراب، الآية: ٦٦.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

<sup>(</sup>٦) سورة الفتح، الآية: ١٣.

# ٨- أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادِق : من صفاتهم الإِخلاصُ للهِ تعالىٰ :

ومن الصِّفاتِ الملزمةِ لاَ هلِ الإِيمانِ الصَّادِقِ: الإِخلاصُ لله تعالىٰ في الأَمرِ كله، أَي: أَنَّهم يُخلصونَ دينهُمُ الحقِّ للهِ تعالىٰ، ويعبُدُونَ اللهَ وحده، ولا يُشركُون به أَحدًا كائنًا مَن كان، ويُخلصُونَ نيَّاتهم للهِ تعالىٰ وحده؛ خالصةً من جميع شوائب الشِّرك، ودرَن الرِّياء والسُّمعة، واتِّباع الهوى والنَّفس الأَمارَة بالسُّوء؛ لأَنَّ الله – سبحانه وتعالىٰ – وحده لا شريك له هو المستحق للعبادة والسَّمع والطَّاعة المطلقة.

وصفةً إخلاص الدّين لله تعالىٰ – عند أهل الإيمان – يقومُ علىٰ أمرين عظيمين؛ لا بُدُّ أَن يتوفّرا في كلّ عملٍ، وإِلاَّ لا يُقْبَلُ عندَ اللهِ جلَّ وعلا:

\* أَن يكونَ العملُ خالصًا لوجه الله تعالىٰ، أي: تجريدُ الإخلاص.

\* أَن يَكُونَ مُوافقًا لِمَا شَرَعَهُ الله تعالىٰ، أَي: تحقيقُ المتابعة .

• الإخلاص: هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وهو عمل قلبي لا يطلع عليه أحد إلا العبد وربعه أساس العبادة وروحها، وهو الميزان لقبول العمل ورده، وللثواب والعقاب، وهو الضمانة الكبرى ضد الشرك بأنواعها، وبه تهون المصاعب على النفس، وبدوام الإخلاص يحصن العبد نفسة من تستلط شياطين الجن والإنس ووساوسهم، وبه يَنال العبد رضى الله تعالى، وجنة الحلد والنعيم الدائم.

ومعناه هو أن يقصد العبد بجميع عبادته؛ القوليَّة والفعليَّة، الظاهرَة والباطِنَة؛ وجه الله تعالى وحده دون سواه كاثنًا من كان، والدار الآخِرة، أي: أن تكون العبادة خالصة لوجهه الكريم؛ لأنَّ الله - جلَّ في عُلاه - قد

أَمرَ عباده المؤمنينَ في كتابه العزيز؛ بالإخلاص له في القول والعمل، وحذَّرَ - سبحانه - من الرِّياء والشُّرك فيهما، فقالَ تَباركَ وتَعالىٰ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (١).

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ (٢).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحُمْدُ لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

وقالَ تَعالَىٰ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مُمَّنْ أَسْلَمَ وَجُهُهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَالَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة البينة، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup>٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

<sup>(</sup>٧) سورة المنكبوت، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٤) سورة غافر، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٦) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَسُرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

• موافقة الشَّريعة: هي عبادة اللهِ - تبارك وتعالى - بما شَرَعَهُ على للسَانِ رَسُولِهِ محمَّد عَلَيْ ، وهذا يقتضي أَنَّ تكونَ العبادة في وقتِها وصفَتِها ؟ موافقة لما جاء بِهِ النَّبِيُ عَلَيْ وأَمَرَ، من غير زيادة ولا نقصِ .

أي: هي مُتابعةُ الرَّسُولِ عَلَيْ في كلَّ صغيرة وكبيرة ، بأنْ يُعْبَدَ الله تعالىٰ بما شَرَعَ، وطاعَتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخبَرَ، وأنْ تكونَ العبادةُ موافقةً - مكانًا وزمانًا - لِمَا أَمَرَ به رسُولُ اللهِ عَلَيْهُ ، واجتنابُ ما نَهَىٰ عنه وزَجَر، وأن لا نتحاكم إلىٰ غيره، ولا نرضىٰ بحكم غيرِه، قالَ اللهُ تَعالىٰ:

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (\*).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

<sup>(</sup>٥) سورة النساء، الآية: ٨٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُكُ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدِّي (``. وقالَ ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدِّي (``.

وقالَ ﷺ: « فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْي هَدْي مُحَمَّدٍ، وَخَيْرَ اللهَدي هَدْي مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةً ( ٣ ).

فإذا اختلَّ واحدٌ من هذينِ الشَّرطينِ في عبادةِ العبدِ لربَّهِ تعالىٰ لم تصحُّ عبادتُهُ؛ فإنَّها إنْ خَلَتْ مِنَ الإِخلاصِ كانتْ رياءً! وهو الشَّركُ الأَصغرُ، وإنْ خَلَتْ مِنَ المتابَعةِ كانتْ ابتداعًا مردودًا!

وأهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ عندما يعملُونَ الصَّالحات بإخلاصٍ لله تعالىٰ وحده؛ يَصْحَبُونها بالخوف منه - سبحانه - ولا ينتظرونَ من أحد جزاءً ولا شُكُورًا، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿ إِنَّمَا لَطُعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن لَطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن وَبَنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الصلح) باب وإذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود».

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الأقضية) باب و نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٤.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الجمعة) باب و تخفيف الصلاة والخطية ٥.

 <sup>(</sup>٤) سورة الإنسان، الآيات: ٨ - ١١.

## ٩ - أَهَلُ الإِيمَانِ الصَّادِق : من صفاتهم الصَّبرُ في اللهِ تعالىٰ :

ومن الصِّفاتِ الكريمةِ التي تميزُ بها أهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ عن غيرهم:

التحلّي بالصّبر الجميل في سبيل الله تعالىٰ؛ على نعمه التي أسبَغَها عليهم ظاهرًا وباطنًا، وعلى المصائب والبلايا التي تحيق بهم في الحياة الدُّنيا، وكذلك الصّبر عن شهوات النَّفس من متاع الدُّنيا وزينتها وفتنها، والصّبر على طاعة الله، والقيام بواجب العبوديَّة له - جلَّ وعلا - والصّبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالىٰ، والجهاد في سبيله، وما يَحُفُ بها من متاعب والام ؛ تَضْعُف عن حملها صفوة الرِّجال ؛ إلاَّ من رحم الله .

لأنهم يعلمون أنَّ الصَّبْرَ في سبيل الله هو من صفة الأنبياء والمرسلين، ومدارُ نجاح دعوتهم في تبليغ رسالات الله تعالى وشرعه الحكيم، ويعلمون أنَّه ضرورة لازمة للعبد ليبلغ آماله، وتنجَحَ مقاصدُه؛ لأنَّ أهلَ الإيمان الصَّادِقِ ينشُدُون جنة النَّعيم، وهي هدفهم الأسمى وغايتهم العُليا، والجنَّة هي سلعة الله الغالية؛ فلا بُدَّ لها من الشَّمن؛ فمن صَبَرَ ظفر.

ومن هذا المنطلق الجليل؛ فإنهم أشدُ عباد الله تعالى تعرَّضًا للأذى والحن والابتلاء والمصائب في أموالهم وأنفسهم؛ لأنَّ أشدَّ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثلُ فالأمثل؛ كما أخبرَ عن ذلك الصَّادقُ المصدُّوق عَلَيْكُ .

• والصَّبْرِ: يعني الحَبْسَ والكَفَّ، ومنهُ قولُهُم: قُتِلَ فُلانٌ صبرًا؛ إِذَا أُمْسِكَ به وحُبِسَ ثمَّ قُتِلَ. والصَّبْرُ نقيضُ الجَزَعِ، والتَّسخُطِ، والتَّذَمُّرِ، والتَّسَكِّي. أَي: هو حَبْسُ النَّفْسِ علىٰ الْمَكْروهِ، أَو مَا فيه مشَقَّةً، أَو أَلمَّ، أَو أَلمَّ، أَو أَدَى؛ انتظارًا لوَعْدِ اللهِ – جلَّ وعلا – الحقّ، ورضاهُ سبحانه وتعالىٰ.

- والصَّبْرُ الجميلُ: يقتضِي ثلاثةَ أُمورٍ، وَهِيَ:
- \* حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، والتَّسخُّطِ، والتَّذَمُّرِ.
  - \* حَبْسُ اللَّسانِ عَن الشُّكُويٰ .
- \* حَبْسُ الجوارح عَنْ ما لا يُحبُّه الله تعالىٰ، ويُغضبُهُ.

فالصَّبْرُ: هو حَبْسُ النَّفسِ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ، وكفُّها عن المعاصي والمحرَّمات، والرّضىٰ بقضاءِ اللهِ تعالىٰ وقدرِهِ، والتَّسليمُ المطلقُ لَهُ سبحانه.

• والصّبْرُ الجميل: يُعَدُّ من أهمٌ مقاماتِ التّوحيد؛ لأنَّ العباداتِ كلَّها لا تقومُ إلاَّ على الصّبْرِ، وهو مِنَ الإيمانِ بمنزلَةِ الراْسِ مِنَ الجَسدِ، وأنَّ الإيمانَ نصفُهُ صَبْرٌ، ونصفُهُ شكرٌ، والصّبْرُ إذا اقْتِرَنَ بالمصيبةِ حَوَّلَهَا إلىٰ نِعْمَةِ الإيمانَ نصفُهُ صَبْرٌ، ونصفُهُ شكرٌ، والصّبْرُ إذا اقْتِرَنَ بالمصيبةِ حَوَّلَهَا إلىٰ نِعْمَةِ يُكَافَأُ صَاحِبُهُ عليها، ولعظيمِ مَنْزِلَةِ الصّبْرِ في الشَّرْعِ؛ فقد ورَدَ في القُرآنِ يُكافئُ صَاحِبُهُ عليها، ولعظيمِ مَنْزِلَةِ الصّبْرِ في الشَّرْعِ؛ فقد ورَدَ في القُرآنِ أكثرَ من تسعينَ موضعًا، وهو واجبٌ على كلٌ مسلم بإجماع الأمّة.

# • وشُروطُ الصَّبْرِ الجميلِ، هي :

الإخلاصُ في ابتغاءِ وجهِ اللهِ تباركَ وتعالى، وعدمُ الشَّكُوىٰ مِنِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ، وأن يكونَ الصَّبْرُ في أوانِهِ، وفي زَمَنِ وقُوعِهِ.

### • وللصِّبْر آدابٌ؛ ذكرها العلماءُ من أهمُّها:

احتسابُ الأجرِ مِنَ اللهِ تعالىٰ، وَعَدَمُ الحوفِ إِلاَّ مِنْهُ - سبحانه - وَعَدَمُ الحوفِ إِلاَّ مِنْهُ - سبحانه - وَعَدَمُ الشَّكوىٰ والجزعِ، ودُعَاءُ اللهِ تعالىٰ، وسؤالُ الفَرَجِ وانتظارُهُ، وثباتُ القلبِ وعَدَمُ اضطرابِهِ، وتَلَقّي المصائب بالرَّحْبِ والسَّعةِ، وبسُكُونِ المقلبِ وعَدَمُ اضطرابِهِ، وتَلَقّي المصائب العِظام، والاسترجاعُ عند وقوعِها، الجوارِح واللَّسانِ، ومصابَرَةُ المصائب العِظام، والاسترجاعُ عند وقوعِها،

وتحمُّلُ الآلامِ والمشقاتِ، والتأنِّي وعَدَمُ المَلَلِ والغَضَبِ، وأَن لا يظهرُ أَثرُها على المَّسَابِ، وأَن لا يظهرُ أَثرُها على المصابِ، وكتمُها وعَدَمُ إِظهارِهَا مِنْ كُنُوزِ البِرِّ، وأَن يَتَذَكَّرَ مَن هو أَشَدُّ بلاءً، وأعظمُ محنةً منهُ، ومثابَرَةُ انجازِ الأعمالِ والمواظبةُ عليها، وتركُ المعاقبةِ والانتِقَامِ، والبُعْدُ عَنِ الأهواءِ والشَّهَوَاتِ.

• والصَّبْرُ ثَلاثَةُ أَنواعٍ، وَهِيَ:

\* الصَّبّرُ على الطَّاعاتِ والعباداتِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجُهَهُ وَالْغَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجُهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْهُ عَن ذِكْرِنَا وَالبَّعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (١).

\* الصَّبْرُ عَن المعَاصِي والْمحرَّمَاتِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَعُوسٌ كَفُورٌ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿ فَهُ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَعْفِرةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢).

\* الصَّبْرُ على امتحانِ اللهِ تعالى، وهو الصَّبْرُ على أقدارِ اللهِ تعالىٰ الْمُؤْلِمَةِ مِنَ المصائِبِ وَالْمِحَن، والتَّسليمُ المطلَقُ لها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة هود، الآيات: ٩ - ١١ .

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

• والصَّبْرُ ثلاثةُ مراتب، وَهِيَ:

\* صَبْرٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، أَي: الاستَعَانَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُو المُصَبِّرُ، وأَنَّ صَبْرَ العبدِ برَبِّهِ لا بِنَفْسِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (١).

\* صَبْرٌ للهِ تعالىٰ، أي: الصَّبْرُ لوجهِ اللهِ تعالىٰ والتَّقرُّبُ إِليه تعالىٰ، وطلبُ رضاهُ وَجَنَّتِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٧٠).

\* صَبْرٌ مِعَ اللهِ تعالىٰ، أَي: الصَّبْرُ مِع شَرْعِ اللهِ في تنفيذِ أحكامِهِ، وإقامَةِ حُدُودِهِ، وتطبيقِ أوامرِهِ، واجتنابِ نَواهِيهِ، والعيشِ في ظلالِهِ؛ برضا القلبِ والجوارِحِ، وهذهِ المرتبةُ من أصعبِ مراتب الصَّبْرِ، وهو صَبْرُ القلبِ والجوارِحِ، وهذهِ المرتبةُ من أصعبِ مراتب الصَّبْرِ، وهو صَبْرُ الصَّدِيقِينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِينِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْكِتَابِ وَالنَّبِينِ وَالْمَالِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الرَّكَاةِ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ الرَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْمَا اللهُ اللهُ مَنْ الْمُتَقُونَ لَهُ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

<sup>(</sup>٢) سورة رعد، الآية: ٢٢.

٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وقد أَمَرَ اللهُ تعالىٰ عبادَهُ المؤمنينَ الصَّادقينَ الموحَّدينَ بالصَّبْرِ، وأَمَرَهم بالاستعانة به - سبحانه - فقالَ تعالىٰ:
﴿ فَاصْبُرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْم مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابرِينَ ﴾ (٢) .

• وأَخبرَ الله تعالىٰ أنَّه يحبُّ الصَّابرين، وأنَّهُ معهم أين ما كانوا، ينصرُهُم ويُثَبِّتُ أَقدامَهُم، فقال تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣). وقال تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤).

- وبيَّنَ الله تعالىٰ؛ أَنَّ الفلاحَ والنَّجاحَ والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة؛ مع الصَّبْرِ والتقوى اللذين هما من صفات أهل الإيمان، فقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهِ النَّهَا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥). الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥).
- وبيَّنَ الله تعالىٰ؛ أَنَّ الصَّبْرَ من أَهم أَسبابِ النَّصر في الحياة الدُّنيا
   علىٰ شهوات النَّفس، وعلىٰ الأعداء، وهو عُدَّة يَتَقَوَّىٰ بها المؤمنونَ علىٰ
   مُواجَهة عَدُوِّهم بأنواعها وأشكالها، فقالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّعَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبُرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (``).

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنفال، الآية: ١٤٦.

<sup>(</sup>٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

<sup>(</sup>١) سورة الاحقاف، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

• وبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ الإمامةَ في الدِّين؛ لا تُنالُ إِلاَّ بالصَّبْرِ واليقين.

قالَ تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ( ) .

وبشر الله تعالى الصابرين من أهل الإيمان؛ بشارة مطلقة بدون قيد،
 وجَمَعَ لهم ثلاث خِصال لم يجمعها لغيرهم، فقال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ وَ اللَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ وَ اللَّهِ الْوَلِي اللَّهِ مَلُواتٌ مِّن رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ وَ اللَّهِ اللَّهُ مَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٠).

وبيَّنَ الله - سبحانه وتعالى - أنَّه يُضاعِفُ لعباده المؤمنين الصَّابرين أجرهم أضعافًا كثيرةً، وبغير حسابٍ، وأنَّهُم سيُجزونَ بأحسن أعمالهم، ويدخُلُون الجنَّة بسلام آمنين، فقال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

 <sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآيات: ٥٥٥ - ١٥٧.

<sup>(</sup>٣) سورة زمر، الآية: ١٠.

# ١- أَهِلُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ: من صفاتهمُ الولاءُ والبراءُ في اللهِ:

ومن صفاتِ أهل الإيمان: الولاءُ والبراءُ في الله تعالى، أي: الحبُّ في الله، والبُغْضُ في الله؛ فعقيدتُهُم مبنيةٌ على هاتين القاعدتين العظيمتين:

فالحُبُّ: هو حبُّ الله تعالى، وحبُّ رسوله الأمين عَلَيْهُ، وكتابه العزيز، ودينه العظيم، وعباده المؤمنين الصَّالحين المتقين، وموالاتُهُم، ومناصرتُهُم، وعدم التخلي عنهم في حال العُسر واليُسر، والشَّدَّة والرَّخاء، ومعاونتهم بالنَّفس والمال واللِّسان.

• والبُغضُ: هو بغضُ أعداء الله تعالى، وكُرههم، ومقتهم، واحْتِقارهم، وهجرُهم، وإذلالُهم، والبراءة منهم، ومن جميع أعمالهم وأقوالهم، ومعاداتهم بالنَّفسِ والمالِ واللِّسان، وعدمُ محبَّتهم البتَّة في حال العُسر واليُسر، والشَّدَّة والرَّخاء، وتربية الجيل الناشئ وإرشادُهُم علىٰ ذلك.

لأنَّ عقيدة الولاء والبراء أصلٌ من أصول الدِّين، ومن أهم موضوعات التَّوحيد ومقتضياته، وركنٌ من أركانه، ومن أخطر مسائل العقيدة التي يُبنى عليها إسلام المرء وكُفرُه؛ وهي ليستْ مجرَّدَ قضية جزئيَّة أو فرعيَّة من يُبنى عليها الدِّين العظيم؛ بل النَّجاة من الكُفر، والدُّخولُ في الإسلام؛ لايتحقّق إلاَّ بتحقيق هذا الركن الرَّكين من التَّوحيد الخالص.

ولا يتحقَّقُ الولاءُ للمؤمنينَ والمسلمينَ إِلاَّ بالبراء من المشركين والكافرين؛ لأنَّ المعنَيْنِ لا يتحقَّقان معًا فهما ضدَّان لا يجتمعان أبدًا فمتىٰ تمكَّن أحدُهُما في القلب انتفىٰ نقيضُه، وإذا زال أحدُهما خَلَفَهُ الآخر؛ لأنَّ حبَّ الله تعالىٰ يقتضى حبَّ أوليائه وأحبًائه كما يقتضي هذا الحبُّ بغضَ الشيطان وأتباعه وحزبه فاجتماعُ المحبِّتين مُحالٌ، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضِ وَمَن يَتَولُّهُم مُّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مُّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (°).

وقالَ النَّبِئُ عَلَيْكُ : ﴿ أُوثْقُ عُرَىٰ الإيمان : الْمُوالاَةُ فِي اللهِ والمُعَادَاةُ فِي اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ، (``).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٢) سورة المتحنة، الآية: ٢١. (٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣. (٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

<sup>(</sup>٥) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٦) انظر: وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني: ج٢ برقم: (٩٩٨).

وقالَ عَيْكَ : « مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنعَ للهِ ؛ فَقَادِ اسْتَكْمَلَ الإيمانَ» (١٠).

وقالَ عَلَيْهُ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٢٠).

وقالَ عَلَيْكَ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَمَنْ وَمَنْ أَحَبً عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ الله ، وَمَنْ أَحَبً عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ الله ، وَمَنْ يَكُرَهُ أَنْ يَعُودَ في النَّارِ» ( ٣ ) . يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ في النَّارِ» ( ٣ ) .

وقالَ عَلَيْكَ : ﴿ لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا ، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيُّ ﴾ ( \* ) .

وعن جرير - رضي الله عنه - قال: أتيتُ النَّبِيَّ عَلَيَّهُ وهو يبايعُ، فقلتُ: يا رسولَ الله ابسط يدك حتى أبايعك، واشتَرِطْ عليَّ فأنت أعلم.

قالَ عَلَيْكَ : «أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاة، وَتُوْتِيَ الزَّكَاة، وَتُوَيِّيَ الزَّكَاة، وَتُقامِحَ الْمُسْلِمينَ، وَتُفَارِقَ المُشْرِكِينَ»(°).

أَهِلُ الإِيمَانِ: يُقَسِّمُونَ النَّاسِ في الولاء والبراء ثلاثة أقسام:

الذين الحُلُص الذين الحَلَّم والحَبُّ المطلق: وهم المؤمنون الحُلُص الذين آمنوا بالله تعالىٰ رَبًّا، وبرسوله عَلَّم نبيًّا، وقاموا بشعائر الدِّين؛ علمًا وعملاً

<sup>(</sup>١) رواه أَبو داود في (كتاب السُّنَّة) باب والدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وحب النبي على من الإيمان .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب ومَن كره أن يعود في الكفر.

<sup>(</sup>٤) رواه أبو داود في (كتاب الأداب) باب ه مَن يؤمر أن يجالس ، وحسَّنه الألباني.

<sup>(</sup>٥) رواه أبو النسائي في (كتاب البيعة) باب والبيعة على فراق المشرك، وصحَّحه الألباني.

واعتقادًا، مخلصين لله، وانقادوا لأوامر الله تعالى، وأوامر رسوله عَلَيْه ، وانتهوا عمَّا نهى الله ، وأبغضوا وانتهوا عمَّا نهى الله عنه ، ونهى عنه رسوله عَلَيْه ، وأحبُّوا في الله ، وأبغضوا وعادوا في الله ؛ فيجب على جميع المسلمين حبُّهم ونصرتهم وموالاتهم أينما كانوا، وفي كل عصر ومصر .

٧- من يستحقُّ الموالاة والحبَّ من جهة، والمعاداة والبغض من جهة أخرى: وهم عُصاة المسلمين؛ فتجتمعُ فيهم الحبَّة والعداوة ؛ يُحبُّون لما فيهم من الإيمان والطاعة والتقوى، ويُبغَضون لما فيهم من المعصية والفجور التي هي دون الكُفر والشَّرك ، مثل: المسلم العاصي الذي خلط عملاً صالحًا، وآخر سَيِّقًا، والذي يهملُ بعض الواجبات، ويفعل بعض الحرَّمات التي لا تصلُ إلىٰ حَدِّ الكُفر؛ فأمثالُ هؤلاء يكونُ لهم من الولاء بقدر ما يُظهرون من الخير، ومن البراء بقدر ما يَظهرُ منهم من الشَّر؛ كما يجبُ مناصحةُ هؤلاء، وعدمُ السكوت على معاصيهم؛ بل يؤمرونَ بالمعروف مناصحةُ هؤلاء، وعدمُ السكوت على معاصيهم؛ بل يؤمرونَ بالمعروف مناصيهم؛ حتىٰ يَكفُوا عن معاصيهم، ويَتركوا سيِّئاتهم .

٣- مَن يستحقُّ المعاداةَ والبغضَ المطلق: وهُمُ الكُفَّارُ الخُلُصُ الذين يَظهرُ كُفرهم وزندقتُهُم، على اختلاف أجناسهم من اليهود والنصارى، والمشركين، والملحدين، والوثنيين، والمجوس، والمنافقين، ومَن تبعهُم من أصحاب المذاهب الهدَّامة، والأحزاب العلمانية.

وهذا الحكم ينطبق - أيضًا - على من فعل المكفّرات من المرتدّين المنسوبين للإسلام، أو أشرك بالله المنسوبين للإسلام، أو أشرك بالله تعالى في عبادته أحدًا من عباده، أو صرف لهم نوعًا من أنواع العبادة؛

كدعاء غير الله، أو الاستغاثة بغيره، أو التوكُّل أو الذَّبح أو النذر لغيره تعالىٰ، أو سَبُّ الله ورسوله أو دينه، أو ترك الصَّلاة المفروضة، أو فصل الدِّين عن الحياة اعتقادًا بأنَّ الدِّين لا يلائم هذا العصر، ونحو ذلك – بعد إقامة الحجة عليه – بل يجبُ على المسلمين؛ أن يُجاهدوا هذا النوع من المرتدِّين، ويُضيِّقوا عليهم، ولا يتركوهم يَعيثُونَ في الأرض الفساد.

وأَهلُ الإِيمان الصَّادِق: لا يوافقون الكفَّار في أيِّ حالٍ مِن الأحوال؛

- لأَنَّ موافقتهم في الظاهر والباطن كفرٌ.
- وموافقتهم في الباطن دونَ الظاهر؛ كُفرٌ لأنَّها من النَّفاق العقديُّ.
  - وموافقتهم في الظَّاهر دون الباطن: على نوعين:

١- أن تكون الموافقة بسبب الإكراه؛ كالضّرب والقتل والتّعذيب، بالفعل لا بمجرَّد التهديد اللفظّي، وأن يغلبَ على ظنَّه أنَّه إذا امتنع أُوقِع به ذلك فورًا؛ ففي هذه الحالة لا يُكَفَّر المسلمُ ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته.

Y- أن يوافق الكُفَّار في الظَّاهر مع مخالفتهم في الباطن - وهو ليس في سلطانهم - وذلك لغرض دنيوي ؛ كحُب الرياسة، أو طمع في جاه ومنزلة ، أو مال ، أو أرض ، أو الخوف على مصالحه من الضرر ؛ فيواليهم ويدافع عن باطلهم أو يسكت عنه ، أو يتبع نُظُمَهُم ويطبق قوانينهم ؛ إرضاء لهم ، وإيثاراً لحظه من الدُّنيا وحبًّا للراحة ، وطلبًا للسلامة العاجلة ؛ فيكون بذلك قد تخلَّىٰ عن ركن من أركان توحيد العبادة ، وهو المعاداة في الله تعالىٰ والموالاة فيه ؛ فيُوجب هذا التَّرك ردَّته وكُفره عن الدِّين ، ولا

تنفعُهُ كراهيتُهُ لهم في الباطن؛ كما دلّت على ذلك النصوصُ الشرعيّة . وأهلُ الإيمان الصّادق :

يُفرِّقونَ بين عقيدة المعاداة، وبين البرِّ والقسط والإحسان؛ فمعاداتُهُم للكفَّار المعبَّرُ عنها بالبراء منهم؛ لا تعني الإساءة إليهم بالأقوال أو الأفعال، وتجاوز ما وضعه لنا ديننا العظيم من شروط وضوابط في المعاملة معهم، وهذه الشروط والضوابط حكيمة مبنيَّة علىٰ أساس العدل والإحسان؛ دون محبَّة القلب وميله.

وقد أباح دينُ الإسلام تبادل المصالح بيننا وبينهم بما يعودُ بالنفع على المسلمين، وقرَّر شيعًا من التسامح مع بعض الفئات من الكُفَّار المسالمين والمعاهدين غير الحربيين – أي: الذين لا يُحاربون المسلمين ولا يسعون على إخراجهم من ديارهم – بشرط الاً يكون ذلك على حساب الدين.

والشارعُ الحكيمُ يأمرُ بحسن المعاملة مع الجميع ما داموا غير محاربين، وهذا لا يعني موالاتهم ومحبَّتهم؛ لأنَّ البرَّ والإحسان لا يستلزمُ التحابب والتوادَّ المنهئ عنه في الشريعة.

أمَّا الكُفَّارُ المحاربون؛ فإنَّ صلتهم محرَّمةٌ شرعًا بالإجماع.

#### ١١ - أَهلُ الإِيمان: من صفاتهم الأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر:

ومن صفات أهل الإيمانِ الصَّادِقِ الملازمة لهم: أنَّهم يَاْمرونَ بالمعروف ويَنهونَ عن المنكر، ويؤمنونَ بأنَّ خيريَّة هذه الأُمَّة باقيةٌ بهذه الشَّعيرة المباركة العظيمة، وأنَّها من أعظم شعائر الإسلام والدِّين، وسببُ حفظ جماعته ووحدته.

وأَنَّ تركها تؤدي لوقوع اللعن والإبعاد ونزول الهلاك وانتفاء الإيمان والبركة عمَّن قعد عنها حتى لو كان ذلك الترك بالقلب.

وأنَّ شعيرةَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات وأعظمها على هذه الأُمَّة المرحومة المباركة، ومن أكبر مهماتها وأولوياتها؛ كلَّ على حسب طاقته والمصلحة مُعتبرةٌ في ذلك، وقد دل على وجوبهما الكتاب والسنَّة والإجماع، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلْتَكُن مَّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَوْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيل رَبُكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلَيُغَيِّرهُ بِيَدِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطَعْ فَبلِسَانه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطَعْ فَبلِسَانه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطَعْ فَبقَلْبه ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان ، (١٠) .

والمعروف: هو كل ما تعرفه النّفس من الخير، وتطمئن إليه، فهو
 معروف بين الناس لا ينكرونه. وقيل: هو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً.

ويدخل فيه كل ما أمر الله تعالى به ورسوله على من الأمور الظاهرة والباطنة، مثل: شرائع الإسلام، والإيمان بالله، والصلوات الخمس، والزَّكاة، والحجَّ، والإحسان في عبادة الله تعالى، وإخلاص الدَّين لله، والتوكل عليه ومحبته ورجائه، وغيرها من أعمال القلوب، وصدق الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار واليتيم، وجميع مكارم الأخلاق.

والمنكرُ: ضد المعروف، وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً، وسمّي منكرًا، لأنَّ أهلَ الإيمان ينكرونه ويستعظمون فعله.

ويدخل فيه كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله عَلَيْ مثل: الشّرك بالله تعالى بجميع أنواعها وأشكالها وألوانها، وكبائر الذُّنوب: كالزِّنا، والقتل، والسّحر، وأكل أموال النَّاس بالباطل، والمعاملات المحرمة: كالرِّبا، والميسر، والقمار، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وسائر البدع الاعتقادية والعملية، وغير ذلك مما نهى الله تعالىٰ عنه ورسوله الأمين عَلَيْكُ .

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ه بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ه.

وأهل الإيمان الصّادق؛ يرون أنّ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة "؛ كما بيّنها النبيّ الأمين عَلَيْهُ :

المرتبة الأولى: الإنكار باليد مع القدرة، وذلك خاص بمن له ولاية من مسؤول، أو محتسب ممن يقدر على ذلك بالفعل. وهكذا المرء المسلم مع أهل بيته وأولاده ومن تحت ولايته ومن حوله؛ يأمرهم بالصلة وسائر الواجبات، وينهاهم عمًّا حرم الله تعالى.

المرتبة الثَّالثة: الإِنكار بالقلب وهي آخر المرتب، ولا رخصة لأحد في تركها أَلبتَّه، بل يجب ترك المنكر وبغضه بغضًا تامًّا مستمرًّا.

وهذا يقتضي من أهل الإيمانِ الصَّادِقِ؛ مفارقة أهل المعصية ومجانبتهم حال ارتكابهم المعاصية، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكُفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١).

ففي الآية نهي صريح عن مجالسة أصحاب المنكر حال مواقعته ؛ حتى يتحولوا عنه ، وإلا كانوا مثلهم في الإثم ؛ لرضاهم بذلك .

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

وأهلُ الإيمانِ الصّادِقِ؛ يرونَ تقديمَ الرّفقِ في الأمر بالمعروف والنّهي
 عن المنكر، والدّعوة إلى الله تعالىٰ؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١).

فالدعوة بالحكمة تكون بحسب حال المدعو وفهمه وقبوله، ومن الحكمة: العلم والحلم والرفق واللين والصبر على ذلك.

والموعظة الحسنة: تكون مقرونة بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والجادلة بالتي هي أحسن.

ويرونَ وجوبَ الصَّبْرِ علىٰ أذى الخلق في الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، عملاً بقوله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْم الأُمُورِ ﴾ (٢).

• وأهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ؛ يرونَ أَنَّ تركَ هذه الشعَيرة العظيمة سببٌ لنزول عذاب الله تعالى وعقوبته، واستحقاق لعنته - سبحانه - وتركها من أهمَّ الأسباب التي تؤدَّى إلىٰ شيوع الفساد والانحراف في حياة الأُمَّة.

قالَ الله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابِ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

<sup>(</sup>٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانَ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ ﴿ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١).

#### • وأهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ:

حين يقُومون بواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ يلتزمون في الوقت نفسه أصلاً آخر هو الحفاظ على الجماعة، وتأليف القلوب، واجتماع الكلمة، ونبذ الفرقة والاختلاف.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضيَ اللهُ عنهُما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْكُ رَأَىٰ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ؛ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ! وَقَالَ عَلِيْكُ :

« يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ »

فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ! قَالَ: لاَ وَاللهِ لاَ اخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكُ (٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَیْ فَرَدَّ، وَقَالَ عَلَیْ : « ارْجِعْ فَصَلٌ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَیْ فَصَلٌ، فَمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَیْ فَالَ فَا اللَّبِيِّ عَلَیْ فَالَا : « ارْجع فَصَلٌ فَالِكُ لَمْ تُصَلُّ » ثَلاثًا !

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ؛ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلَّمْنِيَ! فَقَالَ عَلِيُّ :

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب ؛ في طرح خاتم الذهب،.

وإذا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَكَبُرْ، ثُمَّ اقْرَاْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُراْنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى الْكُعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلُهَا ﴾ (١).
 كُلُهَا ﴾ (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ عَلَيْ جَالِسٌ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلاَ تَرْحَمْ اللهِ عَلَيْ جَالِسٌ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمُّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا! فَقَالَ النَّبِيُ عَلَيْ : ( لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا ) ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ مَعْنَا أَحَدًا! فَقَالَ النَّبِيُ عَلَيْ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُ عَلَيْ وَقَالَ:

« إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ؛ صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءِ – أَوْ قَالَ – ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ (٢٪ \*).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب وجوب القراءة للامام والماموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت .

<sup>(</sup> ٢ ) رَوَاهُ أَبُو دَاوِدُ فِي ( كِتَابِ الطهارة ) باب والأرض يصيبها البول؛ وصحَّحه الألباني.

<sup>( \* ) (</sup> تحجرت واسعًا ) : أي : ضيقت ما وسعه الله تعالى، وخصصت به نفسك دون غيرك . الذنوب : الدلو العظيمة .

#### ٢ - أَهلُ الإِيمان الصَّادِق: يتحلُّون بمكارم الأَخلاق:

ومن صفات أهل الإيمان الصَّادِقِ التي تميزهم: أنَّهم يتحلَّونَ بمكارم الأَخلاق، ومحاسن الأَعمال والأَقوال والأَفعال، وأنَّهم صفوةُ خلق الله تعالىٰ وخيرتُه بعد أنبيائه ورسُله، عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام.

لأَنَّ حُسن الخلق، ولين الجانب، وطيب العشرة، صفاتٌ أجمع العقلاء على حسنها، وفضل التخلق بها، وقد توافرت الأدلة الشَّرعيَّة على مدح الأخلاق الحسنة، والحض عليها، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ :

« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا ؛ أَحْسَنُهِمْ خُلُقًا »(١).

وقالَ عَلَى : ﴿ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا ﴾ (٢).

وقالَ ﷺ : «إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ أَخْسَنكُمْ أَخْلاَقًا ﴾ (٣) .

وقالَ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وَالْعَلَاقَ» ( أَنْ صَاحِبَ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنَ صَاحِبَ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنَ عَاجِبَ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنَ عَاجِبَ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنْ عَاجَبُ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنْ عَاجَبُ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنْ عَاجَبُ الصَّوْمِ وَالصَّلاقَ» ( أَنْ عَالِمَ اللَّهُ اللَّ

وقد كان النّبِيُ عَلَيْهُ أحسن النّاس سمتًا، وأكملهم خُلُقًا، وأطيبهم عشرةً، وقد وصفه الله تعالى :

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الرَّضاع) باب دما جاء في حقَّ المرأة على زوجها، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب المناقب) باب وصفة النبي ﷺ .

<sup>(</sup>٣) رَوَاهُ التَرَمَذِي فِي (كتاب البر وصلة) باب ه ما جاء في معاني الأخلاق ، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في ( كتاب البر وصلة ) باب ه ما جاء في حُسن الأخلاق ، وصحَّحه الألباني.

## ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

فما من خصلة من خصال الخير إلا والنبي على أوفر الحظ والنصيب من التّخلق بها؛ فقد كان يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويقبل الهدية بمن جادت بها نفسه ويكافئ عليها، وكان على يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويتفقدهم ويعودهم، ويعطى كل مَن جالسه نصيبه من العناية والاهتمام؛ حتى يظن جليسه أنّه ليس أحد أكرم منه، وكان ولا يواجه أحدًا منهم بما يكره، والقوي والضعيف والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وكان طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة وإذا تكلم افتتح كلامه باسم الله تعالى، وعلى الرغم من حُسن خلقه العظيم؛ كان يدعو الله بأن يُحسن أخلاق، ويتعوذ من سوء الأخلاق؛ عليه الصّلاة والسّلام.

فعن أمرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طالب ٍ - رضي اللهُ عنه - قالَ:

« أَجْوَدُ النَّاسِ كَفَّا، وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً؛ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبُهُ، يَقُولُ نَاعِبُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ( ٢ ) ( \* ) .

وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ إِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ \_ قَالَ:

( خَدَمْتُ النَّبِيَّ عَلَيْكُ عَشْرَ سِنِينَ ! فَمَا قَالَ لِي أُفُّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ

<sup>(</sup>١) سورة القلم، الآية: ٤.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب المناقب عن رسول الله علي ) باب ٥ ما جاء في صفة النبي ،

<sup>( \* )</sup> العريكة: هي الطبيعة.

صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتُهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَى مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلاَ مَسِسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلاَ حَرِيرًا وَلاَ شَيْفًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفَّ رَسُولِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلَى اللهِ عَلْمَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ ال

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ:

(مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ عَلَى مُنْدُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجُهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَىٰ الْخَيْل؛ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبَّتُهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا») (٢ ٪ \* ).

وقالت أُمُّ المؤمنينَ الفقيهة الصَّدِّيقة عائشة - رضي اللهُ عنها - لَمَّا سُئِلَت عن خُلق النبِيِّ عَلِيَّة : ( فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ عَلِيَّة كَانَ الْقُرْانَ ) (٢٠ .

فهذا الوصف البليغ العجيب، والكلمة العظيمة من عائشة - رضي الله عنها - ترشدنا إلى أنَّ أخلاقه عَلَى هي اتباع القُرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي النخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها، والبُعد عن كل خُلُق ذمه القُرآن. أي: كان عَلَى أَلَا حيًا ونموذجًا متحركًا بين النَّاس، كان إِذا أمر فهو أوَّل من يأتمر، وكان إِذا نهى فهو أوَّل من ينتهي، وكان إِذا حدَّ فهو أوَّل من يقف عند حدود الله تبارك وتعالى.

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب البر والصلة) باب دما جاء في خلق النبي عَظَّة ، وصحَّحه الألباني . (٢) رواه ابن ماجة في (كتاب المقدمة) باب « فضل جرير البجلي، وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب د جامع صلاة الليل ومن نام عنه).

<sup>(\*)</sup> وما حجبني و أي: ما منعني الدخول عليه متى ما أردت ذلك.

كان خلقه القرآن ؛ أي: يسخط لسخطه ويرضى لرضاه، ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إِلا أن تنتهك حرمات الله تعالى.

كان خلقه القرآن؛ أي: كان أصدق النّاس لهجة، وأوفاهم ذمة، وأكرمهم عشرة، وأشدُّ حياءً من العذراء في خدرها؛ فلم يكن فاحشًا ولا لعانًا ولا يجزي السيئة بالسيئة؛ لكن يعفو ويصفح! من سأله حاجة لم يرده إلاً بها أو بميسور من القول، ليس بفظ ولا غليظ عَلَيْكُ.

كان خلقه القرآن؛ أي: كان عَلَى الله لا يقطع على أحد حديثه حتى يتعدى الحق فيقطعه بنهي أو قيام؛ لا يكذب قائلاً ولا يحقد عليه، ولا يستحلفه على يمين، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه؛ لأنّه عَلَى يحفظ جاره ويكرم ضيفه، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله تعالى؛ يحب التفاؤل ويكره التشاؤم، وما خيّر بين أمرين إلاً اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، يحب إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم صلوات الله وسلامه عليه.

ومعنى حُسن الخلق: أي حُسن الخلق مع الله تعالى، وحُسن الخلق مع عباده؛ فأمًا حُسن الخلق مع الله تعالى فأن تتلقي أحكامه دينه العظيم بالرِّضا والتَّسليم التَّامُ، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله تعالى بالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام وغيرها؛ فإنَّك تقابل هذا بصدر منشرح. أمَّا حُسن الخلق مع النَّاس؛ فإنَّهُ كف الأذى والصَّبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره.

#### ومن أخلاقٍ أهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ:

إخلاصهُم لله تعالى في العلم والعمل، والخوف من الرياء، وتعظيمهُم لدين لحرمات الله تعالى، وغيرتُهُم إذا انتُهكت حرماتُه تعالى، ونصرتهم لدين الله وشرعه وحكمه، وكثرة تعظيمهم لحرمات المسلمين ومحبَّة الخير لهم، وسعيهم إلى ترك النّفاق؛ بحيث تتساوى سريرتُهُم وعلانيَّتُهم، وتقديمُ أعمال الدُّنيا.

ورِقَةُ قلوبهم، وكثرةُ بكائهم على تفريطهم في حقّ الله تعالى ؛ لعلّ الله أن يرحمهم ويغفر لهم ويتجاوزة عن سيّئاتهم، وكثرةُ الاعتبار والبكاء والاهتمام بأمر الموت إذا رأوا جنازةً، أو تذكّروا الموت وسكراته، وسوء الخاتمة ؛ حتى تزلزل قلوبُهُم.

وزيادة التواضع كلَّما ترقَّىٰ أحدُهم في درجات القُرب من الله - تبارك وتعالىٰ - وكثرة التوبة والندم، والاستغفار ليلاً ونهاراً؛ لشهودهم أنَّهم لا يسلمون من الذَّنب حتىٰ في طاعتهم؛ فيستغفرون من نقصهم فيها، ومراقبة الله تعالىٰ فيها، وعدم العجب بشيء من أعمالهم وأقوالهم، وكراهيتهم للشُّهرة والظهور؛ بل يرون النَّقص والقصورَ في طاعتهم وعبادتهم، فضلاً عن سيئاتهم.

وشدَّةُ تدقيقهم في كلمة التقوى، وعدمُ دعوىٰ أحد منهم أنَّه متَّى، وكثرةُ خوفهم من الله - عزَّ وجلَّ - وشدَّةُ خوفهم من الخاتمة السيَّئة، وعدم غفلتهم عن ذكر الله - جلَّ وعلا - وهوان الدُّنيا عندهم، وشدَّةُ رفضهم لها، وعدمُ الاعتناء ببناء الدُّور؛ إِلاَّ ما اقتصر منها علىٰ ما يدفعُ الحاجة، ومن غير زخرفة وإسراف، قالَ النَّبِيُّ الاَمِين عَلَيْكُ :

« وَاللهِ ! مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعه هَذِهِ في اليَمِّ ؛ فَلينظُرْ بِمَ تَرْجِع ؟ ، (١).

وأهلُ الإيمان الصَّادِقِ: لا يرضون الخطأ الذي يمسُّ الدِّين أو أهله؛ بل يردُّونه، ويلتمسون العذر لمن قال به – إِن كان ثمَّن يعتذر له – وشدَّةُ مناقشتهم لنفوسهم في مقام الورع، وكثرة سترهم لإخوانهم المسلمين، ولا يُحبُّون أَن تظهر لاَحد منهم عورة، ويشتغلون بعيوبهم عن عيوب النَّاس، ويجتهدون في ستر عيوب الآخرين، ويكتمون الأسرار، ولا يبلِّغون أحدًا ما يسمعونه في حقَّه من قيل وقال، ويتركون معاداة النَّاس، ويكثرون من مداراتهم، وعدم مقابلة أحد بسوء؛ فهم لا يعادون أحدًا من المسلمين.

وأَهلُ الإيمان: يسدُّون باب الغيبة في مجالسهم، ويحفظون ألسنتهم منها؛ لِقَلاً يصبح مجلسهم مجلس إثم، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌّ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَنْتًا فَكَرهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧).

وأهلُ الإيمان: ينهون عن الفخر، والخيلاء، والعجب، والبغي، والاستطالة على الخلق بغير حقّ، ويأمرون بلزوم العدل في كلّ شيء.

وأهل الإيمان: يتميِّزون بكثرةِ الحياء، والأدب، والتودُّد، والسَّكينة، والوقار، وقلَّةِ الكلام، وقلَّةِ الضّحك، وكثرةِ الصَّمت، والنَّطق بالحكمة

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الجنَّة وصفة نعيمها) باب وفناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، .

<sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

تسهيلاً على الطَّالب، وعدم الفرح بشيء من الدُّنيا، وذلك لكمال عقولهم، وكثرة العفو والصَّفح عن كلِّ مَن آذاهم؛ بضرب، أو أَخذِ مال، أو وقوع في أعراضهم، أو نحو ذلك، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (١).

وأهل الإيمان الصَّادِقِ: لا يغفلون عن محاربة إبليس - وأعوانه من الجنِّ والإنس - ويجتهدون لمعرفة خطواته وخطراته مكايده ومصايده، ووساوسه، وخصوصًا في العبادات.

وأهل الإيمان: يكثرون الصَّدقة بكلِّ ما فضلَ عن حاجتهم ليلاً ونهارًا، وذلكَ سرًّا وجهارًا، ولا يُسرفون في الحلالِ إذا وجدوه.

وأهلُ الإيمان: من محاسن أخلاقهم الكريمة؛ ذمُّ البُّخل وأهله، وكثرةُ السَّخاء، والجود والكرم، وبذلُ المال، ومواساة إخوانهم المسلمين في حال سفرهم، وفي حال إقامتهم، وشدَّةُ محبَّتهم لاصطناع المعروف إليهم بدون مقابل، وإدخال بعضهم السرُور على بعض، وتقديم إخوانهم في ذلك على أنفسهم؛ فإنَّه بذلك يقعُ الأُخوة الصَّادِقة، ثمَّ التعاضدُ في نُصرةِ الدِّين؛ الذي هو غايتهم الأسمىٰ.

وإكرامُ الضيف وخدمته بأنفسِهم إلاَّ بعذر شرعي، ثم لا يرون أنَّهم كافؤوه بإطعامه وخدمته بالإقامة عندهم وإحسانهم الظن به.

وإجابتهم لدعوة إخوانهم إلا من كان طعامه حرامًا، أو إذا خُص الأغنياء بالدَّعوة دون الفقراء، أو كان في مكان الوليمة شيءٌ من المعاصي.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

ورفيع أخلاقهم وحسنُ أدبهم مع الصغير فضلاً عن الكبير، ومع البعيد فضلاً عن القريب، ومع الجاهل فضلاً عن العالم.

وأهل الإيمان: يُصلحونَ ذات البين؛ لأنَّه من أفضل أبواب الخير، وقمَّة المعروف، ولأنَّ إصلاحَ ذات البين يُفسد خُطط الشَّيطان وغاياته العظمة من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وإفساد ذات بينهم.

فَعَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَى : ﴿ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ 

دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ! ﴾ قالُوا بَلَىٰ . قَالَ: ﴿ إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ ﴾ (١) .

وينهونَ عن الحسد؛ لأنَّ الحسدَ يُورِثُ العداوة والبغضاء، وضُعْفَ الإيمان، ويزيد من حبُّ الدُّنيا وما فيها، قالَ النَّبِيُّ عَلَيُّ : « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ! فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ ؛ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » (٢).

وأهلُ الإيمان الصَّادِقِ: يأمرون ببرِّ الوالدين، وطاعتهما في المعروف، والإحسان إليهما، وخفض الجناح والتلطُف لهما، وترك التَّضَجُرِ والتأفَّف منهما، وعدم إيذائهما، وخصوصًا عند الكبر، والدُّعاء والاستغفار لهما؛ لأنَّهم يرون أَنَّ برِّ الوالدين من أَجلُّ العبادات، التي رغَّب بها الله تعالىٰ، وجعل جزاء ذلك جنَّة الخلد ورضاه سبحانه؛ قالَ الله تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا وَحِعل جَزاء ذلك جَنَّة الخلد ورضاه سبحانه؛ قالَ الله تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتُهُ أُمَّهُ كُوهًا وَوَضَعَتْهُ كُوهًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب وفي إصلاح ذات البين، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب دفي الحسد، وصحَّحه الألباني.

٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَسْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَهُمَا أُفِّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قُولاً كَرِيمًا ﴿ كَرِيمًا ﴿ كَرِيمًا ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلُمِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبُّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (١).

وأهلُ الإيمان: يأمرونَ بحسن الجوار، والرِّفق مع العباد، وصلة الرَّحم، وإفشاء السَّبيل. وإفشاء السَّبيل.

وينهون عن سوء الظّن والتَّجَسُّس واتِّباع عورات المسلمين؛ لأنَّ ذلك يُفسد العلاقات الاجتماعيَّة، ويفرق بين الإخوان، ويزرع الفساد بينهم.

قالَ النَبِيُّ عَلَيْكَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيَانُ قَلْبَهُ ؛ لأَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تَتَبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَقْبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَقْضَحْهُ فِي بَيْتِهَ » ( `` ) .

وأهلُ الإيمان: من صفاتهم الحميدة؛ أنّهم إخوةٌ في الله تعالى، والمؤمن أخو المؤمن، يُحبُّون لإخوانِهم ما يُحبُّونه لأنفسِهم، ولا يَحمِلون عليهم حقدًا ولا غلاً؛ بل يَدعون لهم بظهر الغيب بالمغفرة، والهداية، والصلاح، والتوفيق، والسَّداد، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ فَي يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا اللهُ يَن سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لللهُ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ – ٢٤.

<sup>(</sup>٢) رواه أبو داود في (كتاب الأدب) باب وفي الغيبة ، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَىٰ يُحِبُّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (٢).

وأهل الإيمان: يرون وجوبَ النصيحة لكلَّ مسلم، والتعاون على البرِّ والتقوى، عملاً بقول النَّبِيُّ عَلَّهُ: « الدِّينُ النَّصِيحة » قُلنا: لِمَنْ ؟ قَالَ: «اللهِ، ولِكتَابِهِ، ولِرَسُولِهِ، ولأَثِمَّةِ المُسْلِمين، وعَامَّتِهمْ »(٣).

وأهلُ الإيمان الصَّادِقِ: يحافظون على إقامةِ شعائر الإسلام والدّين؛ كإقامةِ صلاة الجمعة والجماعة، والحجّ، والجهاد، والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا، أو فُجَّارًا؛ خلافًا للمبتدعة، وأهل الأهواء.

ويسارعون إلى أداء الصلوات المكتوبة، وإقامتها في أوّل وقتها مع الجماعة في المساجد - وأوّل أوقاتها أفضلُ من آخرها إلاَّ صلاة العشاء - ويأمرون بالخشوع والطّمأنينة وحظور القلب فيها، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ :

« صَلَاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذَّ بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، (1).

ويتواصون بقيام اللَّيل؛ لأنَّه من هدي النَّبِيِّ عَلَيْكُ وسُنَّته، والله تعالىٰ أمرَ نبيَّه عَلِيُّ بقيام الليل، والاجتهاد في طاعته جلَّ وعلا.

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب و من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه و.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب وبيان أنَّ الدين النصيحة ،

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب وفضل صلاة الجماعة ، .

وأَهلُ الإِيمان الصَّادِقِ: يَثْبُتُونَ في مواقف الامتحان، وذلك بالصَّبر عند البلاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضا بِمُرِّ القضاء، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُولِّنَى الصَّابِرُونَ أُجْرَهُم بِغَيْرٍ حِسَابٍ ﴾ (١).

ولا يسالون الله البلاء، ولا يتمنُّونَ ذلك البتَّة؛ بل يسالون الله تعالى العافية والسَّلامة والسِّتر؛ لأنَّهم لا يدرون هل يثبتون في البلاء؛ أم لا؟ ولكن إذا ابتُلوا صبروا وثبتوا، وذلك لقوة إيمانهم، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ :

« لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجِنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السَّيُوفِ» (``).

وأهل الإيمان الصَّادِقِ: لا يقنّطُون ولا يياسُون من رحمة الله - تبارك وتعالىٰ - عند الحن والشّدائد؛ لأنّ الله - جلّ وعلا - قد حرَّم ذلك علىٰ عباده المؤمنين، ولكن - أهل الإيمان - يعيشون أيّام البلاءِ علىٰ أملِ الفرج القريب، والنّصر المؤكّد بإذن الله؛ لأنّهم يثقون بوعد الله تعالىٰ، ويعلمون أنَّ مع العسر يسرًا، ومع الضّيق فرجًا، ويبحثون عن أسباب الحن في أنفسهم قبل كلّ شيء، ويرون أنّ المحن والمصائب لا تصيبهم؛ إلا بما كسبت أيديهم من المعاصي، والكبائر، والذنوب، أو التقصير في الطأعة والإتباع، ويعلمون أنّ النصر وتأييد الله تعالىٰ لهم قد يتأخّر؛ بسبب الوقوع في هذه المخالفات؛ لقول الله سبحانه وتعالىٰ نهم قد يتأخّر؛ بسبب الوقوع في هذه المخالفات؛ لقول الله سبحانه وتعالىٰ :

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

 <sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب ٥ كان النبي عَلَيْ إِذَا يقاتل أول النهار أخر
 القتال ٤. ورواه مسلم في (كتاب الجهاد والسير) باب ٥ كراهية تمني لقاء العدو والأمر
 بالصبر عند اللقاء ٤.

## ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (١).

وأهلُ الإيمان الصَّادِقِ: لا يعتمدون في المحن ونُصْرَةِ الدِّين علىٰ الأسباب الأرضية، والإغراءات الدُّنيوية، والسُّنن الكونيَّة؛ كما أنَّهم لا يغفلون عنها من باب الأَخذ بالأَسباب؛ كما أمر ديننا العظيم بذلك، ويرون قبل ذلك أنَّ تقوى الله تعالى، والاستغفار من الذُّنوب والمعاصي، والاعتماد على الله – جلَّ وعلا – والشُّكر في الرَّخاء، والصَّبر عند البلاء؛ من الأَسباب المهمَّة في تعجيل الفرج بعد الشدَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

## ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتُو كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وأهلُ الإيمان: من صفاتهم العزيزة؛ أنّهم مُبتلون وجمتحنون في دينهم ودنياهم، والبلاءُ والامتحانُ كفّارةٌ لهم من الذُّنوبِ والخطايا، ورفعة لهم في الدُّرجات والأَجر، وهم غرباءُ في الحياة الدُّنيا، وعابرو سبيل منها إلىٰ دار القرار، والدُّنيا لهم كالسّجن بالنسبة إلىٰ نعيمِ الآخرة الأَبدي؛ وهي سجنٌ لقلوبهم، وجوارحِهم بزينتها، وفتنتها، وشهواتها، ومعاصيها؛ إلاَّ ما أباح لهم ربُّهم – جلَّ وعلا – منها؛ فهم فيها غير ملومين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ : « مَا يَزَالُ البَلاء بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ ؛ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهُ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئةٌ ( ' ' ).

<sup>(</sup>١) سورة الشورئ، الآية: ٣٠.

<sup>(</sup>٢) سورة إيراهيم، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٤) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب دما جاء في الصبر على البلاء، وصحَّحه الألباني.

وقالَ عَلِي اللهُ نْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّهُ الكَافِرِ» (١).

وأهلُ الإيمانِ الصَّادِقِ: من صفاتهم التي تدُّل على عبوديتهم الله تعالىٰ أَنَّهم يَخشون الله وحده ولا يخافون أحدًا سواه، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ اللَّهِ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ اللَّهِ فَلِكَ هُدَى اللَّهِ فَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِل اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢).

ولا تأخذُهم رأْفةً في إِقامة حدود الله – عزَّ وجلَّ – وأنَّهم صادقون مع الله تعالىٰ في عهدهم لنُصرة الدَّين، قالَ الله تعالىٰ:

ومن صفاتهم العظيمة والمميَّزة؛ محبَّتهم لحكم الله تعالى ولدينه العظيم والتَّسليم التَّامُّ لشرعه الحكيم في كلِّ صغيرة وكبيرة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَلا وَرَبُّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مُمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (").

ومن أعظم صفاتهم؛ أنَّهم يُحبُّون النَّبِيَّ عَلِيَّةً وسُنَّته المطهرة محبَّةً قوية، لا تعدلها محبَّة أحد غيره كائنًا من كان، كما قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ:

« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبًّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (1) .

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق).

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣. (٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وحبُّ النبي ﷺ من الإيمان ، .

#### وصفوة القول في أهل الإيمان الصَّادقين المخلصين:

أنَّهم قدوةُ الصَّالحين؛ الذين يهدون إلى الحقّ، ويرشدون إلى الصَّراط المستقيم؛ بثباتهم على الحقّ، وعدم تَقَلُّبهم واتَّفاقهم على أمور العقيدة، وجمعهم بين العلم والعبادة، وبين التوكُّل على الله تعالى، والاَّخذ بالاَسباب، وبين التُّوسُع في الدُّنيا والورع فيها، وبين الحوف والرَّجاء، والحبِّ والبغض، وبين الرَّحمة واللَّين للمؤمنين والمسلمين، والشدَّة والغلظة على أعداء الدِّين من الكافرين والمشركين ومَن والاهم.

وأنَّهم أحسنُ النَّاسِ أخلاقًا، وأحرُصهم علىٰ زكاة أنفسهم بطاعة الله تعالىٰ، وأكملهم خُلُقًا وسيرةً؛ لا يتكلمون إلاَّ بالخير وبما ينفع النَّاس.

ومن صفاتهم: محبَّة بعضهم لبعض، وترحَّم بعضهم على بعض، وتعاونهم فيما بينهم، وسَدُّ بعضهم لنقصِ بعض، ولا يوالون ولا يعادون إلاً علىٰ أساس الدَّين.

ويخافون من عقوبة كُفر النَّعمة وجحدها، ولذا تراهم أحرص النَّاس شكرًا وحمدًا لله تعالى، وأدور مهم عليها في كل نعمة صغيرة كانت، أو كبيرة.

ومن ميِّزاتهم: عدم اختلافهم مع مَرِّ الزُّمان والمكان.

### بعض صفات أهل الإيمان كما جاء ته في للقرآن

الإِيمان الصَّادِق: الذي يحمله أهل الإيمان الصَّادِق:

- هو الذي ينبعث من صميم القلب؛ بالاعتقاد الجازم، والتّسليم التّامّ
   الذي لا يتطرّق إليه شكّ البتّة؛ قائلاً: آمنا وصدقنا.
  - وهو الذي ينطق به اللسان صادقًا بالإقرار بقوله: سمعنا وأطعنا.
  - وهو الذي تعمل بموجبه جميع الجوارح حقًّا وصدقًا ممتثلاً بالأوامر.

فالإيمانُ الصّادِقِ: هو التّصديقُ بأركانِ الإسلامِ والإيمانِ، وهو الذي يدعو إلى جميع الأعمالِ الشرعيَّة؛ كإقام الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصوم رمضانِ، وحج البيت. وهو الذي يحمل على فعل الواجبات وترك المخرمات، وامتثال المأمورات وترك المنهيات. وهو الذي يدعو إلى جميع الأعمال الصَّالحة النافعة الخيرة؛ كبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والأيتام، ويحمل على صدق الحديث، وأداء الأمانة، والعدل في الأقوال والأحكام، والنصيحة لله تعالى ورسوله عَلَيْ وعباده المؤمنين، ومحبَّة الخير لهم. وهو الذي يدعو إلى كلِّ خلق جميل وحسن؛ كالحياء، والكرم والصدق والصبر والشَجاعة والإقدام وإفشاء السَّلام وطيب الكلام.

وقد ضرب الله تعالى المثل للكلمة الطيبة - كلمة التوحيد - بالشَّجرة الطيبة - النَّخلة - أصلها ثابت وفرعها في السَّماء؛ تؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربِّها؛ فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب أهل الإيمان علمًا

واعتقادًا، وفرعها في السَّماء من الكلم الطيب والعمل الصَّالح والأَخلاق الفاضلة والآداب السَّامية، قال تعالى في وصف أَهل الإيمان الصَّادقين:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ اللَّهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ كُمُ الْمُؤْمِنُونَ عَقَّا لَهُمْ الصَّلَاةَ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْفِقُونَ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرَيمٌ ﴾ (١).

فهي إِذًا خمسة صفة: أنَّهم إِذا ذُكر الله تعالى وجلت قلوبهم: أي خافت فأدوا فرائضه، واجتنبوا محارمه.

\* أنَّهم إذا تليت عليهم آيات الله تعالى ازداد إيمانهم بما يحصل لهم عند ذلك من الخوف والرَّجاء والرَّغبة والرَّهبة عند سماع الوعد والوعيد.

\* أَنَّهم يتوكلون على الله تعالى حقًا وصدقًا، ويعتمدون عليه وحده في قضاء الحوائج وجلب المنافع، ودفع المضار.

\* أنَّهم يقيمون الصَّلاة ويؤتون الزَّكاة بها كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، ويؤدونها في أوقاتها مع الجماعة في المساجد.

\* أَنُّهم ينفقون مما رزقهم الله تعالىٰ النُّفقات الواجبة والمستحبة .

فبالقيام بهذه الأعمال الجليلة؛ صاروا مؤمنين حقًا، واستحقوا من ربّهم الدّرجات العالية، والمغفرة لذنوبهم، والرزق الكريم الأبدي، والنعيم المقيم في جنات عدن مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

 <sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

ما جاء في مُحكم التَّنزيل عن صفات أهل الإيمان الصَّادِقِ:

• فعن إيمانهم بالغيب، وإشفاقهم من الآخرة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الْمَ ﴿ وَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿ اللَّذِينَ لَيُومِنُونَ بِالْفَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ يَكُ لَكُونَ بَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ اللَّهُ الْمُفْلِحُونَ بَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ وَاللَّهُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّذِينَ يَـظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاقُوا رَبُّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرَّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (``. وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُسْفَقِقُونَ ﴾ ('').

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٩. (٤) س

<sup>(</sup>٥) سورة النور، الآية: ٣٧.

<sup>(</sup>٧) سورة المعارج، الآية: ٢٧.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

<sup>(</sup> ٤ ) سورة النمل، الآية: ٣ .

<sup>(</sup>٦) سورة الإنسان، الآية: ٢.

عن حبِّهم لله تعالى، والتزامهم لأوامره، قال الله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لَلَّهِ لِهِ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبيل اللَّهِ أَوْلَٰقِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكُو َ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُو بُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكُّلُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةً فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمًّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشُرُونَ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشُونَ رَبُّهُمْ وَيَحَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

<sup>(</sup>٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

<sup>(</sup>٧) سورة النور، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنفال، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٦) سورة الرعد، الآية: ٢١.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسُجَّدًا وَسَجَّدًا وَسَجَّدُا وَسَجَّدُا وَسَجَّدُا وَسَجَّدُا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُ اللَّهِ مِنْهُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ مِنْهُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَلَا اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢). ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ مَهْ هَادٍ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشُوْنَهُ وَلا يَخْشُوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وكَفَى باللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣).

• وعن إيمانهم بالرُّسُلِ والكتبِ كَافَّةً، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدِمِّنْهُمْ أُولُوكِ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ المَّالَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمُنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥١.

<sup>(</sup>١) سورة السجدة، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩. (٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

<sup>(</sup>٥) سورة النساء، الآية: ١٥٢. . . . . . . . . (٦) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

• وعن إِقامتهمُ الصَّلاة، وإيتائهم الزُّكاة، وإنفاقهم في سبيل الله – جلَّ وعلا – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ وَالْبَوْم الآخِر وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزُّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبُّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾('').

<sup>(</sup>١) سورة اليقرة، الآيات: ١ - ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحج، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الشورئ، الآية: ٣٨.

• وعن حُبِّهم لإخوانهم المسلمينَ، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ اللَّهَ وَيَوْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَيَنْهَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْ حَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ويُؤثِرُونَ عَلَى هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ويُؤثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا اللهِ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة؛ الآية: ٧١.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

<sup>(</sup>٥) سورة الشوري، الآية: ٣٧.

<sup>(</sup>٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

 <sup>(</sup>١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ – ٩.

• وعن إِجتنابهم الفواحش والنُّواهي، قالَ الله تبارك وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظُلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِلْهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ لِلذُّنُوبِ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسعُ الْمَغْفِرَةِ هُو أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَاكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُون أُمَّهَا تِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٤).

وقالَ تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿ إِلَّا عَلَى الْرَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ فَمَنِ الْبَعْفَى وَرَاءَ فَالْأَوْلَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُمْ فَإِنَّهُمْ فَاللَّهُمْ وَاللَّهُمْ وَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ فَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِمْ وَعَهْدِهِمْ وَاعْدُونَ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّذَالِقُولَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِي مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِي وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ واللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّذَالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِلَّالِمُو

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

<sup>(</sup>٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥. (٣) سورة الشورئ، الآية: ٣٧.

<sup>(</sup>٥) سورة المعارج، الآيات: ٢٩ ـ٣٣.

وعن صفاتهم عامةً، وأخلاقهم الحسنة، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ:
 ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحَدُودِ اللَّهِ وَبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغُو أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ الْحُاهِلِينَ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنْبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبِشِرْ عِبَادِ ﴿ ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦. (٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٤. (٤) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٥) سورة القصص، الآية: ٥٥. (٦) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ – ١٨.

وعن جزائهم في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النَّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاوُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ('').

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِيَّمُ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكرَّهَ إِلَيْكُمُ الأَيْمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكرَّهَ إِلَيْكُمُ الأَعْرِ لَكُونَ ﴾ (\*). الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (\*).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

<sup>(</sup>٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.

<sup>( ° )</sup> سورة الحجرات، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

<sup>(</sup> ٤ ) سورة الفتح، الآية : ٤ .

## من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في أهل الإيمان وفي بعض صفاتهم المميزة

فالإيمانُ الحقّ: هو الخوفُ مِنَ الجليلِ - جلَّ جلاله - يقود لفعلِ الجميلِ، والتَّوكل على العزيزِ الرحيمِ، فهذهِ هي أقوالُ الأثمَّةِ في صفاتِهم:

١ ــ قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ عبدُ الله بن مسعودٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(الْمُؤْمِنُ يَطْبَعُ عَلَىٰ الْخِلاَلِ كُلُّهَا إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبِ)(١).

وقالَ: ﴿ لَا رَاحَةَ لِلمُؤْمِنِ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ ﴾ (٢).

٧ - قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أُبيُّ بنُ كعبٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(المؤمنُ بينَ أربع: إِن ابتُلِيَ صبرَ، وإِن أُعطِيَ شكرَ، وإِن قَالَ صدقَ، وإِن حَكَمَ عدلَ؛ فهو يتقلّب في خمسة من النّور، وهو الذي يقولُ الله ﴿ نُورٌ علىٰ نُورٍ ﴾ كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلىٰ النّور يوم القيامة. والكافرُ يتقلبُ في خمسة من الظُلْمِ؛ فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلىٰ الظُلماتِ يوم القيامة ) (").

<sup>(</sup>١) وكتاب الإيمان، ابن أبي شيبة: (٨٠) ص٥٠٠.

<sup>(</sup>٢) وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص١٣٦.

<sup>(</sup>٣) وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص٥٥٥.

٣- قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ عمَّارُ بن ياسر، رضي اللهُ عنهُ:

( ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ ؛ فقد جَمَعَ الإيمانَ: الإنصافُ من نفسك ، والإنفاقُ من الإقتارِ ، وبذلُ السَّلام للعالم )(۱).

٤ - قالَ الصُّحابيُّ الجليلُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي اللهُ عنهُما:

( يأتي على النَّاسِ زمانٌ ؛ يجتمعونَ ويُصَلُّون في المسجدِ ، وليسَ فيهم مؤمنٌ)(٢).

قالَ التَّابِعِيُّ الجليلُ؛ الحسنُ البَّصريِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المؤمن من يعلم أنَّ ما قالَ الله - عزَّ وجلَّ - كما قال ، والمؤمن أحسن النَّاس عملاً ، وأشدُّ النَّاس خوفًا ؛ لو أنفق جبلاً من مال ، ما أمِن دون أن يعاين ، لا يزداد صلاحًا وبرًّا وعبادةً إلاَّ ازداد فرقًا يقول : لا أنجو . والمنافق يقول : سوادُ النَّاس كثيرٌ ، وسَيُغْفَر لي ، ولا بأس عليً ؛ فَينْسَىٰ العمل ، ويتمنَّىٰ علىٰ اللهِ تعالىٰ ) (٢) .

وقالَ: (أَنَّ العبدَ المؤمن؛ ليعملُ الذُّنبَ فلا يزال به كتيبًا)(١٠٠.

وقالَ: (ضحكُ المؤمن؛ غفلةٌ من قلبه) °°.

وقالَ رحمهُ اللهُ: ( الرَّجاءُ والحوفُ مطيَّتا المؤمن )(١٠).

<sup>(</sup>١) (كتاب الإيمان ، ابن أبي شيبة : (١٣١) ص٤٨.

<sup>(</sup>٢) وكتاب الإيمان، ابن أبي شيبة: (١٠١) ص.٤.

<sup>(</sup>٣) ٥ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص٥٣٠.

<sup>(</sup>٤) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٨.

<sup>(</sup>٥) وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص١٥٨.

<sup>(</sup>٦) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص٥٦.

٦- قالَ الإمامُ الفضيلُ بنُ عياضٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المؤمنُ؛ قليلُ الكلامِ كثيرُ العملِ، والمنافقُ؛ كثيرُ الكلامِ قليلُ العملِ؛ كلامُ المؤمنِ حِكَمٌ، وصَمْتُهُ تَفكُرٌ، ونظرُهُ عِبَرٌ، وعملُه بِرٌّ، وإذا كُنتَ كذا؛ لم تزلْ في عِبادةٍ)(١).

وقالَ: (الغِبْطةُ من الإِيمان، والحسدُ من النَّفاق. والمؤمن يغيطُ ولا يحسندُ. والمنافق يحسندُ ولا يَغْبِطُ. والمؤمن: يسترُ، ويعِظُ، وينصَحُ. والفاجر: يهتكُ، ويُعَيِّرُ، ويُفْشِي)(٢).

٧- قالَ الإِمامُ الزَّاهدُ؛ مالكِ بن دينارٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( مثلُ المؤمن ؛ مثلَ اللُّؤْلُوَةِ أَينما كانتْ حُسْنُها مَعَها ) (٣).

وقالَ: (لا يصطلح المؤمن والمنافقُ حتى يصطلحَ الذئبُ والجمل)(1).

وقالَ: (يا هؤلاء! إِنَّما المؤمن؛ مثل الشَّاة المأْبورة التي قد أكلت إبرة؛ فهي تأكل ولا نفع عليها لما قد خالطه من الحزنَ بينَ يديهِ) (°).

٨ - قالَ التَّابِعِيُّ الجليل؛ وهبُّ بن مُنَّبِّه، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المؤمنُ يُخالِطُ ليعلَم، ويَسكتُ ليسلمَ، ويتكلَّمُ ليفهمَ، ويخلو لينعم)(١).

<sup>(</sup>١) ٥ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٩٨.

<sup>(</sup>٢) ١ حلية الأولياء اأبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٥٥.

<sup>(</sup>٣) « حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٢ ، ص٣٧٧ .

<sup>(</sup>٤) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج٢ ، ص٣٧٦.

<sup>(</sup>٥) « حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٢ ، ص٧٧٧ .

<sup>(</sup>٦) ٥ حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٤، ص٨٦.

٩ - قالَ الإمامُ القدوةُ ؛ سَلَمَةُ بنُ دينارٍ ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(أَفضلُ خصلة ترجىٰ للمؤمن؛ أَن يكون أَشَدُّ النَّاس خوفًا علىٰ نفسه، وأَرجاه لكلُّ مسلم)(١).

• ١ - قالَ الزَّاهدُ العابدُ؛ شقيقُ بن إبراهيم البَلْخي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( المؤمنُ ؛ مشغُولٌ بخصلتينِ، والمنافقُ ؛ مشغولٌ بخصلتين ؛ المؤمنُ ؛ بالعِبَرِ والتَّفكُر، والمنافقُ ؛ بالحرصِ والأَمل )(٢).

وقالَ: (مثلُ المؤْمنِ؛ كمثلِ رجلٍ غرسَ نخلةً، وهو يخافُ أَن يحملَ شوكًا)(٢).

١ ١ – قالَ التَّابِعي الزَّاهِدُ مروقُ بن مشموخ العجلي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( مَا وَجَدَتُ لَلْمُؤْمَنِ فِي الدُّنيا مِثْلاً إِلاَّ كَمِثْلِ رَجَلٍ عَلَىٰ خَشْبَةٍ فِي البَّحْرِ، وَهُو يقولُ: يارَبُّ! يارَبُّ! لَعلُّ اللهُ أَن يُنجِيَهُ )(°).

٢ ١ - قالَ الحافظُ الواعظُ؛ قتادةُ بنُ دِعَامَة البصريّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(كان المؤمنُ لا يُعْرَفُ إِلاَّ في ثلاثة مواطنَ: بيت يسترُهُ، أو مسجدٌ يعمِّره، أو حاجة من الدُّنيا ليسَ بها بأس) (°).

<sup>(</sup>١) وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٣٠.

<sup>(</sup>٢) وحلية الأولياء وأبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٧١.

<sup>(</sup>٣) و حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٨٦.

<sup>(</sup>٤) وكتاب المصنف، ابن أبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٨٤ برقم: (١٦٩٩٦).

<sup>(</sup>٥) وحلية الأولياء و أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص ٣٤١.

٣ ١ - قالَ الزَّاهدُ القدوةُ الرَّبانيُّ ؛ حاتم بن عنوانَ الأَصمُّ، وحمهُ اللهُ:

(لا يغلبُ المؤمن عن خمسةِ أشياء: عن اللهِ عن وجل، وعن القضاء، وعن الرّزق، وعن الموت، وعن الشّيطان)(().

وقالَ: (المنافقُ؛ ما أَخذ من الدُّنيا أَخذ بحرص، ويمنع بالشَّكُ، وينفق الله وينفق الله عنه بالسَّدَّة، وينفق الله خالصًا في الطَّاعة) (٢٠).

١٤ - قالَ الإَمامُ التَّابِعيُّ؛ مُطرِّفٌ بن عبد الله بن الشَّخِير، رحمهُ اللهُ:
 (لو وزنَ رجاء المؤمن خوفه؛ ما رجح أَحدهما صاحبه)(٢).

١٥ - قالَ التَّابِعيُّ عبدُ الله بن عُبيد بن عُمير اللَّيْثيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:
 ( العلم ضالَّةُ المؤمن يغدو في طلبه؛ فكلما أَصاب منه شيئًا حواه،
 ويطلب إليه غيره ) (١٠).

17 - قالَ الإمامُ الفقيهُ العابدُ؛ محمَّد بن عَجْلان القرشيُّ، رحمه الله: (المؤمنُ يحبُّ المؤمن؛ حيثُ كان)(°).

١٧ - قالَ الإمامُ التَّابعيُّ العابد؛ الرَّبيع بن خُثَيْم الثَّوْريُّ، رحمهُ اللهُ:
 (ما غائبٌ ينتظره المؤمن؛ خيرٌ من الموتِ)<sup>(١)</sup>.

<sup>(</sup>١)، (٢) وحلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٧٩٠.

<sup>(</sup>٣) ١ كتاب المصنف ، ابن أبي شيبة ؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٧٨ برقم: (١٦٩٧٢).

<sup>(</sup> ٤ ) ٥ حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٣ ، ص٥٥ ٣٠.

<sup>(</sup>٥) ه حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٢٣٠.

<sup>(</sup>٦) ٥ كتاب المصنف ٥ ابن أبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٦، ص٤ ٣٩ برقم: (١٦٦٩٣).

1 ٨ - قالَ التَّابِعيُّ الإِمامُ؛ مَسْروق ابن الأجْدَع الهمدانيِّ، رحمهُ اللهُ:

(ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدُّنيا، وأَمن من عذاب اللهِ تعالىٰ)(١).

19 - قالَ التَّابِعيُّ الإمامُ الحافظُ طلحة بن مصرَّف المقرئ، رحمهُ اللهُ:

(المؤمن يجلب عليه ابليس من الشياطين أكثر من ربيعة ومضر)(١).

• ٧- قالَ التَّابِعيُّ الإِمامُ العابدُ؛ محمَّد بن سُوقة الغنويُّ، رحمهُ اللهُ:

( إِنَّ المؤمن الذي يخاف الله لا يسمن ولا يزداد لونه إِلاَّ تغيرًا ) (٢٠).

١ ٣- قالَ سيَّدُ التَّابِعِينَ الإِمامُ الحافظُ العابدَ الفقيهُ القدوةُ؛ طاووسٌ ابن كَيْسَانَ الفارسيُ ثمَّ اليمنيُ الجَنديُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( إِنَّ المؤمنَ لا يحرز دينه؛ إلاَّ حفرته )(١).

٣ ٢ - قالَ الأَمامُ التَّابعيُّ؛ خالدٌ بن مَعْدان الكلاعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:
(إنَّ أَدنىٰ حالات المؤمن؛ أن يكون قائمًا، وخير حالات الفاجر؛ أن
يكون نائمًا) (°).

٣٧ - قالَ الفقيه؛ هاني بن كلثوم بن شريك، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(مثل المؤمن الفقير؛ كمثل المريض عند الطبيب العالم بدائه، تطلع

<sup>(</sup>١) وكتاب المصنف ابن أبي شيبة ؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٠٤ برقم: (١٦٧١٥).

<sup>(</sup>٢) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني: ج٥، ص١٩.

<sup>(</sup>٣) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٥.

<sup>(</sup>٤) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني: ج٤، ص٦.

<sup>(</sup>٥) د حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٥، ص٢١١.

نفسه إلى أشياء يشتهيها لو أصابها أهلكته؛ كذلك يحمي الله تعالى المؤمن من الدُّنيا)(().

٢٤ - قالَ التَّابِعيُّ خَيْثمة بن عبد الرحمن الجُعْفيِّ الكوفيُّ، رحمهُ اللهُ:
 (طوبي للمؤمن؛ كيف يحفظُ في ذريته من بعده)(٢).

٣٥ – قالَ الإمامُ الزَّاهد؛ محمَّد بن المُنْكَدِر القرشيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:
(إنَّ الله تعالىٰ يحفظُ العبد المؤمن في ولَدِهِ وولدِ ولده، ويحفظُ في دويرته، وفي دويرات حوله؛ فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين ظهرانيهم) (٣).

فهذا قُلِّ من كُثْرٍ! من صفاتِ عبادِ الرَّحمنِ - أهل الإيمان الصَّادِقِ والطَّاعة المطلقة - فإِذا أردنا - نحن المسلمين اليوم - الفلاح، والنَّجاح، والنَّجاة، والتَّوفيق، والسَّداد، والعِزَّة، والسِّيادة، والقيادة، وعدم العبوديَّة للاَقوياء من بني البشرِ؛ بل إِذا أردنا خَيْرَيِّ الدُّنيا والآخرة وسعادتهما:

فعلينا التمستُك بما كان عليه هؤلاء الكرام العظام من أهل الإيمان الصَّادِقِ؛ الذين سطر لنا التَّاريخ سيرتهم بماء العين، وعلينا أن نتأسَّى بهم وبأقوالهم وأفعالهم؛ فهم اقتدوا برسُولِ اللهِ عَلَيْهُ وتخلَّقوا بأخلاقِه، وامتثلوا بأوامره، فكانوا كما وصفهم اللهُ عزَّ وجلَّ:

<sup>(</sup>١) وحلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٦، ص١١٩.

<sup>(</sup>٢) «كتاب المصنف» ابن أبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٤٩ برقم: (١٦٨٧٤).

<sup>(</sup>٣) ﴿ حلية الأولياء ﴾ أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص١٤٨.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُوْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١).

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْسَرِيَّةِ ﴿ ثَلَ مَا لَكُ مَا الْأَنْهَارُ الْسَرِيَّةِ ﴿ ثَلَ مَنْ حَسِّهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رُضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (٢).

فالعملُ الصَّالحُ من أعظم صفاتِ أهلِ الإيمانِ الصَّادِقِ!

والعملُ الصَّالحِ شرطٌ أساسي لرضوان الله تعالى، ولدخول جنَّته جنَّة النَّعيم، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيُّمَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٢) سورة البينة، الآيتان: ٧ - ٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠ – ٧١.

# خوارم الإيمان ··· المعاصي وأثرها على الإيمان عند أهل السنة والجماعة

<sup>(\*)</sup> الخوارم: جمع خارم؛ من خَرَمَ الشَّيْءَ إذا شقَّه وقطعه. يُقال: انْخَرَمَ السَّيْءَ إذا شقَّه وقطعه. يُقال: انْخَرَمَ الكتاب، أي: نقص وذهب بعضه. والخارم هو التَّارك المفسد. ويقال: خوارمُ المروءة، وخوارمُ العدالة، أي: ما ينقض العدالة والمروءة، ويسقط الشَّهادة. ويرادفُ الخوارم: القوادحُ والقواصمُ. وبذلك يكون المعنى المقصود من كلمةِ الخوارم: تلك النقائص التي تفقد الشَّيَءَ تمامه.

#### خوارم الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- المعاصى وأثرها على الإيمان.
- المعاصى تنقسم إلىٰ كبائروصفائر.
  - خطر المعاصي والذُّنوب عامَّة.
- خطورة الإصرار على المعاصي، والتهاون في فعل الصغائر.
  - صفائر المعاصي قد تتحوَّل إلىٰ كبائر.
    - حكم الإصرار على المعاصي.
  - آثار المعاصي الوخيمة على العبد في دينه ودنياه وآخرته.
    - آثار المعاصي والذُّنوب على القلب.
    - آثار المعاصى والذُّنوب على الدِّين.
    - آثار المعاصى والذُّنوب على البدن.
    - آثار المعاصى والذُّنوب على الرزق.
    - آثار المعاصي والذُّنوب على العامة وعلى الفرد.
      - آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ المجتمع.
- من أقوال أئمَّة أهل السُّئَّة والجماعة في المعاصي والذُّنوب.
  - مكفرات الذُّنوب عند أهل السُّنَّة والجماعة.
    - الوقاية والعلاج من المعاصي والذُّنوب.
      - حكم مرتكب الكبيرة دون الشرك.
  - أقوال أئمة أهل السّنة والجماعة في حكم أهل الكبائر.
    - من أسباب سقوط العقوبة عن العصاة الموحدين.
      - طبقات عصاة الموحّدين يوم الدّين.

# المعاصي وأثرها على الإيمان(•)

فقد علمنا - بما مضى - أنَّ الإيمانَ اعتقادُ وقولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والأعمال الصَّالحة، وينقصُ بالمعاصي والدُّنوبِ.

وأنَّ للإيمانِ – عند أهل السُّنَةِ والجماعة – شُعبًا ودرجات متفاوتة ؛ مَنْ استكملَها! فقد استكملَ الإيمان الصَّادِقِ ، ومَن فرَّط فيها! فقط نَقَصَ من إيمانه بقدرِ هذا التَّفريط ؛ سواءً كان ذلك بترك بعض الطَّاعات والأعمال الصَّالحة ، أو بارتكاب بعض الحرَّمات أو المنكرات .

<sup>(\*) •</sup> المعاصي لغة : أصله من العصا وهو الاجتماع والائتلاف. ومنه قبل للخوارج: قد شقوا عصا المسلمين، أي: فرُقوا جماعتهم، والعصيان خلاف الطاعة، عصى العبد ربَّه إذا خالف أمره. وعصى فلانٌ أميره، أي: لم يطعه. «تهذيب اللَّغة، وه لسان العرب، مادة: ع.ص.ا. المعاصي شرعًا: هي ترك المأمورات، وفعل المحظورات الشَّرعيَّة، أو هي ترك ما أوجبه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله عَلَي أي : هي ارتكاب ما نهى الله عنه، أو رسوله عَلَي في الله عنه، أو الباطنة.

قالَ شيخُ الإسلامُ ابنُ تيميَّةَ، وحمهُ اللهُ: (المعصيةُ هي مخالفة الأمر الشَّرعيُّ؛ فمن خالف أمر الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ فقد عصلي (مجموع الفتاوي، و ج ٨، ص ٢٦٩. . و أَلفاظ تدخل في معنى الموسان في المصلحات الشَّرعيُّة، منها: الفستُ اللهُّنَّةُ مُن

ألفاظ تدخل في معنى العصيان في المصطلحات الشَّرعيَّةِ، منها: الفسقُ، الذَّنبُ، الخَطيئةُ، السَّيئةُ، الحُوبُ، الإثمُ، الفسّادُ، العُتُو، الإصرُ.

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة ، رحمهُ الله: (لفظُ المعصيةِ والفُسُوقِ والكُفْرِ: فإذا أُطلقتِ المعصيةُ لاَ الله ورسُولَهُ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَعَنَم خَالِدِينَ فِيها الكُفْر والفُسُوقُ، كقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ الله وَرسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَم خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا ﴾ [الجن ٣٦] وقولهِ تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآياتِ رَبِّهِم وَعَصَواْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ آمْرُ كُلِّ جَبَّارِ عَنيد ﴾ [هود: ٥٥] فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودًا معصية لجنس الرسل) «مجموع عصوا هودًا معصية تكذيب لجنس الرسل؛ فكانت المعصية لجنس الرسل) «مجموع المقاوى»: ح٧، ص٥٥.

وشُعَبُ الإيمانِ هي الأعمالُ الصَّالِحةِ التي أمرنا الله - تبارك وتعالىٰ - بها؛ فأعلاها « لا إله إلا الله » وأدناها « إماطةُ الأَذَىٰ عن الطَّريق » وما بين ذلك شُعبٌ ودرجاتٌ متفاوتةٌ ؛ منها ما هو إلىٰ أعلىٰ الشُعبِ أقرب، ومنها ما هو إلىٰ أحلىٰ الشُعبِ أقرب، ومنها ما هو إلىٰ أدنىٰ الشُعبِ أقرب.

وكذلك الكُفرُ عند أهل السُّنَّةِ والجماعة: هو دركاتٌ وظلماتٌ وشُعبٌ وفروعٌ متعدِّدة، وهذهِ الشُّعبِ والدَّركاتِ – والعياذُ بالله – هيَ:

الشّرك، والنّفاق، والظّلم، والهوى، والكبائر، والفُسُوق، والمعاصي، والذُّنوب، والفَسَاد، والآثم، والخطيئة، والسّيّئة، وغيرها من المصطلحات التي تُرادفها:

فإنَّ بعضُ هذه الشُّعبِ والدَّركاتِ من الكُفرِ مخرجٌ من دين الإيمان الإيمان الإيمان الإيمان أو العياذُ بالله - إذا كانت هذه الشُّعبةُ تنافي وتناقض أصلَ الإيمان وتهدمهُ وتذهبه، ويسمَّىٰ ذلكَ بالمصطلحِ الشَّرعِ: بالكُفر الأكبر، أو الشَّرك الأكبر، أو ما يُرادفهما من المصطلحاتِ الشَّرعيَّةِ.

وهذا النوع من الكُفرِ لا يغفره الله تعالىٰ البتَّةَ! إِذا ماتَ العبدُ عليهِ!

ولا يغفر الله تعالى هذا النوع من الكفرِ؛ إِلاَّ بالتَّوبةِ الصَّادقةِ النَّصُوح، وبتجديد الإيمان الصَّادِقِ، والدُّخول في الإسلام الحقِّ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكُفُر ْ بِالْإِيمَانِ فَقَد ْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْحَاسِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَالُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن اللَّهِ وَلَهُمْ عَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ اللَّهِ إِلَهًا اللَّهُ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ اللَّهُ يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿ آَلَ اللَّهُ مَن تَابَ يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُد فِيهِ مُهَانًا ﴿ آَلَ اللَّهُ مَن تَابَ وَكَانَ اللَّهُ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهِ مَنَابًا ﴾ (٢) .

وبعض هذه الشُّعب من الكُفرِ - عند أهل السُّنَةِ والجماعة - غيرُ مخرجٍ من دينِ الإسلام؛ لأنَّها لا تنافي أصلَ الإيمان، ولكن يُنْقِصُه ويُضْعِفه ولا يذهبه بالكليَّةِ، أي: ينافي كمالة الواجبَ والمستحبُّ.

وهذا النوع من الكُفر يكون بترك بعض المأمورات، وفعل بعض المنهيّات الشّرعيّة؛ من ارتكاب المعاصي والذّنوب والأثام والخطايا، ويسمّىٰ هذا النوع بالكفر الأصغر، أو الشّرك الأصغر، أو كُفرٌ دون كفر،

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ – ٧١ .

وهذا النوع من الكفر – أي المعاصي والفسوق والذُّنوب – إِذا مات صاحبه عليه؛ فهو تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ إِن شاءَ عذَّبَهُ بعدلِهِ وحكمتِهِ، وإِن شاءَ عفا عنه وغَفَرَ لَهُ؛ بمنَّهِ وكرمِهِ ورحمتِهِ وإحسانِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الأَعْرِ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٢)(٥).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

 <sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

<sup>( \* )</sup> قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في تفسير هذه الآية الكريمة :

<sup>(</sup>أي: وبغَّض إليكم الكُفر، والفسوق: وهي الذُّنوب الكبار، والعصيان: وهي جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (قال محمد بن نصر المروزي: لما كانت المعاصي بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر؛ فرق بينها؛ فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أله كرهها كلها إلى المؤمنين. ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه؛ لم يفرق بينها، فيقول: حبّ إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات؛ بل أجمل ذلك، فقال: ﴿ حبّ إليكم الإيمان في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حبّ إلى المؤمنين الصلاة والزّكاة، وسائر الطاعات حبّ تدين؛ لأن الله أخبر أنه حبّ ذلك إليهم وزيّته في قلوبهم، لقوله: ﴿ حبّ إليكم الإيمان ﴾ ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها، والفسوق، وسائر المعاصي، كراهة تدين؛ لأن الله أخبر أنه كرّه ذلك إليهم) و مجموع والفسوق، وسائر المعاصي، كراهة تدين؛ لأن الله أخبر أنه كرّه ذلك إليهم)

#### • أقسام المعاصي:

### المعاصي تنقسمُ إلى كبائر وصغائر:

المعاصي والذُّنوبُ التي هي دون الكُفر، أو الشِّرك - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - تنقسمُ قسمين: كبائر، وصغائر.

- الكبيرة: هي كلُّ معصية يترتَّبُ عليها حدٌّ في الدُّنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو لعنةٌ، أو غضبٌ، أو نارٌ، أو عذابٌ.
- الصّغيرة : هي كلُّ معصية لا يترتَّب عليها حدٌ في الدُّنيا، ولا وعيدٌ في الآخرة، أو لعنٌ، أو غضبٌ، أو عُقوبةٌ، أو نفيُ الإيمانِ عن فاعلهِ.

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ استدلُوا على هذا التَّقسيم؛ بأدلَّة من الكتابِ، والسُّنَّةِ، والإجماع، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾ (١)(\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفَّرٌ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدَّخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ (١٠(\*\*).

<sup>(</sup>١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

<sup>(\*)</sup> هذه الآية صريحة الدلالة في تقسيم الذنوب إلى كباثر وصغائر على خلاف بين العلماء في المقصود باللمم، قال الإمام ابن القيم، رحمه الله: (قول الجمهور: أنَّ اللَّمم صغائر المذنوب؛ كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصَّحابة ومن بعدهم) انظر: «مدارج السالكين» ج١، ص٣٤٣.

<sup>( \*\* )</sup> قالَ القرطبيُّ، رحمه الله: ( لَمَا نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعَدَ على المِتنابها التخفيف من الصغائر، ودلُّ هذا على أنَّ في الذنوب كبائرُ وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء ) ه الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١٠٤ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١)(\*).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانِ ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ ﴾ (٢) (\*\*).

وعن أبي هُريرةً - رضي الله عنه - قالَ: قالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكُ :

« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قالوا: يا رسُولَ اللهِ ، وما هُنَّ ؟ قالَ: « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسَّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ النَّعْصَنَاتِ الرِّبا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّولِي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ المَّافِلات » ( " ) .

وقالَ الإمامُ ابن القيم، رحمهُ اللهُ: ﴿ وَالَّذِنُوبُ تَنْقَسُمُ إِلَىٰ صَغَائرِ وَكَاثُرِ ؛ بنص القرآنِ، والسُّنَّةِ، وإجماع السَّلفِ، وبالاعتبارِ) ('').

 <sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

 <sup>(</sup>٢) « رواه مسلم ، في كتاب (الطهارة) باب: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة . . . . . .

<sup>(</sup>٣) ه رواه البخاري ، في كتاب (الوصايا) باب: «قول الله تعالىٰ: وآتُوا اليتَامي أموالهم».

<sup>(</sup>٤) ومدارج السالكين و ج١، ص٢٤٢.

<sup>(\*)</sup> قال الإَمَام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا عملاً وإن صغر ﴿ إِلاَ أَحْصَاها ﴾ أي: ضبطها وحفظها).

<sup>( \*\* )</sup> قال الإمام النووي، رحمه الله: ( فسمَّىٰ الشرع ما تكفره الصَّلاة ونحوها صفائر، وما لا تكفره كبائر) و شرح النووي على صحيح مسلم ، ج٢، ص٨٥.

#### • خطرُ المعاصى والذُّنوب عامَّةً:

المعاصي والذُّنوب بأنواعها الكبيرة والصغيرة؛ شأنُها عظيمٌ، وأمرها كبيرٌ، وخطرها جسيمٌ عند الله - تبارك وتعالى - وهي تدورُ ما بينَ الإثمِ، والذَّنبِ، والخطيعة، والسَّيَّعة، والفساد، والعُتُوّ، والظُّلم، والفاحشة، والفِسق، والعصيان، والضَّلال، والكُفر، والشِّركِ.

والمعاصي عامَّةً لها عواقب خطيرةً على الأفرادِ والمجتمعات! وهي تُبعدُ عن رضوانِ اللهِ تعالى، وعن رحمته الواسعة؛ بل هي من الأسباب الرئيسة المقربة للى سخطه الشَّديد، وعذابه الأليم، ونار جهنَّم، والعيادُ بالله.

فالمعاصي! شؤم وعار، وشرٌ ودمار، وخزيٌ ونار؛ إنّها تبدل صاحبها بالعزّ ذلاً، وبالنّعَم حرمانًا، وبالأمن خوفًا، وبرَعَد العيش جوعًا، وباللّباس عُرْيًا، وبالبركات مَحْقًا وذهابًا، وبالغنى للشُعوب فقرًا، وبالعفاف فجورًا، وبالحياء استهتارًا، وبالعقل والحلم خفّة وطيشًا، وبالاجتماع فُرقة واختلافًا، وبالاستقامة زيغًا وفسادًا، وبالتواد والتراحم كراهية ونفرة وبغضًا، وبالاستقامة زيغًا وفسادًا، وبالجنّة في الآخرة نارًا، وبالفرح بالطّاعة همًّا وغمًّا، وبالحياة الطّيبة معيشة ضنكًا!! ومن أعظم عقوبات المعاصي وأخطرها على العبد هي الطبع على قلبه، والختم عليه، وغفلته وموته، وأخطرها على العبد هي الطبع على قلبه، والختم عليه، وغفلته وموته، وانتكاسه وظلمته وقسوته؛ حتى يرى صاحبها المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، وتحب المعصية وتكره الطّاعة، فلا يخشع لموعظة، ولا يستجيب لناصح؛ فهذا دليلٌ على ضعف الإيمان يخشع لموعظة، ولا يستجيب لناصح؛ فهذا دليلٌ على ضعف الإيمان والإحسان في القلب، فكلما استمر صاحبها في فعل المعاصي وكسب

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١).

وإذا مات قلب العبد بالمعاصي لا يشعر بعده بالعقوبات، ولا يحس بها؛ لأنَّه لا يرى العقوبَة إِلاًّ إِذا نزلت في دنياه، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ :

« الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ (٢٠).

إذن المعاصي! هي حرب لله تعالى ورسُولِهِ عَلَيْ ، وهي آساسُ الدَّاء ، وسببُ البلاء ، وجلبُ النَّقم ، وتعجيلُ العقوبة ، وحرمانُ العلم والرِّزق ؛ فهي متفاوتة في شرورها وعقوباتها ، فبعضها أعظم من بعض ، وكلُها شرِّ ، صغيرُها وكبيرها ؛ لذلك جاءت نصوص كثيرة من الشَّارع الحكيم ؛ تحذرُ من ارتكابِ المعاصي والذُّنوبِ عامَّة ، وتبينُ عقوباتها الشَّديدة ، ومآلها الوخيم في الدُّنيا قبلَ الآخرة ! وكلُّ ذلك لكي نبتعد عنها ، ولئلا نتهاون بها ونالفُها ، ولا نغتر بالإمهال وطول الآمل الذي هو من خُطوات الشَّيطانِ العدو الأكبر لابن آدم ؛ فإنَّ الذُّنوب لا تُنسىٰ ، والديَّان حيِّ لا يموت ! العدو الأكبر لا يفطرون ولا يملون ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ :

﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَرَهُ ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّا يَرَهُ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية: ٨.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب صفة القيامة ) باب و ٢٥ ه. وقال حديث حسن، ولبن ماجة في ( ٢ ) رعاب الزهد ) باب و ذكر الموت والاستعداد له ه.

<sup>(</sup> ٣ ) سورة الزلزلة، الآيتان : ٧ – ٨ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرِ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٣).

وفي الحديثِ القُدسيِّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

« يَا عِبَادِي ! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ » ( ٤ ) . .

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُوَّالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ ؛ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَوْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَوْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » ( ° ) .

ونصوص كثيرة - أيضًا - تُذكرنا بالقصص الحقّ عن القرون الحالية بما أصاب الأمم الماضيّة؛ كيف نزلت بهم عقوبات الذُّنوب، وتجرَّعوا كؤوس الخسران والوبال، ولم تنفعهم الجموع والأولاد والأموال؟ وما أصحابهم

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الشورئ، الآية: ٣٠.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب ا تحريم الظلم ».

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في ( كتاب الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة ) باب « بعثت بجوامع الكلم » .

ذلكَ العذابِ؛ إِلاَّ بسبب ذنوبهم، وبما كسبت أيديهم! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَسَاكِنِهِمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ السَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿ وَقَارُونَ وَقَارُونَ وَفِرْعُونَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَينَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَينَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿ وَلَكُ فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مِّنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مِّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مِّنْ أَغْرَقُنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالى: ﴿ وَأَندُرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُم مِن قَبْلُ مَا لَكُم مِن زَوَالِ فَنَ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَصَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴿ وَالْ عَلْمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَصَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴿ وَقَدْ مَكُرُوا مَكُرهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُرهُمُ لِتَزُولَ مِنْهُ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُرهُمُ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجَبَالُ ﴿ وَقَدْ مَكُرُوا مَكُرهُمُ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجَبَالُ مِنْ فَا لَتَحْسَبَنَ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو النّهِ الْتَعْلَمِ ﴾ (١٠) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبُكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٨ - ٠٠.

<sup>(</sup>٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

<sup>(</sup>٣) سورة هود. الآية: ١٠٥.

فالواجبُ على كلِّ مسلم صادقٍ في إيمانه! ترك جميع ما نهى الله تعالىٰ عنه ورسُوله عَلَيْ ولا فرق في ذلك بين الصَّغائر والمحقراتِ، والكباثر والموبقاتِ؛ فيجبُ البُعدُ عنها والخوفُ منها، والحذرُ على النَّفس وعلى والموبقاتِ؛ فيجبُ البُعدُ عنها والخوف منها، والحذرُ على النَّفس وعلى الأهل والمجتمع من أن تكون هذه المعاصي سببًا للوقوع في الفتنةِ، أو الوقوع في عذابٍ أليم، أو من سوءِ العاقبةِ في الدُّنيا والآخرة، وتَوقَّوا عقوباتها بالاستقامة، والتَّوبة إلى الله – عزَّ وجلً – واتّعاظ بما حَلَّ بالعُصاةِ المفترين في الدُّنيا، المتّبعينَ خُطواتِ الشَّيطانِ؛ فالسَّعيدُ مَنِ اتَّعَظَ بغيرِهِ، والشَّقيُّ مَن وُعِظَ به غيرُه، واعلم! أنَّ ترك المعاصي والذُّنوب تعظيمٌ لحق اللهِ تعالىٰ، وتعظيمٌ لما نهى الله عنه ورسُوله عَيَالَةُ ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِـمُؤْمِنِ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (١). الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْدَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (``).

فاحذر - أخي المسلم - خطر الذُّنوب والمعاصي؛ فما خسر الخاسرون إلاَّ بسببها، وما حُرم المحرومون من الخير والنَّعمة إلاَّ بأسبابها وعقوباتها، واعلم! إِنَّ سُنَةَ الله تعالىٰ في خلقِه لا تُحَابي أَحدًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

<sup>(</sup>٣) سورة القمر، الآية: ٤٣.

ثمَّ اعلم! أَنَّ لنا رَبِّ غفورٌ رحيمٌ كريمٌ يحبُّ عفوة؛ فبرحمته وحكمته - سبحانه - يحبُّ من عباده الرُّجوع إليه، والاستغفار والنَّدم على المعاصي والذُّنوب، ويحبُّ دوام الطَّاعاتِ، وإظهار الفضل إلى رحمته، والاضطرار إلى عفوه وغفرانه، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : ﴿ وَاللَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَلهُ مِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهُ ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »(١).

فاطلب - أخي المسلم - ما عند الله تعالى من الخير والنّعم بطاعته سبحانه، والبُعد عن معصيته؛ لأنَّ الخيرَ لا يُنال إلاَّ بطاعته، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ آَلَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ آَلَ النَّهِ عَلَيْمًا ﴾ (٢).

ثمَّ اشكره على نِعَمِه الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ تَا أَنَّ الله تَعالَىٰ يقول: ﴿ وَإِذْ تَأَذُن رَبَّكُمْ لَئِن شَكَر تُهُ لأَزيد نَكُمْ وَلَئِن كَفَر تُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٣).

واصدق في التَّوبة والنَّدامة والاستغفار، واعلم! أَنَّ ابن آدمَ ليسَ عصومٍ من الذُّنوب والخطايا، ولكنَّ الواجب عليه إذا وقع فيه أَن لا يصرُّ عليها؛ بل يبادر في حينها بالتَّوبة الصَّادقةِ النَّصوح، قالَ النَّبِيُ عَلَيْهَ :

« كُلُّ ابْن آدَمَ خَطَاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّالُونَ » (1).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب اسقوط الذنوب بالاستغفار توبة ،

 <sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ - ٧٠.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في ( كتاب صفة القيامة ) باب ه ٤٩ ه. وابن ماجة في ( كتاب الزهد ) باب « ذكر التوبة » .

## • خُطورةُ الإصرارِ على المعاصي، والتَّهاون في فعلِ الصَّغائرِ:

\* فإنَّ الاستصغارَ والاستهانة بالمعاصي والذُّنوب والخطايا والأَثام والتَّهاون في فعلها، ولو كانت صغيرةً! ليسَ من هديِّ النَّبِيِّ الكريم عَنْ ولا من سننته المطهرة، ولا من هديٍّ أصحابه الكرام - رضي الله عنهم - ولا من هديٍّ مَن تبعهم من أَئمَة السَّلف العظام قاطبةً، رحمهمُ الله تعالىٰ.

\* وإِنَّ عدمَ الْمبالاةِ بالوقوع في المعاصي، والتَّساهُل في شأنها، والإصرارَ عليها، والاستمرارَ بها، والتجاهل بعواقبها، وعدم العزيمة على التَّوبةِ؛ مخالفٌ لأُصولِ الدِّين الحقِّ الذي جاءِ به نَبِيُّ الإسلام الحنيف.

\* وهو استخفاف بأحكام الشَّريعة المطهرة؛ لأَنَّ كُل ما نَهَتْ عنه الشَّريعة المطهرة؛ لأَنَّ كُل ما نَهَتْ عنه الشَّريعة الغرَّاء؛ فهو كبيرة وعظيمة ومعصية عند الله - جلَّ وعلا - يجب الحذرُ منه، والتَّوبة عند الوقوع فيه، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبَعْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكُنْهُ » (٢).

وقالَ عَلِيْكَ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ!

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ – ٧٩.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج١، ص١٠ (مسند عبد الله بن مسعود) وصحَّح إسناده العلاَمة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند؛ ج٥، ص٢١٢ (٣٨١٨).

كَمَثِلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنِ وَادٍ؛ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ؛ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقِّرَاتِ الذَّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ »(١).

وقالَ عَلَيْكَ : « إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ؟ فإذَا هَوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، وإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَىٰ تَعْلُوَ فَإِذَا هَوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، وإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَىٰ تَعْلُو فَإِذَا هُو نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، وإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَىٰ تَعْلُو الله عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا فَلْبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ اللَّذِي ذَكَرَ الله : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكُسِبُونَ ﴾ "(١).

وقالَ الصحابيُّ الجليلُ؛ أنسُ بن مالك، رضي اللهُ عنهُ:

(إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ؛ إِنْ كُنَّا لَنَّكُمْ عَهْدِ النَّبَيِّ عَلِيَّةً مِنَ الْمُوبِقَاتِ)(٣).

وقالَ حَبْرُ الأُمَّة؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما:

( لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإصْرَارِ ) ( 1 ) .

وقال الصَّحابيُّ الفقية؛ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، رضى اللهُ عنه:

( إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وإِنَّ الفَاجر يَرَىٰ ذُنُوبِهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ ﴾ ( ° ) .

<sup>(</sup>١) رواه الإمام أحمد في « المسند » ج٥، ص ٣٣١ (عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه) وصحَّحه العلاَّمة الألباني في « السلسلة الصحيحة » برقم ( ٣٨٩).

<sup>(</sup>٢) ه رواه الترمذي ، في (أبواب تفسير القرآن) باب ه سورة ويل للمطففين ، وحسنته الألباني في الصحيح سنن الترمذي ، ج٢، ص١٢٧ . والآية: ١٤، من سورة المطففين .

<sup>(</sup> ٣ ) رواه البخاري في ( كتاب الرقاق ) باب: « ما يُتَّقَىٰ من محقرات الذنوب » .

<sup>. (</sup>٤) a جامع البيان » الإمام الطبرى: ج٨، ص٥٤٥ .

<sup>( ° ) ﴿</sup> رواه البخاري » في (كتاب الدعوات ) باب: ﴿ التوبة » .

واعلم! أَخِي المسلم اللَّبيبِ؛ علَّمنا الله تعالى وإيَّاك مخافته:

كما أَنَّ الشَّارِعَ الحكيمِ قد نهى عن كبائر الذُّنوبِ والموبقاتِ! كذلك نهى عن الصَّغائر والمحقرات؛ فالمؤمنُ الصَّادِقُ مُكلَّفٌ بترك الصَّغائر كلِها كما هو مُكلَّفٌ بترك الكبائر كلها، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكُسبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾ (١)(\*).

وصغائر الذُّنوب كثيرة ، ولا يُسلمُ منها أحدٌ - إِلاَّ من رحمَ اللهُ - إِلاَّ الْحَلَمُ وَ اللهُ اللهُ

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

<sup>(\*)</sup> قالَ شيخُ المفسرينَ الإمامُ ابن جرير الطّبري، رحمه اللهُ: (ظاهر الإثم وباطنه ... سرَّه وعلانيته ، والإثم: كلُّ ما عُصي الله به من محارمه ، وقالَ مجاهد: الإثم المعاصي كلها) . وقالَ الإمامُ ابن كثير، رحمه اللهُ: (قال مجاهد: وذروا ظاهر الإثم وباطنه: معصيته في السرِّ والعلانية . وفي رواية عنه هو: ما ينوى مما هو عامل . وقال قتادة : وذروا ظاهر الإثم وباطنه: أي: سره وعلانيته قليله وكثيره . وقال السّدي : ظاهره الزّنا مع البغايا ذوات الرايات ، وباطنه الزّنا مع الخليلة والصّدائق والأخدان . وقال عكرمة : ظاهره نكاح ذوات الحارم . والصّحيح أنَّ الآيةَ عامّة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ ﴾ [الاعراف: ٣٣] ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ إِنّ اللّذِينَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى عن الإثم، فقال : سيجزيهم عليه . قال ابن أبي حاتم . . . فال : سألتُ رسُولُ اللهِ عَلَى عن الإثم، فقال : «الأثمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلَعَ عَلَيْه النّاسُ » رواه مسلم ) .

وغالبًا ما يقع التَّهاون بصغائرِ الذُّنوبِ اعتمادًا على الظَّنِ الذي لا يُغني عن الحقِّ شيئًا! بأنَّ الهفوات وزلات لا تُكتب على فاعله ولا عقوبة فيها، وهذا غيرُ صحيح، وفقة أعوجٌ، وفهمَّ خاطئٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿ ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيُكُمْ وَلَا أَمَانِيُ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (٢).

وإنَّ منابعَ المعصية ووسائلها في عصرنا الحاضر كثيرةٌ لا حدَّ لها، ولم يسبق لها مثيلٌ على مرِّ العصور الخالية؛ فآثارها في النَّفس والمجتمع كبيرةٌ جدًّا وعظيمةٌ وأَشدُّ خطرًا ممن سبق؛ لأنَّ أعوان شياطين الإنس من الفاسقين والفاجرين استغلوا كلَّ مبتكراتِ العصر؛ كالبثِ الفضائي، وشبكة الإنترنت، والهاتف الجوال وغيرها كثير؛ في نشر المعاصي بأنواعها، والتشجيع عليها، والترويج لها، مما زاد من منافذ الفتن، والتي قد يستهين والناس بها أمام حاجتهم إلى استعمال هذه المبتكرات العصرية والتقنيات الحديثة، واعتمادهم عليها في حياتهم اليومية.

ولكن من رحمة الله تعالى بعباده؛ أنَّه بسَّرهم بمغفرة الصَّغائر إذا اجتنبوا الكبائر، وشرع لهم مكفِّرات كثيرة للذُّنوب، وجعل الحسنات تمحو السَّيئات؛ لكن حذَّرهم في الوقت نفسه من التَّهاون بصغائر الذُّنوب، وإهمال مجاهدة النَّفس على تركها والتَّوبة منها.

<sup>(</sup>١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

ولكن بعضُ المسلمين - مع الأسف الشّديد - يتهاون في ارتكاب الذُّنوب والمعاصي؛ اعتمادًا منهم على أنَّها مغفورةٌ بالأعمال المكفَّرة؛ كالعبادة والصّدقة وغيرها! فهؤلاء الغافلون! هل سألوا أنفسهم يومًا عن تلك الأعمال؛ من صلاة وصوم وحجٌ، هل قُبلت منهم أم لا؟ هل تكفي لحو سيئاتهم أم لا؟ ومن الذي يعلم من الخلق أنَّ الله تعالى سامحه في هفواته وزلاته؛ حتى لا يتوقف عن فعلها ويترك التَّوبة منها! وهذا سيّد البشر عَيِّةً - الذي غُفِرَ لَهُ ما تقدمَ من ذنبه وما تأخر - يقولُ:

« وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » (١٠).

فهلْ يحَقُ لأَحدٍ بعدَ النَّبِيِّ عَلَيْكُ أَن يتركَ التَّوبةَ من صغائرِ الذُّنوبِ!

واعلم! أنَّ السُّقوطَ في مستنقع التَّهاون بصَّغارِ المعاصي يشغلُ النَّفسَ عن التَّوبةِ، ويبعدُها عن القيامِ بالأعمالِ المكفرةِ للذُّنوب، وقد يجر التَّهاون بالصَّغائرِ إلى هو أكبر منها! لأنَّ الجرأةَ على الصَّغائر يفتحُ على النَّفسِ باب اعتيادها، لا سيما مع سهولة اقترافها؛ حتى تتعود انتهاك حدود الله تعالى ومخالفة أوامره ونواهيه؛ ثمَّ يسهلُ لها عدواه الشَّيطان بخطواته ما هو أكبر من ذلك، ويزين لها طريق اقتراف الكبائر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَبعُ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَر ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب « استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ». (٢) سورة البقرة، الآية : ١٦٨.

ومما يزيد من خطر صغائر الذنوب والمعاصي؛ أنّها قد تجلب على فاعلها أوزاراً من حيث لا يشعر! وقد يرتكب العبد ذنب وهو لا يبالي بها، ويضرب أثره في الآفاق، فيكون سببًا في نشر الفتن، وتدمر الأخلاق وهو لا يعلم! بل قد يكون هلاك العبد في كلمة يطلقها! ويهون بها لغيره محرمًا، أو شبهة ، أو يشجعهم على بعض المعاصي بإشارة؛ فيحمل بذلك وزر كلَّ مَن اقتدى به، أو اعتمد كلامه وأوّله، وقد يوفّقون هؤلاء للتّوبة فيُغفر لهم – والله غفور رحيم – ولكن صاحب الكلمة تجده سارح في غيّه يحمل وزره وأوزارهم! ثمّ يتفاجأ بها المسكين يوم القيامة عند الحساب!!

قَالَ النَّبِيُ عَيِّكَ : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ؛ يَوْفَعُ اللهِ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ (١) (\*).

فلا تغفل - أيُّها المسلم الكريم العزيز - عمَّا غفلَ عنه المجرمون الظَّالمون الظَّالمين في حياتهم الدُّنيا، واتَّبعوا أهوائهم بفضل شيطانهم - الذي يكيد لهم - وكان أمرهم فُروطا، ونسوا أنَّ الملائكة الحفظة الكرام البَرارَ؛ يسجلونَ علىٰ ابن آدمَ كلَّ صغيرٍ ودقيقٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «حفظ اللسان».

<sup>(</sup>٢) سورة القمر، الآية: ٥٣.

<sup>(\*)</sup> قالَ الحافظُ ابن حجر - رحمه الله - في شرح الحديث: (لا يلقي لها بالاً. أي: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيْنًا وَهُو عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥]).

فهذا الذي غَفِلُ عنه المجرمون في الدُّنيا؛ فسيذهلهم خطره العظيم يوم الحسرةِ والنَّدامة عندَ الميزانِ يوم الحساب، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَوَصْعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١).

واعلم! أنَّ الله تعالى جليلٌ عظيمٌ، ومن عظمته - عزَّ وجلَّ - أنَّهُ لا يخفي عليه خافية في ملكوته - سبحانه - فهو الرَّقيب العليم الخبير المطلع على السَّراثر؛ فلا تنظر أيُّها العبد المسكين! إلى صُغرِ الخطيئة، ولكنْ انظر إلىٰ من عصيت، قال الله تعالىٰ علىٰ لسانِ عبدهِ لقمان الحكيم:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدُلِ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي اللَّرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢).

ويقولُ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٣).

واعلم أَخي المسلم العزيز: علَّمنا الله وإيَّاك طريقَ الهُدين:

أَنَّه حريٌّ بكلِّ مسلم صادق مع رَبِّهِ - عزَّ وجلَّ - أَن لا يأْمنَ مكرَ اللهِ تعالى، وشديد عقابه وأليم عذابه، وأن لا يُحَقِّرَ المعاصي والذُّنوب مهما كانت صغيرة أو دقيقة، وأن يبادر بالتَّوبة والاستغفار إذا وقعَ منه ذنبٌ على

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

<sup>(</sup>٢) سورة لقمان، الآية، ١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة ق، الآية، ١٦.

الفورِ، كما يجب عليه أن ينظرَ إلى عظمةِ مَن عصاه وخالف أمره، لا إلىٰ صُغرِ معصيته التي ارتكبَها، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةً مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أَعِدَّتُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ وَالْكَاظِمِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْكَاظِمِينَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالْصَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظُ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالْفَرِينَ إِذَا فَعَلُوا الْغَيْظُ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالْمَافِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاللَّهُ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ فَا حَشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذَّنُوبِ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَآلَ اللَّهُ وَلَمْ يُعْلَمُونَ وَآلَ اللَّهُ وَلَمْ عُغْفِرُ وَا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَآلَ اللَّهُ وَلَمْ يُعْلَمُونَ وَآلَ اللَّهُ وَلَمْ عُغْفِرَةً مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبُعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسِّهُمْ طَاثِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ( ` ).

وقالَ التَّابِعِيُّ والإمامُ الرِّبانيُّ؛ بلالُ بن سَعْدِ السَّكُونيُّ، رحمهُ اللهُ:

( لاَ تَنْظُرُ إِلَىٰ صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظَرْ مَنْ عَصَيْتَ ) (٢٠).

وقالَ الإمامُ القدوةُ؛ الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( بِقَدْرِ مَا يَصْغُرُ الذَّنْبُ عَنْدَكَ ؛ يَعْظُمُ عَنْدَ اللهِ ، وبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَ اللهِ ، وبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَ اللهِ ) ( \* ) .

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٢ - ١٣٦.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

<sup>(</sup>٣) ، (٤) انظر: ٥ الجواب الكافي، لابن القيم؛ ص٩٩ . دار ابن خزيمة .

#### • صغائرُ المعاصي قد تتحوَّلُ إِلَىٰ كبائر:

والصَّغائرُ من المعاصي والذُّنوبِ - عند أهل السُّنَّةِ والجماعة - قد تعظُمُ وتتحوَّل إلىٰ كبائر الذُّنوبِ! لأسباب عدة، نذكر منها (١):

- ١ الإصرارُ والْمُدَاوَمَةُ عَلَيهَا.
- ٧- اسْتِصْغَارُ المعصية واحْتقارُها.
- ٣- الفَرَحُ بفعلِ المعصيةِ الصَّغيرة ، أو الأفْتِخَارُ بهاً.
- ٤- فعلُ المعصيةِ ثمَّ المجاهرةُ بها؛ لأنَّ المجاهرَ غير معافىٰ.
- ٥- أن يكونَ فاعلُ المعصيةِ الصغيرةِ عالمًا يُقتدىٰ به؛ لأنَّه إِذا ظهر أمام النَّاس بمعصيته، كَبُرَ ذنبه عندَ اللهِ تعالىٰ، وربَّما احتجَ الجهَّال بفعله.

فإنَّ التَّهاونَ في فعلِ الصَّغائرِ والمحقراتِ هو الخطوةُ الأُولىٰ التي توصل المسلمِ والمجتمع الإسلامي إلىٰ التَّهاونِ في ارتكاب الكبائرِ والموبقات والعظامِ، وما فشت الكبائر وكثرة الفواحش والمعاصي في بلادِ المسلمين؛ إلاَّ بعد أن سبقها تهاون المسلمينَ في فعلِ الصَّغائرِ، والمداومةِ عليها، واستخاف بها ومجاهرتها، وعدم التَّوبةِ منها، وعدم تعظيم الله تعالىٰ والاَمن من مكرهِ - سبحانه - عند فعل المعاصى وارتكاب الذُّنوبِ.

ومن أهم أسباب إصرار عوام المسلمين على فعل الصّغائر هو عدم إدراكهم لهذه الحقيقة! هي أنّ الصّغائر المعاصي تتحوّل إلى كبائر المعاصي عند الإصرار عليها، والإصرار هو الثّبات على المخالفة، والعزم على المعاودة،

<sup>(</sup>١) انظر: « مختصر منهاج القاصدين ، للإمام أحمد بن قدامة المقدسي؛ ص ٢٧٨. دار البيان.

والإقامة علىٰ فعل المعصية مع العلم بأنُّها معصية دون الإستغفار أو التوبة.

وعدم إدراكهم بأنَّ الكبيرة عندما يرتكبها العبد وهو خائف وخجل من تقصيره ؛ هي أرجىٰ في المغفرةِ من صغيرة يُصرُ صاحبها عليها ولا يبالي بها مع علمه أنَّها لا ترضي الله تعالىٰ.

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فإِنَّ الزِّنَا من الكبائِرِ ، وأمَّا النَّظرُ والمباشرَةُ فاللَّمَ منها مَغْفُورٌ باجْتنابِ الكبائِرِ ، فإِن أَصَرَّ على النَّظرِ أو على المباشرةِ صَارَ كبيرةً ، وقد يكُونُ الإصرارُ على ذلك أعظمَ من قليلِ الفواحِش ؛ فإِنَّ دَوَامَ النَّظرِ بالشَّهْوَةِ وما يَتَصِلُ به من العِشقِ والمعاشرَةِ والمباشرةِ قد يكونُ أعظمَ بكثير من فسادِ زِنَا لا إصرارَ عليه ، ولهذا قالَ الفُقهاءُ في الشَّاهدِ العدل : أن لا يأتي كبيرةً ولا يصرَّ على صغيرة . . . بل قد ينتهي النَّظرُ والمباشرةُ بالرَّجُلِ إلى الشَّرْكِ كما يُصِرَّ على صغيرة . . . بل قد ينتهي النَّظرُ والمباشرةُ بالرَّجُلِ إلى الشَّرْكِ كما يُصِرَّ على صغيرة . . . بل قد ينتهي النَّظرُ والمباشرةُ بالرَّجُلِ إلى الشَّرْكِ كما قالَ تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كُحُبُ قالَ تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحبُّونَهُمْ كَحُبُ اللّهِ ﴾ [البقد: ١٦٥] . . والعاشقُ المتيَّمُ يَصيرُ عبدًا لِمَعْشُوقِهِ مُنْقَادًا لَهُ آسِيرَ القَلْبِ لَهُ ) (١٠).

<sup>(</sup>١) «مجموع الفتاوي » ج١٥، ص٢٩٣.

#### • حكم الإصرار على المعاصي:

فإِنَّ صغائر الذُّنوب والمعاصي كثيرةٌ جدًّا، ويعدُّ العلماء صغار الذُّنوب صغائر؛ إِذا خلت من الاستخفاف بها، والإصرار عليها، وكانت مما يحزن عليه العبد ويندم، وإلاَّ فإِنَّهم يعدونها مع الاستخفاف والعزم والإصرار من الكبائر؛ كإطلاق البصر في المحرمات، وسماع ما يلهي عن القرآن، واللعب ما يصدُّ عن الذِّكرِ، وترك رد السَّلام، وبذاءة اللِّسان، وسوء معاملة النَّاس، وخداعهم، وغير ذلك.

فالإصرارُ على المعاصي ولو كانت صغيرة، والاستغراقُ والتَّوعُلُ فيها، والاستمرارُ عليها، وعدمُ الإستغفار والتَّوبة منها، وعزمُ الاستغفار والتَّوبة منها، وعزمُ القلب عليها والسُّكونُ إليها، أو الفرحُ بفعلها، أو مجاهَرتُها: فحكمُها عند أهلِ السُّنَةِ والجماعة؛ كحُكمِ مرتكب الكبائر، ويُخشىٰ علىٰ صاحبه من سوء العاقبة – والعياذُ بالله – لأنَّ المعصيةَ عندهم بريدُ الكُفرِ والنِّفاق، وهي مشتقَةٌ منه وآيلةٌ إليه ومفتاحٌ له، والإكثار منها يُنبت النَّفاق في القلب فيمرضه، وقد يؤذي به إلى الوقوع في الكُفرِ والرِّدَّة؛ لأنَّ المعاصي والذُّنوب مع الإصرار والاستغراق فيها – تُحيط بصاحبها، وتستولي علىٰ قلبه و تَطمِسهُ و تميته، ويسدُ منه كلَّ منافذ الخير، دونَ أن يشعر؛ حتىٰ لا يبقىٰ فيه من الإيمان شيءٌ، وهذه هي معصيةُ الكُفر، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٨١.

وقالَ حِبْرُ الأُمَّةِ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهُما:

( لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإصْرَارِ) (١٠).

أي: أنَّ الكبيرةَ تُمحىٰ بالاستغفارِ، والصَّغيرةَ تكونُ كبيرةً بالإصرارِ.

قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(واعلمُ اللهِ ) ورجائِهِ لغيرِ اللهِ ) ودله لغيرِ اللهِ ) وذله لغيرِ اللهِ ) ورجائِهِ لغيرِ اللهِ ) وحبّهِ لغيرِ اللهِ ) وذله لغيرِ اللهِ ) ورجائِهِ لغيرِ اللهِ ) ورجائِهِ لغيرِ اللهِ ) والحاكمُ في هذا ما يعلمُهُ الإنسانُ من نفسه إن كانَ له عقلٌ ؛ فإنَّ ذلَّ المعصيةِ لا بُهد أن يقومَ بالقلبِ فيورثَهُ خوفًا من غيرِ اللهِ ) وذلك شرك ، ويورثَهُ محبَّةً لغيرِ اللهِ ، واستغاثةً بغيرهِ في الأسبابِ التي توصلُهُ إلى غرضهِ ؛ فيكونُ عملُهُ لا باللهِ ولا للهِ ، وهذا حقيقةُ الشركِ ، نعمْ قد يكونُ معهُ توحيدُ أبي جهل ، وعبَّادِ الأصنام ، وهو توحيدُ الربوبيّةِ ، وهو الاعترافُ بأنَّهُ لا خالقَ إلاَّ الله ، ولو أنْجى هذا التَّوحيدُ الربوبيّةِ ، وهو الاعتراف بأنَّهُ لا خالقَ إلاَّ الله ، ولو أنْجى هذا التَّوحيدُ وحده ؛ لأنْجى عبَّادَ الأصنام ، والشَّانُ في توحيدِ الإلهيَّةِ الذي هو الفارقُ بينَ المشركينَ والموحدينَ ) (١٠).

وقالَ العلاَّمةُ المفسِّرُ أبو عبدُ اللهِ القُرطبيُّ، رحمهُ اللهُ: (قالَ علماؤنا الإستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، لا التَّلفظُ باللَّسانِ؛ فأمَّا مَن قالَ بلسانهِ أَستغفر الله وقلبهُ مصرٌ على معصية؛ فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر)(٢).

<sup>(</sup>١) ه مدارج السالكين ٥ ج١، ص٣٠٦ - ٤٠٤. دار ابن خريمة.

<sup>(</sup> ٢ ) ٥ جامع البيان ، الإمام الطبري ج٨، ص٥٥ ٢.

<sup>(</sup> ٣ ) انظر: والجامع لأحكام القرآن و تفسير الآية ( ١٣٥ ) من سور آل عمران .

## تنبية مهم إ هل المعاصي والذُّنوب تُذْهِبُ الإيمان؟

فاعلم! إِنَّ المعاصي والذُّنوب - عند أهلِ السُّنَة والجماعة - تؤثّر في الإيمانِ من حيث نقصه؛ بحسب قِلَتها وكثرتها، لا من حيث بقاؤه وذهابه؛ فاقترافُ المعاصي بمفردها، والإصرارُ عليها، لا يُخْرِجُ من الدِّين، إن لم يقترن بها سبَبٌ من أسبابِ الكُفرِ؛ كاستحلالِ المعصيةِ؛ سواءً كان ذلك بالقلب، أو اللِّسان، أو الجوارح؛ لأنَّ استحلالَ المعصيةِ صغيرةً كانت أو كبيرةً؛ كفرٌ أكبرٌ إذا ثبت كونها معصية بدلالة قطعية.

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعة؛ لا يُكفِّرونَ المصرُ بالمعصية - بمعنى: المداوم عليها دون توبة أو استغفار - لعدم اعتبارهم تكرار الذَّنبِ دلالة على استحلالِ القلب؛ الذي هو مناط الكفر في هذه الأعمال، وإنَّما تعتبر صغيرته بتكرارها كبيرة! يُنبَّه عليها؛ ليقلع عنها، ولكن يُخشىٰ علىٰ صاحبه سوء العاقبة لاحتمال انتكاس القلب برد الشَّرع في أية لحظة.

ولا يصحُ الإحتجاج هنا بقاعدة: «تلازم الظَّاهر والباطن» ويقال: طالما أَنَّ ظاهر الحال هو تكرار المعصية؛ فهذا يدل على فساد الباطن وسقوط عقد القلب!

فأهلُ السُّنَة والجماعة يقولون: إن كان الظَّاهر منحرفًا كان الباطن بحسبه، فإن كان ظاهر العمل معصية كان فاعلها فاسقًا باطنًا، وإن كان الفعل كفرًا كان الفاعل كافرًا؛ لأنَّهم يجعلون الظَّاهر دليلاً على الباطن.

فالشَّارِعُ الحكيمُ إِذَا أَطلقَ اسم الكفر على بعض الأَعمال - إِمَّا بنص من الوحيين أو بما يقوم مقامهم من القواعد الشَّرعيَّة - كان فاعله كافرًا،

وإذا أَطلقَ القول على مرتكب المعصية بأنَّه فاسق؛ فيكون فاعلها فاسقًا؛ فلا يقول أَحدًا إِنَّهُ مؤمن كامل الإيمان البتَّة؛ بل يجب إِثبات فسقه لما ظهر من حاله؛ لأنَّهم يثبتون التلازم بين الظاهر والباطن.

أمًا أن تؤخذ قاعدة التلازم لإثبات قدر زائد عن مجرد الوصف الثّابت شرعًا لمرتكب الفعل، ويستنتج منها شئ بدون دليل قطعي؛ فهذا ما لا محل له! ومن هنا وقعت الخوارج في التكفير بالمعصية أو الإصرار.

لأَنَّ المقيم علىٰ المعاصي والمداوم عليه دون توبة؛ له حالتان:

- إصا أن يكون مصرًا؛ بدافع الشهوة الجامحة للمعصية أو النفرة من فعل الأمر مع التزامه وانقياده قلبياً له؛ فهذا هو العاصي الذي تعتبر صغيرته كبيرة باعتبار إصراره عليها.
- وإمّا أن يكون مصرًا عليها، أي أن ينعقد قلبه على عدم الترك للمعصية أبدًا! فيكون بذلك معاندًا لله تعالى في أمره ونهيه، وهذا في حقيقته هو من سقط عقد قلبه، وذهب انقياده والتزامه وفسد اعتقاده؛ فهو كافر عند الله سبحانه وتعالى وإن كنا لا نحكم بكفره ظاهرًا؛ حتى يأتي أمرًا لا خلاف عليه في دلالته على الإستحلال؛ كأن يعلن ذلك بنفسه، أو بما يدل عليه، أو يعلن أنّهُ اتّخذ هذا السّبيل المغاير للشّرع منهجًا ثابتًا له لا يتغير، ودعا النّاس إليه وأعلن محاسنه؛ فإنّ هذا دليل كاف على فساد اعتقاده واستحبابه لغير شرع الله تعالى.

## • أسباب الوقوع في المعاصي:

## ١ - فتنةُ الابتلاءُ بالخير والشَّرِّ:

فالخيرُ والشَّرُ بابُّ للامتحان في حياةِ الدُّنيا لابنِ آدمَ؛ فإِذا رُزِقَ الخيرَ وجبَ عليهِ الصَّبْرَ على وجبَ عليه الصَّبْرَ على ضرهِ، وإِذَا ابتُليي بالشَّرِّ وجبَ عليهِ الصَّبْرَ على ضرهِ، وإِلاَّ فلن يكون من الفايزينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (١).

قالَ حِبْرُ الأُمَّةِ عِبدُ اللهِ بن عباس، رضى اللهُ عنهُما:

(نبتليكم بالشدَّة والرَّخاء، والصَّحة والسَّقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطَّاعة والمعصية، والهدى والضَّلال) (٢٠).

### ٧ - فتنةُ الشَّيطان ؛ العدوُ الأكبر لابن آدم:

الشَّيطانُ هو من أعظمِ أسبابِ الوقوعِ في المعاصي؛ لأَنَّهُ العدو لدُّودِ لابن ادم، وهو أخبثُ عدوً وأخطره! لأَنَّهُ يرنا ولا نراهُ، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُو ۗ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢٠).

والشَّيطانُ يبغض لابن آدمَ كلَّ الخيرِ من الأَعمال الصَّالحة المقربة إلى اللهِ تعالى، ويحبب إليه كل المعاصي والفتن والفواحشة التي يبعده عن رضا اللهِ سبحانه؛ لأَنَّهُ يريدُ له الشَّرَّ في الدُّنيا والآخرةَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٢) ه جامع البيان ، للإمام الطبري ، رحمه الله ؛ ج١٧ ، ص٧٠ .

<sup>(</sup>٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

والشَّياطينُ نوعان : شياطين الإنس، وشياطين الجنِّ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ زُخْرُفَ الْقَوْل غُرُورًا ﴾ (٢٠).

والخرجُ من شياطينَ الجنَّ بجميع أنواعها وأشكالها، هو الاستعاذةُ باللهِ تعالىٰ منهم، ومن شرورهم أعمالهم، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَان نَوْغٌ فَامْتَعِدْ باللَّه إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٣).

وأمًّا المخرجُ من شياطينِ الإنسِ؛ فهو الدُّعاءُ الله تعالىٰ بدفع شرَّهم وكيدهم علىٰ نحورهم، ثمَّ بالإحسان إليهم، والدَّفعُ بالتي هي أحسن، ومقابلة السَّبَةِ بالحسنة؛ كما أمرنا الله عزَّ وجلَّ، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَلا تَسْتُوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي اللَّهِ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْلَّةُ اللَّهُ الللْلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُولِمُ اللللْمُ اللللْمُولِمُ الللْمُولَى الْمُولِمُ اللللْمُولَى الْمُولِمُ اللللْمُ الللْمُولَى الْمُولِمُ الللْمُولَى الللْمُولِمُ اللْمُولَى الْمُولَاللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُولُولُ الْمُولِمُ الللْمُولُولُولِمُ اللللْمُ ا

## ٣- فتنةُ الشَّرك باللهِ تعالىُ:

هي أَشرَ الفتنِ وأَشدُها، وأطغاها، وأخبثها، وأعظمها، وهي الفيصل بين المؤمنين والكافرين، وبينَ الجنَّةِ والنَّارِ، وإنَّ أعظمَ ما عُصي به الله تعالىٰ منذُ بدءِ الخليقةِ إلىٰ يومنا هذا هو الشِّركُ باللهِ تعالىٰ، قالَ عزَّ وجلَّ:

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

<sup>(</sup>٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦. (٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

فعقوبة المشرك أقسى العقوبات وأشدُها؛ ألا وهي الخلود الأبدي في نار جهنَّم، والعيادُ باللهِ فَقَلْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّمَ، والعيادُ باللهِ فَقَلْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار ﴾ (٢).

وكلُّ ذنب إِذا ماتَ العبدُ عليها من غيرِ أَن يتوبَ منهُ؛ فهو تحت مشيئةُ الله تعالىٰ يوم الحساب؛ إِن شاء غفرَ له، وإِن شاء عذبهُ؛ إِلاَّ الشَّركُ والكفر فإِنَّ الله تعالىٰ قد قطع رجاء صاحبه في المغفرة، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرَكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

٤ - فتنةُ معصيةِ الرَّسُول عَلَيْكُ ومخالفةِ أمره:

فَإِنَّ مِخَالِفَةَ أَمر رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ وعدم اتّباع هديه، وتبديل سُنَّتَهُ؛ ضلالةٌ وبدعةٌ متوعدٌ من اللهِ تعالىٰ عليه بالخذلان والعذاب!

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَحُذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْتَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠).

قالَ الإمامُ ابنُ كثير - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

( وقوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِه ﴾ أي: عن آمرِ رَسُولِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَمَالُ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسُنّته وشريعته؛ فتوزن الأقوال والأعمالُ بأقواله وأعماله؛ فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله

<sup>(</sup>١) سورة لقمان، الآية: ١٣. (٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٤٨ . (٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

وفاعله كائنًا مَن كان؛ كما ثبت في الصَّحيحين وغيرهما عن رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِا أَمْرُنَا؛ فَهُو رَدِّ، أَي: فليحذر وليخشَ أَنَّهُ قالَ: ( مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِا أَمْرُنَا؛ فَهُو رَدِّ، أي: فليحذر وليخشَ مَن خالفَ شريعة الرَّسُولِ باطنًا وظاهرًا. وقوله ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فَذَابٌ فِينَةٌ ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الدُّنيا بقتل أو حدً أو حبس أو نحو ذلك . . . كما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ، قال : قال رَسُولُ اللهِ عَلَيْكُ :

« مَثْلِي كَمَثْلِ رَجُلِ اسْتَوْقَدَ نَارًا ؛ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا - قَالَ - فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ ، أَنَا آخِذَ بِحُجَزِكُمْ عَنِ فَيَتَقَحَّمُنَ فِيهَا - قَالَ - فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ ، أَنَا آخِذَ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا ، (١٠) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولُهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءت مصيرًا ﴾ (٢).

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ - رحمهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشَّريعة التي جاء بها الرَّسُول عَلِيُّ فصار في شق، والشَّرعُ في شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحقُ، وتبين له واتضح له. وقولُهُ: ﴿ وَيَتَبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشَّارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأُمَّة المحمدية

<sup>(</sup> ١ ) رواه مسلم في (كتاب الفضائل) باب و شفقته ﷺ علىٰ أُمته ومبالغته في تحذيرهم ٥ . ( ٢ ) سورة النساء، الآية : ١١٥ .

فيما علم اتِّفاقهم عليه تحقيقًا؛ فإنَّهُ قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب أحاديث الأصول، ومن العلماء من ادعىٰ تواتر معناها، والذي عول عليه الشُّافعيِّ - رحمهُ اللهُ - في الاحتجاج على كون الإجماع حجَّةٌ تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك، ولهذا توعد تعالىٰ علىٰ ذلك بقوله: ﴿ نُولِّهِ مَا تَولُّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءت مصيرًا ﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَذَرْنِي وَهَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثُ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ١٤]. وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]. وقوله: ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وجعلى النَّار مصيره في الأخرة؛ لأنَّ مَن خرجَ عن الهُدى لم يكن له طريق إلاَّ إلى النَّار يوم القيامة).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمًا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبينًا ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٥. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قُولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْكُ قَالَ:

« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَىٰ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اعَلَّا اللهُ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ » (٢) . يَأْبَىٰ ؟ قَالَ: « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ » (٢) .

فالواجب على كلّ مسلم صادق؛ طاعة الرَّسُول عَلَى طاعة مطلقًا والتَّسليمُ التَّامُ له عَلَى وعدم معصيته في كلّ صغيرة كانت أم دقيقة، وترك كلّ قول اللّ قوله على قول كلّ أحد من البشر كائنًا مَن كل قول الا قوله على قول كلّ أحد من البشر كائنًا مَن كان؛ لأنّ طاعته عَلَى سبب لرضا الله تعالى ودخول الجنّة، وإنّ معصيته عَلَى ومخالفة أمره سبب للوقوع في الفتنة في الدُّنيا، وفي العذاب في الآخرة، ولأنّ الله تعالى قد فوض رسُولُه الأمين عَلَى في التّشريع، وجعل طاعة رسُوله عَلَى قال عزّ وجلّ:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ١٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ) باب والاقتداء بسُنن رسول الله علي ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

## ٥ - ضعفُ الإيمان واليقين باللهِ تعالىٰ والجهل به سبحانه:

فإِنَّ عدم المراقبة اللهِ – عزَّ وجلَّ – وعدم الخوف منه، وعدم محبَّته وإجلاله وتعظيمه وخشيته؛ تضعف قلب العبد ويجعله يستخف بوعد اللهِ تعالىٰ ووعيده، والله الذي لا تخفیٰ علیه خافیة، قالَ الله تعالیٰ:

# ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١).

فإذا ضعف الإيمان في قلب العبد يستهين عليه الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات؛ فإذا وقع في المعاصي؛ شعر بقسوة القلب وخشونته، وضيق في الصّدر؛ ثمَّ الغفلة عن ذكر اللهِ تعالى ودعائه، ويتبعها عدم إتقان العبادات والتّكاسل عن الطّاعات، ثمَّ عدم التاَثُر بآيات القُرآن الحكيم! لا بوعده ولا بوعيده، ولا بأمره ولا نهيه، فيمل قلب صاحبه من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته؛ فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه، والله المستعان.

ثمَّ يقول صاحبُ القلب الضعيف ما لا يفعل، ويحتقر المعروف، ولا يهتم بالحسنات، ولا يغض بصره عن المحرمات، ولا يغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى، ولا يهتم بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة، ولا يشعرُ بالمسئولية في العمل لهذا دين العظيم!

ويقع في الشُّع والبُّخل، وحبُّ الدُّنيا والشَّغفِ بها والاسترواح إليها، والمغالاة في الاهتمام بالنَّفس مأكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا، وكثرة الجدال والمراء المقسي للقلب، وغيرها من المعاصي التي هي من عمل الشَّيطان.

<sup>(</sup>١) سورة غافر، الآية: ١٩.

ومنقذُ العبدِ ومخرجهُ من فتنةِ الوقوع في المعاصي والذُّنوبِ يكونُ :

بمناجاة الله تعالى والانكسار بين يديه - عزَّ وجلَّ - واستشعار بعظمة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشُّعور في القلب وسريانه إلى الجوارح؛ يقوي إيمان العبد بالله تعالى .

ثمَّ بتدبر القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالىٰ؛ تبيانًا لكلِّ شيءٍ ونورًا يهدي به - سبحانه - من شاء من عباده الصَّالحين.

وبلزوم حلق الذّكر؛ الذي يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب منها ما يحصل فيها من ذكر الله تعالى، وغشيان الرَّحمة، ونزول السَّكينة، وحف الملائكة للذاكرين، وذكر الله تعالى لهم في الملا الأعلى، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم؛ كذلك طلب العلم الشَّرعيُّ الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله تعالى وزيادة الإيمان به.

وبالاستكثار من الأعمال الصَّالحة، ومل الوقت بها، والحرصُ علىٰ تنويع العبادات؛ التي هي من حكمة الله تعالى ورحمته لعباده؛ فمنها ما يكون بالمال كالزّكاة، ومنها ما يكون بالمال كالزّكاة، ومنها ما يكون بهما معًا كالحجّ، ومنها ما هو باللّسان كالذّكر والدُّعاء، وغيرها.

وكذلك بالإكثار من ذكر الموت هادم اللذّة ، وتذكر منازل الآخرة ، وقصر الأمل: التي هي التفكر في حقارة هذه الدُّنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد، وتعظيم حرمات الله تعالى، وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر؛ لأنَّ التواضع في الكلام والمظهر دال على تواضع القلب لله تبارك وتعالى.

#### ٦- الابتلاءُ بالمال والولدِ:

فإِنَّ الأَموالَ والأَزواجَ والأَولادَ! سببٌ هامٌ من الأَسبابِ الرئيسَ للفتنِ ونسيانِ ذكرِ اللهِ - جلَّ في عُلاهُ - قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُهَا اللَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللَّهُ عَنْدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ اللَّهُ عَنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: اختبار وابتلاء من اللهِ تعالىٰ لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولُكِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢).

قالَ الإِمامُ ابن كثيرٍ - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: لا تنسوا ذكر الله تعالى؛ فينسيكم العمل الصَّالح الذي ينفعكم في معادكم؛ فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، ولهذا قالَ تعالىٰ: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم، كما قالَ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولُئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنانقون: ٩]).

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآيتان: ١٤ ــ ٥٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الحشر، الآية: ١٩.

وقالَ - الصَّحابيُّ الفقية - عبد الله بن مسعود، رضي اللهُ عنهُ:

(لا يقولنَّ أحدكم: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ الفتنةِ! فَإِنَّهُ لِيسَ منكم أحدٌ إِلاَّ وهو مشتملٌ على فتنةِ؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِي اللهِ تعالىٰ من مضلاَتِ الفتنِ)(١).

فَعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى ؟ كَانَ شَهِدَ بَدُرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ آخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَة بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ يَاْتِي بِجِزْيَتِهَا، رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ مَ أَبَا عُبَيْدَة بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلاَء بْنَ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمُ الْعَلاَء بْنَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلاَء بْنَ الْحَصْرَمِي، فَقَدَم آبُو عُبَيْدَة بِمَال مِنَ الْبَحْرَيْنِ؛ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ الْحَصْرَمِي، فَقَدَم آبُو عُبَيْدَة بِمَال مِنَ الْبَحْرَيْنِ؛ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ الْحَضْرَمِي، فَقَدَم آبُو عُبَيْدَة بِمَال مِنَ الْبَحْرَيْنِ؛ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَاقَتْهُ صَلاَة الصَبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ عَيْكُ فَلَمًا انْصَرَف تَعَرَّضُوا لَهُ! فَتَبَسَمَ فَوَاقَتُهُ صَلاَة الصَبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ عَيْكُ فَلَمًا انْصَرَف تَعَرَّضُوا لَهُ! فَتَبَسَمَ عَنِي رَاهُمْ، وَقَالَ: « أَظُنُكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومٍ أَبِي عُبَيْدَة ، وَأَنَّهُ جَاء بِشَيْءٍ» .

قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ:

« فَأَبْشِرُوا وَأَمَّلُوا مَا يَسُرِّكُمْ ، فَوَاللهِ ! مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا ! كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ ، ( ` ) .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ أَحُد صَلاَتَهُ عَلَىٰ الْمَنِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:

<sup>(</sup>١) رواه الطبري في تفسيره. وابن عبد البر في «التمهيد» ج١٢، ص١٨٦. وابن القيم في « إغاثة اللهفان » ج٢، ص ٢٠١٠

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب دما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها .

«إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ – أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ – وَإِنِّي وَاللهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْفُسُوا فِيهَا » (١).

### ٧- فتنةُ العشق والافتتان بالنِّساء:

فإِنَّ من الفتنِ التي كتبها اللهُ تعالىٰ لابنِ آدمَ وابتُليَ به هي فتنهُ النِّساءِ!

• قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنِطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْفَضَةِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبَ ﴾ (١٠).

قالَ العلاَّمة القُرطبيِّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

( قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مِنَ النَّسَاءِ ﴾ بدأ بهنَّ لكثرةِ تشوف النُّفوسِ إليهنَّ ؟ لأَنهنَّ حبائل الشَّيطانِ وفتنةِ الرِّجال، قالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكَ :

« مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ » (٢).

ففتنة النّساء أشد من جميع الأشياء. ويُقال: في النّساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة؛ فأمّا اللتان في النّساء: فإحداهما أن تؤدي إلى قطع الرّحم؛ لأنّ المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات. والثّانية يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام. وأمّا البنون فإنّ الفتنة فيهم واحدة، وهو ما

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها».

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه البخاري في ( كتاب النكاح ) باب « ما يتقي من شؤم المرأة ٥ .

ابتلي بجمع المال لأجلهم . . . ؛ فعلى الإنسان إذا لم يصبر في هذه الأزمان أن يبحث عن ذات الدين ليسلم لَهُ الدين، قالَ عَلَيْكَ :

«تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعِ؛ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدُين تَربَتْ يَدَاكُ ، ( ) . . . وقالَ رَسُولُ اللهِ عَلِيدٌ :

« لاَ تَزَوَّجُوا النَّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ ؛ فَعَسَىٰ حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ وَلاَتَزَوَّجُوهُنَّ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَىٰ الدِّينِ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَىٰ الدِّينِ ، وَلاَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينِ أَفْضَلُ » (٢) .

وقالَ الإِمامُ ابنُ كثير - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية أيضًا:

( يُخبر تعالىٰ عمَّا زين للنَّاسِ في هذه الحياة الدُّنيا من أنواعِ الملاذ من النَّساءِ والبنين، فبداً بالنّساء؛ لأنَّ الفتنة بهنَّ أشد، كما ثبت في الصَّحيحِ النّساءِ قَلَىٰ الرّجال مِنْ النّساءِ ».

فأمًّا إِذَا كَانَ القصد بهنَّ الإعفاف وكثرة الأولاد؛ فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه: «وأنَّ خيرَ هذهِ الأُمَّةِ مَن كانَ أَكثَرَها نساءً»، وقولُهُ عَلَيْهُ:

«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْاَةُ الصَّالِحَةُ؛ إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتُهُ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَ». أخرجه النَسائي، وروى بعضه مسلم في صحيحه. وقولُهُ يَظِي في الحديث الآخر: «حُبِّبَ إِلَى مِنَ الدُّنْيَا النَسَاءُ وَالطِّيب، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب «الأكفاء في الدين».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه ابن ماجة في ( كتاب النكاح ) باب ه تزويج ذوات الدين ٥ .

وَعَنْ الصَّحَابِيُّ الْجَليلِ؛ جَابِرِ بْنِ عبدِ اللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَنْهُ اللهِ عَنْهُ اللهِ عَلَيْهُ رَأَىٰ امْرَأَةُ وَيْنَبَ، وَهْىَ تَمْعَسُ مَنِيعَةً لَهَا؛
 فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ! ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ عَلَيْهُ:

«إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَان، وتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَان، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً ؛ فَلْيَاْتِ أَهْلَهُ! فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِه »(١).

قالَ الإمامُ النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث:

(قالَ العلماءُ: معناهُ الإشارة إلى الهوى والدُّعاء إلى الفتنة؛ بما جعل الله تعالى في نفوسِ الرِّجالِ من الميلِ إلى النِّساءِ والتَّلذذ بالنَّظرِ إليهنَّ، وما يتعلق بهنَّ؛ فهي شبيهة بالشَّيطانِ في دعائه إلى الشَّرِّ بوسوستِهِ وتزيينه له. ويستنبط من هذا أنَّهُ ينبغي لها أن لا تخرج إلاَّ لضرورةِ، ولا تلبس ثيابًا فاخرة، وينبغي للرِّجلِ أن لا ينظر إليها ولا إلى ثيابها. وفيه أنَّهُ لا بأسَ بالرَّجلِ أن يطلب امرأته إلى الوقاع في النَهار وإن كانت مشتغلة بما يمكن تركه؛ لأنَّهُ رُبَّما غلبت على الرَّجل شهوته؛ فيتضرر بالتا فير في بدنه، أو قلبه).

• وقالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ! وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ! فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » ( ` ` .

أي: اتَّقوا فتن الدُّنيا وشهواتها من فتنةِ المال، وفتنةِ الولدِ، وفتنةِ الجاهِ،

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب النكاح) باب «ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن ياتي امرأته أو جاريته فيواقعها ».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في ( كتاب الرقاق ) باب « أكثر أهل الجنّة الفقراء، وأكثر أهل النّار النّساء، وبيان الفتنة بالنساء » .

واتُقوا فتنة النّساء، وتخصيصهن بالذّكر لعظم الفتنة بهن من بين هذه الفتن! وهذه الشّهوات كلُها فتن هالك؟ فمن انساق فيها مع هواه وشهوته دون أن ينضبط بشّرع الله تعالى؛ كان ما أوتي منها شرّا عليه، ومن استقام فيها على طاعة الله تعالى، ووقف في هذه الدُّنيا الفانية عند حدود رَبَ فيها على طاعة الله تعالى، ووقف في هذه الدُّنيا الفانية عند حدود رَبَ العالمين؛ فقد نجا من شرور هذه الفتن العظيمة؛ ففتنة الشَّهوة أمرها خطير وشرها جسيم، فكم من عابد لله تعالى حولته الشَّهوة إلى فاسق عاص، وشرها جسيم، فكم من عابد لله تعالى حولته الشَّهوة إلى فاسق عاص، وكم من عالم حولته الشَّهوة ألى خاهل ضال منحرف، وكم أخرجت أناسًا من الطريق القويم؛ كانوا هم أبعد النَّام عن الضلال والانحراف.

• واعلم! أخي القارىء الكريم: إِنَّ من أَهمٌ أسباب الفتنة بالنِّساء في عصرنا هذا؛ هي وسائل الأعلام عامَّةً - المسموعة والمنظورة والمقروءة - التي تقع بين أيدي الشَّباب - من ذكورِ وإناثِ - وفيها من الصُّورِ والكلام التي تثير الشَّهوة، وتعصفُ بالعاطفة، وتلهبُ نارَ العشق.

وكذلك ما يقوم به بعض النّساء من سلوك شاذ في الملبس والمظهر سلوك يحط بهنّ إلى الفتنة، وخروجهنّ متبرجات بأجمل ما عندهنّ من لباس، ومتحليات بأجمل الحليّ، ومتطيبات بأقوى الطيب رائحة وألذها شمًا؛ فلا تمر بأحد يشمه إلا أفتتن به أو كاد!

وآفة الاختلاط التي عمت وطمت وأصبحت سمة وعلامة، أو هي بمثابة السم النّاقع الذي يسري في أوصال مجتمعاتنا؛ تكاد هذه الفتنة الفاتلة أن تاكل الأخضر واليابس، وعطلة قدرًا كبيرًا من طاقته، وسبب كثيرًا من المفاسد والمنكرات بين الجنسين، ثمّ كان نتيجته الوقوع بمعصية الزّنا، والمعصية تجلب غضب الله تعالى، والعياذ بالله.

قَالَ حَبْرُ الأُمَّةِ؛ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهُما:

( لَمْ يَكُنْ كُفْرُ مَنْ مَضَىٰ إِلاَّ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ! وَهُوَ كَائِنٌ كُفْرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ)(١).

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ سعيدُ بن المسيبِ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

( ما خفتُ على نفسي شيئًا مخافةَ النَّساءِ!) قالوا يا أبا محمَّد! إِنَّ مثلكَ لا يريدُ النِّساءَ ولا تريده. قالَ: (هو ما أقولُ لكُم).

وقد قالَ هذا الكلام وهو ابن أربع وثمانين سننةً! وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى، وكانَ يقولُ رحمة الله تعالى:

(ما يئسَ الشَّيطانُ من شيء إلاَّ أَتاهُ من قبلِ النِّساءِ)(١).

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ محمَّدُ بنُ سيرينٍ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(والله! مَا نظرتُ إِلَىٰ غيرِ أُمِّ عبدِ اللهِ – يعني زوجته – في يقظة ولا منام، وإنِّي لأَرَىٰ المرأة في المنام! فأذكرُ أنَّها لا تحلُّ لي؛ فأَصرفُ بَصَرِي عَنْهَا ) (٢٠).

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ ميمون ابن مهران، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: ( لأَن أُوتمنَ علىٰ امرأَة ) ( ٤٠٠ .

<sup>(</sup>١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (كتاب النكاح) باب «ما ذكر في الزّنا وما جاء فيه » ج٤، ص٤٦ برقم (١٧٦٤٣).

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: « سير أعلام النبلاء » للإمام الذهبي: ج٤ ، ص٢٣٧ .

<sup>(</sup>٣) « تاريخ بغداد »: الخطيب البغدادي: ج٥، ص٢٣٦.

<sup>(</sup>٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج٥، ص٧٧.

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ عطاءُ بن أبي رباحٍ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(لو ائتمنت على بيت مال لكنت أمينًا، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء)(١).

• أمًّا أهمَّ الأسبابِ التي تعينُ على تجنب هذه الفتنة العظيمة، فهي:

١ - الإيمان بالله تعالىٰ: إنَّ الإيمانَ بالله والحوفُ منه؛ هو صمامُ الأمانِ والعاصم للعبد من الوقوع في الحرام، والانسياق وراء شهوة عارضة.

٢- غضُ البصرِ عن المحرماتِ: إِنَّ النظرَ يشمرُ في القلبِ خواطر سيئة؟ ثمَّ إلى فكرة، ثمَّ إلى شهوة، ثم إلى إرادة وعزيمة، ثمَّ إلى فعل للحرام! وهذا يعني رضا الشيطان، وغضب الرَّحمن

٣- مدافعة الخواطر الشيطانية: إن الخاطرة السيئة في القلب إذا خطر، وانساق العبد لها ولم يدافعها؛ تطور إلى فكرة وإرادة وعزيمة وإقدام، ثم فعل للحرام؛ فالواجب مدافعتها ومزاحمتها بالخواطر الطيبة.

٤ - الزُّواجُ: خيرٌ علاجِ لدفع فتنة النِّساءِ، قالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكُ :

« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ؛ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطعْ، فَعَلَيْهِ بالصَوْم؛ فَإِنَّهُ لَهُ وجَاءً "(``).

٥- الصّيامُ لمن لم يستطع الزّواج: لأنَّهُ كلّما قلّ الأكلُ؛ ضعفت الشّهوة، وكلما ضعفت الشّهوة؛ قلت المعاصى.

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي: ج٥، ص٨٧.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب وقول النّبي عَلَى : مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلَيْتَرَوَّجُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَرَوَّجُ الْأَنْهُ أَغْضُ لِلْبُصَرِ وَآحْصَنُ لِلْفَرْجِ .

٦- البُّعدُ عن أصدقاءِ السُّوءِ: لقول النَّبِيِّ عَلَيْكَ :

« الرَّجُلُ عَلَىٰ دِين خَلِيلِهِ ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » (١).

وقالَ عَلِيَّ : ﴿ لاَ تُصَاحِبُ إِلاَّ مُؤْمِنًا ، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ » (٢٠).

٧- البُّعدُ عن أماكنِ الفتنِ: فيجبُ الفرارُ منها كفرارنا من الأسدِ؟ ليسلما لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا.

٨- تطهيرُ البيوتِ من المعاصي: بجميع أنواعها وأشكالها؛ لأنَّ البيوت في الأصل يجب أنَّ تكون سببًا للطاعة لا المعصية!

٩- الحرصُ على استغلالِ الوقتِ في الطاعةِ: لأنَّ الوقتَ نعمةٌ عظيمةٌ
 من نعم اللهِ تعالىٰ علىٰ العبدِ المؤمن، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ :

« نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ؛ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » (٣) .

١٠ تذكرُ دارُ الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب: تذكر ما فيها من نعيم جنّة الخُلدِ من الحور العين التي أعدها الله تعالىٰ لمن صبر عن معاصيه، ونار جهنّم وعذابه؛ لمن عصا ربّه، واتّبعَ هواه وشهواته، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (1).

فَمَن تركَ العشقَ بالنّساءِ والفتنةِ بهنّ، وقطع أسبابه التي تمده، وتجرّع غصص الهجر ونار البُّعادِ في بداية أمره، وأقبل على اللهِ تعالىٰ بصدق؛

<sup>(</sup>١)، (٢) رواهما أبو داود في (كتاب الأدب) باب «من يؤمر أن يجالس».

 <sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة » .

<sup>(</sup>٤) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

رُزِقَ السَّلُوَ وعزَّةَ النَّفس، وسُلِمَ من اللوعةِ والذَّلةِ والأَسرِ، ومُلئُ قلبه حريةً ومحبةً لله – عزَّ وجلَّ – تلك المحبَّةُ التي تلم شعث القلب، وتسدُّ خلته، وتشبع جوعته، وتغنيه من فقره؛ فالقلب لا يسر ولا يفلح، ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن؛ إلاَ بعبادةِ ربِّهِ – سبحانه – وبحبِّهِ، والإنابة إليه.

قَالَ النَّبِيُ عَلِيلَةً : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرهَ اللهُ لِقَاءَهُ ، (``.

### ٩- الشُّهوات:

وفتنةُ الشَّهواتِ تُدفع بالصَّبرِ واليقينِ والثبات عليهما، ولهذا جعلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بَأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢).

وَعَنْ أَبَى سَعِيدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: أَنَّ أَنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ فَلَمْ يَسْأَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ أَعْطَاهُ حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ! فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: ﴿ مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَ يُعِقِّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرُهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاء خَيْرًا وأوسَعَ مِنَ الصَّبْرَ ، (٢).

فبكمال العقل والصِّبر تُدفع الشَّهوة، وبكمال البصيرة واليقين تُدفع الشُّبهة، ولا شك أنَّ الشَّهوات منها ما هو مباحٌ ومنها ما هو حرامٌ؛ فحلالها

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب ومَنْ أَحَبُّ لِقَاءَ اللَّهَ أَحَبُّ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

<sup>(</sup>٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب وحجبت النار بالشهوات ٥.

#### المعاصي وأثرها على الأيمان

ما أَحلَهُ الله تعالى ورَسُوله عَلَيْ وحرامها ما حرمهما، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ: « حُجبَتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ، وَحُجبَتِ الْجَنَّةُ بالْمَكَارِهِ » (١).

### • ١- الشُّبهات:

فتنةُ الشُّبهات: كالتشكيك في الدِّين، والوقوع في الشِّركِ أو البدع، أو اختلاط الأمر على العبد؛ فلا يميزبين الحقِّ والباطل، والمباح والمحرم؛ وفتنةُ الشُّبهات دواءها بتعلم العلم، وسؤال العلماء.

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الفتنةُ نوعانِ: فتنةُ الشُّبُهاتِ – وهيَ أعظمُ الفتْنتْينِ – وفتنةُ الشَّبهاتِ ، وقد يجتمعانِ للعبدِ، وقد ينفرِدُ بإحداهما: ففتنةُ الشُّبهاتِ تنشأُ من ضعفِ البصيرةِ وقلَّةِ العلمِ، ولا سيَّما إذا اقترنَ بذلك فسادُ القَصدِ، وحصولُ الهوى؛ فهنالك الفتنةُ العُظمىٰ والمصيبةُ الكُبرى؛ فقلْ ما شئتَ في ضلالِ سَيِّيُ القصدِ الحاكمُ عليه الهوىٰ لا الهدىٰ مع ضعفِ بصيرتِهِ، وقلَّةِ علمهِ بما بعثَ اللهُ به رسُولَهُ؛ فهو من الذينَ قالَ اللهُ تعالىٰ فيهم:

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىٰ الأَنفُسُ ﴾ [النجم: ٢٣] . . .

وهذه الفتنةُ مآلها إلى الكُفْرِ والنَّفاقِ، وهي فتنةُ المنافقينَ، وفتنةُ أَهلِ البَدَعِ على حسبِ مراتب بدعهم؛ فجميعُهُم إِنَّما ابْتدعوا من فتنةِ الشُّبُهاتِ التي اشْتَبَهَ عليهم فيها الحقُّ بالباطل والهُدى بالضَّلال.

ولا يُنْجى من هذه الفتنة إِلاَّ تجريدُ اتَباعِ الرَّسُولِ، وتحكيمُهُ في دِقَ الدِّين وجلِّه، ظاهرهِ وباطنِه، عقائدهِ وأعمالِهِ، حقائقِهِ وشرائعِه؛ فيتلقَّىٰ

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « الصَّبُّر عَنْ مَحَارِم الله ».

عنهُ حقائقِ الإيمانِ وشرائعَ الإسلام . . . وهذه الفتنةُ تنشأُ تارةً من فهم فاسدٍ ، وتارةً من نقلم كاذب ، وتارة من حقَّ ثابت خَفِيَ على الرَّجُلِ ؛ فلم يظفر به ، وتارة من غرضٍ فاسد وهوى مُتَّبع ، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة ) (١٠) .

ولا شكَّ أَنَّ الفتنَ التي يتعرضُ لها المؤمنونَ الصَّادقونَ في هذهِ الزَّمانِ كثيرةٌ متنوعةٌ؛ كفتن الشُّبُهاتِ والشَّهواتِ، وفتنةِ المالِ والجاهِ والشُّهرةِ، وفتنة غلبة الظَّلمةِ والطواغيت من تعذيب وتكذيب المؤمنين!

ولاَنَّ القُلوبَ تتقلبُ؛ فقد كان رَسُولُ اللهِ عَلَيْ رَبَّهُ - جلَّ في عُلاه - الثَّبات على الحقّ؛ فكان من أكثر دعائه عَلَيْ :

ه يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثُبِّتْ قُلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ ١٠٠٠.

والثبات على دين الحقّ له عدد أسباب ذكرها العلماء، منها:

- \* اللجوءُ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ، وإعلانُ الافتقار إليه؛ ظاهرًا وباطنًا.
  - څرة ذكر الله عزّ وجلّ ودعاءه في الشّدة والرّخاء.
    - تدبر القُرآن العظيم، ومدارسته، والعمل بأحكامه.
- \* الدوامُ على الأعمال الصَّالحة، والبُّعدُعن المعصى والذُّنوب.
- \* القُربُ من أهل الخير؛ من العلماء الصَّادقينَ، والدُّعاةِ العاملينَ.

<sup>(</sup>١) ( إغاثةُ اللهفان من مصائد الشيطان (٢) ص ١٦٠ ( بتصرف ) . (٢) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات ) باب ( ٩٥ ) .

## • أسباب عدم الوقوع في المعاصي:

قالَ الإمامُ الزَّاهدُ العلاَّمة ابنُ القيِّم، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(الصَّبْرُ عن المعصيةِ ينشأ من أسباب عديدةٍ:

أحدُّها: علمُ العبدِ بقبحها ورذالتها ودناءَتها، وأنَّ الله إِنَّما حرَّمها ونهى عنها صيانةً وحمايةً عن الدَّنايا والرَّذائل؛ كما يحمي الوالد الشَّفيق ولده عما يضره، وهذا السَّببُ يحملُ العاقلَ على تركها، ولو لم يعلق عليها وعيدٌ بالعذابِ.

السَّبَبُ الثَّاني: الحياءُ من الله - سبحانه - فإنَّ العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه، وأنَّهُ بمرأى منه ومسمع - وكان حييًّا - استحيى من ربِّهِ أَن يتعرض لمساخطه.

السَّبَبُ النَّالثُ: مراعاةُ نعمهِ عليك، وإحسانه إليك؛ فإنَّ الذُّنوبَ تزيلُ النَّعمِ ولا بُدَّ، فما أذنبَ عبد ذنبًا إلاَّ زالت عنه نعمةً من اللهِ بحسبِ ذلكَ الذَّنب؛ فإن تابَ ورجعَ رجعت إليه، وإن أصرَّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذُّنوب تزيل عنه نعمة حتىٰ تسلب النَّعم كلها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

وأعظمُ النِّعمِ: الإيمانُ، وذنبُ الزِّنا والسَّرقة وشُرب الخمر، وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها، وفي مثل هذا قيل:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيْلُ النَّعَمِ وبالجملةِ فإِنَّ المعاصي نارُ النَّعَمِ تأكلها كما تأكل النَّار الحطب؛ عياذًا باللهِ من زوال نعمته، وتحويل عافيته. السَّبَبُ الرابع: خوفُ اللهِ وخشية عقابه، وهذا إِنَّما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، والإيمان به وبكتابه وبرسُولِه، وهذا السَّبَبُ يقوى بالعلمِ واليقين، ويضعف بضعفهما، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقالَ بعضُ السَّلفِ: كَفَيْ بخشيةِ اللهِ علمًا، والاغترارِ باللهِ جهلاً.

السَّبَبُ الخامس: محبَّةُ اللهِ، وهي أقوى الأسبابِ في الصَّبرِ عن مخالفتِهِ ومعاصيهِ؛ فإنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع، وكلما قوي سلطان الحبَّةِ في القلبِ كانَ اقتضاؤه للطَّاعةِ وتركِ الخالفةِ أقوى، وإنَّما تصدرُ المعصيةُ والخالفةُ من ضعفِ الحبَّةِ وسلطانها، وفرقُ بينَ من يحمله على تركِ معصيةِ سيِّده خوفه من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله على ذلك حبَّه لسيِّدهِ.

فالْمُحِبُ الصَّادِقُ عليه رقيبٌ من محبوبهِ ؟ يرعى قلبه وجوارحه ، وعلامة صدق الحبَّة شهود هذا الرقيب ودوامه .

وههنا لطيفة يجبُ التّنبهُ لها! وهي أنّ الحبّة الجردة لا توجبُ هذا الأثرِ ما لم تُقترنُ بإجلالِ الحبّوبِ وتعظيمه؛ فإذا قارنها بالإجلالِ والتّعظيمِ أوجبت هذا الحياء والطّاعة، وإلا فالحبّة الخالية عنهما؛ إنّما توجب نوع أنس وانبساط وتذكر واشتياق، ولهذا يتخلف عنها أثرها وموجبها، ويفتشُ العبدُ قلبه؛ فيرى نوع محبّة لله ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسببُ ذلك تجردها عن الإجلالِ والتّعظيم؛ فما عَمَّرَ القلبُ شيءً كالحبّة وسببُ ذلك تجردها عن الإجلالِ والتّعظيم؛ فما عَمَّرَ القلبُ شيءً كالحبّة المقترنة بإجلالِ الله وتعظيمه، وتلك من أفضلِ مواهب الله لعبده، أو المقترنة بإجلالِ الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده، أفضلها، وذلك فضلُ الله تعالى يؤتيه من يشاء.

السَّبَبُ السَّادس: شرفُ النَّفس، وزكاؤها، وفضلها، وأنفتها، وحميتها؛ أن تختار الأسباب التي تحطُها، وتضع من قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوي بينها وبين السَّفلةِ.

السُّبَبُ السَّابع: العلمُ بحكم المعصية:

قوةُ العلم بسوءِ عاقبةِ المعصية، وقبح أثرها، والضَّرر النَّاشيءَ!

\* منها! من سواد الوجه، وظلمة القلب، وضيقه وغمه وحزنه واكمه وانحصاره، وشدَّة قلقه واضطرابه، وتمزق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعريه من زينته، والحيرة في أمره، وتخلي وليه وناصره عنه، وتولي عدوه المبين له، وتواري العلم الذي كان مستعدًا له عنه، ونسيان ما كان حاصلاً له، أو ضعفه ولا بُدَّ، ومرضه الذي إذا استحكم به فهو الموت ولا بُدً؛ فإن الذُّنوبَ تُميتُ القلوبَ!

\* ومنها ذلَّه بعد عزّه. ومنها أنَّه يصير أسيرًا في يد أعداثِه بعد أن كان ملكًا متصرفًا يخافه أعداؤه.

- \* ومنها أنَّه يضعف تأثيره؛ فلا يبقى له نفوذٌ في رعيتِه؛ ولا في الخارج؛ فلا رعيته تطيعه إذا أمرها، ولا ينفذُ في غيرهم.
  - \* ومنها زوال أمنه، وتبدله به مخافة؛ فأخوف النَّاس أشدُّهم إساءةً.
- \* ومنها زوال الأنس والاستبدال به وحشة، وكلما ازداد إساءة ازداد وحشة. ومنها زوال الرّضي، واستبداله بالسّخط.
- \* ومنها زوال الطَّمَاْنينة بالله، والسُّكون إليه والإيواء عنده، واستبداله بالطَّرد، والبُّعد منه.

- \* ومنها وقوعه في بئر الحسرات؛ فلا يزال في حسرة دائمة! كلما نالَ لذَّةً نازعتُهُ نفسه إلى نظيرها! إن لم يقض منها وطرًا، أو إلى غيرها؛ إنْ قضى وطره منها، وما يعجز عنه من ذلك أضعاف أضعاف ما يقدر عليه، وكلما اشتد نزوعه، وعرف عجزه؛ اشتدت حسرته وحزنه فيا؛ لها نارًا قد عذب بها القلب في هذه الدَّار قبل نار اللهِ الموقدة التي تطلع على الأفئدة.
- \* ومنها فقره بعد غناه؛ فإنّه كان غنيًا بما معه من رأس مال الإيمان، وهو يتجر به ويربح الأرباح الكثيرة؛ فإذا سلب رأس ماله أصبح فقيرًا معدمًا فإمّا أن يسعى بتحصيل رأس مال آخر بالتّوبة النّصوح والجد والتشمير، وإلا فقد فاته ربح كثيرٌ بما أضاعه من رأس ماله.
  - \* ومنها نقصانُ رزقِهِ؛ فإِنَّ العبدَ يُحرمُ الرِّزق بالذُّنبِ يصيبه.
- \* ومنها ضعفُ بدنِهِ! ومنها زوالُ المهابة والحلاوة التي لَبَسَهَا بالطَّاعةِ؛ فتُبدِل بها مهانةً وحقارةً.
  - \* ومنها حصول البغضة والنَّفرة منه في قلوبِ النَّاسِ.
- \* ومنها ضياع أعزَّ الأشياء عليه وأنفسها وأغلاها؛ وهو الوقت الذي لا عوضَ منه ولا يعود إليه أبدًا.
- \* ومنها طمع عدوه فيه وظفره به؛ فإنَّهُ إذا رآه منقادًا مستجيبًا لما يأمره اشتد طمعه وحدث نفسه بالظّفر به، وجعله من حزبه؛ حتى يصير هو وليه دون مولاهُ الحقُّ.
- \* ومنها الطَّبعُ والرين على قلبه؛ فإنَّ العبدَ إذا أذنبَ نكتَ في قلبهِ نُكتَةً سوداءً؛ فإن تابَ منها صُقِلَ قلبهُ، وإن أذنب ذنبًا آخرَ نكتَ فيه نُكتةً

أُخرىٰ، ولا تزال حتىٰ تعلو قلبه؛ فذلك هو الرَّان، قالَ اللَّمُتباركَ وتعالىٰ: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

\* ومنها أنَّهُ يُحرم حلاوة الطَّاعة؛ فإذا فعلها لم يجد أثرها في قلبهِ من الحلاوة والقوَّة ومزيد الإيمان والعقل والرَّغبة في الآخرة؛ فإنَّ الطَّاعة تثمرُ هذه الثَّمرات ولا بُدَّ.

\* ومنها أَنْ تمنعَ قلبَهُ من تَرحلِهِ من الدُّنيا ونزولِهِ بساحةِ القيامة؛ فإِنَّ القلبَ لا يزال مشتتًا مضيعًا حتى يرحل من الدُّنيا وينزل في الآخرةِ؛ فإِذا نزل فيها أقبلت إليه وفود التَّوفيق والعناية من كلِّ جهةٍ، واجتمع على جمع أطرافه وقضاء جهازه وتعبئة زاده ليوم معاده، وما لم يترحل إلى الآخرة ويحضرها؛ فالتعبُ والعناءُ والتَّشتُتُ والكسلُ والبطالةُ لازمة لَهُ لا محالة.

\* ومنها إعراض اللهِ تعالىٰ وملائكتِهِ وعباده عنه؛ فإنَّ العبدَ إذا أعرضَ عن طاعةِ اللهِ واشتغلَ بمعاصيهِ أعرضَ اللهُ عنهُ فأعرضت عنه ملائكته وعباده؛ كما أنَّهُ إذا أقبلَ علىٰ اللهِ تعالىٰ أقبلَ اللهُ عليهِ وأقبلَ بقلوبِ خلقِهِ إليه.

\* ومنها أَنَّ الذَّنبَ يستدعي ذنبًا آخرَ، ثمَّ يقوىٰ أَحدُهما بالآخرِ فيستدعيان ثالثًا، ثمَّ تجتمعُ الثَّلاثةُ فتستدعي رابعًا، وهَلُمَّ جرًا حتىٰ تغمره ذنوبه، وتحيط به خطيئته، قالَ بعضُ السَّلَفِ: إِنَّ من ثوابِ الحسنَةُ الحسنَةُ بعدها، ومن عقوبةِ السيئةُ السيئةُ بعدها.

\* ومنها علمه بفوات ما هو أحب إليه، وخير له منها من جنسها وغير جنسها؛ فإنّه لا يجمع الله لعبده بين لذّة المحرمات في الدُّنيا، ولذّة ما في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فالمؤمنُ لا يذهب طيباته في الدُّنيا بل لا بُدُّ أَن يتركَ بعضَ طيباته للآخرةِ، وأمَّا الكافرُ فإِنَّهُ لا يؤمن بالآخرةِ؛ فهو حريصٌ علىٰ تناولِ حظوظِهِ كلها، وطيباته في الدُّنيا.

\* ومنها عِلْمُهُ بأنَّ أعمالَهُ هي زاده ووسيلته إلىٰ دار إِقامتِهِ ؛ فإن تزودَ من معصيةِ اللهِ أوصله ذلك الزَّاد إلىٰ دار العُصَّاةِ والْجُنَاةِ ، وإن تزودَ من طاعته وولايته .

ومنها علمه بأنَّ عملَهُ هو وليَّهُ في قبرِهِ، وأنيسَهُ فيه، وشفيعَهُ عندَ
 رَبَّهُ والخاصم والمحاج عنه؛ فإن شاءَ جعلَهُ لَهُ، وإن شاءَ جعلَهُ عليهِ.

\* ومنها علمه بأنَّ أعمال البَّرِ تنهض بالعبدِ، وتقوم به وتصعد إلى الله به ومنها علمه بأنَّ أعمال البَّرِ تنهض بالعبدِ، وتقوم به وتصعد إلى الله به به فبحسب قوة تعلقه به وتجذبه إلى الهاوية، وتجره إلى أسفلِ سافلينَ ؛ بحسبِ قوة تعلقه بها يكون هبوطه معها، ونزوله إلى حيث يستقر به، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [ناطر: ١٠].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبُرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبُوابُ السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف: ١٠].

فلمًا لم تُفتحُ أبوابَ السَّماءِ لأعمالهم؛ بل أُغلقت عنها! لم تُفتحُ لأرواحهم عندَ المفارقةِ؛ بل أُغلقت عنها، وأهل الإيمان والعمل الصَّالح لما كانت أبواب السَّماء مفتوحة لأعمالهم حتى وصلت إلى اللهِ – سبحانه –

فتحت لأرواحهم حتى وصلت إليه تعالى، وقامت بين يديه؛ فرحمها، وأمر بكتابة اسمها في عليين.

\* ومنها خروجه من حصن الله الذي لا ضيعة على من دخله؛ فيخرج بمعصيته منه إلى حيث يصير نهبا للصوص وقطاع الطريق؛ فما الظن بمن خرج من حصن حصين لا تدركه فيه آفة إلى خربة موحشة هي مأوى اللصوص وقطاع الطريق؛ فهل يتركون معه شيئًا من متاعه.

\* ومنها أنَّهُ بالمعصيةِ؛ قد تعرض لِمَحْق بركتِهِ.

وبالجملة ! فآثارُ المعصية القبيحة ؛ أكثر من أن يحيط بها العبد علمًا .

وآثارُ الطَّاعةِ الحسنةِ؛ أكثر من أن يحيط بها علمًا؛ فخيرِ الدُّنيا والآخرة بحذافيرِهِ في طاعةِ اللهِ، وشر الدُّنيا والآخرة بحذافيره في معصيتِهِ.

وَفَي بَعْضِ الآثارِ، يَقُولُ اللهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (مَنْ ذَا الَّذِي أَطَاعَنِي؛ فَشَقِيَ بِطَاعَتِي؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي عَصَانِيَ؛ فَسَعِدَ بِمَعْصِيَتِي).

السَّبَبُ الثَّامن: قصرُ الأَملِ، وعلمه بسرعة انتقاله؛ وأنَّهُ كمسافر دخلَ قرية، وهو مزمعٌ على الخروج منها، أو كراكب قال في ظُلِ شجرة، ثمَّ سارَ وتركها؛ فهو لعلمه بقلة مقامه، وسرعة انتقاله؛ حريص على تركِ ما يثقله حمله، ويضره ولا ينفعه؛ حريص على الانتقال بخيرِ ما بحضرته؛ فليسَ للعبد أنفع من قصرِ الأملِ، ولا أضرَّ من التَّسويف وطول الأملِ.

السَّبَبُ التَّاسع: مجانبةُ الفُضولُ؛ في مطعمهِ ومشربِهِ وملبسهِ ومنامِهِ واجتماعِهِ بالنَّاسِ؛ فإنَّ قوةَ الدَّاعي إلى المعاصي إنَّما تنشأُ من هذهِ الفضلاتِ؛ فإنَّها تطلب لها مصرفًا، فيضيق عليها المباح؛ فتتعداه إلى

الحرام، ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالتِه وفراغِه؛ فإِنَّ النَّفسَ لا تقعد فارغة؛ بل إِن لم يشغلها بما ينفعها؛ شغلته بما يضره ولا بُدَّ.

السَّبَبُ العاشر: ثباتُ شجرة الإيمان في القلبَ:

وهو الجامع لهذه الأسباب كلّها ثباتُ شجرة الإيمانِ في القلبِ؛ فصبرُ العبدِ عن المعاصي! إِنَّما هو بحسبِ قوة إِيمانِهِ؛ فكلّما كانَ إِيمانه أقوىٰ كانَ صبره أَتَمّ، وإذا ضعفُ الإيمان ضعف الصبّر.

فإنَّ مَن باشر قلبه الإيمان بقيام اللهِ عليه، ورؤيته لَهُ، وتحريمه لما حرَّم عليه، وبغضه لَهُ ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثَّوابِ والعقابِ والجنَّةِ والنَّارِ؛ امتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم.

ومن ظن أنَّهُ يقوى على تركِ المخالفاتِ والمعاصي بدونَ الإيمانِ الرَّاسخِ الشَّابتِ؛ فقد غلطً! فإذا قوي سراجُ الإيمانِ في القلبِ وأضاءَت جهاته كلِّها به، وأشرق نوره في أرجائِهِ سرى ذلك النُّورِ إلى الأعضاءِ وانبعث إليها؛ فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان.

وانقادت له طائعة مذللة غير متثاقلة ولا كارهة؛ بل تفرح بدعوته حين يدعوها كما يفرح الرَّجلُ بدعوة حبيبه المحسن إليه إلى محلِ كرامتِه؛ فهو كلُّ وقت يترقب داعيه، ويتأهب لموافاته، والله يختص برحمته من يشاء، والله دو الفضل العظيم)(١).

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ طريق الهجرتين وباب السعادتين ٥ باب (طريق تحصيل الصبر عند المصيبة): ص ٤٤٨ – ٤٥٥. دار ابن انقيم.

# آثار المعاصي الوخيمة على العبد في دينه ودنياه وآخرته

فاعِلم! أَخِي المسلم الفطن؛ علَّمنا الله تعالىٰ هديَّ نبيِّنا عَلَيْكَ :

كما أنَّ الطَّاعاتِ، والأعمال الصَّالحة؛ لها آثارٌ طيبةٌ ونافعةٌ ومباركةٌ.

فإِنَّ المعاصيَ والذُّنوبِ والآثامِ والخطايا - كذلك - لها آثارٌ سيئةٌ ومؤلمةٌ، والعواقبُ الوخيمةٌ، والقبيحةٌ، والمذمومةٌ؛ تُضِرُّ بالقلبِ والبَدَنِ في الدُّنيا والآخرة، بما لا يعلمه إِلاَّ الله؛ سبحانهُ وتعالىٰ.

والمعصيةُ مُرَّةُ المذاقِ؛ لا يقبلُ عليها إِلاَّ من تجردَ من الإيمانِ الصَّادقِ، وخلعَ لباسَ التَّقوي الذي هو خيرُ لباسِ!

ومن ميزة المعصية؛ أنّها يُولدُ عند العاصي بعد فعلِ معصيته فورًا! أن يشعرَ بالنّدم، ويتجرع كؤوس الحسرة والألم، ويتمنى أنّهُ ما وقع في هذه المعصية البتّة، ولا أقبلَ عليها أصلاً!! فالمعصية إذًا سببُ حدوثِ الأضرارِ والشّرورِ، ونُزولِ العقوباتِ الإلهي؛ فما ينزلُ بلاءٌ إِلاَّ بالذُّنوبِ، ولا يُرفعُ إِلاَّ بالتّوبةِ الصّادقةِ النّصور ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الشوري، الآية: ٣٠.

قالَ العلاُّمةُ أبو الفرج عبد الرَّحمن ابن الجوزي، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(ينبغي لكل ذي لُب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي ؛ فإنَّهُ ليسَ بينَ الآدمي وبينَ اللهِ تعالىٰ قرابة ولا رحم ! وإنّما هو قائم بالقسط، حاكم الآدمي وبينَ اللهِ تعالىٰ قرابة ولا رحم ! وإنّما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإنْ كان حلمه يسعُ الذُّنوب؛ إلاَّ أَنَهُ إذا شاءَ عفا ؛ فعفا كلَّ كثيف من الذُّنوب، وإذا شاءَ أخذ، وأخذ باليسير ؛ فالحذر الحذر!!

ولقد رأيت أقوامًا من المترفين كانوا يتقلّبون في الظّلم والمعاصي - الباطنة والظاهرة - فتُبِعُوا من حيث لم يحتسبوا! فقُلعت أصولهم وانتقض بنيانهم، ونقص ما بنوا من قواعد أحكموها لذراريهم، وما كان ذلك؛ إلا أنّهم أهملوا جانب الحقّ - عزّ وجلّ - وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شرّ؛ فمالت سفينة ظنونهم؛ فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم!!

ورأيتُ أقوامًا من المنتسبينَ إلى العلمِ أهملوا نظرَ الحقِّ - عزَّ وجلَّ - إلى العلمِ أهملوا نظرَ الحقِّ - عزَّ وجلَّ - إليهم في الجلوات؛ فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلبَ يحنُّ إلى لقائهم.

فالله الله في مراقبة الحق - سبحانه - فإنَّ ميزانَ عدله تَبِينُ فيه الذَّرة، وجزاؤه مراصد للمخطئ ولو بعد حين، وربما ظنَ أنَّهُ العفو، وإنَّما هو إمهال.

وللذُّنوب عواقب سيئة! فالله الله! الخلوات الخلوات! البواطن البواطن! النيات النيات؛ فإنَّ عليكم من الله عينًا ناظرة! وإيَّاكم والاغترار بحلمه وكرمه؛ فكم قد استدرج، وكونوا على مراقبة الخطايا، مجتهدين في محوها، وما شيء ينفع كالتَّضرُّع مع الحمية عن الخطايا فلعله، وهذا فصل إذا تأمله المعامل لله تعالى نفعه. ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى:

قدرت على لذّة هي غاية وليست بكبيرة؛ فنازعني نفسي إليه؛ اعتمادًا على صغرها! - وعظم فضل الله تعالى وكرمه - فقلت لنفسي: إن غلبت هذه فأنت أنت أنت أنت وإذا أتيت هذه فمن أنت؟ وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون لأنفسهم في مسامحة كيف انطوت أذكارهم، وتمكن الإعراض عنهم؛ فارعوت، ورجعت عمًّا همت به) (١).

قال — رحمه الله — في موضع آخر: (تذكرت في سبب دخول جهنّم؛ فإذا هو المعاصي! فنظرت في المعاصي؛ فإذا هي حاصلة من طلب اللّذات! فنظرت في اللّذات؛ فرأيتها خدعًا ليست بشيء! وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصًا، فتخرج عن كونها لذات؛ فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضي بجهنّم لأجل هذه الأكدار؛ فمن اللّذات الزّنا! فإن كان المراد إراقة الماء؛ فقد يُراق في حلال! وإن كان في المعشوق؛ فمراد النّفس دوام البقاء مع المعشوق؛ فإذا هي ملكتة فالمملوك مملول، وإن هو قاربة ساعة، ثمّ فارقه؛ فحسرة الفراق تربو على لذّة القرب، وإن كان ولد له من الزّنا؛ فالفضيحة الدّائمة، والعقوبة التّامة، وتنكيس الرأس عند الخالق والمخلوق.

وأمًّا الجاهلُ! فيرى لذَّتَهُ في بلوغ ذلك الغرض! وينسى ما يجني مما يكدر عيش الدُّنيا والآخرة! ومن ذلك شُربُ الخمرِ؛ فإِنَّهُ تنجيسٌ للفَمِ والثَّوب، وإبعادٌ للعقل، وتأثيراته معلومة عند الخالق والمخلوق. فالعجبُ! ممن يؤثرُ لذَّةَ ساعَة؛ تجني عقابًا، وذهاب جاه، وربَّما خرجَ بالعربدة إلى القتل، وعلى هذا فقِسْ جميع المذوقات! فإنَّ لذاتها إذا وزنت بميزان العقل؛ لا تفي بمعشار عشير عواقبها القباح في الدُّنيا والآخرة، ثمَّ هي

<sup>(</sup>١) انظر: ٩ صيد الخاطر ٩ فصل: (عواقب المعاصى، أو نهاية العصاة).

نفسها ليست بكثير شيء؛ فكيف تُباعُ الآخرة بمثل هذا؟! سُبْحانَ! مَن أَنعمَ على أقوام؛ كلّما لاحت لهم لذَّة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما يجني، وتلمحوا ما يؤثر تركها؛ فرجحوا الأصلح، وطمس على قلوب؛ فهي ترى صورة الشّيء، وتنسى جناياته، ثمَّ العجبُ أَن نرى من يبعد عن زوجته وهو شاب؛ ليعدو في الطريق، فيقال ساعي؛ فيغلب هواه لطلب ما هو أعلى وهو المدح؛ كيف لا يترك محرمًا ليمدح في الدّنيا والآخرة، ثمَّ قدر حصول ما طلبت من اللّذات وذهابها، وأحسب أنَّها قد كانت وقد هانت و تخلصت من محنها! أين أنت من غيرك! أين تعب عالم قد درس العلم خمسين سنة! ذهب التعب، وحصل العلم، وأين لذَّة البطال ذهبت الرّاحة، وأعقبت النَّدم) (١).

فإنَّ آثارَ الذُّنوبِ والمعاصي؛ وخيمةٌ وكبيرةٌ جدًّا على مرتكبها، أو أسرته، أو مجتمعه، أو أُمَّته؛ بل على الأرضِ والسَّماءِ والدُّوابِ والأَنعامِ والطيورِ والوحوشِ، وغيرها، وقد عدَّ العلماءُ آثاراً كثيرةً للمعاصي في الدُّنيا قبل الآخرة، ولإحياء القلوب وتنبيه المسلمين لخطورة المعاصي؛ سأوردُ هنا ما ذكره الإمامُ ابنُ القيِّم – رحمه اللهُ – في عقوباتِ المعاصي في كتابه العظيم الجليل: « الجوابُ الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي »(٢).

فإِنَّهُ كعدته إمامٌ في الفنُ الذي يتكلمُ فيه، وما علينا بعد قوله إِلاَّ تدبرُ ما كتبه من العلم، وتمعن في معانيه الحكيمة، والعمل بمقتضاه، ونسألُ اللهَ أن يُعيننا على شرور أنفوسنا الأمارةُ بالسُّوءِ؛ إِنَّهُ وليُّ ذلك والقادرُ عليه:

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ صيد الحاطر، فصل: (المتعة الزائفة).

<sup>(</sup>٢) انظر: ١ الجواب الكافي ٥ ص١٢٣ - ٣٠٥. دار ابن خزيمة (بتصرف).

# • آثارُ المعاصي والذُّنوب على القلب :

١ - ضررُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ قلب العبد؛ كضرر السُّمُومِ علىٰ الأبدان! علىٰ اختلاف درجاتها في الضَّرر؛ فهي داءٌ وعيلَةٌ، ووبالٌ وآفةٌ!

هل في الدُّنيا والآخرة شرِّ؛ إِلاَّ وسَبَبُهُ الذُّنوبُ والمعاصي؟ لأَنَّ المعاصي بريدُ الرُّنا! والنَّظرَ بريدُ الحِماع! والغناءَ بريدُ الزِّنا! والنَّظرَ بريدُ العِماع! والغناءَ بريدُ الزِّنا! والنَّظرَ بريدُ العِمْنَ العِمْنَ اللَّبِيُ عَلَيْكَ :

« إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطاً خَطِيئةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فإِذَا هَوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿ كَلاَ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ "(١).

Y - حرمانُ العلم: فإنَّ العلمَ حياةٌ القُلُوب من العميّ، ونورٌ الأبصارِ من الظُلمةِ، وقوةُ الأبدانِ من الضُعفِ، وهو شفاءُ الصُّدورِ، ورياضُ العُقولِ، ولذَّةُ الأرواحِ، وأُنسُ المستوحشينَ، ودليلُ المتحيرينَ في السَّراءِ والضَّراءِ، وبه يُطَاعُ الله تعالىٰ، وبه يُعْبَد، وبه تُوصل الأرحام، وبه يُعْرَفُ الحلالُ من الحرامِ؛ وهو إمامُ العملِ، والعمل تابعه؛ فتعلمهُ للهِ تعالىٰ خشيةٌ، وطلبهُ عبادةٌ، ومدارسته تسبيحٌ، والبحث عنه جهادٌ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقةٌ؛ يبلغُ به العبدُ منازلَ الأحرارِ، والدَّرجاتِ العُلىٰ في الدُّنيا والآخرةِ، ويرفعُ اللهُ تعالىٰ به أقوامًا! فيجعلهم في الخلقِ أَئمَةً وسادةً وقادةً يُقتدىٰ بهم؛ فيلهمهُ اللهُ تعالىٰ للسُعداءِ، ويحرمه من الأَشقياءَ!

<sup>(</sup>١) « رواه الترمذي » في (أبواب تفسير القرآن) باب ه سورة ويل للمطففين » وحسَّنه الألباني و والآية: ١٤، من سورة المطففين.

فالعلمُ نورٌ وهبةٌ؛ يقذِفُهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - في قلبِ الْمُؤْمنِ الْمُتَّقي الصَّادِقِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠).

والمعصية تُطفىء ذلك النُّورَ، وتُعْمِي بصيرة القلبِ، وتسدُّ طُرُق العلمِ، وتحجُبُ مواردَ الهدايةِ، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢).

ولَمَّا جلسَ الإمامُ الشَّافعيُّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - بينَ يدي إمامِ دار الهجرةِ الإمامُ مالكِ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - وقراً عليه؛ أعجبَهُ ما رأَىٰ من وُفورِ فِطْنَتِهِ، وتوقُدِ ذكائِهِ، وكمال فهمِه، فقالَ رحمهُ اللهُ:

( إِنِّي أَرَىٰ اللهَ قَدْ أَلقَىٰ عَلَىٰ قَلْبِكِ نُورًا ؛ فَلاَ تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ ) . وقالَ الْإِمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

شَكُوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَني إِلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي وَقَالَ اعْلَمْ! بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلً " وَفَضْلُ اللهِ لاَ يُؤْتَىٰ لِعَاصِي.

٣- وَحْشَةٌ يجدها العاصي في قلبه؛ بينة وبينَ اللهِ تعالى، لا توازنُها ولا تقارنُها لَذَةٌ أصلاً، ولو اجتمعت له لذّات الدّنيا بأسْرِهَا! لم تَف بتلك الوحشة - وهذا النعمة لا يُحِسُّ به إلا من في قلبه حياة - وكلما كثرت الذّنوب اشتدت الوحشة، ولو لم تُتْرَكِ الذّنوبَ إلا حذرًا من الوقوع في تلك الوحشة؛ لكان حريًا بالعاقل تركها!

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

ووحْشَةٌ تَحْصلُ بينه وبين النَّاسِ، ولا سيما مع أَهلِ الخير والصَّلاح من عبادِ اللهِ المؤمنين الصَّادِقِينَ، وكلَّما قويت تلك الوحشَّةُ؛ بَعُدَ منهم، ومن مجالسهم، وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم! وقرُبَ من حزبِ الشَّيطانِ بقدر ما بعُدَ من حزبِ الشَّيطانِ بقدر ما بعُدَ من حزبِ الرَّحمنِ! ثمَّ تَقُوىٰ هذهِ الوحشَّةُ؛ حتَّىٰ تتمكن وتستحكم فتعدى! فتقعُ بينَهُ وبينَ امراً تِهِ وولدهِ وأقارِبِهِ؛ بل بينَهُ وبينَ نفسِهِ! فتراهُ فتعدى! فتراهُ بينَهُ وبينَ امراً تِهِ وولدهِ وأقارِبِهِ؛ بل بينَهُ وبينَ نفسِهِ! فتراهُ مستوحِشًا بنفسِهِ! قالَ الإمامُ العابدُ الفضيلُ بن عياض، رحمه اللهُ تعالىٰ:

( إِنِّي لأَعْصِيَ اللهَ ؛ فَأَرَىٰ ذَلِكَ فِي خُلُق دَابَّتِي وَامْرَأَتِي ).

﴿ عُلْمَةٌ يَجِدُها العاصي في قلبه حقيقةٌ ، يُحِسُّ بها كما يُحِسُّ بظلمةِ الليلِ البهيم الأليل؛ فتُوهِنُ قلبَهُ وبَدَنَهُ ، وتحرمه الطَّاعةَ والعبادة .

فالإيمان والطَّاعة؛ نورٌ في القلب ينعكسُ على الجوارح، والكُفرُ والفُسوقُ والعصيانُ؛ ظلماتٌ بعضُها فَوْقَ بعضٍ، قالَ اللهُ تباركُ وتعالىٰ:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى التُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا وُلِيَا وُلِيَا وُلُكُمَاتِ أُولَئِكَ كَفَرُوا أَوْلِيَا وُلُكُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

المعاصي تضعفُ في قلبِ العبدِ تعظيمَ اللهِ ووقارَهُ - حلَّ جلاله - شاءَ العبدُ أم أبي، ولو تَمكن وقارُ اللهِ وعظمتُه في قلبه لما تجرَّاً على فعل المعاصي؛ فإنَّ عظمة الله وجلالَه في قلب العبد تقتضي تعظيمَ حُرُماتِهِ، وهذا التَّعظيمُ يحول بينه وبين المعاصى، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظُّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُو خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧. (٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

٣- المعاصي تضعف القلب عن إرادته؛ فإذا ضعفت؛ قُويت إرادة المعصية فيه، وضعفت إرادة التَّوبة شيعًا فشيعًا إلى أنْ تَنْسَلِخَ مِنَ القَلْبِ بالكلية؛ فلو ماتت إرادة التَّوبة في القلب لما تاب إلى الله تعالى صاحبه، فتراه يأتي مِن الاستغفار وتوبة الكذّابين باللَّسان شيعًا كثيرًا، وقلبه معقود بالمعصية مُصِرٌ عليها عازمٌ على مُواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم بالمعصية مُصِرٌ عليها عازمٌ على مُواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض، وأقربها إلى الهلاك، والعيادُ بالله؛ لأنّ المعاصي تصد عن التَّوبَة، وصَاحِبهُ أسيرُ شيْطانه، وسَجِينُ شهواته، ونفسه الأمّارة بالسُّوء.

٧- تكرارُ المعاصي؛ يُورثُ القلبَ إِلفَها ومحبَّتَهَا؛ حتىٰ يفتخرَ صاحبُه بالمعصية فلا يعافي؛ لأنَّ المعصية تُهَوِّنُ أُختَها وتصغُرُها؛ فكثرتُها تُضْعِفُ في القلب تعظيمَ الذُّنوب؛ فيرى الكبائرَ العظامَ الجِساَم من الصَّفائر.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١).

فينسى صاحبُ المعاصي أمرَ اللهِ - جلَّ وعلا - ونهيه ودينه؛ أنساهُ اللهُ تعالىٰ نفسه وعقله، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ فَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ إِلَا نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَد وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ إِلَا تَكُونُوا كَاللهُ فَانسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُ عَلِيْكُ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِعَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ ؛ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِعُ يَكُشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ ، (٣) .

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ١٥. (٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٧ – ١٨.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب وستر المؤمن على نفسه.

٨- المعاصي والذُّنوب إِذا تكاثَرَت؛ تطبع على القلب، وتوقعُ الوحشةُ والانتكاسَ فيه، وتخلِّط عليه الخيرَ والشر، والحقَّ والباطل، والمعروفَ والمنكر؛ فيكون صاحبُهُ من الغافلينَ؛ لأنَّ القلبَ يصداً من المعاصي؛ فإذا ازدادت غلبَ الصدأُ حتَّىٰ يصيرَ طبعًا وختمًا وقفلاً؛ فيصيرُ في غِشاوةٍ وغلاف، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (''. وقال تعالى: ﴿ كَلاَ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (''.

9- المعاصي والذُّنوب؛ تُضْعِفُ سَيْرَ القلبِ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ والدَّارِ الآخرة، أَوتُعَوَّقُهُ، أَو توقِفُه، وتقطعُهُ عن السَّيرِ؛ فلا تَدَعُهُ يخطو إلىٰ اللهِ خُطوة، هذا إِن لم ترُدَّه عن وجهتِهِ إِلَىٰ ورائه! فالذَّنْبُ يحجُب الواصل، ويقطعُ السَّائر، ويُنَكِّسُ الطَّالب.

وإِنَّما يسيرُ القلبُ إِلَى اللهِ بالطَّاعَةِ والتَّقوى؛ فإذا مَرِضَ بالذُّنوبِ ضَعُفَت تلك القوةُ التي تُسيَرهُ، فإِنْ زالت بالكلِّيَةِ؛ انقطع عن اللهِ تعالىٰ انقطاعًا يَصْعُبُ تدارُكُهُ، ثمَّ يُلقي اللهُ الرُّعْبَ في قلب صاحبه؛ لأَنَّ العاصي تميتُ القلبَ، أو تمرضُهُ، أو تضعِفُ قوَّتُهُ؛ حتَّىٰ ينتهي صعفه إلىٰ الأَسياءِ الثَّمانيةِ التي استعاذ منها النبِيُ عَلَيْكُ ، بقولِهِ:

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُودُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْن، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْن، وَضَلَع الدَّيْن، وَغَلَبَة الرِّجَالَ» (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الصف. الآية: ٥. ﴿ ٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب « التعوذ من غلبة الرجال ، .

• 1 - المعاصي والذُّنوب تميتُ غيرةَ القُلوب؛ التي أَصلُها كراهةُ القبائحِ وبُغضها! وتَذْهَبُ بحياتهِ الذي هو أَصل كُلِّ خير! وتَطمُسُ نورَه، وتُعْمي بصيرته، وتُمرضه، وتسدُّ طُرق العلم، وتَحْجُبُ مواردَ الهداية.

والغيرةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ العُلمٰي، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ :

« تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ! وَاللّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » (١).

والغيورُ قد وافقَ رَبَّهُ - سبحانه - في هذهِ الصِّفةِ من صفاتِهِ الكريمة، ومَن وافقَ الله تعالىٰ في صفة من صفاتِهِ؛ قادَتْهُ تلك الصِّفةُ إليه بزمامه، وأدخلتهُ علىٰ رَبِّهِ، وأدنتهُ منه، وقرَّبَته من رحمته، وصيرَّتهُ محبوبًا لَهُ؛ فإنَّهُ سبحانه! رحيمٌ يحبُّ الرُّحماءَ، كريمٌ يحبُّ الكرماءَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ، قويٌ يحبُّ المؤمن القويَّ ، وهو أحبُّ إليه من المؤمن الضَّعيف؛ حييٌ يحبُّ أهل الحياء، جميلٌ يحبُّ أهل الجمال، وثرٌ يحبُّ أهل الوِتْر، ولو لم يكن في الذُّنوبِ والمعاصي؛ إلاَّ أنَها توجبُ لصاحبِها ضدَّ هذهِ الصِّفاتِ يكن في الذُّنوبِ والمعاصي؛ إلاَّ أنَها توجبُ لصاحبِها ضدَّ هذهِ الصِّفاتِ وتمنعُهُ من الاتصافِ بها؛ لكفي بها عقوبةً!

وصاحبُ المعاصي كلَّما اشتدَّتْ ملابستُهُ للذُّنوب؛ آخرجتْ من قلبِهِ الغَيْرَةَ على نفسِهِ واَهلِهِ وعمومِ النَّاسِ، وقد تَضْعُفُ في القلبِ جدًّا حتَّىٰ لا يَسْتَقْبَح بعد ذلك القبيح لا من نفسِهِ ولا من غيرِه، وإذا وصل إلى هذا الحدِّ فقد دخل في بابِ الهلاكِ! وأكثرُ العُصَّاةِ لا يقتصرون على عدم الحدِّ فقد دخل في بابِ الهلاكِ! وأكثرُ العُصَّاةِ لا يقتصرون على عدم الاستقباح؛ بل يحسنون الفواحش ويدعون إليه ويحثهون عليه.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد ) باب وقول النبي لا شخص أغير من الله ۽ .

١ - المعاصي والذُّنوب؛ تُلقِي الخوف والرُّعْب والياس والكآبة في قلوب أصحابها؛ فترى العاصي دائمًا خائفًا مرعوبًا كثيبًا، قال الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

فإِنَّ الطَّاعةَ حِصْنُ الله الأعظمُ الذي مَن دخلَهُ كان من الآمنين من عُقوبةِ الدُّنيا والآخرة، ومَن خَرَجَ منه أحاطت به المُخاوفُ من كلِّ جانبٍ عُمَن أَطاع الله انقلبت مامنه خوفًا.

فلا تجد العاصي إِلاَّ وقلبهُ كَأَنَّهُ بين جناحي طائر، إِن حَرَّكَتِ الرِّيحُ السِّيعُ السِّيعُ السَّلَبُ، وإِن سمعَ وقعَ قدم؛ خاف أَن يكون نذيرًا الباب، قال: جاء الطَّلَبُ، وإِن سمعَ وقعَ قدم؛ خاف أَن يكون نذيرًا بالعطب، يحسب أَنَّ كلَّ صيحةٍ عليه، وكلَّ مكروه قاصدًا إِليه!

فَمَن خَافَ الله تعالىٰ؛ أَمَّنه الله من كلِّ شيءٍ، ومَن لم يَخَفِ اللهَ تعالىٰ؛ أَخافه الله من كلِّ شيءٍ.

17- المعاصي والذُّنوبُ؛ تمرض القلب، وتصرفه عن صحَّته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، وتأثيرُه في القلوب؛ كتأثير الأَمراض الفتَّاكة في الأبدان؛ بل أشدُّ من ذلك؛ لأنَّه لا دواء لها إلاَّ تركها! وقد أجمع السَّاثرونَ إلى اللهِ تعالىٰ أَنَّ القلوبَ لا تُعطىٰ مُناها حتَّىٰ تصلَ إلىٰ مولاها، ولا تصلُ إلىٰ مولاها حتَّىٰ تكونَ صحيحةً سليمةً، ولا تكونُ كذلك حتَّىٰ ينقلبَ داؤها فيصيرَ نَفْسَ دوائِها، ولا يصحُّ لها ذلك إلاَّ بمخالفة هواها؛ فهواها مرضُها، وشفاؤها مخالفتُهُ؛ فإنْ استحكمَ المرضُ؛ قتل أو كاد.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمان، الآبة: ١٧٥.

١٣- المعاصي والذُّنوبُ؛ تحقّر النُّفوسَ وتصغّرها، وتَقْمَعُها،
 وتُدَسّيها، وتُذلِها، وتحطُّ من قدرها؛ حتَّىٰ تكون أصغر شيء وأحقره.

أَمَّا الطَّاعَةُ فإنها تنمَّيَ النُّفُوس وتزكِّيها وتكبِّرها وتُعلِّيها، قال الله تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿ فَى وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (١).

أي: قد أفلح من كبَّرها وأعلاها بطَّاعَةِ اللهِ تعالىٰ وأظهرَها، وقد خسرَ مَن أخفاها وحقَّرها وصغَّرها بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ؛ فالعاصي يَدُسُّ نفسه في المعصيةِ، ويُخفي مكانها؛ يتوارى من الخلقِ من سوء ما يأتي به، وقد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله تعالىٰ، وانقمع عند الخلق.

فالطاعةُ والبِرُّ تكبِّرُ النَّفسَ وتُعِزُّها وتعليها؛ حتَّىٰ تصيرَ أَشرفَ شيءٌ وأَكبرَه، وأَزكاه وأَعلاه، ومع ذلك؛ فهي أذلُّ شيء، وأحقرُهُ وأَصغرُهُ اللهِ تعالىٰ، وبهذا الذُّلُّ حصلَ لها هذا العِزُّ والشَّرَفُ والنَّمو؛ فما صغَّر النَّفوسَ مثلُ معصيةِ اللهِ تعالىٰ، وما كبَرها وشرَّفها ورَفعها مثلُ طاعةِ اللهِ تعالىٰ.

١٤ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تورِثُ الذُّلُ والمهانة، وتحقّر النُّفوسَ وتصغّرها ولا بُدًّ؛ فإنّ العزّ كلّ العزّ في طاعة الله - جلّ في عُلاه - والذُّلُ
 كلّ الذُّلُ في معصية الله جلّ جلاله، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠. وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُريدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (٣٠.

<sup>(</sup>١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ – ١٠.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة المنافقون، الآية : ٨

<sup>(</sup>٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

10 - المعاصي والذُّنوب؛ تُفْسِدُ العقلَ وتُوَيْرُ فيه، وتذهبُ بنوره؛ فإذا طفئ نورُه ضعف ونقص وغاب، وما عصى الله تعالى أحدُّ حتَّى يغيب عن عقله؛ فإنَّهُ لو حضرة عقلهُ لحجزه عن المعصية، وهو في قبضة ربِّه بحلَّ في عُلاه - وتحت قهره، وهو في دار وعلى بساطه، ومطَّلعٌ عليه، وملائكته سهودٌ عليه ناظرون إليه، واعظُ القُرآن ينهاه، وواعظُ الإيمان ينهاه، وواعظُ الموت ينهاه، وواعظُ النَّار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خَيْرِ الدُّنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصلُ لَهُ من السُّرورِ واللَّذة بها؛ فهل يُقدمُ على الاستهانِة بذلك كله ذو عقل سليم؟!

ولا شك أن المعصية؛ إن لم تُفسد العقل كليًا! فهي تنقص من كماله، فلا تجد عاص؛ إلا وعقل كماله، فلا تجد عاص؛ إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح . ورأيه أسد ، والصواب قرينه .

١٦ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تُضنَيِّقُ الصَّدرَ وتوحشه؛ فيجدُ المذنبُ نفسه مستوحشًا، وكلَّما كثُرتِ الذُّنوب؛ اشتدَّتِ الوحشةُ!

فمن أعظم أسباب ضيق الصّدر؛ الإعراضُ عن طاعة الله تعالى، وتعلقُ القلب بغيرهِ، والغفلةُ عن ذكره، ومحبَّةُ ما سواه؛ فإنَّ مَن أحبَّ شيئًا غيرَ الله تعالىٰ عُذَّبَ به، وسجن قلبه في محبَّتِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلُ اللَّهُ يَجْعَلُ اللَّهُ السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

# • آثارُ المعاصي والذُّنوب على الدِّين:

١٧ - المعاصي تَجُرُ المعاصي، وتزرعُ أمثالها، ويولِّدُ بعضُها بعضًا؛ كما أَنَّ الطَّاعات تجر الطَّاعات؛ حتى يَعِزُ على العبدِ مفارقتُها والخروج منها فيصبح صاحبها أسير المعاصي والشُهوات مدمنًا عليها لا يستطيع مفارقتَها.

فالعبد إذا عمل حسنة ؛ قالت أخرى إلى جنبها : اعملني أيضًا ؛ فإذا عمل الشّالثة كذلك، وهلّم جرًّا، فتضاعف الرّبح، وتزايدت الحسنات . وكذلك جانب السيئات أيضًا ؛ حتّى تصير الطّاعات والمعاصي هيئات راسخة ، وصفات لازمة ، وملكات ثابتة .

فلو عطَّل المحسنُ الطَّاعةَ لضاقت عليه نفسُهُ، وضاقت عليه الأَرض بما رحبت. ولو عطَّل المُجرمُ المعصيةَ! وأقبل على الطَّاعةِ؛ لضاقت عليه نفسُهُ، وضاق صدرُهُ، وأَعيتْ عليه مذاهبُه؛ حتَّىٰ يُعاودَها.

وإِنَّ كثيرًا من الفُسَّاقِ ليواقعُ المعصيةَ من غيرِ لذَّةٍ يجدُها ولا داعيةَ إِليها إِلاَّ لما يجدُ من الأَلم بمفارقتها.

ولا يزالُ العبدُ يعاني الطَّاعةَ ويألفُها ويحبُّها ويؤْثرُها؛ حتَّىٰ يُرسلَ اللهُ - سبحانَهُ وتعالىٰ - برحمته إليه الملائكة؛ تؤْزُهُ إليها أزَّا، وتحرِّضُهُ عليها، وتُزْعِجُهُ عن فراشه ومجلسه إليها.

ولا يزالُ يألفُ المعاصي ويحبُّها ويؤْثرُها؛ حتَّىٰ يرسلَ اللهُ تعالىٰ عليه الشَّياطينَ؛ فتؤزَّه إليها أزَّا.

فالأوَّلُ قوَّىٰ جُنْدَ الطَّاعةِ بالمدد؛ فصاروا من أكبرِ أعوانِهِ، وهذا قوَّىٰ جندَ المعصيةِ بالمدد ؛ فكانوا أعوانًا عليه.

١٨ - المعاصي والذُّنوب من أهمِّ أسبابِ حرمان الطَّاعةِ:

فلو لم يكن للذَّنبِ عقوبةً! إِلاَّ أَن يصدَّ عن الطَّاعة؛ لكانت كافيًا في ضرره؛ فالمعاصي تحرِّمُ من الطَّاعاتِ، وتقطعُ طُرق الأعمال الصَّالحةِ.

فحرمانُ الطَّاعةِ سببُهُ الذُّنوب وارتِّكاب المعاصي؛ يحرمُ العبدَ الطَّاعاتِ ولذَّةَ المُناجاتِ، ولذَّةَ العُبوديةِ ولذَّةَ البُكاءِ، ولذَّةَ العُبوديةِ للهِ تعالىٰ، وغيرها من العباداتِ الجليلةِ.

ولذلك ينبغي على المسلم الصّادق؛ أن يحذر المعاصي بجميع أنواعها؛ لأن كثيرًا من النَّاس يتساهلون بالصّغائر ولا يلقون لها بالاً، ولا يعطونها أهمية ، وهي في الحقيقة من أهمّ أسباب التّهاون في الطّاعات والعبادات؛ فإذا تكاسل العبد فيها أتى العقاب الإلهي! أنّ الله تعالى لا يذيقه حلاوة الإيمان، ولا يعطيه حلاوة الطّاعة ، وهذا من العقاب أن يحرم العبد الطّاعات، وأن يحرم التّوفيق إلى العبادات؛ التي هي السّبب في السّعادة في الدّارين، ولذلك قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ الضَّحاكُ بن مزاحم الهلالي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: (ما نعلم أحدًا حفظ القُرآنَ؛ ثمَّ نسيَةً؛ إلاَّ بذنب، ثمَّ قرأَ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (٢) ي.

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

<sup>(</sup>٢) سورة الشورئ، الآية: ٣٠.

١٩ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تُورِثُ صاحبَها الهوانَ عندَ ربِّهِ - جلَّ في عُلاه - وسقوطَ منزلته وكرامته، وإذا هانَ العبدُ على اللهِ تعالىٰ؛ لم يكرِمه أحدٌ! فيرفعُ اللهُ تعالىٰ مهابته من قلوبِ الخلق؛ فيهونُ عليهم، ويستخفُّون به كما قالُ الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِم ﴾ (١).

وقالَ سيندُ التَّابِعِينَ؛ الإمامُ الحسنُ البصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: (هَانُوا عَلَيْهِ؛ فَعَصَوهُ، وَلَو عَزُّوا عَلَيْهِ؛ لَعَصَمَهُمُّ!).

٧ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تورثُ العبد لعنة اللهِ تعالى، ولعنة رَسُولِهِ
 وملائكتِهِ الكرام؛ فقد لَعَنَ رَسُولُ اللهِ عَنْ :

شاربَ الخمرِ وساقيها وعاصِرَها ومُعْتَصِرَها وبائِعها ومشتريها وآكل ثمنِها وحامِلها والمحمولة إليه، ولَعَنَ ﷺ الرَّاشي والمرتشي والرَّائشَ.

ولعنَ المحلِّلُ والمحلَّلُ له، ولعنَ آكلَ الرِّبا ومُوكله وكاتِبة وشاهِدَيه، ولعنَ مَن لعنَ والدَيْه، أو انتسبَ إلى غيرِ أبيهِ، ولعنَ من غيرٌ منار الأرضِ – وهي أعلامها وحدودها – ولعنَ زوَّاراتِ القبورِ والمتَّخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج، ولعنَ مَن اتَّخذَ شيئًا فيهِ الرُّوحُ غرضًا يرميهِ بسهم، ولعنَ مَن أتىٰ والسُّرُج، ولعنَ مَن وسَمَ دابة في وجهها، ولعنَ مَن أتىٰ امرأة في دُبُرها.

ولعن من آوى مُحدِثًا، ولعن الواشمة والمستوشِمة، والواصلة والمستوصِلة، ولعن السّارق، ولعن الرّجل يَلْبسُ لِبْسَةَ المرأة، والمرأة تَلْبس لِبْسَةَ المرأة، والمرأة تَلْبس لِبْسَةَ الرّجل، ولعن مَن ذَبَحَ لغيرِ اللهِ تعالى، ولعن المصوّرين، ولعن مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوطي، ولعن مَن ضارٌ مُسلمًا أو مَكرَ به، ولعن مَن أفسدَ امرأة على زوجها، أو مملوكًا على سيّده، ولعن مَن سبّ الصّحابة.

<sup>(</sup>١) سورة الحج، الآية: ١٨.

وقد لعنَ اللهُ تعالىٰ مَن أفسدَ في الأرضِ، وقطعَ رحمهُ، قالَ تعالىٰ:
﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (١).

ومَمَن لعنَهُمُ اللهُ تعالىٰ مَن آذىٰ الله، وآذىٰ رَسُولَهُ عَلِيْكُ ، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدُّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٢).

ولعنَ مَن كَتَمَ مَا أَنزلَ اللهُ تعالىٰ من البيّناتِ والهدىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللهِ يَكُمُونَ مَا أَنزلُنا مِنَ الْبَيّناتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيّنّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (٣).

ولعنَ اللهُ الذينَ يرمونَ المحصناتِ الغافلاتِ بالفاحشة، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ('').

ولعنَ مَن جعلَ سبيل الكافرين أهدى من سبيلِ المؤمنينَ، قالَ تعالىٰ:
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَوُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً

﴿ أُولَٰ لِللَّهُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ (٥٠).

وقد لعنَ اللهُ تعالىٰ ورَسُولهُ عَلَيْكُ أَشْيَاءَ أُخْرَىٰ غير هذه.

<sup>(</sup>١) سورة الرعد، الآية: ٢٥. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٥.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩. (٤) سورة النور، الآية: ٢٣.

 <sup>( ° )</sup> سورة النساء، الآيتان: ١ ٥ – ٢ ٥ .

١ ٣- المعاصي والذُّنوب؛ تورثُ حرمانَ دعوة الرَّسُول عَلَيْكُ والملائكةِ
 إِنَّ الله تعالىٰ أَمرَ نبيَّهُ عَلِيْكُ وملائكتَهُ المقربون؛ أَن يستغفروا للمؤْمنينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغِفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظُلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرُ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُـمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبْهِمْ وَيُوْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلُّ شَيْءٍ رُحْمَةً
وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِللَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ ﴾

رَبّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَاتِ عَدْنَ الَّتِي وَعَدَتُهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِيّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ﴾ وَقِهِمُ السَّيِّمَاتِ وَمَن تَقِ وَذُرِيّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ أَلْمَظِيمُ ﴾ (٢) السَّيِّمَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّمَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّمَاتِ وَمَن عَقِ السَّيِّمَاتِ وَمَن عَقِ السَّيِّمَاتِ وَمَن عَقِ السَّيِّمَاتِ وَمَن تَق

فهذا دعاةً مبارك من الملائكة الكرام للمؤمنين الصّادقين التّائبين المتّبعين لكتابه، وسُنَّة رَسُولِهِ عَلَيْ الذين لا سبيل لهم غيرُها؛ يطلبون لهم أعلى درجات الجنَّات، ويختمون طيب دعائهم بإثبات العزَّة والحكمة لله تعالى وحده، ثمَّ يقرون أنَّهُ مَن فازَ بهذه العطايا الرّبانية والمنح الآلهية؛ فإنَّ هذه أعلى درجات العطاء؛ فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدَّعوة.

<sup>(</sup>١) سورة محمد، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

<sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

٢٢ – المعاصي والذُّنوبُ توجِبَ القطيعةَ بين العبدِ المسكين المحتاجُ وبينَ رَبِّهِ – جلَّ وعلا – القوِّيُّ الغنيُّ الكريم، وإذا وقعت القطيعةُ! انقطعت أسبابُ الشَّرِ بجميع أنواعه وأشكاله.

فأيُّ توفيقٍ وفلاحٍ ونجاحٍ ورجاءٍ، وأيُّ عيشٍ لمن انقطعَتْ عنه أسبابُ الخير بجميع طُرقه، ويستدعي ذلك الأمرُ نسيان الله تعالىٰ لعبدهِ العاصي، ويُوكِّله إلىٰ نفسه الأمَّارة بالسُّوءِ، وشيطانه الذي يتربَّص به الدَّوائر؛ وهذا يعني: الهلاك الذي لا يُرجىٰ معه نجاةً!! قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ آلَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولِيكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

فالله تعالى يأمرُ في هذه الآية عباده المؤمنون بتقواه، وينهاهم عن التشبّه بمن نسيهم من عباده! من الذين تركوا تقواه، ثمّ أخبر أنّ عاقبتهم بأنهم أنساهم أنفسهم، أي: أنساهم مصالحهم، وما ينجيهم من عذابه الأليم، وما يوجب لهم الحياة الأبدية، وكمال لذتها وسرورها ونعيمها؛ فأنساهم الله تعالى ذلك كله جزاء لما نسوا من عظمته وخوفه، والقيام بأمره؛ فترى العُصاة مهملون لمصالح أنفسهم مضيعون لها، وقد أغفل الله تعالى قلبهم عن ذكره؛ فاتّبعوا هواهم، وكان أمرهم فرطا! أي: انفرطت عليهم مصالح دنياهم وآخرتهم، وقد فرطوا بمعاصيهم بسعادتهم الأبدية، واستبدلوا بها أدنى ما يكون من لذّة، والله المستعان.

<sup>(</sup>١) سورة الحشر، الآيتان: ١٨ – ١٩.

٣٣ - المعاصي والذُّنوب؛ تُوجب كراهية الله - عزَّ وجلَّ - للعُصاةِ من عبادهِ المذنبين، قال الله - تبارك وتعالىٰ - في الذين لا يُحبُّهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَاللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ كَفَّارِ أَثِيمٍ ﴾ (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٦).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (^).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرحِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ عن كراهيته للفارينَ من الزَّحفِ، والمتخاذلينَ عَن القتالِ:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لِأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

<sup>(</sup>٤) سورة البقرة، الآية: ٥٠٥.

<sup>(</sup>٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

<sup>(</sup> ٨ ) سورة آل عمران ، الآية : ٧٥ .

<sup>(</sup>١٠) سورة التوبة، الآية: ٢٦.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

<sup>(</sup>٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

<sup>(</sup>٧) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٩) سورة القصص، الآية: ٧٦.

٤ ٢ – المعاصي والذُّنوبُ؛ تُخرِجُ صاحِبَها من دائرة الإحسان، وتمنعه ثوابَ المحسنين والمؤْمنين الصَّادقين؛ فإنَّ الإحسانَ إذا باشرَ القلبَ منعه من فعلِ المعاصي؛ لأَنَّ المحسنِ يعبدُ الله تعالىٰ كأنَّهُ يراه، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية! فضلاً عن الوقوع فيها.

فإذا خرج من دائرة الإحسانِ فاته صحبة رفقته الخاصة وعيشهم الهنيء ونعيمهم التَّام؛ فإنَّ أَراد الله تعالى به خيرًا أقرَّهُ في دائرة عموم المؤمنينَ؛ فإنَّ عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الإيمانِ، كما قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَة :

« لاَيَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُومُ وُمِنَّ، وَلاَيَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُومُومُومْنَّ، وَلاَيَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُومُومْنِّ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةً بَعْدُ هُ (').

٢٥ - المعاصي والذُّنوبُ؛ تَسْلُبُ صاحِبَها أَسماءَ المدح والشَّرف والثَّناءِ الذي أَطلقه اللهُ تعالىٰ لعباده الصَّادقين، مثلَ اسم:

المؤمن، والبرّ، والمحسن، والمتقي، والورع، والصَّالح، والعابد، والأوّاب، العامل، المطيع، وأمثالها من الأسماء الحسنة.

بل! تَكْسُ صاحبها أسماءَ الذَّمِّ والصِّغار، مثل:

الفاجر، والعاصي، والمذنب، والمخالف، والمفسد، والطالح، والجاحد، والخبيث، وأمثالها من الأسماء القبيحة.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان باب «بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفى كماله».

# • آثارُ المعاصي والذُّنوبِ على البدن:

٣٦ - المعاصي والذُّنوبُ والآثامُ والسَّيِّئاتُ؛ توهِن البَدَن:

فَإِنَّ المؤمنَ قَوَّتُهُ من رَبِّه - جلَّ وعلا - ثمَّ من قلبه، وإيمانه، وعقيدته، وكلَّما قوِيَ المؤمنَ قويَ بدنُه.

وأمًّا العاصي والفاجرُ! وإن كان قويً البدن؛ فهو أضعفُ شيء عندَ الحاجة؛ فتخُونه قوتُهُ عندَ أحوج ما يكون إلىٰ نفسه.

وتأمَّل أخي المسلم: قوة أعداء الإسلام من فارس والرُّوم وغيرهم؛ كيف خانتهم قوة أبدانهم، عندما كانوا أحوج ما يكون إليها، فقهرهم وغلب عليهم أهل الإيمان؛ بقوَّة قلوبهم أوَّلاً، ثمَّ بقوة أبدانهم؛ لأنَّ العبد بقوَّة إيمانه يستطيع أن يفجر الطَّاقات، ويظهر قدرات، ويتغلب على وساوس الشَّيطان، ويقهر الحوف والياْس، ويحول الضُّعف إلى القوَّة والانهزام إلى التَّعاسة إلى السَّعادة .

٢٧ – المعاصي والذُّنوبُ؛ تُوجب عقوبات شرعيَّة على العاصي
 لارتكابه الجرائم، وهذه العقوبات هي: الحدود، والكفّارات، والتّعزيرات.

- أمَّا الحدودُ فهي: قتلُ المرتد، وحدُ الزّني واللَّواط، وحدُ السَّرقة،
   وحدُ القذف، وحدُ شرب الخمر.
- وأمَّا الكفاراتُ فمنها: كفَّارةُ قتل الخطا، وكفَّارة الظِّهار وكفَّارة الخلماء نهارَ رمضان والوطءُ في الإحرام وفي الحيض والنَّفاس وكفَّارة اليمين.
- وأمَّا التعزيراتُ: فهي حَسنبَ ما يراه الحاكمُ المسلمُ، وأنَّه مما يردَعُ
   ويَزْجُرُ.

١٨ – المعاصي والذُّنوبُ؛ تُوجب عقوبات قدريَّةً من الله تعالى على العاصى؛ لارتكابه الجرائم، ومخالفته لأوامر الله تعالى، وهي نوعان:

عقوبات قدريَة على القُلوب: آلام وُجودِيَة يُضْرَبُ بها القلب، وقطع المواد التي بها حياتُه وصلاحُه عنه، وإذا قُطِعت عنه؛ حصل له أضدادُها.

وعقوبة القلب أشد العقوبتين، وهي أصل عقوبة الأبدان، وهذه العقوبة تقوى وتتزايد؛ حتى تسري من القلب إلى البدن، كما يسري ألم البدن إلى القلب؛ فإذا فارقت النّفس البدن صار الحكم متعلّقًا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ، وصارت علانية ظاهرة، وهي المسمّاة بعذاب القبر، ونسبته إلى البرزخ كنسبة عذاب الأبدان إلى هذه الدّار.

عقوبات قدريَّة على الأبدان: وهي نوعان: نوع في الدُّنيا، ونوع في الآخرة، والمقصود: أَنَّ عقوباتِ السيِّئاتِ تتنوَّع إلى عقوبات شرعية، وعقوبات قدريَّة. وهي: إمَّا في القلب، وإمَّا في البدن، وإمَّا فيهما، وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت، وعقوبات يوم حشر الأجساد.

والخلاصة: أنَّ العقوباتِ القدريَّة:

هي ما يصيب الإنسان في دينه، أو دنياه، أو كليهما: من الفتن، والحن، والابتلاء؛ بسائر المصائب على أشكالها، وهي ثلاثة أنواع:

منها ما يكون لرفع الدَّرجات، ومنها ما يكون لتكفير السَّيئات، ومنها ما يكون عقابًا للإنسان على ظلمه وعدوانه، وعصيانه لرَبَّه؛ جلَّ وعلا.

وهذه الدَّرجةُ الأَخيرةُ؛ عامَّةٌ للمُسلمِ والكافرِ؛ كلُّ على حسبِ ذنبِه وجُرمِه.

# • آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ الرِّزق:

٢٩ - المعاصي والذُّنوبُ من الأسباب الرئيسة للحرمان من الرِّزقِ كما
 أنَّ التَّقوىٰ مجلبةٌ للرِّزقِ؛ فترك التَّقوىٰ مجالبة للفقر، وما استجلب رزق
 عثل ترك المعاصي، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَن يَــتُّقِ السَّلَهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَـتُو كُلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَـالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (١).

ولا شك أن المعاصي جميعًا - سواء كانت في حق الله تعالى أو في حقوق العباد - هي من أسباب ضيق الرزق ونكد والعيش ؛ حتى وإن أنعم الله تعالى على العاصي ببعض النّعم - استدراجًا له - فإنّها لا تأتيه إلا منغصة منزوعة البركة ؛ بسبب ذنوبه ومخالفته .

ورز قُ الله تعالى لعباده خاص وعام: فأمًّا الخاص فيكون لبعض عباده دون بعض، بما يفتح الله تعالى عليهم من أبواب الرِّزق دون غيرهم، كما فتح - سبحانه - لبعض عباده في أبواب التَّجارة؛ فإنَّهم لا يخسرون فيها أبدًا.

وأمًّا الرِّزق العام فبما ينزل الله تعالى لعباده من غيث السماء، ويخرج لهم من خيرات الأرض مما يحتسبونه وينتظرونه، ومما لا يحتسبونه ولا يتوقعونه، والله يرزق من يشاء بغير حساب، فينتفع بهذا الرِّزق البشرُ والحيوان والأشجار، ثم يعود نفع ذلك لبنى آدم.

<sup>(</sup>١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ـ ٣.

• ٣- المعاصي والذُّنوبُ؛ تمحَقُ النَّعم الحاصلة، وتقطع النَّعم الواصلة، أي: تُزيل النَّعم، وتحلُّ النَّقم؛ فما زالت عن العبد نعمةٌ إِلاَّ بذنب، ولا حلَّت به نقمة إِلاَّ بذنب؛ فلا يغيِّر الله تعالىٰ نعمته التي أنعم بها علىٰ أحدٍ من عباده؛ حتَّىٰ يكونَ هو الذي يغيِّر ما بنفسه؛ فيُغيِّر طاعته بعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه؛ فإذا غيَّرَ غيِّر عليه جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلام للعبيد، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (''. وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

فإِنَّ نعم الله تعالىٰ ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته؛ فإِنَّ ما عند الله لا ينال إِلاَّ بطاعته، وقد جعل الله تعالىٰ لكلِّ شيء سببًا وآفةً؛ سببًا يجلبه، وآفةً تبطله؛ فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها معصيته، فإذا أراد حفظ نعمته علىٰ عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتىٰ عصاه بها.

٣١- المعاصي والذُّنوبُ من الأسباب التي تُزيل البركة من المال، وقد تُتْلِفُه أو تمحقه، ومن ذلك أنَّ مَن كَذَبَ في بيعه وشرائه، وكَتَمَ العيوب في السِّلعة؛ عُوقِبَ بمحق البركة، وما محقت البركة من الأرض إلاَّ بمعاصي للخلق، وما نحن فيه اليوم من ظروف إِقتصادية عالمية صعبة ؛ إلاَّ تثبت ذلك النقمة.

<sup>(</sup>١) سورة الشوري، الآية: ٣٠. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

# آثارُ المعاصي والذُّنوبِ على العامَّة وعلى الفرد:

٣٢ - المعاصي والذُّنوبُ من الأَسباب التي تُعَسِّر أُمور العاصي، وهذا من أَعظم ما يصيب العاصي: فلا يتوجَّهُ لاَمرٍ؛ إِلاَّ يجدهُ مُغلَقًا دونه، أو متعسِّرًا عليه، والعبد الذي يتَّقي الله تعالىٰ؛ يجعل له من أَمره يُسرًا؛ فمَن لم يتَّق الله؛ جَعَلَ له من أَمره عُسرًا.

ويا لله العجب! كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة دونه، وطرقها معسرة عليه، وهو لا يعلم من أين أتي؟ قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (١).

\$ "- المعاصي والذُّنوبُ؛ مَدَدٌ من الإنسان لعدوه الأكبر؛ لأَن النَّفس أَوَل مَدْخَلِ الشَّيطان للإنسان؛ فإذا تمكَّن الشَّيطانُ من دخوله؛ فإنَّه يفسد عليه: ثغر العين، وثغر الأُذن، وثغر اللِّسان، والفَم، واليد، والرِّجْل؛ إِذن فالمعاصي سلاحٌ ومَدَدٌ يُمِدُ بها العبد أَعْدَاءَهُ، ويعينه بها على نفسه؛ فيقاتلونه بسلاحه، والجاهل يكون معهم على نفسه، وهذا غاية الجهل والسفه.

٣٥- المعاصي والذُّنوبُ من عقوباتها على صاحبها: المعيشة الضَنْكُ في الحياة الدُّنيا، وفي عالمِ البرزخ، وفي دار الآخرة، ويا لها من العذاب والشَّقاء! نسأل الله تعالى العافية والسَّلامة، قالَ الله تباركَ وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة طه، الآية: ١٢٤. (٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدُ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

فالطَّاعة؛ ينشرح لها صدرُ العبد وينفسح، ويجد فيها سعادته.

والمعصية؛ يُضيئق لها الصدرَ؛ فيجد العاصي من الحرج والضيق كانَّه يختنق من دُخان المعصية؛ لأنَّ من أعظم أسباب ضيق الصَّدر؛ الإعراض عن الله تعالى، وتعلَّق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبَّة سواه.

ولا تقرُّ العين، ولا يهدأُ القلبُ، ولا تطمئنُ النَّفس إِلاَّ بعبادة إلاهها ومعبودها الحقِّ؛ لأِنَّ كلُّ معبود سواه باطل! فمَن قرَّت عينه بالله تعالىٰ؛ قرَّت به كلُّ عين، ومَن لم تقر عينه بالله تعالىٰ؛ تقطَّعت نفسه علىٰ الدُّنيا حسرات؛ فيبحث عن السَّعادة في الأرزاق والأسباب الدَّنيوية الفانية! ولا يجد نفسه إلاَّ في معيشة ضنك!

فنجد الكفَّار عندهم جميع أسبابِ السَّعادة الدُّنيوية؛ فعندهم المال والمَّلطان! ولكن مع كلِّ ذلك هم في معيشة الضنك، ولا تظهر عليهم الشَّقاوة من بعيد؛ لأنَّها متعلقة بالرُّوح والقلب!

والمعيشة الضنك لا يتمناها أحد من بني البشر؛ بل إِنَّ كلَّ النُّفوسِ تنفر منها؛ لأَنَّها حياة الشَّقاء، حياة القلق، حياة الضيّاع، حياة التَّشاؤم، حياة الإحباط، حياة الياس، وهلم جرًا من الشَّقاوة.

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

# آثارُ المعاصي والذُّنوب على المجتمع:

٣٦- المعاصي والذُّنوبُ شؤمُهما؛ يعمُّ الإنسانَ، والحيوانَ، والنباتَ؛ لأَنَّه إذا نزل البلاءُ على الأرض؛ فإنَّه يعمُّ الجميعَ! فالعاصي لا يكفيه عقابُ ذنبه؛ حتَّىٰ يبوءَ بلعنة من لا ذنبَ له.

قالَ الإمامُ - التَّابِعي الجليل - مجاهد بن جبر، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( إِنَّ البهائِمَ تَلَعَنُ عُصاةَ بني آدمَ؛ إِذَا اشْتَدَّتَ السَّنَةُ وأَمْسَكَ المَطرُ، وتقول: هذا بشُؤم مَعْصِيَةِ ابن آدم ) (١٠).

٣٧- المعاصي والذُّنوبُ؛ من الأسباب المهمَّة في ظهور الفساد في:

البرّ، والبحر، والجوّ؛ من الحسف، والمسخ، والزلازل، والبراكين، وفساد البلاد والعباد، وسبب للبلايا والكُروب، وضيق الأرزاق، ومحق البركات، لأن أصول المعاصي والذّنوب الجالبة؛ للفقر، ونزول الأوبئة، والمتناع المطر، وظهور الفاحشة والمجاهرة بها، ومنع الزكاة، وبخس المكاييل والموازين ، والحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرُ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢).

والبركةُ شيءٌ زائدٌ عن العطاء؛ فإنَّ بني البشرِ اليوم! قد فتح عليهم من العطاء ما لم يفتح عليهم من قبل! ولكن كثيرًا منهم يشكون القلَّةِ والضيِّق والنقص والحاجة؛ تطور الطب والدُّواء، ولكن از دادت الأمراضُ والأدواء

<sup>(</sup>١) « حلية الأولياء ع أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٢٨٦.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة الروم، الآية: ١ ٤ .

واجتاحت الأوبئة الأرض والأجواء؛ تزايدت القوة! وكثرت لأنظمة والقوانين والمنظمات والهيئات! ولازال العالم يشكي تزايد الحروب وسفك الدماء! وكثرة النزاعات والخصومات.

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم - رحمهُ الله - في « زاد المعاد »:

(ومَن له معرفةٌ بأحوالِ العالمِ ومبدئه؛ يعرف أنَّ جميعَ الفسادِ في جوهِ ونباتِهِ وحيوانِهِ، وأحوالِ أهلِهِ؛ حادث بعد خلقه! بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرُّسلِ تحدث لهم من الفسادِ العامِّ والخاصِ ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام، والطواعين والقحوط، والجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها، ونباتها، وسلب منافعها، أو نقصانها أمورًا متتابعة يتلو بعضها بعضًا؛ فإنَّ لم يتسع علمك لهذا! فاكتف بقوله تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ الهذا! فاكتف بقوله تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

ونزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كلُّ وقت في الشمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلَّما أحدث النَّاسُ ظلمًا وفجورًا؛ أحدث لهم ربُّهم - تبارك وتعالىٰ - من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم، وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم.

ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها أكثر مما هي اليوم، كما كانت

البركة فيها أعظم! وقد روى الإمامُ أحمد بإسناده؛ أنَّهُ وجد في خزائن بعض بني أمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمرا مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام العدل. وهذه القصة ذكرها في ( مسنده ) على أثر حديث رواه.

وأكثر هذه الأمراض والآفات العامّة؛ بقية عذاب عُذّبت به الأمم السَّالفة، ثمَّ بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم، حكمًا قسطًا، وقضاء عدلاً، وقد أشار النّبيُّ عَلَيْهُ إلىٰ هذا بقولهِ في الطَّاعون: وإنّه بَقِيّة رِجْزٍ، أوْ عَذَاب أرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إسْرَائِيلَ، [مسلم].

وكذلك سلط الله - سبحانه وتعالى - الرّبح على قوم سبع ليال وثمانية أيام، ثمَّ أبقى في العالم منها بقية في تلك الأيام، وفي نظيرها عظة وعبرة.

وقد جعل الله - سبحانه - أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بُد منه؛ فجعل منع الإحسان والزَّكاة والصَّدقة سببًا لمنع الغيث من السَّماء، والقحط والجدب، وجعل ظلم المساكين، والبخس في المكاييل والموازين، وتعدي القوي على الضعيف؛ سببًا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرَّعايا ظهرت في صور ولاتهم! فإنَّ الله - سبحانه بحكمته وعدله يظهر للنَّاس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها؛ فتارة بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جاثرين، وتارة بأمراض عامَّة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السَّماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشَّياطين عليهم تؤزهم إلى ما خلق أسباب العذاب أزًا؛ لتحق عليهم الكلمة، وليصير كلُّ منهم إلى ما خلق أسباب العذاب أزًا؛ لتحق عليهم الكلمة، وليصير كلُّ منهم إلى ما خلق أله، والعاقل يسيرٌ بصيرته بين أقطار العالم؛ فيشاهده وينظر مواقع عدل الله

تعالىٰ وحكمته، وحينئذ يتبين له أَنَّ الرُّسُلَ وأتباعهم خاصة على سبيل النَّجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلىٰ دار البوار صائرون، والله بالغ أمره، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وبالله التَّوفيق)(١).

٣٨- المعاصي والذُّنوبُ كانت سببًا لإهلاك الأُم السَّابقة: لا شك أَنَّ جميع الأَضرار في الدُّنيا والآخرة تحصُلُ بسببِ المعاصي والذُّنوب.

- فما الذي! أخرج الأبوين من الجنَّة، دار اللَّذَّة، والنَّعيم الدُّثم، والبهجة، والسُّرُور، إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب؟
- والذي! أخرج إبليس من مَلكوت السّماء، وطرده، ولَعنه، ومسخ ظاهره وباطنه؛ فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بُعدًا، وبالرحمة لعنة ، وبالجمال قبُحًا، وبالجنّة نارًا تَلَظَّى، وبالإيمان كُفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومُشاقّة ، وبزجَلِ التّسبيح والتّقديس والتّهليل زَجَلَ الكفر والشّرك والكذب والزُّور والفُحش وبلباس الإيمان لباس الكفر والفُسوق والعصيان؟ فهان على الله تعالى غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السُّقوط، وحلَّ عليه غَضَبُ الرَّب تعالى؛ فأهواه، ومقتة أكبر المقت فأرداه؛ قوّدًا لكل فاسق ومجرم! رضي لنفسه بالقيادة بعد ذلك العبادة والسيادة؟!
- وما الذي! أغرق أهلَ الأرض كلُّهم في عهد نبيُّ اللهِ نوحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلام حتَّىٰ علا الماءُ فوق رؤوس الجبال؟
- وما الذي! سلَّط الرِّيح على قوم عادٍ؛ حتَّىٰ أَلقتهم موتىٰ على وجه

<sup>(</sup>١) «زاد المعاد في خير هدي العباد ، ج٤، ص٣٦٢.

الأرض؛ كأنَّهم أعجازُ نخل خاوية، ودمَّرت ما مَّرت عليه من ديارهم وحُروثهم وزُروعهم ودوابّهم؛ حتَّىٰ صاروا عبرة للأم إلىٰ يوم القيامة؟

- وما الذي! أرسل على قوم ثمود الصّيحة؛ حتّى قطّعت قُلوبَهم في أجوافهم، وماتو عن آخرهم؟
- وما الذي ا رفع قرئ قوم لوط ؛ حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ؛ ثمَّ قَلْبَها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا ؛ ثمَّ أَتْبَعَهُمْ حجارةً من السَّماء أمطرَها عليهم ؛ فجَمَعَ عليهم من العقوبة ما لم يَجْمَعْه على أُمَّة غيرهم ، ولإخوانهم أمثالها، وماهى من الظالمين ببعيد ؟
- وما الذي! أرسل على قوم شُعَيْبٍ سحابَ العذاب كالظُللِ؛ فلما
   صار فوق رؤوسهم؛ أمطر عليهم نارًا تَلَظَىٰ؟
- وما الذي! أغرق فرعون ! وقومه في البحر؟ وأذهب مُلكه وجبروته،
   ورُبوبيَّته التي ادَّعاها زورًا وبهتانًا؟
- وما الذي! خسف بقارون الذي كان يملك مفاتيح خزائن الأرض،
   وخسف بداره، وماله، وأهله؟
- وما الذي! أهلك القُرون من بعد نوحٍ! بأنواع العقوباتِ والعذاب،
   ودمَّرها تدميرًا؟
- وما الذي! أهلك قوم صاحب يس بالصيحة؛ حتى خمدوا عن آخرهم هالكين؟
- وما الذي إبعث على بني إسرائيل قومًا أُولي بأس شديد إ فجاسوا
   خلال الدّيار، وقتلوا الرّجال، وسَبَوا الذّريَّةَ والنّساء، وأحرقوا الدّيار،

ونهبوا الأموالَ؛ ثمَّ بَعَثَهُم عليهم مرةً ثانيةً؛ فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبَّروا ما عَلَوا تتبيرًا؟

وما الذي! سلّط على بني إسرائيل أنواع العقوبات والعذاب! مرة بالقتل والسّبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك قسم الرّب تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَاب إِنَّ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

لا شكَ أَنَّ هذه العقوباتِ كلَّها! أصابت هؤلاء القومَ جميعًا، وما أَهلَكَهم إِلاَّ ذنوبهم، وإصرارُهم على ارتكاب المعاصي.

٣٩ - المعاصي والذُّنوبُ؛ مواريثُ الأُم الهالكة:

واعلم: أَنَّ كلَّ معصيةٍ من المعاصي؛ هي ميراثٌ عن أُمَّةٍ من الأُم التي أهلكها الله تعالىٰ بذنوبهم؛

- \* فاللُّواطُ: ميراتٌ عن قوم لوطٍ!
- \* وأَخذُ الحقِّ بالزَّائدِ ودفعهُ بالنَّاقص: ميراثٌ عن قوم شعيبٍ!
  - \* والعلوُّ في الأرض بالفساد: ميراثٌ عن قوم فرعون !
    - \* والتكبُّر والتجبُّر: ميراتٌ عن قوم هودٍ!

فالمعاصي ثيباب بعض هذه الأمم، وهم أعداء الله - جل وعلا - والعاصي لا بس ثيابهم!

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٦٧.

١٤ المعاصي والذُّنوبُ، والإعراضُ عن الدّينِ ا من الأسبابِ الرئيسة في حلول الهزائم للأم، وذهابِ ملكهم، قال اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِيَةً فَاثَبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ تُفْلِحُونَ ﴿ يَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ يَكُ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ رَيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ يَكُونُوا كَالَّذِينَ مَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرُ كُمْ وَيُشَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿ وَاللَّهِ يَنصُرُ كُمْ وَيُشَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَالْتَقَمْنَا مِنَ اللَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقَّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٥٥ - ٤٧.

<sup>(</sup>٢) سورة محمد ﷺ ، الآيتان: ٧ - ٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الروم، الآية: ٧٤.

# من أقوال أئهة أهل السنة والجماعة في المعاصي والذنوب

١ - قَالَ أَمِيرُ المؤْمنينَ عُمر بنُ الخطابِ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(لا تَصْحَب الفجَّار لتعلَم من فجورهم، واعتزِلْ عَدُوَّك، واحدُر صديقَك إلاَّ الأَمين، ولا أَمين إلاَّ مَن خَشِيَ الله، وتخَشَّع عند القبور، وذُلَّ عند الطَّاعة، واستَعْصِمْ عند المعصية، واستَشْر الذين يخشونَ الله)(١).

وقالَ: (يا أَهل مكَّةَ! اتَّقوا الله في حَرَمِكم هذا: أَتدرون من كان ساكنَ حرمكم هذا وأهل مكَّة التَّقوا الله فيه بنو فلان فأحَلُوا حرمته فَهلَكُوا، وبنو فلان فأحلُوا حرمته فهلكوا؛ حتىٰ عَدَّ ما شاء الله. ثمَّ قال: والله! لأن أَعمل عَشْرَ خطايا بغيره؛ أحب إلى من أَنْ أَعمل واحدةً بمكة) (٢٠).

وقال - رضي الله عنه - لفضيل بن زيد الرقاشي:

(لا يُلهيك النَّاسُ عن ذات نفسك؛ فإنَّ الأَمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطَع النَّهار بكيتَ وكيت؛ فإنَّه محفوظٌ عليك ما قلت، ولم ترَ شيئًا أحسن طلبًا، ولا أسرع إدراكًا من حسنة حديثة لذنب قديم)(٣).

<sup>(</sup>١) « الدُّر المنثور » للسيوطي؛ ج٧، ص٢٢.

<sup>(</sup> ٢ ) « شعبُ الإيمان » للبيهقي؛ ج٧، ص١٧٥.

<sup>(</sup> ٣ ) « كتابُ الزُّهد » للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢ ، ص٥٣٧ .

٧- قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ آبي بكر الصدِّيق، رضيَ اللهُ عنهُما:
(أقلُوا الذُّنوب! فإنَّكم لن تَلْقَوا اللهَ بشيء أفضلَ من قلَّة الذُّنوب)(١).

وكتبت عائشة - رضيَ اللهُ عنها - إلى مُعاوية، رضيَ اللهُ عنهُ: (أَمَّا ) بَعْدُ: فإنَّ العبدَ إذا عمل بمعصيةِ اللهِ؛ عاد حامِدُه من النَّاس ذامًا ) (٢٠).

٣- قالَ أبو الدُّرداءُ - رضيَ اللهُ عنهُ - لسالم بنِ أبي الجعدرِ:

(لِيَحْذَر امرؤٌ أَن تَلْعَنَهُ قلوبُ المؤْمنين من حيثُ لا يشعُر. ثمَّ قال: أَتدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: العبد يَخْلو بمعاصي الله - عزَّ وجلَّ - فَيُلْقي الله بُغضَه في قلوب المؤْمنين من حيثِ لا يشعُرُ)(٢).

وكتب أبو الدَّرداء – رضي الله عنه – إلى سلمة بن مخلد: (أمَّا بعد: فإنَّ العبد إذا عملَ بطاعة الله؛ أحبَّه الله، وإذا أحبَّه الله؛ حبَّبَه إلىٰ خلقه، وإذا عمل بمعصية الله؛ أبغضه الله، فإذا أبغضه؛ بَغَّضَه إلىٰ خلقه)('').

٤ - سَأَلَ رجلٌ ابن عبَّاس - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: أَراَيتَ رجلاً كثير الذُّنوب، قليلُ العمل؛ قالَ:
 الذُّنوب، كثير العمل، أو رجلٌ قليلُ الذُّنوب، قليلُ العمل؟ قالَ:

(مَا أَعْدِلُ بالسَّلامَةِ شَيْئًا)(°).

<sup>(</sup>١) ، كتاب الزهد، للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢، ص٥٥٥.

<sup>(</sup>٢) ، كتاب الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل؛ ج٢، ص١٤٦.

<sup>(</sup>٣) ٥ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص٥١٥.

<sup>(</sup> ٤ ) وكتاب الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ؛ ج٢ ، ص٥٥ .

<sup>(</sup> ٥ ) • كتاب الزهد ، للإمام وكيع بن الجراح؛ ج٢ ، ص٥٣٥.

٥ - قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو أيوب الأنصاريّ، رضى الله عنه:

( إِنَّ الرَّجُلَ لِيعملُ الحَسنةَ؛ فيتَّكِلُ عليها، ويعمل الْمُحَقَّرات؛ حتَّىٰ يأْتِيَ الله وقد حُظر بِهِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لِيعملُ السَّيئَةَ؛ فيفرق منها؛ حتَّىٰ يأْتِي الله آمنا) ( ' ' ).

٣ - قالَ التَّابِعيُّ الجليلِ؛ عروة بن عامر المكِّيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( تُعرض عليه ذنوبه يوم القيامة ؛ فَيَمُرُّ بالذَّنب من ذنوبه يقول : أَمَّا أَنَّى كنت منك مشفقًا ؛ فيُغفر له )(٢).

٧- قالَ الإمامُ التَّابعيِّ ؟ الحسن البصريِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِنَّ المؤمن ليذنب الذَّنبَ؛ فما يزال كتيبًا؛ حتَّىٰ يدخل الجنَّة)(٢).

٨ قالَ التَّابِعيُّ الزَّاهد؛ طَلْق بن حَبيب العَنزيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(التَّقوىٰ عملٌ بطَّاعةِ اللهِ، رجاءُ رحمةِ اللهِ، علىٰ نورِ مِنَ اللهِ، والتَّقوىٰ تركُ معصيةِ اللهِ، مخافة عقابِ اللهِ، علىٰ نورِ مِنَ اللهِ) (٤٠).

٩- قالَ الإمامُ الزَّهدُ عبدُ الحرمين؛ الفضيلُ بن عياض، رحمهُ اللهُ:

(بقدرِ ما يَصْغُرُ الذَّنْبُ عندكَ يعظم عندَ اللهِ، وبقدر ما يعظم عندك يصْغُرُ عندَ اللهِ) (°).

<sup>(</sup>١) و كتاب الزهد ، للإمام عبد الله بن مبارك ؛ ص٥٦ - ٥٣ .

<sup>(</sup> ٢ ) « كتاب الزهد » للإمام عبد الله بن مبارك؛ ص٥٦ .

<sup>(</sup>٣) ه كتاب الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل؛ ج٢، ص٢٣٦.

<sup>(</sup>٤) ٥ كتاب المصنف ٥ ابن أبي شيبة ؟ (كتاب الإيمان) ج١١، ص٢٣ برقم: (٥٠٤١).

<sup>( ° ) «</sup>سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي: ج ٨ ، ص ٤٧٢ .

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (إذا لمْ تَقْدر على قيامِ اللَّيلِ وصيامِ النَّهارِ؛ فاعلم! أَنَّكَ محرمٌ كبلتك خطيدتُك )(١).

• ١ - قالَ الإمامُ الجاهدُ؛ عبد الله بن المبارك، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(قيلَ لوهيبٍ: يجدُ طعمَ العبادَةِ مَنْ يَعْصي؟ قالَ: ولا مَنْ يَهُمُ العبادَةِ مَنْ يَعْمُمُ العبادَةِ مَنْ المعصيةِ )(1).

١ ١ - قالَ الإمامُ الحافظُ ابن القيِّم الجوزيَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

( من أعجب الأشياء: أن تعرفه ثمّ لا تُحبُّهُ، وأن تسمع داعيه ثمّ تتاخَر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثمّ تعامِلَ غيرهُ، وأن تعرف قدر غضبه ثمّ تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثمّ لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه؛ ثمّ لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه!

وأَعجبُ من هذا: علمُك أَنَّك لا بُدَّ لك منهُ، وأَنَّك أَحوجُ شيءً إليهِ، وأنت عنه مُعْرضٌ، وفيما يبعِدُك عنه راغبٌ!)(٢).

<sup>(</sup>١) ٥ سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي: ج٧، ص٤٣٤.

<sup>(</sup>٢) دسير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي: ج٨، ص١٩٩.

<sup>(</sup>٣) « الفوائد ، لابن القيم ص١١٩ . دار ابن خزيمة .

# مُكَفّراتُ الذُّنوبِ عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ:

\* اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّة والجماعة؛ على أنَّهُ لا يَسْلم أَحَدٌ من البشرِ بمن أَسلم وجهه لله تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلِ مُستَقَدِمُونَ ﴾ (١٠). إلَى أَجَلٍ مُستَقَدِمُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسْمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (٢) (\*).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءً ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (٣).

وإذا أرادَ العبدُ المؤمنُ؛ الكمال والسّلامةِ من الذُّنوب، وجعل هذا الأَمرَ غايته! فهو يطلب المستحيل؛ لأنّه من السّعي لبلوغ ما لم يُطلب من العبد بلوغه، وينبغي أن لا يشغلَ نفسه بذلك، وإلا وقع في الفتور والياس! العبد بلوغه، وينبغي أن لا يشغلَ نفسه بذلك، وإلا وقع في الفتور والياس! إذا ظنَّ أنَّ هذا غايةُ التّديّن، وهدف الالتزام بالدّين! ولكنَّ عليه أنْ يجعله غايته الأسمى، والمطلوب الشّرعيُّ من العبد الصّالح الصّادق؛ هو تحقيق أقرب النّتائج إليه، بشرط أنَّ لا يكون ذلك على حساب الاعتماد التّقصير وتأصيلة في النّفس، ومن ثمّ فقدان النّقة به.

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٦١. (٢) سورة فاطر، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه ابن ماجة في ( كتاب الزُّهد ) باب « ذكر التوبة » وصححه الألباني .

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمة ابن حزم، رحمه الله: (إذا بلغ المسلم؛ فقد صار في نصاب من يكتب له الخير، ويكتب عليه الشر، ولا يمكن أن يكون أحد سلم من ذنب - فذكر الآيتين - ثمَّ قال: فصحُ: أنَّه لا أحد إلاَّ وقد ظلم نفسه واكتسب إثمًا) والحليْ : ج ٨، ص ٤٧٥.

وهذا هو معنىٰ قولُ النَّبِيِّ عَلِّلَةً : « سَدَّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّهُ لاَّ يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ ، قَالُوا وَلاَ ، أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَال : « وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ إِلاَّ أَنْ إِلاَّ أَنْ إِلاَّ أَنْ إِلاً أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةً ، ( ' ) .

فإِنَّ في هذا الحديثِ الجليل معنًى لطيفاً؛ يقطعُ الطَّمعَ على المؤْمنِ أَن يبلغَ حقيقة التَّديَّن والقيام بحقوقِ اللهِ تعالىٰ؛ بل المطلوبُ من العبدِ أَن يسدَّدَ ويقارب؛ فكأنَّ الإصابة غير ممكنة، ولكن كلَّما كانَ سهمُ العبدِ أَقْربَ إِلَىٰ الإصابةِ؛ فهو أقربُ للسَّلامَةِ.

لأَنَّ الله تعالى خلق الإنسان في هذه الحياة، وجعل له أجلاً يكتسب فيه الأعمال الصَّالحات؛ فمن قِدمَ على الله تعالى بميزان حسنات راجع؛ فهو النَّاجين بإذن الله تعالى؛ بغض النَّظرِ عمًا وقع فيه من السَّيِّئات! إِذَا مات على التَّوحيد، وعلى ملة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهذا الأمرَّ جليُّ للنَّاظرِ إلى النُّصوصِ الشَّرعيَّة؛ أَنَّ مرادَ اللهِ تعالىٰ من العبدِ وربَّهِ العبدِ ليسَ مجرَّد السَّلامَةِ من المخالفة؛ بل المراد بقاء العلاقة بين العبدِ وربَّهِ جلَّ في عُلاه، أي: أن يطيعه العبد فيُوْجر، ويذنب فيستغفر، وينعم عليه فيشكر، ويقتَّر عليه فيدعوه ويطلب منه، ويضيِّق عليه أكثر فيلجأ ويضطر، وهكذا، وقد ورد في بعض الآثار: «أَنَّ العبدَ الصَّالِح يغفلُ أو ينسىٰ فيضيِّق اللهُ عليه ببلاء؛ حتَّىٰ يسمع صوته بالدِّعاءِ والالتجاءِ».

ووردَ أَيضًا: ﴿ أَنَّ العبدَ المؤْمن يكثر من الذِّكرِ، ولا يستغفر؛ فيقدِّر اللهُ عليه الذَّنبَ؛ ليسمعَ صوته في الاستغفار ».

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب : ١ القصد والمداومة علىٰ العمل،

\* واتَّفَقَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ على أَنَّ اجتناب الكبائر مع فعل الفرائض؛ يُكفِّر الله تعالى به الصَّغائر، وكذلك الاستكثارُ من الحسنات والطَّاعات، والأَعمال الصَّالحة مطلقًا؛ تُكفِّرُ كثيرًا من السَّيئاتِ والذُّنوب.

وأَنَّ جميعَ الأَعمال الصَّالحة من الحسناتِ والطَّاعاتِ والقُرُّباتِ؛ تكونُ بالقلب، وباللِّسان، وبالجوارح، قالَ اللهُ تباركَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السِّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرٌ عَنكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ وَهَ جَنَّاتُ عَدْن تَحْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُّهُ: « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِق النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ » ( أ ) .

وقالَ ﷺ: « مَنْ تَوَضَّاً فَأَحْسَنَ الْوُصُوءَ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدُهِ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدَهِ؛ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهَ»( ° ).

<sup>(</sup>١) سورة هود، الآية: ١١٤.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٣) سورة طه، الآيتان: ٧٥ -- ٧٦.

<sup>(</sup>٤) رواه الترمذي في (كتاب البر والصلة) باب : ٥ ما جاء في معاشرة النَّاس ٥ وصححه الألباني.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه مسلم في (كتاب الطهارة ) باب : « خروج الخطايا مع ماء الوضوء » .

\* واتَّفقوا: على أَنَّ التَّوبةَ الصَّادقةَ النَّصُوحَ الحالصة من المعاصي والذُّنوب - أيَّا كان الذَّنب؛ كفرًا أَم كبيرةً أَم صغيرةً - مقبولةٌ عندَ اللهِ تبارك وتعالىٰ؛ إذا اجتمعت فيها شروطها، وهي:

الإقلاعُ عن الذَّنب، والندمُ على ذلك، والعزمُ على عدم العودة إليها في المستقبل، وردُّ المظالم إلى أهلها إن وُجدَت، والاعتصامُ بالصَّراطِ المستقيم، وأن يكون ذلك طلبًا لثواب الله ورحمته، وهربًا من عذابه وعقوبته، وأن تكون قبل الموت.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيُّنَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١).

والتَّوبةُ: هي رجوع العبد من معصية اللهِ تعالىٰ إلىٰ طاعته، والقيامُ بأمره، والاهتداءُ بهديه، وطلبُ مغفرته، ورضوانه سبحانه.

أي: هي الندم الذي يورث عزمًا وقصدًا، والندم هو الذي توجع القلب عنده شعوره بفراق المحبوب، وعلامته طول الحزن والبكاء.

والتَّوبةُ: يجب أن تكون خصلةً لازمةً دائمةً لكلِّ مسلم صادق على قدر استطاعته، ولا يلزم أن تكون من ذنب معيَّن، وقد صدق مَنْ سَمَّها من العلماء بـ « وضيفة العمر »! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الشوري، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ٣١.

\* واتَّفقوا: على أَنَّ الاستغفارَ والإِنابةَ إِلَىٰ الله تعالىٰ بصدق؛ يُكَفِّرُ اللهُ توبَ اللهُ تعالىٰ بصدق؛ يُكَفِّرُ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ لِلذُّنُوبِ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذَّبِّهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ ( ' ' ).

وقالَ النّبِيُ عَلَيْهُ: ﴿ إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا! فَقَالَ: رَبُّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبٌّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَعَرْتُ فَعَالَ: وَبّ أَذْنَبْ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: رَبٌّ أَصَبْتُ آخَرَ لَعُبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لِعَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَعَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَعُبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَعَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَعُبْدِي وَ ثَلَامًا مَعْدُى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَعَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ غَفَرْتُ لَا شَاءَ » (°).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١١٠. (٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

<sup>(</sup> o ) رواه البخاري في ( كتاب التوحيد ) باب « قوله تعالىٰ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله ﴾ » .

والاستغفارُ: هو طلبُ المغفرة من الله تعالى، ويكون بالقلب واللّسان والجوارح، ويجبُ أن يكون الاستغفارُ خصلةً لازمةً دائمةً؛ لكلّ مسلم على قدر استطاعته، ولا يلزمُ أن يكون من ذنبٍ معيّن، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمَّى وَيُؤْتِ كُلُّ خِي فَصْلٍ فَصْلَهُ وَإِن تَوَلُّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ مَسَمَّى وَيُؤْتِ كُلُّ خِي فَصْلٍ فَصْلَهُ وَإِن تَوَلُّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْلَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ؛ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ﴾ (٢) .

\* وصيغ الاستغفار: (أَسْتَغْفِرُ اللهُ)، (رَبُّ اغْفِرْ لِي)، (غُفْر انك)».

قَالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : وسَيِّدُ الإسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، اغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ،

قَالَ عَلَىٰ ۚ : ﴿ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا ؛ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنَّ بِهَا ؛ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ( " ).

<sup>(</sup>١) سورة هود، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب و سقوط الذنوب بالاستغفار وتوبة ،

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب و أفضل الإستغفّار ٥.

# • الْمُنَجياتُ مِنَ الوقُوعِ في المعاصي والذُّنوب:

إِنَّ من رحمةِ اللهِ - تباركَ وتعالىٰ - ولطفه ومنَّه لعبادِهِ؛ أَنْ بَيَّنَ لهم طُرُقَ النَّجاةِ من العذابِ قبل النُّزول بهم في حياةِ الدُّنيا قبل الآخرة .

وإِنَّ هذه الطُرُق هي مُنجياتُ لعباده المذنبينَ الذين استحقوا عقوبةَ اللهِ تعالىٰ بسبب ارتكابهم المعاصي والذُّوبِ.

أي أنَّ هذه المُنجياتُ هي الوقايةُ والعلاج من الوقوع في المعاصي والذُّنوب؛ قبل نزول العُقوبات الإلهية عليهم، وتُنجيهم - أيضًا - من المهالك والدَّمار، والجرائِم، والمصائِب إذا حلَّت بهم.

وبإختصار فهي طُرُق السَّعادَةِ في الدَّارين، ومن هذه المنجيات:

### ١ ـ التَّوبةُ النَّصُوحِ والاستغفار الدُّئم:

التَّوبَةُ الصَّادقَةُ، والاستغفارُ المستمرُ من جميع المعاصي والذُّنوبِ والخطايا والأَثامِ - كبيرها وصغيرها - وعدم الغفلة منهما، وجعلهما وضيفة للعمر؛ هما من أكد الطُرق المنجية من العذاب، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّنَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (''.

والتَّوبةُ: هيَ الرُّجوعُ بصدق عن المعصيَّةِ إِلَىٰ طاعةِ الله تعالىٰ.

والغَفلَةُ: هي الانشغالُ بمعصيةِ اللهِ تعالىٰ عن طاعتِهِ سبحانه.

والمسلمُ الصَّادِقُ العاقلُ! هو الذي يُقَوِّمُ نفسه، ويُخالفُ هواهُ، ويتَّبعُ أَمرَ رَبِّهِ، ويأْخذ بزمام نفسه إلىٰ ما فيه مرضاته؛ جلَّ في عُلاه.

<sup>(</sup>١) سورة التحريم، الآية: ٨.

وإِنْ جنحتْ نفسه يومًا إِلَىٰ ارتكابِ المعاصي والانغماس في الشَّهواتِ المُحرمَةِ؛ يعلم أَنَّ رَبَّهُ غفورٌ رحيمٌ، وأنَّهُ مهما أَسرفَ في الذُّنوبِ! ثمَّ تاب منها صادقًا؛ فإِنَّ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَ اللَّهَ يَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ( التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ ؛ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ (٢٠).

والقُنوط من رحمة اللهِ تعالىٰ؛ هو أن يجزم العبدُ في قرار نفسه ؛ بأنَّ الله تعالىٰ؛ لا يرحمه ولا يغفر له ولا يتجاوز عن سيئاته البتَّة؛ بل يعذبه! وهذا القنوط بذاته؛ ذنبٌ وكبيرةٌ من الكبائر؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقولُ:

﴿ وَلَا تَسْشَأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَسْشَأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣) .

\* والمسلم الصَّادق! يجعلُ نفسه وقَّافًا عند حدود الشَّرع؛ ملتزمًا بالأوامره والنّواهيه، ولا يدع نفسه يحدثه بالمعصية، وإن كانت معصية صغيرة؛ وإنْ وقعَ فيها! فهو يُبادرُ بالتّوبةِ منه، والندم والاستغفار على ما صدرَ منه؛ ثمَّ ينظرُ إلى مقاديرِ ذنوبهِ؛ فيطلبَ لكلّ معصية منه حسنة تناسبها؛ فيأتي من الحسناتِ بمقدار تلك السَّيئاتِ؛ فمثلاً: يُكفّرُ سماع الملاهي؛ بسماع القُرآن ومجالس الذّكر، ويُكفّرُ مسح المصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه، ويكفّر شرب الخمر بالتصدق بالشّراب الحلال،

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه ابن ماجة في ( كتاب الزُّهد ) باب • ذكر التوبة • وحسنه الألباني.

<sup>(</sup>٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

وعلىٰ هذا فيسلكُ سبيلَ المضادة؛ فإِنَّ الأَمراضَ إِنَّما تُعالَجُ بضدها؛ فهذا الحكم هو ما بين العبد، وبينَ اللهِ تبارك وتعالىٰ.

وأمًّا مُظالم العباد؛ ففيها – أيضًا – معصية اللهِ تعالى؛ لأنَّ الله نهى عن ظُلمِ العباد؛ فالظَّالمُ لهم قد تعدى حُدود الله تعالى وارتكب ما نهى عنه؛ فيتدارك المسلمُ ذلك بالندم والعزم على ترك مثل ذلك في المستقبل، والإتيان بالحسنات المضَّادة لتلك المظالم؛ فيقابل إيذاء النَّاس بالإحسان إليهم، ويكفِّر غصب الأموال بالتصدق بماله الحلال، ويكفَّر تناول أعراضهم بالثَّناء عليهم؛ هذا فيما يتعلق بحقِّ اللهِ تعالىٰ؛ فإذا فعل ذلك لم يكفه! حتَّىٰ يخرج من مظالم العباد، ومظالمم إمَّا في النَّفوسِ، أو الأموال، أو الأعراض، أو إيذاء القلوب.

\* وأمَّا الذي استهوته الشَّياطين وزينوا لَهُ سوء عمله فرأه حسنًا؛ فإذا وقعَ في وَحْلِ المعاصي ومستنقع الذُّنوب؛ استلذَّ من ذلكَ، وظلَّ قابعًا في ظلام الفجور والخطايا، نسيًا أَنَّ عليه رقيبٌ عتيقٌ! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ الْقُولِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴾ (١).

وقد صدق من قال:

(إِذَا مَا خَلُوتَ الدَّهْرَ يَوْمًا؛ فَلاَ تَقُلْ: خَلُوتَ! وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ! أَلَمْ تَرَ أَنَّ اليَومَ أَسْرَعُ ذَاهِبَ، وَأَنَّ غَدًا للنَّاظِرِينَ قَرِيبُ؟).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

### ٧- التَّقويٰ:

التَّقُويٰ معناها: أَنْ يجعلَ العبدُ بينه وبينَ ما يخاف ويحذر؛ وقايةً.

وتقوى اللهِ تعالى تكون؛ بطاعته وامتثال أوامره، واجتناب ما نهى عنه سبحانه. أي: أن يفعل العبدُ ما أمرَهُ اللهُ تعالى رجاء ثوابه، وأن تترك معصية الله خوفًا من عقابه، قال اللهُ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُونُنَ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ وَحَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ معناها: أَنَّ الإنسانَ لا يترك شيئًا ثَمَّا أَمر اللهُ تعالىٰ به إِلاَّ وفعله، وأَن لا يفعل شيئًا ثمَّا نهىٰ الله عنه؛ بأَن يتجنبَ كلَّ ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه وزجر، ومَنْ فعلَ ذلك؛ فقد اتقىٰ اللهَ تعالىٰ حقَّ تقاته.

قالَ الصَّحابيُّ الفقيه؛ عبدُ الله بن مسعودٍ، رضي الله عنه:

(﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أي: أن يُطاعَ؛ فلا يُعصىٰ، وأَنْ يُذكرَ؛ فلا يُنسىٰ، وأَنْ يُشكر؛ فلا يُكفر) (٢).

وتقوى الله تعالى في السّرِّ والعَلن: هي أن يعمل العبُد بطاعة الله على نور من الله؛ يرجو ثوابه، ويترك معصيته، ويخاف غضبه وعقابه، ويجعل بينه وبين سَخَطِ الله وقاية تقيه من ذلك، قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ( " ) .

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه حاكم في والمستدرك ٥: ج٢، ص٢٩٤. بإسناد صحيح.

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر، الآية: ١٨.

فتقوى الله تعالى جماع الخيرات، وحصون البركات، وأكثر خصال المدح ذكرًا في كتاب الله تعالى؛ فما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن؛ إلا والتَقوى موصلة إليه، ووسيلة له، ودليلٌ عليه. وما من شرً عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا والتَقوى حرزٌ منه حصين، ودرعٌ منه مكين. وهي دعوة الأنبياء، وشعارُ الأولياء والأصفياء والصّالحين.

وهي وصيةُ اللهِ تعالىٰ للأولينَ والآخرينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكَوَ وَلَقَدْ وَصَيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكَوَ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي الْكَوَتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي الْكَوْتُ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١).

والله - تبارك وتعالى - هو أهل التَّقوى والمغفرة، هو الأهل وحده أن يُخشى ويعظم ويجل ويكرم؛ فحق على المسلم الصَّادق! أن تكون التَّقوى هي المقصدة الأسنى والبغية العُظمى، وأن يقف عندها، ويتامل فيها، ويتدبر في معانيها؛ لعل الله تعالى أن يجعله من أهلها.

وسُئلَ أَميرُ المؤْمينَ؛ عليُّ بن أبي طالب - رضيَ اللهُ عنهُ - عن معنى التَّقوى، فقالَ: ( الحوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليوم الرَّحيلِ). وصدق القائل:

(خلِ الذُّنوب؛ صغيرها وكبيرها هذا التُّقَىٰ! واصنع كماش فوق أرض الشُّوكِ يحذر ما يرىٰ؛ لا تحقرن صغيرة ؛ إِنَّ الجبال من الحصىٰ).

والتَّقيُّ من عباد اللهِ تعالىٰ الصَّالحينَ يكون: ذو ضمير مرهف، وخشية

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

مستمرة، وحذر دائم، يتوقى أشواك الطريق، ويحذر سراديب الحياة، وجل من تجاذب كلاليب الرَّغائب والشَّهوات، ونوازع المطامع والمطامح.

وأصل التَّقوىٰ أن يعلم العبدُ ما يتق المه يتقي ذلك، وتبلغ التَّقوىٰ تمامها وكمالها عين يتقي العبدُ ربَّهُ - جلَّ في عُلاه - من مثقال الذَّرة ، وحتىٰ يترك بعض ما يرىٰ أنَّهُ حلال الشه تعالىٰ يكون حرامًا، ليكون ذلك العملُ حجابًا بينه وبين الحرام، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة مِثْرًا يَرهُ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة مِثَرًا يَرهُ ﴾ ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة مِثَرًا يَرهُ ﴾ (١).

#### \* من ثمرات التَّقوىٰ الصَّادق:

محبَّةُ الله تعالى، ورحمته في الدُّنيا والآخرة، وسبب لعونه ونصره وتأييده - سبحانه - وطريق لولايته، وهي الميزان الذي يقرب العبد من ربِّه - حلَّ في عُلاه - أنَّها أفضلَ ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله تعالىٰ.

وأَنَّ العاقبةَ للمتقين في الدُّنيا والآخرة، وأهل التَّقويٰ هم ينتفعون بالموعظة ويؤثر فيهم الذِّكر، ويتفكرون في الآيات ويهتدون بذلك.

وهي تبعث في القلب النُّورَّ، وتقوي بصيرته؛ فيميز بين ما ينفعه وما يضره، وتعطي العبد قوة لغلبة الشَّيطان، وتفريج الكرب وتيسير الأُمور.

وهي حصن الخائف وآمانه من كلِّ ما يخاف ويحذر؛ من سوء ومكروه في الدُّنيا والآخرة، والنَّصر على الأعداء ورد كيدهم، والنَّجاة من شرهم. وصفوة القول: التَّقوى هي الطريق إلى جنَّة الخُلدِ.

<sup>(</sup>١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

#### ٣\_ الدُّعاءُ:

الدُّعَاءُ: هُو الرَّعْبَةُ وَالرَّهبَةُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ، والاسْتِغَاقَةُ والاسْتِغَاقَةُ والاسْتِعَانَةُ بِهِ - سبحانه - أَي: هُوَ سُوالُ العَبدِ المسلمِ رَبَّهُ - جَلَّ ثَنَاوُهُ - علىٰ وَجهِ الابتهالِ إليهِ؛ إمَّا بالسُّوالِ، أو بِالخضُوعِ والتَّذَلُّلِ، والرَّجَاءِ والخَوفِ والطَّمَع، والتَّقديس والتَّحميدِ.

والدُّعَاءِ: هو سِمَةُ العبوديَّةِ، وعُنوانُ التَّذلُّلِ والحُضوعِ والاستكانَةِ، وهو إِظهَارُ الافتقارِ والتَّزلفِ إلى اللهِ تعالىٰ، ودليلُ الصَّدُّقِ في اللَّجُوءِ والرَّجَاءِ والرَّغبَةِ والطَّمَعِ والحُوفِ والرَّهبَةِ، وهو الانْطِرَاحُ بين يَدَي اللهِ تعالىٰ، والاعتِصامُ بهِ سبحانَهُ، والتَّبرُّوُ مِنَ الحُولِ والقُوَّةِ، واستِشعَارُ الذَّلَةِ البشريَّةِ، وفِيهِ الثَّنَاءُ على اللهِ تعالىٰ، وإضافةُ الجودِ والكرَمِ إليهِ سبحانَهُ؛ فهو البشريَّةِ، وفِيهِ الثَّنَاءُ على اللهِ تعالىٰ، وإضافةُ الجودِ والكرَمِ إليهِ سبحانَهُ؛ فهو لب الْعِبَادة ومُخَها ورُوحُها، وهو مِنْ لَوَازِمِ ومُقْتَضَيَاتِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛ فصرَوْهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكُ وتَندِيدٌ.

والدُّعَاءُ مِنْ أَجَلَ العِبَادَاتِ وأَنْفَعِهَا، ولَهُ درجَةٌ سَامِيَةٌ، ومَنْزِلَةٌ رفِيعَةٌ وأَهَمِّيَةٌ كُبْرَىٰ، وقد ْجَاءَ فِي فَصْلِهِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ اللهُ عَالَ اللهُ تعان فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (``. وقالَ النَّبِيُ عَالَىٰ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

<sup>(</sup>٢) سورة غافر، الآية: ١٤.

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ وَالْحَبِينَ ﴾ (١).

وقالَ عَلَيْكَ : ﴿ لَيْسَ شَيْءٌ أَكُرَمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْدُّعَاءِ ﴾ (٢). وقالَ عَلِيْكِ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلُ الله ﴾ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ﴾ (٣).

وقالَ عَلَيْهُ : ١ إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّ كَرِيمٌ ؛ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ ، أَنْ يَرُدَّهُمِنَا صِفْرًا ، (٤).

والدُّعاءُ والالتجاءُ إلى الله - تبارك وتعالى - هو السلاحُ الحقيقيِّ للمؤْمنِ الصَّادق، وهو من أقوى الأسبابِ في دفع المكروهِ، وحصولِ المطلوبِ، ومن أنفع الأدوية؛ لدفع البلاءِ والعذابِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إصلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَريبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥).

<sup>(</sup> ١ ) رواه الترمذي في ( كتاب الدعوات ) باب دما جاء في فضل الدعاء، وصحّحه الألباني، والآية : ٢٠ من سورة غافر

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب الدعوات ) باب دما جاء في فضل الدعاء ، وحسنه الألباني.

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب الدعوات) باب دمن لم يسال الله، وحسَّنه الألباني.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه أبو داود في ( كتاب الوتر ) باب والدعاء و وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup> ٥ ) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥ ـ ٢٠.

# ٤ - اتّباعُ رَسُول اللهِ محمّد بن عبد الله عَلَيْك :

ومن المُنجيات من الوقوع في المعاصي والذُّنوب؛ قبل نزول العُقوبات الإلهية؛ اتباعُ الرَّسُولِ عَلَيْ في كلِّ صغيرة وكبيرة ، والاقتداء بسُنَّتِه والتأسي بهديه عَلَيْ في جميع الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال والمنهيات ، أي : العمل بمثل عمله عَلَيْ وعلى الوجه الذي عمله عَلَيْ من إيجاب ، أو ندب ، أو إباحة ، أو كراهة ، أو حظر ، مع توفر الإرادة والنيَّة في كلِّ ذلك .

لأنَّ اتَّباعَ الرَسُولِ عَلَيْهُ أحد ركائز هذا دين العظيم، ومن مُسلمات الشَّريعة، ومن الأُمور المعلومة من الدِّينِ بالضَّرورةِ، وهو طريق النَّجاةِ والسَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وقد استفاضت النَّصوصُ الشُّرعيَّةُ في بيانِ ذلك والتأكيدِ عليه، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مُمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكُ : ﴿ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي ؛ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>١) سورة الحشر، الآية: ٧. ﴿ ٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٦٥. ﴿ ٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في (كتاب النكاح) باب ه الترغيب في النكاح.

# ■ وحالُ المسلمين في الاتّباعِ أربعة أنوعٍ:

- \* مَن يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي؛ فهذا أكملُ أحوال أهل الدّين، وأفضل صفات المتقين، وهو الذي يستحق جزاء العاملين وثواب المطيمين.
- \* مَن لا يمتثل الأوامر ويقع في النواهي؛ فهذا أخبث أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدين، وهو الذي يستحق عذاب عن عدم طاعة الأوامر، وعذاب المقدم على ارتكاب النواهي.
- \* مَن يمتثل الأوامر ويقع في بعض النواهي، وهو الذي يستحق عذاب المجترئ على انتهاك الحرمات وتجاوز الجدود؛ لأنّه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة.
- \* مَن لا يمتثل الأوامر ولا يقع في النواهي؛ فهذا يستحقُ عذاب ترك الطَّاعات، والغفلة عن القُربات.

# والمخالفة ضد الاتباع:

وتكون مخافة اتِّباع الرَّسُولِ ﷺ في الاعتقاد والقول والفعل والترك.

- \* المخالفة في الاعتقاد: هي اعتقادُ بخلاف ما اعتقده النّبي عَلَيْكُ كأن يستحل العبد ما عُلم بالضرورة تحريمه من دين الإسلام، أو يوجب ما علم بالضرورة حلّه، أو تحريمه من الدّين.
- \* المخالفةُ في القولِ: هي ترك امتثال ما اقتضاه قولُ الرَّسُول عَلَيْهُ ودلَّ عليه من وجوبٍ، أو حظرٍ.
  - \* المخالفةُ في الفعل: هي عدول عن فعله عَلَيْكُ مع كونه واجبًا.
  - \* المخالفةُ في الترك: هي فعل ما تركه عَلَيُّ أَو أَمرَ بترك مع كونه محرمًا.

- أفعالُ الرَّسُولِ عَلَيْكَ من حيث الاتباع والتأسي؛ ثلاثة أقسام هي:
- ١ الأَفعالُ الجبليةُ: كالقيامِ والقُعودِ والشُّربِ والنَّومِ، ونحو ذلك،
   وهي نوعان من جهة التأسي والاتباع:
- نوع جاء النَّصُ الشَّرعيُّ عن الفعل بإيجابه أو ندبه؛ كالأكل باليمين، والشُّرب ثلاثًا وقاعدًا، والنَّوم على الشق الأَيمن؛ فهذا يشرع التاسي والاقتداء به عَلَيْهُ في كلِّ ذلك.
- ونوع لم يأت نصُّ دلَّ على مشروعيته، وهو باق على الأصل من حيث الإباحة للجميع؛ كلبس الجبة والعمامة وإطالة الشعر، ونحو ذلك؛ لأنَّها كانت بمقتضى العُرف.

وأختلاف العلماءُ في هذا النوع على قولين من جهةِ الندبِ:

- \* أَنَّ التأسي والاقتداء به عَلِي في هذا النوع مندوب، وقد كان ابن عمر رضي الله عنه يفعل مثل ذلك وإن كان قد فعله عَلِي اتفاقًا ولم يقصده.
- \* أَنَّهُ لا يشرع التأسي والاقتداء به عَلَيْهُ في مثل هذه الأفعال، وهذا قول وفعل جمهور الصَّحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

### ٢- الأفعال التي عُلِمَ أَنَّها من خصائصه عَلِك :

ذكر العُلماءُ في باب خصائصه عَلَيْ أُمورًا من المباحات والواجبات والمحرمات بعضها متفق على حكمه بالنسبة له عَلَيْ وبعضها الآخر فيه خلاف، فمن المباح له: الزيادة على أربع نسوة في النكاح، والنكاح بلا مهر، ونكاح الواهبة نفسها. ومن الواجب عليه: وجوب التَّهجد وقيام اللَّيلِ. ومن المحرم عليه: الأكل من الصَّدقة، وأكل ذي الرائحة الخبيثة؛ كالثُّوم والبصل.

فهذه خصائص لا يشاركه فيها أحدً، ولا يُقتدى ويتأسى به عَلَيْكُ .

ويلحق بهذا: ما خصّ به الرَّسُولُ عَلَيْ بعض أصحابه دون بعض؛ كشهادة خزيمة التي جعلها عَلَيْ تعدل شهادة رجلين. وأضحية أبي بردة الذي ضحى بجذعة من المعزّ، وقال عَلَيْ لَهُ: « اذْبَحْهَا وَلَنْ تَصْلُحَ لِغَيْرِكَ هُ ( ) . كما يلحق به ما خص به عَلَيْ أهل بيته – رضي الله عنهم – كالمنع من أكل الصدّقة .

٣- الأَفعالُ التَّعبدية: وهي الأَفعال غير الجبلية، وغير الخاصة به عَلَيْهُ ؛ التي يقصد بها التَّشريع؛ فهذه الأَفعالُ مطلوبُ الاقتداء والتأسي به عَلِيْهُ ، وهي الأَصل في أَفعاله عَلَيْهُ قالَ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أَسُوةٌ حَسنَةٌ لَمَن كَانَ يَوْجُو اللهَ وَالْيَوْمُ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهُ كَثِيرًا ﴾ (١).

وهذه نوع من الأفعال الرَّسُولِ عَلَيْهُ صفتها الشَّرعيَّة تختلف من حيث الإيجاب، أو الندب؛ بحسب القرائن.

- قواعدُ مهمةٌ في اتباع الرَّسُولَ عَلِيْكَ :
- إِنَّ دينَ الإسلامِ مبنيِّ على الوحي والنقل، لا على العقل والاستنباط! فما جاءنا من الأمر والنهي في القُرآنِ أو السُّنَّةِ؛ وجبَ علىٰ المسلم قبوله والمبادرة إلى امتثاله؛ فعلاً، أو تركًا.
- الواجبُ على كلّ مسلم صادق؛ البحث عن الحكم الشّرعي،
   والتثبت فيه قبل إتيان العمل، وذلك في جميع أموره؛ لقولِ النّبِيّ عَلَيْكَ :

<sup>( &#</sup>x27; ) رواه البخاري في (كتاب الأضاحي) باب وقول النَّبِئُ عَلَيْكُ لاَبِي بردة: ضع بالجذع من المعز، ولن تجزي عن أحد بعده.

<sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

« مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ؛ فَهُوَ رَدُّ ، (١).

- سُنَّةُ الرَّسُولِ عَلَيْهُ وحيٌ من اللهِ تعالىٰ، وحكمها كحكم القُرآنِ في النَّباع أوامره ونواهيه لقوله عَلِيهُ: « أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» (٢٠).
- ما تركه الرَّسُولُ عَلَيْهُ من جنسِ العباداتِ ولم يفعله مع وجود المقتضي لفعله على عهده على عهده على المعلم بدعة، وتركه سُنَّة ؛ كالاحتفالِ بالمولد، وإحياء ليلة الإسراء والمعراج، والهجرة، ورأْس السَنَة، ونحوها.
- فليعلم! كل مسلم صادق أن كل ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ فقد جاءت الشريعة الغراء ببيانه وإيضاحه، وبكل دقيقه وجليله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لَكُلُ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكُمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلاَمَ دِينًا ﴾ (1).

- الأصلُ في العبادات؛ التَّعبد والامتثال لأوامر الله تعالى ولرَسُولِهِ عَلَيْ ، دون الالتفات إلى المعاني والحكمة منها، وإن كانت في كثيرها ظاهرة، وقد لا تظهر في بعضها. والبحث عن الحكمة يكون من باب التَّفكُر والإستئناس بها ولزيادة التَّقوى ومعرفة عظمة الله تعالى، وليس التنطع في استخراجها، أو ربط القيام بالتنفيذ والعمل بمعرفتها.
- مشقةُ العبد المسلم! ليست مقصودة في الشَّريعةِ الغراء، والمرادُ منه

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الأقضية) بابْ « نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطلَةِ، وَرَدُّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه أبو داود في ( كتاب السُّنَّة ) باب « فِي لُزُوم السُّنَّة َه .

<sup>(</sup>٣) سورة النحل، الآية: ٨٦. ﴿ ٤) سُورة المائدة، الآية: ٣.

هو اتّباع أوامر الشّرع واجتناب النواهي بقدر الاستطاعة؛ لأنَّ الأصلُ في الشّريعة هو التيسير ورفع الحرج عن العباد، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ مَا يُوبِدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : ﴿ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَوْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، ( ` ' ) .

- اتباعُ الرّسُولِ عَلَيْ لا يتحقق شرعًا؛ إلا إذا كان عمل العبد المسلم موافقًا لأمور شرعيّة، منها:
- \* سببُ العبادة: فإذا تعبد المسلم بعبادة مقرونة بسبب غير شرعيّ؛ فهي بدعة مردودة على صاحبها لا تقبل منه؛ مثل إحياء ليلة السّابع والعشرين من شهر رجب بالتهجد! بدعوة أنّها ليلة الإسراء والمعراج؛ فالتهجد في الأصلِ عبادةٌ جليلةٌ عظيمةٌ؛ لكنها عندما قُرِنَ بهذا السّبب الذي لم يثبت شرعًا؛ أصبح بدعة ضلالةً!
- \* جنسُ العبادة: فإذا تعبد المسلم بعبادة لم يُشْرَعُ جنسها شرعًا؛ فهي مردودةٌ وغير مقبولة كالتضحية بفرس؛ لأنَّ الأضاحي لا تكون إلاَّ من جنس بهيمة الأنعام، وهي: الإبلُ، والبقرُ، والفنمُ.
- \* تحديدُ العبادة: العباداتُ توقيفية شرعًا؛ مقدارًا وكيفيةً وزمانًا ومكانًا؛ فلا يستطيع أحد كاثنًا مَن كان الزيادةُ عليها في المقدار أو العدد، أو في الكيفية، أو في تغير زمانها أو مكانها.

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٦.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ) باب والاقتداء بسُّنن رسول الله عَلَيُّه ه .

## منزلةُ اتباع الرَّسُولِ عَلَيْكُ في الشَّرع:

\* الاتباعُ شرطٌ لقبولِ العباداتِ: فكلُّ عبادةٌ يتقربُ بها العبدُ المسلمِ إلىٰ الله تعالىٰ؛ يجب أن تكون موفقة لما جاء به الرَّسُول عَلَيْ وإلاَّ فهي مردودةٌ غير مقبولة في الميزان، ولا تزيدُ صاحبها من الله تعالىٰ إلاَّ بُعدًا.

\* الاتباعُ أصلٌ من أصول الإسلام: لا يتحققُ إسلام العبد إلا بتحقيق أصلين عظيمين: أحدهما الإخلاصُ في العبودية. والثاني: متابعة الرَّسُول عَلَيْهِ أَي: أَن لا نعبده إلا عما شرع - سبحانه - ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

فالإخلاص وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، والاتباع والتآسي بالرَّسُول عَلَيْ هو حقيقة شهادة أنَّ محمَّدًا رَسُول الله؛ فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله تعالى إلاَّ بهما، ولا يتحقق إسلام عبد ولا يقبل منه قول ولا عمل ولا اعتقاد؛ إلاَّ إذا حقق هذين الأصلين واتَى بمقتضاهما، قالَ الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكُ بعِبَادَة رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٠).

\* الاتباعُ سببٌ لدخول الجنَّةِ: قالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكُ :

«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَىٰ، قَالُوا: يَمَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَا أَمِّي وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ » (٢). يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ » (٢).

\* الاتباعُ دليلٌ لحبَّةِ الله عزَّ وجلَّ: قالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهُ فَاتَّبعُونِي يُحْببُكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ) باب « الاقتداء بسُّنن رسول الله عَليُّه . .

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

\* الاتباعُ طريقٌ لتحصيل حقيقة محبَّة رَسُول اللهِ عَلَيْ :

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : ﴿ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٠).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْكُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الحَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لأَنْتَ آحَبُ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مِنْ نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مِنْ نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ آحَبُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ». فقالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ : ولا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ حَتَّىٰ أَكُونَ آحَبُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ». فقالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لأَنْتَ وَحَبُ إِلَيْ مِنْ نَفْسِي. فقالَ النَّبِئُ عَلِيْكَ : والآنَ يَا عُمَرُ وَ (٢٠).

ولا سبيلَ لتحصيلِ المحبَّة الصَّادقة للنَّبِيِّ عَلَيْهُ إِلاَّ عن طريق اتَّباعه سُنَّتهِ عَلَيْهُ إِلاَّ عن طريق اتَّباعه سُنَّتهِ عَلَيْهُ وهديه في كلُّ صغيرة وكبيرة، والحرص في الوصول لكمال فيه.

\* الاتباعُ السبيل الوحيد للنَّجاةِ من عذاب الله تعالىٰ:

فاتَّباعُ الرَّسُولِ عَنْ والتآسي به؛ هو سبيل الوحيد فقط للنَّجاةِ من الوعيد الشَّديد المترتب لمخالفته عَنْ في الدُّنيا والآخرة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢).
وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا اللهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب ه حبُّ الرُّسُول عَظُّ من الإيمان ٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الأيمان والنذور ) باب و كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيُّ عَلَى ١٠

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢. (٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

\* الاتباعُ من الصِّفاتِ اللازمةُ للمؤمنين الصَّادقين:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قُولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقُهِ فَأُولَئِكَ هُمُ اللهَ وَيَتَّقُهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

وقد نفى الله - عزَّ وجلَّ - الإيمانَ! عن الذينَ أعرضُوا عن طاعة الرَّسُول عَلَيْ أعرضُوا عن طاعة الرَّسُول عَلَيْ :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمًّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣).

\* الاتباعُ علامةٌ صادقةٌ من علامات التَّقوى:

فاتّباع الرّسُولِ عَلَى والتأسي به وبهديه؛ من أكبرِ علاماتِ ودلائل تقوى القلب وصحة إيمانه؛ لأنّ الاتباع هو من تعظيم شعائر الله تعالى، والتي هي أوامره وأعلام دينه الظاهرة، واتّباع الرّسُولِ عَلَيْ من أبرزها وأعلاها، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبَ ﴾ ('').

<sup>(</sup>١) سورة النوز، الآية: ١٥.

 <sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ٥٢.
 (٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

- الوسائل المعينة على اتباع الرَّسُول عَكْ :
  - \* الإخلاصُ لله تعالى في القول والعمل.
    - \* تقوىٰ اللهُ تعالىٰ في السّر والعلن.
- \* الحوفُ من اللهِ تعالىٰ؛ خوفًا صادقًا كأنكَ تراهُ، سبحانه.
  - \* اللجوءُ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ في السَّراء والضَّراءِ.
  - \* التَّضرعُ إلى اللهِ تعالى، وإظهار الافتقار له في كلِّ حال ِ
    - \* التَّجردُ في طلبِ الحقِّ واتَّباعه.
    - \* التَّفقُهُ في الدِّين، وتعلمُ الأحكام الشَّرعيَّة.
      - \* فهمُ النُّصوصُ الشُّرعيَّة، وتدبر معانيها.
        - \* تعلمُ سيرة الرَّسُول عَلَيُّ والتفقه فيها.
- \* تعلمُ سيرة الصَّحابةُ الكرام رضي الله عنهم والتفقه فيها .
  - \* اتِّباعُ طريقة أَثمة السُّلفِ الصَّالح في العلم والعمل.
    - \* الصُّحةُ الصَّالحةُ .

### ٥ ـ الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر:

- المعروف: هو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً. أي: هو كل ما تعرفه النّفس من الخير، وتطمئن إليه. ويدخل فيه كل ما أمرَ به الشّارع الحكيم.
- والمنكرُ: ضدُّ المعروفِ. أي: هو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً،
   وسمِّي منكرًا؛ لأَنَّ أهل الإيمان ينكرونه، ويستعظمون فعله. ويدخل فيه
   كل ما نهىٰ عنه الشَّارع الحكيم.
- الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر: هو من أعظم الواجبات، وأكبر المهمات، وهو شعيرة من شعائر الإسلام، وقد عدَّهُ بعض العُلماء ركنًا سادسًا من أركانه، وهو من الصّفاتِ اللازمة للمؤمنين الصّادقين، وسببًا لخيرية هذه الأُمَّة المرحومة، وأَنَّ تركه يؤدي لوقوع اللعن والإبعاد، ونزول الهلاك، وانتفاء الإيمان عمَّن قعد عنه؛ حتىٰ لو كان بعمل القلب، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنكر وَأُونَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبُّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُ ﷺ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرُهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » (٢) .

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

<sup>(</sup> T ) رواه مسلم في ( كتاب الإيمان ) باب « بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان » .

#### • مراتبُ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر:

- \* الإنكارُ باليد مع القدرة: وهذا خاصٌ بَمَن لَهُ ولاية من مسؤول، أو محتسب ممن يقدر على ذلك، وهكذا المرء مع أهله وأولاده، يأمرهم بالصّلة وسائر الواجبات، وينهاهم عمّا حرمه الله تعالى ونهى عنه.
- \* الإنكارُ باللَّسانِ: إِن عجز المحتسب عن الإنكار باليد؛ فيعظهم ويذكرهم، ويعاملهم بالأسلوب الحسن مع الرفق، ويستعمل الألفاظ الطَّيبة والكلمات المناسبة؛ حتى لو قوبل بالسوءِ!
- \* الإنكار بالقلب: وهي آخر المرتب، ولا رخصة لأحد في تركها البتّه؛ بل يجب ترك المنكر كليًّا، وبغضه بغضًا تامًا ومستمرًا.
  - وسائله وأساليبه: يكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

الدعوة بالحكمة: تكون بحسب حال المدعو وفهمه، وقبوله، ومن الحكمة: العلم، والحلم، والرفق، واللين، والصَّبرُ علىٰ ذلك.

والموعظة الحسنة: تكون مقرونة بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأنها أدعى للاستجابة عقلاً ونقلاً، وعرفًا.

ووسائل الخير كثيرة لا تحصر؛ فيسلك الدَّاعي فيها أفضل الطُرق، وأدعاها للقبول والاستجابة، ومنها:

الخطب في أيام الجمع والأعياد والمجامع العامّة، والعناية بتربية الأولاد، ونشر العلم الشّرعيّ، والإحسان إلى النّاس بالقول والفعل، والكتابة والنّصيحة المباشرة لصاحب المنكر، ومعاونة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وشد أزرهم.

# • قصص نبويةٌ في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

\* فَعَنْ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ وَأَىٰ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ؛ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ! وَقَالَ: ( يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرة مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ». قِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ إِلَىٰ جَمْرة مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ». قِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ عَلَىٰ : خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ : لاَ وَاللهُ ، لاَ آخُذُهُ أَبَدًا ، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ ( ) .

\* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ مَ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْكَ السّلامُ ، ارْجِعْ فَصلً ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصلً » فَرَجَعَ فَصلً » فَرَجَعَ فَصلً » فَرَجَعَ فَصلً » فَوَالَ : « وَعَلَيْكَ السّلامُ ، ارْجِعْ فَصلً ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصلً » فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السّلامُ ، ارْجِعْ فَصلُ ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصلً » فَقَالَ في النَّانِيَةِ ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا : عَلَمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ :

«إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبُرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ عَالمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَ جَالِسًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَ جَالِسًا، ثُمَّ اوْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَ جَالِسًا، ثُمَّ الْفَعْلُ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلُهَا » (٢٠).

\* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب «طرح خاتم الذهب ٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الاستئذان ) باب « من ردَّ فقال: عليك السلام ٥ .

اللهِ عَلَى جَالِسٌ؛ فَصَلَىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدُا! فَقَالَ النَّبِيُ عَلِيْكَ : « لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا ».

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ! فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ؛ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُ عَلِيْهِ وَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسْرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ؛ صَبُّوا عَلَيْهِ سَجُلاً مِنْ مَاءٍ ﴾ (١).

- فوائد وثمرات القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:
  - ١ تحقيق وصف الخيرية في هذه الأُمَّةِ المباركة: قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُعَمِّرُ وَتَوْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مَنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

٢- الفلاح في الدَّارين: قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكُرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

٣- صلاحُ الفرد والمجتمع: قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكر وَيُسَادِعُونَ في الْخَيْرات وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (1)

<sup>(</sup> ١ ) رواه أبو داود في ( كتاب الطهار ) باب الأرض بصيبها البول ، وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠. (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

٤ نيلُ رحمة الله تعالى الموعد للمؤمنين الصّادقين؛ الذين من صفاتهم اللازمة لهم الأمر بالأمعرف والنهي عن المنكر: قالَ الله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ اللهَ وَيَنْهَوْنَ اللهَ وَيَنْهَوْنَ اللهَ وَيَنْهَوْنَ اللهَ وَيَنْهَوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

٥- إِقامةُ الدِّين الإِسلامي وشريعته الغراء، وحفظ العقيدة وتوحيدها؛ لتكون كلمة الله تعالى هي العليا.

٦- إِقَامةُ حجة الله تعالىٰ علىٰ خلقه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِثَلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل وَكَانَ اللهُ عَزيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢).

٧- النَّجاةُ من عداب الدُّنيا والآخرة، ورفع العقوبات العامَّة:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكُرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٢٠).

٨- تحقيق نصر الله تعالىٰ الموعود للمؤمنين، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلَيَسْطُرَنَ اللَّهُ مَن يَسْطُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ كَ الَّذِينَ إِن مَكَنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَن الْمُنكَر وَللَّه عَاقبةُ الأُمُور ﴾ ( أَن ).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٧١. (٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥. (٤) سورة الحج، الآيتان: ٤٠ - ١٠.

٩ - عدم التَّشبه بالمنافقين: قالَ اللهُ تعالىٰ في وصف المنافقين:

﴿ الْـمُنَافِقُونَ وَالْـمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْـمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْـمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (``.

١٠ خروج المسلم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من عهدة التكليف؛ لأنَّه مكلف بتغيير المنكر وإزالته بحسب إستطاعته، وقد حكى الله تعالى عن الذين حذروا المعتدين في السبّت لل قيل لهم:

﴿ لِمَ تَعِظُونَ قُوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبُكُمْ ﴾ . إِلَىٰ رَبُكُمْ ﴾ .

١ ١ - تحصيلُ النُّوابُ من الله تعالىٰ، وأداء حقَّهُ سبحانه:

قَالَ النَّبِيُ عَلَى اللهِ عَلَىٰ عَلَىٰ كُلُّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً » (<sup>7)</sup> .

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب صلاة الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا) باب وبَابُ اسْتِحْبَابِ صَلاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلُهَا رَكُعْتَانِ، وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ هِ.

### حكم مرتكب الكبيرة

# حُكُمُ مُرْتَكَبِ الكَبِيرَةِ الَّتِي هِيَ دُونَ الشُّركِ، أَو الاسْتِحَّالِ:

مرتكبُ الكبيرة: هم أهل الذُّنوب والمعاصي من المسلمينَ؛ الله ين عملوا السَّيعات، وارتكبوا ذنوبًا دونَ الكُفْرِ؛ كالذين يأْكلونَ الرَّبا، أو يشهدونَ الزُّورَ، أو يعقونَ الوالدينِ، أو يقطعونَ الرَّحمَ، أو يزنون، أو يشربون الخمر، أو يسرقون، أو يغتابون النَّاس، أو يقعون يالنميمة، أو يقتلون النَّاس، أو يقعون يالنميمة، أو يقتلون النَّاس، فير الحقَّ، أو الذين يأْكلونَ أموالَ اليتامي ظلمًا، إلى غير ذلك من الأعمال التي ينافي صفات المؤمن!

فأهلُ السُّنَّة والجماعة قاطبةً:

\* أَجِمعُوا عَلَىٰ أَنَّهُم لا يُكَفِّرُونَ مُرتكَبَ الكبيرةِ مَن أَهَلِ التَّوحِيدِ أَلبَّةً، ولا يَحْكُمُونَ عليه بالخلود في النَّارِ أَلبَّةً، ولا يَحْكُمُونَ عليه بالخلود في النَّارِ إِن دخلها أَبدًا ؛ مالَمْ يستحِلَ ذنبه!

\* ولا يَسلبونَ اسم الإيمانِ منه كاملاً؛ إذا عَمِلَ معصيةً، أو ذنبًا لا يُكفّر فاعِلَه، أو ترك ما لا يُكفّر تاركه من الواجبات.

\* ولا يُخرجُونه من الإيمان بالكلّية ؛ إلا بفعل ناقض من نواقضه ؛ الاعتقادية ، أو القولية ، أو الفعلية ، أو شرك يفعله .

# وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يقولونَ :

أنَّ مرتكب الكبيرة من أهل القبلة؛ لا يُنفىٰ عنه مُطلقُ الإيمانِ، ولا يُخرِجُ منه بكبيرته، وفسوقه، وبارتكابه المعاصي والموبقات، وكذلك لا يُخرِجُ منه بالإيمان التَّامِّ – أيضًا – وإنَّما ينقُصُ إيمانُه بهذه الذُّنوب والكبائر؛ فلا يذهبُ عنه الإيمانُ بالكليَّة؛ بل يبقىٰ معَهُ مُطلقُ الإيمان – آي: أصلُ الإيمانُ المجمل – لأنَّ ارتكاب الكبيرة ليس سببًا للخُلودِ في نارِ جهنَّم، والخلود لا يكون؛ إلاَّ بالشَّركِ بالله تعالىٰ.

فهو في الدُّنيا مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته؛ فلا يُعطى الاسمَ المطلق، ولا يُسلبُ مطلق الاسم، وإذا مات مصرًّا عليها، ولم يتُب منها؛ فإنَّ أمره في الآخرة إلى الله تعالى، وهو تحت مشيئته – سبحانه وتعالى – ورحمته؛ إنْ شاءَ عَفَرَ لَهُ وعَفا عنهُ، وإنْ شاءَ عَذَّبَهُ؛ لكن يكون آخر أمرهُ إلى الجنَّة، والحمدُ للهِ.

أي: أَنَّ مُرتكِبَ الكبيرةِ! إِنْ كانَ من أهل التَّوحيدِ والقبلةِ، ولم يستحلُ ذنبهُ! (١) فَلَهُ حُكمانِ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ حُكمٌ في الدُّنيا، وحُكمٌ في الآنيا، وحُكمٌ في الآنيا،

<sup>(</sup>١) استحلالُ الذُّنبِ! معناه: استحلالُ أمر ما هو محرِمٌ قطعًا بإجماع المسلمين.

<sup>\*</sup> أي: اعتقاد المسلم أنَّ عملهُ الذي يعملهُ حلالاً بعكس ما يعتقده المسلمين؛ فهذا عملُ الأغبياء والسُّفهاء؛ فلا يطلع عليه ولا يُحكم به؛ إلاَّ بلسان صاحبه، أو بلسان حاله الذي يطابق لسان مقاله؛ فإن صرَّح بالاستحلال! تبين ذلك منه، وحكم عليه به، وإلاَّ فلا! ولو كان مجرد الفعل استحلالا! لكفر كل مرتكب كبيرة، وكان من أهلِ النَّار خالدًا فيها مخلدًا! وهذا نقيض ما يعتقده أهلِ السُّنَة والجماعة.

<sup>\*</sup> وإنْ كانَ جاهلاً؛ فإنَّهُ يعذر بجهله، ولا يعاجل بالتكفير؛ حتى يبين له الحكم الشَّرعي، \_

## • حُكمُهُ في الدُّنيا:

أَنَّهُ مؤْمنٌ ناقصُ الإيمانِ، مؤْمنٌ بإيمانِهِ، عاصٍ للهِ تعالىٰ، فاسقٌ بكبيرته، وظلمه لنفسه، ولا يصحُّ أن يُعطىٰ لهُ اسمُ الإيمان المطلق؛ بل يكون معه مطلقُ الإيمان، واسم الإسلام، ويستحقُّ من المعاملة باسم الإسلام ما يستحقُّه سائر المسلمين.

فإن كانَ الذَّنبُ الذي ارتكبه، لا حَدَّ فيه، أو فيه حَدُّ، وتاب منه، قبلَ اللهُ تعالىٰ عوبته بفضلِه ومَنه وكرمه - سبحانه وتعالىٰ - أو فيه حدٌ، وأقيمَ عليه الحدُّ؛ فهو كفَّارةٌ له، ويصبحُ حكمُه حكمَ عامَّةِ المسلمين، والله الحمد والمنَّة.

## • حُكمهُ في الآخرةِ:

أَنَّهُ يكونُ تحتَ مشيئة الله - تبارك وتعالى - إِن لم يَتُبُ من كبيرته، وفسقه، وظلمه، ومعاصيه، ولم يُقم عليه الحَدُّ؛ فأمره في الآخرة إلى رَبِّ العالمين - جلَّ في عُلاه - إِنْ شاءَ عَفا عنه، وغفرَ لَهُ ذنبه، وأدخله الجنَّة من أوَّل وَهْلة ؛ وذلك برحمته وفضله ومنه وكرمه وإحسانه.

<sup>=</sup> وتقام عليه الحجة بوضوح وتزل شبهته؛ فإن أصرَّ مع قيام الحجة عليه؛ كفر، وإلاَّ فالأَصلُّ في المسلم البقاء على دينه وإسلامه.

<sup>\*</sup> وأمَّا المسلم الذي يموت على كبيرة من غير توبة؛ كالذي مات على الزّنا، ولم يتب، والذي مات على الزّنا، ولم يتب، والذي مات يتعامل بالرّبا، ولم يتب، والذي مات على عقوق الوالدين، أو مات على قطيعة الرّحم، أو مات على الغيبة والنميمة؛ فهذا الذي تحت المشيئة؛ بشرط أنَّه لم يستحلها معصيتها؛ يعني أنَّه كان يعلم أنَّ الزّنا حرامً! لكن فعله بغلبة الشّهوة، أو كالذي يعلم أنَّ الرّبا حرامً! لكن فعله حبًّا للمال.

أمَّا مَن استحل الرُّبا، ورأى أنَّ الرُّبا حلال، أو الزُّنا حلال، أو عقوق الوالدين حلال؛ فهذا كافرٌ بالإجماع؛ لأنَّهُ مكذبٌ للهِ تعالى ولرسوله ﷺ في تحريم هذه الأشياء.

وإن شاء عذَّبه بقدر ذنبه، وذلك بعدله - سبحانه وتعالى - لأنَّهُ مستحقُّ للعقاب، ولكنه لا يستحقُّ الخلودَ في النَّار؛ بل يخرجُ من النَّار بما معه من الإيمان، وإن كانَ مثقالَ ذرَّة؛ فلا بُدُّ لَهُ من دخولِ الجنَّة؛ لأنَّهُ لا يخلُد في النَّارِ موحدٌ.

لأَنَّ الإيمانَ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة - يقبلُ التبعيضَ والتَّجزئةَ، وبقليله يُخرِجُ اللهُ مِنْ النَّار مَنْ دَخَلَها؛ بفضله ورحمته ومنَّه وكرمه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ المعاصي والذُّنوب - ولو كانت من الكبائر - لا تؤثر على أصل الإيمان من حيث بقاؤه أو ذهابه، وإنَّما تؤثّر فيه من حيث زيادته ونقصانه، ولهذا فإنَّ المؤمنين يتفاضلُون في إيمانهم؛ فمنهم المُقتَصِدُ، ومنهمُ الظَّالمُ لنفسه، ومنهم السابقُ بالخيرات، ولكلُّ درجةٌ عند الله تبارك وتعالىٰ.

- ومن هذا القاعدة الجليلة الشَّرعيَّة : فإنَّ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة :
   لا يُكفَّرونَ أحدًا من أهل القبلةِ ؛ إلاَّ بذنب يزولُ به أصلُ الإيمان .
- وفي مقابل ذلك: أجمعوا على كُفر من ارتكب محرّمًا معلومًا تحريمُه من الدّين بالضّرورةِ، مُستحلاً له؛ لأنّ فيه مُكابَرةً وتكذيبًا صريحًا لله تبارك وتعالى ولرّسُولِهِ عَلَيْ ولا شك أنّ هذا النوع من الكفر البواح.

# أدلة أهل السنة والجماعة في حكم أهل الكبائر من الكتاب والسنة والإجماع

• أُوَّلاً ـ الأَدلَّةُ من كتاب اللهِ جلَّ في عُلاه:

\* قولُ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَن يَشَاءُ وَمَن يُشَاءُ وَمَن يُشَاءُ وَمَن يُشُرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١)(\*).

وجه الدلالة من الآية الكريمة: أنَّ كلَّ الذُّنوبِ ما دون الشَّرك باللهِ تبارك وتعالىٰ؛ فهو داخلٌ تحت المشيئة.

أي: إِنَّ العبدَ إِذَا مات على الشَّركِ بدون توبة؛ فإِنَّ الله - جلَّ وعلا - لا يغفر له أبدًا، والمشركُ مخلَّدٌ في نار جهنَّم إلى أبد الآبدين - والعياذ بالله - وإذا مات العبد الموحد مرتكبًا ما دون الشَّرك من الذُّنوب والمعاصي، ولو كانت من الكبائر والعظام، ولو لم يتُب منها، ولو جاء بقراب الأرض خطايا؛ فإنَّه يدخلُ تحت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه بذنبه، قال الله تبارك وتعالى:

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨ ، ١١٦.

<sup>( \* )</sup> للبسط في تفسير هذه الآية الكريمة؛ انظر: « تفسير الطبري » وه تفسير ابن كثير » وه فتح الباري » لابن حجر العسقلاني: ج١ ، ص٨٤ . وه تعظيم قدر الصلاة » للإمام المروزي، وه الإيمان الأوسط » لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص٣٦ .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

قالَ العُلماءُ، رحمهم الله: هذه الآية الكريمة أرجى آيةً في كتابِ اللهِ تعالى! كيف لا؟ وهي قد أشرعت أبواب الأمل في وجوه البائسين، وضمنت خط العودة للتائهين، وهي دعوة لجميع العُصاة من المسلمين والكُفّارِ إلى التوبة والإنابة؛ ثمّ أخبرَ بأنّ الله تعالى يغفرُ الذّنوب جميعًا لمن تاب منها وأناب، ورجع عنها صادقًا، وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

وفي الآيةِ بشاراتٌ عظيمةٌ، منها:

أَضاف اللهُ تعالىٰ العبادَ إِلَىٰ نفسهِ؛ لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم.

وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذُّنوب؛ فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب أُولىٰ.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ ﴾ فالأَلفُ واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، ثم أكد كلُّ ذلك بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: كل ذنب كائنا ما كان؛ إِلاَّ ما أخرجه النَّصُ القرآني، وهو الشُرك باللهِ تعالىٰ!

ثمَّ ختمها بقوله: ﴿ إِنَّهُ هُو َ الْفَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤنين المحسنين ظنهم بربهم الصَّادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافدين لسؤ الظَّن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجين إليه في طلب المغفرة.

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٥٢.

\* ومن أَدلَّةِ أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة، قولُ اللهِ تباركَ وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحُرِّ الْحَبْدُ وَالْأُنفَىٰ بِالْنفَىٰ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَذَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانِ ذَلِكَ تَحْفِيفٌ مِّن رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ الْعَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

في هذه الآية الكريمة: أثبت الله تعالى الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين، وأثبت لهم أُخوَّة الإيمان؛ فسمَّىٰ الله المقتول أَخًا للقاتل، وقال في القاتل بغير حقِّ: ﴿ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ ﴾.

فأَثبتَ اللهُ تعالىٰ الأُخوة الإيمانية بين القاتل وأولياء الدَّمِ؛ فأَثبت لهما وصف الإيمان مع كونهما متقاتلتين، فقال تعالىٰ:

﴿ وَإِن طَائِفَتَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتُ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ ﴿ ﴾ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ لِرَحْمُونَ ﴾ (١)(١).

أَي: أَنَّ القتلَ كبيرةٌ من الكبائر، ومع ذلك؛ فإنَّ الله تعالىٰ لم يَسلُب

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨ . (٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠ -

<sup>(\*)</sup> للبسط في تفسير هذه الآية الكريمة؛ انظر: « تفسير القرطبي» وه تفسير ابن كثير» وه فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: ج١، ص ٢١٠. وه تفسير البغوي» و « تفسير ابن سعدى».

عن هؤلاء المقاتلين اسمَ الإيمان، وسمَّاهم المؤمنين، وإخوة في الدّين، وأمرَ بالإصلاح بينهما، رغم الاقتتال، وبغي بعضهم على بعض، ولم يَنْفِ عنهم الأُخوَّة؛ لا فيما بين المقتتلين، ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين؛ بل أثبتت أُخوَّة الإيمان لهم مطلقًا؛ فالإيمانُ والأُخوَّة الإيمانيَّة لا يزولان مع القتال؛ كغيره من الكبائر التي هي دون الشرِّك (٥٠).

\* ومن أدلَّةِ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾ (١)(٠٠).

قالَ العُلماءُ، رحمهم الله: أي: كلُّ ما سلف، وما هنا للعموم؛ لأنَّها اسمٌ موصولٌ، يعني كلُّ ما تقدم؛ فهو مغفور لَهُ.

والتَّوبةُ واجبةٌ من كلِّ ذنب، وأعظمها وأوجبها التَّوبةُ من الكفر إلى الإيمان، ثمَّ يليها التَّوبةُ من كبائر الذُّنوب، ثمَّ من صغائر الذُّنوب.

وللتوبة خمسة شروط: الإخلاص الله الندم على ما فعل من المعصية، وأن يقلع عن الذَّنب الذي هو فيه، والعزم على أن لا تعود في المستقبل، أن تكون قبل الموت.

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

<sup>( \* )</sup> انظر: ٥ كتاب الأم ، للإمام الشافعي، رحمه الله؛ ج٤، ص٢١٤.

<sup>( \*\* )</sup> قال الحافظ ابن عبد البر، رحمه الله: (ومعلوم أنَّ هذا بعد الموت لمن لم يتب؛ لأنَّ الشرك عَن تاب منه - قبل الموت - وانتهىٰ عنه غفر له، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُل للذينَ كفروا إِن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف ﴾ ) والتمهيد ، ج١٧ ، ص ١٦ .

• ثانيًا - الأدلَّةُ من سُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيَّةً :

قولُهُ عَلَيْهُ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قَلْبهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبرْيَاءَ» (١).

وقولُهُ عَلِيْكُ : «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْعًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْعًا دَخَلَ النَّارَ» (٢٠).

وعن عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - وكانَ شَهِدَ بدرًا، وهو أَحدُ النُّقباء ليلة العقبة: أنَّ رسُولَ اللهِ عَلَيْهُ قالَ، وحولهُ عصابةٌ من أصحابه:

«بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ولاَ تَسْرِقُوا وَلاَ تَرْنُوا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَ دَكُمْ ، وَلاَ تَغْصُوا فِي أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَغْصُوا فِي أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَغْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَهَ مَنْ وَقَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُو كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَعُو إِلَىٰ اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ » . فَبَايعْناهُ علىٰ ذلك (٣)(٣).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «تحريم الكبر وبيانه ٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: « من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة » .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «علامة الإيمان حبُّ الأنصار ٥.

<sup>(\*)</sup> ووجه الدلالة أنَّ الذُّنوب المذكورة في الحديث: إِن أَقيم على صاحبها الحد؛ فهو كفارة له، وإِن مات مصراً على الكبائر؛ فهو تحت المشيئة، وهذا لا يكون إلا فيما دون الشرك، وهو دليلٌ على بقاء الإيمان؛ فلو كان إصابة هذه الذُّنوب كفرًا لكان حكمه القتل والردَّة، ولا يكون كفارة، وعلى هذا القول أجمع أهل السُّنَة والجماعة. انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي؛ ج٢، ص٤١. و«فتح الباري» لابن حجر؛ ج١، ص٥٦. و«تعظيم قدر الصلاة» للإمام المروزي؛ ج٢، ص٢١. ١٦، ١٦٠، وقال الإمام الشَّافعي، رحمه الله: (لم أسمع في الحدود حديثاً أبْين من هذا) «كتاب الأم عج٢، ص١٢٨.

وقالَ النَّبِيُّ عَلِمُكُ : ﴿ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِي رَسُولُ اللهِ ؛ لاَ يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكً، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ ﴾ (١).

وقالَ عَلَىٰ : ﴿ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : . . . وَمَنْ لَقِينِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً ﴾ (٢)(٠) .

وَعَنْ أَبِي ذَرِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْه – قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيُّهُ وَهُوَ نَاثِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَاثِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ امْنَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فقال:

و مَا مِنْ عَبْدَ قَالَ لاَ إِلَّهَ إِلاَّ اللهُ ؛ ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ،

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ : ﴿ وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَوَقَ » .

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: ﴿ وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَوَقَ ﴾ ثَلاَثًا!

ثُمَّ قَالَ عَبَالَتُهُ فِي الرَّابِعَةِ: ﴿ عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ».

فْخَرَجَ أَبُو ذَرًّ، وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرُّ (٣).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنَّة قطعًا ».

 <sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب: « فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ».

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيعًا دخل الجنّة، ومن مات مشركًا دخل النّار».

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن رجب، رحمه الله: (فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملاها - أو ما يقارب خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة؛ لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل - فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النّار؛ بل يخرج منها ثمّ يدخل الجنّة ) و جامع العلوم والحكم ع: ص ٣٧٤.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ: «أَتَانِي جَبْرِيل - عليه السَّلام - فَبَشَرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّة » السَّلام - فَبَشَرِنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّة » وَإِنْ يَشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّة » قُلْتُ: وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ » (١)(\*).

ومن أَدَلَةِ آهلُ السُّنَةِ والجماعة؛ أحاديث الشَّفاعة؛ كقولُ النَّبِيِّ عَلِيْكُ :

«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ.
وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.
وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ » (٢٠).
وقولُهُ عَلَيْكُ : «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمْتِي » (٣٠).

وقولُهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدِمِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ؛ فَلْيَتَحَلَّلُهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ مَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ (1).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنّة، ومن مات مشركًا دخل النّار».

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب: « زيادة الإيمان وتُقْصان ».

<sup>(</sup>٣) رواه أبو داود في (كتاب السُّنَّة ) باب: ٥ في الشفاعة ٥.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب: ٥ مَّن كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُل فَحَلَّلَهَا لَهُ ٥ .

<sup>(\*) (</sup>وجه الدلالة من الحديث: أن من مات على التوحيد، وكان عليه بعض الذنوب كالزنا، والسرقة؛ فإنه لا تخرجه من الإيمان بالكلية بل يكون ناقص الإيمان، والدليل على ذلك أنه يدخل الجنّة، ولكنه تحت المشيئة) انظر «شرح مسلم» للنووي: ج٢، ص١١. و«فتح الباري» ج٢، ص١١.

## وأمَّا الدليلُ على نقصانِ إيمانِهِ بكبيرتِهِ:

قولُ النَّبِيِّ عَلَّى : ﴿ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، (١٠ . يَسْتَهِبُ لَهُ بُهَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَسْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، (١٠ .

فلما نفى عنه الإيمان؛ دلُّ على أنَّ إيمانه ليس بكامل. ولا يظنُ ظان بأنَّ نفي الإيمان عنه نفي لإيمانه كله؛ لأنَّ الأحاديث يفسرُ بعضها بعضًا ويبين بعضها بعضًا؛ فلما ثبتت النُّصوصُ بإثباتِ الإيمانِ لمرتكبِ الكبيرةِ؛ دلَّ علىٰ أنَّ النَّفيَ إِنَّما هو لنفي الكمالِ الواجب لا نفي أصلِ الإيمانِ.

قالَ الحافظُ ابن حجر رحمهُ الله: (والمراد بالنفي: كمال الإيمان ... وقد صرح ابن حبان – من رواية ابن أبي عدي عن حسين المعلم – بالمراد ولفظه: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان) ومعنى الحقيقة هنا الكمال، ضرورة أنَّ مَن لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا).

وقالَ الإمامُ النووي - رحمهُ الله - في شرح هذا الحديث:

( فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله... كما يقال: لا علم إلاً ما نفع، ولا مال إلاً الإبل، ولا عيش إلاً عيش الآخرة ).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب المظالم) باب: والنهبي بغير إذن صاحبه ٥.

• ثالثًا- الأدلَّةُ من الإجماع:

أي من أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة:

١ - قالَ خليفةُ رَسُول الله عَلَيْ أَبُو بكر الصدِّيق، رضي اللهُ عنه:

(إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبِ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبُ الإيمان)(١).

٢- قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو هريرة، رضي اللهُ عنه: (الإيمانُ نَزِهٌ؛
 فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الإيمانُ، فَإِنْ لامَ نَفْسَهُ وَراجَعَ؛ راجعَه الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

٣- قالَ الصَّحابيُّ الجليل؛ أبو الدَّرداء، رضي اللهُ عنه:

( مَا الْإِيمَانُ ؛ إِلاَّ كَقَمِيصِ أَحَدَكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخرَىٰ ، وَاللهِ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَىٰ إِيمَانِهِ إِلاَّ سُلِبَهُ فَوَجَدَ فَقْدَه ) (٢٠) .

٤ - وقد ثَبَتَ عن حَبْرِ الأُمَّة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما أَنَّه كان يدعو غلمانه؛ غلامًا غلامًا! فيقول:

( أَلا أُزَوِّ جُكَ ؟ مَا مِنْ عَبْدٍ يزني إِلاَّ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ نُورَ الإيمان ) ( '').

وسألَهُ عكرمة؛ كيف يُنزَعُ الإيمانُ منه؟ قالَ:

( هَكَذَا - وشَبَّكَ بينَ أَصابِعِهِ ثُمَّ أَخْرِجِها - ؛ فإنْ تَابَ عَادَ إليه هكذا ، وشَبَّكَ بينَ أَصابِعِه ) (°).

<sup>(</sup>١) الشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة اللالكائي: ج١، ص١٩٠ (١٨٧٣).

<sup>(</sup>٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج٦، ص ١٠٩٠ (١٨٧٠) .

<sup>(</sup>٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ، اللالكائي: ج١، ص١٠٩١ (١٨٧١).

<sup>(</sup>٤) « فتح البارى ، ج١١، ص٥٥، وه شرح أصول الاعتقاد ، اللالكائي: (١٨٦٦).

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في ( كتاب الحدود ) باب: « إثم الزُّناة » .

٥- قالَ الإمامُ أبو حنيفة، رحمه الله تعالى: (ولا نُكفَّر مُسلِمًا بذَنْبٍ مِنَ الذُّنوب، وإنْ كانَتْ كبيرةً، إذا لم يَستَحلُها)(١).

٦- قالَ الإمامُ مالك، رحمه الله تعالى:

(لو أَنَّ رَجُلاً رَكِبَ الكَبائِرَ كُلُها بعدَ أَن لا يُشرك بالله؛ ثمَّ تخلَّىٰ من هذهِ الأَهواءِ والبدَع؛ دَخَلَ الجَنَّةَ ) (٢٠).

٧- قال الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

( مَنْ تَوَلَّىٰ يومَ الزَّحفِ، لا مُتحرِّفًا لقتال ، ولا مُتحيِّزًا إلىٰ فئة ِ؛ خفتُ علَيه - إلاَّ أن يعفو الله - أن يكونَ قد باءَ بسخط من الله )(٣).

وقالَ – رحمه الله – في وصيته: ﴿ وَجُعَلَ الآخِرَةُ دَارَ قَرَارٍ ، وَجَزَاءً بِمَا عُمِلَ فِي الدُّنيا من خير وشرٌ ؛ إن لم يَعْفُهُ جلَّ ثناؤُه ﴾ ( ' ' )

٨- قال الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالىٰ:

(يَخْرِجُ الرَّجُلُ مِن الإِيمَانِ إِلَىٰ الإِسلام، ولا يُخْرِجُه مِن الإِسلامِ شَيءٌ إِلاَّ الشَّرِكُ بِاللهِ العظيم، أو رَدُّ فريضة مِن فرائض اللهِ – عزَّ وجلَّ – جاحدًا بها ؛ فإن تركَها كسلاً ، أو تهاونًا كان في مشيئة الله ، إن شاءَ عذَّبه ، وإن شاءَ عفا عنه ) (°).

<sup>(</sup>١) ه متن الفقه الأكبر ، الإمام أبوحنيفة .

<sup>(</sup>٢) ٥ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني: ج٦، ص٥٢٥.

<sup>(</sup>٣) و كتاب الأم، ج٤، ص ١٦٩.

<sup>(</sup> ٤ ) و مناقب الشَّافعي ٥ للبيهقي ١ ج١، ص ٤٢٩ .

<sup>(</sup> ٥ ) وطبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي: ج١ ، ص٣٤٣. ضمن رسالة مسدد بن مسرهد .

٩- قالَ الإمامُ أبو عبيد القاسم بن سلام، رحمهُ الله تعالى:

(إِنَّ المعاصيَ والذُّنوبَ لا تُزيلُ إِيمانًا، ولا تُوجبُ كُفرًا، ولكنَّها إِنَّما تَنْفي منَ الإِيمانِ حقيقتهُ وإخلاصَهُ، الذي نَعَتَ اللهُ بهِ أَهلَهُ واشترطَه عليهم في مواضعَ من كتابهِ)(١).

١ - عقد الإمامُ البخاريُّ؛ بـ «صحيحه» بابًا في (كتاب الإيمان):
 قطعَ فيهِ باَنَّ المعاصي لا يُكفَّر مرتكبها، فقالَ، رحمه الله تعالىٰ:

بَابُ: المعاصي من أَمرِ الجَاهليَّةِ، ولا يُكَفَّرُ صَاحِبُها بَارْتِكَابِها إِلاَّ بِالشِّرِك؛ لقولِ النَّبِيُ عَلَيْ : ﴿ إِنَّكَ امْرُوَّ فِيكَ جَاهِليَّةٌ ﴾. وقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

١١ - قالَ الإمامُ أبو جعفر الطحاوي الحنفي - رحمهُ اللهُ تعالى - في عقيدته (العقيدة الطحاوية):

وَلاَ نُكَفَّر أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبِ مَالَمْ يَسْتَحِلَّهُ ). وقالَ أيضًا: ( وأَهَلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيُّ فِي النَّارِ لا يُخلَّدُونَ ؛ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحُدُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَاثِبِينَ ).

١٢ – قالَ الإمامُ أبو الحسن الأَشعريِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ونَدينُ بأن لا نُكفَّرَ أَحَدًا من أَهلِ القِبْلَة بذَنب يَرتكبُهُ ؛ كالزُّنا والسَّرقة وشُربِ الخمر ، كما دانت بذلك الخوارجُ ، وزَعَمَت أَنَّهم كافرون . ونقول : إنَّ مَن عَمِلَ كبيرةً من هذه الكبائر مثلَ الزِّنا والسَّرقة

<sup>( 1 ) 0</sup> كتاب الإيمان »: ص . ٤ ؛ تحقيق الألباني .

وما أشبهها، مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها؛ كان كافرًا)(١).

١٣ نقلَ الإمامُ أبو بكر الإسماعيليّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - اعتقادَ أهل
 الحديث وأهل السُنّة والجماعة، وقالَ:

(ويقولونَ: إِنَّ أَحَدًا مِن أَهلِ التَّوحيدِ، ومَنْ يُصَلِّي إِلَىٰ قَبلَةِ المسلمينَ؛ لو ارتكبَ ذَنبًا، أو ذُنُوبًا كثيرة؛ صغائر، أو كبائر مع الإقامة على توحيدِ اللهِ، والإقرار بما التزمه وقبله عن الله؛ فإنَّه لا يُكفَّر به، ويَرْجُونَ له المغفرة، قال ألله تعالىٰ: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لَمَن يَشَاءُ ﴾ (٢).

١٤ - قالَ الإمامُ ابن بطة العكبريِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وقد أَجمعت العلماءُ - لا خلافَ بينهم - أَنَّه لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ من أَهلِ القَبلة بذنب، ولا نُخرجُهُ من الإسلامِ بمعصية؛ نَرجو للمُحسنِ، ونَخافُ على الْمُسئِ)(٢).

١٥ ونقلَ الإمامُ أبو إسماعيل الصَّابونيّ – رحمهُ اللهُ تعالىٰ – اعتقادَ
 أَثمّة السَّلف، أصحاب الحديث، أهل السُّنّة والجماعة، وقالَ:

(ويَعتقدُ أَهلُ السُّنَة: أَنَّ المؤمنَ، وإِن أَذنبَ ذنوبًا كثيرةً؛ صغائرَ كانت، أَو كبائر؛ فإِنَّه لا يُكَفَّرُ بها، وإِن خَرَجَ من الدُّنيا غير تائب منها، ومات على التَّوحيدِ والإخلاص؛ فإنَّ أَمرَه إلى اللهِ - عزَّ وجلَّ - إِنْ شَاءَ

<sup>(</sup> ١ ) ه الإبانة عِن أُصول الديانة ، الإمام الأشعري: باب: و في إبانة قول أهل الحق والسُّنَّة ».

 <sup>(</sup> ۲ ) ه اعتقاد أهل الحديث و الإمام الإسماعيلي: ص٤٣ . تحقيق د . محمد الحميس .

<sup>(</sup>٣) ه الشرح والإبانة على أصول السُّنَّة والدَّيانة ، المسمَّىٰ بـ والإبانة الصغرىٰ ،: ص٢٩٢. تحقيق د. رضا بن نعسان مُعطى .

عفا عنه، وأدخلَهُ الجنَّةَ يومَ القيامة سَالِمًا غَانَمًا، غير مبتلى بالنَّار، ولا مُعَاقَب على ما ارتكبه من الذئوب، واكتسبه ثمَّ استصحبه - إلى يوم القيامة - من الآثام والأوزار. وإن شاء عاقبه وعَذَّبه مُدَّةً بعذاب النَّار، وإذا عَذَّبه لم يُخْلِدُه فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)(١).

١٦ - قالَ الإمامُ البغويُّ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(اتَّفقَ أَهلُ السِّنَّة: علىٰ أَنَّ المؤمنَ لا يَخرِجُ عن الإيمانِ بارتِكابِ شيء من الكِبائر، إذا لم يَعتقد إباحَتها، وإذا عَمِلَ شيئًا منها؛ فمات قَبلَ التوبَة، لا يخلد في النَّار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثمَّ أدخَلَهُ الجنَّة برحمَتِه) (٢٠).

١٧ - قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(من أُصُول أَهْلِ السُّنَةِ والجماعة: أَنَّ الدِّينَ والإِيمانَ قَولٌ وعَمَل: قولُ القَلب واللَّسان والجَوارِح، وأَنَّ الإِيمان يَزِيدُ الطَّاعة وينقُص بالمعْصية. وهُم مَعَ ذلك: لا يُكَفَّرون أَهلَ القبلة بِمُطْلق المَعاصي والكبائر، كما يَفْعلُه الخَوارج؛ بل الأُخُوَّة الإيمانية ثَابِتةٌ مع المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتباع بِالمعروف ﴾ . . . ولا يسلبون الفاسق اللي الإسلام بالكليّة، ولا يخلدونه في النَّار، كما تقوله المُعتزلة؛ بل الفاسق يَدخُل في السم ولا يخلف وقد لا يَدخُل في المنان المُطْلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَحريرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ وقد لا يَدخُل

<sup>(</sup>١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: ص٢٧٦. تحقيق د. ناصر بن عبر الرحمن الجديع. (٢) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص١٠٣.

في اسم الإيمان المُطلق؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبَهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . . . ونقول: هُو مُؤْمنٌ ناقصُ الإيمان، أو هو مُؤْمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكَبيرته؛ فلا يُعطىٰ الاسم المطلق، ولا يُسلبُ مُطلق الاسم)(١).

١٨ – قالَ الإمامُ ابن أبي العِزِّ الحنفيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِنَّ أَهْلَ السُّنَةِ مَتَّفقون كُلُّهم: على أَنَّ مُرتَكِبَ الكَبيرَةِ لا يَكْفُرُ كُفرًا يَنْقَلُ كُفرًا يَنْقَلُ عَن اللَّة بالكليَّة، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كَفَرَ كُفرًا يَنْقَلُ عن اللَّة؛ لكان مُرتدًا يُقْتَلُ على كُلِّ حال، ولا يُقْبَلُ عَفْوُ وليَ القِصاص، ولا تجري الحدودُ في الزِّني والسَّرقة وشرب الخمر، وهذا القولُ معلومٌ بُطلانُه وفَسادُه بالضَّرورة من دين الإسلام. ومتَّفقون على أَنَّه لا يَخْرُجُ من الإيمان والإسلام، ولا يَستحقُّ الخُلُودَ في النَّارِ مع الكافرين) (٢٠).

٩ ١ - قالَ الإمامُ ابن رجب الحنبليّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(من أسباب المغفرة: التوحيد، وهو السبب الأعظم؛ فمن فقده، فقد ألم المغفرة، قال تعالى: فقد المغفرة، ومن جاء به؛ فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض – وهو ملؤها أو ما يُقارب ملأها – خطايا؛ لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله – عزَّ وجلَّ – فإن شاء

<sup>(</sup>١) ه العقيدة الواسطية » بحاشية الشيخ ابن مانع: ص٨١. تحقيق أشرف عبد المقصود.

<sup>(</sup> ٢ ) ٥ شرح العقيدة الطحاوية ٥ ابن أبي العز الحنفي: ص٤٤٢ . تحقيق شعيب الأرنؤوط.

غَفَرَ له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثمَّ كان عاقبته أن لا يُخلِّد في النَّار؛ بل يخرج منها، ثمَّ يدخل الجنَّة.

قال بعضهُم: الموحّد لا يُلقىٰ في النّار كما يُلقىٰ الكفّار، ولا يَلقىٰ في النّار كما يُلقىٰ الكفّار، ولا يَلقىٰ فيها كما يبقىٰ الكفّار؛ فإن كمُلَ توحيدُ العبد وإخلاصه لله فيه، وأقام الشّروط كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذّنوب كلها، ومنعه من دخول النّار بالكليّة.

فَمَن تحقَّق بكلمة التَّوحيد قَلبُه، أخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبة، وتعظيمًا، وإجلالاً، ومهابة، وخشية، ورجاء، وتوكُّلاً، وحينئذ تُحْرَقُ ذنوبه وخطاياه كلُّها، ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلَّبتها حسنات حما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات – فإنَّ التَّوحيد هو الإكسيرُ الأعظمُ؛ فلو وُضعَ ذرَّةٌ منها على جبال الذُّنوب والخطايا؛ لقلَّبها حسنات ؟ كما جاء في «المسند» وغيره )(١).

١٩ - قَالَ العلاَّمةُ حَافظُ ابن أحمد الحكميّ، رحمهُ اللهُ تعالى:

( وَلاَ نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَـَلَدٌ! بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي بِقَدْرِ ذَنْبِهِ وَإِلَىٰ الْجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ وَإِلَىٰ الْجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ

« وَلاَ نَقُولُ إِنَّهُ » أَي: الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفرًا « في النَّارِ مُخَلَّدٌ » هذه هي المسألة الرابعة من مسائل الفصل « بَلْ نَقُولُ أَمْرُهُ »

<sup>(</sup>١) « جامع العلوم والحكم » للإمام ابن رجب الحنبلي؛ ج٢، ص١٦ - ٤١٧ ( شرح حديث الثاني والأربعون).

مردود حكمه « لِلْبَارِي » في الجزاء والعفو « تحت مشيئة الإله النافذة » في خلقه « إِنْ شَاءَ » الله عزَّ وجلَّ « عَفَا عَنْهُ » وأدخله الجنَّة من أوَّل وهْلَة برحمته وفضله « وَإِنْ شَاءَ آخَذَهُ » أي : جازاه وعاقبه « قَدْرَ ذَنْبِهِ » الذي مات مصرًا عليه .

كما في والصحيحين؛ من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ عَلَيْكُ قال، وحوله عصابة من أصحابه:

« بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، ولاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَرْنُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَ دَكُمْ ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَ دَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانَ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُم وَآرْجُلِكُمْ ، وَلاَ تَغْصُوا فِي مَعْرُوف ؛ فَمَنْ وَقَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَهُو كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَهُو كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله ؛ فَهُو إِلَىٰ اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ » .

فَبَايعْناهُ علىٰ ذلك.

« وَإِلَىٰ الْجَنَانِ يَخُرَجُ » من النّار وإنْ » كان ومَاتَ عَلَىٰ الإِيمانِ » كما تقدم في أحاديث الشّفاعة ، وإنّه لا يخلّدُ في النّارِ أحدٌ ماتَ علىٰ التّوحيد ؛ بل يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثمّ بشّفاعة الشّافعين) (١٠).

<sup>(</sup>١) انظر: ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، ص١١٩١.

# من أسباب سقوط العقوبة عن عصاة الهوحدين

فأهلُ السُّنَةِ والجماعةِ متَّفقونَ قاطبةً: على أَنَّ الله - سبحانه وتعالى - قد جعلَ لعبادهِ المؤمنينَ المذنبينَ المخطئينَ الَّذينَ يقعونَ في الذُّنوبِ والمعاصي وأرتكاب الخطايا؛ أسبابًا لنجاتهم من عقوبة ذنوبهم ومعاصيهم التي توعَّدَ الله - جلَّ وعلا - عليها في الدُّنيا والآخرة؛ فبهذه الأسباب فتح الله تعالى لهم أبوابَ رحمتِه؛ منًا منه - جلَّ ثناؤه - وتفضّلاً وكرمًا.

وذلك لأنَّ الله تعالى خَلَقَ الإنسانَ وجعلَ في جبلتِهِ الميل للمعصيةِ، لم يجعلهُ ملكاً معصومًا من الذُّنوبِ والخطايا؛ حتَّىٰ لو كان من عبادِهِ الخلصينَ الصَّادقينَ المؤْمنينَ، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ:

« كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّالُونَ » (١).

ولكنَّ المؤْمنَ الصَّادقَ يُطِعُ رَبَّهُ - جلَّ في عُلاه - ويجتهدُ في طاعتِهِ قدر استطاعته؛ ممتثلاً بأمرِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِينَّهُمْ سُبُلَّنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

واذا وقعَ المؤمنُ في معصية! فالدُّنيا كلَّها تضيقُ عليه؛ بل أَنَّهُ يشعرُ بالذَّنبِ كَأَنَّهُ حِبلٌ وقعَ عليه؛ لأَنَّهُ يستحضر رقابةَ اللهِ تعالىٰ عليه.

<sup>(</sup>١) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب « ذكر التوبة » وحسَّنه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة العنكبوت، الآية : ٦٩ .

ومن رحمة الله تعالى - التي وسعت كلَّ شيء - على عباده المؤمنينَ أن جعلَ لهم مخرجًا وفرجًا من تلكَ الذُّنوب، وأسدلَ عفوه على عصاة الموحدين في مختلف مراحلهم؛ سواءً في الدُّنيا، أو في عالم البرزخ، أو في يوم الحساب، وفي دار القرار؛ ما التزموا بما أمرهم به من أسباب وأعمال تسقط العقوبة عنهم؛ بفضله، ومنه، وكرمه، سبحانه وتعالى.

وقد دلَّ علي ذلكَ: الكتابُ، والسُّنَّةُ، وأقوالُ أَثَمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة (١)، ومنها:

# ١ - التَّوبَةُ الصَّادِقَةُ، والاستغفارُ الدَّائم:

تعدُّ التَّوبةُ الصَّادقةُ والاستغفارُ الدَّاثم؛ من أهمُّ الأسبابِ المسقطة للعقوبةِ عن عُصاة الموحدين في الدَّراينِ؛ بشرطِ أنْ يكونَ الاستغفارُ مستمرًا وبقلب موقن بالإجابة، وتكونَ التَّوبَةُ نصوحًا صادقةً، وخالصةً من القلب، ولم تكن مقتصرةً على نطقِ اللِّسان؛ بل تكونُ خصلةً لازمةُ دائمة للعبد الصَّادقِ، وكذلك يصحبها النَّدمُ على ما فات من ارتكاب المعاصي والذُّنوب، والاستغفار منها، وعزمُ القلب على عدم العودة إليها أبدًا، وإذا كان في ذلك الذَّنب حقِّ لآدميً لَزِمَ استحلاله منه إن أمكن؛ فإذا اجتمعت في التَّوبةِ هذه الشروطُ؛ كانت صادقة، ويقبلها اللهُ تعالىٰ مهما عظم ذلك الذَّنب؛ بمنه وفضله ورحمته، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٠.

<sup>(</sup>١) انظر: «مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام لبن تيمية ؛ ج٧، ص٤٨٦ - ٥٠١ و «شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي أبن العز الحنفي ؛ ص٤٥١ - ٤٥٦ . (٢) سورة المائدة ، الآية ٤٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الصَّلاةَ وَالَّبَعُوا الصَّلاةَ وَاللَّهَ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ و

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيعَذَّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ لِيعَذَّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذَّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ التَّائِبُ مِنَ الذُّنْبِ ؛ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ ﴿ (٣) .

والتّوبةُ الصَّادقةُ الخالصةُ للهِ تعالىٰ أمرُها عظيمٌ عندَ اللهِ - جلَّ جلاله - فقد وَعَدَ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - بالمغفرة والعفو مَنْ تاب وأناب ؛ حتىٰ لو كان الذّنبُ من أكبر الكبائر، وهي الشّرك باللهِ تعالىٰ، أو قتل النَّفسِ بدون حقَّ، أو الرِّنا، أو الرِّبا، أو غيرها من الكبائر العظام ؛ بل وعدَ اللهُ - جلَّ وعلا - التَّائبينَ الصَّادقينَ أن يبدلَ سيئاتهم حسنات، فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ ٢٥ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿ ٢٥ إِلاّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿ ٢٥ إِلاّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَا يُبِدِلُ اللَّهُ سَيّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠).

والاستغفارُ يتضمَّنُ التَّوبَةَ؛ بل هو التَّوبةُ نفسُها، والتَّوبةُ تتضمَّنُ

 <sup>(</sup>١) سورة مريم، الآيتان: ٥٩ – ٦٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>٣) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد ) باب « ذكر التوبة ، وحسَّنه الألباني.

<sup>(</sup>٤) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ – ٧٠.

الاستغفارَ، وكلِّ منهُمَا يدخُلُ في مُسمَّىٰ الآخَرِ عندَ الإطلاقِ؛ أمَّا عندَ الاقترانِ، كقولِ اللهِ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعَكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلُّ ذِي فَضْل فَضْلَهُ ﴾ (١).

وقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٢).

\* فالاستغفارُ يعني: طلبَ المغفرةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ، وطلبَ وقايةِ شرّ ما مضىٰ من الذَّنبِ ومحوهِ، وإزالةِ أثرِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَدَّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

\* والتُّوبةُ تعني: طلبَ جلبِ المنفعةِ، وطلبَ وقايةِ شرِّ ما يَخافُهُ في المستقبلِ من ذنوبِهِ، والعزمُ على عَدَم ارْتِكابِها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) سورة هود، الآية: ٣.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة هود، الآية : ٩٠ .

<sup>(</sup>٤) سورة النور، الآية: ٣١.

#### ٧- الحسناتُ الماحيَّةِ والأَعمالُ الصَّالحةِ:

الحسناتُ الماحيةِ هي: طاعةُ الله تعالىٰ مطلقًا، وانقيادُ لشرعِهِ ولسُنَةِ نبيّه عَلَيْهُ واتّباع هديه الكريم، أي: هي الطّاعاتُ المقبولَةِ عندَ اللهِ تعالىٰ، والطّاعاتُ هي الأعمالُ الصَّالحةِ التي أمرَ به الله تعالىٰ مطلقًا في شرعه وعلىٰ لساني نبيّه عَلِي ٤ فإذا كانَ عملُ العبدِ صالحًا؛ خالصًا لوجهِ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ، وموافقًا لشرعِهِ، وسُنَّةِ نبيّهِ عَلَىٰ في كيفيته، ويأتي في مكانِهِ وزمانِهِ الله يُحدَّدُهُ الشَّارِع الحكيم؛ فإنَّه باتّفاق أهل السُنَّة والجماعة يُكفَّرُ الذُّنوبَ والمعاصي؛ فإنَّ الحسنة بعشرِ أمثالها والسيئة بمثلها، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُهُ هُبِنَ السَّيِّفَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١). السَّيِّفَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُّ : «اتَّقِ الله حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وَخَالِقِ النَّاسَ بخُلُق حَسَن »(١).

وقالَ عَلَيْ : « مَنْ تَوَصَّاً فَأَحْسَنَ الْوُصُوءَ ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ ، حَتَّىٰ تَحْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهَ » (٢) .

وقالَ عَلَيْهُ: « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فَنْبهِ » (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة هود، الآية: ١١٤.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب البر والصلة ) باب « ما جاء في مُعاشرة النَّاس » وحسَّنه الألباني .

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الطهارة) باب « خُروج الخطايا مع ماء الوضوء ».

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب « صَومُ رمضانَ احْتسابًا من الإيمانِ ٥.

وقالَ عَلَيْكَ : ﴿ بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ ، (١)(\*) .

وقالَ عَلَيْ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَاخَرَهُ ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ ، (٢) (٠٠).

وقالَ ﷺ : « مَنْ حَجَّ اللهِ ؛ فَلَمْ يَرْفُتْ ، وَلَمْ يَفْسُقُ ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، (٣) .

وقالَ عَلَىٰ ؛ وَالْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ يُكَفِّرُ كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الدَّيْنَ هِ ( \* ) .

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء) باب وحديث الغاره.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الأذان) باب و فضل التهجير إلى الظهر، .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الحج) باب وفضل الحج المبرور ٥.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه مسلم في (كتاب الإمارة ) باب ٩ من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إِلاَّ الدُّين ٩ .

<sup>(\*)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (هذه سقت الكلب بإيمان خالص؛ فغفر لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلبًا يغفر لها) ومنهاج السئنة ، ج٣، ص١٨٣٠.

<sup>( \*\* )</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (هذا الذي نحى غصن الشُوك عن الطريق؟ فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه؛ فغفر له بذلك) ومنهاج السُنّة ، ج٣، ص ١٨٣٠.

#### ٣- المصائبُ المُكفرة:

هي المصائب، أو المكروهات، أو الآلام والعذاب؛ الَّتي تُصيبُ العبدَ المسلمَ في نفسهِ، أو في مالهِ، أو أهلهِ، ويتأذى بها، وإنْ صغرت.

فإذا صبرَ العبدُ على المصائب بجميع أنواعها وأشكالها، واحتسب أجرها، وقوية يقينه باللهِ تعالى، وشكرَهُ وحمدهُ، وذكرهُ كثيرًا، واستغفرَ لذنبه، وتوكّل عليه حقّ توكله، وصدق مع الله تعالىٰ؛ فقد فاز بالثّوابِ الجزيل، وكُفّرت خطاياه وإن كبرت، وتجاوز عنه سيئاته وإن عظمت!

وإن سَخِطَ العبدُ! اكتسب إِثمًا، وبقيت خطاياه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَاً وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَنُونَ مِنْ عَدُو ّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَب، وَلاَ هَمَّ وَلاَ حَزَنِ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمِّ – حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا – إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » (٢).

وقالَ عَلَيْكَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً ! فَمَا فَوْقَهَا ؛ إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً » (٣) .

<sup>(</sup>١) سورة التوية، الآية: ١٢٠.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب المرضى) باب ١ ما جاء في كفارة المرض ١٠.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب البر والصلة والآداب) باب ه ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو خزن، ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْكُ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكُ وَعَكُ شَدِيدًا، قَالَ عَلِيْكُ : يُوعَكُ وَعَكُ شَدِيدًا، قَالَ عَلِيْكَ :

﴿ أَجَلْ ؛ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَن مِنكُمْ ، قَالَ : لَكَ أَجْرَانِ؟ قَالَ عَلِيُّهُ :

« نَعَمْ! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ؛ إِلاَّ حَطَّ اللهُ سَيِّعَاتِهِ ؛ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا ، (١).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ : ( عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ؛ لَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدِ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، وَكَانَ خَيْرًا ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ صَرَّاءُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، وكَانَ خَيْرًا ، (٢).

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أبو هُريرة، رضي اللهُ عنهُ:

« مَا مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِي ! أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحُمَّىٰ ؛ لأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنِّي ، وَإِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلً – يُعْطِي كُلَّ عُضْوِ قِسْطَهُ مِنَ الأَجْرِ ، (^^).

وكذلكَ ما يحصل للعبد المؤمنِ من الحن، والأهوالِ، والكُرباتِ، والظُّلماتِ، والشَّدائد؛ من ساعة موته إلى عرصاتِ القيامة، وإلى أن يُنجِيهِ اللهُ تعالىٰ من الحسابِ يوم القيامة، وإلىٰ دخولهِ جنَّة الخُلدِ؛ فهذه كقَّارةٌ

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب المرضى ) باب ، أشد النَّاس بلاء الأنبياء ، .

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في ا مسنده ، في (أول مسند الكوفين) عن صهيب بن سنان ، رضي الله عنه ؛ برقم ( ١٤٨) .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في كتاب: «الأدب المفرد» باب ( يُكتبُ للمريضِ ما كانَ يعملُ وهو صحيحٌ) وصححه الألباني.

#### ٤ - ما يُعْمَلُ للميِّتِ من أعمال البرِّ:

إِنَّ أَثَارَ الأَعمال الصَّالَحة للمؤْمنينَ؛ تصلُ للعبدِ المسلم في حياته وبعد مماته؛ كالدُّعاء له بالمغفرة والرَّحمة، والاستغفار لَهُ من الذَّنوب، والتَّرَحُّم عليه، والصَّلاة على جنازته، وزيارة قبره، والحجِّ عنه، ونحو ذلك من الأَعمال الصَّالَحة الثابت شرعًا؛ فذلك شفاعة له عند الله – عرَّ وجلَّ – قالَ الله تبارك و تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (' ' .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تُصَلُّ عَلَىٰ أَحَدِ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرهِ ﴾ (١٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْم يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِح يَدْعُو لَهُ»(°).

<sup>(</sup>١) سورة الحشر، الآية: ١٠. (٢) سورة محمد عَك، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩. (٤) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

 <sup>(</sup> ٥ ) رواه مسلم في ( كتاب الوصية ) باب « ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته » .

وقالَ عَلَيْهُ : « قَدْ تُولِمَي اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الحَبَشِ ؛ فَهَلُمَّ ! فَصَلُوا عَلَيْهِ » (١).

وقالَ تَوْلِكُهُ: ٥ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ؛ فَيَقُومُ عَلَىٰ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا؛ إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهَ » (٧٠ .

وقالَ عَلَيْكُ : ﴿ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىٰ الْمَيِّتِ ؛ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ ﴾ (٣).

وقالَ عَلَىٰكَ : «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ! وَسَلُوا لَهُ بِالتَّشْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ ، ('').

ومن أَدَعيةِ النَّبِيِّ عَلِيُّكُ في صلاةِ الجنازةِ:

« اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لَهُ ، وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ ، وَاعْفُ عَنْهُ ، وَآكْرِمْ نُزُلُهُ ، وَوَسَعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْفِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ مُدْخَلَهُ ، وَاغْفِهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ الْتُوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِدْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، (° ) .

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الجنائز ) باب والصفوف علىٰ الجنازة ٥.

<sup>(</sup>٢) زواه مسلم في (كتاب الجنائز ) باب « مَن صلَّىٰ عليه أربعون شُفَّعوا فيه ».

<sup>(</sup>٣) رواه أبو داود في (كتاب الجنائز ) باب والدُّعاءُ للميَّت ، وحسَّنهُ الأَلبانيُّ.

<sup>(</sup>٤) رواه أبو داود في (كتاب الجنائز) باب والاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في والمستدرك ، ج١، ص ٣٧٠.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه مسلم في ( كتاب الجنائز ) باب والدُّعاءُ للميتِ في الصلاة ، .

#### ه \_ عذابُ القبر:

فمن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ عذابَ القبرِ حقٌّ، بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدُ الْعَذَابِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُ عَلَيْهُ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَارِ عَلَىٰ بَعْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ؛ إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ! وَإِذَا أَثْبُرٌ سِيَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: « مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرَ »؟ أَقْبُرٌ سِيَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: « مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرَ »؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: « فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلاءِ »؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: « فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلاءِ »؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: « إِنَّ هَذِهِ الأُمَّة تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا ؛ فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعُوْتُ اللهُ فَقَالَ: « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّة تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا ؛ فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعُوْتُ اللهُ أَنْ يُسْمَعُكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ » ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ: « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ » (").

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهُ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ:

<sup>(</sup>١) سورة غافر، الآية: ٤٦. (٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب ٥ عرضٍ مقعد الميت من الجنَّة أو النَّار عليه ».

« إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ! وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا؛ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ؛ فَكَانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ، (١٠).

ومن عقيدة أهل السُنَّة والجماعة: أنَّ ما يحصل للعبد المؤمن في قبره من الفتنة، والضغطة، والرَّوعَة؛ يُكَفَّرُ الله - تبارك وتعالىٰ - به خطاياه وسيئاته، قال النَّبِيُ عَلَيْه :

﴿ إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ! فَإِنْ نَجَا مِنْهُ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَجَا مِنْهُ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمَ مِنْهُ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُ مِنْهُ ﴾ (٢).

وضمَّةُ القبرِ أَوَّلُ مَا يلاقيه الميتُ في عالم البرزخ، قالَ النَّبِيُّ عَلَى ا

« إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً ! وَلَوْ كَانَ أَحَدُّ نَاجِيًا مِنْهَا ! نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذِه (٣).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْ قَالَ عَنْ سَعْدِ بُن مُعَاذٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حِيْنَ تُوفِّيَ:

« هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْمَلائِكَةِ؛ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ (٤٠).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ صَبِيًا دُفْنَ، فَقَالَ عَلِيُّهُ:

<sup>(</sup> ١ ) رواه البخاري في (كتاب الوضوء ) باب دما جاء في غسل البول . .

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في (كتاب الذبائح ) باب ه أبواب الزهد، وحسنه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عائشة، رضي الله عنها. وصححه الأاباني في «الصحيحة» برقم: ( ١٦٩٥).

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في ( كتاب الجنائز ) باب «ضمة القبر وضغطته» وصححه الألباني.

## « لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ ؛ لأَفْلَتَ هَذَا الصَبِيِّ » (١).

ومن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ أعمالَ ابن آدمَ لم تنقطع بموته! ولم يقف عدَّادِ الحسناتِ والسَّيئاتِ؛ بلَ أنَّ من أعماله الصَّالحة حسناتٌ جاريةٌ إلىٰ قيام السَّاعة، ومن أعماله الطالحة سيئاتٌ جاريةٌ.

فاَمًا الأعمالُ الصَّالحة: كمن تصدَّق بصدقة جارية، أو علَّم علمًا نافعًا، أو دلَّ غيره على عمل صالح، أو كان له ذرية يعملون بعد موته بطاعات، وكل ذلك مما يجعل للميت مجالاً لزيادة الحسنات.

وأما الأعمالُ الطالحة: فهو لمن دلُّ غيره على عمل فاسد، أو ابتدع بدعة، وغير ذلك مما تجري سيئات أعمالهم على فاعلها، وعلى الميت، الذي كان سببًا في فعل تلك السيئات والبدع.

ولذا! من عظيم حكمة الله تعالى؛ أنَّ ميزانَ العبد المسلم بعد موته لا اعتبار لها؛ بل الحكمُ الأَخير لميزان أعماله في آخر المطاف في ميزان الحقِّ يومَ الحساب، والتي بعدها تكون الحياةُ الآبدية من دخول الجنَّةِ، أو النَّارِ.

وهذا المعنىٰ يتجلَّىٰ في قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ الْوَزْنُ يَوْمَتِنْدِ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠).

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مُوازِينَهُ ﴿ فَهُو فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ج٤، ص١٢١. وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢١٦٤).

 <sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٨.
 (٣) سورة القارعة، الآيتان: ٦ – ٧.

## ٦- الشُّفاعةُ يومَ القيامةِ:

والشَّفاعَةُ من رحمةِ اللهِ - تبارك وتعالى - لعبادهِ المؤمنين يوم القيامة: يوم الحسرة والنَّدامة، يوم لا ينفع مالٌ، ولا بنونَ؛ إِلاَّ مَن أَتَىٰ الله بقلبٍ سليم.

فشفاعةُ النّبِي عَلَيْ لأُمّته، ثمَّ شفاعةُ غيرهِ؛ ثمّن ياذنُ اللهُ تعالىٰ لهم بالشفاعةِ في ذلك اليوم العصيب - والله المستعانُ - وهم الملائكة، والنبيُّون، والشّهداء، والصدّيقون، والصّالحون، والمؤمنون.

وأعظمُ الشُّفاعاتِ في ذلكَ اليوم الرهيب: شفاعةُ النَّبِيِّ عَلَيْكُ لأُمَّته:

- شفاعته عَيْثُ لأهلِ الموقف لفصلِ القضاء بينهم؛ هي المقام المحمود.
  - شفاعته عَظِيُّهُ لأَهل الجنَّة؛ أن يدخلوا الجنَّة.
- شفاعته عَلَيْ لرفع درجات بعض أُمَّته ثمن يدخلون الجنَّة إلىٰ
   درجات عليا.
  - شفاعته ﷺ لطائفة من أمّته يدخلون الجنّة بغير حساب.
- شفاعته عَلَيْهُ في أقوام قد تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنّة، وفي آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النّار أن لا يدخلوها.
- شفاعته عَلَيْكُ في إخراج عصاة الموحّدين من النّار؛ فيشفع لهم عَلَيْكُ فيدخلون الجنّة.
- ثم يُخرِجُ الله تبارك وتعالى من النّار أقوامًا بغير شفاعة؛ بل
   بفضله ورحمته وكرمه.

## ٧ - رحمةُ اللهِ - الغفور الرَّحيم -؛ وعفوه، ومغفرتُه، وكرمه:

عفو أرْحَمِ الرَّاحمين، وتجاوزه عمَّا يستحقون من عبادهِ المذنبينَ الموحدينَ من العقابِ والعذابِ الأليم؛ أهمُّ وأعظمُ أسبابِ نجاة العبد الموحِّد من نارِ جهنَّم، وعذابه المهين، وفوزه بالجنَّة النَّعيم الدَّائم.

وكلُّ ذلكَ يكونُ بفضلِ الله - تبارك وتعالى - وحده لا شريك له، وبرحمته الواسعة، ومنه العظيم، وكرمه وفضله الجزيل، وإحسانه الكبير؛ من غير شفاعة أحد، والحمد الله رَبُّ العالمين، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ ((). وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ (().

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٣). وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو ٌّ غَفُورٌ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (١٠).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : « يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَىٰ يَضعَ عَلَيْهِ كَنْفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٤) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

<sup>(</sup>٦) سورة النساء، الآية: ٤٣.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨ - ١١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الشوري، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup>٥) سورة الحج، الآية: ٦٠.

الْيَوْمَ؛ فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ؛ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلائِقِ؛ هَوُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللّهَ، (١).

وقالَ ﷺ : «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبِ أَمْثَالِ الْجَبَالِ ؛ فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ ، وَيَضَعُهَا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ »(٢).

وقالَ عَلَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي ؟ غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ، وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُو بُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ؛ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ مَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ؛ ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ؛ ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ؛ لأَتَيْتُكَ بقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ، (٢).

نسألُ الله العظيم رَبُّ العرش العظيم؛ أن يجعلنا من عباده الصَّالحين العاملين المتَّقين الموحِّدين؛ الذين ينالون رحمتَه، وفضله، وجنَّته.

ونسالُهُ - جلَّتْ قدرتُه - أن يعاملنا؛ بلطفه وإحسانه، ويتجاوز عن سيئاتنا يومَ القيامة؛ برحمته وفضله ومنه؛ آمين! آمين! ياربُّ العالمين.

<sup>(</sup> ¹ ) ، ( ° ) رواهما مسلم في ( كتاب التوبة ) باب « قبول توبة القاتل وإن كثر قتله » .

 <sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب الذبائع) باب والدعوات؛ فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وصححه الألباني.

#### طبقات عصاة الهوحدين يوم الدين

فالذي دلَّ عليهِ الكتابُ، والسَّنَّةُ، والإجماعُ من أقوالِ أَثَمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ: أَنَّ عُصاةَ الموحَّدينَ يومَ القيامة، وإنْ استحقُّوا العقوبة؛ فإنَّهم لا يُخلدُّونَ في النَّارِ، وذلكَ بفضلِ اللهِ – جلَّ وعلا – ومنَّه وكرمِهِ.

وأَنَّ عُصاةً أَهلِ التُّوحيدِ يومَ القيامةِ ثلاثُ طبقاتٍ:

الطَّبقةُ الأُولىٰ: قومٌ رجَحَت حسناتُهم بسيَّعاتِهم؛ فأُولعَكَ يَدخُلُونَ الجُنَّةَ من أَوَّل وَهْلةٍ، ولا تَمَسُّهم النَّارُ أَبَدًا.

الطَّبَقةُ الثَّانية: قومٌ تَساوت حسناتُهم وسيِّعَاتُهم، وتكافأت فقصرَّتْ بهم سيِّعاتُهم عن النَّار، وهؤلاء هُم بهم سيِّعاتُهم عن النَّار، وهؤلاء هُم أصحابُ الأعراف – في أصحِّ أقوال أهل العلم – الذين ذكر الله – تبارك وتعالى – أنَّهم يوقفون بين الجنَّة والنَّارِ، ما شاء الله أن يوقفوا؛ ثمَّ يُؤذَن لهم في دخول الجنَّةِ، والحمدُ للهِ.

الطّبقة الثّالثة: قومٌ لَقُوا الله تعالى مُصرِّينَ على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصلُ التَّوحيد؛ فرجَحَتْ سيّئاتُهم بحسناتِهم؛ فهؤلاء مستحقُون للوعيد، وهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذّبهم، وإن شاء غفر لهم؛ فمنهم من يشفع له فلا يُعَذّبُ، ومنهم الذين يدخُلون النَّارَ بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذُه النَّار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم

مَن تأخُذُه إِلَىٰ ركبتيه، ومنهم مَن تأخُذُه إِلَىٰ حِقْوَيْه، ومنهم مَن فوقَ ذلك؛ حتَّىٰ إِنَّ منهم مَن لم يحرَّم منه علىٰ النَّار إِلاَّ أَثْرَ السَّجودِ، حرَّم اللهُ علىٰ النَّار إِلاَّ أَثْرَ السَّجودِ، حرَّم اللهُ علىٰ النَّار أَن تأكُل آثرَ السَّجودِ.

وهؤلاءِ هُمُ اللّذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمّد عَلِيكُ ولغيرهِ من الأنبياء من بعده، والأولياء، والملائكة، ومَن شاءَ الله أن يُكرِمَه بها؛ فيَحُد لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ يَحُد لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ هكذا، فيُخرج مَن كان في قلبه وزنُ دينار من خير، ثمَّ مَن كان في قلبه نصفُ دينار من خير، ثمَّ مَن كان في قلبه إلى دينار من خير، ثمَّ أدنى من ذلك إلى دينار من خير، ثمَّ أرَةٍ من خير، ثمَّ خردلة، ثمَّ ذرّةٍ، ثمَّ أدنى من ذلك إلى أن يقولَ الشفعاءُ: (ربَّنا لَمْ نَذَرْ فيها خَيْرًا).

ويُخْرِجُ اللهُ تعالىٰ من النَّارِ أقوامًا لا يَعلمُ عدَّتَهم إِلاَّ هُو؛ بدون شفاعة الشَّافعين، ولن يخلد في النَّار أحدٌ من الموحّدين، ولو عمِلَ أيَّ عمل، ولكن كلُّ مَن كان منهم أعظمَ إِيمانًا وأخفَّ ذنبًا كان أخفَّ عذابًا في النَّار وأقلَّ مكثًا فيها وأسرع خروجًا منها، وكلُّ مَن كان أضعفَ إِيمانًا وأعظمَ ذنبًا كان بضدٌ ذلك، والعياذ بالله.

وهذا مقامً ! ضلَّتْ فيه الأفهامُ، وَزَلَّتْ فيه الأقدامُ، وهدى اللهُ تعالىٰ اللهُ تعالىٰ اللهُ تعالىٰ اللهُ يهدي مَن يشاء الذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنه - سبحانه - واللهُ يهدي مَن يشاء إلىٰ صراط مُستقيم (١).

<sup>(</sup>١) انظر: ومعارج القبول، للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي، ج٣، ص١١٩٦. دار ابن الجوزي، بتصرف يسير.

## نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة

## نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة

• تعريفات لا بُدُّ منها:

تعريفُ: النَّاقض، الرِّدة، الكُفر، الشُّرك، النَّفاق، الفسق، الظُّلم، الهوى، الموالاة والمعاداة.

• قواعدُ وضوابطُ في التَّكفير.

\* موقف أهل السُّنَّة والجماعة من مسألة التَّكفير.

\* خطورة تكفير المسلم.

\* التفريق بين التَّكفير المطلق والتَّكفير المعيَّن.

\* اعتبار الظُّاهر في مسائل الكفر والإيمان.

\* الوعد والوعيد.

\* تكفير من ثبت كفره.

\* ما يمحو الكفر بعد وقوعه على المعيّن.

• موانع التكفير:

العجز ، الجهل ، الخطأ ، التأويل ، الإكراه ، التَّقليد .

• نواقضُ الإيمان وأنواعها.

• أسبابُ تركِ الإيمان والإعراضُ عنه.

# 

أرى مِنَ الضَّروريِّ - أَخِي المسلم الكريم - قبلَ البدءِ ببيانِ عقيدةِ السَّلفِ الصَّالحِ - أهلِ السُّنَةِ والجماعةِ - في نواقض الإيمان؛ أنْ أُبيِّنَ بعضَ المصطلحات، والمفاهيم، والقواعد، والأُسُس، والضوابطِ العقدية؛ عندهم في بابِ الكُفرِ ومسائله؛ حتى تُعيننا على فهم هذه النَّواقض، ونسلم من الوقوع في المخلفاتِ الشَّرعيَّةِ.

وتحديدُ المصطلحاتِ العقديَّةِ؛ أمرٌ ضروريٌّ، ومهمٌّ جدًّا! لفهمِ عقيدةِ السَّلفِ الصَّالحِ - أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - قبلَ الحُوضِ في أبوابهِ وفصولهِ؛ لأنَّ الأحكام مبنيَّةٌ على التَّعريفِ الصَّحيحِ المتفقِ عليهِ عندَ أهلِ الفنِّ؛ فإذا لمَّ نَفْهَمِ التَّعريفَ الصَّحيحِ المتفقِ عليهِ عندَ أهلِ الفنِّ؛ فإذا لمَّ نَفْهَمِ التَّعريفَ الصَّحيحَ لمصطلحاتِهِمْ وقواعِدهِم العَقديَّةِ، وبوضوحٍ شاملٍ وكاملٍ؛ فلنْ نتَفقَ معهمْ ابتداءً على فهم عقيدتهم .

والاصطلاح ضروري لكل علم؛ كالموضوع نفسه سواء بسواء؛ فلا يمكن الخوض في أيّ علم من العلوم؛ ما لم تُحدَّدْ مسائلُه، ومنهجه، ومصطلحاته، وغايته؛ لأنَّ لكل علم من العلوم؛ مصطلحاته الخاصة به التي تعارف عليها المختصون فيه، تدلُّ عليها، وترشدُ إليها، والشروع في أيّ علم من العلوم يتوقّف على تحديد مصطلحاته تحديداً دقيقاً بيّنًا؛ حتى يمكن تمييرُ مسائلِه من غيره من العلوم.

قالَ علماءُ الفنِّ: (إنَّ الاصطلاحَ لغةً: الاتَّفَاقُ)(١).

والاصطلاحُ: (هو اتّفاقُ طائفة على وضع أمرٍ لاَمر؛ حتى إِذا أُطلقَ انصرفَ إِليه) (٢٠). و(هو اتّفاقُ طائفة على وضع اللَّفظ بإِزاء المعنى، وقيل: هو إِخراجُ الشيء عن معنَّى لغويُّ إلى معنَّى آخَرَ لبيانِ المراد) (٢٠).

## الاصطلاحُ في العلوم الشرعية:

هو ما تعارفَ عليه علماءُ المسلمينَ من الألفاظِ والتَّراكيبِ، في التَّعبيرِ عن مقاصدِهم الشَّرعيَّة؛ لكلِّ علم من العلوم الإسلاميَّة.

(والتعبيرُ عن الحقّ بالألفاظ الشَّرعيَّة النبويَّة الإلهيَّة ؛ هو سَبيلُ أَثمَّة السَّلف الصَّالح، أهل السُّنَّة والجماعة )(1).

ومصطلحاتُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ؛ تنقسمُ قسمينن:

١- المصطلحاتُ العقديَّةُ الشَّرعيَّةُ: هي تلكَ الأَلفاظُ الجامعةُ المانعةُ الدَّافعةُ للشبهةِ والمزيلةُ للبسِ؛ الَّتي وردَتْ في الكتاب، والسُنَّة، أو في الدَّافعةُ للشبهةِ والمزيلةُ للبسِ؛ الَّتي وردَتْ في الكتاب، والسُنَّة والجماعة، أو لَمْ تَرِدْ، ولَكِنْ دلَّتْ عليها المعاني الصحيحةُ، أو استنبَطها الأَئمَّةُ من أُصول الشَّريعةِ وقواعدها.

٢- المصطلحاتُ العقديَّةُ الفاسدةُ: هي تلك الألفاظُ التي لَمْ تَرِدْ في الكتاب، والسُنَّة، ولا في أقوالِ أَثْمَةِ أَهلِ السُنَّةِ والجماعةِ، أو هي من ألفاظِ الكتابِ والسُنَّةِ، ولكنها حُرِّفَتْ واستُعمِلَتْ في غير مواضِعِها.

<sup>(</sup> ۱ ) ٥ كتاب التعريفات ، الجرجاني : ص٢٨ .

<sup>(</sup>٢) وحاشية الباجوري على ابن قاسم و ج١، ص٠٠.

<sup>(</sup>٣) ه كتاب التعريفات ، الجرجاني: ص٢٨.

<sup>(</sup>٤) • شرح العقيدة الطحاوية » ابن أبي العز: ص٧٠.

#### • تنبية مهم ! وفائدة عزيزة !:

اعلم! أخي المسلم الكريم؛ علَّمنا الله تعالى وايَّاك طريق الهداية:

أَنَّ من أَعظمِ الأُصولِ؛ الَّتي تميَّزَ بها أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة - الفرقة النَّاجيَّة والطَّائفة المنصورة - عن سائر الفِرَقِ المبتدعة الضَّالة:

\* أَنَّ مُسَمَّىٰ الإِيمَانَ عندهم: شُعَبٌ، ومراتبٌ، ودرجاتٌ متفاوتة؛ كما ثبتَ ذلك استنباطًا من الأَدلَّة الشَّرعيَّة المرعيَّة المحكمة.

\* وما يقابل الإيمان ويضادُه! من الكُفْرِ، والشّركِ، والنّفاق، والفِسْق، والظّلم، والهوى؛ كذلك هي: شُعبٌ ومراتبٌ ودركاتٌ.

\* وإنَّ هذهِ المصطلحات: تنقسم - عندهم - باعتبارات متنوعة ؛ من حيث حكمها، وبواعثها، وأسبابها، ومن حيث أصلها، أو أنَّها طارئة ؛ فتنقسم إلى قسمين: أكبر، وأصغر.

فَالْأَكِبرُ مَنْهُ: مَخْرَجٌ مِنَ اللَّهُ؛ لأَنَّهُ شُرطٌ فِي أَصِلَ الإِيمَانِ.

والأَصغرُ منه: غير مخرج من الملَّة؛ لأنَّهُ لم يكون شرطًا في أَصل الإيمان.

فهذا التَّقسيم المحكم! مأْخوذٌ من الاستقراء والتَّأملِ والتَّدبُّرِ؛ لأَنَّ أَمَلَ السُّنَة والجماعة الأعلام، والعلماء الشَّريعة العظام؛ لما استقرءوا ما جاءت به النُّصوص؛ من الكتاب، والسُّنَة؛ ظهر لهم هذا التَّقسيم الشَّرعيُّ البديع.

\* وبهذا التَّقسيم الدَّقيقُ؛ الذي هو قسطاسُ الحقِّ في تنزيل الأَحكام الشَّرعيَّة المرعيَّة على المكلفِ؛ بالقسط والعدل:

سَلِموا من الوقوع في التَّناقض، والتَّعميم في الحكم، والإفراطِ والتَّفريط، وكانوا بهذا الميزان الحقّ؛ امتدادٌ حقيقيٌ لما كان عليه الصَّحابة الكرام؛ رضى اللهُ عنهم أجمعين.

والإيمانُ عند أهل السُنَّة والجماعة؛ كشجرةِ! أصلها ثابتٌ في الأرض، وفروعها في السَّماء؛ فالأصل إذا ذهب؛ ذهبت الشَّجرة - هو مخرج من الإسلام - والأغصان إذا قطع؛ نقص من الشَّجرة، ولكنَّ الأصل باق! أي: هو غير مخرج من الإسلام! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وبعد هذا التوضيح الموجَزِ؛ نبدأُ بتعريفِ المصطلحاتِ العقديَّةِ عند أَئمَّة السَّلفِ الصَّالح - أهلِ السُنَّةِ والجماعةِ - فأقولُ وبالله التَّوفيق:

<sup>(</sup> ١ ) سورة إبراهيم، الآيتان : ٢٤ - ٢٥ .

#### ( 1 ))

## « تعريفُ النَّاقض »

## النَّاقضُ في اللُّغةِ:

الْمُفْسِدُ لِمَا أُبرِمَ مِنْ عَقْدٍ، أو بناءٍ؛ فهو بمعنى: ناكثِ الشَّيْءِ، ومنشرِ العقدِ، والنَّقضُ ضدُّ الإبرام، ونقضت الحبل نقضًا؛ حَلَلْتُ بَرَّمه.

ونقيضك؛ هو الذي يخالفك، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدَتُمْ وَلا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ آَلَ ۗ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثُنا ﴾ (١٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (٢٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلُّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾ (١٠).

والفرقُ بينَ النَّاقضِ والضدِّ :

فالنَّاقضُ بما يمتنع فيه الارتفاع والاجتماع: مثل إِثباتُ الشَّيْءِ ونفيهِ،

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآيتان: ٩١ – ٩٢. (٢) سورة الرعد، الآية: ٢٠.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧. ﴿ ٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٦.

ومثل الحركة والسُّكون؛ فهذان أمران متناقضان! لأنَّهما لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فإنْ وجد الآخر؛ فلا يرتفعان؛ فإنْ وجد الآخر؛ فلا تتصور شيعًا متحركًا وساكنًا في الوقت نفسه.

أمًّا الضدَّانِ؛ فيمتنع اجتماعهما! لكن يمكن افتراقهما جميعًا، مثل: الأبيض والأسود(١)(\*).

## النَّاقضُ في الاصطلاح:

هو الاعتقادُ، أو القولُ، أو الفعلُ المكفِّرِ؛ الَّذي يزيل الإيمانَ ويقطَّعُهُ، ثمَّ ينتفي بهذهِ الأُمورِ؛ إيمانُ العبدِ ويزوُلُ، ويُخرِجُهُ من دائرةِ الإسلام والإيمان، إلى حظيرةِ الكُفر والرُّدَّة، والعيادُ باللهِ.

أي: هو إتيان ضدّ ما عليه الإسلام والإيمان، ويقع ذلك في أيّ نوع من أنواع التّوحيد؛ لأنّه إذا أسلم العبد وآمن؛ فلا يكون مسلمًا ومؤمنًا؟ حتّىٰ يبرأ من ضد الإسلام والإيمان، وهو الشّرك والكفر؛ ثم إذا خالف ذلك؛ فقد جاء بناقض.

وفي « المصطلح الفقهيّ » عند الفقهاء ، رحمهُمُ اللهُ تعالىٰ: يُطلق اسمُ المُرتدّ علىٰ الذي يُنقضُ إِيمانُهُ ؛ بهذه المُكفّرات الثّلاثَة .

وفي كُتبِ الفقهِ؛ بابُّ يُسمَّىٰ: (باب المرتَدُّ وأحكامِهِ).

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللُّفة: ولسان العرب: ج٧، ص٢٤٢، ووتهذيب اللُّفة، ص٨، ج٣٤٤. وومصباح المنير، ص٧٦٢. ووالتعريفات، ص٥٤٥.

<sup>(\*)</sup> فاثدةً: اعلم! أنَّ المكفرات من الاعتقاد والقول والعمل؛ تَنْقُضُ الإيمان وتزيله، أمَّا ساثر المعاصي والذُّنوب؛ تُنْقِصُ الإيمان ولا تزيله.

#### ( Y ))

## « تعريفُ الرِّدَّة »

## الرِّدَّةُ في اللُّغةِ:

صَرفُ الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يُقالُ: رددته فارتداً، ويُقالُ: رددته فارتداً، ويُقالُ: رددته فارتداً،

والارتدادُ والرِّدَّةُ: الرُّجوعُ في الطريقِ الَّذي جاء منه؛ لكن الرِّدَّة تَخْتَصُّ بالكُفر، والارتداد يُستعمل فيه وفي غيره، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ وَلا تَرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ (١). أي: لا ترجعوا.

والرِّدَّةُ: اسمٌ من الارتداد، وهو التَّحوُّلُ والرُّجوعُ عن الشَّيْءِ إِلَىٰ غيرِهِ، ومنهُ الرُّجوعُ عِن الإسلام. والمرتدُّ: أي: الرَّاجعُ، وهو الَّذي رجعَ عن دينهِ، وكَفَرَ بعد إسلامه (٢).

#### الرِّدَّةُ في الاصطلاح:

هي الكُفرُ بعد الإسلام طوعًا؛ إِمَّا باعتقاد، أو بفعل، أو بقول، أو شكِّ، أو ترك؛ يصدر من مسلم عاقل بالغ؛ فيخرجه عن دينه، ويهدر دمّهُ ومالَه، ولو كان مازحًا، أو معاندًا.

والمرتد : هو الَّذي يطرأ عليه الكُفْرَ؛ بعد إسلامِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

<sup>(</sup>٢) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب»: ج٣، ص١٧٢. و«المفردات في غريب القرآن» ص١٩٢. و«النهاية في غريب الحديث» ج٢، ص٢١٤.

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَيْكُ : ﴿ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ؛ فَاقْتُلُوهُ ﴿ `` .

والرِّدَّةُ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - نوعانِ:

الرَّدَّة الجَرَّدة: وهي الرَّدَّة التي تطرأُ على الشَّخص، ولا يتبعها حرب ولا أذى على الإسلام والمسلمين؛ فالأصلُ في حكمه أن يُستتاب قبل أن يُقتل - كالكافر الأصلي - فإنْ تابَ وعادَ من كفرِهِ قُبِلَ منه؛ وإلاَّ قُتِل (٢).

الرّدَّة المغلَّظة: وهي الرّدَّة التي تطرأُ على الشَّخصِ، ويتبعها حرب والخن على السَّخصِ، ويتبعها حرب والخن على الإسلام والمسلمين؛ فالأصلُ في حكمه؛ أنْ لا يُستتاب، ولا تُقبل توبته بعد القدرة عليه - كالزنديق - ويُقتل على كفرهِ.

واتَّفق أهلُ السُّنَة والجماعة؛ على أنَّ الرِّدة لا تصحُّ إِلاَّ من عاقل؛ فأمًّا مَن لا عقل المُّذة لا تصحُّ إِلاَّ من عاقل؛ فأمًّا مَن لا عقل له كالطفل، والمجنون، ومَن زال عقله بإغماء أو نوم، أو مرض، أو شُرْبِ دواء يُباح شربه فلا تصحُّ ردَّته، ولا حُكمَ لكلامه بغير خلاف(1).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب و لا يعذب بعذاب الله ع .

<sup>(</sup>٣) ومن العلماء من يرى أنَّهُ لا تُقبلُ توبته في درء حد الرَّدة عنه.

<sup>(</sup>٤) انظر كتب الفقه: «الأم» للإمام الشافعي، ومختصر المزني بحاشيتها: ج٥، ص١٦٥. وج٢، ص١٤٥ وج٢، ص١٤٥ وج٢، ص١٤٥ وج٢، ص١٤٥ وج٢، ص١٤٥ وحوضة الطالبين، للنووي؛ ج١٠، ص٤٦. وه روضة الطالبين، للنووي؛ ج١٠، ص٤٦. وه قيلوبي وعميرة، ج٤، ص١٧٤ وه المبسوط، للسرخسي؛ ج١٠ ص٩٨ وه بدائع الصنائع، للكاساتي؛ ج٩، ص٢٨٦ وو فتح القدير، لابن همام؛ ص١٨٦ وه المبتحر الرائق، لابن نجميم؛ ج٥، ص١٢٩ . وه حاشية رد المحتار، لابن عابدين؛ ج٤، ص٢٠١ . وه حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج٤، ص٢٠١ . وه بلغة =

#### ( T)

## « تعريفُ الكُفر »

## • الكُفْرُ في اللُّغةِ:

هو السِّترُ والتَّغطية. يُقالُ لمن غطَّىٰ درعه بثوبه: قد كَفَرَ درعَهُ. والمكَفّرُ: الرَّجل المتغطّي بسلاحه.

ويُقالُ: كَفُّرَ الزَّارِعِ البذر في الأرض: إِذَا غطَّاهُ بالترابِ.

وسُمِّيَ اللَّيلُ كَافِرًا لتغطيتهِ كُلُّ شيء، وعلىٰ البحرِ: لسترهِ ما فيه.

ومن هنا جاء تسمية الكفّارات بهذا الإسم؛ لأنَّها تُكَفِرُ الذُّنوب، أي: تسترها؛ مثل كفّارةُ الأيمان، وكفّارةُ الظّهارِ.

والكُفر: ضِدُّ الإيمان؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّه تغطيةٌ للحقِّ.

والكُفر جُحود النَّعمة، وهو نقيضُ الشُّكر.

والكَافرُ: جاحدٌ لأَنْعُم الله تعالىٰ (١).

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللَّغة: «لسان العرب» ج٥، ص٤٤ . و«معجم مقاييس اللَّغة» مادة: كفر. و«القاموس الحيط»: فصل الكاف، باب الراء. و«تاج العروس»: ج٤١، ص٥٠ . و«مفردات القرآن» ص٤٠. و«المعجم الوسيط» ص٧٩١ .

## • الكُفْرُ في الإصطلاح:

هو كلُّ اعتقادٍ، أو قولٍ، أو عملٍ؛ ينافي الإيمانِ، وهو علىٰ شُعَبٍ، ومراتبَ متفاوِتَةٍ.

أي: هو نَقيضُ الإيمانِ وضدُّهُ، أو هو: عدمُ الإيمانِ.

والإيمانُ: هو الإقرار التَّام ظاهرًا وباطنًا؛ بما جاء به الرَّسولُ عَلَيْكُ من الإيمانُ باللهِ، وملائكتِهِ، وكتبهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِهِ وشرِهِ، والعملُ بهِ ظاهرًا وباطنًا. أي: هو جميعُ الطَّاعاتِ الباطنةِ والظَّاهرَةِ.

والكُفرُ: هو ما يناقض هذا الإيمان؛ من اعتقادٍ، أو قولٍ، أو عملٍ.

والكُفرُ في الأصلِ: هو الكُفر بالله - جلّ في عُلاه - وعدمُ الإيمانِ بهِ - سبحانه وتعالى - أو عدم الإيمان بما جاء به رَسُوله عَلَيْ من التَّشريع والحُكمِ، أو إنكار شيء من ذلك، أو إنكار بعضه، أو الإيمان ببعضه دون بعض؛ سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب؛ بل مجرَّد شك وريَّب، أو توقَّف، أو إعراض، أو حَسند، أو كِبْر، أو بُغْضِ الدِّين، أو بُغْضِ الدِّين، أو بُغْضِ الرَّسول عَلَيْ أو سبّة، أو عداوتِه، أو اتباع لِبعض الأهواء الصَّادَّة عن البَّاع حُكم اللهِ سبحانه تعالىٰ.

ويقعُ الكُفر: باعتقادِ القلبِ، وبالفعلِ، وبالقولِ، وبالشَّكِ، وبالتركِ. إذن! الإيمان والكُفر نقيضان؛ لا يجتمعان أَلبَتَّة! ولا يتفقانِ أَبدًا! فمتىٰ وُجد أَحدُهُما؛ انتفىٰ الآخر علىٰ فور!

ومن المقرَّر في المعقول: أنَّ النَّقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان.

## • والكُفْرُ ذُو أُصُولٍ، وشُعَبٍ مُتفاوتَةٍ:

فَمَنَ الكُفْرِ مَا يُوجِبُ الحروجَ مَن ملَّةِ الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك؛ لأَنَّ الكُفرَ في لسانِ الشَّرع كفرانِ: الأكبر والأصغر.

فَيَرِدُ ذكر الكُفرِ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة؛ مرادًا به - أحيانًا - الكُفر الأَكبر، أي الخرج عن المَّلة. الأَكبر، أي الخرج عن المَّلة.

وذلكَ أَنَّ للكُفرِ شُعَبًا كما أَنَّ للإيمانِ شُعَبًا، وكما أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، فكذلك الكُفر قولٌ وعمل. والمعاصي والذُّنوبُ؛ كلُها من شُعبِ الكُفر، كما أَنَّ الطَّاعاتِ والحسناتِ؛ كلَّها من شُعبِ الإيمان.

وحقيقة الكُفرِ إذا أُطلقَ في النَّصوصِ الشَّرعِيَّةِ؛ فينحصرُ في الكفر الأَكبرِ المُخرِج من المَلَّةِ، إِلاَّ إِذا جاءَ النَّصُّ مُقيدًا على الكُفرِ الأَصغر.

### ومن أصول عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة:

أَنَّهُ مِنَ الممكنِ أَنْ يجتمعَ في العبدِ الإيمان، وبعضُ شُعبِ الكُفر أو النَّفاق الَّتي لا تنافي أصلَ الإيمان وحقيقتَه، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ (١)(\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٢)(\*\*).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧. (٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (استدلوا به على أنَّ الشخص قد تتقلب به الأحوال؛ فبكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان). وقال العلامة ابن سعدي - رحمه الله - في هذه الآية: (وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأُخرى). (\*\*) قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في هذه الآية: (أثبت لهم الإيمان به مع مقارنه =

## والكُفَّارُ في حُكمِ الشَّرعِ صنفانِ :

الصنفُ الأوّل: كفّارٌ أصليُّونَ؛ أي الذينَ لم يدخُلُوا في دينِ الإسلامِ أصلاً، وهُم: الدَّهريون، والفلاسفة، والمشركون، والجوسُ، والوثنيُّون، وأهلُ الكتابِ من اليهود والنَّصارى، وغيرهم من أمم الكُفر؛ فهؤلاء قد دلً علىٰ كُفرهمُ الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ، وموتاهُم مُخلَّدون في النَّار، ويَحرمُ عليهم دخولُ الجنَّة، وأمرُهُمْ معلومٌ من الدِّين بالضَّرورةِ.

فهؤلاء الكفّار؛ يجب على المسلمين دعوتهم إلى الإسلام حتى يستجيبوا؛ فإن لم يستجيبوا، وجب قتالهم متى استطاعوا ذلك؛ حتى يدخلوا في الإسلام، أو يدفعوا الجزية وهم صاغرون، قال الله تعالى:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَحِرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَىٰ يُعْطُوا اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُ الْحَرْدُونَ ﴾ (١). الْجِزْيَةَ عَن يَد وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١).

الصنفُ الثَّاني: المرتدُّونَ؛ الذينَ ينتسبونَ إلى الإسلام، ولكن يصدُرُ منهُم اعتقادٌ، أو فعلٌ، أو قولٌ، يُناقضُ إسلامهُم؛ فيُكَفَّرونَ بذلك، وإنْ قاموا ببعضِ شعائر الإسلام؛ كالباطنيَّة ومَن في حكمهم، وغُلاةِ الشيعَةِ، والقاديانيَّة، ونحوهم.

الشرك؛ فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسوله، لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسل واليوم الآخرة؛ فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر) «مدارج السالكين» ج١، ص٢٨٢.

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

• والكُفرُ في الشُّرع نوعان : كفرٌّ أكبر ، وكفرٌ أصغر :

النوع الأول: كفر أكبر مُخرج من الملَّة:

هو ما يناقضُ الإيمانَ، ويُبطلُ الإسلامَ، ويُوجبُ الخلودَ في النَّار.

ويقعُ بالاعتقادِ، وبالقولِ، وبالفعلِ، وبالشَّكِّ والرَّيبِ، وبالتَّرك، وبالإعراض، وبالاستكبار.

ولهذا الكُفرِ أَنواع كثيرة؛ مَن لقيَ الله تعالى بواحد منها لا يُغفر لَهُ البَّة، ولا تنفعه الشَّفاعة يوم القيامة، ومن أهمها:

## ١ - كُفرُ الإنكار والجُحودِ والتَّكذيب:

هو الكُفرُ الذي يكونُ ظاهرًا وباطنًا، مثل: اعتقادِ كَذِبِ الرُّسُلِ، وأَنَّ إِخْبَارِهُم عن الحقِّ بخلافِ الواقعِ، أو ادِّعاءِ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْ جاءَ بخلافِ الحقِّ، وكذلك مَن ادَّعَىٰ أَنَّ الله تعالىٰ حرَّم شيئًا أو أحله مع علمهِ بأَنَّ ذلك خلافُ أمر الله ونهيه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًىٰ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١).

## ٧ - كفرُ الإِباءِ والاستكبارِ مع التَّصديقِ:

هو عدمُ الانقيادِ والإِذعانِ لرَسُولِ اللهِ عَلَيْ ظَاهرًا مع العلمِ بهِ ومعرفتهِ باطنًا، وذلكَ بأنْ يُقرَّ أَنَّ ما جاءَ بهِ الرَّسُولُ عَلَيْ حقٌ من رَبِّهِ؛ لكنَّهُ يرفُضُ اتَّباعَهُ؛ أَشَرًا، وبَطَرًا، واحتقارًا؛ للحقِّ وأهلِهِ: ككفرِ إِبليسَ؛ فإِنَّهُ لم يجحد "

<sup>(</sup>١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

أَمرَ اللهِ تعالىٰ ولم يُنكرهُ، ولكن قابلَهُ بالإباءِ والاستكبارِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (١).

#### ٣- كفرُ الشَّكِّ:

الشَّكُ : هو ضدَّ اليقينِ. وحالهُ بأنْ لا يجزمَ صاحبهُ بصدقِ النَّبِيِّ عَلَيْكُ ولا كذبهِ ؛ بَلْ يشُكُ في أَمرِهِ ، ويتردَّدُ في اتّباعِهِ ؛ إِذ المطلوبُ شرعًا هو اليقينُ التَّامُ بما جاءَ بهِ الرَّسُولِ عَلَيْكُ من رَبِّهِ حقَّ ، لا مِرْيَةَ فيهِ .

فَمَنْ تَرَدَّدَ فِي اتَّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْكُ ، أَو جَوَّزَ أَن يَكُونَ الحَقُّ خلاقة ، أَو ظنَّ ذلك ؛ فقد كَفَرَ كُفرَ شك ، قالَ الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا إِلَيْهِ مُرِيب ﴾ (٧٠).

## 8 - كُفْرُ الإعراض:

بأن يُعرِض العبد بسمعِهِ وقلبِهِ عمَّا جاء بهِ الرُّسُولُ عَلِيَّة ؛ فلا يصدُّقُ ذلك ولا يكذُبُهُ، ولا يُواليه ولا يُعاديه، ولا يُصْغِي إلى ما جاء به، ويتركُ الحقَّ لا يتعلَّمه ولا يعمَلُ به، ويَهْرُبُ من الأماكن التي يُذْكَرُ فيها الحقُّ؛ فهو كافرٌ كُفرَ إعراضٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

<sup>(</sup>٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

٣) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

#### ٥ - كفرُ النَّفاق:

هو إظهارُ الإسلام والخيرِ، وإبطانُ الكُفرِ والشَّرِ.

أي: هو مخالفةُ الباطنِ للظاهرِ، وإظهارُ القولِ باللِّسانِ، أو الفعلِ؟ بخلاف ما في القلبِ من الاعتقادِ.

والمنافق: يخالفُ قولُهُ فِعْلَهُ، وسرَّهُ علانيتَهُ؛ فهو يدخُلُ الإسلامَ من باب، ويخرجُ منه باب، ويخرجُ منه باطنًا؛ فهذا هو النفاقُ الأكبرُ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنًا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠. - كُفرُ السَّبِّ والاستهزاء:

هذا النوع من الكُفريقعُ بالاستهزاء، أو الانتقاص، أو السبّ، أو السبّخرية؛ بشيء من دين الإسلام العظيم، ثمّا هو معلومٌ من الدّين بالضرورة؛ سواءً كان الشّخصُ هازلاً، أو لاعبًا، أو مُجاملاً للكفّار، أو في حال المشاجرة، أو في حال الغضب، ونحوها؛ فقد أجمع الأثمّةُ قاطبةً على كُفر فاعلِهِ وقائله، قال اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذَّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٨.

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ – ٦٦.

## ٧- كُفرُ البُغْض:

هذا النوع من الكُفر يقع بكُره دين الإسلام، أو بُغض شيء من أحكامه، أو بُغض شيء من أحكامه، أو شيء الإسلام محمّد بن عبد الله عَلَيْ ، أو شيء من الشرع، أو شيء من ذلك، أو تمنّى أنّه لم يكن هذا الدّين، أو هذا الرّسُول، أو هذه الأحكام الشّرعيّة، أو كُره شيء يكن هذا الدّين، أو هذا الرّسُول، أو هذه الأحكام الشّرعيّة، أو كُره شيء عليه أهلُ العلم؛ بأنّه من الدّين.

لأَنَّ البُغض والكُره؛ ضد التَّعظيم، والتَّعظيمُ معناهُ: القبولُ والانقيادُ والتَّسليمُ لشَّيْء بالحبَّة، والحبَّةُ: شرطٌ من شروطِ (لا إِله إِلاَّ الله» إِذَا هي شرطٌ من شروطِ السلام؛ تعظيم هذا الدِّين، ومن شروطِ الإسلام؛ تعظيم هذا الدِّين، ومن تعظيم هذا الدِّينِ محبَّدُ تعظيم هذا الدِّينِ محبَّدُ اللهِ تعالى، ومحبَّة رَسُولِهِ الأَمين محمَّد بن عبد الله عَلَيْ ، ومحبَّة ما أنزلَ الله تعالىٰ من شرعِهِ الحكيم من أوامرِه ونواهيه، ومحبَّة أوليائهِ المتقين الصَّالحين.

والبُغض! يناقضُ كلَّ هذا؛ فيناقضُ الحبَّةَ والقبولَ والانقيادَ والتَّسليمَ، ويزيدُ العداوةَ والكراهيةَ للحقِّ ولأوليائِهِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كُرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١):

● وهذه الأنواعُ مِنَ الكُفْرِ؛ مُوجِبَةٌ للخُلُودِ في النَّارِ، ومُحبطَةٌ لجميعِ الأَعمال؛ إذا مات صَاحبُها عليها، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَةِ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة محمَّد ﷺ، الآية: ٩.

## النوعُ الثَّاني: كُفرٌ أَصِغَرُ غيرُ مُخرج من الملَّةِ:

هو ما لا يناقِضُ أصلَ الإيمانِ؛ بل يُنقِصنُهُ ويضعفُهُ، ولا يسلُبُ صاحبَهُ صفةَ الإسلامِ وحصانتهِ، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: «كفرٌ دون كفر» ويكونُ صاحبُهُ على خطر عظيم من غضب اللهِ تعالى، ومتعرضًا للوعيد إذا لم يَتُبْ منهُ؛ وقد أطلقهُ الشَّارعُ على بعضِ المعاصي والذُّنوبِ على سبيلِ الزَّجرِ والتَّهديد؛ لأنَّها من خِصالِ الكُفرِ، وهي لا تصلُ إلى حَدً الكُفر الأكبر، وما كانَ من هذا النَّوع؛ فهو من كبائرِ الذُّنوبِ والمعاصي.

وصاحبُهُ في الآخرة؛ تحت مشيئة الله تعالى؛ إِنْ شاءَ عذبَهُ، وإِنْ شاءَ عفا عنهُ، أي: هذا النوعُ من الكُفرِ مُقْتَضِ لاستحقاقِ الوعيدِ والعذابِ دون الخلودِ في النَّارِ، وصاحبُ هذا النوع مَّنُ تنالُهم شفاعةُ الشَّافعين.

ولهذا النَّوع من الكُفرِ صورٌ كثيرةٌ، منها:

## ١ - كفرُ النَّعمَةِ:

فسببُ الكُفر فيه؛ هو الانشغالُ بالنّعمةِ عن واهبها، أو عدم القيام بحقّها على الوجهِ الشّرعيِّ، وذلكَ بأنْ لا يعترف العبدُ بنعمةِ اللهِ تعالىٰ عليهِ، أو بنسبُ هذه النعمة إلىٰ غيرِ اللهِ – جلَّ في عُلاه – بلسانِهِ دونَ اعتقادِهِ، أو يُنْكِرَ معروفًا أسداه إليه أحد العباد، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

كقول الرَّجلِ: هذا مالي ورثتُهُ عن آبائي على سبيلِ إِسنادِ النَّعمَةِ إِلَىٰ آبائِهِ، أو قولِ أحدِهم: لولا فلانٌ لم يكن كذا، وغيرها ممَّا هو جارِ علىٰ

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٨٣.

أَلسنةِ كثيرٍ من عوام النَّاسِ، والمرادُ أنَّهم ينسبونه إلى أُولئك، مع علمهم أَنَّ ذلك كانَ بتوفيق الله تبارك وتعالى .

ومن ذلك - أيضًا - تسميةُ الأبناءِ بعبدِ الحارثِ، وعبدِ الرَّسُولِ، وعبدِ الرَّسُولِ، وعبد الحسينِ، ونحوها؛ لأنَّه عَبَّدَه لغيرِ اللهِ تعالىٰ، معَ أَنَّهُ يعلمُ أَنَّ الله تعالىٰ هو الذي خالقَهُ وأَنعمَ عليه (\*).

## ٧- كفرانُ العشير والإحسان:

فعن ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قالَ: قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ :

ه أُرِيتُ النَّارَ ؛ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النَّسَاءُ ، يَكْفُرنَ ، قيل : أيكفرن بالله !

قال: «يَكْفُرنَ العَشير، وَيَكْفُرنَ الإحْسَانَ؛ لَو أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إحْداهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ خَيْرًا قَطَهُ (١٠).

٣ ـ الحلفُ بغير اللهِ تباركَ وتعالىٰ :

الحلف بغيرِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - من الكفر الأصغرِ؛ لقولِ النَّبِيِّ عَلَيْكَ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْر اللهِ ؛ فَقَدْ كَفَرَ ، أُو أَشْرَكَ ، (٢).

وانعقد إجماع أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ هذا النوع من الشَّركِ

<sup>(</sup> ١ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب : « كفران العشير، وكفر بعد كفر » .

<sup>(</sup> ٢ ) ٥ رواه الترمذي في ( كتاب الأيمان ) باب وفي كراهية الحلف بغير الله ٥ وصحَّحه الألباني.

<sup>(\*)</sup> تنبية مهم إ اعلم أنَّ كُفرَ النَّعمة ؛ يمكنُ أن يتحول إلى الكفر الأكبر المجرج من الملَّة ، وذلك إذا جحد العبد واهب النَّعمة وفضله عليه ، ويرد الفضل لنفسه وجهده من دون الله تعالى ، كما أخبرَ الله تعالى عن حال قارون ، فقال : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْم عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكُ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُونً وَآكُثُرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص : ٧٨ - ٨٦].

والكُفرِ في النُّصوصِ؛ هما من النوع الأصغر الذي لا يخرجُ صاحبَه من الإسلام، ما لم يُعَظَم المحلوف به في قلبِ الحالِف؛ كعظمة اللهِ تعالىٰ.

ولكنَّ الحلفَ بغير اللهِ تعالى في حُكم الشَّعِ؛ حرامٌ ومنكرٌ بالإجماعِ؛ فلا يجوز الحلف بغير اللهِ - جلَّ وعلا - كائنًا مَن كان؛ فمنها أنَّهُ لا يجوز الحلف بالنَّبِيُّ عَلَيْهُ ولا بالكعبةِ، ولا بالأمانةِ، ولا بحياةِ أحدٍ ولا بشرف فلان، وكل هذا لا يجوز البتَّة؛ لأن الأحاديث الصَّحيحة دلتُ على منع ذلكَ منعًا باتًا، فقالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ:

« أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفًا ؛ فَلاَ يَحْلِفُ إِلاَّ بِاللهِ » (١).

وقالَ عَلَيْكُ : ﴿ مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ ؛ فَلَيْسَ مِنًّا ﴾ (٢).

وقالَ عَلَيْكُ : « لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلاَ بِالأَنْدَادِ ، وَلاَ تَحْلِفُوا إِللَّهِ ؛ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » (" ) .

وقالَ عَلَى اللهِ اللهِ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ؛ مَنْ كَانَ حَالِفًا ! فَلْيَحْلِفُ بِاللهِ ، أَوْ لِيَصْمُتْ » ( 1 ) .

٤ - قتالُ المسلم:

لقول النَّبِيِّ عَلَيْكُ : « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » ( ٥ ) .

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب المناقب) باب: «أيام الجاهلية».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه أبو داود في (كتاب الأيمان) باب « في كراهية الحلف بغير الله » وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه أبو داود في (كتاب الأيمان ) باب « في كراهية الحلف بالآباء » وصحَّحه الألباني.

 <sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الأيمان والنذور) باب: « لا تحلفوا بابآئكم ».

<sup>(</sup>٥) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وخوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعره.

وقولُهُ عَلَيْكَ : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضِ مُنْ اللَّهِ بَاتُفاقِ الأَثمَّةِ ؛ لأَنَّ المُتقاتلين لم يفقِدوا صفات الإيمان، لقول اللهِ تبارك وتعالىٰ :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (٢).

٥ - الطُّعنُ في النسب، والنَّياحَةُ علىٰ الميَّتِ:

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْتَ : « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنَّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيْتِ ، (٣) .

٦- الانتسابُ إلىٰ غير الأب:

قَالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : « لاَ تَوْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ! فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ ؛ فَهُوَ كُفُرٌ ، (١٠).

وقالَ ﷺ : ﴿ لَيْسَ مِنْ رَجُلِ ادَّعَىٰ لِغَيرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إِلاَّ كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَىٰ قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسْبٌ ؛ فَلْيَتَبَوّاْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ( ° ) .

• وأنواعُ الكُفر الأصغر كثيرة يتعذّرُ حَصْرُها؛ فكلُّ ما جاءت به النُصُوصُ الشَّرعيَّةُ من تسميته كفرًا، ولم يصل إلى حدٌ الكُفر الأكبر، أو النُفاقِ الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظّلم الأكبر؛ فهو كفرٌ أصغر.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب وقول النبي ﷺ لا ترجوا بعدي كفارًا ﴾.

<sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب وإطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ، .

<sup>(</sup>٤) ، (٥) رواه البخاري في (كتاب الفرائض) باب ومن ادعي إلى غير أبيه ،

#### ( \$ )

#### « تعریف الشّرك »

## • الشِّرْكُ في اللُّغةِ:

هو المقارنةُ وخلافُ الانفرادِ، ويُطْلَقُ على المعاني الآتية:

الخُالطَةُ، والمصاحبَةُ، والمشاركةُ.

والمشاركة: هو أن يكون الشّيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ؛ فتقول: شاركته في الأمر، وشركته فيه أشركته شركًا، ويأتي شركة، ويقال: أشركته، أي: جعلته شريكًا (١).

#### الشّرْكُ في الاصطلاح:

هو اتِّخاذُ الندِّ معَ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - سواءً كان هذا الندُّ في الربوبيَّة، أو في الألوهيَّة، أو في الأسماء والصفات، أي: جعلُ شريك مع الله في توحيده، ولذا يكون الشِّركُ ضدَّ التَّوحيد، كما أنَّ الكُفرَ ضدُّ الإيمان، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

والشِّركُ لا يتوقَّف علىٰ أن يعدلَ العبدُ أحدًا باللهِ تعالىٰ فقط! بل إِنَّ حقيقةَ الشَّركِ أن يأتي العبدُ أعمالاً هي من العبوديَّةِ التي خصها الله تعالىٰ لذلته، ويصرفها لغيره سبحانه وتعالىٰ.

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب»: ج٧، ص٩٩. و«تاج العروس» ج٧، ص١٤٨. و«تاج العروس» ج٧، ص١٤٨. و«تهذيب اللُّغة» ج٧، ص٢٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

وغالبُ السُّرك - عند النَّاس - يقع في هذا النوع، أي: هي في توحيد الألوهيَّة؛ كالشَّخصِ الذي يدعو مع اللهِ - تبارك وتعالى - غيره، أو يَصرفُ له شيئًا من أنواعِ العبادةِ، كالذَّبحِ، والنَّذرِ، والحوفِ، والرَّجاءِ، والحبَّةِ، والحسيةِ، والإجلالِ، والحبيةِ، والخسيةِ، والإجلالِ، والعبادةِ، والتَّعظيمِ والإجلالِ، والاستعانةِ، والطَّاعَةِ، والتَّوكُلِ عليه، واعتقادِ أنَّ غيره - سبحانه - حاضرٌ وناظرٌ في كلِّ مكان، وإثباتُ التَّصرفِ لَهُ، وغيرها.

- والشّركُ أعظمُ الذُّنوبِ إطلاقًا؛ لأنَّه تشبيهُ المخلوقِ بالحالق في
   خصائصبِه؛ ومن الخصائص الإلهية:
  - \* الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه.
  - \* التفرُّد بِمِلْكِ الضَّرَرِ والنفع والعطاءِ والمنع.
- العبوديّة المطلقة له، بأن تكون العبادة كلّها له وحده لا شريك لَهُ،
   مع غاية الانقياد والتّسليم والحبّ والذّلّ.
- فمن أشرك مع اللهِ تعالىٰ أحدًا؛ فقد شبَّهه به سبحانه وهذا من أقبح التَّشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذَّات؛ بالقادر الغنى بالذَّات.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلُّمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

والظُّلمُ: هو وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ موضعِهِ.

- فمن عَبَدَ غيرَ اللهِ سبحانه وتعالىٰ فقد وَضَعَ العبادة في غيرِ
   موضعها، وصرَفها لغير مُستحقها، وهذا من أعظم الظُّلم.
  - والله تعالى يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا إلاَّ الشُّركَ؛ لمن لم يَتُبْ منه.

<sup>(</sup>١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١).

والشّركُ يُحْبِطُ جميعَ الأعمالِ، والله تعالىٰ لا يقبَلُ من المشرِكِ
 عملاً، وما عَمِلَه من أعمال سابقة تكون هباء منثورًا، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢). وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنتُورًا ﴾ (٣).

• والمشرِكُ حُرِّمَتْ عليهِ الجنَّة، وهو مُخَلَّدٌ في النَّارِ، والعياذُ باللهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارِ ﴾ (١٠).

• والمشركُ حلالُ الدُّم والمال، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَّتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَخُذُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَتَوُا الزَّكَاةَ فَخُلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٠).

• والمشركُ إذا ماتَ؛ فلا يُغسَّلُ، ولا يُكفَّن، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُحلَّىٰ عليه، ولا يُدفَنُ يُدفَنُ في مقابر المسلمين، وإنَّما يُحْفَرُ له حفرةٌ بعيدةٌ عن النَّاس، ويُدفَنُ فيها! ولا كرمة له!

 <sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨.
 (٢) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٣. ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ سورة المائدة، الآية: ٧٧.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة التوبة، الآية: ٥ .

والشَّركُ في الشُّرع نوعان : شركٌ أكبرُ ، وشركٌ أصغرُ .

الشّرْكُ الأكبر: هو بمعنى الكُفر الأكبر؛ يُحْبِطُ جميعَ الأعمال،
 ويُخرِجُ صاحبَهُ من الإسلام، ويخلّدُهُ في النّارِ، إذا مات عليه، ولم يَتُبْ
 منه، ولا تَنفعه شفاعةُ الشّافعين يومَ القيامة .

والشّركُ الأكبر: هو صرفُ شيء من العبادة لغير الله تعالى؛ كدعاء غير الله، ومحبّة غيره تعالى كمحبّته، والخوف من غيره تعالى، والاعتقاد بأنَّ غيره يضرُّ وينفع، أو التّسوية بين الله وغيره في الخشية، والتقرُّب بالذَّباتُح والنَّذور لغير الله، والتَّوكُلِ على غير الله؛ فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى، والاعتقادُ بقدرة الأنبياء والصَّالحين والأولياء على التَّصرُف في الكون مع الله تبارك وتعالى.

وكذلك طاعة غير الله تعالى في الحكم والتَّشريع؛ بأنْ يتخذ مشرعًا لَهُ سوى الله تعالى، أو شريكًا لله في التَّشريع؛ يرتضى بحكمه، ويدين به في التَّحليلِ والتَّحريم؛ سوءًا كانت هذه من جنسِ التَّحاكم إلى القوانين وضعية، أو العادات القبلية، أو نحو ذلك.

إلى غير ذلك من العبادات التي يجب أن تُصْرَفُ لله تعالى وحده لا شريك له، له الحمد، وله الملك، وهو على كلّ شيء قدير، قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

## والشِّركُ الأَكبرِ ثلاثة أقسام:

١ - الشّركُ في ربوبيةِ اللهِ تعالىٰ: هو جعل شريك للهِ تعالىٰ في الملك،
 أو التّدبير، أو الخلق، أو الرّزق، وغيرها من خصائص الرّب جلّ وعلا.

٢- الشّرك في ألوهية الله تعالىٰ: هو اعتقاد أَنَّ غير الله - عزَّ وجلَّ - يستحقُّ أَن يُعبد، أو صَرْفُ شيءٍ من العبادة لغير الله تبارك وتعالىٰ.

٣- الشَّرك في أسماء الله تعالى وصفاته: هو جعل مماثل لله تعالى في
 شيء من أسمائه أو صفاته أو وصفه - سبحانه - بشيء من صفات خلقه.

فَمَن سمَّىٰ غير الله تعالىٰ؛ باسم من أسمائه؛ معتقدًا اتصافَ هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسم ثمَّا اختصَّ الله تعالىٰ به، أو وَصَفَهُ بصفة من صفاته - سبحانه - الخاصة به؛ فهو مشركٌ بالله تعالىٰ في أسمائه وصفاته.

وكذلك مَن وصَفَ الله – تبارك وتعالىٰ – بشيءٍ من صفات المخلوقين؛ فهو مشركٌ بالله تعالىٰ في الصِّفات .

فهذه ثلاثة أنواع من الشَّركِ الأكبرِ؛ الذي يرتد به فاعله، أو معتقده عن ملَّةِ الإسلام؛ فإذا مات على هذا النوع من الشَّرك!

فلا يُصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله؛ بل ماله يكون لبيتِ مال المسلمين، ولا تُؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله، ويتولىٰ ذلك ولي أمر المسلمين؛ إلا الله يستتاب قبل قتله؛ فإن تابَ؛ قبلت توبته، ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين.

• الشُّرْكُ الأَصغرِ: هو ما وَرَدَ في النَّصُوصِ الشَّرعيَّة من تسمية بعض الذُّنوب شركًا، ولم يصبِلْ إلى حد الشَّرك الأكبر، ولكنه ذريعة خطيرة إليه، ووسيلة للوقوع فيه، وهو أعظمُ وأكبرُ من الكبائر.

وهذا النَّوْعُ من الشُّركِ؛ لا يُخرِجُ صاحبَهُ من الإسلام، ولا يَنفي عنه أصلَ الإيمان، ولكن يُنافي كماله الواجب.

وحكمه: أنَّه إذا مات عليه، ولم يتب منه؛ فهو تحت المشيئة، وأمرُهُ إلى الله تعالى، إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه، ولو عُذَّب لا يُخلَّد في النَّار، وتنالُه شفاعة الشافعين بإذن الله تعالىٰ.

والشِّركُ الأصغرُ قسمان:

القسم الأول: شرك باللُّسان والجوارح، وهو ألفاظ وأفعال:

فَالْأَلْفَاظُ: كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ الله، وقول: مَا شَاءَ الله وشِغْتَ! ويجوز أَن يُقال: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فَلَان، والأَفْضِل أَن يقال: مَا شَاءَ الله وحده.

ومنه التَّسْمِيَةُ: بملكِ الملوكِ، أو قاضي القضاة، والتعبيدُ لغير الله تعالىٰ؛ كتسمية الشخص بعبد النَّبِي، وعبد الحسين، وغيرها.

والأفعال: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفًا من العين، والتطيُّر والتَّشاؤُمُ من أشياء عند رؤيتها أو سماعها، والامتناع عن العمل المنوي فعله بسبب ذلك التَّشاؤُم.

وغيرها من الأعمال التي تخالفُ الشُّرع، وهي من الشُّرك.

القسم الثاني: شرك خَفِيّ، وهو شرك النيّة، أي: يقصد بعمله الرّياء والسّمعة، وإرادة الدُّنيا ببعض الأعمال.

#### ( 0 )

## « تعريفُ النَّفاق »

## • النَّفاقُ في اللُّغةِ:

هو مأْخوذٌ من النَّفَقِ، وهو السَّرَبُ في الأَرضِ الَّذي يُستترُ فيه؛ سُمِّيَ النَفاق بذلك؛ لأَنَّ المنافق يستر كُفره ويغيبه.

وقيل: إِنَّه ماخودٌ من نافقاءِ البَرْبُوعِ، وهو: بابُ جُحرِه؛ لأنَّه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعَدَّها اليربوعُ للتخلُّص من الخطرِ وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصيَّاد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يُبْطن (١).

## • النَّفاقُ في الاصطلاح:

هو إظهارُ الإسلامِ والخيرِ، وإبطانُ الكُفرِ والشّرِ، أي: هو مخالفةُ الباطن للظاهر، وإظهار القول باللّسان أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد وهو إظهار متابعة ما جاء به الرّسولُ عَلَيْكُ مع إبائه وجَحْدِه بالقلب.

والمنافق: يخالفُ قولُهُ فعلَهُ، وسرُّهُ علانيتَهُ؛ فهو مظهرٌ للإيمان ومبطنٌ للكُفر، أي: فهو يدخلُ الإسلامَ من باب، ويخرجُ من باب آخرَ، ويدخلُ في الإيمانِ ظاهرًا، ويَخرجُ منهُ باطنًا.

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللَّغة (مادة: نفق): «لسان العرب» ج١٠ ص٣٥٨. «تاج العروس» ج١٠) ص٢٥٨. «تاج العروس» ح٣١) ص٢٥٤. و«معجم مقاييس اللَّغة »ج٥، ص٤٥٤. و«مفردات القرآن» ص ٨١٩.

والنَّفاقُ: هو مصطلحٌ شرعيٌ لم تعرِّفُهُ العربُ بهذا المعنى الخاصِّ، وإن كانَ أَصلُهُ الذي أُخذَ منهُ في اللُّغةِ معروفًا (١).

قَالَ الله - تباركَ وتعالىٰ - عَنِ المنافقينَ في كتابِهِ العزيزِ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينِ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ فَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لِأَ يُنْصِرُونَ ﴿ آَلَ صُمُّ بُكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ مَنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ مَنَ أَلْ فَيَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ مَنَ أَلْ مَعَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوّاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوّاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿ اللّهُ مُحْتَلِهُ مِنَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهُ وَإِذَا أَظُلُمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَيْهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلُ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلُ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْدَرُونَ ﴿ يَكُ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَلَهُ مُخْرِجٌ مَّا تَحْدَرُونَ ﴿ يَكُ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَلَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَيَقُولُنَ إِنَّا لِللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَيَعْدَبُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُوْءُونَ وَلَا يَعْدَبُ فَا لَيَعْتُمُ مَنْكُمْ نُعَذَبُ فَا اللَّهُ مَا لَكُمْ اللَّهُ مَا يَعْدَلُوا مُحْرِمِينَ ﴾ (١٤).

<sup>(</sup>١) انظر: ولسان العرب، ج١٠، ص٥٥٩. ودمجموع الفتاوي، لابن تيمية: ج٧، ص٠٠٠.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٨.

 <sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآيات: ١٧ - ٢٠ .

٩٦ – ٩٤ ) سورة التوبة، الآيات : ٩٦ – ٩٦ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ يَ يَعْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلَمَةَ الْكُفُرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَصْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِن يَتَولُوا يُعَدِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيً لَيْ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيً وَلا نَصِيرٍ ﴾ (٢).

ولهذا قد جَعَلَ اللهُ تعالى المنافقينَ شرًّا مِنَ الكافرينَ، قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٢٠).

وذلك لأنَّ النَّفاق داءٌ عُضالٌ، وانحرافٌ خلقيٌ خطيرٌ في حياةِ الأفرادِ، والمجتمعاتِ، والأُم ؛ فخطرهُ عظيمٌ، وشرهُ جسيمٌ، وشرورُ أهلهِ كثيرةٌ، وتبدُّو خطورتُهُ الكبيرةُ حينما تظهرُ آثارُهُ المدّمرةُ على الأُمَّةِ كافةً؛ إذ يقوم بعملياتِ الهدمِ الشَّنيعِ من الداخلِ، بينما صاحبهُ آمنٌ لا تُراقبهُ العُيونُ، ولا تحسبُ لَهُ حسابًا لمكرِهِ ومكايدِهِ وتلونِهِ ؛ إذ يتسمَّى بأسماءِ المسلمين، ويظهرُ بمظاهرهم، ويتكلمُ بألسنتهم ؛ بأنَّهُ ناصحٌ آمين!

<sup>(</sup>١) سورة المنافقون، الآية: ٣.

 <sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٢ – ٧٤.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

## • الزُّنديقُ والزُّنْدَقَةُ:

وهناكَ مُصطلحٌ آخر عند الفُقهاءِ للمنافقِ؛ فإنَّهم يطلقونَ عليهِ لفظُ « الزَّنديق » وهو في الأصلِ لفظ أعجميٌ مُعربٌ ، عندما كثرت الأعاجم في المسلمين ، تكلموا بلفظ الزَّنديق؛ فشاعت بعدها في لسانِ الفقهاءِ (١٠) .

والزَّنديقُ: هو نفسُ المنافقِ؛ من حيثُ إِنَّهُ يعتقدُ عقائدَ كُفريَةً، ويُظهر شعائرَ الإسلام، ولكن الزِّنديقَ في الغالبِ يُظهر كُفرهُ وإلحادَهُ، ويدعو إليه؛ إِمَّا عَلنًا، أو بطُرُق غير مباشرة، ويُعرَفُ عنه ذلك.

وقد أُطلق لفظ والزنديق والأول مرة على أتباع الديانات الوثنية من المجوسية والزرادشتية والمانوية والمزدكية، أو بالقائلين بمذهب الدهريَّة، أو على الدُّحالين، ومدعو النَّبوة، أو على الَّذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم؛ هُما قوةُ النُّورِ والظّلام.

ثمَّ اتَّسعَ معنىٰ المصطلعُ تدرجيًا؛ فشمِلَ كلَّ مارق عن الشَّريعة؛ ببدعة مُكَفِّرة ؛ كما اطلقه بعض أثمَّة السَّلفُ علىٰ الجهميّة، وعلىٰ بعض أصحابِ البدع الظَّالَة ، أو مَن خالف مبادىء الاسلام الاساسية علنًا ؛ من الملحدين والشُّوعيين والعلمانية ، وما شاكلهم . وكذلك يطلقُ « الزُّنديق » علىٰ كلَّ مَن يحيىٰ حياة الجونِ من الشُّعراء والكتاب والفلاسفة .

والزُّنادقة : جمعوا في عقائدهم كلُّ شرًّا من الكُفرُ الصَّريح، والرِّدَّةُ

<sup>(</sup>١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن لفظ الزنديق: (هو لفظ أعجمي معرَّب؛ أُخِذَ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وعُرَّب) (بغية المرتاد) ص ٣٣٨.

وقال ابن حجر- رحمه الله - عن لفظ الزنديق: (الزنديق فارسي معرّب أصله « زنده كرده أي: يقول بدوام الدهر؛ لأنّ زنده: الحياة، وكرد: العمل) انظر: « فتح الباري » ج٢٠، ص ٢٧٠. و ( زنده كرد ) أي: الذي يرى الحياة المادية ولا يؤمن بالغيبيات.

الظَّاهرة؛ كإنكار وجود الله تعالى، وقولهم بالحلول، وتأليهم البشر، وتشبيهم الله تعالى بخلقه، وإنكارهم النَّبوة من بعضهم، وادعاء النَّبوة من بعضهم الآخر! وقولهم بالتناسخ، وإنكارهم البعث وما يتبعه من الجنَّة والنَّار، واستحلالهم المحرمات، وجحدهم الواجبات، وغير ذلك من نواقض الإسلام.

قالَ شيخُ العارفينَ؛ سهل بن عبد الله التُّستري، رحمه الله تعالى:

(إِنَّمَا سُمِّي الزِّنديقُ زنديقًا؛ لأَنَّهُ وَزَنَ دِقَّ الكلامِ بَمَخبولِ عقلِهِ، وقياسِ هوى طبعهِ، وترك الأَثرَ والاقتداء بالسُّنَّةِ، وتأوَّلَ القُرآن بالهوى فسبحان مَن لا تُكَيِّفُهُ الأَوهام)(١).

ودعوة الزَّنادقة خلَّف آثارًا سيئة ، وعواقب وخيمة على الأُمَّة ؛ فهم أوَّلُ مَن وضعوا الأَحاديث الموضوعة لإفساد الدِّينِ ، وخصوصًا في رفع شأْنِ العقلِ وتقديمه على النقلِ ؛ فتزندقت بعدها بعض الفرق الإسلاميَّة ؛ كما هو الحال في غُلاة الشيّعة ، والخطابية من المعتزلة ، والاتحادية من المتصوفة وغيرهم من سلكوا مسلكهم . وكما أشعلوا ثورات سياسية ، وأفسدوا البلاد والعباد ؛ كما فعلت القرامطة والإسماعيلية والمقنعية ، وغيرهم من فرق الزَّنادقة .

إذن! « الزّنديقُ» تعني من أبطن الكُفرَ وأظهرَ الإسلام؛ سواءٌ كان هذا الكُفر: المانوية، أو الفرعونية، أو الفينيقية، أو البربرية، أو العلمانية، وغيرها من المذاهب، أو النعرات، أو القوميات المناهضة والمناقضة لدين الإسلام؛ فلهؤلاء جميعًا يجمعهم عنصر واحدٌ هو إبطانهم للكفر واخلاصهم له.

ولكنهم مع هذا! فهم حريصون أشدُّ الحرص على التمسك بكلمة

<sup>(</sup>١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي: ج١٢، ص٣٣٢.

الإسلام في الظَّاهر؛ إِمَّا خشية من انتقام الأُمَّةِ لهم، أو خبثًا لترويج مذاهبهم وعقائدهم الباطلة تحت عباءة الإسلام.

فالزَّندقةُ اليوم! أَشدُّ خطرًا على الإسلام وتعاليمه من أسيادهم القُدامي؛ إذ كان في الماضي للمسلمين دولة وخليفة وقضاة؛ يحمون بيضة الإسلام ويدافعون عن عقيدتها، وكان الزَّنادقةُ يخشون سطوتهم وبأسهم.

أمًّا اليوم! - فإنَّ اللهِ وإنَّ إليه راجعون! ولا حوة ولا قوة إلاَّ بالله - فلا دولة تذود عن عقيدة المسلمين ومقدساتهم؛ حتى عن أعراضهم؛ بل أعراضهم اليوم معرض لخطر الزَّنادقة، بواسطة وسائل التعليم والإعلام المسعورة التي تتسابق على نهش دين الإسلام، ونشر غُثاء الزَّنادقة الجدد ومرتزقة الغرب الكافر، ومجونهم في جسد الأمَّة، والله المستعان!!

والزّنديق: في مصطلح أصول الفقه وأحكامه ؛ أنَّهُ أخص من المرتَدّ ؛ فكلُّ زنديق مرتدّ ، وليس كلُّ مرتدّ زنديقًا .

والزّنديقُ: إذا تمكّنَ منه الحاكمُ المسلمُ، وعُرف كُفرُه؛ يُقتَلُ، ولا يُستتاب، في أرجح أقوال أهل العلم، ولكن إذا تاب قبل أن يَتَمَكَّنَ منه الحاكمُ، وحَسُنَتْ توبتُه، وتبَّراً مما كان عليه من الكُفر، واعترَفَ بذلك وأظهر توبتَه؛ في هذه الحال تُقبَلُ توبتُه، ولا يُقتَلُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) (\*).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٣٤.

<sup>( \* )</sup> انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم؛ ج٣، ص١٤٢ - ١٤٣. و«الصارم المسلول» لابن تيمية؛ ص٠٤٤. وما بعدها.

وقد اجتهد خلفاء المسلمين في تتبع الزَّنادقة، وقتلهم واستئصالهم من المجتمع؛ حفاظًا على الدِّين وأهله؛ كما قتلهم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه (۱)، وكذلك اشتهر الخليفة العباسيُّ المهديُّ – رحمه الله – في تتبع الزَّنادقة والقضاء عليهم، ووصَّىٰ مَن بعده بذلك (۲).

#### • أُنواعُ النَّفاق:

النَّفاقُ! كالكُفرِ والشَّركِ والفسقِ دركاتٌ ومراتب؛ منها ما هو مخرجٌ من الإسلام، ومنها ما هو غير مخرج منه؛ فالنَّفاقُ في الشَّرع نوعانِ:

أَوَّلاً - النَّفاقُ الأَكبر؛ الخرج من الملَّة، والموجب للخُلود في الدَّركِ الأَسفل من النَّار:

هو إِبْطَانُ الكُفرِ في القلب، وإظهارُ الإيمان على اللِّسان والجوارح، ويترتَّب على هذا النَّوع ما يترتَّب على الكُفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمانِ عن صاحبِه، وخلودِه في جهنَّم؛ لكنَّ المنافق أَشدُّ عذابًا من الكافر العادي؛ لأنَّه في الدَّركِ الأسفل من النَّار؛ إذا مات عليه، أي: في أَسفلِ طبقةً من طبقات النَّار، وهي أغلظُها عذابًا، وأَشدُّها نَكَالاً.

والمنافق: إذا لم يُظهر ما في باطنه من مخالفة الدِّين، وأَظهر الأَعمال الظاهرة من الإسلام؛ فهو في الظاهر مسلم، وتجري عليه أحكامُ الإسلام الظاهرة في الدُّنيا، ويعامَلُ معاملةَ المسلمين؛ لأنَّنا لم نؤمَرُ بالشَّقِّ عن ما في القلوب، وهذا الأمرُ في الأصل خارجٌ عن نطاق وقدرة إبن آدم قاطبةً؛ لأنَّ

<sup>(</sup>١) كما روى ذلك البخاري، رحمه الله. انظر: « فتح الباري» لابن حجر؛ ج١١، ص٢٦٧. (٢) انظر: « البداية والنهاية » لابن كثير؛ ج١٠، ص١٤٩ – ١٥٨.

الإيمانَ الظَّاهِرَ الذي تجري عليه الأحكامُ في الدُّنيا لا يستلزم الإيمانَ الباطنَ الذي يكون صاحبُه من المؤمنين حقًّا.

والنّفاقُ: الذي ذُكِرَ في القرآن المراد به النّفاقُ الأكبرُ المنافي للإيمان؛ بخلاف الكُفرِ؛ فإنّه يأتي – أحيانًا – بمعنى الكُفر الأصغر، وكذلك الظُلمُ والفسقُ والشّركُ، أمّا في السُنّة؛ فقد ورد ذكر النّفاق الأصغر.

والمنافقون: شرَّ محضَّ، وهم أسوءُ أنواع الكفَّار وأضرهم؛ لأنَّهم ساووا الكُفَّارَ في الكُفر، وزادوا على كُفرهم الكذب والمراوغة، والحداع للمؤمنين وتضليلهم؛ فيكون ضررهم شديدًا، والحذر منه قليلاً، بخلاف الكُفَّارِ، ولذلك أخبرنا الله تعالىٰ عن صفاتِهم في القرآنِ بالتَّفصيل، ووصَفهم بصفاتِ الشَّرِّ كلَّها؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبائِلهم وخداعهم، ومن صفاتهم:

- الكُفرُ وعدمُ الإيمانِ.
- التولّي والإعراض عن حكم الله تعالى وحكم رَسُولِهِ عَلَيْهُ والتّحاكم إلى الطاغوت.
- الاستهزاء بالدين وأهله، والسّخرية منهم، وحبُّ شيوع الفاحشة في الذين آمنوا، والفرح بما يصيبهم من ضراء، والاستياء بما يمكن الله لهم.
- الْمَيْلُ بالكليَّةِ إِلَىٰ أعداءِ الدَّين، ومظاهرَتِهم بالنَّفس والمال،
   ومناصرَتِهم على المؤمنين والمسلمين.
  - التَّستُرُ ببعضِ الأعمالِ المشروعةِ ؛ للإضرارِ بالمؤمنين والإفساد بينهم .
- الإفسادُ في الأرضِ، وادعاءُ الإصلاح، والتّناجي بالإثم والعدوان
   ومعصية الرّسُول عَلَيْكُ ، والأمرُ بالمنكر، والنّهي عن المعروف.

لحن في القول، والحلف الكاذب، وإخلاف الوعد، وعدم الوفاء
 بالعهود، وخيانة الأمان، والغدر، الرياء، والبخل والخوف والجبن، والهلع.

والمنافقون: يظهرونَ على السَّاحةِ عندما تنتصرُ دعوةُ الحقَّ، ويستأصلُ الكُفر وأهلُهُ، ويذهب سلطان الكافرين، وحركة النِّفاق في صدر الإسلامِ؛ ظهرت في المدينة بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكُبرى.

ومن أنواع النَّفاق الأَكبر:

مَن أَظهرَ الإسلام وهو مكذّب بما جاء به الله تعالى، أو بعض ما جاء به الله، أو كذّب الرّسول عَلَيْ ، أو بعض ما جاء به الرّسول عَلَيْ ، ومثل مَن لم يعتقد وجوب طاعته عَلَى ، أو أبغض الرّسول عَلَى ، أو آذى الرّسول عَلَى ، أو كره الانتصار لدين الرّسول عَلَيْ أو سُرّ بكسر راية الدّين، أو الاستهزاء والسُّخرية بالمؤمنين ؛ لأجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى ولرسوله عَلَيْ ، أو التولّي والإعراض عن الشّرع ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الكُفريّة الخرجة من الملّة .

وهذا الصِّنفُ من المنافقين موجودٌ في كلِّ زمان ومكان.

ثانياً - النَّفاقُ الأَصغرُ؛ غيرُ الخرج من الملَّة:

هو اختلاف السرِّ والعلانية في الواجبات، أي: إِظهارُ العبدِ أَمرُا مشروعًا، ويبطنُ أمرًا مُحرمًا؛ يُخالفُ ما أَظهرَهُ؛ فمَن فعلَ ذلكَ؛ فقد فعلَ خصلة من خصال النَّفاقِ الأَصغرِ.

ويسميه أهل العلم: «نفاقُ دون نفاق» أو «النَّفاقُ العملي»؛ لآنَّهُ يتعلق بالأَعمال، وليس في الاعتقاد. وحكمُ هذا النوعِ من النّفاقِ؛ أنّهُ مُحَرَّمٌ، وكبيرةٌ من كبائرِ الذُّنوبِ والمعاصي، ومَن فعلَ خصلةً من خصالِه؛ فقد تشبّه بالمنافقين، وعمل شيئًا من أعمالهم؛ مع بقاء أصلِ الإيمان في القلب، وصاحبه لا يَخرجُ من الملّة؛ بإحماعِ أهلِ العلم، ولا يُنفىٰ عنه مطلقُ الإيمان، ولا مُسمَّىٰ الإسلام، وهو مُعَرَّضٌ للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النَّار، وصاحبه ممن تناله شفاعةُ الشَّافعينَ بإذن اللهِ تبارك وتعالىٰ.

وهذا النَّوْعُ من النِّفاقِ؛ خطرهُ عظيمٌ، وأَمرُهٌ جسيمٌ، وعاقبتهُ وخيمٌ؛ لأنَّهُ مقدَّمة وطريق ووسيلةٌ للنِّفاق الأكبر، وذريعةٌ إليه، ومدخلٌ ممهدٌ للخول الشَّيطانِ منه، وذلك لمن سَلَكَهُ، وكان ديدنَه.

واعلم! كما أنَّ المعاصي بريد الكُفر، وكما يُخشىٰ علىٰ مَن أَصرَّ علىٰ المعصيةِ أَن يسلَبَ الإيمانَ منه عند الموت؛ كذلك يُخشىٰ علىٰ مَن أَصرَّ علىٰ خصال النَّفاقِ أَن يسلَبَ الإيمانَ منه؛ فيصبحَ منافقًا خالصًا، والعياذُ بالله، ومن الأَمثلة علىٰ النَّفاق الأَصغر:

- الكذب في الحديث متعمدًا؛ بحيث من سمع كلامة صدَّقه.
  - إخلافُ الوعدِ متعمدًا، أي: في نيَّتِهِ أنْ لا يُفي بما وعد به.
- خيانةُ الأمانةِ إِذا اوثتُمنَ، أي: في نيَّتِهِ أَنْ لا يُفي بما اوثتُمنَ به.
- الفجور في الخصومة، أي: يعدل عن الحق إلى الباطل متعمدًا؛
   فيدًعي ويحتج بالباطل والكذب؛ ليأخُذ ما لايجوز لَهُ أخذه.
  - الغدرُ بالعهودِ، أي: إِذَا عاهدَ؛ غدر، ولم يُفِ بالعهدِ.
    - الرِّياءُ الذي لا يكون في أصل العمل.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«أَربَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَانَتْ، وَإِذَا حَدَّثَ كَانَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (١).

وقالَ عَلَيْكَ : «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اوْتُمِنَ خَانَ »(``).

وقالَ عَلَى اللهُ الإيمانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وآيَةُ النَّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» ("). وقالَ عَلَى المَّنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ ؛ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةِ مِنْ نَفَاق » (١٠). شُعْبَة مِنْ نَفَاق » (١٠).

فهذه علامات النّفاق الأصغر! التي حذّرنا النّبِيُ عَلَيْكَ منها، وهي تدُّلُ على مدى انحطاط المنافق في أخلاقه؛ فهو غير صادق مع ربّه سبحانه، ومع نفسه، ومع من حوله! فأخلاقه كلها مبنية على التدليس والخداع، ويُخشى عليه إن استمرَ على حاله؛ أن يُبتلى بالنّفاق الأكبر! وذلك إذا استحكمت به هذه الصّفات؛ فينزعُ الله تعالى من قلبه الإيمان، ويبدله نفاقًا، عقوبةً منه، وزجرًا له، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضَلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَمَنْ فَاللَّهُ مَن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلُّوا وَهُم مُّعْرضُونَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَهُمُ مُّعْرضُونَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَهُمُ مُّعْرضُونَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَهُمُ مُعْرضُونَ اللَّهَ عَلَيْهِ اللَّهَ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّالَالَاللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالَا

<sup>(</sup>١) ، (٢) رواهما البخاري في (كتاب الإيمان) باب «علامة المنافق».

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «علامة الإيمان حب الأنصار».

<sup>(</sup> ٤ ) رواه مسلم في (كتاب الإمارة) باب هذم مَن مات ولم يغزه.

وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكُذِبُونَ ﴾ (١). وَ قُلُوبِ هِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا

لهذا كان الصَّحابةُ الكرام - رضي اللهُ عنهم - من أَشدٌ النَّاس حرصًا وأَعظمهم بُعدًا عن هذه الأَخلاق الذَّميمةِ ؛ خشيةَ أَن يشملهم ذلك الوصف المشين.

قالَ التَّابِعِيُّ الإمامُ الحجَّة الحافظ؛ ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْ كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَىٰ فَسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَىٰ إِيَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)(٢).

وقالَ التَّابِعيُّ الفقيهُ؛ الحسنُ البصريِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ، وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَىٰ النَّفَاق ( " ). النَّفَاق ( " ).

وَقَالَ الْإِمامُ القُدوةُ العابدُ؛ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( مَا عَرَضْتُ قُوْلِي عَلَىٰ عَمَلِي؛ إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذَّبًا ﴾ ( ' ' ).

فاعلم! أخي المسلم: أنَّ النَّفاقُ داءٌ عضالٌ، ومرضٌ خطرٌ؛ يُهدُد المجتمع الإسلامي، ويزعزع كيانه؛ إذا فشى فيه، وانتشر بين أفراده؛ فإنَّهُ يقضي على الروابط الاجتماعية الصَّادقة، ويعدم الثَّقة بينهم، ويسودُ الحذر والحيطة، والشَّك والريبة؛ محل الثَّقة والأمانة.

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

<sup>(</sup> ٢ - ٤ ) رواهم البخاري في (كتاب الإيمان) باب و خوف المؤمن من أن يحبط عمله . . . ٥ .

#### (7)

## « تعريفُ الفِسْقِ »

## • الفِسْقُ في اللُّغةِ:

هو الخروجُ عن الشَّيْءِ، أو القصدِ، وهو الخروجُ عن الطَّاعَةِ.

والفِسْقُ: هو الجَوْرُ، والفُجُورِ، والميل إلى المعصيةِ، والفسادِ، والحُبْثِ.

ويُقالُ: إِذَا خرجت الرُّطبةُ من قشرها؛ قد فسقَت الرُّطبةُ من قِشْرِها، والفارةُ عن جُحرها، وسُمِّيتِ الفاْرةُ فُويْسِقة - تصغير فاسقة - لما فيها من الخبث والفسق.

والتَّفْسيقُ: ضِدُ التَّعديل، وإذا قيل: فَسَّقَ فلان في الدُّنيا فِسْقًا؛ أي: إذا اتَّسَعَ فيها وهَوَّنَ على نفسه، واتَّسَعَ بركوبه لها، ولم يُضيَّقها عليه.

والاسمُ: فاسقٌ، والجمعُ: فُسَّاق وفُسَقة (١).

## • الفِسْقُ في الاصطلاحِ:

هو العصيانُ، وعدمُ إطاعةِ آمرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - آو التَّركُ آمرِ اللهِ تعالىٰ والحروجُ عن طاعتِهِ، وعن طريقِ الحقِّ والاستقامةِ والإنابة، والدُّخولُ في سبيل الْجَوْرِ، والفجورِ، والفسادِ، والضررِ؛ فتارةً يكون الْخُروجُ فعلاً، وأخرىٰ يكون اعتقادًا وفعلاً؛ فيشمل الكافِرَ، والْمُسلمَ العاصي.

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللُّغة: «لسان العرب» ج١٠ ص٢٠٨. و«معجم مقاييس اللغة» ج٤، ص٢٠٥ و مصباح المنير» ص١٨٠.

أي: هو خروجُ العبدِ عن أوامرِ الشَّريعةِ؛ بارتكابِ الكبائرِ، وتركِ الواجباتِ، والفاسقُ: هو مَن ارتكبَ كبيرةً، أو أصرَّ على صغيرةٍ.

وإذا قيلَ: رَجُلٌ فاسِقٌ! أي: عصىٰ أمرَ الشُّرعِ، وجاوزَ حُدودَهُ.

ويُقالُ: فَسَقَ العبدُ عن أَمرِ رَبِّهِ؛ أَي خَرَجَ عن طاعتِهِ؛ بارتكابِ الكبائر والمعاصي قصدًا، أو أَصرَّ على الصَّغاثرِ بغيرِ تأويلٍ، وينبغي أَن يُقيَّدَ بعدمِ التأويلِ في ارتكابِ الكبائرِ؛ لأَنَّ الباغي ليسَ بفاسقٍ، وأمَّا استحلالُ العصيةِ - بمعنىٰ اعتقادُ حلِّها - فكُفرٌ؛ صغيرةً كانت، أو كبيرة (١).

والفِسْقُ: أَعمُّ من الكُفرِ؛ حيثُ إِنَّهُ يشمُلُ الكُفرَ وغيره من الكبائر التي دونه، ويقعُ اسم الفِسْق على المرءِ بالقليلِ من الذُّنوبِ والمعاصي وبكثيرها؛ لكن الذي تُعُورِفَ عليه عند العُلماءِ والعامَّة فيما كان كثيرًا.

ولفظُ الفَاسِقِ: لا يُطلقُ! إِلاَّ على الكافرِ، أو المسلمِ العاصي بالكبائرِ العظَّام أو بالبدع، وليسَ عندَهُ في الظَّاهِرِ من الحسناتِ ما يُكَفِّرُ عن ذنوبِهِ ؛ إِذَا يُسمَّىٰ الكافر فاسقًا، والفاسق من المسلمينَ فاسقًا – أيضًا – ومنها ؛ فإنَّ كَافرٍ وعاصٍ ومبتدع ، فاسقٌ ، وليسَ العكس ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بِيِّنَاتٍ وَمَا يَكُفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢٠).

وقد وردَت لفظة « الفِسْقِ » بمشتقاتها وصيغها اللَّغويَةِ المتعدِدَةِ في القرآنِ أُربعًا وخمسينَ مرةً ؛ كلَها جاءت في معرضِ الذَّمِ والقُبحِ للمتصَّفينَ بها .

<sup>(</sup>١) انظر: ومفردات الراغب ٥: ص: ٥٧٢. ووالحرر الوجيز، لابن عطية؛ ج١، ص٥٥١. ووالحرر الوجيز، لابن عطية؛ ج١، ص٥٥٠. وو روح المعاني، الآلوسي: ج١، ص٥٥٠. وو فتح القدير، الشوكاني: ج١، ص٥٥٠. ووالجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ ج١، ص٥٤٠. وو تفسير ابن كثير، ج١، ص٦٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ٩٩.

والفِسْقُ إِذَا أُطلقَ في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ: يُراد به - أَحيانًا - الكُفرِ الخَرِجُ من الإسلام، وأَحيانًا أُخرى يُرادُ بهِ الذُّنوبِ والمعاصي التي هي دُونَ الكُفر؛ بحسب درجةِ المعصيةِ، وحالِ العاصي نفسِه.

ويجبُ مُراعاةُ القواعدِ الشَّرعيَّةِ عندَ إطلاقِ وصفُ فِسْقِ على العبدِ المسلمِ، منها: وقوعُ ما يوجبُ الفِسْقَ بمسمَّاه الشَّرعيِّ، وقيامُ الحجَّةِ وانتفاءُ الجهل، وأن لا يكونَ هناكَ شبهةٌ أو تأويلٌ سائغةٌ.

## • أنواع الفِسْق:

الفِسْق في الشُّرع نوعان : فسقٌّ أكبر ، وفسقٌّ أصغر .

■ الفِسْقُ الأكبرِ: هو رديفُ الكُفرِ الأكبرِ، والشَّركِ الأكبرِ؛ يُخرِجُ صاحبَهُ من الإسلام، وينفي عنه مطلقَ الإيمانِ، ويخلِّدُهُ في النَّارِ، إذا مات عليه، ولم يَتُبْ منهُ، ولا تنفَعُهُ شفاعةُ الشَّافعين يَومَ القيامَةِ، والفِسْقُ في عموم آياتِ القرآنِ إذا أُطلق؛ فالمرادُ بهِ الفسقَ الأكبر، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلا تُصَلَّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

<sup>(</sup>٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٣) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَىٰ الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠).

الفِسْقُ الأصغرِ: كالكفر الأصغر والشّرك الأصغر من حيث التقسيم فهو فسقٌ دون فسق؛ يحصلُ بارتكابِ الكبيرةِ، أو الإصرارُ على الصّغيرةِ، ويُطلقُ على مرتكبي المعاصي التي لا تنفي عن صاحبها أصلَ الإيمان، أو مطلقَ الإيمان، ولا تسلبُهُ صفةَ الإسلامِ وحصانته؛ فهو فاسقٌ بكبيرتهِ، مؤمنٌ بإيمانه، وأمّا حكمهُ في الآخرةِ: فهو تحتَ مشيئةِ اللهِ تعالىٰ؛ إِنْ شاءَ غفرَ لَهُ برحمتِه، وإنْ شاءَ عذبه في النّارِ بعدلِه، ومآلهُ إلىٰ الجنّةِ فيما بعد.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ (٧).

رِية: ١٨. (٢) سورة المنافقون، الآية: ٧٧.

 <sup>(</sup>٤) سورة يونس، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>٦) سورة النور، الآية:٤.

<sup>(</sup>١) سورة السجدة، الآية: ١٨.

<sup>(</sup> ٣ ) سورة المائدة، الآية : ١٠٨ .

<sup>(</sup>٥) سورة الحجرات، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا رَفَتُ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفُرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٣).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« سِبَابُ المُسْلِم فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ » ( ' ).

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكِ \_ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ \_ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكَ :

«إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً ؛ يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُحَدَّلُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُحَكِّلُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الْرُونِيْضَةُ » وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّونِيْضَةُ » قَالَ عَلَيْهُ : الرُّونِيْضَةُ » قِيلَ : وَمَا الرُّونِيْضَةُ ؟ قَالَ عَلَيْهُ :

« الْفُو يْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » ( ° ) ( \* ) .

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجرات، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب ٥ خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ٥.

<sup>(</sup>٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن أنس بن مالك. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٣٦٥٠).

<sup>(\*) «</sup>الرويبضة »: (هو العاجز الذي ربض عن معالى الأمور، وقعد عن طلبها، والغالب أنَّهُ قيل: للتَّافه من النَّاس لربُوضِهِ في بيته، وقلة انبعاثه في الأمور الجسيمة) انظر: «لسان العرب » مادة: «ربض»

# • من أحكامِ التَّعاملِ مع المسلمِ الفاسق:

\* هجرُ الفاسق مشروعٌ؛ بثلاثةِ شُروطٍ:

أَن يتحققَ وصفُ الفسقِ في المراد هجرُه، وأَنْ يكونَ الفاسقُ مُجاهرًا بفسقه، وأَنْ تكونَ المصلحة من هجرهِ راجحة والمفسدة مأمونة.

\* الصَّلاةُ على جنازةِ الفاسقِ؛ تجبُ على عامَّةِ المسلمينَ وجوبًا كفائيًا؛ لبقاءِ حرمةِ الإسلامِ فيه، وأمَّا أَثمَّةِ المسلمينَ وأهل العلم والفضل؛ فالأولىٰ في حقهم ترك الصَّلاةِ علىٰ بعضِ الفُساقِ من بابِ الزَّجرِ والرَّدع، ومنهم:

قاتلُ نفسهِ، والغالُ للغنيمةِ، وقاطعُ الطُّريق، والمجاهرُ بفسقه، وغيرهم.

الفاسقُ المجاهرُ بفسقه؛ تجوزُ غيبته فيما جاهرَ به ولا حرمةَ لَهُ، أمَّا إِذا استترَ، ولم يعلن بفسقه؛ فإنَّ غيبته حرامٌ؛ إلاَّ لمصحلة.

- \* لا يجوزُ أن يولَّى الفاسقُ إمامَةَ الصَّلاةِ، ولو صلَّى بغيرِهِ؛ صحت صلاتهم ولا يعيدونها سواءٌ كانت الصَّلوات الخمس أو الجمعةِ أو العيدين.
- \* خبرُ الفاسقِ لا يقبلُ؛ حتَىٰ يُتثبّت منه؛ إلا إذا كانَ من الأخبارِ اللّتي
   لا يمكن معرفتها إلا من خلال قول هذا الفاسق؛ فإن خبرَهُ مقبولٌ فيها.
- \* انتشارُ الفسقِ في المجتمعِ الإسلامي! مؤذنٌ بآثارٍ مدمرةٍ، ونتائجَ وخيمةٍ؛ تشمل الفرد والجماعة؛ فيجبُ علىٰ كلِّ مَن لَهُ ولايةٌ، أو قدرةٌ علىٰ المنعِ؛ أنْ يمنعَ الفُسَّاقَ من نشرِ فسوقهم ورذيلتهم في المجتمع، وذلك بالطُّرقِ الشَّرعيَّةِ التي لا تؤول إلىٰ مفاسد أكبر.

## «٧» « تعريفُ الظَّلم »

## • الظُّلْمُ في اللَّغةِ:

اسمٌ من ظلمه يظلمه ظلمًا، ومظلمة. والظُّلْمَةُ: عدمُ النُّور، وجَمعُها: ظُلُمات، ويُعَبَّرُ بها - أيضًا - عن الجهل، والشِّركِ، والفِسق.

وأَصلُ الظُّلَمِ: وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ موضعِهِ المختصِّ به؛ إِمَّا بنُقصان أَو بزيادَة، وإِمَّا بعُدول عن وقتهِ أَو مكانِهِ، ومن ذلك قيلَ للبن إِذا قُدمَ للشُّربِ قبلَ أَن يستخرجَ زُبده، قيل له: الظليم والظليمة والمظلوم.

والظُّلمُ: هو التَّعدِّي عن الحقِّ إلى الباطلِ، وهو ضد العدل وانحراف عنه. وأصلهُ: الجور، ومجاوزة الحد، والميل عن القصد (١).

## • الظُّلمُ في الاصطلاحِ:

هو الجورُ والعدوانُ، ومنع الحقّ ومجاوزته، والميلُ عن العدلِ؛ إمَّا بتغيير، أو نقصانٍ، أو زيادة غيرِ مشروعة.

والظُّلمُ: التَّصرُّفُ في حقِّ الغيرِ بغيرِ حقَّ، وهو التَّعدي على الآخرينَ في أموالهم أو أعراضهم، ومن فعلَ شيئًا من ذلك؟ فقد ظلمَ نفسه، وظلم غيره.

<sup>(</sup>١) انظر: لسان العرب ع ج ١١، ص٣٧٣. و «مقاييس اللُّغة » ج٣، ص٤٦٨. و «المصباح المنير » ص٢٤١. و «المفردات » (ظلم) ص٧٧٥ و «التعريفات » ص٤١٠. و «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » للتهانوي، مادة (ظلم). و «الموسوعة الفقهية الميسرة » للقلعجي ؛ ج٢، ص١٣٤٠.

أي: هو التَّعدِّي عن الحق الشَّرعيِّ إلى الباطلِ؛ سواء كان التَّعدِّي قولاً، أو فعلاً، وقيل: هو مجاوزةُ الحدِّ الذي سَمَح به الشَّرعُ، أو ارتكابُ معصيةٍ مُسقِطةٍ للعدالةِ، مع عدم التَّوبةِ والإصلاح.

• والظُّلُمُ: ذنب عظيمٌ وإثمٌ مرتعه وخيم! وهو سبب كلُّ شرُّ وفساد، وكلِّ بلاء وعقاب؛ فهو منبع الرَّذائل والموبقات، ومصدر الشُّرور والسَّيئات، وعنه تصدر سلاسل العيوب والآفات؛ متى فشا الظُّلمُ في أُمَّة آذنَ اللهُ تعالىٰ بنهايتها، ومتىٰ شاع في بلدة! فقد انعقدت أسباب زوالها وتحوُّل لباسها؛ فبه تفسد الدِّيار، وتخرب الأوطان، وتدمر الأمصار، وبه ينزل غضب الواحد الجبار القهار – سبحانه – قالَ اللهُ تباركَ تعالىٰ:

﴿ وَتِلْكَ الْقُوَىٰ أَهْلَكُنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (١٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِـمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِثْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (٣).

والظُّلُمُ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - مراتب متفاوتة :

يطلَقُ على الكفرِ والشَّركِ، وعلى غيره من الكبائرِ، وما دونه من الذُّنوب والمعاصي؛ لأنَّ كلَّ معصية مهما دَقَّتْ؛ ففيها ظلمٌ، وأقلُّ أحوالِه؛ أنْ يظلِمَ العبد نفسه.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٢.

١) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحج، الآية: ٥٥.

## • الظُّلمُ ثلاثةُ أَنواعِ:

\* ظُلمٌ بينَ العبد وبينَ رَبِّهِ - سبحانه وتعالى - وأعظمهُ: الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

\* ظُلمٌ بينهُ وبين العبادِ، والمخلوقاتِ، ويكون بالتَّعدِّي على حقوقهم، وهي: أعراضُهم، وأبدانُهم، وأموالُهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةً سَيِّئَةً ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّلِمِينَ ﴾ (٧).

\* ظُلمٌ بينهُ وبين نفسِهِ، ويكون بتجاوز حدود الله تعالى؛ بارتكاب الذُّنوب والمعاصي، واتِّباع طريق الشِّيطانِ، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ فَمِنْهُمْ ظَلِمٌ لَنَفْسِهِ ﴾ (٢). وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (٤) (\*). ووله تعالىٰ: ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (٤) ما يهمُّ وكلُّ هذه النَّلاثةُ في الحقيقة ظلمٌ للنفس؛ فإنَّ الإنسانَ أوَّلَ ما يهمُّ

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣. (٢) سورة الشُوري، الآية: ٠٤٠.

 <sup>(</sup>٣) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
 (٤) سورة النمل، الآية: ٤٤.

<sup>(\*)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (فالظُّلُمُ ثلاثةُ أَنُواع: فالظَّلْمُ الذي هو شرك لا شفاعة فيه! وظلم النَّاس بعضهم بعضًا لا بُدُ فيه من إعطاء المُظلوم حقّه؛ لا يسقط حقّ المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة؛ فالظالمُ المطلق ما له من شفيع مطاع، وأمَّا الموحد فلم يكن ظلمًا مطلقًا؛ بل هو موحد مع ظلمه لنفسه، وهذا إنَّما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله؛ فبه صاو من أهل الشفاعة. ومقصودُ القرآن بنفي الشُّفاعة نفي الشُّرك، وهو أن أحدًا لا يعبد إلاَّ الله، ولا يدعو غيره، ولا يسال غيره، ولا يتوكل على غيره لا في شفاعة ولا غيرها؛ فليس له أن يتوكل على غير أحد بأسباب. كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغرره له، ويرحمه في الآخرة، وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها؛ فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا! ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وتلك قد بين الرَّسُول على أما لا تكون إلاَّ لاَهل التوحيد والإخلاص؛ فهي من التَّوحيد ومستحقها أهل التوحيد) «مجموع الفتاوي» ج٧، ص٧٩٠.

بالظُّلمِ! فقد ظلمَ نفسه وجنى عليه، وعرضه لعذابِ اللهِ الآليم؛ فقد قالَ اللهُ تعالىٰ عند ذكر العُصاةِ، والمذنبين، والظَّالمين:

﴿ وَمَا ظُلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١).

والظُّلم: مُحَرَّمٌ شرعًا؛ بجميع أنواعه وصوره، حرَّمه الله تعالىٰ علىٰ نفسه، وعلىٰ عباده؛ لما فيه من المخالفة لأَمره تعالىٰ، ولما فيه من التَّعدِّي علىٰ حقوق العباد، وتَوَعَّدَ الله الظالمينَ بعذاب أليم في الدَّارين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (٢). وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

بل أمرَ الله تعالى بمجاهدة الظّم والظّالمين، وبرفع الظّلم عن المظلومين، وقد أرسل رُسُلَهُ وأنزلَ كُتُبه؛ لإقامة القسط ورفع الظّلم، قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقَسْطَ ﴾ (1).

فرفعُ الظُّلمِ، والإنكارُ على الظَّالمِ، والدُّفاع عن المظلومين؛ واجبٌ على كلُّ مسلم؛ بحسبِ قدرته وطاقته ووسعه، قالَ النَّبِيُّ يَقِطُّكُم:

« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا ، أَوْ مَظْلُومًا » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ؛ فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » (° ) .

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ١١٨. (٢) سورة طه، الآية: ١١١.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٧. (٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في ( كتاب المظالم والغصب ) باب و أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا ﴾ .

# والله - تبارك وتعالى - مُنزّة عن الظّلم بجميع صوره:

والظّلمُ: مستحيلٌ على اللهِ - جلَّ في عُلاه - لأنَّهُ تعالى يُوصَفُ بمحامدِ الصِّفاتِ، وينزَّهٌ عن جميعِ النَّقائِصِ، والظُّلم مَنْقَصَةٌ ؛ إِذْ هو التَّعدِّي ومجاوزة الحَدِّ، وكلاهما محالٌ على رَبِّ العباد - جلَّ شأنه - بل هو - سبحانه وتعالى - الذي خَلَقَ المالِكِينَ وأملاكَهم، وتفضَّل عليهم بها، وعَهِدَ لهم الحدودَ، وحرَّم وأحلَّ وفضلٌ ؛ فلا مُعقِّبَ لحكمه - تبارك وتعالىٰ رَبِّ العالمين - ولا رَادَّ لقضائِهِ ؛ جلَّ جلاله وعَظْمَ شأنه ، قالَ تعالىٰ :

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٣).

وعَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفارِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ قَالَ:

« يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً ؛ فَلاَ تَظَالَمُوا . . . » ( \* ) ( \* ) .

<sup>(</sup>١) سورة ق، الآية: ٢٩.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «تحريم الظلم».

<sup>(\*)</sup> انظر: «المفردات» (ظلم) ص٧٧٥. و« «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » للتهانوي، مادة (ظلم). و«الموسوعة الفقهية الميسرة» للقلعجي؛ ج٢، ص١٣٤. و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ج٢٨، ص١٨٣٠.

• والظُّلمُ في الشُّرع نوعان: ظلمٌ أكبرُ، وظلمٌ أصغرُ.

■ الظُّلمُ الأكبرُ: هو رديفُ الكُفر الآكبر، والشَّرك الأكبر؛ يُخرجُ صاحبه من الإسلام، وينفي عنه مطلقَ الإيمان، ويخلَّدُه في النَّار، إذا مات ولم يتُب منه، ولا تنفَعُهُ شفاعةُ الشَّافعينَ يومَ القيامة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

وأعظمُ الظُّلمِ الذي لا يُعادله ظلمٌ على الإطلاق! والذي لا يغفرُ اللهُ تعالىٰ - الغفور الرَّحيم الكريم - لصاحبه إذا مات عليه؛ ألا وهو الشَّركُ باللهِ - تبارك وتعالىٰ - رَبِّ العالمين، خالق كلِّ شيء ومليكه، وحده لا شريك له؛ فالشَّركُ الظُّلمُ العظيمُ لا يغفره اللهُ تعالىٰ البتَّة؛ إلاَ بالإقلاعِ عنه، والتَّوبَةِ منه صادقًا قبل الموتِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرَكُ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

والشّركُ أعظمُ الظُلم؛ لأنَّ صاحبه وضعَ العبادَةَ في غير موضعها، وصرفها عن اللهِ تعالىٰ – الخالق الرَّازق رب العالمين – إلى مخلوق ضعيف مثله؛ لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا. أي: هو صرف العبادة، أو بعض أنواعها لغير اللهِ تعالىٰ؛ كدعاء غيره، والسُّجود لغيره، والنَّبح والنَّذر لغيره، ونبذ شرعه، والتَّحاكم إلىٰ سواه، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلُّمْ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤. (٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

<sup>(</sup>٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَلَا لَعْنَهُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينِ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدُّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١).

وثمًا يَدُّل – أَيضًا – علىٰ أَنَّ الظُّلمَ يُطلق في النَّصوصِ الشَّرعيَّةِ، ويرادُ به الكُفر والشَّرك، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٥٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشُوهُمْ وَاخْشُونِي ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمَ بِمَا كَانُوا بَآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسِ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿ ثَلُوا قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ( ^ ).

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٤) سورة الإنسان، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

<sup>(</sup> ٨ ) سورة النمل، الآيتان: ٣٢ - ٣٤ .

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

<sup>(</sup>٣) سورة هود، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٩.

<sup>(</sup>٧) سورة الأعراف، الآية: ٩.

الظّلمُ الأصغرُ: هو مادون الشّرك الأكبر، أي: هو كالشّركِ الأصغر،
 والكفر الأصغر، هو ظلمٌ دون ظلم، لا ينفي عن صاحبه أصلَ الإيمان، أو مطلق الإيمان، ولا يسلُبُه اسم الإسلام، والظلمُ الأصغرُ نوعان:

\* ظُلمُ النَّفس بارتكاب الكبائر، واقتراف الذُّنوب والمعاصي؛ فيما بينها، وبين اللهِ جلَّ في عُلاه.

\* ظلمُ النَّفسِ بينه وبين العباد؛ بالتَّعدِّي على حقوقهم، والإضرار بهم في دينهم، أو دنياهم؛ فهذا النوع من الظُّلمِ الذي لا يتركه الله تعالى البتَّة، ولا بُدَّ فيه من أَخذ الحق للمظلومِ من الظَّالمِ، ويتعرض بسبب ذلك الظَّالمُ للعذاب والتطهير، والقصاصُ يوم القيامةِ يكون بالحسناتِ والسَّيعاتِ، وليس بالدينار والدرهم! وكفى بهذا حاجزًا عن الظُّلم، وكفى به رادعًا وليس بالدينار والدرهم! وكفى بهذا حاجزًا عن الظُّلم، وكفى به رادعًا والسَّيعات الطَّلم، وكفى به رادعًا الدُّنيا الفانية سالمًا غائمًا بالحسناتِ والبقيات الصَّالحاتِ، ولا يطلبه أحد من العباد، عظلمة في دين، أو نفس، أو مال، أو عرض، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النَّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ طَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أُوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولَ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٣٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَالا رَبُّنَا ظُلَمْنَا أَنفُسنَا وَإِن لُّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ( أ ) .

وقالَ النّبِيُ عَلِي اللهُ وَدِيوانٌ لاَ يَتْرُكُ اللهِ حَزّ وَجَلَّ - ثَلاَثَةً : دِيوانٌ لاَ يَعْفِرُهُ الله بَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئًا ، وَدِيوانٌ لاَ يَعْفِرُهُ الله بَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئًا ، وَدِيوانٌ لاَ يَعْفِرُهُ الله بَعْبَأُ الله عَنَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنّهُ فَأَمَّا اللهِ يَوَانُ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ الله عليه الْجَنّةَ ﴾ وَأَمَّا الدّيوانُ الذي لاَ يَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئًا ، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبّهِ مِن صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلاَةٍ بَوْكَهَا ، فَإِنّ الله يَعْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الدّيوانُ الذي لاَ يَتْرُكُ لاَ يَتْرُكُ لاَ يَتْرُكُ الله يَوْانُ الله يَوْانُ الذِي لاَ يَتْرُكُ لاَ يَتْرُكُ الله مَنْ صَوْمٍ يَوْمُ الله يَوْانُ الذِي لاَ يَتْرُكُ الله مَنْ الله يَوْانُ الله يَوْانُ الله يَعْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَوْانُ الله يَعْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَعْفِرُ لَاكِ لاَ يَتْحَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَوْانُ الله يَوْلُوكُ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَوْلَو الله يَعْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَوْلُونَ الله يَاللهُ اللهُ الله اللهُ يَوْلُونُ الله يَالله الله يَوْلُولُ اللهُ يَوْلُونُ الله يَعْفِرُ لَا لِكُولُ اللهِ يُولُولُ وَيَتَجَاوزُ إِنْ شَاءَ ، وَأَمَّا الدّيوانُ الله يَوْلُ اللهُ يُولُلُهُ اللهُ يُولُولُ وَيُعْلِمُ اللهُ اللهُ يُولُولُ اللهُ يُولُولُ اللهُ يُولُولُ وَيُعْمِلُونُ اللهُ اللهُ يُولُولُ اللهُ الل

<sup>(</sup>٢) سورة النمل، الآية: ٤٤.

<sup>(</sup>٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>١) سُورة فاطر، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.

اللهُ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ لاَ مَحَالَةَ ، (١).

وقَالَ النَّبِيُ عَظِيمٌ وَالظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشَّرْكُ، قَالَ اللهُ: ﴿ إِنَّ الشَّرُكُ لَا يَعْفِرُهُ اللهُ فَالشَّرْكُ، قَالَ اللهُ: ﴿ إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلْمٌ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا الشَّرُكَ لَظُلْمٌ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا الشَّهُمْ وَبَمْنَ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الّذِي لاَ يَتْرُكُهُ الله ؛ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الذِي لاَ يَتْرُكُهُ الله ؛ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ ، (٢).

وقالَ العلاُّمةُ ابن السَّعديِّ – رحمهُ الله ك في تفسير قولِهِ تعالىٰ:

﴿ ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ﴿ فَأَيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَالْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلَّمِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٣٠ .

قالَ الله تعالى فاصلاً بين الفريقين: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ أي: يخلُطوا ﴿ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الأمنُ من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم؛ فإن كانوا لم يلبسوا إيمانَهم بظلم مطلقًا، لا بشرك، ولا بمعاص؛ حصل لهم الأمنُ التَّامُّ، والهداية التَّامَّة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانَهم بالشّرك وحده، ولكنّهم والهداية التَّامَّة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانَهم بالشّرك وحده، ولكنّهم يعملون السّيعات؛ حصل لهم أصلُ الهداية، وأصلُ الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة: أنَّ الذين لم يحصلُ لهم الأمران؛ لم يحصلُ لهم هداية، ولا أمن؛ بل حظّهم الضلالُ والشّقاءُ).

<sup>(</sup>١) رواه الإمام أحمد في « مسنده » عن عائشة رضى الله عنها .

<sup>(</sup>٣) رواه الطيالسي في «مسنده» ص٢٨٢ رقم (٢٠٠٩) عن أنس، وحسنه الألباني بشواهده في « الصحيحة » برقم (١٩٢٧) ومن هذه الشواهدة حديث عائشة السابق. (٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٨١ – ٨٢.

#### ( A )

### « تعريف الهوى »

## • الهوى في اللُّغةِ:

الهَوَاءُ: ممدودُ الجَوِّ ما بين السَّماء والأرض، والجمعُ: الأَهُويةُ، وأَهْلُ الأَهواءِ، واحدها هَوَى، وكُلُّ فراغ هواء.

وقلبُ هواءٌ: فارغٌ، وفي القُرآنِ: ﴿ وَأَفْئِدتُهم هَوَآء ﴾ (١٠ . أي: لا عقولَ لهم، والهَوَاءُ والخَواءُ: واحدٌ.

وهَوَىٰ يَهْوِي هَوِيًّا: أَي: سَقَطَ من فوق إِلَىٰ أَسْفَلِ.

وأَهْوَىٰ يَدَهُ وبيده إلىٰ الشَّيْءِ لِيأْخذه.

والهَوَىٰ مقصورٌ : هَوَىٰ النَّفْس، وهي : إِرادتُها، والجمعُ : الأَهْوَاء.

والهَوَىٰ: محبَّهُ الإِنسان الشَّيْءِ، وغَلَبْتُهُ علىٰ قلبِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهُوَىٰ ﴾ (٢).

أي: نَهَاهَا عن شَهَواتها، وما يدعو إليه من المعاصي والذُّنوب.

وقوله تعالىٰ: ﴿ كَالَّذِي اسْتَهُوْ تُهُ الشَّياطين ﴾ (٢).

أَي: ذَهَبَت بهَوَاه وعَقله، وقيل: اسْتَهْوَتْه استَهامَتْه وحَيَّرَتْه.

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

<sup>(</sup>٢) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

والهَوى يكون بمعنى: الميل، والحبّ، والعِشْق، ويكون في مدخل الخير والشّر، ويكون بمعنى إرادة الشيء وتمنّيه.

ولكن متى تُكُلِّمَ بالهَوَىٰ مطلقًا: لم يكن إلاَّ مذمومًا؛ حَتَّىٰ يُنْعَتَ بما يُخرجُ معناه؛ كقولهم: هَوَى حَسنَ، وَهَوَى موافقٌ للصواب.

ولم يَرِدْ ذكرُ الهوىٰ في القرآن؛ إِلاَّ بصيغة الذمِّ! (١).

ويتبين ثمّا سبق أنَّ مفردات مادة (الهوى) يغلب عليها الذمُّ مطلقًا؛ فهي تدورُ حولَ الميل إلى خلافِ الحقَّ، والسُّقوط، والحَواءِ، والتَّسرَّعِ، والوقوع في الشَّهوات الحرَّمة، واستحواذِ الشَّياطين، والحيرة، والضلال، والجنون، والفجور، والظلم، وغير ذلك من المعاني المذمومة؛ التي يهوي بصاحبه في الدُّنيا إلىٰ كلَّ داهية، وفي الآخرةِ إلىٰ الهاويةِ.

وقالَ العلاُّمَةُ التهانَويُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الهوى: مصدر هواه إذا أُحبَّه واشتهاه، وجمعه الأهواء، ثمَّ سُمِّي به المهوي المشتهى محمودًا كان أو مذمومًا، ثمَّ غلب على غير المحمود.

يقال: فلانَّ اتَّبع الهوىٰ؛ إِذَا أُريد ذمَّه، وفلان من أهلِ الأهواء؛ لِمَنْ زَاغَ عن طريقة أهل السُنَّة والجماعة)(٢).

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللَّغة: «لسان العرب» ج١٥، ص ٣٧٠. و«القاموس المحيط» ص ١٧٣٥. وه مختار الصحاح»: ص ٢٩٢. وه مصباح المنير» ص ٢٤٦. وه المفردات « ص ٨٤٩٠. وه روضة المحين ونزهة المشتاقين» لابن القيم الجوزية؛ ص ٢٣.

<sup>(</sup> ٢ ) « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، للتهانوي؛ ص٥٤٧٠ . مكتبة لبنان .

### الهوئ في الاصطلاح:

الهوى: خلافُ الهُدى والحقّ؛ فهو مَيْلُ النَّفسِ إِلَىٰ ما ترغبه، والطبعِ إلىٰ ما يرغبه، والطبع إلىٰ ما يلائمه، والقلبِ إلىٰ ما يُحبُّه؛ بخلاف ما يحبُّه الشَّارعُ الحكيم ويأمرُ به، أي: إذا هو خروج عن حدِّ الاعتدال. ويكون ذلك في الشَّهوات، وفي الحبِّ المذموم، والعقائد، والآراء والأفكار، والمذاهب(١).

فما خَرَجَ عن مُوجِبِ كتاب اللهِ تعالىٰ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيُّهُ ؛ فهو هوى، ويُستَمَّىٰ صاحبُهُ: صاحبَ الهوىٰ ؛ فكلُّ مَن لم يتَّبعِ العلمَ والحقَّ ؛ فهو صاحب الهوىٰ ؛ لأنَّ الهوىٰ ضدُّ اتِّباع النُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ فَإِن لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اللهِ فَإِن لَمْ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينِ ﴾ (٢).

ولذا لم يَرِدْ لفظُ الهوىٰ في القرآن؛ إِلاَّ بصيغةِ الذمِّ! فالهوىٰ: هو سببٌ للإعراض عمَّا جاء به المرسلون من الحقِّ والهُدىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (ولهذا كان ممن خرج عن موجب الكتاب والسُنَّة من المنسوبين إلى العلماء والعبَّاد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السَّلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أنَّ كل من لم يتبع العلم؛ فقد اتَّبع هواه، والعلم بالدِّين لا يكون إلاَّ بهدي الله الذي بعث به رسوله عَلِيَّة ) «الاستقامة»: ج٢، ص٢٢٤.

<sup>(</sup>٣) سورة القصص، الآية: ٥٠.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعِ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥٤٠).

وسُمِّي الهوىٰ هوَّى؛ لأَنَّهُ يهوي بصاحبهِ إلىٰ الضَّلالَةِ والفرقةِ، ثمَّ إِلَىٰ النَّارِ – والعبادُ بالله – قالَ حَبْرُ الأُمَّةِ عبد الله بن عبَّاس، رضي الله عنهُما: (إنَّمَا سُمِّيَ هَوَى؛ لأَنَّهُ يَهْوي بصاحِبهِ إلَىٰ النَّار)(٢).

إذن! اتباعُ الهوى: هو ما تميل إليه النّفس مما لم يبحه الشّرع ويكون خلاف مقصوده؛ لأنّ مقصد الشّارعِ الحكيمِ من وضع الشّريعةِ الغراء؛ هو إخراج المكلّف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدًا صادقًا للهِ تعالىٰ اختيارًا، كما هو عبد للهِ تعالىٰ اضطرارًا.

فأمًّا صاحب الهوى ! لا حكمة له ولا زمام، ولا قائد له ولا إمام، إلهه هواه ؛ حيثما تولت مراكبه تولى، وأينما سارت ركائبه سار ؛ فآراؤه العلمية، وفتاواه الفقهية، ومواقفه العملية ؛ تبع لهواه، قال الله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصْرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

لأنَّ صاحب الهوى ! ليس له معايير ضابطة، ولا مقاييس ثابتة، يردُّ الدَّليلَ إِذَا خَالف هواه لاَدني احتمال، ويستدل به على ما فيه من إشكال

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٥٤٥.

<sup>(</sup>٢) الشرح والإبانة ، الإبانة الصنغرى ؛ لابن بطة : ص ١٢٤.

<sup>(</sup>٣) سورة الجاثية، الآية: ٣٣.

<sup>( \* )</sup> انظر ٥ دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ٥ د. ناصر العقل؛ ص٢٦.

أو إِجمال، وإذا لم يستطع ردَّ الدليل لقوته؛ حمله على غير وجهه، وصرفه عن ظاهره إلى احتمال مرجوح بغير دليل.

والمطلوبُ الشَّرعيِّ من المسلم الصَّادق الذي يؤمن باللهِ واليوم الآخر! هو الاستسلامُ للهِ تعالىٰ المطلق، والانقياد التَّامُ له بالطَّاعة والعبادة؛ الذي هو أصل دين الإسلام؛ فمن أسلم وجهه لله تعالىٰ صادقًا، ووقف عند حدوده خائفًا؛ فقد اهتدى، ونال الدَّرجات العُلىٰ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (١). الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (١).

وأمَّا مَن اتَّبِعَ نفسه هواها؛ فإِنَّ عاقبتَهُ الهلاك، والخذلان! وذلك أَنَّ المعاصي والبدع؛ منشأها من تقديم الهوى على الشَّرع، قالَ الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿ آثِهِ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ آثِهِ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (``).

فاعلم! أخي المسلم اللّبيب: إِنَّ فسادَ الدّين يقع بالاعتقادِ الباطل، أو بالعملِ خلاف الشَّرعِ! فالأوَّلُ يكون بالبدع، والثاني باتّباع الهوئ، وهذان هما أصلُ كلَّ شرَّ وفتنة وبلاء وعذابٍ في الدَّارينِ، وبهما كُذَّبت الرُّسُل، وعُصيَ الرَّبُ سبحانه، وحلَّت العُقوباتِ، ودُخلت النَّار، ولذلك ما ذكر الله تعالىٰ الهوىٰ في كتابه الكريم؛ إلاَّ علىٰ سبيلِ الذمِّ، وأمر بمخالفته، وبين أنَّ العبدَ إِنْ لمْ يتَبع الحقَّ والهُدىٰ؛ اتَّبعَ هواه فضَّلَ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

<sup>(</sup>٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٧- ٣٩.

﴿ وَلَوْ شِفْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَهُ أَخْلَدَ إِلَىٰ الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَعْرَكُهُ يَلْهَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَغَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلا تَتَبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ( ` ' ) .

### • مظاهرُ اتّباع الهوى:

١- التَّعلقُ بالأَشخاصِ والصُّور، ويسمَّىٰ العشق، وهو ما يكون من
 حبُّ مزموم، وعشق بين جنسين، ويقع - أيضًا - بين جنس متماثل.

٢- التّعلقُ بالأشخاصِ ليسَ حبًّا لشخصهِ، وإنَّما لعلمه، أو لدينه! ومما لا شكَّ إِنَّ محبَّةَ الصَّالحين مما يُتقربُ إلى اللهِ تعالىٰ؛ لكن إذا اتُبع الهوىٰ فيها جُعِلَ هذا المتعلق يسمع الشَّخصِ ويطعه طاعةً عمياء؛ حتَّىٰ لو كان علىٰ خلافِ الحقّ ويعادي من أجله، ويجعله من الحبُّ في الله والبغض في الله.

٣- اتَّباعُ أخطاءِ الآخرين بغير ضوابط الشَّرعيَّة: بحجة الدَّفاعِ عن الحقّ والأُمَّةِ؛ وإن كان التَّبع من باب النقد البناء ليستفاد منه؛ فلا مانع.

٤ - انكارُ بعض المنكرات دون البعض؛ لهوَّى في نفسه.

تضخيم بعض الأمور مع التساهل في غيرها ؛ فتجدهم يمدحون في ما تهواهم أنفسهم ويضخمنه ، ويبالغون في ذم ما لا تهواه أنفسهم .

٦- الجدلُ بالباطلِ، وعدمُ الاعترافِ بالخطاءِ.

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦. (٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

٧- التقصيرُ في محاسبة النَّفس، ورؤيتها بعين الكمال.

٨- إضاعَةُ الوقتِ؛ بما تهواه النَّفس.

#### • بعضُ آثار مظاهر اتّباع الهوى:

الاستقامة الجوفاء، مرض القلب وقسوته، الاستهانة بالذُّنوب، اضلالُ الآخرينَ وإبعادهم عن الحقّ، الحرمانُ من توفيقِ اللهِ تعالى، ضعف العزيمةِ، مدخل واسع للشَّيطان، سوء الخاتمة، العقوبة الأُخروية.

#### • من أسباب اتّباع الهوى:

الدلالُ والدَّلعُ من الصُّغرِ، مجالسةُ أَهلِ الأَهواءِ، ضعفُ المعرفةِ باللهِ تعالىٰ والدَّارُ الآخرةِ، تقصيرُ الآخرين في نصيحته، جهلُ آثارِ اتِّباعِ الهوىٰ الوخيم، عدمُ إدراكِ خطر اتِّباع الهوىٰ .

### • علاجُ اتِّباع الهوى:

الخوفُ من الله تعالى في السّر والعلن، والدُّعاءُ المستمر، والعلم بأنَّ السَّعادةَ الدُّنيوية والأُخروية في ترك اتِّباعِ الهوى، واكتشافُ مرضِ اتِّباعِ الهوى، واستحضارُ عواقبِ اتِّباع الهوى.

الإرادةُ والعزيمةُ القويةُ على إصلاح النَّفس، وتعويد النَّفسِ على مخالفتها فيما تهوى، ولو في أشياء مباحة لاتحريمًا لها، إنما تعويدًا لها، وتصور العبد أنَّ تلك الأهواءِ التي في حقِّ غيرهِ؛ هي في نفسه.

الالتفاف حول الصَّالحين، ومحاسبة النَّفس على الدوام، والبُّعدُ عن مصاحبة أهلِ الأهواء والبدع، والوقوف على سيرهم وعواقبهم الأليمة.

الصَّبرُ على الشَّهوات، والصَّبرُ على الطَّاعات، وغضُّ البَّصر.

### • حكم أتباع الهوى:

خلق الله تعالى الإنسان وفطرة فيه الميل، وجعله جبلة فيه؛ فهو ضرورة في بقائه؛ كميله للطعام والشراب والنّكاح؛ فالهوى مستحث لها لما يريده، كما إنّ الغضب دافع عنه ما يؤذيه؛ فلا ينبغي ذمّ الهوى مطلقًا ولا مدحه مطلقًا، كما إنّ الغضب لا يذم مطلقًا، ولا يمدح مطلقًا، وإنما يذم المفرط من النّوعين، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه؛ أنّه لا يقف فيه على حدّ المشروع! أطلق ذمّ الهوى والشّهوة والغضب؛ لأنّه يندر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده! فلذلك لم يذكر في القرآن والسّنّة إلا ذمومًا؛ إلا ما ورد منه مقيدًا بما يخرج معناه عن الذمّ.

فاتبًاع الهوى مطلقًا؛ هو أصلُ الضَّلال والكُفر، وما تابَعَهُ من البدع والمعاصي وكبائر الذُّنوب، وأنَّ ذلك يتفاوت تفاوتًا عظيمًا:

\* فإذا اتَّبع الهوى في الكُفر، وما يُناقض الإيمانَ، وجُعلَ من الهوى إلهًا يُعبدُ ويُطاعُ من دون الله - تبارك وتعالىٰ - ففي هذه الحال، إذا أُطلقَ الهوىٰ في النَّصوصِ الشَّرعيَّةِ؛ يُراد به الكُفرُ الأكبر الخرجُ من الإسلام.

\* وإذا اتّبع الهوى في المعصية التي هي دون الكُفر؛ كشُربِ الخمر والزّنا والسّرقة وغيرها من المعاصي، وما لا يُناقض أصلَ الإيمان ولا يُنافيه؛ ففي هذه الحال، إذا أُطلق الهوى في النّصوصِ الشَّرعيَّة؛ يُرادُ به الفِسقُ والمعصيَّةُ والكبائرُ من الذُّنوب؛ التي هي دون الكُفر الأكبر، أي: هو كُفرٌ أصغرُ غيرُ مخرج من الإسلام.

#### أقسامُ الهوى:

1 - الهوى فى الشُّبهات: ويكون فى الآراء والأفكار والمعتقدات، ويعتبرُ هذا النوع من أشد أنواع الهوى خطرًا! لأنَّهُ قد يترتب على صاحبه الخروج من الإسلام بدون التَّوبة! لأنَّ صاحبه لا يعرف أنَّهُ على خطاً حتَّىٰ يتوب منه! فأئمَّةُ السَّلف عندما كانوا يتكلموا عن الهوى، وذم الهوى، وأهل الأهواء والبدع؛ كانوا يقصدون هذا النوع.

#### ٢ - الهوى في الشُّهواتِ: وهو قسمان:

\* الهوى في الشُّهواتِ المحرمةِ: وهذا من اسمه يتبين حكمه؛ فحكمه إِنَّهُ محرمٌ، ويمكن أَنْ يؤدي في الغالب إلى سوءِ الخاتمةِ، والعياذُ باللهِ.

\* الهوى في الشَّهواتِ المباحةِ: الشَّيْءُ الَّذي يهواهُ المسلمُ في الأَصل قد يكون مباحًا؛ إلاَّ أَنَّهُ من الممكن أَن ينتقلَ إلى محذور! وذلك عندما تصل الشَّهوةُ المباحة إلى محرم، أو تقود إلى التقصير في الطَّاعةِ، أو التَّكاسل فيها، أو تنتقل إلى الشَّهوةِ المذموم حينما يكثر منها بحيث يستغرق وقتًا كان من الأَفضل أَن يصرف هذا الوقت في الطَّاعة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ٢١.

### • والهوى في الشَّرع نوعان:

الهوى بمعنى الكفر الأكبر، والهوى بمعنى الكفر الأصغر؛ لأنَّ اتّباعَ الهوى ليس على منزلة واحدة في حكم الشَّرع؛ فمنه ما يكون كفرًا، أو شركًا أكبر، ومنه ما يكون كبيرة، ومنه ما يكون صغيرة من الصّغائر.

\* فإنْ اتَّبعَ العبدُ هواهُ ؛ حتَّىٰ قادَهُ إلىٰ تكذيبِ الرَّسُولِ عَلَيْهُ أَو الاستهزاء بهِ ، أو الإعراض عنه ؛ فهذا مُشركُ شركًا أكبر.

وهكذا الأمرُ مع كلّ من قادة الهوى إلى ارتكابِ ما دلت الأدلة الشَّرعيَّة على أنَّه شركَ أكبر، أو كفرَّ أكبر؛ كدعاء الأموات، أو جحد المعلوم بالضَّرورة، أو ترك الصَّلاة، أو استحلال الزَّنا، أو الخمر.

\* وإِنْ اتَّبعَ العبدُ هواه؛ فحلفَ بغيرِ اللهِ تعالى، أو رأى بعمله؛ فهو مشركٌ شركًا أصغر.

- \* وإِنْ اتَّبِعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ بدعة عِيرَ مكفِّرة ، فهو مبتدع .
- \* وإِنْ اتَّبِعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ كبيرةً؛ كأكلِ الرِّبا، أو ارتكاب الزِّنا، أو شُربِ الحمرِ من غير استحلال؛ فهو فاسقٌ.
  - \* وإِنْ اتَّبِعَ العبدُ هواهُ؛ ففعلَ صغيرةً؛ فهو عاص غير فاسقٍ.

وبهذا يتبينُ أَنَّ اتَّباعَ الهوىٰ يقودُ إلىٰ أُمورٍ متفاوتَةٍ؛ فلا يصحُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَن اتَّبعَ هواهُ؛ فهو كافرٌ بإطلاقِ .

إذن! اتّخاذُ الهوى إلهًا يكون باتّباعه والانقياد إليه، وهذا قد يقودُ صاحبهُ إلى اقترافِ الشّركِ الأكبر، أو الأصغر، أو البدعة، أو الكبيرة، أو الصّغيرة، لكن الحكم على كون الفعل – الذي قاد الهوى إليه – كفرًا

أكبر، أو أصغر؛ يُرجع فيه إلى قواعد الشَّريعة وأدلتها التفصيلة الأُخرى. وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمهُ اللهُ:

(الضابطُ في الشِّركِ الأكبرِ أنَّهُ ما أخرجَ من المَلَةِ، وهذا يرجع على أنَّكَ إِذَا وجدتَ حديثًا ما أنَّ هذا شرك، انظر إلى قواعد الشَّريعة بالنُّصوصِ الأُخرى؛ فإِن كان مثله يخرج من المَلَّة؛ فهو شركُ أكبر، وإِن كان لا يخرج؛ فهو شركُ أصغر. إِذا لا بُدَّ إِذَا جاءت النَّصوصُ بأن هذا شرك أن نعيدَ هذا النص إلى القواعدالعامَّة للشَّريعة؛ إِذَا وردت النَّصوص بالشَّركِ، ولكنه بمقتضى القواعد العامَّة للشَّريعة لا يخرج من الإسلام؛ فهو شركُ أصغر، مثل قوله عَيَّدُ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْر اللهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشُوكَ ».

أمَّا بالنسبة لجعل المعاصي كلُها شركًا: فهذا نعم بالمعنى العام؛ لأنَّ المعاصي إنما تصدر عن هوى، وقد سمى الله تعالى مَن اتَّبعَ هواه متخذًا له إلهًا، فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ الله ﴾ .

إذن! عندنا ثلاثة أشياءٍ:

الإطار العام: وهو أن كلّ معصية فهي نوعٌ من الشّرك؛ لأنَّها صادرة عن الهوى، وقد جعل الله تعالى من اتخذ هواه إلهًا جعله متخذًا له إلهًا.

الثاني: الشّرك إذا أُطلق؛ فهل نحمله على الشّرك الأكبر أم الشّرك الأكبر أم الشّرك الأَصغر؟ نقول: ننظرُ إلى القواعد العامّة في الشّريعة؛ إن اقتضى أن يكون خارجًا عن الإسلام؛ فهو أكبر، وإلاَّ فلا)(١١).

<sup>(</sup>١) انظر: «لقاء الباب المفتوح» ج١٢، ص١٩٢.

الهوى بمعنى الكُفر الأكبر: قال الله تعالى في محكم التَّنزيل:
 أرأيْت مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنت تَكُونُ عَلَيْهِ وكِيلاً ﴾ (١)(\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُ وَيَنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وكَانَ آمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣. (٢) سورة الجاثية، الآية: ٣٣.

<sup>(</sup>٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

<sup>( \* )</sup> قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في تفسير هذه الآية الكريمة :

<sup>(</sup>أي: مهما استحسن من شيء، ورآه حسنًا في هوى نفسه؛ كان دينه ومذهبه).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله تعالى - في هذه الآية الكريمة :

<sup>(</sup>فمن كان يعبد ما يهواه؛ فقد اتخذ إلهه هواه، فما هويه إلهه؛ فهو لا يتأله من يستحق التأله؛ بل يتألّه ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبّة؛ كمحبّة المشركين لآلهتهم، ومحبّة عباد العجل له، وهذه محبّة مع الله لا محبّة لله، وهذه محبّة آهل الشرك، والنفوس قد تدعي محبّة الله، وتكون في نفس الأمر محبّة شرك تحب ما تهواه، وقد اشركته في الحبّ مع الله، وقد يخفى الهوى على النفس؛ فإن حبّك الشيء يعمي ويصم) ومجموع الفتاوى ٤ : ج٨، ص٣٥٩.

وقال العلاَّمةُ محمَّد الأمين الشنقيطي - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

<sup>(</sup>وإيضاح أقوال العلماء المذكورة في هذه الآية: أنَّ الواجب الذي يلزم العمل به، هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقة لما أمره به معبوده - جلَّ وعلا - فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه؛ فقد صرف جميع ما يستحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلى هواه، وإذن فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهُواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيَّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (٢).

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين - رحمهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾:

(فدل ذلك على أنَّ كلَّ مَن قدَّمَ هوى نفسه على هُدى ربَّه؛ فهو قد اتخذ إِلهًا غيره، ولهذا بمكننا أن نقول: إنَّ جميع المعاصي داخلة في الشِّرك في هذا المعنى؛ لأنَّه قدمها على مرضاة اللهِ تعالى وطاعته! فجعل هذا شريكًا لله – عزَّ وجلَّ – في تعبده له واتباعه إِيَّاه؛ فالشَّرك أمره عظيم، هذا شريكًا لله – عزَّ وجلَّ إذا تصدق بدرهم وهو يلاحظ لعل النَّاس وخطره جسيم؛ حتى الرَّجل إذا تصدق بدرهم وهو يلاحظ لعل النَّاس يرونه ليمدحوه، ويقولون: إنَّه رجلٌ كريمٌ يعتبر مشركًا مراثيًا، والرِّياء شرك، وأخوف ما خاف النَّبِيُ عَيِّكَ على أُمَّتِهِ الشِّرك الحقي، وهو الرِّياء؛ فعلى هذا نقول: الذي جعل مع الله إلهًا آخر! إن كانت وصفًا خاصًّا بالكافر العنيد؛ فإنَّها تختص بمن يعبد الصنم والوثن، وإن كانت للعموم فهي تشمل كل من اشتغل بغير الله عن طاعته، وتقدم ذكر الأمثلة والأدلة على ما ذكرنا) (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

<sup>(</sup> ٣ ) انظر : « لقاء الباب المفتوح » ج٤ ، ص١٣٣ .

■ الهوىٰ بمعنىٰ الكفر الأصغر: قال الله تعالىٰ في محكم التنزيل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتْبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلِّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى الْهَوَى الْبَعْقَ الْهَوَى ﴿ أَنَّ الْمَأْوَى ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

 <sup>(</sup>٣) سورة النازات، الآيتان: ٤٠ – ٤١.

#### ( **4** ))

### « تعريفُ الموالاةِ والمعاداةِ »

# • الموالاةُ والمعاداةُ في اللُّغةِ:

الموالاة : هي الْمَحَبَّة ؛ فكلُّ مَن أحببتَه ابتداءً من غيرِ مُكافاَة ؛ فقد أَوْلَيْته وواليتَهُ، أي: أَذْنَيتَهُ من نفسكِ. والولايةُ ضدُّ العداوةِ.

وباختصارِ: هي الْمَحَبَّةُ والنُّصرةُ والاتِّباعُ، واللفظُ مُشْعِرٌ بالقربِ والدُّنوُ من الشَّيْءِ (١).

و المعاداة : مصدر عادى يُعادي معاداة .

والعداءُ والعداوةُ: الخصومةُ والمباعدةُ؛ وهي الشُّعورُ المتمكِّنُ في القلبِ بقصدِ الإضرارِ، وحبِّ الانتقام، والعدوُّ ضدُّ الصَّديقِ.

وملخصُّهُ: هي التَّباعدُ والاختلافُ والبُّغضُ والكراهيةُ، وهي ضدُّ الموالاة تمامًا (٢).

<sup>(</sup>١) انظر معاجم اللغّة، مادة (ولي): «تهذيب اللّغة» للأزهري؛ جه١، ص٢٥٢. و«لسان العرب» لابن منظور؛ جه١، ص٩٠٤. و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج٠٢، ص٠٢١٠ و«القاموس المحيط» لفيروزآبادي؛ ص٧٣٢٠ .

<sup>(</sup>٢) انظر معاجم اللُّغة، مادة (عدو): «لسان العرب» لابن منظور؛ ج١٥، ص٣٦. و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج٩١، ص٦٦٢.

## • الموالاة والمعاداة في الاصطلاح:

أصلُ الموالاةِ هي الْحُبُّ، وأصلُ المعاداةِ هي البُّغضُ، وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخُلُ في حقيقةِ الموالاةِ والمعاداةِ؛ كالنُّصرةِ، والتَّعاضُدِ، والحبَّةِ والإكرام والاحترام والأنسِ والمعاونةِ والجهادِ، والهجرةِ.

فالموالاة إذًا: الاقتراب من السَّيء والدُّنُو منه عن طريق القول، أو الفعل، أو النيَّة، وتكون بين المجبوبَيْنِ ظاهرًا وباطنًا، ولا تتحقَّقُ الموالاةُ في الله تعالىٰ؛ إلاَّ بالمحبَّة والنُّصرة مجتمعتين معًا.

والمعاداةُ ضدُّ كلَّ ذلكَ، وهي البُّغضُ، والبُّعدُ، والعداوةُ، والتبرِّي، والجانبة، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ اللهُ وَلِيُّ اللَّهُ وَلِيُّ اللَّهُ وَلِيُّ اللَّهُ وَلِيُّ النَّورِ وَاللَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاوُهُمُ الطَّلْمَاتِ أُولَئِكَ كَفَرُوا أَوْلِيَاوُهُمُ الطَّلْمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

ومن هنا يتبينُ جليًّا! أنَّه لا يكادُ يُوجَدُ فرقٌ بين المعنيَيْن اللَّغويَ والشَّرعيّ، وأنَّ الله – عزَّ وجلَّ – قد أوجَبَ على المؤمنين أن يقدَّموا كاملَ الموالاة لله تعالى، ولرَسُولِه عَلَى ولكتابِه، ولدينه، ولعباده المؤمنين، الموالاة لله تعالى، ولرَسُولِه عَلَى ولكتابِه، ولدينه، ولعباده إلاَّ المؤمنين، ولا تكون ولايتُهُ إلاَّ لاَخيه المؤمن، ولا تكون ولايتُهُ إلاَّ لاَخيه المؤمن، وأنَّ الله حسبحانه وتعالى – وليُّ المؤمنين ومولاهم، قالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

<sup>(</sup>٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أُوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَإِخْوَانِنَا اللَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

وكذلك أوجَبَ الله - تبارك وتعالى - على المؤمنين أن يوجّهوا كاملَ عدائهم للكافرين والمشركين والوثنيّين والملحدين والمنافقين، ومَنْ تابعَهَم؛ لأَنَّ بعضهَم أولياء بعض، قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَاللَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٠).

ولا يتحقَّق الولاءُ للمؤمنينَ والمسلمينَ إِلاَّ بالبراءِ من المشركينَ والكافرينَ لاَنَّ المعنييْنِ لا يتحقَّقان معًا! فهما ضدَّان لا يجتمعان أبدًا؛ فمتى تمكَّن أحدُهما في القلب انتفى نقيضه، وإذا زال أحدُهما خَلَفَهُ الآخَرُ؛ لأَنَّ حبَّ الله تعالىٰ يقتضي حبَّ أوليائه وأحبَّائه، كما يقتضي هذا الحبُّ؛ بغض الشَّيطانِ وأتباعه وحزبه؛ فاجتماعُ الحبَّتين مُحالٌ، قالَ الله تعالىٰ:

<sup>(</sup> ١ ) سورة التوبة، الآية: ٧١ . ( ٢ ) سورة الأنفال، الآية : ٧٢ .

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر، الآية: ١٠. ﴿ ٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَخذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُ لَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَولَهُم مَّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكَعُونَ ﴾ (٢)(٠).

وقال الإمام ابن القيم، رحمه الله: (لا تُصحُّ الموالاة إلاَّ بالمعاداة؛ كما قال تعالىٰ عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿قَالَ الْوَايَّةُم مَا كُنتُمْ تَعَبُدُونَ ﴿ كَ أَنتُم وَآبَاؤُكُمُ اللهُ هذه الموالاة والحُلَّةُ الْأَقْدَمُونَ ﴿ فَلَى اللهُ هذه الموالاة والحُلَّةُ الْأَقْدَمُونَ هَنِ فَلَا اللهُ هذه الموالاة والحُلَّةُ إِلاَّ الله وَلاه إلاَّ الله وَلاه إلاَّ الله وَاللهُ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونَ اللهُ كَفَرْنَا بَكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَفْضَاءَ أَبَدا مَن عُولُ اللهُ عَن الله عَن تَعْمُ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونَ اللهُ كَفَرْنَا بَكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَفْضَاءَ أَبَدا مَن عُرَّا اللهُ عَن تَعْمُ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن أَبِا وَإِلَىكُ اللهُ عَن الله عَن عَلَى اللهُ عَن تَعْمُ وَمَا تَعْبُدُونَ فَلَ إِبْرَاهِيم لاَبِيهُ وَقُومُه إِنِي بَرَاءُ مِمَا تَعْبُدُونَ فَلَ إِبْرَاهِيم لاَبِيهُ وَقُولًا يَمْ اللهُ عَن اللهُ عَن عَلَى اللهُ عَن الله عَن الله عَن الله عَن عَلَى الله وَحَدَّهُ إِلَّا اللهُ عَن الله عَن الله عَن الله عَن عَلَى اللهُ عَن الله عَن الله عَن عَلَى اللهُ عَن عَلَى اللهُ عَن الله عَن عَلَى اللهُ عَن الله عَن الله عَن الله عَن عَنه وقُومُه إِنِي بَرَاءُ مِمَا تَعْبُدُونَ فَلَ إِبْرَاهِيم عَلْهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَن عَلَى اللهُ عَن عَلَم اللهُ عَن عَلَى اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ عَن عَلَم اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَن عَلَى اللهُ اللهُ عَن عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ١٥. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

<sup>(\*)</sup> قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة، رحمه الله: (والولايةُ: ضدُّ العدواةِ، وأصلُ الولاية: الحبّةُ والقربُ، وأصلُ العداوة: البُغضُ والبُعد. وقد قيل: إنَّ الوليُّ سمّي وليًّا من موالاته للطاعات، أي: متابعته لها، والأول أصحُ، والوليُّ: القريب، يقال: هذا يلي هذا، آي: يقربُ منه، ومنه قوله تَقِكُ: وألْحِقُوا الْفُرَائِعنَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِي فَهُو لأُوكَى رَجُلٍ ذَكَرٍ ، يقربُ منه، ومنه قوله تَقِكُ: وألْحِقُوا الْفُرَائِعنَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِي فَهُو لأُوكَى رَجُلٍ ذَكَرٍ ، أي: لأقرب رجل إلى الميت ... فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبّه ويرضاه، ويُبغضه ويُسخطه. ويأمر به وينهي عنه؛ كان المعادي لوليه معاديًا له) والفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص٥٥.

#### • وجوبُ الموالاةِ بينَ المسلمين:

أهلُ السُنَّة والجماعة: يعتقدون أنَّ الموالاة والمعاداة واجبةٌ على جميع المسلمين شرعًا، وهي عبادةٌ يجبُ أن يتعبَّدوا الله تعالى بها؛ بل هي من لوازم شهادة التُوحيد ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ﴾ وشرطٌ من شرُوطها، وهي أصلٌ عظيمٌ من أصول العقيدة والإيمان، وركن ركينٌ من أركان التَّوحيد؛ فيجب على كلِّ المسلمين مراعاتُها والعملُ بها، وقد جاءت النُّصوصُ الكثيرةُ في الوحيين الشَّريفين لتأكيدها، وتثبيتها عند المسلمين، منها قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَٱبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَٱزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَٱبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَٱزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّة ﴾ ( ` ' ).

وقوله تعالىٰ: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلُّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ فَ وَلَوْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مَنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٢) سورة المتحنة، الآية: ١.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠ - ٨١.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضِ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٪ \*).

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالَمُونَ ﴾ (٢٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيُومُ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادً اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ أُو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيْدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيْدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ تَحْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ عَرْبُ اللّهِ أَلْ إِنَّ حَزْبَ اللّه هُمُ الْمُفْلَحُونَ لَهُ (٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلِيُّهُ: ١ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (°).

 <sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.
 (٢) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ . (٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

<sup>(</sup> ٥ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب وحبُّ النبي على من الإيمان ، .

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: (أي: إن لم تجانبوا المشركين، وتوالُوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنةُ في النَّاس؛ وهو التباس الأَمر، واختلاط المؤمن بالكافر؛ فيقع بين النَّاس فسادٌ منتشرٌ عريضٌ طويل).

وقال عَلَيْ : ﴿ لاَ تُصَاحِبُ إِلاَّ مُؤْمِنًا ، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيُّ ، (١).

وعن جرير - رضي الله عنه - قال: أتيتُ النّبِيَّ عَلَيْهُ وهو يبايعُ، فقلتُ: يا رَسُول الله ابْسِطْ يَدك حتىٰ أُبايِعَكَ، واشتَرِطْ عليَّ فأنتَ أعلم! قالَ:

«أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ المُشْرِكِينَ » (٢٠).

فهذه الآياتُ والأحاديثُ كلُها صريحةٌ واضحةٌ ومبيَّنةٌ تثبتُ أَنَّ عقيدةَ «الموالاة والمعاداة» أصلٌ عظيمٌ من أصول هذا الدِّين العظيم، وأنَّهُ لا موادَّة ولا نصرة ولا موالاة مع الكُفَّار وأعداء الدِّين البِتَّة، ومع مَن حادَّ الله تعالىٰ ورسوله عَلَيْ ولو كانوا من أخص الأرحام، وعلىٰ جميع أجناسهم.

واعلم! أخي المسلم العزيز؛ أعزَّك الله تعالى في الدَّارين: أنَّ مَن حقَّق هذا الأَصل العظيم من أُصولِ الدِّينِ القويم؛ فهو من المؤمنين - حقًّا وصدقًا - الخلصينَ المجاهدينَ المؤيَّدينَ بنصر الله تعالى وتوفيقه؛ لأنَّ إتمامَ هذا الأَصلِ من كمال الإيمان، وتمام العبوديَّة، وتحقيقٌ للتَّوحيد الخالص (\*).

<sup>(</sup> ١ ) رواه أبو داود في (كتاب الأداب ) باب ٥ مَن يؤمر أن يجالس، وحسَّنه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه النسائي في ( كتاب البيعة ) باب ه البيعة على فراق المشرك ، وحسُّنه الألباني.

<sup>(\*)</sup> قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله: (إِنَّ تحقيقَ الشهادة بالتوحيد يقتضي أَن لا يحبُّ إلاَّ لله، وأن لا يبغض إلاَّ لله، ولا يوالي إلاَّ لله، ولا يُعادي إلاَّ لله، وأن يُحبُّ ما أحبُّه الله، ويُبغض ما أبغضه الله، ويأمر بما أمر الله به، وينهيٰ عمًا نهيٰ الله عنه، وأنَّك لا ترجو إلاَّ الله، ولا تخاف إلاَّ الله؛ وهذا هو مله إبراهيم، وهذا هو الإسلام الذي بَعَثَ الله به جميع المرسلين) «الاحتجاج بالقدر » ص ٢٦. وقال رحمه الله: (فاتباعُ سُنَّة رسوله عَلَيُّ وشريعته باطنًا وظاهرًا، هي موجب محبَّة الله؛ كما أنَّ الجهادَ في سبيله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها) «التحفة العراقية » ص ١٠١

# الموالاة والمعاداة من أصول الدّين:

فا هل السُنّة والجماعة: يعتقدون أنَّ عقيدة الموالاة والمعاداة من الأُصول المهمَّة في الدّين، وركن من أركان العقيدة، وتوحيد العبادة، ولها مكانة عظيمة في الشريعة الإسلاميَّة؛ تتَّضح بالوجوه الآتية:

أُوَّلاً - أَنَّها جزءٌ من شهادةِ التَّوحيد ﴿ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ معناها: البراءةُ من كلِّ ما يُعبدُ من دون الله تعالىٰ، كما قال الله تعالىٰ:

﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١).

والطَّاغوتُ: هو كلُّ ما يُعبد من دونِ اللهِ تعالىٰ، وكلُّ مَن جاوَزَ حدَّه ودعا إِلىٰ عبادة والطَّاعَةِ.

ثانيًا - أنَّها شرطٌ في صحَّة الإيمان، وأوثقُ عُراه، وبتحقيقها يكون الفوز بمرضاة الله تعالى، قال الله - عزَّ وجلَّ - في ذمّ المنافقين:

﴿ تَرِىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلُّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ فَي وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَ كَثِيرًا مَنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (أَن ).

وقالَ النَّبِيُ عَلِيْكُ : « أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ : الْمُوَالاَةُ في اللهِ والْمُعَادَاةُ في اللهِ، والْمُعْضُ في اللهِ، والْمُعْضُ في اللهِ، (٣).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة المائدة، الآيتان : ٨٠ – ٨١ .

<sup>(</sup>٣) انظر: ٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني برقم ( ٩٩٨).

ثَالثًا - أَنَّه بتحقيق هذه العقيدة؛ يستكمل الإيمان، قالَ النَّبِيُّ عَلَّكَ : « مَنْ أَحَبَ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكُمْلَ الإيمانَ » (١٠).

رابعًا - أنَّها سبب لتذوّق المؤمن حلاوة الإيمان، ولذَّة اليقين؛ لأنَّ الحب في الله، والبُغض في الله؛ باب عظيمٌ من أبواب الخير في الآخرة، وسبب من أسباب حلاوة الإيمان في الدُّنيا، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكَة :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ اللهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ فِي النَّارِ» (٢٠). في الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ» (٢٠).

خَامِسًا لَا نَ مَنْ أَحَبَّ غَيرَ اللهِ للهِ عَلَى وَتعالىٰ وَتعالىٰ وَدينه وأَهله؛ حُبًّا كُمُّة للدِّين الحَقِّ وَأَهْلِهِ؛ كانَ كافرًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

سادسًا - أنَّها الصَّلةُ التي على أساسِها يقوم المجتمع الإسلامي الربَّاني، ويكملُ بُنيانه، قالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ:

« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَىٰ يُحِبُّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب السنة) باب «الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه» وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في كتاب ( الإيمان ) باب « مَن كره أن يعود في الكفر » .

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في كتاب ( الإيمان ) باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

# أقسامُ النَّاسِ في الموالاةِ والمعاداةِ:

أَهِلُ السُنَّةِ والجماعة: يُقَسِّمُونَ النَّاسِ في الموالاةِ والمعاداةِ إِلَىٰ ثلاثة أقسام؛ كما دلَّ على ذلك الكتابُ العزيزُ، والسُّنَّةُ المطهَّرةُ:

# أُوَّلاً – مَن يستحقُّ الموالاة والحبُّ المطلق:

وهم المؤمنون الخَلُصُ الذين آمنوا بالله تعالىٰ رَبًا، وبرسوله عَلَيْ نبيًا، وقاموا بشعائر الدِّين؛ علمًا وعملاً واعتقادًا، مخلصين لله - عزَّ وجلً - وانقادوا لاَ وامرِ الله تعالىٰ، وأوامرِ رسوله عَلَيْ، وانتهوا عمًا نهىٰ الله عنه، ونهىٰ عنه رسوله عَلَيْ ، وأحبُّوا في الله، وأبغضُوا وعادَوا في الله؛ فيجب علىٰ المسلمين حبُّهم ونصرتُهم وموالاتُهم أينما كانوا، وفي كلَّ عصر ومصر.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقَوِلً اللَّهَ يُقْيِمُونَ ﴿ وَكُونَ ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ وَهُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ وَهُمْ وَاكْعُونَ ﴾ (١) ﴿ وَمَن يَتُولَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهَ هُمُ الْغَالُبُونَ ﴾ (١) ﴿ \* ).

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكَ : ﴿ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ – ٥٦.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في كتاب ( المظالم ) باب ه لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ي .

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمة ابن السُّعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (لمَّا نهي الله عن ولاية الكفَّار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أنَّه الحسرانُ المبينُ، أخبر تعالىٰ مَنْ يجب ويتفيّن ولايته، وذكر عائدة دنك ومصلحته فقال: ﴿ إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ فولاية الله تُدُرَكُ بالإيمان والتقوى؛ فكلُ مَنْ كان مؤمنًا تقيًّا كان الله وليًّا، ومَنْ كان وليًّا لله فهو وليًّ لرسوله، ومَنْ تولَى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الله فهو وليًّ لرسوله، ومَنْ تولَى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود؛ بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكمّلاتها، وأحسنوا للحفلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم ... فتدلُّ – هذه الآية الكريمة – على أنَّه يجب قصر الولاية على المذكورين والتبري من ولاية غيرهم).

وقالَ عَلَى الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ﴿ (١).

وقالَ عَلَى اللهُ اللهُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالْحَمَّىٰ ٥(٢).

ثانيًا - من يستحِقُ الموالاة والحبُّ من جهة، والمعاداة والبُّغض من جهة أخرى:

وهم عصاة المؤمنين؛ فتجتمع فيهم الحبة والعداوة؛ يُحبُون لما فيهم من الإيمان والطاعة والتقوى، ويُبغَضُون لما فيهم من المعصية والفجور التي هي دون الكُفر والشّرك، مثل: المسلم العاصي الذي خَلَطَ عملاً صالحًا، وآخر سيّعًا، والذي يهملُ بعض الواجبات، ويفعلُ بعض الحرّمات التي لا تصل إلى الكُفر؛ فأمثالُ هؤلاء يكون لهم من الموالاة بقدر ما يظهرون من الخير، ومن المعاداة بقدر ما يظهر منهم من الشّر؛ كما يجب مناصحة هؤلاء، وعدمُ السُّكُوتِ على معاصيهم؛ بل يؤمرون بالمعروف ويُنهونَ عن المنكر وتُقامُ الحدودُ والتعزيراتُ عليهم حتى يكفُوا عن معاصيهم ويتركوا سيّئاتهم كما فعل النّبي عَلَيْ مع رجل اسمة عبد الله وكان يُلقّبُ بحِمَار؛ عندما أتِي به، وهو شارب للخمر، ولعنه بعض الصّحابة، رضي الله عنهم.

فَقَالَ عَلَيْهُ : « لاَ تَلْعَنُوهُ ! فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَه ، ("). ومع هذا! فقد أقام عَلِيه عليه الحدّ.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في كتاب (المظالم) باب ٥ نصرة المظلوم٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في كتاب ( البر والصلة والآداب ) باب ه تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في كتاب (الحدود) باب دما يكره من لعن شارب الخمر ١٠.

# ثَالثًا – مَن يستحِقُّ المعاداةَ والبغضَ المطلق:

وهُمُ الكُفَّارُ الخُلَّصُ الذين يَظهرُ كُفرُهم وشركُهم وزندقتُهم، وعلى اختلاف أجناسهم من اليَهُود والنَّصارى، والمشركين، والملحدين، والوثنيين، والمجوس، والمنافقين، أو مَن تبعهم من أصحاب المذاهب الهدَّامة، والأحزابِ العلمانيَّة، وما هم في حكمهم.

وهذا الحكمُ ينطبقُ - أيضًا - علىٰ مَن فَعَل المكفّراتِ من المرتدّين والمشركين المنسوبين للإسلام: كوقوعِهِ في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام، أو أشركُ بالله - تباركُ وتعالىٰ - في عبادته أحدًا من عباده، أو صرف لهم نوعًا من أنواع العبادة؛ كدُعاء غير الله، أو الاستغاثة بغيره، أو التّوكُل، أو النّبع، أو النّب أو النّب الله تعالىٰ ورَسُوله عَلَيْهُ أو دينه الغنب ، أو سبّ الله تعالىٰ ورَسُوله عَلَيْهُ أو دينه العظيم، أو ترك الصّلاة المفروضة، أو فصل الدّين عن الحياة؛ اعتقادًا بأنَّ دين الإسلام لا يلائِمُ هذا العصر! أو نحو ذلك من أعمال الرّدّة بعد إقامة الحجة عليه واستكمال شروط التكفير وانتفاء موانعه - فعلىٰ جميع إقامة الحجة عليه واستكمال شروط التكفير وانتفاء موانعه - فعلىٰ جميع المسلمين أن يُجاهدُوا هذا النوعَ من المرتدّين، ويُضيّقوا عليهم مِنْ كُلٌ جانب، ولا يتركُوهُمْ يَعيثُونَ في الأرض الفسّاد، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

واعلم أخي المسلم العزيز ا أنَّ بُغضَ الكُفرِ والشَّرك وأهلِه ؛ علامةُ صدق الإيمان، وإخلاص التَّوحيد، وحبَّ العقيدة، وإعلان الموالاة لله تعالىٰ

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٧٣. وسورة التحريم، الآية: ٩.

ولدينه العظيم، ولرسُوله الأمين عَلِي ولعباده المؤمنين الصَّادقين الموحِّدين.

وأَنَّ بُغض الكُفر والشِّرك يستلزم بُغض أهله، والبراءة منهم ومما يعبدونه من دون الله تعالى؛ ثمَّ محاربتهم والتَّصدِّي لهم، وكشف خُطَطهم، والتَّحذيرَ من مكاثدهم وأفكارهم، وبيان فسادها وخُبثها؛ فهذا من أعلى مراتب الموالاة والمعاداة في الله تبارك وتعالى (\*).

وأنَّ الأصلَ في معاداة الكفار وبغضهم؛ أن تكون ظاهرةً لا خفيةً، وذلك حفظًا للدين وأهله؛ كما أعلنها إمام الحنفاء وأبو الأنبياء إبراهيم خليل الرَّحمن - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - قالَ اللهُ تباركِ وتعالىٰ:

﴿ قَلْ كَانَتُ لَكُمْ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا مِنْكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة المتحنة، الآية: ٤.

<sup>(\*)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: (وليُعلم أنَّ المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإنَّ الله -- سبحانه - بعث الرُّسل، وأنزل الكُتب ليكون اللاّين كله الله، فيكون الحبُّ لأولياته، والبغضُ لأعدائه، والإكرامُ لأولياته، والإهانةُ لأعدائه، والثواب لأولياته، والعقاب لأعدائه. وإذا اجتمع في الرُّجل الواحد خيرٌ وشر، وفجورٌ وطاعة، ومعصيةٌ، وسُنَّةٌ وبدعة: استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة؛ فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص فيجتمع ني الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة؛ فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الذي الفقير، تُقطع يده لسرقته، ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي النقق عليه أهلُ السُنَةِ والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة، ومَن وافقهم عليه) ه مجموع الفتاوئ « ٢٠٩ ، ص ٢٠٩ ،

### • حقوقُ ومقتضياتِ الموالاةِ في اللهِ تعالىٰ:

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أَنَّ الموالاةَ في الله تعالىٰ لها مقتضيات وحقوق يجب أَن يؤدِّيها المسلم؛ حتى يَكملَ إسلامه وإيمانه وصدقه، وينجوَ من الوقوع في شراك الكُفر – والعيادُ بالله – منها:

أُوَّلاً للهجرةُ من بلاد الكُفر إلى بلاد المسلمين، ويُستثنى من ذلك المستضعف، ومَن لا يستطيعُ الهجرة لأسبابٍ شرعيَّة، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَا عُنهُمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ اللَّهِ وَالْمِعَةُ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَاكَ مَأُواهُمْ جَهَنَمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ اللَّهُ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرَّجَالِ وَالنِسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿ اللَّهُ عَلُوا غَفُوا غَفُورًا ﴾ (١) فَأُولُكُ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوا غَفُورًا ﴾ (١)

ثانيًا - الانضمامُ إلى جماعةِ المسلمين، وعدمُ التفرُّق عنهم، والتعاونُ معهم على البرُّ والتقوى، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولُهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢).

ثالثًا - أن يُحبّ للمسلمين ما يحبُّ لنفسه؛ من الخير ودفع الشرّ، والحرص على محبَّتهم، ومجالستهم، ومشاورتهم، قالَ الله تعالى:

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآيات: ٩٧ \_ ٩٩ .

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١١٥

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠).

رابعًا - عدمُ التجسس عليهم، أو نقلِ أخبارهم وأسرارهم إلى عدوًهم، وكفُ الأذى عنهم، وإصلاحُ ذات بينهم، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ وَلا تَجسسُوا ﴾ (٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢).

خامساً للصرة المسلمين على أعدائهم، وعدم التخلّي عنهم البتّة، في حال العسر واليسر، والشّدة والرّخاء، في كلّ مكان وزمان، ومعاونتهم بالنفس والمال واللّسان، ومشاركتُهم في أفراحهم وأحزانهم، قالَ تعالى:

﴿ وَإِن اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ اسْتَنصَرُ وَكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

سادَسًا - أَداءُ حقوقهم من عيادة المريض، واتّباع الجنائز، والرفق بهم، واللين والرقّة والذلّ وخفض الجناح لهم، والدّعاء والاستغفار لهم، والسّلام عليهم، والرفق بضُعفائهم، وعدم غشّهم في المعاملة، أو أكل أموالهم

<sup>(</sup>١) سورة الحشر، الآية: ٩. (٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجرات، الآية: ٩. ﴿ ٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

بالباطل، أو البيع على بيعهم، أو الخطبة على خطبة أخيه المسلم، وعدم هجره فوق ثلاثِ ليال.

سابعًا عدمُ انتهاك حرمات المسلمين: من تكفيرهم، واستحلال دمائهم، أو أعراضهم، أو أموالهم، أو ظلمهم، أو سبّهم وشتمهم، أو لعنهم، أو التعدّي عليهم، أو سوء الظنّ بهم، أو السخرية منهم، أو غيبتهم، أو الوقوع في النميمة والإفساد فيما بينهم، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخُرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا تِلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ مَنْهُمْ وَلا تِلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَسْاءٌ مِّن نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنُ خَيْرًا مِّنْهُنُ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَسْاءِ مِن لَمْ يَتُب وَلا تَسْابِرُوا بِالأَلْقَابِ بِئُسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُب فَأُولَٰكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَلَى يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنَّ فَأُولِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَلا تَجَسَسُوا وَلا يَغْتَب بَعْضَكُم بَعْضًا آيُحِب أَحَدُكُمْ إِنْ بَعْضَ الظَّنَ إِثْمٌ وَلا تَجَسَسُوا وَلا يَغْتَب بَعْضَكُم بَعْضًا آيُحِب أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآيتان: ١١ – ١٢.

#### • مقتضيات معاداة الكافرين:

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أَنَّ المعاداةَ في اللهِ - تبارك وتعالىٰ - تقتضي أُمورًا في حياة المسلم الصَّادق يجب مراعاتها، والأَخدُ بها؛ حتىٰ يسلَمَ من الوقوع في الكُفر أو الشُّرك، وموافقة أهله، منها:

ثانياً - عدمُ اتّخاذ الكفّار أولياء وأعوانًا وأنصارًا، أو الميل إليهم من المصاحبة والاستناد والاعتماد، وعدمُ مودّتهم، أو تعظيمهم وتوقيرهم وإكرامهم، أو البشاشة والطلاقة في وجوههم، ومفاصلتُهم مفاصلةً كاملةً ؛ حتى لو كانوا من ذوي القربى والخواصّ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوْي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمِ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ (١).

ثالثًا - هَجْرُ بلاد الكُفر عامةً، وعدمُ السُكنىٰ فيها، وعدمُ تكثيرِ سَوادِهم، وعدمُ السَّفَرِ إليها إلاَّ للضرورة مع القدرة علىٰ إظهار شعائر الدِّين، والدعوة إليه، والاعتزاز به، مع عدم المعارضة لقول النَّبِيِّ عَلَيْكَة :

ه أَنا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِم يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ . . . (٢٠).

رابعًا – عدمُ التشبّه بهم فيما هو من خصائصهم، دينًا ودُنْيا: فمن التشبّه في أُمور الدِّين التشبّه بشعائر دينهم، وطرقِ عباداتِهم، أو ترجمة كتبهم وتيسيرها للاطلاع، أو أخذُ علومهم بِرُمَّتِها؛ بدون تمحيص وتنقية، وبدون ضوابط شرعيّة، أو استعارة قوانينهم ومناهجهم في الحكم والتربية، والعملُ بها، وإلزامُ النَّاس عليها.

وفي أمور الدُّنيا؛ التشبُّه بهم في أخلاقهم وآدابهم وعاداتهم الخاصة بهم؛ كطريقة الأكل والشرب واللباس، أو التسمِّي بأسمائهم، ونحوها من عاداتهم وتقاليدهم، وما لم ينتشر في المسلمين، قال النَّبِيُّ عَلِيْكُ :

« مَنْ تَشَبَّهُ بِقُومُ ؛ فَهُوَ مِنْهُمْ ٥ (٣).

لأنَّ التشبُّه يُورثُ نوعًا من المودَّةِ والموالاةِ والإعجابِ في الباطن، والمحبَّة في الباطن، والمحبَّة في الظَّاهر.

<sup>(</sup>١) سورة المتحنة. الآية: ١.

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب السير) باب و كراهية المقام بين أظهر المشركين، وصححه الألباني.

<sup>(</sup>٣) رواه أبو داود في (كتاب اللباس) باب وفي لبس الشهرة ، وصححه الألباني .

خامساً عدمُ مناصرةِ الكفّار، أو مدحِهم، أو الثّناءِ عليهم، أو نشرِ فضائلهم، أو إعانتهم، أو التآمرِ معهم ضدَّ المسلمين، أو نقلِ أسرار المسلمين إليهم، أو الركون إليهم، أو الاستعانة بهم إلاَّ عند الضرورة وعلى كفَّار أمثالهم؛ بل يجب هجرُ صحبتهم ومجالسهم، وعدمُ اتّخاذهم بطانة وحاشية لخفظ أسرار المسلمين، أو إعطائهم الفُرَصَ للقيام بأهمَّ أعمالهم، وقد خوَّنهم الله تبارك وتعالى؛ إذ قال جلَّ وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوا مَا عَنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقَلُونَ ﴾ (١).

سادساً عدمُ مشاركة الكفّار في أعيادهم وطُقُوسهم الدّينية، أو تهنئتهم عليها، وقد فسرَّ أكثرُ أهل العلم من أثمّة السّلف - رحمهم الله - قول الله تعالى في صفات المؤمنين: ﴿ وَالّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (٢).

أي: أعيادَ الكفَّار والمشركين. وكذلك عدمُ تعظيمهم بالقول أو الفعل كمخاطبتهم بالسيِّد والمولي.. ونحوها، وقد أذلَّهم الله تعالى وأخزاهم.

سابعًا - عدمُ الترحُّم عليهم، أو الاستغفار لهم؛ لأنَّ هذا العمل يتضمَّن حبَّهم، وتصحيح ما هم عليه من الفساد والباطل، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيم ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨. ﴿ ٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

<sup>(</sup>٣) سورة التوبة، الآية: ١٣٣.

ثامنًا - عدمُ مداهنَةِ الكفّار ومُجاملتهم ومداراتهم على حساب الدّين، أو السكوت على ما هم عليه من المنكر والباطل، قال الله تعالى:

﴿ وَدُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ (٢).

تاسعًا عدمُ التَّحاكُم إليهم، أو الرِّضىٰ بحكمهم، أو ببعض حكمهم، و ترك اتِّباع أهوائهم، ومتابعتهم في أي أمر من أمورهم؛ لأنَّ متابعتهم يعني ترك حكم الله تعالىٰ، وحكم رسوله عَلَيْك، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰكِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَىٰ تَتَبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيَّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (1).

عاشرًا – عدمُ اتّباعِ الكفّار والمشركين، أو طاعتهم فيما يأمرون به، أو يُشيرون إليه، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَاتِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

 <sup>(</sup>٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

<sup>(</sup> ١ ) سورة القلم، الآية : ٩ . ( ٣ ) سورة المائدة، الآية : ٤٤ .

<sup>(</sup>٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةً مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهُواءَ اللَّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

حادي عشر عدمُ بدئهم بتحيَّةِ الإسلام: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ».

قال النَّبِيُّ عَلِيُّ : « لاَ تَبْدَؤُا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ ؛ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيق فَاضْطَرُوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ »(٣)(\*).

الحالة الأولى: موافقتهم في الظاهر والباطن: وهي تولّي الكفّار بالإطلاق؛ وذلك بالمودة، والميول، والتشبّه، والالتجاء، والاستنصار، والانقياد لهم فيما يشتهون، وتحوها؛ فهذه هي «الموالاة المطلقة» فهي ردّة، وكُفرٌ أكبر، مخرج عن ملّة الإسلام إجماعًا؛ ولو ادّعى صاحبه الإسلام، أو أعلن بعض شعائره.

الحالة الثانية: موافقتهم في الباطن دون الظاهر: فهذه - أيضًا - كُفر مخرج عن الملّة بالإجماع؛ لأنّها من النفاق العقدي (نفاق أكبر).

الحالة الثالثة: موافقتهم في الظاهر دون الباطن: وهذه الموافقة على نوعين:

\* أَن تكون الموافقة بسبب الإكراه؛ كالضرب والقتل والتعذيب، بالفعل لا بمجرَّد التهديد اللفظي، وأن يغلب على ظنَّه أنَّه إذا امتنع أُوقع به ذلك فورًا؛ ففي هذه الحالة لا يُكفَّر المسلم ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته.

\* أن يوافق الكُفَّار والمشركين في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن - وهو ليس في سلطانهم - وذلك لغرض دنيوي؛ كحُب الرياسة، أو طمع في جاه ومنزلة، أو مال، أو أرض، أو الخوف على مصالحه من الضرر؛ فيواليهم ويدافع عن باطلهم أو يسكت عنه، أو يتبع نظمهم ويطبّق قوانينهم؛ إرضاء لهم، وإيشارًا لحظّه من الدُّنيا وحبًّا للراحة، وطلبًا =

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩. (٢) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه مسلم في ( كتاب السَّلام ) باب « النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام».

<sup>(\*)</sup> أَحكام موافقة الكفار: فقد بسط العلماء القول في أحكام موافقة الكفّار في كتب العقائد، وملخّصها: أنَّ للمسلم في موافقته للكفّار ثلاث حالات، وهي كالآتي:

# • موالاةُ الكُفَّارِ درجات:

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يرونَ أَنَّ موالاةَ المؤَّمنينَ بعضهم لبعض، ومعاداتهم للكُفَّار والمشَّركين؛ واجبٌ شرعًا، ومعاداة بعضهم لبعض، وموالاتهم للكُفَّار والمشَّركين؛ محرمٌ شرعًا.

ويرونَ أَنَّ الموالاةَ يقعُ على شُعَبِ ودرجاتٍ متفاوته؛ منها ما يُوجب الرِّدَةَ وذهابَ الإسلام – والعياذُ بالله – ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرَّمات؛ فالتولي أخصُّ من الموالاة؛ فكلُّ من تولَّىٰ الكُفَّار؛ فهو كافرٌ مرتد، وليس كلُّ موالاة للكُفَّار يُكفِّرُ صاحبها.

إذن! موالاةُ الكُفَّار - عندهم - نوعان: موالاةٌ مكفّرة، وموالاةٌ محرَّمة لا تخرج من الملّة.

للسلامة العاجلة؛ فيكون بذلك قد تخلّى عن ركن من أركان توحيد العبادة، وهو المعاداة في الله تعالى والموالاة فيه؛ فيُوجب هذا الترك ردّتة وكفره عن الدّين، ولا تنفعه كراهيته لهم في الباطن؛ كما دلّت على ذلك النصوص الشرعيّة.

الفرق بين عقيدة المعاداة وبين البر والقسط والإحسان!

معاداتنا للكفّار المعبّر عنها بالبراء منهم لا تعني الإساءة لهم بالأقوال أو الأفعال، وتجاوز ما وضعه لنا ديننا الحنيف من شروط وضوابط في المعاملة معهم، وهذه الشروط والضوابط مبنيّة على أساس العدل والإحسان؛ دون محبّة القلب وميله، وأباح الإسلام تبادل المصالح بيننا وبينهم بما يعود بالنفع على المسلمين، وقرّر شيفًا من التسامح مع بعض الفئات من الكُفّار المسالمين والمعاهدين غير الحربيّين - لا المساعدين على حربنا وإخراجنا من ديارنا - بشرط ألاً يكون على حساب الديّين. والشارع الحكيم يأمر بحسن المعاملة مع الجميع ما داموا غير محاربين، وهذا لا يعني موالاتهم ومحبّتهم؛ لأنّ البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحاب والتواد المنهي عنه في الشريعة الإسلاميّة. أمّا إذا كان هؤلاء الكُفّار محاربين فإنّ صلتهم محرّمة شرعًا بالإجماع.

#### أَوَّلاً ــ الموالاةُ الكُبرىٰ، أَو العُظمىٰ:

يُخرج صاحبه من الإسلام، ويُسقطه في الكُفر والرِّدَّةِ - والعيادُ بالله - في موالاةٌ تامَّة، وتكون مشتملة على حبِّ دينِ الكفَّارِ، وحبُّ ظهورِ على المسلمينَ، أو العمل على ذلك، وتكون بالقلب أو بالعمل، أو بكليهما.

\* أمَّا التولّي بالقلب: فيكون بحبّهم وحبّ مَن يُحِبّهم، وتوادّهم والرّضا عنهم، ومعاداة وبغض مَن يبغضهم، وموافقتُهم بالقلب والميل إليهم بالباطن؛ كمحبّة الديمقراطيين من أجل الديمقراطية، ومحبّة البرلمانيين المشرعين، ومحبّة العلمانين والقوميين، ونحوهم، من أجل توجهاتهم وعقائدهم.

\* وأمّا التولّي بالفعل: فيكون بنصرة الكفّار والدّفاع عنهم، والتّحالف معهم ضِدّ المسلمين، أو بمعاونتهم على إنزال العذاب والفتنة بالمسلمين، أو إعانتهم بالمال والبدن والرأي؛ فكلُّ مَن أعان الكُفّار على المسلمين؛ فهو كافرٌ مرتددٌ؛ كإعانة النّصارى أو اليهود اليوم على المسلمين، أو التّحالف مع الكفّار وعقد معهم حلفًا لمناصرتهم، ولو لم تقع النّصرة فعلاً! لكنّ الوعد بها، والتعاقد معهم والتحالف على ذلك.

\* وأمَّا التولِّي بالقلبِ والفعلِ: فتكون بموافقتهم في الظَّاهر والباطن؛ أي: انقياد لهم بالظاهرِ، والميلُ لهم في الباطن؛ كجعل الديمقراطية في الحكم بديلاً للتَشريع الإسلامي.

# ثَانيًا - الموالاةُ الصغرى، أو المقيدة، أو المحرَّمة:

هي الموالاةُ دون موالاةٍ، وتكون دون صور الموالاة الكُبري بمراتب، وهي من الكباثر العظام، والمعاصي الجسام، وصاحبُها علىٰ شفا هلكة، ومُتعرِّضٌ للوعيد، ولكن لا يُخرج من الإسلام.

وتكون بالمودَّةِ والميلِ والمداهنةِ، أو ما فيه إعزازٌ لبعضِ الكفَّارِ من إكرامهم، أو تقديمهم في المجالس، أو اتخاهم عمالاً، ونحو ذلك؛ وذلك لغرض دنيويُّ؛ من أجل مآرب مادية، أو روابط عرقية، أو قبليَّة، مع سلامة الاعتقاد، وبغضِ دينهم، وعدم إضمار نيَّة الكفر والرِّدَّة عن الإسلام، ومعه العلم بالمعصية، والخوف من الذَّنب، ويكون شأنُ صاحبه في ذلك شأن كثير من العُصاة الذين يقترفون بعض الذُّنوبِ دون استحلالها، ولكلَّ ذنب حظه وقسطه من الوعيد الذَّم؛ بحسب نيَّة الفاعل وقصده.

وكذلك من يتجسس لصالح الكُفّار لمصلحة دنيوية ؛ فاختلف العلماء في حكم قتله، مع اتّفاقهم أنّه إن قُتِل! فإنّه يُقتل حدًا، ولا يُقتل ردةً! إذا عُلِمَ أَنّهُ يؤمنُ بالله تعالى ورَسُولِهِ عَلَيْ ويبغض الكُفّار بقلبه ؛ لكن حمله على ذلك مصلحة دنيوية تعلق بها، ويستشهدون لهذا بقصة حاطب، وقصة سعد بن عبادة، وهذا لا يغض من شأن الصّحابة الكرام ؛ وإثما هي أخطاء وقع فيها من وقع ؛ رضى الله عنهم أجمعين.

فتلك موالاة محرَّمة؛ لكن لا تصل إلىٰ درجةِ الكفر.

#### • موالاةٌ جائزةٌ عندَ الضَّرورةِ:

هي موالاة باللِّسانِ دون القلب عند الضَّرورةِ، وعند خوف الفتنة من الكفَّارِ بالتعذيب الفعلي؛ كما قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَىٰ اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

كما في قصة الصَّحابي الجليل عمَّار بن ياسر - رضي اللهُ عنه - عندما عَذَّبُهُ الكفَّار وأَرغموه على النيل من النَّبِيَّ عَلَيْ فجاء يبكي ويخشي على نفسه الرِّدة ؛ فقال له النَّبِيُ عَلَيْ : «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ » قَالَ : مُطْمَئِنًا بِالإِيمَانِ . فقالَ النَّبِيُ عَلَيْ : « فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ ! » (٢) .

وهذا نوع من الموالاة تكون في حال ضعف المسلمين، ويدخل فيه ما قد يلجأ إليه بعض المسلمين الذين يقيمون في بلاد الكُفر من تطبيق أحكام الكفار وقوانينهم؛ فعليهم أن يجتهدوا في تطبيق أحكام الله تعالى ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ فإن عجزوا، فلهم أن يأخذوا حقوقهم، ولو عن طريق محاكم هؤلاء الكفار طالما كانوا مضطرين لذلك؛ حتى لا تضيع حقوقهم؛ فهذا من أنواع الموالاة الجائزة؛ أن يُوالي بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، طالما كان مضطرًا إلى ذلك.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران: ٢٨.

<sup>(</sup>٢) انظر: و تفسير الطبري و تفسير الآية: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللهُ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنَّ بِالإِيمَانِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦].

## ما يُظنُّ أَنَّهُ من الموالاةِ، وهي ليس بموالاةً:

كالتعامل مع الكفّار؛ بتجارة، أو إجارة، أو عارية، أو رهن، أو بيع، أو شراء، أو تخلُق معهم، وذلك أو شراء، أو تخلُق معهم، وذلك من باب دعوتهم؛ لعل الله تعالى أن يهديهم للحقّ، أو نحو ذلك.

فالتعامل مع الكُفَّار في هذه الأُمور جائزٌ شرعًا بإِتَّفاق المسلمين، ولا علاقة لهُ بالموالاةِ والمعاداة.

فالنّبِيّ عَلَيْ فَهِلَ مارية -رضي الله عنها - هدية من المقوقس عظيم الأقباط، ورهن درعه عند يهودي في صاع من شعير، وعاقد اليهود وعاهدهم على أن يشاركوا مع المسلمين في قتال بقية الكفّار والمشركين، وعقد عهدًا مع خُزَاعة، وأحيانًا عقد عهودًا فيها حيف على المسلمين في الظاهر؛ ولكن العاقبة للمتقين، كما حدث في صلح الحديبية، وعاد جاره اليهودي عند مرضه، وأذن عَلَيْ لأم حبيبة - رضي الله عنها - أن تصل أباها أبا سفيان عندما جاءها المدينة قبل إسلامه، وكذلك أذن عَلَيْ الله سماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - عندما جاءت أمها بصلتها، وأمرنا الله تعالى في كتابه الكريم؛ ببر الوالدين، ولو كانا كافرين، أو مشركين، إلى غير ذلك من الأدلة.

# « ١ ٠ ١ » « قواعد وضوابط في التّكفير »

فإِنَّ أَهلَ السُنَّةِ والجماعةِ لها خصائصٌ تمتازُ بها عن غيرِها من أَهلِ المللِ والنِّحلِ؛ تلكَ الخصائصُ التي تميَّز بها السَّلفُ الصَّالحِ من هذهِ الأُمَّةِ المرحومةِ، ومَن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان، والتي يجدر بكلِّ مسلم صادق من انتسب إليهم أن يأُخذَ بها؛ حتَّىٰ ينال ما نالوه من خير وفضل؛ فمن تلكَ الخصائصِ التي تميز بها أهلُ السُنَّةِ والجماعة؛ هي الوسطيَّةُ.

فالوسطيَّةُ؛ من أعظمِ ما يتميَّز به أهل السُّنَةِ والجماعة عن غيرهم! فكما أن أُمَّةَ الإسلامِ وسطٌ بينَ الأُم التي تجنحُ إلى الغُلُّو الضَّار، والأُم التي تميلُ إلى التَّفريطِ المهلكِ؛ فهم متوسطون – أيضًا – بينَ فِرَقِ الأُمَّةِ المبتدعةِ التي انحرفت عن الصِّراط المستقيم، وهدي نبيَّه الأمين عَلَيْكُ.

فالوسطيّة إِذًا! هي سببُ خيريَّة هذه الأُمَّة وبقائها، ولا تزالُ هي بخيرِ ما حافظت على هذه الخاصيَّة التي تتميَّزُ بها، وهي الاعتدال والاستقامة على صراط الله تعالى القويم؛ فإذا خرجت عن الوسط إلى أحد جانبيه ففرَّطت ؛ فقد هلكت! فإنَّ التَّطرُف مَهْلَكة ، والتَّطرُف لا يختص بالغُلُو والإِفْراط تطرُّف، والتَّقصيرُ والتَّفريط تطرُّف أيضًا، وكِلاَهُما مهلكة للفرد والمجتمع؛ فالذي يُفرَّط في حِق الله - جل أيضًا، وكِلاَهُما مهلكة للفرد والمجتمع؛ فالذي يُفرَّط في حِق الله - جل في عُلاه - ويقصر في القيام به؛ هو مُتَطَرَّف! والذي يتطرف إلى جهة في عُلاه - ويقصر في القيام به؛ هو مُتَطَرَّف! والذي يتطرف إلى جهة

الغُلُوّ والتَّشدُّد والتَّزمُّت؛ يُوجِبُ ما ليس بَواجب، ويُحَرِّمُ ما ليسَ بمحرَّم، ويحرُّم، ويحرُّم ويحرُّم، ويحرُّج ويكفّرُ المسلمينَ ويُفسِّق الصَّالحين! فيستَحِلُّ دِماءَهم وأمْوالهم، ويحرُّج عن جماعتهم؛ فيثيرُ الفوضى ويسعى في الأرضِ فسادًا عظيمًا، قالَ تعالىٰ: عن جماعتهم؛ فيثيرُ الفوضى ويسعىٰ في الأرضِ فسادًا عظيمًا، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤].

ووسطية أهل السُنَّة والجماعة تتجلى في شتى الأمور؛ سواء كان في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السُّلوك، أو الآخلاق، أو غير ذلك، ومن أهم مظاهر تلك الوسطية؛ فهم وسط في مسألة التكفير، هذه المسألة الدَّقيقة الجليلة التي ضلَّت فيها كثير من الأفهام، وزلَّت فيها كثير من الأقدام؛ فهدى الله تعالى أهل السُّنَة والجماعة إلى التوسط والاعتدال؛ الأقدام؛ فهدى الله تعالى أهل السُّنة والجماعة إلى التوسط والاعتدال؛ فإنَّهم يُخَطَّئُون ولا يُكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بكل ذنب! بل الأخوة الإيمانية ثابتة عندهم مع المعاصى؛ فامتازوا بالعلم والعدل والرَّحمة.

فيعلمون الحقّ الموافق للسنّة السالم من البدعة، ويعدلون مع من خرج منها ولو ظلمهم، ويرحمون الخلق، ويحبون لهم الخير والهدى والصّلاح؛ بخلاف أهل الإفراط في التكفير! الذين يتميّزون بالجهل والظّلم؛ فقد جعلوا من ليس بكافر كافرًا، وبخلاف أهل التّفريط! الذين تخبّط في فهم معنى الإيمان الصحيح عند أهل السنّة والجماعة؛ فقد عَلَوا في الجهة المقابلة! فجعلوا الكفر ليس بكفر؛ فخلطوا الحقّ بالباطل؛ فهدى الله تعالى الذين آمنوا لِما اختلف فيه من الحقّ بإذنه سبحانه.

ومن أهم أسباب هذه الإفراط والتفريط؛ هو عدم الاعتماد على فهم السنّلف الصنّالح لنصوص الكتاب والسنّنة، وعدم التمييز بين السنّنة والبدعة، واتباع الظنّ وما تهوى الأنفس، والتأويل المنكر!

## أُوَّلاً موقف أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ من مسألةِ التَّكفيرِ:

من أُصولِ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّهم لا يكفَّرونَ أَحدًا بِعَيْنِهِ من السلمينَ ارتكبَ مكفِّرًا؛ إلاَّ بعد إقامة الحجَّة التي يُكفَّرُ تاركُها به؛ فتتوقَّرُ السُّروطُ، وتنتفي الموانعُ، وتَزُولُ الشُّبهةُ عن الجاهل والمتأوِّل (\*).

وكذلك لا يُكفّرون الْمُكْرَة؛ إذا كان قلبُهُ مطمئنًا بالإيمان؛ بل لا يكفّرون أحدًا من المسلمين بكلّ ذنب، ولو كان من كبائر الذّنوب التي هي دون الشّرك؛ فإنّهم لا يحكمون على مرتكبها بالكفر، وإيمّا يحكمون على علي مرتكبها بالكفر، وإيمّا يحكمون على عليه بالفسق ونقص الإيمان؛ ما لم يستحل ذنبه، وإذا مات العبدُ على ذنبه؛ فَأَمرُه إلى اللهِ تعالى، إن شاءَ عذبه، وإن شاءَ غفر لَهُ؛ خلافًا للفرق الضّالَة الّتي تَحْكُمُ على مرتكب الكبيرة بالكفر، أو بالمنزلة بين المنزلتين.

ومن مُمَيِّرات عقيدتهم في هذه المسألة: أنَّهم يُفَرُقُونَ بين الحُكْمِ المطلق علىٰ أصحاب البدع بالمعصية أو الكفر، وبين الحكم علىٰ شخص مُعَيَّن صدرت عنه بدعة من البدع بأنَّه عاص أو فاسقٌ أو كافرٌ؛ فلا يحكُمُون عليه بذلك حتَّىٰ يُبَيَّنَ له الحقُّ، وذلك بإقامة الحجَّة وإزالة الشُّبهة؛ ولا يكفِّرون المعَيَّن إلاَ إذا تحقَّقت فيه الشُّروطُ، وانتفت الموانعُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨. (٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

<sup>(\*)</sup> واعلم! أنَّ ذلك يكون في الأمور الخفية التي تحتاج إلى كشف وبيان، بخلاف الأشياء الظاهرة؛ مثل جَمْد وجود الله، وتكذيب الرسول عَلَيْهُ وجحد عموم رسالته، وختمه للنبوة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ يَدُنِبُ، وَكَانَ رَجُلانِ في بَنِي إِسْرائِيلَ مُتَواخِينِن، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُدْنِبُ، وَالآخِر مُجْتَهِدٌ في العِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ المُجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَنْب، فَقَالَ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِني فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِني فَيَقُولُ اللهُ ا

فأهلُ السُنَّةِ والجماعةِ لا يكفرونَ أحدًا من أهلِ القبلةِ بُمطلقِ المعاصي والذُّنوب؛ كما هو صنبعُ مخالفهم من أهلِ البدعِ والأهواء كالخوارجِ! ولا يسلُبُونَ الفاسقَ المليَّ الإيمانَ بالكلِّيةِ، ولا يخلِّدونه في النَّارِ! كما تفعله المعتزلةُ، وإنَّما مُعتقدهم في صاحب الكبيرة والمعصية؛ أنَّهُ مؤْمنَ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، أو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ فلا يُعطى الاسمَ المطلق، ولا يُسلَّبُ مُطلق الاسم. كما أنَّهم لا يُكفرونَ مخالفيهم لمجرَّد المخالفة، وإنَّما يعتقدون في الفِرق أهلِ القبلةِ؛ أنَّ حُكمهم هو حُكم أهلِ الوعيد من أهلِ يعتقدون في الفِرق أهلِ القبلةِ؛ أنَّ حُكمهم هو حُكم الإسلام في الدُّنيا، وهم الكباثر والمعاصي مِن هذه الأُمة الذين لهم حُكم الإسلام في الدُّنيا، وهم في الآخرة داخلون تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ فإنْ شاءَ عَفَرَ لهم – برحمته في الآخرة داخلون تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ فإنْ شاءَ عَفَرَ لهم – برحمته سبحانه – وإنْ شاءَ عذَّبهم – بعدله سبحانه – ثمَّ مالهم إلىٰ الجنَّة.

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الأداب) باب دفي النهي عن البغي، وصحَّحه الألباني.

قالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمهُ الله - بعد ذكرِ الخوارج:

(وإذا كانَ هؤلاءِ الله عَلَيْ ثبتَ ضلالُهم بالنَّصِّ والإجماع؛ لم يكفَّروا مع أمرِ اللهِ ورَسُولِهِ عَلَيْ بقتالهم! فكيف بالطوائف المختلفة الله ين اشتبة عليهم الحقُّ في مسائل غلط فيها من هو أعلمُ منهم؟ فلا يحلُّ لاَحد من هذه الطوائف أن تكفِّر الأُخرى، وتستحلُّ دَمَها ومالَها، وإن كانت فيها بدعة محققَّة؛ فكيف إذا كانت المكفِّرةُ لها مبتدعة أيضًا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنَّهم جميعًا جُهًال بحقائق ما يختلفون فيه) (١).

وقال - رحمه الله - عند ذكر أهل الأهواء والبِدَع مِن الفِرَق القُنتَينِ والسَّبعينَ فِرْقة ؛ الذين وعدُوا بالنَّارِ:

(إِنْ لم يكونوا في نفس الأمر كفّارًا! لم يكونوا منافقين؛ فيكونون من المؤمنين، فيستغفر لهم ويُترجّم عليهم، وإذا قالَ المؤمنُ: ﴿ رَبّنا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا اللّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ يقصدُ كلّ مَن سبقهُ من قرونِ الأُمّةِ بالإيمانِ، وإنْ كانَ قد أخطا في تأويلٍ تأوّله! فخالف السّنّة، أو أذنب ذنبًا؛ فإنّهُ من إخوانِهِ اللّذينَ سبقوهُ بالإيمانِ؛ فيدخلُ في العموم، وإنْ كانَ من الشّنتينِ والسّبعينَ فِرْقَةً؛ فإنّهُ ما من فِرقة إلا وفيها خَلْقٌ كثيرٌ ليسوا كفّارًا! بل مؤمنونَ فيهم ضَلالٌ وذنبٌ يستحقُونَ الوعيد؛ كما يستحقّه عُصاة المؤمنينَ، والنّبِيُ عَلَيْ له يخرجهم مِن الإسلام؛ بل جعلهم من أمّتِهِ، ولم يقل: إنّهم يخلّدونَ في النّار؛ فهذا أصلٌ عظيمٌ ينبغي مراعاته)(٢).

تنبية مهم إ هذه الفرق معدودة من جُملة المسلمين عند أهلُ السُّنَّة

<sup>(</sup>١) انظر: «مجموع الفتاوي» ج٣، ص٢٨٣.

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: « منهاج السنَّة » ج٥ ، ص ٢٤ - ٢٤١ .

والجماعة؛ إذا كان أخطأهم في بعض مسائل عقيدتها، ولكن إذا كان باطنُ مذهبهم معاندة الرَّسُولِ عَلَيْهُ أو تقوم حقيقة مذهبها على تعطيل الصَّانع، أو إبطال التكاليف الشَّرعيَّةُ! أو الصَّانع، أو إبطال التكاليف الشَّرعيَّةُ! أو نشوء الفرقة هو إبطان الكفر وتعطيل الشَّريعة ونحوها، وكلُّ هذه الأمور تتجلى من خلال مقالات أثمَّتها وما يؤول إليه كلامهم! فإذا كان هذا حالهم! فلا تَعد هذه الفرقة من جملة المسلمينَ!

\* فبينما نجد فريقًا يتسرعون في إطلاق الكفرا فيكفرون بالكبيرة، ولا يحكمون بإسلام من نطق بالشَّهادتين وصلى وصام وأدى فرائض الإسلام ، ما لم يتحققوا من إسلامه بشروط حددوها لم ترد في الكتاب ولا السُنَّة .

\* وفريقًا آخر! فرط تفريطًا عظيمًا؛ فمنعوا التكفير مطلقًا، ويرونَ أَنَّ مَن تلفظ بالشَّهادتين؛ لا يمكن تكفيره بحالً! بل قالوا: إِنَّهُ لا يجوزُ تكفير شخص بعينه، وإِمَّا إطلاق الكفر يكون على الأعمال! وبهذا هم لا يكفرون أحدًا البتَّة حتَّىٰ المرتدين ومدعي النَّبوة وجاحدي وجوب الصَّلاة ونحو ذلك من الأمور التي أجمع أهل العلم علىٰ خروج أصحابها من دائرة الإسلام.

أمَّا أهلُ السُّنَّةِ والجماعة: فقد هداهم الله تعالىٰ لما اختلف فيه من الحقّ بإذنه؛ لالتزامهم بالدليل الشّرعيّ؛ فهم لا يمنعون التكفير بإطلاق ولا يكفرون بكلّ ذنب ولم يقولوا: إن تكفير المعين غير ممكن، ولم يقولوا بالتكفير بالعموم دون تحقق شروط التكفير، وانتفاء موانعه في حقّ المعين، ولم يتوقفوا في إثبات وصف الإسلام لمن كان ظاهره التزام الإسلام؛ بل يحسنون الظّن بأهل القبلة الموحدين، ومَن أتىٰ بمكفر، واجتمعت فيه الشروط، وانتفت في حقّه الموانع؛ فإنّهم لا يجبنون، ولا يتميعون، ولا يتحرجون من تكفيره.

#### ثانيًا \_ خُطورةُ تكفيرِ المسلم:

تكفيرُ المسلمَ! من الأحكامِ الشَّرعيَّةِ التَّوقيفيَّةِ الذي يستمدُّ قُوَّتهُ ونفوذَه منها؛ والتي يجبُ التقيُّدَ بها مطلقًا، وهو من حقِّ اللهِ تعالى وحده، وحقَّ رَسُولِهِ عَلَيْ كالتحليل والتحريم والإيجاب؛ يثبتُ بأدلَة الكتابِ والسُّنَةِ وبإجماع أَتمَّةِ الأُمَّةِ المعتبرينَ، وليس للعباد حقٌ فيه البَّتَة؛ فلا ينبغي إطلاقهُ علىٰ أحد إلاَّ بدليلٍ شرعيُّ واضح وثابتٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ولا يُطلق حُكم التَّكفيرِ! بمجرَّدِ الهوى، أو جهلٍ، أو قياسٍ عقليُّ، أو ظنيً، أو ظنيً، أو إطلاقهُ على مَن خالفنا - وإن كان المخالف مُكفِّرًا لنا - فإنَّ المسلمَ! لا يُكفَّرُ بأي حالٍ من الاَحوالِ؛ إلاَّ إذا جحدَ أمرًا معلومًا من الدِّينِ بالضَرورةِ، أو تركِ ذلك عنادًا، أو استكبارًا واستهتارًا، أو إعراضًا، أو كانَ في شكً منه وتردُّدُ.

ولقد نهى الشَّارِعِ الحكيمُ عن تكفيرِ المسلمِ! من دونِ بُرهان واضحٍ و ودليل ساطح؛ نهيًا شديدًا، وحذَّرَ من الوقوعِ بذلك تحذيرًا عظيمًا، ووردَ من الأَدَّلةِ الشَّرعيَّةِ المشتملةِ على التَّرهيبِ العظيم من تكفيرِ المسلمِ، والأَدلَّةِ الدالَة على وجوبِ صيانةِ عرضهِ وحرمتِهِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١)(\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَا فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُ وَلا يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا بَالأَلْقَابِ بِعُسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُب ْ فَأُولَٰ فِيكُ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولاً ﴾ (١٠).

إذن! بابُ التكفيرِ بابٌ خطيرٌ؛ فقد هابَهُ السَّلفُ الصَّالحِ وأَتُمَّتهم، وتحرزوا منه غاية التحرز؛ عملاً بمقتضى النَّصوصِ الشَّرعيَّةِ القاطعةِ في ذلك، وتحقيقًا للمقاصد السَّاميَّةِ للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ الغراء، وتظهرُ كلُّ ذلك جليًّا عند استعراض الدلةُ الكتاب والسُّنَة.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٩٤. (٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجرات، الآية: ١١. ﴿ ٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: ﴿ فَتَبَيُّنُوا ﴾ أي: فتَأَنُّوا في قتلِ مَن أَشْكُلُ عليكم أمُره، ولا تَتَقدُّموا علىٰ قتلِ آحَد ٌ إِلاَّ علىٰ قتلِ مَن علِمتُموهُ يقينًا حربًا لكم وللهِ ولرسولِه ﷺ ).

قاعدةٌ جليلةٌ عظيمةٌ: (مَنْ ثَبَتَ إِسْلاَمَهُ بِيَقِينٍ؛ فَلاَ يَزُولُ بِشَك،). أي: مَن كانَ إِسلامهُ صريحًا؛ لا يخرج منه إِلاَّ بكفر بواح صريح.

فقد اتَّفقَ أَثمَةُ أَهل السّنّة والجماعة على هذه القاعدة العظيمة؛ فكانوا أعظم النّاس ورعًا في باب التّكفير، وأبعدهم من ذلك؛ لأنّهم كانوا يفقهون أحكام مسألة التكفير، ويعلمون أنّ تكفير المسلم مسألة خطيرة، ويعلمون أنّ تكفير المسلم مسألة خطيرة، ويترتّبُ عليه آثارٌ عظيمة؛ فيجب عدمُ الخوض فيها دون دليل بَيّن، وأنّ الأصل في المسلم الظّاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته؛ حتى يتحقّق زوالُ ذلك عنه بمقتضى الدّليل الشّرعي، وعملاً بالقاعدة الفقهية الثابتة: (اليقينُ لا يزولُ بالشّكُ) فالشّكُ طارئ عارض، والأصلُ هو اليقين (\*).

<sup>(\*)</sup> قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمة الله: ( فليس لا حدر أن يكفَّر أحدًا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط؛ حتى تُقام عليه الحجة، وتُبيَّن له المحجّة، ومَن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجّة، وإزالة الشبهة) ومجموع الفتاوى، ج١٢، ص٥٠٠. وقال، رحمه الله: ( وليسَ لا حدر أن يكفَّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ؛ حتى تُقامُ عليه الحجّةُ، وتبينُ له المحجّةُ، ومَن نَبَت إسلامُهُ بيقين لَمْ يَزُلْ ذلك عنه بالشَّك ؛ بَلْ لا يَزُولُ إلا يعد إقامة الحجّة وإزالة الشبُّهة ) ومجموع الفتاوى، ج١٢، ص٢١٤.

وجاء في كتاب و البحر الرائق وج و و و العدل (روى الطحاوي عن أصحابنا: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، وما يشك في أنّه ردّة لا يحكم به اإذ الإسلام الشابت لا يزول بالشك مع أن الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام. وفي و الفتاوى الصّغرى و: الكفر شيءٌ عظيمٌ وفلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنّه لا يكفر. وفي و الخلاصة وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينا للظّن بالمسلم. زاد في و البزازية و: إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل حينئذ. وفي و التنارخانية و لا يكفر بالمحتمل و لأنّ الكفر نهاية في العقوبة! فيستدعي نهاية في المقوبة! فيستدعي نهاية في المعتمال لا نهاية ).

إذن! مَنْ دخلَ في الإسلام بيقين ظاهر؛ لا يخرجُ منه إلا بيقين صريح؛ لأنَّ اليقينَ لا يُزَال بالشَّكَ، واليقينُ الخرجُ من الإسلام أن ينكرَ معلومًا من الدينِ بالضَّرورةِ، أو يستحل حرامًا قطعيًا لا شكَّ فيه، أو يصدر عنه قول، أو فعل لا يحتملُ تأويلاً غير الكُفْر؛ كأنْ يسجد لصنم بغير إكراه، أو يدوس على المصحف الشَّريف، أو يرميه في القاذورات، أو يسب الله تعالى، أو رسُوله عَنَّ أو كتابه بعبارة صريحة لا لبس فيها ولا شبهة، ونحو ذلك من الأمورِ المكفّرةِ. ومنها ينبغي الاحتراز من التَّكفير ما وجد إلىٰ ذلك سبيلاً؛ فباب التَّكفير بابَّ خطيرٌ وعظيمٌ، مَن لم يعرف الواجبَ فيه يَزِلُ ويَضِلُ، وقد توقّف فيه كبار الأَومَة فسَلِموا، وأقدم عليه المبتدتُون فيه يَزِلُ ويَضِلُ، وقد حذَّر النَّبِيُ عَلَى أن يُكفّر أحدً أحدًا دونَ برهانٍ، قال عَنَّ :

٥ أَيُّمَا امْرِئُ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِر، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَان كَمَا
 قالَ؛ وَإِلاَ رَجَعَتْ عَلَيْهِ (١٠).

وقالَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكُ اللَّهِ الكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ، ('').

وقالَ عَلَيْهُ : ﴿ لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ ؛ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلك ، (٢) .

وقالَ عَلَيْكَ : ﴿ مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا ؛ فَهُوَ كَقَتْلُهِ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ ؛ فَهُوَ كَقَتْله ، ( ٤ ) .

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب وبيان حال إيمان مَن قال لأخيه: ياكافره.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب وبيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ٥.

<sup>(</sup>٣)، (٤) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب دما يُنهي من السَّباب واللُّعن ٥.

وقالَ عَلَى : «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيه: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» (١٠).

وعن عُبادة بن الصَّامِتِ - رضي الله عنه - قال: دَعانا النَّبِيُ عَلَيْهُ فَبايَعْناهُ، فقالَ: في مَا أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ «السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، في مَنْ شَطِنا وَمَكُرَهِنا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ؛ إِلاَّ أَنْ تَرَوْ كُفْرًا بَواحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ "(٢).

فاعلم! أخي المسلم: أنَّ كلمة التكفير! كلمة خطيرة مهلكة ؛ يجبُ أن يتريث العبد كثيرًا، ويتوقف طويلاً قبل أنْ ينطق بهذه الكلمة ؛ لأَنَّ خطورتها تعود على قائلها وعلى الموصوف بها في الدَّارين.

ولاَنَّ التَّكفيرَ حُكمٌ شرعيٌّ؛ يترتَّب عليه أُمورٌ خطيرةٌ جدًّا؛ من إباحةُ الدَّم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النَّكاح، وغيره مما يترتب على الرِّدَّةِ! فكيفَ يسوعُ للمؤمنِ أَن يُقْدِمَ عليهِ لاَدنى شُبْهَةٍ من شخصٍ قد أَظَهَرَ إِسلامُهُ ونطقَ بالشَّهادتين؛ لقول النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » (٣).

وقد أَجمع أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ علىٰ أَنَّ الشَّخصَ الْكفَّرِ يترتَّب علىٰ كُفره أحكامٌ شرعيَّةٌ يجب تنفيذُها، منها:

١ عدمُ حلِّ زوجته - المسلمة - لَهُ، وتحريمُ بقائها؛ لأنَّ المرأةَ المسلمة
 لا يصحُ أن تكون زوجةً لكافر بالإجماع.

٢ - عدمُ جواز بقاء أولادهُ تحت سلطانه؛ لأنَّهُ لا يؤتمن عليهم،

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الأدب) باب « مَن أَكَفَرَ أَخَاه بغير تأويل فهو كما قال ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الفتن) باب ٥ سترون بعدي أمورًا تنكرونها ٥.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب « لا يعذب بعذاب الله ».

ويخشى أنَ يؤثرَ عليهم بكفرِهِ، وبخاصةً أن عودهم طريٍّ، وهم أمانةٌ في عنقِ المجتمع الإسلامي.

٣- إِنَّهُ فَقَدَ حَقَّ الولايةِ والنَّصرةِ على الجتمع الإسلاميّ بعدَ أن مرقَ منه، وخرج عليه! بالكفر الصَّريح، والرِّدَّةِ البواح، ولهذا يجب أن يقاطع، ويفرضَ عليه حصارٌ أدبي من المجتمع؛ حتى يفيق لنفسه، ويثوب إلىٰ رشده.

٤ - وجوبُ محاكمته أمام القضاء؛ لتنفيذ حدّ الردّة عليه، وهو القتل؛
 لأنّه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته، وإقامة الحجّة، وإزالة الشّبه.

٥- أنَّهُ إذا ماتَ على ردَّته وكُفره؛ لا تجري عليه أحكامُ المسلمين؛ فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورثُ، كما أنَّه لا يَرثُ إذا مات له موروثٌ قبله.

7- إِنَّهُ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ الْكَفَرِ وَجَبِتَ عَلَيْهُ لَعْنَهُ اللهِ تَعَالَىٰ ، والملاثكةِ وَالنَّاسِ أَجَمَعِين ، والخلودُ الأبدئ في النَّار - والعيادُ بالله - ولا يُدعىٰ له بالرَّحمةِ ، ولا يُستغفرُ له .

وهذه الأحكامُ الخطيرة توجبُ على من يتصدى للحكم بتكفيرِ عبادَ اللهِ تعالىٰ أن يتريث مرات ومرات! قبل! أن ينطقُ ما يُسجل عليه!

مما لا شك فيه! أن خطر التكفير يتعدى الأفراد إلى أن يصل خطره إلى السلمين جميعًا؛ فهو تقنيط للمسلمين من رحمة الله تعالى، وإهدار للدم المعصوم، وإبطال قواعد الزواج والتوارث، والترحم على موتى المسلمين، وفشو الجهل، وخفاء العلم بالدين، وتشويه سماحة الإسلام، واختلال الأمن العام للمسلمين، وإلى غير ذلك من الأخطار المدمرة.

ثَالثًا- التَّفريقُ بينَ التَّكفير المطلَق والتَّكفيرِ المعيَّنِ:

من أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسالَةِ التَّكفيرِ: اعتمادهم على قاعدة عظيمة مِيَّزة؛ وهي التَّفريق بين التَّكفيرِ المطلق، والتَّكفيرِ المعيَّن.

أي: بين تكفير الأوصاف من القول، أو النوع، أو الفعل، وبين تكفير العين، أو الأعيان، أو القائل، أو الفاعل.

وهذا فرق عظيم لن فتح الله تعالى عليه بتوفيقه وتسد يده، وبه سلموا من الوقوع في الخطا؛ لأن إسقاط الكفر على المعين مع وقوعه فيما هو كفر شرعًا! ليس بلازم دائمًا، لما يعرض له من موانع تجعله لا يؤاخذ بذلك، وإن تلبس به، وهذا ما يُسمَّى عند الأصوليين به عوارض الأهلية ».

وهذا لا يعني ترك إطلاق الكفرِ على القول، أو الفعل، أو الاعتقادِ الذي دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّةِ، أو الإجماع على أنَّهُ كُفرٌ!

وهذه القاعدةُ مبنيةٌ على أصلٍ شرعيٌ قائم بذاته، وهو أن التَّكفيرَ العام؛ كالوعيدِ العام يجبُ القولُ بإطلاقه وعمومه، وأمَّا الحكم على المعينِ بأنَّهُ كافرٌ، أو مشهودٌ له بالنَّار؛ فهذا يقف على الدَّليل المعين.

\* فالتَّكفيرُ المطلقِ: هو تُبُوتُ كفرِ مَن أتىٰ بقول، أَو فعل معين بالدليل الشَّرعيِّ؛ كقول: مَن قالَ كذا! فقد كَفَرَ، أَو مَن فعلَ كذا! فقد كَفَرَ، هكذا بإطلاقِ الكفر دونَ تنزيل حكمهِ علىٰ شخصِ بعينه.

أي: هو تنزيلُ حكم الكفرِ على السّبَب، لا على فاعل السّبَب، وتجريم الفعل لا الفاعل! ولذلك يكفي فيه النّظرُ في الدّليلِ الشّرعيّ من حيث كونه قطعي الدّلالة على الكفرِ الأكبر، وأنّهُ ليسَ من محتملة الدلالة، مع النظر في قطعية دلالة الفعل، أو القول نفسه على الكفرِ.

\* أمَّا التكفيرُ المعيَّنِ: فهو تنزيلُ حكمِ التَّكفيرِ على الشَّخصِ المعيَّنِ الذي قالَ، أو فعلَ السَّبب المكفِّرِ؛ فلا بُدَّ فيه إضافة إلى النَّظر في تجريمِ الفعلِ – كما في التَّكفيرِ المطلقِ – إلى حالِ الفاعلِ، أو القائلِ من حيث ثبوت الفعل عليه، وانتفاء موانع الحكم في حقه، أي: استفاء شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ الله تعالىٰ:

(التَّكفيرُ لَهُ شروطٌ وموانعٌ قد تنتفي في حقّ المعيَّنِ، وأَنَّ تكفيرَ المطلقِ لا يستلزم تكفير المعيَّنِ؛ إِلاَّ إِذَا وجدت الشُّروط وانتفت الموانعُ... والدَّليلُ علىٰ هذا الأصل: الكتاب والسُنَّة، والإجماع، والاعتبار...)(١).

لأنّهُ مِنَ الممكن! أن يقولَ المسلمُ قولاً، أو يفعلَ فعلاً؛ قد دلّ الكتابُ والسّنّةُ، وإجماعُ الأُمَّةِ على أنّه كفرٌ وردّةٌ عن الإسلام لا شكّ فيه! ولكن لا تلازُم — عندهم — بين القول بأنّ هذا كفرٌ، وبين تكفير الشّخصِ بعينه؛ فليس كلُّ مَن فعلَ مكفّرًا يُحكم بكفره بإطلاق؛ فقد يكون القولُ أو الفعلُ كفرًا؛ لكن لا يُطلقُ الكفرُ على القائل أو الفاعل إلاَّ بشرطه؛ لأنّه لا بُدَّ أن تثبُتَ في حقّه شروطُ التّكفير وتنتفي موانعُه.

فالمرءُ! قد يكونُ حديثَ عهد بالإسلام، وقد يكون جاهلاً جهلاً يعذر بمثله؛ فإذا بُين له رجعَ، وقد ينكرُ شيقًا متأوّلاً أخطاً بتأويله، وقد تكون عنده شبهة؛ فإذا زالت الشبهة رجع - أمًّا إذا أصرَ بعد قيام الحجة فإنه يكفر - وغير ذلك من الموانع التي تمنعُ من التَّكفير.

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ مجموع الفتاوي، ج١٦، ص٤٨٧ - ٤٨٩.

فأهلُ السُّنَة والجماعة: يُطلقونَ القولَ في التَّكفير، فيقولونَ: مَن قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافرٌ، وعندما يتعلَّق الأمرُ بالشَّخصِ المعيَّن الذي قاله أو فعله، لا يحكمون بكُفره إطلاقًا؛ حتى تجتمع فيه الشُّروطُ، وتنتفي عنه الموانعُ، فعند ثذ تقومُ عليه الحجَّةُ التي يكفُرُ تاركُها، وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعدهم التي يتميَّزون بها عن غيرهم.

لأَنَّ التَّكفيرَ ليس حقًّا لأَحدٍ، يحكُم به علىٰ مَن يشاءُ وفق هواه؛ بل التَّكفير حكمٌ شرعيٌ، فيجب الرُّجوعُ في ذلك إلى ضوابط الشَّرعِ؛ فمن كفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسوله عَلَيْهُ وقامت عليه الحجَّةُ؛ فهو كافر.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ الله تعالى:

(فقد يكون الفعلُ أو المقالةُ كفرًا، ويُطلق القول بتكفير مَن قالَ ذلك؟ فهو كافرٌ؛ لكنَّ الشَّخص المعيَّن الذي قالَ ذلك القول، أو فعلَ ذلك الفعلِ! لا يحكمُ بكُفرِه؛ حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّةُ التي يكفُر تاركُها. وهذا الأَمرُ مطَّردٌ في نصوص الوعيد عند أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فلا يُشهد على معيَّن من أهل القبلة بأنَّهُ من أهلِ النَّارِ؛ لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع)(١).

إذن! من الضروريّ أَنْ نُفَرِّقَ بين النَّوع والعين في التَّكفير؛ ذلك أَنَّهُ ليس كلُّ ما هو كفرٌ يُكفَّر به شخص بعينه؛ فينبغي التَّفرقة بين الحكم على القول بأنَّه كفر، والحكْم على صاحبه المعيَّن بأنَّه كافرٌ؛ لأَنَّ المتأوِّل والجاهلَ والمعذورَ؛ ليس حكمُه حُكم المعاند والفاجر.

<sup>(</sup>١) انظر: «مجموع الفتاوي» ج٢٥، ص٣٨٢.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ الله تعالىٰ:

( فالمتاَوَّل الجاهلُ والمعذورُ! ليس حكمُه حُكْمَ المعاند والفاجر؛ بل قد جعلَ اللهُ لكلِّ شَيْءٍ قدرًا)('').

وقالَ أيضًا: (وإذا عُرِفَ هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنَّه مع الكفار - لا يجوز الإقدام عليه؛ إلاَّ بعد أن تقوم على أحدهم الحجة بالرساليَّة؛ التي يبين بها لهم أنَّهم مخالفون للرَّسُل، وإن كانت مقالتهم هذه لا ريب أنَّها كفر، وهكذا الكلام في جميع تكفير المعينين، مع أنَّ بعض هذه البدع أشدُّ من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ماليس في بعض؛ فليس لأَحد أن يُكفِّر أحدًا من المسلمين، وإن أخطا وغلط حتى تُقام عليه الحجَّة، وتُبَيَّن له المحجَّة، من المسلمين، وإن أخطا وغلط حتى تُقام عليه الحجَّة، وتُبيَّن له المحجَّة، ومَن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلاَّ بعد إقامة الحجَّة، وإزالة الشبهة) (٢).

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيُ عَلَيْ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله عَلَيْ وَكَانَ النَّبِيُ عَلِيْهُ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشُّرَابِ؛ فَأْتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْم: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُ عَلِيْ :

﴿ لَا تَلْعَنُوهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢).

<sup>(</sup> ۱ ) انظر: ۵ مجموع الفتاوی ۵ ج۳، ص۲۸۸.

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: ٥ مجموع الفتاوي ٥ ج١٦ ، ص٠٠٥ .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الحدود) باب دما يُكره من لعن شارب الخمر، وإنَّهُ ليس بخارج ٤ . وانظر لفقه الحديث في وفتح الباري، ج٢١، ص٧٦ - ٨٠.

## قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فنهى عن لعنه مع إصراره على الشُّرب! لكونه يحبُّ الله ورَسُوله؛ مع أنَّهُ لعنَ في الخمرِ عشرةً... ولكن لعن المطلق، لا يستلزم لعن المعيَّن الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسُّنَّة مشروطًا بثبوت شروط، وانتفاء موانع)(١).

## وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عِنِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ قَالَ:

«أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَىٰ بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا مُتُ ، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ؛ أَنَا مُتُ ، فَأَحْرِقُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ؛ فَوَاللهِ ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي ، لَيُعَذَّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا ، قَالَ : فَفَعَلُوا فَوَاللهِ ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي ، لَيُعَذَّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا ، قَالَ : فَفَعَلُوا فَوَاللهِ ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي ، لَيُعَذَّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا ، قَالَ : فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ . فَقَالَ لِلأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ ؛ فَإِذَا هُو قَائِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا خَذَكَ بِهُ فَقَالَ : خَشْيَتُكَ يَارَبٌ ! – أَو قال – مَخَافَتُك ؛ فَقَالَ : خَشْيتُكَ يَارَبٌ ! – أَو قال – مَخَافَتُك ؛ فَقَالَ : خَشْيتُك يَارَبٌ ! – أَو قال – مَخَافَتُك ؛

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالى:

(فهذا رجلٌ شك في قدرة اللهِ، وفي إعادته إذا ذُريَ؛ بل اعتقد أنَّه لا يُعادُ، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين؛ لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخافُ الله أن يُعاقبَهُ؛ فَغُفِرَ له بذلك، والمتأوّل من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرَّسُول عَلَيْهُ أولى بالمغفرة من مثل هذا)(٢).

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ مجموع الفتاوي، ج١١٠ ، ص٢٩٠ .

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب التوبة ) باب « في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه » .

<sup>(</sup>٣) انظر: «مجموع الفتاوي» ج٣، ص٢٣١.

فإذا توضح هذا الأمر العظيم، فاعلم! أُخي المسلم اللَّبيب:

أَنَّ تَكفيرَ المعيَّنِ مِنَ الْجُهالِ وأمثالهم! لا يجوزُ الإقدامُ عليه؛ إِلاَّ بعد إِقامة الحُجَّةِ عليهم، والحُجَّةُ يجب أَن تكون على مستوى فهمهم، ويُعطى لعقولهم منازلُها؛ حتَّىٰ يستوعِبُوا الحجَّةَ والأَدِلَّة، ويدركوا به المقصود من مراد الشَّارع علىٰ وجه الإجمال.

ومن نظر في سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان من الأثمة الكرام؛ عرف حقيقة هذا القول جليًّا، وعلم أنَّ هذا هو مذهبهم، وهذه طريقتهم، ورأى ما هم عليه من العدل والإنصاف، وقول الحق، والشبّات عليه، والحرص على إنقاذ الخلق وهدايتهم، وإنارة بصائرهم، لما خصّهم الله تعالى به من العلم النّافع، والعمل الصالح.

وما أروع وأجمل موقف الصّحابيُّ البطل؛ ربعي بن عامر – رضي اللهُ عنه – عندما دخل على رستم قائد بلاد الفارس في معركة القادسية؛ ومعه رمحٌ مُسلَّم، وثوب عَزق، وفرس كبير معقور؛ بلغ من العمر عتيًا!

فقال له رستم الفارسي المجوسي! بعجرفة القوة، وهو يضحك، ومعه وزراؤه وقادته، وما يقارب ماثتين وثمانين ألفًا من الجنود: ماذا جاء بكم؟ جئتم تفتحون الدُّنيا! بهذا الفرس المعقور والرمح المسلم والثوب الممزق؟!! فقال له ربعي – رضي الله عنه وأرضاه – بلسان الواثق:

( إِنَّ الله ! ابتعثنا لنخرجَ العباد من عبادةِ العباد إلى عبادة رَبِّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدُّنيا والآخرة).

# رابعًا ـ اعتبارُ الظَّاهرِ في مسائلِ الكفرِ والإيمانِ (\*):

من الأُصول المميَّزةِ لأَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسائل الكُفر والإيمان:

أنَّهم يحكُمُونَ على النَّاس بالكفر والإيمان على ظواهرهم؛ فإن أظهرَ الكفر حكموا عليه بالإيمان من دون الكفر حكموا عليه بالإيمان من دون أن يَتَتَبَّعُوا بواطنهم؛ لأنَّ معرفة ما في القلوب من خصائص الله - جلَّ في علاه - وحده لا شريك له؛ فجعل الله - سبحانه وتعالى - ظاهر النَّاسِ دليلاً على بواطنهم؛ ثمَّ أعطاهمُ الحقَّ في الحُكمِ على البواطن؛ بمقتضى ما يبدوا لهم من ظواهرهم؛ فإن أظهروا الإسلام حُكمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أظهروا الكُفر حُكمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا.

لأَنَّ ظاهرَ العبدِ - عند أهلِ السُّنَةِ والجماعةِ - هو الوجهُ الآخَرُ لقلبه وباطنه، وأَنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَّفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صاحًا كان الظَّاهرُ كذلك، وإذا كان الباطنُ فاسدًا كان الظَّاهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفى الظَّاهرُ دلَّ ذلك على عدمِ ما في القلب، وإذا نقصَ ما في القلب، وكذلك العكس.

ومن هنا جُعلَتِ الأعمالُ الظّاهرةُ في الشّرع؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا على حال العبد، وذلك بالنظر إلى ظاهر أعماله دونَ الباطن؛ فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أو الكفر؛ فمن أظهر الإسلام حكمنا بإسلامه، ومَن أظهر الكُفرَ حكمنا بكُفره، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا

<sup>( \* )</sup> انظر فصل: «التلازم بين الظَّاهر والباطن » ص ( ٢١٩) من هذا الكتاب.

لَمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدَّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١)(٥).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَة، وَيُؤثُوا الزَّكَاة؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَم، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ، (٢) (٠٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب ه فإن تابوا وأقلموا الصلاة، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ٥ .

<sup>(\*)</sup> قال العلامة الشوكاني - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: (والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لست مؤمنًا؛ فالسلم والمثلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل: هما بمعنى الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام - أي كلمته وهي الشهادة - لست مؤمنًا، وقيل: هما بمعنى التسليم الذي هو تحية الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقى إليكم التسليم فقال: المثلام عليكم: لست مؤمنًا، والمراد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر عما يستدل به على إسلامه، ويقولوا إنه إنما جاء بذلك تعوذًا وتقيّة).

<sup>( \*\* )</sup> قال الحافظ لبن حجر العسقلاتي رحمه الله: ( ٥ وحسابهم علىٰ الله ٥، أي: في أمر سرائرهم . . . وفيه دليلٌ علىٰ قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر) ٥ فتح الباري ٥ ج١ ، ص١٠ .

وقال الإمام البغوي رحمه الله: (وفي الحديث دليلٌ على أنَّ أمور التَّاسِ في معاملة بعضهم بعضًا؛ إنَّما تجري على الظَّاهر من أحوالهم دون باطنها، وأنَّ من أظهرَ شعار الدَّين أُجري عليه حكمه، ولم يُكشفُّ عن باطن آمره، ولو وُجدَ مختونٌ فيما بين قتلي غُلفر؛ عزل عنهم في المدفن، ولو وجدَ لقيط في بلد المسلمين حُكمَ بإسلامه) وشرح السُّنَّة ، ج١، ص٠٧.

#### خامسًا \_ الوعدُ والوعيد (\*):

من أصول عقيدة أهل السُنَّة والجماعة: الإيمانُ بنصوص الوعد والوعيد؛ يؤمنون بها، ويقرُونها كما جاءت، ولا يَتَعَرَّضون لها بالتأويل، وَيُحَكِّمُونَ نصوص الوعد والوعيد، لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴾ (١٠).

ويعتقدونَ بأنَّ عواقبَ العبادِ مُبهمةٌ لا يَدْري أَحدٌ - كائنًا مَن كان - بما يُختَمُ له، والمؤْمنُ لا يأمَنُ مَكْرَ اللهِ - تبارك وتعالى - أن يستَدْرِجَهُ من حيثُ لا يحتسبُ، أو يعذَّبَهُ بذُنُوبهِ، وكذلك فإنَّهُ لا يبأسُ من رحمةِ اللهِ

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨، والآية: ١١٦.

<sup>(\*) «</sup> الوعد والوعيد »: • الوعد: يستعمل في الإخبار بالخير والثواب، ويستفاد منها الحث والتحفيز على العمل، وهو ناشئ عن فضل الله - سبحانه وتعالى - ورحمته ومنه وكرمه، وقد وردت النصوص الشرعية المتضمنة وعد الله تعالى لأهل طاعته من الموحدين بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم، والوعد يوجب حُسن الظن بالله تعالى؛ فإنه لا بُلاً أن يتحقق، ويستحيل أن يتخلف، وهو حق للعباد على ربهم؛ لأن الله - عز وجل - أوجب الثواب على نفسه، ومقتضى الوعد هو تحقيق الإيمان قولاً وعملاً، وعدم فعل شيء يناقضه.

<sup>•</sup> الوعيد: يستعمل في الإخبار بالشر والعقاب، ويستفاد منها الزجر و التحذير، وهو ناشئ عن عدل الله تعالى وغضبه، وقد وردت النصوص الشرعية التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال، ومقتضى الوعيد الكفر الاعتقادئ والعملي، أو فعل الكبائر اعتقاداً أو عملاً. وكلاهما يكونان بأمور في الدنيا، أو في الآخرة، وكل منهما يكون حسياً أو معنويًا، وهما إخبارً عن استحقاق الجزاء دون إيقاعه؛ حتى يتوفر شرطه وينتفي مانعه، وذلك لتحقيق الترغيب والترهيب على أكمل الوجوه، والوعيد يتميز من الوعد أنه فاقد لحتمية التحقيق؛ لأن إخلاف الوعد مذمة! ولكن إخلاف الوعيد يعتبر من الكرم؛ لأن الوعيد هو تهديد وعقوبة؛ لذلك اعتبرت العرب العفو من مكارم الأخلاق

- سبحانه وتعالى - أبدًا ما دامَ هو على الصّراطِ المستقمِ من الإيمانِ والتُّوحيدِ والسُّنَّةِ؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً؛ قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ: وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجنَّة؛ فِيما يَبْدُو لِلنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ! وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّار؛ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّة! ٥(٢).

وقالَ ﷺ : ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَملِ أَهْلِ الجُنَّةِ ؛ حَتَىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ اللَّارِ فَيَدْخُلُها ، وَبَيْنَهَا إِلاَّ فِراعٌ ، فَيَسْبَقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إِلاَّ فِراعٌ ، وَإِنَّ أَحَدِكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إِلاَّ فِراعٌ ، فَيَسْبَقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجُنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، (٢) .

فسبيلُ النَّجاةِ والفوزِ برضوانِ اللهِ تعالىٰ - عِنْدهمَ - وسطَّ بينَ الأَمنِ والإِياسِ، وبينَ الخوفِ والرَّجاءِ، قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أَهل الإيمان:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونُ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير) باب ولا يُقال: فلان شهيد ٥.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب القدر) باب وكيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله ٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

فالواجب على كل مسلم صادق أن لا ييأس، ولا يقنط، ولا يأمن؛ بل يكون أمره بين الخوف والرَّجاء؛ فيخاف الله تعالى، ويحذر ارتكاب المعاصي، ويجتهد في التَّوبة والدُّعاء المستمر والعمل الصَّالح، ويرجو رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه ومنَّه، ولا يأمن من مكره - سبحانه - البتَّة؛ فيستمر على المعاصي ويتساهل بها؛ بل يعبد الله تعالى بين الخوف والرَّجاء، أي: يحسن ظنَّ بالله تعالى، ويرجو رحمته، مع خوفه الدَّاثم من عقابه وغضبه ونقمته؛ بسبب معاصيه وسيئاته.

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعة: يشهدونَ لمن ماتَ على الإسلامِ والتَّوحيدِ وعلى عبادةِ اللهِ وحده بظاهرِ إسلامِهِ على العموم؛ بأنَّهُ من أهلِ الجنَّةِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - كما وعدَهُمُ اللهُ سبحانه؛ فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿ فَي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَـمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالدُونَ ﴾ (٣).

the state of the s

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

<sup>(</sup>٢) سورة القمر، الآيتان: ٤٥ – ٥٥.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، (``. وَقَالَ عَلِيْكُ : «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، (``.

ويشهدونَ بأنَّ الكفَّارَ، والمشركين، والمنافقين ومَن شايعهم؛ من أهل النَّارِ، أو مَن يدينُ بدينٍ غيرِ دينِ الإسلام؛ فهم مُخَلَّدون في النَّارِ إلىٰ أبد الآبدينَ، لا ينجونَ منها البتَّة إن ماتوا علىٰ ذلك، وذلك لعظيم جُرمهم في حقّ اللهِ تعالىٰ، قال اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ ( ' ' ).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (°).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولِيَا وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢).

ويشهدونَ أَنَّ مَن ماتَ على الشِّركِ دخلَ النَّارَ قطعًا، أو مَن أظهرَ

<sup>(</sup> ١ ) رواه مسلم في ( كتاب الإيمان ) باب ه الدليل علىٰ أنَّ من مات علىٰ التوحيد دخل الجنَّة ﴾ .

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الرقاق ) باب ه المكثرون هم المقلون ٩ .

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٣٩ (٤) سورة البينة، الآية: ٦.

 <sup>(°)</sup> سورة النساء، الآية: ١٤٥.
 (٦) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

الكفرَ الأكبرَ؛ اعتقادًا، أو قولاً، أو عملاً؛ حُكِمَ عليه به، وعُومِلَ معاملة الكفارِ في الدُّنيا، وفي الآخرةِ هو من المخلدين في النَّارِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَنَ يَشَاءُ وَمَن يُشْاءُ وَمَن يُشْاءُ وَمَن يُشْاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ الْفَتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿ فَي اللَّهُ اللَّهُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مَهُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مَهُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مَهِينًا ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٠).

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ دَخَلَ النَّارَ» (1 .

وأَهل السُّنَّة والجماعة: لا يجزمونَ لأحد من أَهلِ القبلةِ بجنَّة ولا نارِ كائنًا مَن كان؛ إِلاَّ مَن جزمَ لَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ ولكن يوكلون أَمرهم إِلى اللهِ تعالىٰ، ويرجون للمحسن ويخافون على المسيءِ.

ولذا! فهم يشهدونَ لكلِّ مَن شهدَ لهم الرَّسُولُ عَلَيْ بالجنَّةِ أَو النَّارِ ؟ فيشهدونَ للعشرة المبشَّرةِ بالجنَّةِ ، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ :

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥١ - ١٥١.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الجنائز) باب « مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ وَمَنْ كَانَ آخِرُ كلامه » .

وقد ثَبَتَ لكثير مِنَ الصَّحابَةِ - رضي الله عنهُم - الشَّهادَةُ بالجنَّةِ:

كَعُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، وَآلِ يَاسِر، وَبِلاَلِ بْنِ رَبَاحٍ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَأَمْ عِمَارَةَ، وَأُمْ أَيْمَن، رَوَاحَةَ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَأُمْ عِمَارَةَ، وَأُمْ أَيْمَن، وَوَاحَةَ، وَأَمْ عِمَارَةَ، وَأُمْ أَيْمَن، وَوَاحَةَ، وَآسُمَةُ الْمُنَةِ الرَّسُولِ عَلَيْ وَخَدِيجَةً بِنْتِ خُويْلِدٍ، وَعَائِشَةَ، وَصَفِيتَة، وَحَفْصَة، وَجَمِيع زَوْجَاتِهِ عَلَيْ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٍ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وأَمَّا مَن جَاءَتِ النُّصُوصُ بِأَنَّهِم مِن أَهِلِ النَّارِ ؛ فَيَشْهَدُونَ لَهُم بِذَلِكَ : منهُم أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَىٰ بِنْتُ حَرْبٍ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبَيُ بْنَ سَلُولٍ ، وغَيْرَهُم ثَمَن ثَبَتَ في حقّهم ذلك .

وأَهلُ السُّنَةِ والجماعَةِ: يعتقِدُونَ بِأَنَّ الجِنَّةَ لا تجبُ لاَحدٍ - كائنًا مَن كانَ - وإن كانَ عملُهُ صالحًا وحسنًا؛ إلاَّ أن يتغمَّدهُ اللهُ تعالىٰ بفضلِهِ ومَنِّهِ ومَنِّهِ وكرَمِه؛ فيدخُلُهَا برحمته وبإحسانه - عَزَّ وجَلَّ - قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب المناقب) باب و مناقب عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه ه وصححه الألياني.

﴿ وَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِنْ أَحَدِ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ : « مَا مِنْ أَحَد يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّة » فَقِيلَ: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: « وَلاَ أَنَا ؛ إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ » ( ` ` .

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ: لا يُوجبونَ العذابَ لكُلُّ مَن توجَّة إليهِ الوعيدُ مِنَ المسلمينَ - في غيرِ ما يقتضي الكُفرَ، أو مَن لَم يستحلُّ ذَنبَهُ - فقد يغفِرُ اللهُ تعالىٰ لَهُ بما فعلَهُ من طاعات، أو شفاعات، أو توبَة، أو بمصائب، وأمراض مُكَفِّرة، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُو َ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذَّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ الْمُتَدَىٰ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآية: ٢١.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) باب الن يدخل أحد الجنَّة بعمله؛ بل برحمة الله تعالى » .

<sup>(</sup>٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٩.

<sup>(</sup>٥) سورة طه، الآية: ٨٢.

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : وبَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ؛ فَغَفَرَ لَهُ ، (١).

## وأهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ:

لا يحكُمونَ على المعيَّنِ مِنَ المسلمينَ؛ بأنَّهُ من أهلِ النَّارِ، وإذا حكمُوا عليه! بفعله للمعاصي والذُّنوب؛ فلا يشهدُونَ لَهُ بالحلودِ فيهِ؛ لاحتمالِ توبتهِ وحُسنْ خاتمتِهِ، وإن كان لا بُدُّ مِنَ الحكمِ؛ فيُقيَّدُونَ الحكمَ بالموتِ على الكفرِ؛ لأنَّ العبرةَ بما يُختَمُ بهِ للمرءِ:

- \* فإن خُتِمَ لَهُ بالإيمانِ! فهو من أهلِ الجنَّةِ إِن شاءَ اللهُ مهما كان لهُ قبلَ ذلكَ مِنَ الأعمال غيرِ الصَّالحَةِ.
- \* وإِن خُتِمَ لَهُ بِالكُفرِ! فهو من أهلِ النَّارِ خالدًا فيهَا، وإِن كان لَهُ قبلَ ذلكَ مِنَ الأَعمال الصَّالحةِ.
- \* ومَنْ عُرِفَ عنهُ الكُفرُ، ولم يظهَرْ منهُ قبلَ الموتِ ما يدُلُّ علىٰ توبتِهِ وإيمانِهِ؛ حُكِمَ عليهِ بالكُفرِ والخلودِ بالنَّارِ، والعياذُ باللهِ.
- \* وهذه القاعدةُ الجليلةُ تُطبَّقُ أيضًا على مَن ثَبَتَ كُفْرُهُ وَرِدَّتُهُ مِن المسلمين.
- \* أَمَّا الكُفَّارُ الأَصليُّونَ؛ فهُم مُخَلَّدُونَ فِي نارِ جهنَّم إِلَىٰ أَبدِ الآبدينَ؛ إِلاَّ مَن دخلَ منهم الإسلامَ وأعلنه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿ إِنَّ خَالِدِينَ

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الجماعة والإمامة ) باب ه فضل التهجير إلى الظهره.

فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ (١).

وأهلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

يعتقدُونَ بأنَّ لكُلِّ مخلُوقِ أجلاً هو بالغهُ، وأنَّهُ لن تمُوتَ نَفْسٌ إلاً بإذنِ اللهِ تعالىٰ كتابًا مُؤَجَّلاً؛ فإذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يستَأْخرُونَ ساعةً ولا يستقدِمُونَ، وإن ماتَ أو قُتِلَ؛ فإنَّما يموتُ لانْتِهَاءِ أَجلِهِ المسمَّىٰ لَهُ في الكتاب المبين، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً ﴾ (٧).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُل لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بذَاتِ الصَّدُورَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ هَوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابِ ثُمَّ مِن نُطْفَة ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَقِّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاَ مُسَمَّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (1).

 <sup>(</sup>١) سورة هود، الآيات: ١٠٦ - ١٠٠.
 (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

<sup>(</sup>٤) سورة غافر، الآية: ٦٧.

#### وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ:

- \* يَعْتَقِدُونَ اعتقادًا جازمًا صادقًا؛ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ جَلَّ في عُلاهُ لِلْمُوْمِنِينَ الْمُتَقِينَ بِالْجَنَّةِ؛ حَقِّ لا ريبَ فيه .
  - \* وَوَعِيدَهُ بِتَعْذِيْبِ الْعُصَاةِ الْمُوَحَّدِينَ وَالْمُذْنِيِينَ فِي النَّارِ؛ حَقٌّ.
  - \* وَوَعِيدَهُ بِتَعْذِيْبِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ ؛ حَقٌّ.
    - \* لاَ يُخْلِفُ اللهُ جَلَّ وَعَلا َ وَعْدَهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (١).

وَلَكِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَعَدَ بِالْعَفْوِ عَنْ عُصَاةِ الْمُوَخِّدِينَ؟ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَبِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَأَنْ لاَ يُخَلَّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبِدًا، وَنَفَاهُ عَنْ غَيْرِهِمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْفُرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفَرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنَ يَشَاءُ ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٤٨ والآية: ١١٦.

#### سادسًا - تكفيرُ من ثبت كفره:

من الأُصولِ المهمة لاعتقاد أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ المتفقَّ عليه:

تكفيرُ الكافرِ الذي ثبت كفرُهُ بادلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، وذلك إذا تحققت شروطُه، وانتفت موانعه؛ لأنَّ التَّكفيرَ حكمٌ شرعيُّ؛ يجبُ التَّسليم لَهُ؛ كتسليم المسلم ببقيةُ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، وتكفيرُ الكافرِ من عقائدِ المسلم؛ كالاعتقادِ بإسلام المسلم.

 « فإذا جاء حكم التّكفير في الشّرع على صورة الخبر؛ وجب تصديقه والإيمان به مطلقًا؛ بدون تردُّدٌ.

\* وإذا جاء على صورة الأمر؛ وجب الاستسلام التَّامُ لَهُ، والانقيادُ الكامل لحكمه، والعمل بموجب أوامره.

وهكذا يجبُ أن يكونَ موقف المسلم الصَّادق من جميع أحكام الشَّريعةِ الغراء، ويكون شعاره: (آمنا وصدقنا، سمعنا وأطعنا) وكفي !

والحكمُ بالكفرِ أتني في الشُّرعِ الحكيم على وجهينِ:

\* كفرُ بالمعيَّنِ: أي الحكمُ بالكفرِ على الأعيانِ أو الطوائف؛ كشخصٍ سمَّاهُ اللهُ تعالىٰ، أو نبيَّهُ عَلَيْكُ : كفرعونِ وهامانِ، أو أبي لهب، أو أبي طالب، أو عبد الله ابن أبي بن سلول، وغيرهم كثير، أو كحكم اللهِ تعالىٰ في اليهودِ والنَّصارىٰ، وغيرهم؛ فيجبُ على المسلمِ الصَّادقِ تكفيرَهُ، والبراءة منه، ومن شركه، وكفره، وإعلانُ ذلكَ، ولا مجال للاجتهادِ في تأويل هذهِ النُصوصُ الشَّرعيَّةِ البَّة.

\* كَفَرُ بِالوصفِ يقومُ بِهِ المعيَّن: كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ

بِالله ﴾ أو ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله ﴾ فهذا النوعُ من التّكفيرِ المعيّن؛ يجبُ التحقيقُ فيه من قبلِ عالم راسخ مجتهد في ثبوت هذا الوصف في ذاك المعين، وخلوه من جميع العوارض؛ ثمّ تنزيل حكم الكفر عليه إذا ثبت في حقّه وانتفت الموانع؛ لأنّ الحكم بكفر الأعيان من المسلمين! هي من المسائلِ الشّائكةِ والدّقيقةِ، وهي شديدةِ الخطورةِ؛ يترتب عليها عواقب كثيرة وخيمة؛ لذا فهي بصفة عامّة لها ضوابط يترتب عليها عواقب كثيرة وخيمة؛ لذا فهي بصفة عامّة لها ضوابط صارمة، تحتاج لنظر، واجتهاد دقيق للتحقق من توافر شروط إيقاع الحكم وانتفاء موانعه، وهذا الأمر عما يستعصي على عامّةِ النّاسِ إدراكه، وهي ليس للدعاة والمفكرين والمثقفين، وإنّما هي لاَهلِ العلمِ والاجتهادِ ليس للدعاة والمفكرين والمثقفين، وإنّما هي لاَهلِ العلمِ والاجتهادِ التمكنين، أَو أهل القدرةِ والسّلطانِ من العلماءِ القُضاةِ.

لأنَّ أهلَ السُّنَة والجماعة - كما علمنا مما سبق - هم أعظمُ النَّاسِ ورعًا في مسألةِ التَّكفيرِ، وفي تنزيلِ حكم الكفرِ في المعيَّنِ، وإنَّ أَثمَّتهم يحترزون من تكفير المعيَّن من المسلمين ما وجدُوا إلىٰ ذلك سبيلاً، وبينوا خُطورة الإقدام علىٰ ذلك دون دليل واضع، وبرهان ساطع، وعلم جامع نافع؛ لكنَّ هذا الورعَ العظيم! لم يمنعهم من إنزال حكم الكُفرِ علىٰ مَن ثبتَ في حقّهِ الكُفرِ؛ بشروطهِ الشَّرعيَّةِ، وبضوابطه الدَّقيقةِ، ولذا! لم يتردَّدوا لحظةً! في تكفير مَن كَفَّرهُ اللهُ تعالىٰ، ورَسُولُه الاَمِين عَلَيْكُ.

لأنَّ هذا الورع في باب التَّكفير! لا يعني - عندهم - إغلاق باب الرِّدَّةِ، أَو الحكم بالإسلام على من دلَّ الدليلُ الشَّرعيُّ على كفرهِ وردتِه؛ لأنَّ الانحراف في مسألة التكفير، لا يُقابل بانحراف آخر لا يقل خطرًا عنه! وهو عدم تكفير الكافر! والعياذُ بالله تعالىٰ.

وذلكَ لأنَّ النُّصوصَ الشَّرعيَّة؛ دلَّتْ بوضوح على جوازِ تكفيرِ الكافرِ الأصلي، أو مَن ارتكب عملاً، أو قولاً مكَفِّرًا من المسلمينَ؛ بل جعلوا تكفيرَهُ من أصولِ اعتقادهم، وحكموا بكُفرِ مَن لم يُكفِّر الكافر، أو يشُّكُ في كُفره، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكُفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿ يَعُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكُفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مَّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣٠).

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : ﴿ مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ دَخَلَ النَّارَ ﴾ ( 1 ) .

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآيتان: ١٥١ - ١٥١.

<sup>(</sup>٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

<sup>(</sup>٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الجنائز) باب «في الجنائز، ومَن كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله».

<sup>(</sup> ٥ ) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب « ترك الصلاة، وصححه الألباني.

<sup>(</sup>٦) رواه أبو داود في (كتاب الجهاد) باب «النهي عن قتل من اعتصم بالسجود» وصحّحه الألباني.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَخَلَ عَامَ الفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ ؛ فَلَمَّا نَزَعَهُ ، جَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ ! فَقَالَ ﷺ : و اقْتُلُوهُ (١)(٠).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنْ أَعْمَىٰ كَانَتْ لَهُ أُمْ وَلَدٍ تَسْتُمُ اللَّبِيَ عَلَىٰ وَتَقَعُ فِيهِ ا فَيَنْهَاهَا ، فَلاَ تَنْتَهِي ، وَيَرْجُرُهَا فَلاَ تَنْرَجِرُ ! قَالَ : فَلَمَّا كَانَتْ فَاتَ لَيْلَةٍ ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النّبِي عَلَىٰ وَتَشْتُمهُ ا فَاخَذَ الْمِعْوَلَ فَوضَعَهُ فِي بَطْنِهَا ، فَرَقْعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ ، فَلَطَخَتْ مَا هُمَاكَ بِالدّم ، فَلَمَّا وَاتّكَا عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ، فَوقْعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ ، فَلَطْخَتْ مَا هُمَاكَ بِالدّم ، فَلَمّا وَاتّكَا عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ، فَوقْعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ ، فَلَطْخَتْ مَا هُمَاكَ بِالدّم ، فَلَمّا اللهُ وَحُلاً فَعَلَ مَا وَاتّكَا عَلَيْهَا مَا وَعَمْعَ النَّاسَ ! فقالَ : وأَنشُهُ الله وَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لَي عَلَيْهِ حَقْ إِلاَّ قَامَ ، فقامَ الأَعْمَىٰ يَتَخَطَّى النَّاسَ ، وَهُو يَتَوْلُونَ وَحَمَّى فَعَدَ فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقْ إِلاَّ قَامَ ، فقامَ الأَعْمَىٰ يَتَخَطَّى النَّاسَ ، وهُو يَتَوْلُونَ حَتَّىٰ قَعَدَ فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقْ إِلاَ قَامَ ، فقامَ الأَعْمَىٰ يَتَخَطَّى النَّاسَ ، وهُو يَتَوْلُونَ حَتَّىٰ قَعَدَ فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقْ إِلاَ قَامَ ، فقامَ الأَعْمَىٰ يَتَخَطَّى النَّاسَ ، ومُو يَتَوْلُونَ حَتَىٰ قَعَدَ بَيْنَ يَدَى النَّبِي عَلَيْهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إ أَنَا صَاحِبُهَا ، كَانَتْ تَشْتُمُكَ ، وتَقَعُ فِيكَ ؛ فَأَنْ اللَّوْلُوتَوْنَ مِنْ اللَّهُ الْقُلْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

« أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ ، (٢).

وقالَ الإمامُ سفيان بن عيينة، رحمهُ اللهُ: (القرآنُ كَلامُ اللهِ – عزَّ وجلَّ – مَن قالَ مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ، ومَن شكَّ في كفرهِ؛ فهو كافرٌ)(٢).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الحج) باب ٥ دخول الحرم ومكة بغير إحرام ٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه أبو داود في ( كتاب الحدود ) باب والحكم فيمن سبُّ النبي ﷺ ، وصححه الألباني .

<sup>(</sup>٣) ه كتاب السُّنَّة ٥ ج١، ص١١٢. الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل.

<sup>( \* )</sup> وقوله : ( متعلق بأستار الكعبة ) أي : تائبًا وطالبًا للأمان . وقوله عَلى : • اقتلوه • لأنَّهُ ضَمَّ الله والمسلمين . والطعن بالدّين، ومحاربة الإسلام والمسلمين .

وقالَ الإمامُ الأوزاعيُّ، رحمهُ اللهُ: (مَن شتمَ أَبا بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - فقد ارتَدَّ عن دينه، وأبيحَ دمه) ('').

وقالَ الإمامُ مالكِ، رحمهُ اللهُ: (الذي يَشتمُ أَصحابَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ لِيسَ لهُ سهمٌ - أو قال - نصيبٌ في الإسلام) (٢).

وقالَ الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ: (القدريُّ الذي يقولُ: إِنَّ اللهَ لم يعلم الشَّيءَ حتىٰ يكونَ؛ هذا كافرٌ)(٣).

قيلَ للإمامِ أحمد: إِنَّ الحسينَ بن عليَّ الكرابيسيِّ - وكان من الفقهاء - يقول: إِنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ، ومَن لم يقل إِنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ! فقالَ اللهُ، وأَيِّ شَيْءً قالتُ الحمد: (بل هو الكافرٌ! قاتله اللهُ، وأَيِّ شَيْءً قالتُ الجهمية؛ إِلاَّ هذا؟)(٤).

وقالَ الإمامُ أبو بكر محمَّد بن إسحاق بن خُزيمة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( مَنْ لَمْ يُقرَّ بِأَنَّ اللهَ على عَرْشِهِ قَدْ استَوىٰ فَوقَ سَبعِ سَماواتِهِ ؛ فهو كافرٌ ! حَلالُ الدَّم، وكانَ مالهُ فَيتًا ) قالَ الإمامُ الذَّهبيُّ - رحمهُ اللهُ - معلَّقًا :

(وكلامُ ابن خزيمة هذا – وإِن كان حقًا – فهو فَحٌ، لا تحتملُهُ نفوسُ كثيرٍ مِن مَتَأْخرِي العلماء!) ثمَّ ساقَ قول ابن خزيمة في كفر من قالَ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ: (القُرآنُ كلامُ اللهِ تعالىٰ، ومَن قالَ: إِنَّهُ مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ يستتاب! فإِنْ تابَ، وإِلاَّ قُتِلَ، ولا يدفنُ في مقابرِ المسلمين) (٥٠).

<sup>(</sup>١)، (٢) « الإبانة الصغرى » ص١٦٢ . للإمام ابن بطة .

<sup>(</sup>٣) و كتاب السُّنَّة ، ص ٥٢٥. للإمام الخلال.

<sup>(</sup>٤) ذكره العلاَّمة أحمد شاكر في ترجمته للإمام أحمد في مقدمة تحقيقه «للمسند» ص٧٨.

<sup>(</sup> ٥ ) انظر: « سير أعلام النبلاء » ج١ ١ ، ص٣٧٣ ، ٣٧٤ .

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةً - رحمهُ الله كله - وهو يتكلم في الدُّروز:

(كُفْرُ هؤلاءِ مما لا يختلفُ فيه المسلمون؛ بل مَن شكَّ في كفرهم؛ فهو كافرٌ مثلهم! لا هم منزلةِ أهلِ الكتابِ ولا المشركين؛ بل هم الكفرة الضَّالونَ؛ فلا يُباحُ أكل طعامهم . . . )(١).

وقال، رحمهُ الله: (مَن اعتقدَ ما يعتقده الحلاَّج من المقالات التي قُتل الحلاج عليها؛ فهو كافرٌ مرتدٌ باتّفاق المسلمين! فإنَّ المسلمين إنَّما قتلوه على الحلول والاتحاد، ونحو ذلك من مقالات أهل الزَّندقة والإلحاد؛ كقوله: أنا الله! وقوله: إله في السّماء وإله في الأرض... وقولُ القائل: إنَّهُ قُتلَ مظلومًا قولٌ باطلٌ؛ فإنَّهُ وجبَ قتلهُ على ما أظهرهُ من الإلحاد أمرٌ واجبٌ باتّفاق المسلمين؛ لكن لما كان يُظهر الإسلام ويُبطن الإلحاد إلى أصحابه؛ صار زنديقًا! فلما أخذ وحبس أظهر التَّوبة، والفقهاء متنازعون في قبول توبة الزّنديق؛ فأكثرهم لا يقبلها...)(٢).

قالَ - أيضًا - رحمهُ اللهُ: (صَنَّفُ الرَّازِيُّ كتابهُ في عبادةِ الكواكبِ والأَصنام، وأقام الأدلة على حسن ذلك، ومنفعته ورغَّبَ فيه! وهذه ردَّةً عن الإسلام باتفاقِ المسلمين، وإن كانَ قد يكونُ تابَ منه، وعادَ إلىٰ الإسلام)(٢).

إِذِن ! دلَّت النَّصوصُ الشَّرعَّيَّةِ، وأقوالِ أَثمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ علىٰ جواز تكفير الكافر، أو من ارتكب عملاً، أو قولاً مكفّرًا من المسلمين .

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ مجموع الفتاوي، ج٥٦، ص١٦٢.

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: ﴿ مجموع الفتاويٰ ٤ ج٢ ، ص ٤٨٠ – ٤٨٦ .

<sup>(</sup>٣) انظر: ٥مجموع الفتاوي، ج٤، ص٥٥.

وقد نقلَ العلاَّمة القاضي عياض - رحمه الله - إجماعَ العلماءِ على ذلك ! عندما نقلَ صوابَ أقوالِ المجتهدين في أصول الدِّين، حيثُ قالَ:

( وقائلُ هذا كلّه كافرٌ بالإجماعِ علىٰ كُفْرِ مَن لم يكفّر أَحدًا من النّصارىٰ واليهود، وكُلُّ مَن فارقَ دين المسلمين، أو وقفَ في تكفيرهم، أو شكً )(١).

وَعَدَّ الإِمامُ محمَّد بن عبد الوهاب - رحمهُ الله - عدمَ تكفيرِ الكقَّارِ والمشركين، أو الشَّك في كُفرهم؛ من نواقض الإسلام، ونقلَ الإجماعَ علىٰ ذلك - أيضًا - فقال: (مَن لم يُكَفِّر المشركين، أو شكَّ في كُفرهم، أو صحَّحَ مذهبهم؛ كَفَرَ إجماعاً)(٢).

وقالَ العلامة حمد بن ناصر بن مَعمر النَّجديُّ، رحمهُ الله تعالى :

(فإنَّ كثيرًا من المسائلِ التي ذكرها العلماء في مسائلِ الكفرِ والردَّةِ، وانعقد عليها الإجماع؛ لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفرًا، وإنَّما يستنبطها العلماء من عموم النُّصوص؛ كما إذا ذبح المسلم نُسُكًا متقربًا به إلى غيرِ اللهِ؛ فإنَّ هذا كفرَّ بالإجماع! كما نصَّ على ذلك النَّوويُ وغيره، وكذلك لو سجد لغيرِ اللهِ؛ فإنَّ قيلَ هذا شركُ؛ لأنَّ الذَّبح عبادة، والسَّجودَ عبادة؛ فلا يجوزُ لغيرِ اللهِ عالى؛ كما دلَّ على ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿ فَصَلَّ لِرَبِكَ وَانْحَر ﴾ وقوله: اللهِ تعالىٰ؛ كما دلَّ علىٰ ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿ فَصَلَّ لِرَبِكَ وَانْحَر ﴾ وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِللهِ رَبِ الْعَالَمِينَ ﴾ فهذا صريح ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِللهِ رَبِ الْعَالَمِينَ ﴾ فهذا صريح في الأمرِ بهما، وأنَّهُ لا يجوز صرفها لغير اللهِ؟ فينبغي أن يُقالَ: فأينَ الدَّليلُ في الأمرِ بهما، وأنَّهُ لا يجوز صرفها لغير اللهِ؟ فينبغي أن يُقالَ: فأينَ الدَّليلُ

<sup>(</sup>١) انظر: «الشّفا بتعريف حُقوق المصطفى «ص ٨٤٦ فصل: «في تحقيق القول في إكفار المتاولين» تحقيق: عبده على كوشك، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء.

<sup>(</sup>٢) « مؤلفات محمد بن عبد الوهاب » القسم الخامس، الرسائل الشخصية ؛ ص٢١٣.

المصرح بأنَّ هذا كفر بعينه؟ ولازمَ هذهِ المجادلة الإنكار على العلماءِ في كلِّ مسألة من مسائل الكفرِ والرِّدَّةِ التي لم يرد فيها نصٌّ بعينها)(١).

وسُئِلَ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبد الله بن عبد الرَّحمن أبا بطين؛ عمن يرتكب شيئًا من المكفراتِ؟ فأجاب - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - قائلاً:

(ما سألتُ عنه؛ من أنّهُ هل يجوزُ تعيين إنسان بعينه بالكفرِ؛ إذا ارتكب شيئًا من المكفراتِ؟ فالأمرُ الذي دلَّ عليه الكتابُ والسّنّةُ وإجماعُ العلماءِ علىٰ انهُ كفر – مثل الشرك بعبادةِ غير اللهِ سبحانه – فمَن ارتكب شيئًا من هذا النوعِ أو جنسِه؛ فهذا لا شك في كفرِه، ولا بأس بمن تحققت منه شيئًا من ذلك، أن تقولَ؛ كفر فلانٌ بهذا الفعلِ! يبين هذا؛ أن الفقهاءَ يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم كافرًا، ويفتتحون هذا الباب بقولهم؛ ومَن المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم كافرًا، ويفتتحون هذا الباب بقولهم؛ ومَن تكون مع معين ولما قالَ بعض أهل البدع عند الشّافعيُ: إنّ القُرآنَ مخلوقً! تكون مع معين . ولما قالَ بعض أهل البدع عند الشّافعيُّ: إنّ القُرآنَ مخلوقً! قال! و كفرت باللهِ العظيم ؟!) وكلامُ العلماءِ في تكفيرِ المعين كثيرٌ .

وأعظمُ أنواعِ الكفرِ؛ الشَّركُ بعبادةِ غيرِ اللهِ، وهو كفرٌ بإجماعِ المسلمين، ولا مانع من تكفير من اتَّصفَ بذلك؛ كما أنَّ مَن زنى قيل: فلانَّ زان، ومَن رابى، قيل: فلانَّ مراب. وأمَّا قولك؛ إذا ظهرَ من إنسانِ الكفرَ، وقامت عليه الحجَّةُ، وامتنعَ إنسانُ من تكفيرهِ؟ فكأنَّك تُشيرُ إلىٰ حالِ أهلِ هذهِ المشَّاهِدِ؛ التي يقعُ عندها الشَّركُ الأكبرِ! ومن المعلومِ؛ أنَّهُ لا يصحُ إسلامُ إنسانِ؛ حتَّىٰ يكفُرَ بالطَّاغوتِ، وهو كلُّ ما عبدُ من دونِ اللهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ يَكُفُرُ يكفُرُ بالطَّاغوتِ، وهو كلُّ ما عبدُ من دونِ اللهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ يَكُفُرُ

<sup>(</sup> ١ ) انظر: ٥ مجموع الرسائل والمسائل والفتاوي، ٥ هـ ١ ٤٣.

<sup>(</sup> ٢ ) و مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية؛ ص٢١٣٠.

بِالطَّاعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى ﴾. وفي الحديث الصَّحيح: « مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وكَقَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ ؛ حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمْهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ » والكفر بذلك ؛ البراءة منه، واعتقاد بطلانه)(١).

وسُئِلَ فضيلةُ الشَّيخُ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين – رحمهُ اللهُ – هل يجوز تكفير المسلم المعين؟ وهل لذلك ضوابط وشروط، أم لا؟

فأجاب: (نعم! يجوز لنا أن نطلق على شخص بعينه أنَّهُ كافرٌ؛ إذا تحققت فيه أسباب الكفر، فلو رأينا رجلاً ينكر الرَّسالة، أو رجلاً يبيح التَّحاكم إلى الطَّاغوت، أو رجلاً يبيح الحكم بغير ما أنزلَ الله، ويقول: إنَّهُ خيرٌ من حكم الله؛ بعد أن تقومَ الحجَّةَ عليه؛ فإنّنا نحكم عليه؛ بأنَّهُ كافرٌ.

فإذا وجدت أسباب الكفر، وتحققت شروطه، وانتفت الموانع؛ فإنَّنا نكفر الشَّخصَ بعينه، ونلزمه بالرُّجوع إلى الإسلام، أو القتل).

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (إِذا تمت شروط التَّكفيرِ في حقّهِ؛ جاز إِطلاق الكفر عليه بعينه، ولو لم نقل بذلك ما انطبق وصف الرّدّة على أحد).

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (للحكم بتكفيرِ المسلم شرطان:

أحدهما: أن يقومَ الدَّليلُ علىٰ أنَّ هذا الشَّيْءَ مما يكفر.

الثَّاني: انطباقُ الحكم على مَن فعلَ ذلكَ؛ بحيث يكون عالمًا بذلك، قاصدًا له؛ فإن كانَ جاهلاً، لم يكفر بذلك)(١).

<sup>(</sup>١) انظر: «الدُّرر السُّنية في أجوبة النجدية، ج،١، ص ٤١٧ - ٤١٨.

<sup>(</sup>۲) انظر: «مجموع فتاوي ورسائل» ج۱، ص١٢٤ - ١٢٦.

إذن! عُلماءُ – أهل السُنَّةِ والجماعةِ – قديمًا وحديثًا؛ يُكفِّرونَ المسلم الذي يَقَعُ في الكفر؛ إذا قامت عليه الحجَّةُ، وانتفت عنه الموانع، وإنَّ عدمَ تكفيرِ الأعيانِ مطلقًا؛ ليس من طريقتهم، ولا هي مفخرةٌ ولا منقبةٌ؛ بل هي مخالفةٌ صريحةٌ لعلماءِ الأُمَّةِ؛ الذين لا يجتمعون على ضلالةٍ، ولا على ترك الحق البتَّة؛ بنص نبوي كريم إلان عدمَ التَّكفيرِ؛ مناف للواقع وتكذيب للوقائع، ومخالف للحققة الإيمانِ؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقولُ:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١).

إِلاَّ أَنَّ العلماءَ! نَبَّهُوا إِلَىٰ خطورةِ هذا الأَمرِ؛ إِذَا صدرَ من غير أَهل العلم المعتبرين؛ لأَنَّ التكفيرُ حكمٌ شرعيٌّ جليلٌ؛ لا يطلق على معين إِلاَّ بشروطه الشَّرعيَّة الدقيقة، ومَن ثبتَ في حقِّه تلك الشُّروطُ، وانتفت عنه الموانعُ؛ أُطلقَ عليه حكم الرِّدَّة، لكنَّ الحكمَ الكُفْرِ لا يستطيع أحدٌ تنزيله بحقِّه الشَّرعيُّ في المعيَّن؛ إِلاَّ العلماء الرَّاسخين في العلم.

واعلم! أخي المسلم: أنَّ غيرَ العلماءِ من الدُّعاةِ والمثقفينَ والعوام غيرُ مكلَّفينَ شرعًا بتكفير مسلم صدر منه كفرًا؛ بل هذا الأمرُ للعلماء فقط، وهذا لا يعني عدم تكفير المعيَّن، ولكن يعني عدم الجُرأةُ على هذا الأمر الخطير؛ بل المطلب من هؤلاءِ تكفير أعيان الكفَّارِ الذين كفرهم ظاهرٌ وثابتٌ لا يحتاج إلى أدلة دقيقة؛ من أمثال اليهود، والنَّصارى، والمشركين، والوثنيين، والملحدين، والزَّنادقة، ومَن سلك مسلكهم، أو الذين يحاربونَ الإسلام والمسلمين علنًا، ويبيحون دمائهم.

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآية: ٢.

ثمَّ اعلم! أنَّ مسألةَ تكفيرِ المسلمِ الذي وقع في الكفرِ؛ من المسائل العظيمةِ الدقيقة في العقيدة؛ قد لا يتبين أحيانًا لكبارِ العلماء! فضلا عن غيرهم، وفي بعضِ الأحيانِ يكون تنزيل حكم التَّكفيرِ في بعضِ المعينين محلُ خلاف بينَ أهلِ العلم، وذلك لوجودِ أدله ظاهرها عندهم التَّعارض، ومن هنا فإنَّ عدم تكفيرِ المعينِ في هذه الحالة؛ ليسَ من بابِ التكذيب اللهِ تعالىٰ ولرَّسُولهِ عَلَيْ بل هو اتَّباع لبعضِ الأدلة الشَّرعيَّة لاعتقاد من المجتهد؛ أنَّهُ أقوىٰ في الدلالةِ، أو أصرح في العبارةِ، أو أثبتُ، ونحوه.

فاهتمامُ أهل السنّة والجماعة! في تكفير الكفّار والمشركين، أو مَن ثبت كُفره، أو ردَّته من المسلمينَ عن الإسلام؛ ليس لهوى في النّفس، ولا لعصبية جاهلية؛ وإنّما يريدون التعبّد لله - تبارك وتعالى - بذلك العمل الشّرعيّ، وكذلك القيام بواجب الولاء والبراء؛ فمعرفة حال الشّخصِ من إيمان، أو كفر، تُحقِّق للمؤمنِ التعبّد بمحبّتِه؛ إن كان مؤمنًا أو مسلمًا، وكراهيّته إن كان كان كان كان مَوْمنًا أو مسلمًا، وكراهيّته إن كان كان كان كان مَوْمنًا الله، ومَنعَ لله، ومَنعَ لله؛ فقد استكمل الإيمان (۱).

فتكفيرُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة للكفَّارِ وغيرهم، وعداوُهم لهم، وبُغضهم إِيَّاهم؛ ما هو إِلاَّ استجابةٌ للهِ - عزَّ وجلَّ - قالَ اللهُ تباركَ وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب السُنَّة) باب «الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) سوره البقرة، الآية: ١٦١.

وكذلك حبُّهم للعبد نفسه! إذا دخل في الإيمان بعد الكُفر؛ استجابةٌ للهِ - جلَّ وعلا - قال الله تبارك وتعالى:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَتُ الأَوَّلِينَ ﴾ (١).

فمُوالاةُ أهل السُنَّة والجماعة ومُعاداتُهُم للعبدِ مبنيةٌ على أساس صفات الإيمان والكُفر التي تُلازمُه، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ لَا يَتَخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذَّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَىٰ اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢).

فالإنسانُ ! إِمَّا مسلمٌ، أَو كَافرٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نُبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا اللهِ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا ﴾ (٢).

والتّكفيرُ لَهُ ضوابطٌ شرعيّةٌ محكّمةٌ، من شروط وموانع؛ فإذا ثبتت الشّروط، وانتفت الموانع، وتبينت الحجّة ، وأقيمت المحجّة على العبد؛ فإن عدم التّكفير بعدها تكذيبٌ للحكم الشّرعيّ؛ لأنّه كما لا يجوز شرعًا تكفير المسلم، فكذلك لا يجوزُ عدم تكفير الكافر المنطبقة عليه شروط التكفير! وهذا هو معتقد أهل السّنّة والجماعة.

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

<sup>(</sup>٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الإنسان، الآيتان: ٢ - ٣.

## « ۱۱ » « موانعُ التَّكفيرِ »

فإِنَّ شريعةَ اللهِ – جلَّت قدرته – وسطٌّ بينَ إِفراطِ وتفريطِ، وبينَ غلوِّ وجفاءِ، وهي دينُ الحقِّ الَّذي ارتضاه الله تعالىٰ لعباده؛ منذُ أَنْ نزلَ أبينا آدم – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – إلىٰ الأرضِ لعمارتها وعبادة خالقها، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين إلىٰ أن تقومَ السَّاعةُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلامُ ﴾ (١).

ويومُ القيامةِ لا يُقبلُ عند الله - عزَّ وجلَّ - دينٌ سواه، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢).

ومَن آمنَ بهذا الدّينُ العظيم، واختارَ الإسلامَ لَهُ دينًا؛ فأصبحَ أحدٌ من المسلمينَ ؛ فإِنَّهُ لا يجوز الحكم بكفره إلاَّ بناقض ينقض إسلامَهُ، وإذا وقعَ بإحدى هذه النَّواقض، لا يُكفَّرُ مباشرةً ؛ إلاَّ بعد قيام الحجَّةُ عليه وتُبَيَّنَ لَهُ ذلكَ بوضوح، وتُزالُ عنه الشَّبهة ؛ فإنْ أصرَّ بعد ذلك على هذه النَّواقض التي بسببه يُكفَّرُ ؛ فلا يجوز الحكم بإسلامه! وإلاَّ أصبحَ دينُ الإسلام ألعوبةً في أيدي السَّفهاء والمحرفين ؛ كما هو حالُ في بقيةُ الأديانِ المحرفة .

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

ولكنَّ! المسلمُ لا يُكَفَّرُ بكلِّ فعلٍ أو تولٍ؛ إِلاَّ إِذَا أَنكر معلومًا من الدِّينِ بالضَّرورةِ، أو اعتقد اعتقادًا، أو قالَ قولاً، أو فعل فعلاً؛ قد انعقدَ الإجماعُ أو دلَّت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ الصَّريحةُ علىٰ أَنَّهُ كفرٌ ناقلٌ عن الإسلام.

ولا يُكَفَّرُ المسلمُ - أيضًا - بارتكابِ الكبائرِ والموبقاتِ، ولو جاءت النُصوصُ واضحة بلعنِ صاحبها، أو غضب الله تعالى عليه، أو جاء فيها وعيدٌ شديدٌ بالعذابِ والنَّارِ؛ إلاَّ أن يستحلَها؛ فعندئذ يُكَفَّرُ؛ لاَنَّهُ استحالً محرمًا في الشَّرع، لا بمجرد فعله لذلكَ الحرَّم!

ولا يلزمُ كذلك من وقوعِ المسلمِ في مكفّر من المكفراتِ الواضحةِ الحكم بكفرهِ ابتداءً عثى ينقطع عذره! بتوافر الشُّروط، وارتفاع الموانع من الجهل والتأويل والإكراه، والخطا ؛ لأنَّ تكفير المسلمِ المعيَّنِ - عند أهلِ السَّنَةِ والجماعةِ - له موانعُ تَمْنَعُ من تنزيلِ الحكمِ عليه ؛ إلاَّ بعدَ توفُر الشُروط، وانتفاءِ الموانع التي تمنعُ تكفيره.

ولكن! كثير من المسلمين اليوم؛ لا يعرفون هذه الموانع الشَّرعيَّة التي أجمع عليها علماء الأُمَّة، وإذا عرفها لا يفقهون معانيها ومقصدها؛ بل إِنَّ أَكثرَ العوامِ والمثقفين! لا يعرفون نواقضِ الإسلامِ التي أمرها يهمُّ كلَّ مسلمٍ؛ لكي يحافظ علىٰ عدم الحروج من دينهِ، وهو لا يعلم!

فمنها ابتُليت أمتنا بفتنة عظيمة وقعت فيها - قديمًا وحديثًا - ألا وهي فتنة التَّكفير، وفتنة عدم التَّكفير مطلقًا! وكلا الأمرين شرَّ مستطيرٌ، وداءٌ عضلٌ قد فتك بها! لأنَّها تُخالف منهج علماء الأُمَّة المعتبرين؛ لكنَّ الفتنةُ تزدادُ خطرًا إذا خاص فيها العوام وغير مؤهلين؛ لأنَّهم يخضون في مسألة قد أبي كبارُ العلماء الخوص في أبوابها، وإذا دخلوها! فما دخلوها إلاَّ بعلم

مضبوط بضوابطة شرعيَّة محكَّمة الله في هذا الباب من خطر عظيم الو فتح على مصراعيه وتُرك لكلٌ مَن هبَّ ودبَّ الخوض فيه الهلك أقوامٌ وأقوامٌ ولنزعت العصمة من دم المسلم بالشُّبهات والأراء، وتفرَّق جماعة المسلمين، وواقعنا خير شاهد على ما نقول! والله المستعان، قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١).

فموانعُ التَّكفيرِ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ ؛ كما قررها العُلماء من خلال الاستقراءِ ، وهي:

أَوَّلاً موانعُ في الفاعل: وهي ما يعرضُ للعبد؛ فتجعله لا يؤاخذُ بأفعالِهِ وأقوالهِ، وتُسمَّىٰ عند الأصوليين بـ «العوارض الأهلية» وهي نوعان:

\* عوارضُ غير مكتسبةِ: وتُسمَّىٰ عوراضُ سماويةِ، ونُسبت إلىٰ السَّماءِ؛ لأَنَها نازلةٌ منها بغيرِ اختيارِ العبدِ وإرادته؛ فلا دخلَ لَهُ في اكتسابها، أي: هي من قدرِ اللهِ تعالىٰ لا دخل للعبدِ فيها، وهي أنواع؛ كالصَّغَر والجنونِ والعتهِ والنوم والنسيان؛ فإذا جني من اعتراهُ شيءٌ من هذه العوارض جناية؛ فلا إثم عليه ولا يؤاخذ بشيءٍ من العقوباتِ لارتفاع خطاب التَّكليف عنه، وإنَّما يؤاخذُ بمل يتعلقُ بحقوق العباد؛ كالضمان، وقيم المتلفات والدِّياتِ، ونحوها؛ لأنَّها من خطاب الوضع.

\* عوارضُ مكتسبة : هي التي لإختيارِ العبدِ دخلٌ في اكتسابها، أو ترك إزالتها؛ بنفسه، أو من غيره، وإن كان كلَّ شيءٍ من قدرِ اللهِ تعالى،

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

وهي سبعة عوارض؟ ستة من العبد، وهي: الجهل، والسَّفَة، والسَّكرُ، والهرَّكرُ، والمسَّكرُ، والمؤلِّ، والسَّفَرُ، وعارضٌ من غير إرادته، وهو: الإكراهُ.

ثانيًا- موانعُ في الفعلِ، أي في السَّبَبِ:

١ – كونُ الفعلِ، أو القولِ غير صريح في الدُّلالةِ علىٰ الكُفرِ.

٧- كونُ الدَّليلُ الشَّرعيُّ الذي استُدلِ به؛ غير قطعي في دلالته علىٰ أَنَّ ذلكَ الفعلِ، أو القولِ مكفرًا. أي: لايدلُّ علىٰ الكفرِ صراحةً، ولكنَّهُ يعتمل الكفر وغيره، ومنه القول الذي ليس هو كفرًا في ذاته، ولكنَّهُ يؤوَّلُ إلىٰ الكفر؛ فهذا العمل محتمل الدَّلالة لا بُدَّ فيه من النَّظرِ في عدة أمور لتعيين دلالته؛ فينظر إلىٰ تَبينُ قصد الفاعل، وفي قرائن الحال المصاحبة للعمل.

ثالثًا – موانعُ في الثُبوتِ: ذلك بأن لا يكونَ قد ثبت الكفر على فاعلهِ، أو قائلهِ الثُبوت الشَّرعيِّ، ويكون ذلك أمَّا بالإقرار؛ أي الاعتراف، أو بالبينة؛ أي: شهادة شاهدين عدلين، ويثبتُ ذلكَ بطريق شرعيِّ صحيحٍ، لا بظن، ولا بتخرص، ولا بالاحتمالاتِ، أو الشُّكوكِ.

فهذه هي موانع التَّكفيرِ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ - وهذه الموانعُ تعتبرُ من المسائلِ الخفية التي لا يعرفها إلاَّ الخاصة، ولكن لتنزيل حكمها على المعيَّن؛ تحتاج إلى العلماء الرَّاسخين في العلم.

ولعلَّنا نقفُ مع كلِّ مانع وقفة قصيرة؛ نستلهم منها ما ذكرهُ العلماءُ المعتبرين الذين شهدت لهم الأَمَّة بالعلم والفضل والثقة، وهذه الموانع هي: العجزُ، الجهلُ، الخطأُ، التأويلُ، الإكراهُ، التقليدُ.

## أُوَّلاً ل العِجْزُ:

إِنَّ الشَّرِيعةَ الإسلاميَّةَ سهلةٌ ميسَّرةٌ، ومُحكَّمةٌ شاملةٌ، ومانعةٌ جامعةٌ ؛ لجميع نواحي الحياةِ البشَّريةِ، ومناسِبةٌ لجميع الأَزمانِ، ولاَحوالِ البلادِ والعباد ؛ حسب طاقاتهم وقدراتهم، وأحكامُها مختلفةٌ، بحسب حالِ العبد من السَّعة والرَّخاء، والعبدُ في الشَّرعِ لا يُكلَّف ما لا يُطيق ولا يَقدرُ علىٰ أَدائه البَّة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » ( أ ) .

واتَّفق أَثمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ: على أَنَّهُ إِذا تعذَّرَ على المكلَّف القيامُ ببعض الواجب، وأمكن القيام بالبعض الآخر، واتَّقىٰ الله تعالىٰ ما استطاع؛ وجب عليه القيامُ بالمكن، وسقط عنهُ ما تعذَّر عليه، أو عجزَ عنهُ.

ومنها كانت القاعدةُ الفقهيَّةُ: (الميسُورُ لا يسقُط بالمعْسُور) (°). أو (لا واجبَ مع المأموراتِ، ولا حرامَ مع ضرورةٍ) (١).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦. (٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الطلاق، الآية: ٧.

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب (الإقتداء بسُنن رسول عَلَيْكُ ٥٠.

<sup>(</sup> ٥ ) انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي: ص٥٥ . و«الأشباه والنظائر» لابن السبكي: ج١،

<sup>(</sup> ٢ ) انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيّم؛ ج٢، ص٢٢٠.

ومعنى ذلك أنَّ جميعَ الشُّروطِ والواجباتِ والأَركانِ؛ مقيَّدةٌ بحالِ القدرةِ والاستطاعةِ، أمَّا في حالِ العجزِ، وعدمِ القدرةِ؛ فتسقُطُ عن المحلَّف؛ إمَّا إلى بدل، أو مطلقًا؛ لأَنَّ شرطَ التَّكليفِ القدرةُ على المحلَّف به، فما لا قدرة للمكلَّف عليهِ لا يصعُ التَّكليف به شرعًا.

وعلى ضوء هذه الأحكام الشّرعيَّة والقواعد المرعيَّة؛ اتَّفقُوا – أَدَّمَةُ أَهلَ السُّنَّة والجماعة – على أنَّ العجز عن أداء ما شرَعَ اللهُ تعالى، أو عن أداء بعضه؛ يُعتبرُ من موانع التَّكفير؛ إذا كان سَبَبُهُ انتفاءَ الإرادة، وعدمَ الاختيارِ والرَّضا والقصد بذلك، واتَّقىٰ صاحبُه الله تعالىٰ ما استطاع؛ فإنَّه معذورٌ غيرُ مؤاخذ علىٰ ما تَرَكهُ.

كالذين بلغتهم دعوة الإسلام، وهم في دار الكُفر وأسلَمُوا، ولكن لم يتمكّنوا من الهجرة إلى دار الإسلام، ولا الالتزام بجميع شرائعه وأحكامه؛ لأنّهم ممنوعون من إظهار دين الإسلام، أو ليس عندهم من يُعَلِّمهم جميع شرائع الدّين وتعاليمه؛ فهؤلاء معذرون، وإن ماتوا على حالهم هذه؛ فهم من أهل الجنّة؛ إنْ شاءَ الله تعالىٰ.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمه الله تعالىٰ:

( فإِنَّ أُصولَ الشَّرِيعةِ تُفرِّقُ في جميع مواردها بين القادرِ، والعاجزِ، والمفرِّطِ، والمتعديِّ، والمتعديِّ، والتَّفريقُ بينهما أَصلُّ عظيمٌ معتمدٌّ، وهو الوسطُ الذي عليه الأُمَّة الوسطُ، وبه يظهرُ العدلُ بين القولين المتباينين) ( ' ' ).

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ۽ ج١٢، ص١٤١.

وقال، رحمه الله: (فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه؛ إمّا لعدم تمكنه من العلم؛ لم تمكنه من العلم؛ لم تمكنه من العلم؛ لم يكن مأمورًا بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقّه، وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل؛ بمنزلة صلاة المريض، والخائف والمستحاضة، وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة؛ فإنَّ صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه، وبه أمروا إذ ذاك، وإن كانت صلاة القادر على الإتمام أكمل وأفضل، كما قال النَّبِيُ عَلَيْ : « المؤمن القوي خَيْرٌ وأَحَبُ إلى اللهِ مِن المؤمن الضّعيف، وفي كُلٌ خَيْرٌ ) (١).

وقال – أيضًا – رحمه الله: (وكذلك الكفّارُ؛ مَن بلغَهُ دعوةُ النّبيّ في دار الكفر، وعلم أنّه رسول الله فآمن بما أنزل عليه، واتّعنى الله ما استطاع – كما فعل النجاشيُ وغيره – ولم تمكنه الهجرةُ إلى دار الإسلام ولا التزامُ جميع شرائع الإسلام؛ لكونه ممنوعًا من الهجرة، وممنوعًا من إظهار دينه، وليس عنده مَن يُعلّمُهُ جميع شرائع الإسلام؛ فهذا مؤمن من أهل الجنّة؛ كما كان مؤمن آل فرعونَ مع قوم فرعون، وكما كانت إمرأةُ فرعون؛ بل وكما كان يوسفُ الصّدُيقُ – عليه السّلام – مع أهل مصر؛ فإنّهم كانوا كفارًا، ولم يمكنه أن يفعل معهم كلٌ ما يعرفه من دين فإنسلام؛ فإنّه دعاهم إلى التّوحيد والإيمان فلم يُجيبوه . . وكذلك النجاشي وهو وإن كان ملك النّصاري فلم يطعه قومه في الدّخول في الإسلام؛ بل إنّما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هنالك أحد

<sup>(</sup>١) «مجموع الفتاوي » ج١١، ص٤٧٨ . والحديث رواه مسلم في (كتاب القدر) باب وفي الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله ».

يصلّي عليه؛ فصلّى عليه النّبِيُ عَلَيْهُ بالمدينة . . . فالنجاشي وأمثاله؛ سعداءُ في الجنّة، وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه؛ بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها)(١).

وقالَ - رحمهُ الله - في كلامِهِ على الآمديِّ والرَّازيِّ:

(لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرَّسُول عَلَيْةُ وحصل اضطراب في المعقول به؛ فحصل نقص في معرفة السَّمع والعقل، وإن كان هذا النقص هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته؛ فالعجز يكون عذرًا للإنسان في أنَّ الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التَّام. هذا على قول السَّلف والأَثمَّة في أنَّ مَن اتقىٰ الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحقّ لم يعذب به)(١).

وقالَ الإمام ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِنَّ مَا أُوجِبِهِ اللهُ تَعَالَىٰ ورَسُولِهِ عَلَيْهُ أَو جَعَلَهُ شَرِطًا للعبادة، أَو ركنًا فيها، أَو وقَفَ صحتها عليه؛ هو مقيَّد بحال القدرة؛ لأنَّها الحال التي يؤمرُ فيها به، أمَّا في حال العجز فغير مقدور ولا مأمور؛ فلا تتوقَّفُ صحة العبادة عليه)(٢).

<sup>(</sup>١) انظر: ومجموع الفتاوئ، ج١٩، ص٢١٧ -- ٢١٩.

<sup>(</sup>٢) انظر: ٥ مجموع الفتاوي، ج٥، ص٦٣٥.

<sup>(</sup>٣) انظر: ٥ تهذيب سنن أبي داود ٥ ج١، ص٤٧.

## ثانيًا - الْجَهْلُ (\*):

الجهلُ داءٌ عظيمٌ، وشرٌ مستطيرٌ! بل هو أساسُ الشَّرُ ووعائه، وما من صفة تزري بالإنسانِ إلى الحطيط كصفة الجهلِ؛ فالجهلُ عدو ابن آدم، والجاهلُ يفعل في نفسهِ ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، وهو عدو نفسهِ فكيفَ بكونُ صديقَ غيره، وصدقَ القائلُ: لا فقرَ! أعظم من الجهلِ (١).

<sup>(</sup>١) قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (وجماعُ الشَّرِ الجهلُ والظُّلْمُ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولا ﴾ [الأحزاب: ٧٧] إلى آخرِ السُّورةِ، وذكر التوبة لعلمه - سبحانه وتعالىٰ - أنَّهُ لا بُدَّ لكلٌ إنسان من أن يكون فيه جهلٌ وظلمٌ، ثمَّ يتوب الله علىٰ مَن يشاء؛ فلا يزال العبد المؤمن دائمًا يتبين له من الحقَّ ما كان جاهلاً به، ويرجع عن عمل كان ظالمًا فيه ) ومجموع الفتاويٰ ، ج٣، ص٣٤٨.

<sup>(\*)</sup> و الجهل في اللّغة: (ضد العلم، أو نقيض العلم، والتجهيل: أن تنسب الشخص إلى الجهل، والجهل في اللّغة: (ضد العلم، أو نقيض العلم، والجهلة: ما يحملك على الجهل، والجاهلية: هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله تعالى وبدينه الحنيف، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر، وغير ذلك من الأعمال والأفعال السيئة) انظر: «لسان العرب» ج١١، ص ١٢٩ و«مختار الصحاح» ص٥٥.

الجهل في الاصطلاح: خلو النفس من العلم، أو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه؛ فإذا كان العلم هو حضور صورة الشيء في الذهن؛ فالجهل هو عدم حضور صورة الشيء في الذهن. وهو ثلاثة أقسام: جهل بسيط، وجهل كامل، وجهل مركب.

الجهل البسيط: هو عدم العلم بما من شانه أن يكون عالمًا. أي: هو فهم مسألة ما؛
 بدون إحاطة كاملة، أو أن يجهل الشيء وهو عالم بجهله.

الجهل الكامل: وهو خلاف العلم بالمسألة. أي: إن صاحبها لا يعلم من المسألة شيئًا.

الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، وفهم الأمر خلاف ماهو عليه، أي: أن يجهل الشيء وهو لا يعلم بجهله؛ فهو إذًا غافل عن جهله ولا يدري بأنّه جاهل؛ فيرى نفسه عالماً به، فيتركب جهله من جهلين: جهل بالواقع، وجهل بهذا الجهل، فهذا الجهل من أسوء أنواع الجهل، ليس هو إلا ظلمات بعضها فوق بعض انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: ص٠٠٠ . و«التعريفات» للجرجاني: ص٠٠٠

والجهلُ صفةٌ مذمومةٌ قبيحةٌ! يجبُ على المرءِ أن يبذلَ ما بوسعه لرفعه عن نفسه؛ لأن الجهلَ سببُ المعاصي بأنواعها، والحرِّضُ عليها، والدَّافعُ إليها، وسببٌ في خسرانِ الدُّنيا والآخرة.

والجِهلُ! لا يزولُ إِلاَّ بالعلمِ الناقَعِ، والعلمُ: هو معرِفَةُ المعلُومِ علىٰ ما هو بهِ في الواقعِ، والجهلُ ضدَّ العلم؛ لأنَّ الجهلَ هو تصوَّرُ الشَّيْءِ علىٰ خلافِ ما هو بهِ في الواقع.

ودواءُ الجهلِ السّعيُ الجادُّ في السُّوَّالِ والتَّعلُّمِ، وخصوصًا في أُمور الدِّين؛ الَّتي لا يستقيمُ حالُ المرءِ إلاَّ بإقامتها، والمعروفُ أنَّ الإنسانَ الذي يعلم أنَّهُ لا يعلمُ الشَّيْءُ؛ قد اكتسب نصفَ العلم، وهو العلمُ بجهله! وبقي النصفُ الآخرِ، وهو العلمُ بالشَّيْءِ الجهولِ، وسوفَ يصلُ إلىٰ العلمِ الثَّاني من خلالِ طلب العلم النافع، أو حُسن الإستفسارِ، أو السُّوَالِ.

قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ ، (١).

وأعظمُ الجهلِ أن يجهلَ العبدُ المسلمِ علومَ دينهِ العظيم؛ التي لا يصحُ إسلامه إلا بها، ولا يعذرُ بجهلها؛ بل يعاقبُ عليها في الآخرة؛ لأنَّهُ فرَّط في أمرِ دينه الذي هو عصمة أمره. والجهلُ في الدِّينِ؛ ينقسمُ إلىٰ قسمينِ:

- جهلُ بالحكم الشَّرعيِّ: أي: لا يعلم العبدُ أحكامُ الشَّريعةِ.
- جهلُ بالحال: أي: لا يعلمُ العبدُ حكمَ الشُّرع في المسألةِ المعينة.

فعلى الإنسانِ العاقلِ! إِذا سُئِلَ عن مسألةٍ، وهو لا يعرفه؛ فيقول: لا أعلم! فهذا الجهل يُسمَّىٰ جهلٌ بسيطٌ؛ لأنَّهُ لا إدراك للذَّهن فيه، بل

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الطهارة) باب وفي المجروح يتيمم، وحسُّنه الألباني.

الذِّهن خال، ولكن قد يتحول هذا الجهل جهلاً مركبًا؛ إذا سُئِلَ عن شيءٍ هو لا يعلمه، فيقول فيه بغير علم؛ فهذا يقال عنه إِنَّهُ جهلٌ مركب .

ولهذا ينبغي على المسلم! أن لا يُقحِمَ نفسهُ في شيءٍ يكون بسببه جاهلاً جهلاً مركبًا، وذلك إِذَا سُئل عن شيءٍ؛ فإِنْ كانَ يعلمه أجاب بما يعلم، وإِن كان لا يعلم؛ فإيَّاهُ أن يتساهلَ، ويجيبَ – ولو كان في غير العلوم الشَّرعيَّةِ – لأَنَّ من تساهل بهذا الأَمرُ لم يوثق به؛ بل ربَّما نُسب بسببه إلىٰ عدم الأَمانةِ، أو إلى الكذبِ واختلاقِ الأَشياء، وإِن كان في أمر شرعيًّ؛ فإنَّهُ محرَّمٌ! لأَنَّهُ لا يجوز للعبدِ أَن يُفتي في دينِ اللهِ بغيرِ علم ولا هدىٰ؛ فالأَمرُ في هذا الباب يحتاجُ إلىٰ تقوىٰ اللهِ تعالىٰ، إِن كان يعلم فليخبر، وإن كان لا يعلم، فيقول: الله أَعلم، وبه قد أصاب فقه التَّقوىٰ.

لأَنَّ الْإِسلامَ دينُ العلم، وقد بدأت رسالته، بقولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ اقْرأُ بِاسْم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « طَلَبُ الْعِلْمِ ؛ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ » (٢٠).

ومن صور الجهلِ في الواقع:

الجهلُ البسيطِ: هو الجهل بعلمِ من العلومِ، وهذا لا يُعتبرُ جرحًا،
 وليس على العبد – وخصوصًا في هذا العصر – أَن يتقنَ كل العلومِ، وإنَّما
 أن يتقنَ علمًا اتقانًا تامًا، ثمَّ يطلعُ ببعضِ المعلوماتِ عن باقي العلوم.

<sup>(</sup>١) سورة العلق، الآية:١.

<sup>(</sup>٢) رواه ابن ماجة في (كتاب المقدمة) باب «فضل العلماء والحث على طلب العلم» وصحَّحه الألباني.

الجهلُ المركب: أعظمها هو الجهل باللهِ تعالىٰ الذي خلق الإنسان ورزقه، وهذا الجهلِ يُعتبر مرادفًا للكفر، ومن أجله أرسل اللهُ تعالىٰ رسوله ليعلموا النّاسَ بربّهم – سبحانه – بأنّهُ واحدٌ ليسَ له شريكٌ ولا ولد.

ثمَّ بتبعهُ الجهلُ بالدِّينِ: وهذا الجهلُ من أبسع صورِ الجهلِ علىٰ الإطلاقِ؛ لأنَّهُ معصيةٌ للهِ تعالىٰ؛ فكلُ ابن آدم يكون إسلامه وإيمانه بقدر علمه وعمله؛ فإذا كان عالمًا عارفًا بدينه، عاملاً بأحكامه؛ فنصيبه بقدر علمه وعمله، وإن جهل فنصيبه من الإسلام هو الاسم منه فقط.

والقاعدة الشَّرعيَّة دلَّت على أَنَّ كلَّ جهل يمكن المكلف دفعه، لا يكون حجة للجاهل؛ فإنَّ الله تعالى قد بعث رُسُلَة – صلوات الله وسلامه عليهم – إلى خلقه برسالاته، وأوجب عليهم كافة أن يعلموها، ثمَّ يعملوا بها؛ فالعلمُ والعملُ واجبان شرعيان أساسيان في حياة العبد.

وقد ذمَّ الله - عزَّ وجلَّ - الجهلَ والجاهلين في كتابه الكريم، فقالَ تعالىٰ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأَمُر ْ بِالْعُر ْ فِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (٢٠).

وقد تعوذَ النَّبِيُّ عَلِينًا مِن الجهل؛ فكان من أدعيته عَلِينًا :

« اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ أَجْهَلَ عَلَى ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩. ﴿ ٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

<sup>(</sup>٣) رواه ابن ماجة (كتاب الدعاء) بأب ١ ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، وصحَّحه الألباني.

وقالَ الإمامُ التَّابِعيُّ مسروق بن الأَجدع، رحمهُ اللهُ: (كَفَىٰ بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَىٰ الله، وكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهَ)(١).

والجهلُ ابتداءً! أمرٌ أصليٌّ في ابن آدم؛ ينبغي للمسلم رفعه عن نفسهِ ما استطاع ذلك، ومَن أمكنه التعلمِ، ولم يتعلم أثم، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٢٠. وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذَّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٣٠.

فالعذرُ بالجهلِ مسألةٌ من المسائلِ التي خاض فيها كثيرٌ من النَّاسِ من غير علم، وكما علمنا - ثمَّا سبق - أنَّ منهج أهلِ السُّنَة والجماعة؛ وسطّ في كلّ مسائل الدّين وأمورها؛ بين الغالي والجافي، والمفرط والمفرّط، وكذلك هو وسطّ في مسألةِ العذرُ بالجهلِ:

• فهناك من يجعل الجهل عذرًا بإطلاق في جميع المسائل، وفي جميع الأحوال! من دون اعتبار للضوابط التي وضعها أثمّة أهل السنّة والجماعة؛ من أن ينظر إلى حال الجاهل، وسبب جهله، والمسألة التي جهل فيها؛ فعذروا من لا يصحّ عذره، وأدخلوا في دائرة الإسلام من لا يصحّ إدخاله؛ من المشركين والمرتدين ومن تبعهم؛ بادعاء أنّهم جهلة، مع كونهم يعيشون في بلاد الإسلام والمسلمين، ويسمعون كلام الله تعالى، وكلام رسوله عَلَيْه ، وكلام العلماء والدُّعاة، وقد قامت عليهم الحجّة بذلك؛ لكنهم آثروا الاستمرار على ما هم عليه؛ فهؤلاء لا عُذْرَ لهم.

<sup>(</sup>١) أخرجه الدَّارميُّ في «سُنَّنه» باب «في اجتنابِ الأَهواء». (٢) سورة النحل، الآية: ٧٨. (٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

- وهناك من يمنعه بإطلاق، وفي جميع الأحوال، وفي جميع المسائل! أي: يقولون بالتَّكفير بالعموم من غير استثناء عالم، أو جاهل لمن وقع في الشِّركِ أو الكفر؛ إذ لايمكن أن يكون مسلمًا مع شركة؛ سواء سواء كان هناك من يقيم الحجَّة عليه، أم لا! إذ القرآن حجَّةٌ بذاته؛ فأدَّىٰ بهؤلاء إلىٰ تكفير بعض المسلمين، وإخراجهم من دائرة الإسلام – مع أنَّه يشمُلُهُم العذرُ بالجهل – دون الاعتبار للضوابط والموانع التي قد تمنع من تكفيرهم.
- والحقّ وسطّ بينهما، هو طريقة أهل السّنّة والجماعة؛ التّفصيل في المسألة، والحكم على المعاني دون المباني؛ بضوابطه الشَّرعيَّة المحكَّمة إلاَنَ الجهل بأمور الدّين ومسائل الشَّرع؛ يدلُّ على انخفاض مَنْزِلة الجاهل، ونقص إيمانه على قدر جهله، والجهلُ في الجملة أحد موانع تكفير المعيَّن؛ لأنَّ الإيمان يتعلَّق بالعلم، ووجود العلم بالمؤمن به؛ شرطٌ من شروط الإيمان، إذ لا يقوم التَّكليف مع الجهل، أو عدم العلم، غير أنَّ العذر بالجهل مؤقّت، وتوقيته متوقَّف على عدم توقُّر الأسباب وتحقُّق الشُروط، أو بالجهل مؤقّت، وجودها وتحقُّقها تقديرًا، ومنه يعلم أنَّ إِثبات العذر مُطلقًا لا يصع ما أنَّ العذر مُطلقًا لا يصع أيضًا

والجهل - عند أهل السُنَّة والجماعة - نوعان: جهل يعذر فيه صاحبه، وجهل لا يعذر فيه؛ سواء كان ذلك في أصول الدين وفروعه، أو في الكفر والمعاصي؛ لأنَّ من شروط الإيمان وجود العلم والمعرفة عند الشَّخص المؤمن به؛ لأنَّه لا تكليف إلاَّ بشرع، ولا عقاب إلاَّ بعد إنذار، والجهل أمرٌ أصلي عند ابن آدم؛ يجب رفعه - حسب الاستطاعة - والأمَّة مكلفة بتعليم الجاهل، وخصوصًا ما يتعلَق بأمور الاعتقاد؛ لذا فمَن أنكر أمرًا من أمور

الشَّرع جاهلاً به، ولم يَبلُغه ما يوجب العلم بما جهله؛ فإِنَّه لا يُكَفَّر؛ حتى لو وقع في مظهر من مظاهر الشَّركِ، أو الكُفر؛ لأسباب منها:

- أنَّه من الممكن أن يكون حديث العهد بالإسلام، أو أنَّه لم يكن يعلم بهذا المكفر قبل إسلامه، أو أنَّه نشأ ببادية بعيدة عن ديار العلم وأهله، ولم يصله البلاغ.
  - أو أنَّه يعيش بدار الحرب؛ لأسباب مشروعة.
- أو يعيش في بلد اندرست فيه آثار رسالة الإسلام والتّوحيد، وفشا فيه الجهل بشكل واضح، وانقلبَتْ فيه موازين الشّرع؛ فصار الشّرك فيه توحيدًا، والبدعة فيه سئنّة، وكثر فيه الانحراف، وزُيِّنَ فيه الباطل والكُفر، ولُبِّسَ عليهم من قبل عُلمائهم، ولا يوجَدُ سواهم ثمّن يُعلمُونَ الإسلام الحقّ؛ فلا يعرف الدين إلاّ من خلالهم (\*).
- أو أنَّه وقع في المكفّر وهو غيرُ قاصدٍ له؛ كأن وقع عن طريق الخطأِ،
   أو النسيان، أو وقع عن طريق اجتهاد سائغ.
- أو أَنَّ هذا المكفِّرَ ليس من المسائل الظاهرة المجمع عليها، والتي لا يعذرُ فيها المرءُ بجهلها؛ بل هي من المسائل الخفيَّة التي لا يطَّلع عليها إلاَّ العلماء، وتحتاج إلى إيضاح وبيان.

<sup>(\*)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وهؤلاء الأجناس! وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان؛ فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوّة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أوقات الفترات، وأماكن الفترات؛ يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه، ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه) ومجموع الفتاوى، حمر، ص ١٦٥.

فمثلُ هذا الشَّخصِ! إذا وقعَ منهُ الكفرُ؛ لا يُكفَّر، ولا يَستحِقُ العقوبةَ حتىٰ تُقامَ عليه الحُجَّة النبويَّة؛ لأنَّ الجهلَ ببعض الأُمور العقديَّة؛ قد وقعَ في عهدِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ من غير قصد مع بعض حُدثاءِ العهدِ بالإسلام من الصَّحابة - رضي اللهُ عنهم - ومع ذلك لم يكفَّرهم عَلَيْهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(١)(\*).

وقال الإمامُ البغوي – رحمهُ الله – في هذه الآية: (وذلك أنَّ الله تعالىٰ أجرىٰ السُنَّة أن لا يأخذ أحدًا إلا بعد وجود الذُنب، وإنما يكون مذنبًا إذا أمر فلم يأتمر، أو نهي فلم ينته، وذلك بعد إنذار الرسل . . وفيه دليل على أنَّ الله تعالىٰ لا يعذبُ الحلق قبل بعثة الرُّسُول) . وقال العلامةُ الشنقيطي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (والآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأنَّ الله تعالىٰ لا يعذب أحدًا حتىٰ يقيم عليه الحجّة بإنذار الرُسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة، وما ركز في الفطرة؛ فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعذَبِينَ حَتَىٰ نَبْعَث رسولاً ، ولم يقل حتىٰ نخلق معقولاً ، ونصب أدلة ، ونم كن فطرة ).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يُعذب آحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرُّسُول إليه؛ كقوله تعالى: ﴿ كُلُّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿ فَكَ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزُلَ اللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إلا فِي صَلال كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨ – ٩] وكذا قوله: ﴿ وَسِيقَ اللَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنّم زُمُرًا حَتَى إِذَا جَاءُوهَا لَحِيتَ أَبُوابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مَنكُمْ يَتَلُونَ عَلَيكُمْ آيَاتِ رَبِكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَتْ كَلِمَةُ اللَّهَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبّنَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبّنَا أَخُرِجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرِ اللَّذِي كُنّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعْمِرِكُم مَّا يَتَذَكُرُ فِيهِ مَن تَذَكّرَ وَجَاءَكُمُ النَّا لِمَا لِعَالِمِينَ مِن نُصِيرٍ ﴾ [ فاطر: ٣٠] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نُصِيرٍ ﴾ [ فاطر: ٣٠] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنَ الله تعالى لا يُدخل أحدًا النّار؛ إلا بعد إرسال الرسول إليه ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل وَكَانَ اللهُ عَزيزًا حَكِيمًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (٢٠). وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لاَ يُكَلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١)(\*).

وَعَنْ أَبِي وَاقِدْ اللَّيْشِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ عَلْمُ إِلَىٰ حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْد بِكُفر - وَكَانُوا أَسْلَمُوا يَومَ الفَتْع - قَالَ: فَمَرِرَنَا بِشَجَرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْواط كَمَا لَهُمْ قَالَ: فَمَرَرَنَا بِشَجَرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنُواط كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنُواط، وَكَانَ للكُفَّارِ سدرة يَعْكِفُونَ حَولَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ذَاتُ أَنُواط؛ فَلمَا قُلْنَا ذَلِكَ للنَّبِئَ عَلَيْكُ قَالَ:

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٦٥. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٣) سورة التغابن، الآية: ١٦. ﴿ ٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أى: لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطف تعالى بخلقه، ورافته بهم، وإحسانه إليهم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّه، رحمة الله: (من النّاسِ مَن يكون جاهلاً ببعض هذه الاَحكام جهلاً يُعذر به؛ فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِعَلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ الله حُجةً بَعْدَ الرّسُلِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ولهذا لو أسلم رجل، ولم الرّسُل ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنّا مُعدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ولهذا لو أسلم رجل، ولم يعلم أنّ الصّلاة واجبة عليه، أو لم يعلم أنّ الخمر يحرم، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا؛ بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية . . . والصحيح الذي تدلّ عليه الأدلة الشرّعية؛ أنّ الخطاب لا يثبت في حقّ أحد قبل التمكن من سماعه . ) انظر: «مجموع الفتاویٰ» ج ١١ ، ص ٢٠ ٤ .

« اللهُ أَكْبَر! وَقُلْتُم وَالَّذِي نَفْسِي بيده؛ كمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَاثِيلَ لُوسَىٰ: اجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قالَ: إِنَّكُمْ قُومٌ تَجْهَلُونَ؛ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ (()(\*).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ رَجُلاً أَهْدَىٰ لِرَسُولِ اللهِ عَلَيْ رَاوِيَة خَصْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْ : « هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَلْ حَرَّمَهَا؟ » قَالَ: لاَ! فَسَارً إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْ : « بِمَ سَارَرْتَهُ »

<sup>(</sup>١) رواه ابن أبي عاصم في (كتاب السُنَّة) باب وفيما أخبر به النبي عَظِّهُ أَنَّ أُمنه ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، برقم: (٧٦) والترمذي في (كتاب الفتن) باب و ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، والإمام أحمد في المسند: ج٥، ص٢١٨. وحسنه الآلباني.

<sup>( \* )</sup> قالَ الشيخُ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله تعالى :

<sup>(</sup>قوله: «ونحن حُدثاء عهد بكفر » أي: قريبو عهد بالكفر؛ ففيه دليل أنَّ غيرهم لا يجهل هذا، وأنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف) «تيسير العزيز»: ص ١٧٥.

وقالَ الشيخُ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في تعليقه على كتاب و فتح الجيد ، ص ١٤١: (ليست ما طلبوه من الشرك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي عَلَيُّ نظير قول بني إسرائيل: ﴿ اجْعَلَ لَنَا إِلَهًا ﴾ وأقسم على ذلك؛ بل هو من الشرك الأكبر، كما أنَّ ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر، وإنَّما لم يكفروا بطلبهم؛ الأنَّهم حدثاء عهد بالإسلام، ولأنَّهم لم يفعلوا ما طلبوه، ولم يقدموا عليه؛ بل سألوا النبي عَلَيُّ فتأمل!! ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّه، رحمهُ اللهُ: (فأنكر النبيُ عَلَى مجرَّدَ مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلّقين عليها سلاحهم؛ فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟ فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستجب الشريعة ذلك؛ فهو من المنكرات، وبعضه أشدُّ من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء، أو قناة جارية أو جبلاً أو مفارة، وسواء قصدها ليُصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله – سبحانه – عندها، أو ليتنسلك عندها، بعيث يخصُ تلك البقعة به لا عينًا بعيث يخصُ تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا) واقتضاء الصراط المستقيم ،: ج٢، ص١٥٧ – ١٥٨.

فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: « إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا ؛ حَرَّمَ بَيْعَهَا » قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَ حَتَّىٰ ذَهَبَ مَا فِيهَا (١)(\*).

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ من رحمتهم للخلقِ في مسألةِ العذر بالجهل (\*\*):

أنَّهم يفرقونَ في الحكمِ على المسلمينَ! بينَ أحكام الدُّنيا والآخرةِ، ويُراعونَ اختلافَ أحوالِ النَّاس ومُلابساتهم، وأماكنهم وأزمنتهم؛ من بلدٍ إلىٰ آخر، ومن زمن إلىٰ آخر، وذلك في المسائلِ المجهولةِ؛ من جهة الوضُّوحِ والحفاءِ، والنَّظرُ في تفاوتِ مداركهم؛ من جهة القوَّة والضُّعف، ومن حيث انتشار العلم الصَّحيح النَّافع وأدواته ودعاته، وتُعرف أماكنُه بنشاط أهل العلم بالدَّعوة إلىٰ اللهِ تعالىٰ، والنهوض بالعلم؛ بحيث لا تخفىٰ مظانَّه ومدارسه وأهله، أي: بينَ مجتمع ينتشر فيه العلم والتعليم، وبين زمن فتور

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب المساقاة) باب ٥ تحريم بيع الخمر٥.

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن عبد البر، رحمه الله: (وفي هذا الحديث - أيضًا - دليلٌ على أنَّ الإثم مرفوعٌ عمَّن لم يعلم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذَبِينَ حتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ومَن أمكنهُ التَّعلُم، ولم يتعلَم؛ أثِمَ ! والله أعلم): «التمهيد» ج٤، ص٥٤١.

<sup>(\*\*)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيميّه، رحمهُ الله: (وكثيرٌ من النّاس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات؛ حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيرًا مما بعث الله به رسوله، ولا يكونه هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأثمة على أنّه من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام؛ فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة؛ فإنّهُ لا يحكم بكفره، حتى يعرف ما جاء به الرّسُول) انظر: «مجموع الفتاوى» ج ١١، ص ٢٠٠٠.

وقالَ، رحمهُ اللهُ: ( فَإِنَّهُ وإِن كَانَ القولَ تَكذيبًا لمَا قاله الرَّسُولُ عَلَيْكُ لَكَنَ الرجل [ القائل] قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده [ من الدين] حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل [ القائل أو الجاحد] لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تاويلها، وإن كان مخطعًا) ومجموع الفتاوي، ج٢، ص٢٣١.

العلم وضعف القائمين به! حتَّىٰ لا يبقىٰ من يبلِّغ العلم النَّافع؛ فينتشر الجهل ويضمحلُّ العلم الصَّحيحُ، ثمَّ يتبعها انتشارُ ما يخلفه! من العلوم الباطلة والدَّخيلة؛ ولذا! لا يشتركونهم جميعًا في معرفة الأُمورِ الضَّرورية من مسائلِ الدِّين علىٰ درجة واحدة؛ بل قد يعرفُ البعضُ أُمورًا، لا يعرفها الآخرون بهذه الصيغة، أو قد تكون بعض المسائل العقديَّة من المسلَّماتِ عند البعض، مع أنَّ غيرَهم يجهلها تمامًا، أو يعلمُ عِلَمَ الذي يخالفها؛ إنَّها من المسلماتِ الصَّحيحة، ومنطلق! موقفُ أهل السَّنَّة والجماعة في هذه المسائلة الدقيقة؛ هو من مشكاة فقه قولُ النَّبِيُّ عَلَيْكُ: ﴿ وَلاَ أَحَدَ أَحَبُ الْمُبَسُّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ ﴾ (١)(\*).

ومع هذا! فلا يعني أنَّ الجهل - عند أهلِ السُنَّة والجماعة - عذرٌ مقبولٌ لكلٌ مَن ادَّعاه! فالجهلُ عندهم درجاتٌ مختلفةٌ: فجهلُ ما هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورةِ من الأُمور الظَّاهرة؛ غير جهل ما دونه من الأُمور الخَفيَّة؛ التي لا يعرفها إلاَّ الخاصَةُ! إذًا:

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب وقول النبي عَلَيُّ لا شخص أغير من الله».

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمة الشنقطي، رحمه الله: (ومن ذلك أنَّهُ تعالى صرح بأنَّ جميع أهل النَّارِ قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرَّسُل، ولم يكتف في ذلك بنصب الآدلة، كقوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَرَنتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءِنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَرُلَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَقَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ رُسُلً حَتَّىٰ إِذَا اللّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ الّذِينَ كَقَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ رُسُلً مِنْكُمْ يَتَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبُّكُمْ وَسُلُّ مِنْكُمْ يَتَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبُّكُمْ وَلِكُمْ وَيُعْلَى الْكَافِرِينَ هُو وَيُعْلَى الْكَافِرِينَ هُو وَلَيْلُونَ مُلْكُمْ وَلِكُونَ الْمُوسِلُ الْفَرَقِ اللّهُ عَلَى الْمُعْلَقُونَ الْمُعْمَا فَوْجٌ ﴾ صيفة عموم، وأنَّ لفظة ﴿ الذينَ ﴾ في قوله: ﴿ كُلُمّا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ صيفة عموم، وأنَّ لفظة ﴿ الذينَ ﴾ في قوله: ﴿ وَسِيقَ الّذِينَ كَفَرُوا ﴾ صيفة عموم أيضًا؛ لأنَّ الموصول يعم كل ما تشمله صلته ) انظر: ﴿ أَضُواء البيانُ ﴾ ج٢، ص٣٦٦ ـ ٣٣٨ .

المنسائل الظّاهرة البيّنة الجلّية، أو المعلومة من الدّين بالضّرورة المعلومة بن الدّين من التّوحيد، والشّرك، والإيمان، والمحرّمات القطعيّة، وما أجمع عليه أهلُ العلم من الفرائض والواجبات والمعلومات التي أوضحها الله تعالى في كتابه العزيز، وبلّغها رَسُولُهُ الأمين عَظَا أتم البلاغ، ثمّ بينها أهل العلم بمرّ العصور؛ فأصبحت من شعار دين الإسلام؛ فالعذرُ بالجهل في هذه المسألة؛ غير مقبول لكلّ من ادعاه بعد بلوغ الحجّة، وظهور المحجّة (\*).

( \* ) أقوالُ أهل العلم في المسائل الظُّاهرة، وما يندرج تحتها:

<sup>•</sup> قال الإمام أبو حنيفة النعمان، رحمه الله: (لا عذر لأحد في جهله معرفة خالقه؛ لأنّ الواجب على جميع الخلق معرفة الرّب - سبحانه وتعالى - وتوحيده، لما ترى من خلق السّموات والأرض وخلق نفسه وسائر ما خلق الله؛ فأمّا الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه؛ فإنّ هذا لم تقم عليه حجة حكيمة) ه بدائع الصنائع، للكاساني؛ ج٩، ص٤٣٧٨.

<sup>•</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وعبادة الله وحده؛ هي أصلُ الدِّين، وهو التَّوحيد الذي بعث الله به الرُّسُل، وأنزل به الكُتب، فقال تعالىٰ: ﴿ وَاسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن التَّوَعِيد الذي بعث الله به الرُّسُل، وأنزل به الكُتب، فقال تعالىٰ: ﴿ وَاسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَوْنِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٣٩٧.

و قال العلامة جلال الدين السيوطي، رحمه الله: (كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب النّاس؛ لم يقبل إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء، ويخفى فيها مثل ذلك: كتحريم الزّنا، والقتل، والسرقة، والخمر، والكلام في الصّلاة، والأكل في الصّوم، وقتل من شهد على غيره بارتكاب جريمة القتل فقُتِل؛ فإذا رجع الشّاهد عن شهادته، وقال مع الشّاهد الآخر: تعمدنا الكذب، ولم نعلم أنّه يُقتل بشهادتنا؛ لأنّ ذلك لا يخفى على عوام النّاس) والأشباه والنظائر، اباب (من يُقبل منه دعوى الجهل ومن لا يقبل) ص٢٠٠٠.

<sup>•</sup> قبال الإسام ابن رجب الحنبيلي، وحمه الله: (إذا زنا مَن نسساً في دار الإسلام بين المسلمين، وادَّعي الجهل بتحريم الزّنا؛ لم يُقبل قوله؛ لأنّ ظاهر الحال يكذبه، وإن كان الأصل عدم علمه بذلك) والقواعد في مذهب الإمام آحمد و ص٣٢٣.

• الجهلُ في المسائلِ الخفيَّةِ التي لا يعلمها إلاَّ العلماءُ وطلبةُ العلم، ولا يعلمها عوام المسلمينَ (\*)، ويخفى فهمُ دليلها عليهم ولا يعلمها إلاَّ بعد التَّعلُم؛ كالمسائلِ العقديةِ الدَّقيقةِ المختلف فيها، أو كالمسائلِ التي لا يسع معرفتها المسلمُ إلاَّ بعد إعلامه بحكم الله تعالىٰ فيها، أو المسائلِ التي تحتاجُ إلىٰ علم بها لا يُدرك بالعقل المجرد؛ كمسائلُ الاَسماءِ والصَّفاتِ بتفاصيلها، أو روَّيةُ اللهِ تعالىٰ في الآخرة، أو المسائل التي يقع فيها المسلمُ خطاً لشبهةٍ وسوء فهم، أو يعتمد على أحاديث ظنَّها ثابتة وهي ضعيفة أو باطلة، أو معرفة معتقدات الفِرَقِ التي تُخالف اعتقادَ أهل السُنَّة والجماعة ومقالاتهم معرفة معتقدات الفِرَقِ التي تُخالف اعتقادَ أهل السُنَّة والجماعة ومقالاتهم التي تُخالفُ النَّسوصَ الشَّرعيَّة، أو معرفة مسائل الفروع التي هي غير التي أسلمين، وغيرها من المسائل المشابهة (\*\*).

<sup>( \* )</sup> قالَ الإمامُ الشَّافِعيُّ، رحمهُ اللهُ: (العلمُ علمانِ: علمُ عامَّة لا يسعُ بالغًا غيرَ مغلوب على عقلِه عقلِه جهلُه؛ مثلُ الصَّلواتِ الحُمسِ، وأَنَّ للهِ على النَّاسِ صومَ شهرِ رمضانَ، وحجَّ البيتِ إذا استطاعوه، وزكاةَ أموالهم، وأنَّهُ حرَّمَ عليهم الزّنا والقتلُ والسَّرقةَ والحَمرَ، وما كان في معنى هذا، ثمَّا كُلُفَ العبادُ أَن يَعقلوه و يَعلموه ويُعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يَكفُوا عنه ما حرَّم عليهم منه ) انظر: « الرَّسالة ، ص٣٥٧ – ٣٥٨.

<sup>( \*\* )</sup> قالَ الإمامُ محمّد بن عبد الوهاب، رحمهُ الله: ( لأنَّ الشَّخصَ المعيَّنِ إِذَا قالَ ما يوجب الكفرَ ؛ فإنَّهُ لا يُحكم عليه بكفره! حتَّىٰ تقوم عليه الحجّةُ التي بكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفيَّةِ التي قد يخفى دليلها على بعض النَّاس، وأمَّا ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يُعلم من الدِّينِ بالضَّرورة ؛ فهذا لا يتوقف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجّة، ووضوح الحجّة ) « الدُّرر السنّية » ج٨، ص٢٤٤٠.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمة الله: (لا يُكفِّرُ العلماءُ من استحلُّ شيئًا من الحرَّماتِ لقرب عهده بالإسلام ، أو لنشأته ببادية بعيدة ؛ فإنَّ حكم الكفر لا يكونُ إلاَ بعد بلوغ الرسالة ، وكثير من هؤلاءِ قد لا يكون قد بلغته النَّصوص الخالفة لما يراه ، ولا يعلم أنَّ الرسالة ، وكثير من قامت عليه الحجَّةُ التي يكفر تاركها ، دون غيره . والله أعلم! ) « مجموع الفتاوي » : ج ٢٨ ، ص ١ ، ٥ .

• والجاهلُ العاجزُ عن السؤالِ والعلم، أو عدمُ وجود مَن يُعَلِّمهُ ؛ غيرُ الجاهلِ المعامِ المفرِّطِ التَّارِكِ للواجب عليه، أو المعرض عن طلب العلم الشرعيِّ، أو المتكبِّر عنه، أو الغافل عنه والمنشغل بلهو الحديث، أو المقلِّد ما وجد عليه آبائه ؛ فهذا لا عذر له عند الله تعالىٰ (\*).

فمن العدل! ينبغي التَّفريقُ؛ بينَ الجاهلِ المتمكِّن من التعلُّم والفهم، القادر على معرفة الحقَّ إِن أَرادَ ذلكَ؛ لكنَّه مفرِّطٌ في طلب العلم، ثمَّ

<sup>(\*) •</sup> قال الإمام الشَّافعي، رحمه الله تعالى: (لو عُلْرَ الجاهل لاَ جل جهله؛ لكان الجهلُ خيرًا من العلم، إذ كان يحط عن العبد أعباء التَّكليف، ويريح قلبه من ضروب التَّعنيف؛ فلا حجة للعبد في جهله الحكم بعد التبليغ، والتَّمكين: ﴿ لِللَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]). «المنثور في القواعد» للزركشي؛ ج٢، ص١٧٠.

<sup>•</sup> قال الإمام القرافي المالكي، رحمه الله: (القاعدة الشرعيّة؛ دلّت على أنَّ كل جهل يمكن المكلف دفعه؛ لا يكون حجة للجاهل؛ فإنَّ الله تعالى بعث رسُله إلى خلقه برسائله، وأوجب عليهم كافَّة أن يعلموها، ثمَّ يعملوا بها؛ فالعلم والعمل بها واجبان؛ فمَن ترك التَّعلم والعمل، وبقي جاهلاً؛ فقد عصى معصيتين لتركه واجبين، وإن علم ولم يعمل؛ فقد عصى معصيتين لتركه واجبين، وإن علم ولم يعمل؛ فقد عصى معصية واحدة بترك العمل، ومَن علم وعمل؛ فقد نجا) «الفروق» ج٤، ص٢٦٤٠

<sup>•</sup> قال الإمام ابن اللحّام الحنبلي، رحمه الله: (إذا تقرَّر هذا؛ فهَهُنا مسائل تتعلق بجاهل الحكم، هل هو معذور أم لا؟ ترتبت على هذه القاعدة؛ فإذا قلنا: يُعذر، فإنَّما محله إذا لم يُقصر ويُفرِّط في تعلُّم الحكم، أمَّا إذا قصرً أو فرَّط؛ فلا يُعذر جزمًا). والقواعد والفوائد الأصولية » القاعدة: ٨٤ ص٨٧.

قال الشيخ العلامة ابن باز، رحمه الله: ( دعوى الجهل والعذر به؛ فيه تفصيل، وليس كل أحد يعذر بالجهل؛ فالأمور التي جاء بها الإسلام، وبينها الرَّسُول عَلَيْ للنَّاس، وأوضحها كتاب الله، وانتشرت بين المسلمين؛ فإنَّ دعوى الجهل لا تُقبل! ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة وأصل الدين! فإنَّ الله - عزَّ وجلَّ - بعث نبيَّه عَلَيْهُ ليوضح للنَّاس دينهم ويشرحه لهم، وقد بلغ البلاغ المبين، وأوضح للأمنة حقيقة دينها، وشرح لها كلّ شيء، وتركها على المججة البيضاء ليلها كنهارها، وفي كتاب الله الهدى والنور) وفتاوى وتنبهات » ص ٢٣٩٠. جمع أشرف عبد المقصود .

أعرضَ عن ذلك تاركًا ما أوجبهُ الله تعالى عليه من واجبات الدّينية، وخاصة إذا وُجد في دار المسلمين؛ حيث فيها العلوم السَّرعيَّة ومدارسها.

وبين الجاهلِ العاجزِ عن طلبِ العلم والفهم؛ عالةٌ على غيره!

فَأَمَّا الأَوَّلُ! لا عذرَ له لتقصيره؛ لأَنَّهُ انتفىٰ عنه وصف العجز؛ لتمكُّنه من العلم الذي هو شرطُ الإيمانِ؛ لأَنَّ الشَّرعَ الحكيم أمرَ بالعلم والتعلُّم وسؤالِ أهل العلم؛ فهذا تركه لا يتعلمه، ولا يسعىٰ لذلك.

فالذي وقع في مظهر شركيً ! ولم يعلم مناقضته للإسلام ؛ كأن يكون حديث عهد بالإسلام ، أو يعيش في بلد جهل ، أو نشأ في بادية نائية ، أو كانت المسألة خفية غير ظاهرة ؛ فإنّه يُفرّق بين قُبح المعصية ، وتسمية فاعلها بها ؛ سواء قبل قيام الحُجّة ، أو بعده .

وبين كون مرتكبها لا يستحقُّ العقوبة في الدَّارَين؛ لأنَّ العقوبة والعذاب متوقِّف على بلاغ الرسالة، فالمتلبِّس بالشَّرك؛ كالسَّاجد لغيرِ اللهِ تعالىٰ من وليُّ أو صاحب قبر؛ فهو مشركُ مع اللهِ غيرَه في العبادة، ولو نطق بالشَّهادتين وقت سجوده؛ لأنَّهُ أتىٰ ما ينقض قوله من سجود لغير اللهِ تعالىٰ؛ فمن حيث التسمية فهو مشرك بما حدث منه من معصية السُّجودِ لغيره تعالىٰ؛ فمن حيث التسمية فهو مشرك بما حدث منه من معصية السُّجودِ لغيره تعالىٰ! لكنه قد يُعذر بجهله من جهة إنزال العقوبة التي لا تتمُّ في الدَّارَين إلاَّ بعد البيان، وإقامة الحُجَّة للإعذار إليه (\*\*).

<sup>( \* )</sup> قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ، رحمهُ اللهُ: ( فاسمُ المشرك ثبت قبل الرسالةِ ؛ فإنَّه يُشرك بربه ويعدل به ، ويجعل معه آلهة أُخرى ، ويجعل له أندادًا قبل الرَّسُول ، ويشبتُ أنَّ هذه الأسماء مقدم عليها ، وكذلك اسم الجهل والجاهلية ، يقال : جاهلية وجاهلاً قبل مجىء الرَّسول ، وأمَّا التعذيب فلا ) «مجموع الفتاوى ، ج ، ٢ ، ص٣٨٠.

قالَ الحافظُ ابن رجب إلحنبليُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وفي الجملة! فما ترك الله ورَسُولُه عَلَيْ حلالاً إِلاَّ مبينًا، ولا حرامًا إِلاَّ مبينًا؛ لكن بعضه كان أظهر من بعض! فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدِّينِ بالضَّرورةِ من ذلك، لم يبق فيه شكِّ، ولا يعذرُ أَحدٌ فيه بجهله، في بلد يظهرُ فيها الإسلام)(١).

وقالَ الْإِمامُ أَبِي محمَّد بن قدامة المقدسيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ولا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها – أي الصّلاة – جاحدًا لوجوب؛ إذا كان ممّن لا يجهل مشله ذلك! فإنْ كان ممّن لا يعرف الوجوب؛ كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم؛ لم يحكم بكفره، وعرّف ذلك، وتثبت له أدلة وجوبها؛ فإن جحدها بعد ذلك كفر، وأمّا إذا كان الجاحد لها! ناشئًا في الأمصار بين أهل العلم؛ فإنّه يكفر بمجرد حجدها، وكذلك الحكم في مباني الإسلام كلّها، وهي الزّكاة والصّيام والحجّ؛ لأنّها مباني الإسلام وأدلة وجوبها لا تكاد تخفى، إذا كان الكتاب والسّنة مشحونين بأدلتها، والإجماع منعقد عليها) (٢)(\*).

<sup>(1) «</sup> جامع العلوم والحكم »: ص٨٢.

<sup>(</sup>٣) «المفني»: ج١٢، ص٢٧٥.

<sup>(\*)</sup> قالَ الإمامُ ابن جرير الطّبريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: (القولُ في المعاني التي تُدركُ حقائقُ المعلوماتِ من أمور الدّين، وما يسعُ الجهلُ به منه، وما لايسعُ ذلك فيه، وما يعذرُ بالخطأ فيه المجتهدُ والطّالبُ، وما لا يعذرُ في ذلك فيه: اعلموا – رحمكم الله – أنَّ كلَّ مَعلُومِ للخلق من أمرِ الدّين والدُّنيا أن تخرج من أحدِ معنيين: من أن يكونَ ؛ إمّا معلومًا لهم بإدراك حواسهم إيّاه. وإمّا معلومًا لهم بالاستدلال عليه بما أدركتُهُ حواسهم، ثمّ لن يعدو جميعُ أمور الدّين – الذي امتحن الله به عبادةُ معنيين أحدهُما: توحيدُ الله تعالىٰ وعدلُه. =

لأَنَّ الجهلَ عذرٌ مؤقَّتٌ - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - ومقيَّدٌ بعدم توقُرِ بعض شروطه؛ فإذا وُجدت هذه الشُّروط؛ فالجهلُ لا يكون عذرًا حينها؛ بل يصبح ذمَّا وحجة على صاحبه، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُهْتَدُونَ ﴾ (١٠. وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ

والآخر: شرائعة التي شرعها لحلقه من حلال وحرام وأقضية وأحكام. فأمّا توحيدة وعدلة؛ فمدركة حقيقة علم بعضها فمدركة حقيقة علميه استدلالاً بما أدركته المواس. وأمّا شرائعة فمدركة حقيقة علم بعضها حسنًا بالسّمع، وعلم بعضها استدلالاً بما أدركته حاسة السّمع. ثمّ القول فيما أدركت حقيقة علمه استدلالاً على وجهين: أحدهما: مَعذورٌ فيه بالخطا والمخطئ، ومأجورٌ فيه على الاجتهاد والفحص والطلب؛ كما قال رسول الله على :

و مَنْ اجْتَهَادَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان ، وَمَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ ، [رواه البخاري].

وذلك الخطا لما كانت الأدلة على الصّحيح من القول فيه مُختلفة غير مُوْتلفة، والأصول فيه اللالة عليه مُفترقة غير متفقة، وإن كان لا يخلو من دليل على الصّحيح من القول فيه ؛ فيميز بينه وبين السّقيم منه، غير أنّه يغمض بعضه غموضا يخفى على كثير من طُلابة ا ويلتبس على كثير من بغاته. والآخر منهما غير معذور بالخطا فيه مُكلف قد بلغ حد الأمر والنهي، ومُكثر بالجهل به الجاهل، وذلك ما كانت فيه الأدلة الدالة على صحّته متفقة غير مفترقة، ومؤتلفة غير مختلفة ، وهي مع ذلك ظاهرة للحواس ... فأمّا الذي لا يجوز الجهل به من دين الله لمن كان في قلبه من أهل التّكليف لوجود الآدلة متفقة في الدالالة عليه غير مختلفة ، ظاهرة للحس غير خفية ؛ فتوحيد الله تعالى ذكره ، والعلم بأسمائه وصفاته وعدله، وذلك أن كل من بلغ حد التّكليف من أهل الصّحة والسّلامة ؛ فلن يعدم دليلا وبرهانا واضحاً يدله على وحدانية ربه - جَلُّ ثناؤه - ويُوضح له حقيقة صحة ذلك ؛ وبرهانا واضحاً يدله على وحدانية ربه - جَلُّ ثناؤه - ويُوضح له حقيقة صحة ذلك ؛ ولذلك لم يعذر الله - جل ذكره - أحداً كان بالصفة التي وصفت بالجهل به وبأسمائه ، وألحقه إن مات على الجهل به بمنازل أهل العناد فه تعالى ذكره ، والخلاف عليه بعد العلم وألحقه إن مات على الجهل به بمنازل أهل العناد فه تعالى ذكره ، والخلاف عليه بعد العلم به ، وبربوبيته في أحكام الدُنيا ، وعذاب الآخرة ... ) انظر: والتبصير في معالم الدُين ه صربوبيته في أحكام الدُنيا ، وعذاب الآخرة ... ) انظر: والتبصير في معالم الدُين ه

<sup>(</sup>١) سورة الزخرف، الآية : ٢٢.

مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْشَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مَن مَّعِي وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْشَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) (\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) (\*\*\*).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)(\*\*\*).

- (\*) قال العلاَّمة الشُّوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية: (ثمَّ لما توجهت الحجة عليهم ذمهم بالجهل بمواضع الحق، فقال: ﴿ بَلُ ٱكْتُرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا إضراب من جهته سبحانه وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم بالبرهان إلى بيان أنَّهُ لا يؤثر فيهم إقامة البرهان الكونهم جاهلين للحق لا يُميزون بينه وبين الباطل: ﴿ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ تعليل لما قبله من كون أكثرهم لا يعلمون، أي: فهم لا جل هذا الجهل المستولي على أكثرهم، معرضون عن قبول الحق، مستمرون على الإعراض عن التوحيد، واتباع الرسول؛ فلا يتأملون حجة، ولا يتدبرون برهانًا، ولا يتفكرون في دليل ... وختم الآية بالأمر بعبادته، فقال: في فاعبُدُون ﴾ فقد اتضح لكم دليل العقل، ودليل النقل، وقامت عليكم حجة الله).
- (\*\*) قال العلاَّمة القاسمي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرت بقتائهم، أي: استامنك بعد انقضاء أشهر العهد؛ فأجبه إلى طلبه حتىٰ يسمع كلام الله، أي: القرآن الذي تقرؤه عليه، ويتدبره، ويطلع على حقيقة الآمر، وتقوم عليه حجة الله به؛ فإن أسلم ثبت له ما للمسلمين، وإن أبى فإنه يرد إلى مأمنه وداره التي يأمن فيها، ثمّ قاتله إن شئت، وقوله تعالىٰ ﴿ ذَلِك َ ﴾ يعني الآمر بالإجار وابلاغ المأمن بسبب أنّهم قوم لا يعلمون، أي: جهلة؛ فلا بُلاً من إعطائهم الآمن حتىٰ يسمعوا ويفهموا الحق ولا يبقىٰ لهم معذرة).
- ( \* \* \* ) قال العلاَّمة ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ( ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أَنَّ الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق والتدبير، ولا في العبادة؛ فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب وأسفه السفه ).

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤. (٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

وكونُ الرَّجلِ يُعذَرُ بالجهلِ - عند أهلِ السُّنَة والجماعة - لا يعني ذلك إبقاءَ منزلتِهِ كما هي؛ بل تنْحَطُّ منزلتُهُ، وتسقُطُ حرمتُهُ، وينقصُ إِيمانُه بقدرِ بُعْدِهِ عن الحقّ والسُّنَةِ، والصِّراطِ المستقيم، ويستحِقُّ بذلك العقوبة في الدَّارينِ.

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم. الآية: ٣.

<sup>(</sup>٢) سورة النحل، الآية: ١٠٧.

#### ثالثًا - الْخَطَأُ (\*):

إِنَّ الخطأ صفة ملازمة لابن آدم لا ينجو منه أحد كائنًا مَن كانَ إِلاَ مَن عصمه النَّا الله تعالى من عباده الأنبياء والمرسلين - عليهم الصَّلاة والسَّلام - ولو نجا من الخطأ أحد النجا منه الصَّحابة الكرام - رضي الله عنهم - الذينَ هم أفضلُ الخلق على الإطلاق بعد الأنبياء، قالَ النبي عَلَيْكَ :

« كُلُّ ابْن آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (١).

وقالَ عَلَى اللهُ بِكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْم يُذْنِبُونَ ! فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهُ ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »(٢).

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب صفة القيامة والرَّقائِق والورَّع» وحسنه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب التوبة ) باب « سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة » .

<sup>(\*)</sup> الخطأ في اللَّغة: (الخطأ ضدُّ الصواب. وأخطأ الطريق: عدل عنه. وأخطأ الرامي الغور: لم يصبه. والخطأ: ما لم يتعمد. والخطء: ما تعمد. والخطي: مَن آراد الصواب فصار إلى غيره. والخاطي: مَن تعمد ما لا ينبغي. وقيل: هو العدول عن الجهة، أي: أنَّ المرء يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع منه خلاف ما يريد، فيقال: أخطأ فهو مخطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل. والخلاصة: هو أنَّ المرء يريد ويقصد أمرًا؛ فيقع في غير ما يريد) انظر: «لسان العرب» ج١، ص٥٥ - ١٨. و«المفردات» ص٢٨٧ - ٢٨٨.

<sup>•</sup> الخطأ في الاصطلاح: (هو كلٌ ما يصدر عن المكلَّف من قول، أو فعل؛ خال عن إرادته، وغير مقترن بقصد منه) انظر: «عوارض الأهليَّة عند الأصوليِّين» د. حسين الجبوري؛ ص ٣٩٦ - ٣٩٦. قال الجرجاني: (هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطىء ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص، ولم يجد عذر في حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان، ووجب به الدية) «التعريفات»: ص ٩٩٠.

وقال شيخ الإسلام أبن تيمية، رحمه الله: (الصّحابة، والأَثْمةُ الأَربعة، وجمهور السّلف: يطلقون لفظ الخطأ على غير العمد؛ كما نطق بذلك القرآن والسّنّة في غير موضع) «مجموع الفتاوي» ج ٢٠ ، ص ٢٤ . وهنالك الألفاظ متقاربة في المعنى وذات الصلة بالخطأ، مثل: الغلط، النسيان، السهو، الغفلة، والذهول.

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ليسَ من شرطِ أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعضِ الأشياءِ خطا مغفورًا لهم؛ بل ليسَ من شرطهم ترك الصَّغائرِ مطلقًا! بل ليس من شرطهم ترك الكبائر، أو الكفر الذي تعقبه توبة)(١).

والخطأ هو ما يصدر من العبد بغير قصد؛ كسبق اللّسانِ الذي ينطق بالكفر، أو فعل المكفّر، وهو لا يقصده البتّة، أو لا يريده؛ بل كان يقصد شيئًا غيره، ولو علم أنّه كفر لم يفعله؛ فالعبرة في الخطأ كمانع من موانع التكفير؛ أنْ يقصد الكفر به، التكفير؛ أنْ يقصد الكفر به، وهذا المانع يبطلُ شرط العمد في الحكم على المعيّن؛ لأن الحكم مترتب على القصد. أي: أنّ من عمل عملاً ولم ينوه، أو يقصده لعارض؛ كالنوم، أو القصد. أي: أنّ من عمل عملاً ولم ينوه، أو يقصده لعارض؛ كالنوم، أو النسيان، أو الخطأ، أو الإكراه؛ فإنّ هذا العمل لا يترتب عليه من الآثار والأحكام؛ ما يترتب على من قصد العمل وأراده، قالَ النّبي على المنت المنت المنت على من قصد العمل وأراده، قالَ النّبي على المنت المنت

« إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتُكُوهُوا عَلَيْهِ ، ( \* )( \* ) .

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ٥ ج١١، ص٧٧.

 <sup>(</sup> ۲ ) رواه ابن ماجة في ( كتاب الطلاق) باب وطلاق المكره والناسي و وصحَّحه الألباني .

<sup>(\*)</sup> قال الإمام ابن رجب الحنبلي، رحمه الله: (الخطا: هو أن يقصد بفعله شيعًا؛ فيُصادف فعله غير ما قصده، مثل: أن يقصد قتل كافر؛ فيُصادف قتله مسلمًا. والنسيان: أن يكون ذاكرًا لشيء؛ فينساه عند الفعل، وكلاهما معفو عنه، بمعنى أنَّه لا إثم فيه، ولكن رفعُ الإثم لا يُنافي أن يترتَّب على نسيانه حكم. كما أنَّ مَن نسي الوضوء، وصلَّى ظانًا أنَّه منطهرٌ؛ فلا إثم عليه بذلك؛ ثم إن تبيَّن أنَّه كان قد صلَّى محدثًا؛ فإنَّ عليه الإعادة... والأَظهر - والله أَعلم - أنَّ الناسي والخطئ؛ إنَّما عني عنهما بمعنى رفع الإثم عنهما؛ لأَنْ الإثم مرتَّبٌ على المقاصد والنيَّات، والناسي والخطيء لا قصد لهما؛ فلا إثم عليهما، وأمًا =

فاتَّفقَ أَثمّةُ أَهلِ السُّنَةِ والجماعة؛ على أَنَّ الخطأَ غير المقصودِ من موانعِ التَّكفير في المسائلِ العلميَّةِ والعمليَّةِ؛ إذا كانَ الخطأُ اجتهادًا لطلبِ الحق، ومتابعة النبيِّ عَلَيْ ، وغير مقصود إلخالفة الشَّرع؛ فهو خطأٌ مغفورٌ ، ما لم تَقُم الْحُجَّةُ على صاحبِهِ ، وأَنَّ حكمهُ حكمُ الجاهلِ والمتأوّل؛ فلا يُكفَّر إلاَّ بعد قيام الحجّة عليه ، وإن كانَ مجتهدًا فيما يسوغُ فيه الاجتهادُ؛ فله أجرُ الاجتهادِ ، ولو أخطأ ! وأمَّا إن لم يكن مجتهدًا ، وأخطأ ؛ فيأثمُ لتفريطه .

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ؛ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَجْرً » (١)(\*).

لأَنَّ الله - جلَّ في عُلاه - أمر المسلمين الصَّادقين؛ بطلب الحقُّ على قدر وسْعِهِم وطاقتهم، ولم يُكلِّفهم ما لا يُطيقونَ؛ فإن لم يصيبوا الحقَّ في اجتهادهم الذي قصدوه؛ فلا يُكلِّف الله نفسًا إلاَّ وسعها، وهذا من كمال رحمته - سبحانه وتعالىٰ - بعباده المسلمين، قال الله تبارك وتعالىٰ:

# ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

<sup>=</sup> رفع الأحكام عنهما؛ فليس مرادًا من هذه النصوص؛ فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليل الخرى « جامع العلوم والحكم » شرح الحديث التاسع والثلاثون .

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «أجر الحاكم إذا اجتهد فاصاب أو أخطا».

<sup>(\*)</sup> قال الحافظ الخطيب البغدادي، رحمه الله: ( فإن قيلَ: كيف يجوزُ أن يكون للمخطيء فيما أخطأ أجرَّ وهو إلى أن يكون عليه في ذلك إثمَّ أقرب لتوانيه وتفريطه في الاجتهاد حتى أخطأ؟ فالجوابُ: أنَّ هذا غلطٌ؛ لأنَّ النبي عَلَيُهُ لم يجعل للمخطيء أجرًا على خطئه، وإنَّما جعل له أجرًا على اجتهاده، وعفا عن خطئه؛ لأنَّه لم يقصده، وأمَّا المصيبُ؛ فله أجرَّ على اجتهاده، وأجرً على إصابته) «الفقية والمتفقه» ج١، ص٥٧٥. باب: (القول الاحتجاج لصحيح القياس ولزوم العمل به) رقم الحديث ٢١٥. دار ابن الجوزي.

رَبَنَا لَا تُوَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمَّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِـمُؤْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَعًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَفًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنةً وَدِيَةً مُسَلَّمةً إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ كَانَ مِن قَوْمٍ كَانَ مِن قَوْمٍ كَانَ مِن قَوْمٍ مَدُو لَكُمْ وَهُو مُؤْمِن فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنةً وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثًا قُ فَدِينةً مُسلَّمةً إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّوْمِنة فَمَن لَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثًا قُ فَدِينةً مُسلَّمةً إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُومِنَةٍ فَمَن لَمْ يَعْدُ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللّهِ وكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا عَنَ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدً لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ( <sup>( ) )</sup>.

وقالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدهِ ؛ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ ، فَانْفَلَتتْ مِنْهُ ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ،

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٣ \_ ٩٩.

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥. (٤)

<sup>(</sup> ٤ ) سورة التغابن، الآية: ١٦.

فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلُهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ؛ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ؛ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ؛ ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : كَذَلِكَ إِذَا هُو بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ؛ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ؛ ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » (١)(\*) . اللَّهُمَّ ! أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » (١)(\*)

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(وليسَ لأَحدٍ أَن يكفرَ أَحدًا من المسلمين - وإِن أَخطأ وغلط - حتَّىٰ تقام عليه الحجَّة، وتبين له المحجة، ومَن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشَّكُ؛ بل لا يزول إلاَّ بعد إقامة الحجَّة، وإزالة الشُّبهة)(٢).

وقالَ، رحمه الله: (والغلط والنسيان وسبق اللسان بما لا يريده العبد؛ بل يريد خلافه، والتكلم به مكرها، وغير عارف بمقتضاه من لوازم البشرية لا يكاد ينفك الإنسان من شيء منه، فلو رتب عليه الحكم لحرجت الأمّة وأصابها غاية التعب والمشقة؛ فرفع عنها المؤاخذة بذلك وكذلك الخطأ والنسيان والإكراه والجهل بالمعنى وسبق اللسان بما لم يرده والتكلم في الإغلاق ولغو اليمين؛ فهذه عشرة أشياء لا يؤاخذ الله بها عبده بالتكلم في حال منها؛ لعدم قصده وعقد قلبه الذي يؤاخذه به) «إعلام الموقعين» ج٣، ص٣٦١ - ١٤٣٠.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « في الحض علىٰ التوبة والفرح بها ».

<sup>(</sup>٢) «مجموع الفتاوي» ج١١، ص٢٦٤.

<sup>(\*)</sup> قالَ الإمامُ ابن القيم، رحمهُ اللهُ: (إِنَّ الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفًا ودلالةً على ما في نفوسهم؛ فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئًا عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامًا بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم! أنَّ المتكلم بها لم يرد معانيها، ولم يحط بها علما؛ بل تجاوز للأمَّةِ عمًّا حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به، أو تتكلم به، وتجاوز لها عمًّا تكلمت به مخطئة أو ناسية، أو مكروهة، أو غير عالمة به؛ إذا لم تكن مريدة لمعنى ما تكلمت به، أو قاصدة إليه؛ فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أو الفعلية ترتب الحكم؛ هذه قاعدة الشريعة، وهي من مقتضيات عدل الله وحكمته ورحمته؛ فإنَّ خواطر القلب وإرادة النفوس لا تدخل تحت الإختيار؛ فلو ترتبت عليها الأحكام لكان في ذلك أعظم حرج ومشقة على الأمَّة، ورحمة الله تأبى ذلك).

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (وأمَّا التَّكفيرُ: فالصَّوابُ أنَّه من اجتهد من أُمَّة محمَّد عَلَيْ وقصد الحقّ، فأخطأ لم يكفر؛ بل يُغفر له خطأهُ، ومَن تبيَّن له ما جاء به الرَّسُولُ؛ فشاقَ الرَّسُولَ من بعد ما تبيَّن له الهدئ، واتَّبعَ غير سبيل المؤمنين: فهو كافرٌ، ومَن اتَّبعَ هواه، وقصر في طلب الحقّ، وتكلَّم بلا علم: فهو عاص مذنبٌ، ثُمَّ قد يكون فاسقًا، وقد يكونُ له حسناتٌ برجع على سيئاته؛ فالتَّكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشَّخص)(١).

وقالَ أيضًا: (إِنَّ الجمتهدَ في مثل هذا من المؤمنين إن استفرغ وسعة في طلب الحقّ؛ فإنَّ الله يغفر له خطآهُ، وإن حصل منه نوع تقصير؛ فهو ذنب لا يجب أن يبلغ الكفر، وإن كان يطلقُ القولَ بأن هذا الكلام كفرٌ، كما أطلق السَّلفُ الكفرَ على مَن قال بعض مقالات الجهميّة، مثل القول: بخلق القرآن، أو إنكار الرُّؤية، أو نحو ذلك، ثمّا هو دون إنكار عُلُوً الله على خلقه، وأنّه فوق العرش؛ فإنَّ تكفير صاحب هذه المقالة كان عندهم من أظهر الأمور؛ فإن التَّكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لايستلزم تكفير الشَّخص المعين؛ حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّة التي يكفر تاركها) (٢).

وقالَ، رحمه الله: (وقد اتَّفقَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة علىٰ أنَّ علماءَ المسلمين لا يجوزُ تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض؛ بل كلُّ أحد يؤخذُ من قوله ويتركُ إلاَّ رسول الله عَلَيُّ وليس كلُّ مَن يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفَّر ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ فإنَّ الله تعالىٰ قال في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لا تُوَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ففي الصحيح عن النبي عَلَيْكُ : «أَنَّ اللهَ

<sup>(</sup>۱) «مجموع الفتاوي ، ج۱۲، ص۱۸۰.

<sup>(</sup>٢) والإستقامة، ج١، ص١٦٣.

تَعَالَىٰ قَالَ: قَدْ فَعَلَت ». واتَّفق علماءُ المسلمين علىٰ أَنَّه لا يكفَّرُ أحدٌ من علماء المسلمين المنازعين في عصمة الأنبياء، الذين قالوا: إِنَّهُ يجوزُ عليهم الصغائرُ والخطأ، ولا يُقرُّونَ علىٰ ذلك لم يكفر أحدٌ منهم باتَّفاق المسلمين؛ فإنَّ هؤلاء يقولون: إِنَّهم معصومون من الإقرار علىٰ ذلك، ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشَّافعيَّة، والمالكيَّة، والا حناف، والحنابلة، والا شعريَّة، وأهل الحديث، والتَّفسير، والصوفيَّة؛ الذين ليسوا كفارًا باتفاق المسلمين؛ بل أثمَّة هؤلاء يقولون بذلك) (١٠).

وقال في مكان آخر: (وأجمع الصّحابة ، وسائر أثمّة المسلمين: على النّه ليس كلُّ مَن قال قولاً أخطا فيه أنَّه يُكفَّر بذلك، وإن كان قولُه مخالفًا للسنّنة ؛ فتكفير كلِّ مخطيء خلاف الإجماع ؛ لكنْ للنّاس نزاعٌ في مسائل التّكفير، قد بسطت في غير هذا الموضوع)(٢).

وقالَ الإمامُ بدر الدِّين الزَّركشي، رحمهُ الله تعالى:

(واختلف العلماء في حكم أقوال المجتهدين؛ هل كلُّ مجتهد مصيبٌ، أو المصيبُ واحدٌ؟... ذهب الشَّافعي، وأبو حنيفة، ومالك، وأكثرُ الفقهاء و رحمهم الله - إلى أنَّ الحقَّ في أحدهما، وإن لم يتعين لنا فهو عند الله متعيَّن؛ لاستحالة أن يكون الشيء الواحد في الزمان الواحد في الشَّخص الواحد حلالاً حرامًا، ولأنَّ الصَّحابة تناظروا في المسائل واحتج كلُّ واحد على قوله، وخطاً بعضهم بعضًا، وهذا يقتضي أنَّ كلَّ

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ مجموع الفتاوي، ج٥٥، ص٠١٠. والحديث: رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان أنه – سبحانه وتعالى – لم يكلف إلاً ما يطاق ».

<sup>(</sup>٢) «مجموع الفتاويٰ» ج٧، ص٦٨٥.

واحد يطلبُ إصابة الحقّ. ثمَّ اختلفوا هل كلُّ مجتهد مصيبٌ أم لا؟ فعند الشَّافعي أَنَّ المصيبَ منهم واحدٌ، وإن لم يتعيَّن، وإنَّ جميعهم مخطيء إلاَّ ذلك الواحدُ، وبه قال مالك وغيرُه، وقال أبو يوسفُ وغيره)(١).

وقالَ الإمامُ الحافظ ابن القيِّم، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( وهذا الذي قلناهُ مِن اعتبارِ النيَّاتِ والمقاصدِ في الألفاظ ، وأنَّها لا تلزم بها أحكامها حتى يكون المتكلِّم بها قاصدًا لها مُريدًا لموجباتها؛ كما أَنَّهُ لابُدَّ أَن يكونَ قاصدًا للتكلُّم باللَّفظ مُريدًا له، فلابُدُّ مِن إِرادتين: إِرادةُ التكلُّم باللَّفظِ اختيارًا، وإرادة مُوجَبِهِ ومقتضاه؛ بَل إِرادَةُ المعنى آكدُ مِن إِرادة اللَّفظ؛ فإنَّه المقصود واللَّفظ وسيلة، هو قولُ أَثمَّة الفتوى مِن علماء الإسلام) وقال: (وقد تقدُّم أَنَّ الذي قال لَّمَا وَجَدَ راحلته: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» لم يَكفُر بذلك، وإِن أَتَىٰ بِصرِيح الكُفر لكونِهِ لم يُردهُ، والمكره على كلمة الكفر أتى بصريح كلمته، ولم يكفر لعدم إِرادته، بخلاف المستهزئ والهازل؛ فإنَّهُ يلزمه الطلاق والكفر وإن كان هازلا! لأنَّهُ قاصد للتكلم باللُّفظ وهزله لا يكون عذرا له، بخلاف المكره والمخطئ والناسي؛ فإنَّهُ معذور مأمور بما يقوله، أو مأذون له فيه، والهازل غير مأذون له في الهزل بكلمة الكفر والعقود؛ فهو متكلم باللَّفظ مريد له، ولم يصرفه عن معناه إكراه ولا خطأ ولا نسيان ولا جهل، والهزل لم يجعله الله ورسوله عذرًا صارفًا؛ بل صاحبه أحقُّ بالعقوبة )(٢).

<sup>(</sup>١) ٥ البحر المحيط في أصول الفقه: ج٦، ص٢٤١.

 <sup>(</sup> ٢ ) ا إعلام الموقعين ۽ : ج٣، ص ٨٤ – ٨٦.

رابعًا التَّأْويلُ (\*):

فالتَّأُويلُ - عند أهل السُّنَّة والجماعة - نوعانِ:

تأويلٌ صحيحٌ، وتأويلٌ فاسدٌ.

(\*) • التأويلُ في اللّغة: (التأويلُ: فهو تفعيل من أوّل يؤوّل تأويلا، وثلاثيته، آل يؤول: أي: رجع وعاد. والأول: الرجوع، آل الشيء يُؤول أولاً ومآلاً رجع، وأوّل إليه الشيء: رجّعَه، وألْتُ عن الشيء ارتددت؛ فكل استعمالات التاويل اللّغوية تفيدُ وتدور حول معاني الرجوع، والعود، والعاقبة، والمصير، والتفسير. وهذا يعني أن تأويل الكلام هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وإلى حقيقة ما أخبر به) انظر: ولسان العرب ع ج ١١، ص ٣٢ - ٣٤.

• التاويل في الاصطلاح: له ثلاثة معان:

١- ( يراد بالتاويل؛ حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى المراد بلفظ التاويل في الكتاب والسُنّة) انظر: « مجموع الفتاوي، ٣٦، ص٣٦.

٢- (يراد بالتاويل؛ التفسير والبيان والشرح وتدبر الكلام وتقديره).

٣- (التأويل: هو صرف اللّفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا النوع من التأويل لم يعرفه أثمّة السّلف؛ بل أَجمعوا على ذمّه) مثل تأويل معنى يد الله تعالى بالنعمة، أو القدرة. ومثل تأويل استواء الله على عرشه بالاستيلاء، وهكذا! وهذا المعنى من معاني التأويل هو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله، وهو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصّفات، وترك تأويلها. قال العلامة ابن حزم، رحمه الله: (التأويل نقل اللّفظ عمّا اقتضاه ظاهره، وعمّا وضع له في اللّغة إلى معنى آخر؛ فإن كان نقله قد صع ببرهان، وكان ناقِلُه واجب الطاعة فهو حق. وإن كان نقله بخلاف ذلك المرح، ولم يلتفت إليه، وحُكم لذلك النقل بأنّه باطل) «الإحكام في أصول الأحكام» ج١، ص٣٤. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك؛ فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلاً الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك؛ فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أنّ مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلاً الله، ولا يعلمه المتأولون). انظر: «مجموع الفتاوى» ج٥»

ص ۳۵. وج ۳، ص ٥٥ و ۲۸۸. وج ٤، ص ١٨. وج ١٣، ص ٢٧ - ٣١٣.

## التّأويلُ الصّحيح المقبول:

هو ما كانَ الظَّاهرُ فيه غير مراد لدليل قوي واضح يدل عليه، أو هو معرفةُ مألاتِ النُّصوص الشَّرعيَّة.

فكلمةُ التَّأُويلُ: وردت في القرآن الكريم ست عشرة مرَّة، وردت في السُّنَّة المطَّهرة في أكثرِ من حديث، ومعناها يدور بين مدلولين اثنين:

## ١ - التَّفسيرُ والبيانُ:

كقول اللهِ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (١).

أي: ذلك تفسيرُ تلكَ الأَفعال المستغربةِ لكَ وبيانها.

وكقولِ النَّبِيِّ عَلِيُّكُ : ﴿ اللَّهُمَّ فَقَهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلَّمْهُ التَّأُويلَ ﴾ (٢) (٠) .

٧- الحقيقةُ الَّتي يؤول إليها الكلام ويرجع إليها:

كقول اللهِ تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ اللهِ عَلَوْلُهُ اللهِ الْحَقُ ﴾ (٣). الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده » عن عبد الله بن عبّاس، رضي الله عنهما. وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة » برقم ( ٢٥٩٨).

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٠.

<sup>(\*)</sup> قالَ الإمامُ ابن القيم، رحمهُ الله: (ودعا النّبئ عَلَيْكُ لعبد الله بن عبّاس أن يفقهه في الدّين، ويعلمه التّأويل، والفرق بين الفقه والتّأويل؛ أنّ الفقه هو فهم المعنى المراد، والتّأويل إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى ألتي هي اخيته وأصله، وليس كل من فقه في الدّين عرف التّأويل؛ فمعرفة التّأويل يختص بها الرّاسخون في العلم، وليس المراد به تاويل التّحريف وتبديل المعنى! فإنّ الرّاسخين في العلم يعلمون بطلانه، والله يعلم بطلانه) «إعلام الموقعين»: ج١، ص٣٣٠.

أي: هل ينظرون إلا حقيقة وعاقبة أمرهم من ورودهم على عذاب اللهِ تعالى واصطلائهم بالجحيم وأشباه ذلك مما أوعدهم الله به أن يصيروا إليه.

وكقول النّبِيِّ عَلِي : « رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبِ فَهَمّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأُولَّتُهُمَا كَاذِبَيْنِ يَخُرُجَانِ مِنْ بَعْدِي يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: مَسْلَمَةُ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَالْعَنْسِيُّ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَالْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ » (١).

### • التَّأْويلُ الفاسدُ غير المقبول:

هو صرفُ الكلامِ عن ظاهرِهِ إلى مايُخالفُ ظاهره ؛ بغير دليلٍ من الكتاب، أو السُنَّةِ، أو الإجماع؛ بل يكون بالرأي والهوى والخواطر.

أي: هو نوع من التّحريف للمعنى المراد من النّصوص الشّرعيّة وتعطيلها؛ مثلما يفعل المتكلمون من تحكيم لمقدمات عقلية، ومقولات منطقية! توضع بين يدي النّص ليجري معناه على وفاقها، أو ادعاء معان باطنية لايقوم عليها دليل من القرآن أو السّنّة أو لغة العرب؛ كما يفعل الباطنية، وغلاة المتصوفة.

ويضطرُ لهذا النوع من التَّأُويلِ؛ أهل الأهواء والبدع، وخاصةً في تفسير القرآنِ؛ لأنَّ القرآن العظيم لا يمكن لأَحد \_ كائنًا مَن كانَ - تحريفه تحريفًا لفظيًّا؛ فيلجأُوون إلى التحريف المعنوي، ويتركزُ خصوصًا في آياتِ الأسماء والصِّفاتِ.

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الرؤيا) باب «ما جاء في رؤيا النبي عَلَيْكُ في الميزان » وصحَّحه الأَلباني.

أمًّا في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ المطَّهرَةِ؛ فهم يستخدمون حيلة عقلية يسقطون بها الأحاديث الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبِي عَلَيْكُ بدون برهانُ الشَّرعيُّ! بحجَّةِ أَنَّ الاَحاديث الآحاد تُفيدُ الظَّنُ لا تقبل في العقيدة؛ وبهذا فهم لا يحتاجون الأحاديث الفطّا أو معنًا، ولكن - أحيانًا - يتجاسرون على التحريف اللَّفظي مع الأحاديث المتواترة؛ إن استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً.

والتَّأُويلُ الفاسد: هو قطب الرحىٰ لكلِّ الفرق الضَّالةِ المبتدعة؛ الذين خالفوا هدي السَّلف الصَّالح وأَثمَّتها، وهم في منهجهم مضطربون حائرون شاكُّون، وليس لهم ضوابط يستقرون عليها؛ بل يتخبطون في الفهم، ولا يخضعون للكتاب والسُنَّةِ، ولا لإجماعِ السَّلفِ! بل يخضعون لعقولهم القاصرة، وأهوائهم المضلَّة، وآرائهم الفاسدة، وهم في اضطراب واختلاف، وليس لهم صراط مستقيم في فهم النَّصوصُ الشَّرعيَّة.

• والتَّأُويلُ: المقصودُ منه هنا؛ كمانع من موانع التَّكفير التي تمنع من لحوق الوعيد بالمعين! هو وضعُ النَّصِّ الشَّرعيِّ في غير موضعه، ومناقضًا للدلوله؛ باجتهاد سائغ، أو بتقليد، أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النَّصِّ، أو فهمهُ فهمًا خاطعًا ظنهُ حقًا، أو ظنَّ غير الدليل دليلاً.

أي: هو التلبُّسُ والوقوعُ في الكُفر َمتاًوُّلاً من غير قصدٍ لذلك؛ سواءً كان بالاعتقاد، أو القول، أو العمل.

فيُقدم المكلف على الفعل الكفري! وهو لا يراه كفرًا؛ فينتفي بذلك شرطُ العمد! فمن وقع في مثل هذه المخالفة الشَّرعيَّة لتأويل معتبر! منع عنه لحوق الوعيد؛ فإنْ أُقيمت عليه الحجة وبُيِّنَ خطأه؛ ثمَّ أصرَّ على فعله كَفَرَ حينهُذ.

وقد اتّفق أتمّة أهل السّنة والجماعة؛ على أنّ التّأويل السّائغ الذي له وجة في العلم، واللّغة العربية، وأن لا يكون في أصول الدّين (\*) يُعتبرُ من أوسع موانع تكفير المعيّن؛ إذا كان سببه القصور والخطأ في فهم الأدلّة والنّصوص الشرعيّة، أو خفائها عليه، أو أنّ النّص يتحملُ هذا الفهم من جهة مدلولاته اللّغوية، أو الاستناد إلى الشبه التي تصرف عن اتّباع الحق والصرّاط القويم؛ دون تَعمّد للمخالفة، أو المعارضة، أو التكذيب، أو الرّد، أو العناد، أو أن يكون متلاعبًا بالنّصوص الشّرعيّة على محض الشّهوة واتّباع الهوى؛ بل اعتقاد العكس أنّه قد أصاب مراد الشّارع، وبأنّ الحق معه، والتزمه بذلك بنيّة الوصول إلى الحق، وغالبًا ما يكون هذا النوع من التّأويل الخاطئ في الأمور الخفيّة التي يكون العلم فيها غير الظّاهر.

وحكمُ هذا النوعُ من التَّاويل - عند أهلِ السُّنَّة والجماعة - من حيث العموم حكم الجاهل؛ لذلك فإنَّ الأدلَّة التي جاءت في عذر الجاهل، نفسها تنطبق على المتأوِّل باعتبار اتَّفاق مناط الحكم بينهما.

وإذا أخطأ صاحبه مع حُسن الاعتقاد، وقصد موافقة الشَّريعة، وكان من أهل الإيمان والصَّلاح؛ فهو معذورٌ حتى تُقام عليه الحجَّة، وتزولَ عنه شُبهة التأويل، وما أَشكَلَ عليه فهمه من النَّصِّ، أو ملابساتٌ أحاطت به، وإذا تبيَّن له الحقُّ رجع إليه؛ فإنَّ هذا التأوُّلَ معفوٌ عنه؛ إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا النوعُ من التَّأْويلِ كثيرُ الوقوع في الأُمَّة - حتَّىٰ وقعت في عهد

<sup>(\*)</sup> قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم؛ إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم) « فتح الباري ، ج ٢ ١ ، ص . ٣٨ . في كتاب (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم) باب « ما جاء في المتأوّلين » .

الصَّحابة رضي الله عنهم - وهو مذموم ؛ إذا لم يُعطِّل بعض أحكام الشَّريعة المعلومة من الدِّين بالضَّرورة ، ولكن يؤدِّي إلى المخالفة دون القصد ؛ فهو من قُبَيْلِ الخطأ الذي غالبًا ما يكون سببه الجهل ، أو هو يكون سببًا للجهل . وإن كان مَمَا يعطِّل بعض أحكام الشَّريعة ؛ فهو أشدُّ ذمًّا ؛ لاَنَّه من أصول الضَّلال والانحراف ، وذريعة للغلوِّ في الدِّين ، قال الله تعالىٰ :

﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رّحِيمًا ﴾ (١)(٠).

وقد ثبت في السُنَّة: أنَّ عمرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - قالَ عن حاطب بن أبي بلتعة البدري - رضي الله عنه - لما أرسل رسالة لأهلِ مكة قبل الفتح؛ يخبرهم بتجهيز المسلمين إليهم: (إِنَّهُ منافق) واستأذنَ النَّبِيَ قبل الفتح؛ يخبرهم بتجهيز المسلمين إليهم المؤلاة التي فيها مظاهرة المشركين على على المسلمين، ولكن كان حاطب متأولاً ظانًا منه أنَّ ذلك لا يضره في إيمانه وإسلامه، وكان صادقًا في تأويله، وأنَّهُ لم يفعلها ردَّةً ولا كفرًا؛ فأقال النَّبِيُ عَلَيْهُ عثرته، ومنع أن يُحمل عليه حكم الكفر، أو النَّفاق الذي أطلقه عمر، وكفَّ عَلِيهُ عنهما، وعذرهما بالتأويل؛ فيما فعله حاطب، وما عليه عمر، وكفَّ عَلِيهُ عنهما، وعذرهما بالتأويل؛ فيما فعله حاطب، وما

<sup>(</sup>١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

<sup>(\*)</sup> قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (قال ابن التين: أجرى البخاري، قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيكُم جناحٌ فيما أَخطأتُم به ﴾ في كلَّ شيء. وقال غيره: هي في قضية مخصوصة، وهي ما إذا قال الرجل: يا بني، وليس ابنه ... ولو سلَّم أَنَّ الآية نزلت فيما ذُكر؛ لم يمنع ذلك من الاستدلال بعمومها، وقد أجمعوا على العمل بعمومها في سقوط الإثم) « فتح ذلك من الاستدلال بعمومها، وقد أجمعوا على العمل بعمومها في العمل عن الباري ٤ ج١١، ص ٦٧١. في كتاب (الأيمان والنذور) باب «إذا حنث ناسيًا في الأيمان ٥.

قاله عمر، رضي الله عنهم (١)(\*). وقد أنزلَ الله تعالى في هذه الحادثة العظيمة؛ هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ (١)(\*\*).

وثبت - أيضًا - في السُّنَّة: أَنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ - رضي اللهُ عنه - قالَ لسعد بنِ عُبَادَةٍ - رضي اللهُ عنه - قالَ لسعد بنِ عُبَادَةٍ - رضي اللهُ عنه - في حادثة الإفكِ أمام النَّبِيِّ عَلَيْكَ : (فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجادِلُ عَن النَّافِقينَ )(٢).

وثبت في السُّنَّة كذلك: أنّ أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - لما قتل - في إحدى الغزوات - الرَّجُل الذي قال: «لا إله إلاَّ الله» ظانًا آنَّه قالها تعوُّذًا؛ فعاتبه النَبِيُ عَلِيَّة عتابًا شديدًا، ومع هذا لم يلزمه بقود، ولا دية، ولا كفَّارة؛ لأنَّه فعل ذلك متاوًلا (٤).

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( وإذا كان المسلم متأوّلاً في القتال ، أو التّكفير ؛ لم يُكفّر بذلك ؛ كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة : يا رسُول الله دعني أضرب عنق

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب « ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أُولِياء ﴾ ٥. وأخرجه - أيضًا - في « الأدب المفرد » باب ( من قال لآخر : يا منافق ! في تأويل تأوَّله ) . (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب «حديث الإفك».

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب (بعث النبي عَلَيْ أسامة بن زيد إلى الحرقات،

<sup>(\*)</sup> قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (وعدر حاطب ما ذكره؛ فإنَّهُ صنعَ ذلكَ متأوّلاً أن لا ضررَ فيه) « فتح الباري » ج٨، ص٥٠٣٠

<sup>( \*\*)</sup> قال العلاَّمة المفسر محمد الأمين الشنقطي، رحمه الله: ( وقد أجمع المفسرون على أَنَّ هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وقصة الرسالة مع الظعنية لأهل مكة قبل الفتح بإخبارهم بتجهيز المسلمين إليهم) «أضوان البيان» ج ٨، ص ١٣٠.

هذا المنافق، فقال النّبِيُ عَلَيْكُ: ﴿ إِنَّه قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللّهَ اطَلَعَ عَلَىٰ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ﴾ وهذا في الصحيحين. وفيهما – أيضًا – من حديث الإفك: أنَّ أسيد بن الحضير، قال لسعد بن عبادة: ﴿ إِنَّكَ منافق تجادل عن المنافقين ﴾. واختصم الفريقان ؛ فأصلح النّبِيُ عَلَيْكُ بينهم ؛ فهؤلاء البدريون فيهم مَن قال لآخر منهم: إنّك منافق، ولم يكفّر النّبِيُ عَلَيْكُ لا هذا ولا هذا! بل شهد للجميع بالجنّة. وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد: أنّه قتل رجلاً بعد ما قال: لا إله إلاَّ الله، وعظم النّبي عَلَيْكُ ذلك لما أخبره ، وقال: ﴿ يَا أَسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، وكرر ذلك عليه عردًا، ولا تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُن أَسْلَمْتُ إِلاَّ يومئذ! ومع هذا لم يوجب عليه قودًا، ولا ديه، ولا كفارة ؛ لاَنَه كان متأوّلاً ظنَّ جواز قتل ذلك القائل لظنه أنّه قالها تعودًا ، في تعوذًا ؛ فهكذا السّلف ؛ قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفين تعوذًا ؛ فهكذا السّلف ؛ قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفين ونحوهم ، وكلهم مسلمون مؤمنون ) (١).

وقالَ، رحمه الله: (والتَّكفيرُ هو من الوعيد؛ فإِنَّهُ وإِنْ كانَ القولُ تَكُذيبًا لمَا قالَهُ الرَّسُولُ، لكنْ قدْ يكُونُ الرَّجُلُ حديثَ عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثلُ هذا لا يكفُرُ بجَحد ما يَجْحَدُهُ حتَّىٰ تَقُومَ عليه الحجَّةُ، وقد يكُونُ الرَّجُلُ لا يسمعُ تلكَ النَّصُوصَ، أو سمعها ولم تَثبُت عندهُ، أو عارضها عندهُ مُعارضٌ آخرُ أوجَب تَاْويلها، وإِن كانَ مُخْطِئًا، وكنت دائمًا أذكرُ الحديث الذي في الصَّحيحينِ في الرَّجُلِ الَّذي قال: وكنت دائمًا أذكرُ الحديث الذي في الصَّحيحينِ في الرَّجُلِ الله لَيْنْ قَدَرَ وَنِي فِي الْيَمِ فَوَالله لَيْنْ قَدَرَ وَلَيْهَ أَنَا مُتُ قَالَ النَّا مُتُ قَالَ الْمَا مُتَ قَالَ الْمَا مُتَ قَالَ اللهِ الله الله الله المَّد قَوْنِي فِي الْمَا فَوَالله لَيْنْ قَدَرَ الْمَا أَذَا الله الله المَنْ الله الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ الله المَنْ قَدَرَ الله المَنْ الله الهُ المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ قَدَرَ الله المَنْ الله المَنْ قَدَرَ الله المَنْ الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ قَدَرَ الله المَنْ الله الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ قَدَرَ الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ الله الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ الله الله المَنْ قَدَرَ الله الله المَنْ الله الله المَنْ الله الله المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ الله الله المَنْ المَنْ المُنْ الله المَنْ المَنْ الله المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَا المَنْ المَنْ المَا المَنْ المَا المَنْ المَا المَنْ المَا المَنْ المَالِّ المَا المَنْ المَاسِلَ المَا المَنْ المَالِمُ المُنْ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المُنْ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالمِنْ المُعْلَى المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المَالِمُ المُنْ المُعْلَمُ المَالِمُ المَالَةُ المَالِمُ المُنْ المَالِمُ المَالِمُ المُنْ المَالِمُ المَل

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ، ج٣، ص٢٨٣.

الله عَلَيَّ لَيُعَذَّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ فَقَالَ الله عَلَىٰ مَا فَعَلْت. قَالَ خَشْيَتُك: فَغَفَر لَه الله فهذا رجُل شك في قُدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّي، بل اعتقد أنَّه لا يُعَادُ، وهذا كُفْر باتّفاق المسلمين؛ لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مُؤْمنًا يخاف الله أن يُعاقبه فغفر لَه بذلك، والمتأوّل من أهل الاجتهاد الحريص على مُتابعة الرَّسُول عَلَي الله أولىٰ بالمغفرة من مثل هذا) (١٠).

واتّفق أئمّةُ أهلِ السّنّة والجماعة - أيضًا - على أنّ هنالك تأويلات لا يعذر بها، ولا تكون مانعًا من التّكفير؛ كتأويلات الباطنيّة، والفلاسفة، وغيرهم من الغُلاة؛ لأنّ حقيقة أمرهم هي تكذيب للدّين جملة وتفصيلاً، أو التكذيب لأصل لا يقوم الدّين إلا به، أو استحلال المحرّمات الظّاهرة المتواترة، أو جحد وجوب المحرّمات الظّاهرة المتواترة، أو عدم عبادة الله وحده؛ كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد، وقولهم إنّ الله تعالى لا يعلم الجزئيات، أو القول بتحريف القرآن، أو اعتقاد النفع والضرّ في الأموات؛ كما يفعله غُلاة القبوريّين. ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد على أصول شرعيّة.

قالَ العلاَّمةُ ابن الوزير اليمانيِّ، رحمهُ اللهُ: (لا خلاف في كفرِ مَن جحد ذلك المعلوم ضرورةً للجميع، وتَستَثرَ باسم التأويِّل، فيما لا يمكنُ تأويله؛ كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسني؛ بل جميع القُرآن والشَّرائع، والمعاد الأخرويِّ من البعث، والقيامة والجنَّة والنَّار)(٢).

<sup>(</sup>١) «مجموع الفتاويٰ» ج٣، ص ٢٣١.

<sup>(</sup> ٢ ) « إيثار الحق علي الخلق » فصل ( في ذكر من يقول بالرجاء ومن يقول بالإرجاء ) ص٣٧٧.

وقال - أيضًا - رحمهُ اللهُ: (أمًّا مَن كذَّبَ اللَّفظ المنزل أو جحده؛ كفر متىٰ كان ثَمَن يُعلمُ بالضَّرورةِ أَنَّهُ يعلمُه بالضَّرورةِ، وإِنَّما الكلامُ في طوائف الإسلام الذين وافقوا علىٰ الإيمان بالتنزيل، وخالفوا في التأويل؛ فهؤلاء لا يكفرُ منهم إلاَّ مَن كان تأويلُه تكذيب، ولكنه سمَّاه تأويلاً مخادعة للمسلمين ومكيدة للدين؛ كالقرامطة الذين أنكروا وصف الله تعالىٰ بكونه موجودًا وعالمًا وقادرًا، ونحو ذلك من الصنفات التي عَلِمَ الكافّةُ بالضرورة أنَّ النَّبِئَ عَلَيْ جاءَ بها علىٰ ظاهرها) (١).

وقالَ العلاَّمَةُ الملاَّ عليَّ القاري الحنفيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( وأمَّا مَن يُؤوِّل النُّصوصَ الواردة في حشر الأَجساد، وحُدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيات؛ فإنَّه يكفر، لما علم قطعًا من الدِّين أنَّها على ظواهرها، بخلاف ما ورد في عدم خلود أهل الكبائر في النَّار؛ لتعارض الأَدِّلَة في حقَّهم )(٢).

وقالَ قوامُ السُّنَّةِ الإمامُ إسماعيل الأصفهانيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(المتأوّلُ إِذَا أَخطاً، وكان من أهل عقد الإيمان؛ نُظِرَ في تأويله؛ فإِن كان قد تعلَّق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله، أو سُنَّة يَقطع بها العذر، أو إجماع؛ فإنَّه يكفر ولا يُعذر؛ لأنَّ الشُّبهة التي يتعلَّقُ بها من هذا ضعيفةٌ لا تقوىٰ قوة يعذر بها؛ لأنَّ ما شهد له أصل من هذه الأصول؛ فإنَّه في غاية الوضوح والبيان . . . ) (7).

<sup>(</sup>١) \* العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ ، ج٤، ص١٧٦.

<sup>(</sup> ٢ ) 8 شرح الفقه الأكبر » ص ٧٠.

<sup>(</sup>٣) « الحجة في بيان المحجة » ج٢، ص١٥٥.

### خامسًا- الإكْرَاهُ:

الإكراه (\*): هو إلزامُ الغيرِ قهرًا بما لا يريدُ! ففي هذهِ الحالة يكونَ المكرَه في حلِّ بما يفعله، أو يقوله؛ تلبيةً لرغبة المكره! دفعًا للأذى عن نفسه، أو أهلِهَ؛ فمتى أكره المسلمُ – إكراهًا حقيقيًا – على فعل كفر أو قوله؛ لم يكن بذلك القول والفعل كافرًا؛ أي: إذا تظّاهرَ بالكفر، وهو كارةٌ لهُ غيرِ راضٍ عنه، وإنّما فعله تقيّةً لما حصل لهُ من الإكراهِ الفعليّ؛ فهو في هذه الحالة معذورٌ؛ لأنّ قلبَهُ مطمئنًا بالإيمانِ، وغير راضي الكُفر، ولا اعتبار لعمله الظّاهر! للعدم تحقق القصد، وانتفىٰ عنه الإختيار؛ فسقط عنه التّكليف الشّرعيّ. وهذا من رحمة الله تعالىٰ بعباده ولطفه بهم حيث لم يكلفهم ما يشق عليهم، والحمدُ لله رَبّ العالمين.

فالإكراهُ على الكُفرِ بالقول أو الفعل - بضوابطِهِ الشَّرعيَّةِ وشُروطِهِ

<sup>(\*) •</sup> الإكراه في اللُّغة: هو المشقة والقهر والإجبار، ومنافاة الرضا والمحبّة والاختيار، وجاء في المعجم: (كره: الشّيء كرها، وكراهة وكراهيَّة: خلاف أحبَّه؛ فهو كريه ومكروه. وأكرهه على الأمر: قهره عليه. وكره إليه الأمر صيَّره كريهًا إليه. والمكره: ما يكرهه الإنسان، ويشق عليه، وجمعه: مكاره. ويقال الكره: بالضم المشقة، وبالفتح الإكراه. يقال: قام على كره، أي: على مشقة. وأقامه فلان على كره، أي: أكرهه على قيام. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. وأكرهه على كذا حمله عليه كرمًا) انظر: «المعجم الوسيط» ح٢، ص٥٨٥، و«مختار الصحاح» ص٢٣٩.

<sup>•</sup> الإكراه في الاصطلاح: هو إلزام الغير بما لا يريده قهرًا، وهو انعدام الرضا، وإفساد الاختيار، وحمل المكره على أمر يكرهه؛ بالتخويف، والتهديد فيفعله، وهو منعدم الرضا، مسلوب الإرادة، فاقد الاختيار. وجاء في المعجم: (حمل الغير على أمر لا يريد مباشرته؛ بتخويف يقدر الحامل على ايقاعه، ويصير الغير خائفًا به، وقيل معناه: حمل الغير على أمر يكرهه، ولا يرضاه طبعًا، أو شرعًا) انظر: «التعريفات» ص٣٣. و«عوارض الأهلية عند الأصولين» ص٢٧٠.

المرعيَّةِ - يعتبرُ من موانعِ التَّكفيرِ في حقَّ المعيَّنِ عندَ أَثمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ قاطبة .

قالَ الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمهُ اللهُ - في تفسيرِ هذهِ الآيةِ الكريمَةِ: (وأَمَّا قوله تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنَّ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو استثناءٌ ثَمَن كفرَ بلسانه، ووافقَ المشركين بلفظه مكرهًا؛ لمَا ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبىٰ ما يقول، وهو مطمئنٌ بالإيمان باللهِ ورَسُولِهِ.

وعن ابن عبّاس أنّ هذه الآية نزلت في عمّار بن ياسر؛ حين عذّبه المشركون؛ حتّىٰ يكفر بمحمّد عَلى فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء معتذرًا إلى النّبي عَلَى فأنزل الله هذه الآية. وروى ابن جرير عن أبي عبيدة محمّد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر؛ فعذّبُوه؛ حتىٰ قاربَهم في بعض ما أرادوا؛ فشكا ذلك إلى النّبي عَلَى فقال النّبي عَلَى قال النّبي عَلَى فقال النّبي عَلَى الكُفر يجوز له أن يأبي الكورة على الكُفر يجوز له أن يأبي الله عنه منه على على عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد يأبي عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد يأبي عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد يأبي عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد يأبي عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد يأبي عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وقطعه إربًا إربًا، وهو ثابت على الأنصاري لما عذبه مسيلمة الكذاب وقطعه إربًا إربًا، وهو ثابت على الأنصاري لما عذبه مسيلمة الكذاب وقطعه إربًا إربًا، وهو ثابت على

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية:٦٠٦

ذلك، والأفضل والأولى أن يشبُت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله)(١).

وقالَ الإمامُ أبو بكر الجصَّاص الحنفيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( هذا أصل ؛ في جواز إظهار كلمة الكفر، في حال الإكراه) (٢).

وقالَ القاضي أبو بكر بن العربيِّ المالكيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( لما سمحَ الله تعالى في الكُفرِ به ، وهو أصلُ الشَّريعة عند الإكراه ، ولم يؤاخِذ به ؛ حمَّلَ العلماء عليه فروع الشَّريعة ؛ فإذا وقعَ الإكراه عليها لم يؤاخذ به ، ولا يترتب الحكم عليه ، وعليه جاء الأثرُ المشهور عند الفقهاء : « رُفعَ عَنْ أُمَّتِي ؛ الخَطأُ ، وَالنَّسْيَان ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » ) (٢٠ ) .

وقالَ الله تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (1).

قَالَ إِمامُ المفسِّرينَ الإِمامُ الطَّبريُّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(إِلاَّ أَن تكونوا في سُلطانهم؛ فتخافوهم على أنفسكم، فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتُضْمِروا لهم العداوة، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تُعينوهم على مسلم بفعل).

<sup>(</sup>۱) انظر: «تفسير ابن كثير» تفسير سورة النحل، الآية: ١٠٦ (بتصرف يسير) و«تفسير الطبري» ج١٤، ص١٢٢.

<sup>(</sup>٢) «أحكام القرآن» للجصاص: ج٣، ص١٩٢.

<sup>(</sup>٣) « أحكام القرآن » لابن العربي: ج٣، ص١١٨٠.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

وقالَ الإمامُ ابن كثير - رحمهُ الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

(أي: إِلاَّ مَن خاف في بعض البلدان، أو الأوقات من شرَّهم؛ فله أن يتقيهم بظاهره، لا بباطنه ونيَّته).

وقالَ العلاَّمةُ القُرطبيُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية:

(إِنَّ المؤمن إِذَا كَانَ قَائمًا بِينَ الْكَفَّارِ ؛ فله أَن يداريهم باللسان ؛ إِذَا كَانَ خَاتُفًا على نفسه ، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان ، والتقيَّةُ لا تَحِلُ إِلاَّ مع الخوف والقتل ، أو القطع ، أو الإيذاء العظيم ، ومَن أكره على الكُفر ؛ فالصحيحُ أَنَّ له أَن يتصلَّب ، ولا يُجب إِلى التلفظ بكلمة الكفر ؛ بل يجوز له ذلك ) .

وقالَ العلاَّمةُ ابن سعديُّ – رحمهُ الله – في تفسير هذه الآية :

(أي: تخافوهم على أنفسكم؛ فيحلُّ لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان، وإظهار ما به تحصل التُقية).

وقالَ حَبْرُ الأُمَّةِ عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ، رضي اللهُ عنهما:

( التُّقَاةُ التَّكَلُّمُ بِالْلسَانِ ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ ) (١٠).

وقالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

« إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْحَطَأُ وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ ، ( ` ` .

وقالَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(قالَ ابن بطال تبعًا لابن المنذر: أجمعوا على أنَّ مَن أكرة على الكُفر؛

<sup>(</sup> ١ ) أَخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره ؛ ج٢ ، ص٦٢٩ . برقم : ( ٣٣٨٢ ) .

<sup>(</sup>٢) رواه ابن ماجة في (كتاب الطلاق) باب «طلاق المكره والناسي ، وصحَّحه الألباني.

حتىٰ خشي علىٰ نفسه القتلَ؛ فكفرَ؛ وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمان؛ أنَّه لا يحكم عليه بالكفر، ولا تبينُ منه زوجتُه)(١).

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فأباحَ – سبحانه – عند الإكراه؛ أن ينطقَ الرَّجُلُ بالكفر بلسانه، إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان؛ بخلاف من شرح بالكُفر صدرًا، وأباح للمؤمنين أن يتَقوا من الكافرين تُقاة، مع نهيه لهم عن موالاتهم)(٢).

أنواعُ الإكراة : الإكراة نوعانِ ؛ إكراه ملجيء ، وهو الإكراه التأم والمعتبر ، وإكراه غير ملجيء ، وهو الإكراه النّاقص وغير المعتبر .

١- الإكراهُ التَّامِّ: هو الذي يقع على نفسِ المكره، ولا يبقىٰ للشَّخصِ معه قدرة ولا اختيار؛ كأن يهدد الإنسان بقتله، أو بقطع عضو من أعضائه، أو بضربٍ شديد يفضي إلىٰ هلاكه، أو بإتلاف جميع ماله؛ فمتىٰ غلب علىٰ ظنه أن ما هدد به سيقع عليه؛ جاز لهُ القيام بما دفع إليه بالتهديد، باعتباره في حالة ضرورة شرعيَّة.

٧- الإكراة النّاقص: هو التّهديد، أو الوعيد بما دون تلف النّفس، أو العضو؛ كالتخويف بالضّرب، أو القيد، أو الحبس، أو إتلاف بعض المال، وهذا النوع يفسد الرّضا، ولكنّه لا يفسد الاختيار! لعدم الاضطرار إلى مباشرة ما أكره عليه لتمكنه من الصّبر على ما هدد به، وقد يلحق بهذا النوع، التهديد بحبس الأب، أو الابن، أو الزوجة والأخت والأمّ والأخ، وهذا النوع من الإكراه لا إعتبار له؛ لأنّ الضّرر لا يلحق بالمكره فعلاً!

<sup>(</sup>١) " فتح الباري " ج١١، ص٣٩٣. (كتاب الإكراه).

<sup>(</sup>٢) «الاستقامة» ج٢، ص١٩٥.

## شروطُ الإكراهِ عند أهل السُّنَّة والجماعة (\*):

فليس كلُّ مَن ادعى الإكراه قُبِلَ منه شرعًا كمانع للتَّكفيرِ ابل لا بُدَّ من شروط تتوفَّر لدى المكرَه ؛ ليكونَ الإكراهُ عذرًا شرعيًّا معتبرًا ، ولكي لا يقع المسلمون في الكفر ! ويرتكبوا الحرمات عند وجود أدنى ضغط ، أو تهديد ؛ فقد ذكر العلماء المعتبرين الشُّروط التي يتحقق بها وجود وصف الإكراه المعتبر شرعًا ، ومن هذه الشُّروط :

١- أن يكونَ المكرِه؛ قادرًا على تحقيقِ ما يهدد به؛ إمَّا لولاية، أو تغلُّب، أو فرط هجوم؛ لأنَّ الإكراة لا يتحقق إلاَّ بالقدرة؛ فإن لم يكن قادرًا لم يكن للإكراه اعتبار.

٧- أن يكونَ المكرَه؛ عاجزًا عن الدفاع عن نفسه؛ لا بمقاومة شخصيَّة، ولا باستفاثة، ولا بفرار؛ لأنَّه متىٰ استطاع أن يدفعَ عن نفسه بهذه الوسائل، ولم يفعل لا يعتبر مكرهًا.

٣- أن يكونَ ما يهدّدُ به في الإكراه ثمّا لا طاقة للمرء به؛ كالضّرب الشّديد؛ من قطع الأعضاء، الشّديد؛ من قطع الأعضاء، والتّحريق بالنّار، أو القتل فعلاً؛ لأنّ الذي نزلت بسببه آيات إعذار المكره وهو الصّحابيُّ الجليل عمّار ابن ياسر – رضى اللهُ عنهما – لم يقل ما قال

<sup>(\*)</sup> انظر فقه هذه الشُّروط باَدلَتها: 8 فتح الباري، ج١٢، ص ٣٩. و الأَشباه والنظائر، للسيوطي؛ ص ٢٠٠ و وبدائع الصنائع، ج٧، ص ١٧٠ و والمغني، ج٧، ص ١٢٠ والسيوطي؛ ص ٢٠٠ والمنائع، ج٧، ص ١٤٠ والسيوطي؛ ص ٢٠٠ والمنائع، للجبوري؛ ص ٤٤٠ والمالة المحتاج، للشافعي الصغير؛ ج٦، ص ٤٤٠ والاعراض الأهلية، للجبوري؛ ص ٤٧٠ والمرج في الشريعة، و و المركراه وأثره في عقود المعاوضات المالية، و و المركراه وأثره في عقود المعاوضات المالية، و المراهيم العروان؛ ص ٥٠ و و المركراه في الشريعة الإسلاية، و فضري أبو صفية؛ ص ٣٠ .

إِلاَّ بعد أَن قتلَ والديه، وكسرت أضلاعه، وعُذَّبَ في اللهِ عذابًا شديدًا؛ أمَّا الشتمُ والسَّبُّ، والصَّربُ الذي يتحمله الإنسانُ؛ فليس بإكراه.

\$ - أن يكون التهديدُ فعليًا، وليس مجرَّدَ إطلاق لفظيٌّ، وأن يغلِبَ على ظنِّ المكرَه؛ أنَّهُ إذا امتنعَ أُوقِعَ ما هدد به فورًا لا محالة، وقد رُفع السيّفُ فوق رأْسِهِ حتى يتحقق الإكراه، أي: أن تكون العقوبةُ عاجلةً لا آجلةً؛ فلو قال المكره للمكرة: إن لم تفعل كذا وكذا؛ سأقتُلك غدًا، أو بعده؛ لا يُعتبَرُ في هذه الحال مكرهًا.

ان تتعلَّق العقوبة ببدن المكرّه؛ لا بماله، أو ببدن غيره من أقاربه؛ فلو قيل له: إن لم تكفر؛ قتلنا أباك، أو أخاك، أو عذَّبناهما، أو أخذنا مالك وسلطانك؛ فليس له أن يكفر، ولا يعتبر مكرها؛ لأنَّ العقوبة لم تقع في حق نفسه.

٦- أن لا يظهر على المكرَه ما يدل على تماديه؛ فإن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها؛ فإذا أكره على قول، أو فعل مكفر؛ فلا يزيد على القدر الذي يزول به البلاء.

٧- أن يظهر إسلامه متى زال عنه الإكراه على الفور! فإن أظهره؛ فهو باق على إسلامه، والحمد لله، وإن أظهر الكفر واستمر به؛ حُكِم بكفره من حين نطقه للكفر، أو فعله.

فإذا اجتمعت هذه الشُّروط في المسلم المكره على قول الكفر أو فعله؛ كانَ الإكراه في هذه الحالة معتبرًا شرعًا، ولم يحكم بكفره؛ فحينئذ يجوز له القيامُ بما دُفع إليه بالتهديد، باعتباره في حالة ضرورة شرعيَّة؛ فيباحُ له عندئذ ما لا يُباح في ظروف غيره؛ من إظهارِ ما يخالفُ الدِّين، ولا يَاثم إِن نَطقَ بالكُفر أو فَعَلَه؛ لأَنَّ في هذه الحالة؛ ينعدمُ في الإنسان الرِّضا، ويفسئدُ الاختيارُ تمامًا، وتنتفي عنه الإرادةُ والقصد.

أمًّا ما دون ذلك؛ فيُدفعُ أعظمُ المفسدتين بارتكاب أدناهما؛ مثل حال نبيُّ الله شعيبُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - مع قومه، إذ خيروه بين العودة إلى الكفر، أو الخروج من قريتهم، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ قَالَ الْمَلَا الَّذِينَ اسْتَكُبُرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلِّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿ هُ فَكَ الْمُنْ عَلَى اللَّهِ كَذَبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ الْتُتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذَبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلْتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ لَنَا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ لَوَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَهُ إِنَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (١).

ففي هذه الحالة؛ لا يُكفّر المسلمُ الذي وقعَ منه الكفر! ما دامت الموافقةُ باللّسانِ، أو الفعلِ دون القلب، وعنده من الكراهية والبغض للكفر وأهله، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته؛ لأنّ القلب لا سلطان للمخلوق عليه، والإكراة ينال الجوارحَ فحسب! وليس ما تستقُّر به القلوب، وهذا شرطٌ لا بُدّ منه – عند أهل السُنّة والجماعة – ومجمعٌ عليه؛ لأنّهم يفرقون بين الرّضا الذي حقيقته طمأنينة القلب وانشراحه، وبين الاختيار الذي حقيقته مجرد تحقق القصد إلى إيقاع الفعل الظّاهر؛ سواء رضي عنه الفاعل حقيقته مجرد تحقق القصد إلى إيقاع الفعل الظّاهر؛ سواء رضي عنه الفاعل أمّ لا يرضى؛ فالرّضا بالكفر هو مناط التّكليف.

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨٨ – ٨٩.

قَالَ العلاَّمَةُ الشُّوكانيُّ - رحمهُ الله تعالىٰ - في قولهِ تعالىٰ :

( ﴿ وَلَكِن مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ أي: اعتقده، وطابت به نفسه، واطمأن إليه ).

وقالَ القاضي أبو بكر بن العربيِّ المالكيِّ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(وأَمَّا الكفرُ باللهِ؛ فذلك جائزٌ له - أي: المكرَه - بغير خلاف؛ على شرط أن يلفظ وقلبُهُ منشرحٌ بالإيمان؛ فإن ساعد قلبَه في الكفر لسانه كان آثمًا كافرًا؛ لأَنَّ الإكراة لا سلطان له في الباطن، وإنَّما سلطانه على الظَّاهر)(١).

وقالَ الإِمامُ ابن الجوزيِّ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية:

(﴿ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ ﴾ أي: ساكنٌ إِليه، راض به. ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ قال قتادة: مَن أتاه بإيثار واختيار . وقال ابن قتيبة: مَن فتح له صدره بالقبول . وقال أبو عبيدة: مَن تابعته نفسه، وانبسط إلى ذلك . يُقال: ما ينشرحُ صدري بذلك، أي: ما يطيب) (٢) .

وقالَ الإِمامُ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

( وأمَّا قوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو استثناء مَّن كفر بلسانه ، ووافق المشركين بلفظه مكرهًا ؛ لما ناله من ضرب وأذًى ، وقلبه يأبى ما يقول ، وهو مطمئنٌ بالإيمان بالله ورسُوله ) .

<sup>(</sup>١) «أحكام القرآن » ج٣، ص١١٧٩.

<sup>(</sup>٢) ٥ زاد المسير في علم التفسير ٥ ج٤ ، ص ٤٩٦ .

وقالَ شيخُ الإِسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( فَمَن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدًا لها عالمًا بأنَّها كلمةُ كفرٍ ؛ فإِنَّهُ يكفر بذلك ظاهرًا وباطنًا، ولا يجوز أن يقالَ : إِنَّهُ في الباطن يجوز أن يكونَ مؤمنًا، ومَن قالَ ذلك فقد مرق من الإسلام .

قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَثِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مِّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

معلوم أنَّهُ لم يُرِدْ بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط؛ لأنَّ ذلك لا يُكُره الرَّجل عليه، وهو قد استثنى من أكره ولم يُرِد مَن قال واعتقد؛ لأنَّهُ استثنى المكرة وهو لا يُكره على القول فقط؛ فعلم المكرة وهو لا يُكره على العقد والقول، وإنَّما يُكره على القول فقط؛ فعلم أنَّهُ أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، وأنَّه كافر بذلك، إلا مَن أكره وهو مطمئن بالإيمان، ولكن مَن شرح بالكفر صدرًا من المكرَهين فإنَّهُ كافر أيضًا؛ فصار كلُّ مَن تكلم بالكفر كافرًا إلاً مَن أكره، فقال بلسانه كلمة الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان) (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

<sup>(</sup>٢) «الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسُول ، ج٣، ص ٩٧٥ - ٩٧٦.

# • الأَخذُ بالعزيمةِ والصَّبْر؛ أُولَىٰ من الأَخذُ بالرُّخص:

فأجمع أهلُ السُّنَة والجماعة؛ على أنَّ مَن أُكْرِهَ على الكُفر - بالقول أو الفعل - فاختار الصَّبر حتَّى قُتِل؛ كان أعظم أجرًا عند الله - تبارك وتعالى - مَّن اختار الرُّخصة؛ لأنَّ الأصل في الدِّين هو الصَّبر والثَّبات على الحقّ، والإعذار بالتَّقية حالة عارضة لرفع الإثم والحرج فقط، وأنَّ الأخذ بالعزيمة له منزلة رفيعة عند الله - جلَّ في عُلاه - وأولى من الأخذ بالرُّخص، ولو كانت مُباحة.

قالَ الله - تبارك وتعالى - عن صبر أصحاب الأخدود على دينهم:

وَمَشْهُود وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَ الْيُومِ الْمَوْعُودِ وَ الْيَارِ ذَاتِ الْوَقُودِ وَ مَشْهُود وَ مَشْهُود وَ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ وَ مَشْهُود وَ مَنْ اللَّهُ الْأَخْدُودِ وَ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ وَ الْمُعْمُ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَ الْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَهُمْ عَلَى اللَّهُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ وَ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى الْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللْهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللْهُ الللْهُ الللْهُ اللللْهُ اللْهُ ا

وعن خبَّاب بن الأرَتِّ، قالَ: شَكُونا إِلَىٰ رَسُولِ عَلَيْ وَهُو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقالَ عَلَيْهُ:

<sup>(</sup>١) سورة البروج، الآيات: ١ - ١١.

« قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ؛ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ... (١٥٤٠).

وقالَ النَّبِيُ ﷺ : «سَيَّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَىٰ إِمَامٍ جَائِرٍ؛ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ »(١).

وقالَ الإمامُ البغويُّ، رحمهُ اللهُ: (وأجمعَ العلماءُ علىٰ أنَّ مَن أكره علىٰ كره علىٰ كره علىٰ كره علىٰ كلمةِ الكفر؛ يجوزُ له أن يقولَ بلسانه، وإذا قال بلسانه غيرَ معتقد لا يكون كفرًا، وإن أبى أن يقول؛ حتَّىٰ يُقتل كان أفضل)(٣).

وقالَ الحافظُ ابن بطَّال، رحمهُ اللهُ: (أَجمعوا علىٰ أَنَّ مَن أُكره علىٰ اللهُ علیٰ اللهُ علیٰ الكفر، واختار القتل؛ أنَّه أعظمُ أجرًا عند الله ثَمَن اختار الرُّخصة )(1).

 أمَّا مَن نَطَقَ بالكُفر، وقالَ: قصدتُ المزاحَ؛ فهو كافرٌ ظاهرًا وباطنًا؛ كما أجمع الأثمَّة على ذلك، إذ حُكم الكُفر يلزمُ الجادَّ، والهازلَ، والمازحَ، وفي حالِ مشاجرة، وفي حال غضب على السَّواء، وفي الآخرة أمرهم إلىٰ الله – جلَّ في عُلاه – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإكراه) باب (من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر».

<sup>(</sup>٢) أخرجه الحاكم في والمستدرك ع ج٣، ص١٩٥. وصحّحه الألباني في والسلسلة الصحيحة ع ج١، ص٢١٦ برقم (٣٧٤).

<sup>(</sup>٣) ومعالم التنزيل ٥: ج٥، ص٤٦.

<sup>(</sup> ٤ ) ﴿ فتح الباري ، ج٢ ١ ، ص٣٩٦ ( كتاب الإكراه ) .

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمةُ القرطبي، رحمه الله: ( فَوَصْفُهُ عَلَيْ هذا عن الأمم السالفة على جهة المدح لهم، والصبر على المكروه في ذات الله، وأنَّهم لم يكفروا في الظَّاهر، وتبطّنوا الإيمان؛ ليدفعوا العذاب عن أنفسهم، وهذه حجةُ مَن آثر الضرب، والقتل، والهوان على الرُّخصة) انظر: ٩ تفسير القرطبي، ج٠١، ص١٢٤. عند تفسير الآية (٢٠١) من سورة النحل.

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنبَّعُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَ لَا نَحُوضُ لا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَ لَا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَ لَا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ لا نَحْدُ وَلَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَ اللّهُ لَا اللّهُ مَا لَهُ اللّهُ مَا اللّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ وَنَ اللّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ وَلَا اللّهُ وَآيَاتِهِ وَاللّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ أَوْلَا أَلِهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ أَوْلَ اللّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ أَولَا مُعْرَفِقَ مُنكُمْ نُعَذَّبُ طَائِفَةً مَن طَائِفَةً مِنْ كُمْ نُعُذَبُ مُ اللّهُ مُورَاتُهُ وَلَا لَهُ مَا لَيْ فَلْ عَنْ طَائِفَةً مِنْ عَلَا لِهُ اللّهُ مَا لَا مُعْرَمِينَ ﴾ (١٠).

فلم يعذرهم الله تعالى بهذا العذر، مع أنَّهم كانوا خارجين في غزوة العسرة للقتال مع النَّبِيِّ عَلَيْ وقالوا تلك الكلمات على سبيل الهزل، وشغل الوقت في السَّفر! كما جاء في كُتبِ أسباب النُّزول.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ولهذا قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ولم يقل قد كذبتم في قولكم ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فلم يكذبهم في هذا العذر؛ كما كذبهم في سائر ما أظهروه من العذر الذي يُوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين؛ بل بيَّنَ أَنَّهم كَفَروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب)(٢).

وقالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( ومَن سبَّ الله تعالىٰ؛ كفر سواءً كان مازحًا، أو جادًا، وكذلك من استهزأ بالله تعالىٰ، أو بآياته، أو برسله، أو كتبه (٣).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ - ٦٦.

<sup>(</sup> ٢ ) « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ج٣ ، ص٩٦٣ - ٩٦٤ .

<sup>(</sup>۳) «المغنى» ج١٠ ص١١٣.

وقالَ القاضي أبو بكر بن العربيِّ المالكيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(الهزل بالكفر كفر! لا خلاف فيه بين الأُمَّةِ؛ فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الجهل والباطل) (١٠).

وقالَ العلاَّمةُ ابن الجوزي الحنبليِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(الجدُّ واللعبُ في إِظهارِ كلمةُ الكفر سواءٌ)(٢).

وقالَ الإمامُ النووي الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( والأَفعالُ الموجبة للكفرِ، هي التي تصدر عن عمد واستهزاء بالدين صريح)(٢).

وقالَ العلاَّمةُ الفقه ابن نجيم الحنفيُّ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(إِنَّ مَن تَكلَّمَ بَكلمةِ الْكفر هازلاً، أو لاعبًا؛ كفر عند الكلِّ، ولا اعتبار باعتقاده)(1).

<sup>(</sup>١) وأحكام القرآن ، ج٢، ص٩٦٤.

<sup>(</sup>٢) وزاد المسير في علم التفسير ٥ ج٣، ص٥٦٥.

<sup>(</sup>٣) ﴿ روضة الطالبين ﴾ ج ١٠ ، ص ٦٤ .

<sup>(</sup>٤) البحر الرايق شرح كنز الدقائق ، ج٥، ص١٣٤.

#### سادسًا- التَّقليدُ (\*):

• التَقليدُ: هو التزامُ المكلَّفِ مذهبَ غيرِهِ بلا حجَّةٍ! أي: هو قبول قول القائلِ من غير أن يعلمَ مستنده، ويتَّبع من لم يقم باتَباعه حجَّةٌ، ولم يستند إلىٰ علم.

إذن! التَّقليدُ هو اتِّباعُ المسلمُ غيره في حكمٍ شرعيٌ من غيرِ دليلٍ شرعيٌ، ولا اجتهادٍ في ذلكَ الحكم.

(\*) و التّقليدُ في اللّغة: هو من مصدر قلد، يُقلدُ، تَقليدًا؛ على وزن: فعلَ. وقلّدهُ المنصب؛ أي: أسنده إليه. وقلّده في كذا؛ أي: تبعه فيه من غير تأمَّلُ ولا دليل، ومنه أيضًا: قلّدته السّيفُ القيت حمالته في عنقه فتقلّده. ويستعمل في تفويض الأمر إلى الشّخص استعارة كأنَّهُ ربط الأمر بعنقه. ويُسمَّىٰ الشَّيء الحيط بالعنق قلادة، والجمع قلائد، وقلّدهُ القلادة: بعنى وضعها في عنقه. ومنه تقليد البدنة: أي: يجعل في عنقها شيعًا يعلم أنَّهُ هدي، قال تعالىٰ: ﴿ ولا الهدي ولا القلائد ﴾ فكأن المقلّد جعل الحكم الذي قلّد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلّده. والتقليدُ يستعمل لمعان عديدة ذات دلالات سلبية وأشهرها: الانقياد، والخضوع بلا اختيار، والاتباع من غير نظر ولا روية، والمحاكاة العمياء؛ كما يقال: ﴿ قلّد القرد الإنسان! أي: حاكاه وتشبه به ﴾ انظر: «لسان العرب» ج٣، ص٣٦٧. و«الإحكام» وه مختار الصحاح» ص٤٨٥. و«إرشاد الفحول» للشوكاني؛ ص٥٦٦. و«الإحكام» للآمدي؛ ج٤، ص٢٦٠.

والقرعية. أو هو آخذ القول من غير معرفة دليله، أو قبول قول الغير من غير حجة ملزمة والفرعية. أو هو آخذ القول من غير معرفة دليله، أو قبول قول الغير من غير حجة ملزمة ومعلومة، أو قول بلا حجّة. أو اتباع قول من ليس قوله حُجّة. أو اعتمادُ على رأي الغير، أو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، أو قول الغير في الأحكام الشّرعيّة من غير دليل على خصوصية ذلك الحكم؛ على إختلاف في عبارات. وملخصه هو: التزام المكلف في حكم شرعيّ مذهب من ليس قوله حجّة في ذاته. أي: هو أن يتبع المسلم غيره في قول، أو فعل، أو اعتقاد، أو سلوك من غير دليل، ولا نظر، ولا تأمل، ودون إدراك ووعي) انظر: «إرشاد الفحول» للشوكاني؛ ص٢٦٥. و«الإحكام» لابن حزم؛ ج٢، ص٢٦٥.

أي: كلُّ مَن اتَّبعت قولَهُ! من غير أن يجب عليك قولُه دليلٌ شرعيٌ يوجبُ ذلك القول؛ فأنت مقلِّده تقليدًا أعمىٰ! في الحقِّ والباطل، وفي الصَّوابِ والخطأ.

والتَّقليدُ بهذه الصُّورةِ هي صفةٌ سلبيةٌ لا تقع إِلاَّ من الجانبِ الضَّعيفِ، وغيرِ مقبولٍ في دين اللهِ تعالىٰ، وهي صفةُ نقصٍ!

ولا خلافَ بين أهل العلم أنَّ التَّقليدَ ليس بعلم، وأنَّ المقلِّد لا يُطلق عليه اسمُ عالم، ولا يجوزُ له أن يُفتي؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بسؤال العُلماء وأهل العلم! ومن شروط الفتوى العلم بأدلَّة العلوم الشَّرعيَّة، والتَّقليدَ لا يكون إلاَّ مع عدم معرفة الدَّليلِ الشَّرعيَّة.

ولقد ذمَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - التَّقليدَ الأَعمىٰ والتَّعصُّبَ الذَّميم، ونهىٰ عنهما، وحرَّمهما في كثير من الآياتِ، فقالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿ يَكُ ۚ قَالَ أَو

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠. (٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمًا وَجَدتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولاً ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠).

• أَمَّا الاتِّبَاعُ: فهو الأَخذُ من الدَّليلِ الشَّرعيِّ والانقيادُ لَهُ، وهو مبنيٌّ على الحجَّةِ والدَّليلِ، وليسَ لأَقوالِ الأَشخاصِ. أي: هو القولُ، أو العملُ الذي أوجبه الدَّليلُ الشَّرعيُّ.

والاتّباعُ: هو الأصلُ في الدّينِ؛ لأنّهُ عملٌ بالوَحْيَيْنِ الشّريفينِ، وهو اتّباعُ ما أنزل اللهُ تعالىٰ؛ أمَّا التّقليدُ فهو حالةٌ مستثناةٌ من الأصل(\*).

والمسلمون يُقسمون إلى ثلاثة أقسام؛ إمَّا مجتهد، أو مقلِّد، أو متَّبع، والمقلِّد ليسَ عنده قدرة على البحث والنظر، أمَّا المتَّبع؛ فإن لم يكن عنده القدرة على الاستقلال في البحث وفهم الأدلَّة واستنباط الأحكام منها كالمجتهد؛ إلاَّ أنَّه يستطيع في الوقت نفسه فهم الحجَّة ومعرفة الدليل.

<sup>(</sup>١) سورة الزخرف، الآيتان: ٢٢ – ٢٤. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

<sup>( \* )</sup> قالَ الإمامُ ابن القيم، رحمهُ اللهُ: ( وقد فرَّق أحمد بن حنبل بين التَّقليدِ والإِتَّباع، فقال أَبو داود: سمعته يقول: الإِتِّباع أَن تتَّبعَ الرَّجلَ ما جاء عن النَّبِيِّ عَلَيْ وعن أصحابه، ثمَّ هو من بعد في التَّابِعين مخيِّرٌ) « إعلام الموقعين ٤ ج٣ ، ص١٧٣ .

فإذا اتَّبعَ المسلمُ أَتُمَّة العلم المعتبرين - فيما تابعوا فيه النَّبِيّ عَلَيْكُ وانقادُوا للأَدلّةِ - فيُعدُ مُتَّبعًا لا مقلّدًا؛ لأنّهُ أخذ أقوال الأثمّة لدلالة الأدلّة عليها؛ فيعدُ هذا اتّباعًا للأدلّة لا لأقوالهم؛ بل هو اتّبعَ ما معهم من البرهان السّاطع، وهو الدّليلُ الشّرعيُ (\*).

( \* ) قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمهُ اللهُ : ( جميع ما تقوله الأثمَّة شرحٌ للسُّنَّةِ، وجميعُ السُّنَّة شرحٌ للقرآنِ) انظر: ه الإتقان في علوم القرآن ، للسُّيوطيِّ: ج٤ ، ص٢٢.

وقالَ الحافظُ ابن رجب الحنبلي، رحمهُ اللهُ: ﴿ فَاقْتَضِتَ حَكُمةَ الله - سبحانه - أَن ضبطَ الدين وحفظه ؛ بأن نصب للنَّاس أثمَّة مجتمعًا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث؛ فصار التَّاس كلهم يعولون في الفتاوي عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم، وأقامَ اللهُ مَن يضبطُ مذاهبهم ويحرر قواعدهم؛ حتى ضبط مذهب كل إمام منهم، وأصوله وقواعده وفصوله؛ حتىٰ ترد إلىٰ ذلك الأحكام ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لطف الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين، ولولا ذلك: لرأى النَّاس العجاب من كلُّ أحمق متكلف معجب برأيه جريء على النَّاس وثاب؛ فيدعى هذا أنَّهُ إِمام الأَكْمَة ، ويدعى هذا أنَّهُ هادي الأمَّة ، وأنَّهُ هو الذي ينبغي الرُّجوع دون النَّاس إليه، والتعويل دون الحلق عليه. ولكن بحمد الله ومنته انسد هذا الباب الذي خطره عظيم وأمرة جسيم، وأن حسمت هذه المفاسد العظيمة وكان ذلك من لطف الله تعالى لعباده وجميل عوائده وعواطفه الحميمة. ومع هذا فلم يزل يظهر من يدعي بلوغ درجة الاجتهاد! ويتكلم في العلم من غير تقليد لأحد من هؤلاء الأثمة ولا انقياد؛ فمنهم من يسوغ له ذلك لظهور صدقه فيما ادعاه، ومنهم مَن رد عليه قوله وكذب في دعواه، وأمَّا سائر النَّاس عمن لم يصل إلى هذه الدرجة؛ فلا يسعه إلا تقليد أُولئك الأثمَّة، والدُّخول فيما دخل فيه سائر الأمَّة ) انظر: « الرَّدُّ على مَن اتَّبع غير المذاهب الأربعة ي .

وقال إمامُ الحرمين الجويني، رحمه الله: (أجمع المحققون! على انَّ العوام؛ ليس لهم أن يتعلقوا بمذاهب أعيان الصَّحابة - رضي الله عنهم - بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة؛ الذين سَبَروا ونظروا، وبوئبوا الأبواب، وذكروا أوضاع المسائل، وتَعَرَّضوا للكلام على مذاهب الأولين، والسبب فيه أن الذين دَرَجُوا، وإن كانوا قدوة في الدين، وأسوة للمسلمين؛ فإنَّهم لم يتفننوا بتهذيب مسالك الاجتهاد وإيضاح طرق النظر والجدال وضبط المقال، ومن خلفهم من أثمَّة الفقه كَفَوا من بعدهم النظر في مذاهب الصَّحابة؛ فكان العامئ مأمورًا باتباع مذاهب السَّالين) والبرهان في أصول الفقه، ح٢، ص١١٤٦. قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : « إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ ؛ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُنْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً ! فَسُبُلُوا فَأَفْتَوْ البِغَيْرِ عِلْمٍ ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (١) .

والاتباعُ؛ هو العلمُ الصَّحيحُ، والحجَّةُ في دينِ الإسلام؛ لأَنَّ الاتِّباعَ هو قولُ اللهِ تعالىٰ، وقولُ رسُوله الأَمين محمَّد عَلَيْ وقولُ الصَّحابةِ الكرام، وما سوىٰ ذلك يُسمَىٰ تقليدًا(\*)، وقد دلَّتْ آياتٌ كثيرةٌ على وجوبِ الاتِّباع.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (``.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُو ﴾ (٣). وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب العلم) باب ٥ كيف يقبض العلم ٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٣. (٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٦.

<sup>(</sup>٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمةُ محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ، رحمهُ اللهُ: (اعلم! أَنَّ ثُمَّا لا بُدُّ منه معرفة الفرق بين الاتباع والتقليد، وأنَّ محل الاتباع لا يجوز التقليد فيه بحال، وإيضاح ذلك: أنَّ كلَّ حكم ظهر دليله من كتاب الله، أو سُنَّة وسوله عَلَيْ أو إجماع المسلمين؛ لا يجوز فيه التقليد بحال؛ لأنَّ كلَّ اجتهاد يخالف النص؛ فهو اجتهاد باطل، ولا تقليد إلاَّ في محل الاجتهاد؛ لأنَّ نصوص الكتاب والسنَّة حاكمة علىٰ كلَّ الجتهدين؛ فليس لاَحد منهم مخالفتها كائنًا مَن كان ولا يجوز التقليد فيما خالف كتابًا، أو سنَّة، أو إجماعًا؛ إذ لا أسوة في غير الحق؛ فليس فيما دلِّت عليه النصوص إلاَّ الاتباع فقط، ولا اجتهاد ولا تقليد فيما دلَّ عليه نص؛ من كتاب أو سنَّة سالم من المعارض، والفرق بين التقليد والاتباع أمرٌ معروف عند أهل العلم ، لا يكادُ ينازع في صحة معناه أحدٌ من أهل العلم ) انظر: «أضواء البيان» ج٧، ص٧٤٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـٰذَا بَصَـَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وهُدًى وَرَحْمَةٌ لَقَوْم يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمُ ﴾ (١٥٠٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣. (٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥. (٤) سورة الزمر، الآية: ٥٥.

<sup>(\*)</sup> قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي، رحمه الله: (أن شروط المجتهد التي يشترطها الأصوليون؛ إنّما تشترط في الاجتهاد، وموضع الاتباع ليس محل الاجتهاد؛ فبعل شروط المجتهد في المتبع مع تباين الاجتهاد والاتباع، وتباين مواضعهما خلط وخبط كما ترى، والتحقيق أنَّ اتباع الوحي لا يشترط فيه إلاَّ علمه بما يعمل به من ذلك الوحي الذي يتبعه، وأنَّه يصح علم حديث والعمل به، وعلم آية والعمل به، ولا يتوقف ذلك على تحصيل جميع شروط الاجتهاد؛ فيلزم المكلَّف أن يتعلم ما يحتاج إليه من الكتاب والسنَّة، ويعمل بكلِّ ما علم من ذلك؛ كما كان عليه أوَّل هذه الأمَّة من القرون المشهود لها بالخير) «أضواء البيان» ج٧، ص٥٥، وقال – أيضًا – رحمه الله: (والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله على وعامة المسلمين؛ أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنَّة رسُول الله على عال من الأحوال بوجه من الوجوه؛ حتى يقوم دليلٌ صحيح شرعيَّ صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح) انظر: «أضواء البيان» يقوم دليلٌ صحيح شرعيَّ صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح) انظر: «أضواء البيان»

### • أقسامُ التَّقليد وأحكامه:

العالم: الذي عنده أهلية الاجتهاد، ويتبين له الحق بالأدلّة الشّرعيّة الثّابتة؛ فهذا لا يجوز له البتّة! تقليد من خالفه فيما وصل إليه بالاستدلال؛ بإجماع أهل العلم.

٢- طالب علم: الذي توافرت فيه أهلية الاجتهاد؛ لا يجوز له تقليد غيره من الأئمة المجتهدين فيما ذهبوا إليه بأنّه هو الراجح؛ قبل أن يصل إليه باحتهاده إلى الحكم الشّرعيّ، وذلك لقدرته على الوصول إلى الحكم بنفسه؛ لأنّه مكلّف شرعًا بالاجتهاد ليعرف ما كلّفه الشّرعُ به.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٢٠).

٣- العاميُّ: الذي يعجزُ عن معرفةِ الأحكامَ وطرق استنباطها من الأَدلَّةِ الشَّرِعيَّةِ؛ فيجوزُ له بالإجماع! تقليدُ مَن توافرت فيه أهلية الاجتهاد من أهل العلم، وذلك لرفع الحرج من الأُمَّةِ، ولصيانة المسلم عن التخبطِ في النُّصوص الشَّرعيَّةِ وأحكامها، والقولُ علىٰ الله تعالىٰ بغير علم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذُّكُر إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَيْكُ عَنْ الَّذِينَ تسببوا في قتل مسلم بفتوى خاطئة:

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ) باب ه الاقتداء بسُّنن رسول الله عَلَيْكَ ».

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

<sup>(</sup>٤) سورة النحل، الآية: ٤٣. وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

« قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ! أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ » ( ` ` .

٤ - تقليدُ الأعمىٰ: الذي يخالف الشَّريمة الإسلاميَّة؛ اتَّباعًا للهوىٰ! من تقليد الآباء، والسَّادة، ومشَّايخ الطُّرق، والاَحكام العصبية، أو تقليد الكَفَّار؛ فهذا النوع من التَّقليدِ محرمٌ بالإجماع، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَلا وَرَبُكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكَّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مُمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِـمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبينًا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدُّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿ كَ خَوهُهُمْ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿ يَوْمَ تُقَلِّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا اللَّهُ وَاللَّهُ الرَّسُولا ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا إِنَّا اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا عَنَا كَبِيرًا ﴾ (٥٠). الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٥٠).

<sup>(</sup>١) رواه أبو داود في (كتاب الطهار) باب « في المجرُوح يَتَيَمُّمُ ، وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٦٥. (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

 <sup>(</sup>٤) سورة النور، الآية: ٦٣.
 (٥) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤ – ٦٠.

### • أنواعُ التَّقليد:

التَّقليدُ - عند أَثمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة - نوعان: تقليدٌ مباح، وتقليدٌ ممنوعٌ ومذموم (\*).

### ١ - التَّقْلِيدُ الْمُبَاحِ:

يكون في حقّ العاميّ الذي لا يعرف طُرق الأَحكام الشّرعيّة، ويعجزُ عن معرفتها، ولا يمكنه فهمُ أدلّتها.

ومثل ذلك: تقليد العامي - الجاهل بالشُّرع - عالمًا معتبرًا عُرف بالعلم

( والتحقيق: أنَّ التقليد منه ما هو جائز، ومنه ما ليس بجائز، ومنه ما خالف فيه المتأخرون المتقدُّمون من الصحابة وغيرهم من القرون الثلاثة المفضلة . . . أمَّا التقليد الجائز الذي لا يكاد يخالف فيه أَحدٌ من المسلمين؛ فهو تقليد العامي عالمًا أهلاً للفتيا في نازلات نزلت به، وهذا النوع من التقليد كان شائعًا في زمن النَّبِيُّ عَلِيَّةً ولا خلاف فيه؛ فقد كان العامي يسأل من شاء من أصحاب رسول الله عَلَيْ عن حكم النازلة تنزل به؛ فيفتيه فيعمل بفتياه، وإذا نزلت به نازلة أخرى لم يرتبط بالصحابي الذي أفتاه أولاً ؛ بل يسأل عنها من شاء من أصحاب رسول الله عَن ثمَّ يعمل بفتياه . . . وأمَّا ما ليس من التقليد بجائز بلا خلافٍ ؟ فهو تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده؛ مجتهدًا آخر يرى خلاف ما ظهر له هو، للإجماع علىٰ أنَّ المجتهد إذا ظهر له الحكم باجتهاد لا يجوز له أن يقلد غيره المخالف لرأيه، وأمَّا نوعُ التقليد الذي خالف فيه المتأخِّرون الصِّحابة وغيرهم من القرونِ المشهودِ لهم بالخير؛ فهو تقليدُ رجل واحد معيَّن دون غيره من جميع العلماء؛ فإنَّ هذا النوع من التقليد، لم يرد به نصٌّ من كتاب وسنَّة، ولم يَقُل به أحدٌّ من أصحاب رسول الله عَلَى ، ولا أَحَدٌ من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير وهو مخالفٌ لأقوال الأثمَّة - رحمهم الله -فلم يقل أحدٌ منهم بالجمود على قول رجل واحد معيَّن دون غيره من جميع علماء المسلمين؛ فتقليدُ العالم المعيَّن من بدع القرن الرابع، ومن يَدَّعي خلاف ذلك فليعيِّن لنا رجلاً واحدًا من القرون الثلاثة الأولى التزم مذهبَ رجل واحد معيَّن، ولن يستطيعَ ذلك أبدًا؛ لأنَّه لم يقع البتَّة ) انظر: «أضواء البيان » ج٧، ص٨٨٠.

<sup>( \* )</sup> قالَ العلاَّمةُ الأُصولي المفسّر محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

والاجتهاد من أهل الدّين والصّلاح من علماء أهل السّنّة والجماعة الثّقات في مسألة من مسائل الدّين، أو نازلة نزلت به، وهذا النوع من التقليد جائز، ولا خلاف في ذلك بين أهل العلم، وكان معروفًا حتىٰ في زمن النّبيّ عَيْكُ ولكن هذا لا يمنع العاميّ أن يطلبَ من مفتيه الدليل؛ لأنّ من حقّه أن يستوثق من الأمر الذي سيدينُ لله تعالىٰ به، وحتىٰ تطمئن نفسه ويستأنس به، ولائم لا يجوز التقليد بأي حالٍ من الأحوال في مسألة ظهر دليلها من الكتاب والسنّة، أو من إجماع الأمّة، ولأنّ كلّ اجتهاد يخالف النصّ! فهو اجتهاد باطل، إذ لا اجتهاد ولا تقليد فيما دلّت عليه النصوص الشرعيّة الصّعيحة.

وهذا النوع من التقليد يقوم على اتّباع الدليل الشّرعي، وهو ما عبّر عنه بعض العلماء بالاتّباع؛ إذ العامي لا يتّبع شخصًا لقوله؛ بل يتّبع دليله الشّرعي، ولا خلاف في جواز هذا النوع من التقليد.

فإذا جاز هذا النوع من التقليد للعامي؛ فإنّه لا يجب عليه أن يقلد مذهبًا بعينه في كلّ المسائل؛ فإنّ الحقّ ليس محصورًا في مذهب واحد من المذاهب الإسلاميّة المعتبرة؛ بل عليه أن يتحرّى الحقّ ويتّبع الأقرب للصّواب، ويتّقي الله تعالى ما استطاع ذلك؛ فمتى ظهر له أنّ الحقّ في خلاف مذهبه! وجب عليه الرجوع إلى الحقّ والتّسليم له؛ لأنّ العمل بالأدلة الشّرعيّة هو الاتباع المأمور به شرعًا؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ اتّبِعُوا مَا أَمُور به شرعًا؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ اتّبِعُوا مَا أَنْزِلَ إِلَىٰ كُمْ مِنْ رَبّكُمْ وَلاَ تَتَبّعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكّرُونَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ٣.

وفي مقابل ذلك ! لا يجوز مطلقًا التنقلُ بين المذاهب تتبعًا للرُّخَص، وبحثًا عن الأسهل على النَّفس، وأقرب لهوى وغرضه؛ فإنَّ ذلك من التَّلفيق المذموم والمنهي عنه شرعًا؛ لأَنَّ تَتبُّعَ الرُّخَصِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيًّ، أَوْ تَقْلِيدٍ لِعَالِمٍ مُعْتَبَرٍ ؛ يُؤَدِّي إلى التَحَلُّلِ من رِبْقَةِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ، وهو عَمَلٌ بالهوى من دُونَ دليلٍ، وخُصوصًا مَنْ كانَ هذا العمل دَيْدَنَهُ في مسائل الخلاف.

قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(والذي عليه جماهير الأُمَّة: أَنَّ الاجتهادَ جائزٌ في الجملة، والتقليد، ولا جائزٌ في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كلِّ أَحدٍ ويُحرِّمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كلِّ أَحدٍ ويُحرِّمون الإجتهاد، وأَنَّ الاجتهاد جائزٌ للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائزٌ للعاجز عن الاجتهاد.

فأمًّا القادرُ على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلافٌ، والصحيح أنَّه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إمَّا لتكافؤ الأدلَّة، وإمَّا لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإمَّا لعدم ظهور الدليل له؛ فإنَّه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه، وانتقل إلى بدله وهو التقليد، كما لو عجز عن الطهارة بالماء.

وكذلك العاميُّ؛ إِذَا أمكنه الاجتهاد في بعض المسائل؛ جاز له الاجتهاد. فإِنَّ الاجتهاد منصبٌ يقبلُ التَّجزِّي والانقسام، فالعبرة بالقدرة والعجز)(١).

<sup>(</sup>١) «مجموع الفتاوي » ج٢٢، ض ٣٤٩.

وقالَ الحافظُ ابن عبد البر - رحمه الله - بعد كلام نفيس في ذمّ التقليد والتشنيع على أهله في كتابه القيّم و جامع بيان العلم وفضله»:

(وهذا كله لغير العامّة؛ فإنَّ العامَّة لا بُدَّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنَّها لا تتبيَّن موقع الحجَّة، ولا تصل – لعدم الفهم – إلى علم ذلك، لأنَّ العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلها إلاَّ بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامَّة وبين طلب الحجة. ولم يختلف العلماء أنَّ العامَّة عليها تقليد علمائها، وأنَّهم المرادون بقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وأجموا على أنَّ الأعمىٰ لا بُدَّ من تقليد غيره بمن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه؛ فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنىٰ ما يدين به لا بُدَّ من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أنَّ العامَّة لا يجوز لها الفتوىٰ، وذلك – والله أعلم – لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم، والقول في العلم)(٢).

وقالَ الإمامُ ابن قدامة المقدسيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وأمَّا التَّقليدُ في الفروع؛ فهو جائزٌ إِجماعًا! فكانت الحجَّة فيه الإجماع، ولأنَّ المجتهد في الفروع؛ إمَّا مصيبُ، وإمَّا مخطىء مأثوم؛ بخلاف ما ذكرناه؛ فلهذا جاز التقليد فيها، بل وجبَ علىٰ العاميً ذلك ... والإجماع منعقد علىٰ تكليف العاميّ الأحكام، وتكليفه رتبة

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

<sup>(</sup>٢) « جامع بيان العلم وفضله ، ج٢، ص٩٨٩. باب ( فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع).

الاجتهاد يؤدي إلى انقطاع الحرث والنسل وتعطيل الحرف والصنائع؛ فيؤدي إلى خراب الدُّنيا؛ ثمَّ ماذا يصنع العاميِّ إذا نزلت به حادثة إن لم يثبت لها حكم إلى أن يبلغ رتبة الاجتهاد؛ فإلى متى يصير مجتهدًا، ولعله لا يبلغ ذلك أبدًا؛ فتضيع الأحكام! فلم يبق إلاَّ سؤال العلماء)(١).

وقالَ إِمامُ أَهِلِ السُّنَّةِ أَحِمد بن حنبل، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لاَ يَرَىٰ التَّقْلِيدَ، وَلاَ يُقَلِّدُ دِينَهُ أَحَدًا؛ فَهُوَ قُول فَاسِق عنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ) (٢٠).

وقالَ العلاَّمةُ محمَّد الأمين الشَّنقيطيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(لا خلاف بين أهل العلم في أنَّ الضَّرورة لها أحوال خاصة تستوجب أحكامًا غير أحكام الإختيار؛ فكل مسلم أجاته الضَّرورة إلى شيء إلجاء صحيحًا حقيقيًا؛ فهو سعة ما أمره ... وبهذا تعلم أنَّ المضطرَ للتقليد الأعمى اضطراراً حقيقيًا؛ بحث يكون لا قدرة له البتَّة على غيره، مع عدم التفريط، لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، أو له قدرة على الفهم قد عاقته عوائق قاهرة عن التعليم، أو هو في أثناء التعليم ولكنَّهُ يتعلم تدريجًا لأنَّهُ لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفئًا يتعلم منه، ونحو ذلك! فهو معذور في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنَّهُ لا مندوحة عنه، أمَّا القادر على التعلم المفرط فيه، والمقدم آراء الرجال على ما علم من الوحي؛ فهذا الذي ليس بمعذور) (٢٠).

<sup>(</sup>١) انظر: «روضة الناظر»» ج١، ص٣٨٣ - ٣٨٤.

<sup>(</sup> ٢ ) «طبقات الحنابلة » » لابن رجب الحنبلي: ج١ ، ص٣١ .

<sup>(</sup> ٣ ) انظر: «القول السَّديد في حقيقة التقليد » ص٧٧ -

## ٧ - التَّقْلِيدُ الممنوع والمذموم:

هو اتّباعُ قولِ الغير من غيرِ معرفةِ دليلهِ الشَّرعيِّ، والتَّعصُّبُ لهُ، وإِن ظهر له الحقُّ من الوحيين الشَّريفين؛ ما يخالف مذهبه الذي يقلَّده، ومع ذلك يصرُّ على تقليد مذهبه فيما خالف الدَّليلَ الشَّرعيُّ الثَّابت.

ومثل ذلك: الشَّخص الذي يُقلِّدُ عالمًا بعينهِ، لم يعرف دليله بحيث لا يخرجُ عن أقوالهِ أو أفعاله؛ حتى لو ثبت له عكسُ ذلك بالآدلَّةِ الشَّرعيَّة الواضحة، فيُصرُّ على تقليده متمستَّكًا بأقواله؛ طارحًا قول غيره ممَّا تعضده الأدلَّة الشَّرعيَّة الصَّحيحة من الكتاب والسُّنَّة النبويَّة، وإجماع سلف الأُمَّة.

وهذا النوع من التقليد مذموم وممنوع ومحرَّم شرعًا بالاتّفاق، وهو يدلُّ علىٰ نقص في العقل أو سفه فيه، وقلَّة في العلم والدِّين؛ لأنَّه يقوم علىٰ الجهل المركب، والتعصب المقيت، والانقياد الأعمى بدون فهم الدليل الشَّرعي والرجوع إليه، وإلىٰ أهله من العلماء المجتهدين العاملين بعلم السَّلف الصَّالح، ويكون صاحبه متعصبًا لمن يُقلِّده.

ولا خلاف بين أهل العلم؛ أنَّ التقليدَ ليس بعلم ! بأيِّ صوره، وأنَّ المقلدَ لا يطلق عليه اسم عالم ولا طالب علم، ولا يجوز له أن يَفتيَ البتَّة ؛ لاَنَّه غير عالم بالشَّرع! والله تعالىٰ أمرنا بسؤال العلماء.

ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يتعصَّب لمذهبه، وادّعاء أنّه لا يجوز الانتقال عنه، وأنّ إمامه على الصواب المطلق! وغيره على خطا، أو هو في أعلى درجات الكمال، وأنّ آراءه وأقواله هي الشّريعة، ويجب على الجميع اتباعه؛ لأنّه أفضل من غيره وأعلم، وأن نوالي ونعادي ونخاصم فيه، أو تنزيل الإمام المتبوع في اتّباعه منزلة النّبِيّ عَيْقَةً في أُمّته.

فأنَّ كلَّ هذه الأعمال من الجهل والضَّلال، وهو من شأْن أهل البدع والأهواء، وأهل الجاهلية؛ الذين يُنصِّبون لهم شخصًا، أو كلامًا يدعون إليه، ويوالون به، ويعادون عليه، وهو – أيضًا – من الاختلاف المذموم، والذي يؤدِّي إلى الخروج عن جماعة المسلمين، وتفريق كلمتهم، وصفوفهم وضعفهم، وإيقاد نار العداوة والبغضاء بينهم.

والموقف الصحيح في هذه المسألة؛ هو احترام جميع علماء الأمّة المعروفين بتمستُكهم بالسّنّة وحُسن المعتقد والعلم والعمل، وموالاتهم، ومحبتهم، وتعظيمهم، وإجلالهم، والثناء عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى، والانتفاع من مذاهبهم واجتهاداتهم وكتبهم، وأخذُ العلم عنهم دون التعصبُ لهم؛ لأنّهم ليسوا معصومين من الخطأ؛ إذ كلُّ عالم يُخطئ ويُصيبُ، والخطأ مردودٌ على صاحبه مع بقاء فضله وقدره ما دام مجتهدًا؛ فهم معذورون ومأجورون، لا يلحقهم ذمّ ولا عيب ولا نقص في ذلك.

والمذاهبُ الفقهيَّة الإسلاميَّةُ المعتبرة والمتَّبعة؛ هي ثروةٌ فقهيةٌ ثمينةٌ عظيمةٌ جليلةٌ؛ غزيرةٌ بالعلم، وغنيَّةٌ بالفقه، ومفيدةٌ للعقلِ؛ علينا أن ندرسَها، ونستفيدَ منها، ومن اجتهاداتها واستنباطاتها القيمة والرائعة، ولا نتعصب لها، ولا نردُها مجملاً، ونتجنَّب ضعيفها وسقيمها وباطلها، وناُخذ منها الحقَّ والصوَّابَ على ضوء الأدلَّةِ الشَّرعيَّة؛ لأنَّ هذه المذاهب قد حُرِّرَت وحُفظت، وخُدمت أكثر من ألف سنة، ودُونَ فيها المؤلفات؛ بأن قيض الله تعالىٰ لها مجتهدون عظام، وأثمَّة كرام؛ حفظوها وحرروا مسائلها دون غيرها من المذاهب. وكذلك أنَّ اجتهادات الأئمَّة الكرام أصوب من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنهم كانوا أكثرُ علمًا وتقوىٰ بإجماعُ الأُمَّة.

فيجب على كلّ مسلم - يؤمن بالله واليوم الآخر - البُعد عن التعصُّبِ الدُميم لمذهب أو لجماعة، أو لرجل - حيًّا كان أو ميِّتًا - وتقديمهم علىٰ النُصوص الشرعيّة وإجماع الأمّة؛ فلا ينبغي للمسلم هذا العمل؛ لأنّه من خصال أهل الجاهلية! فهو تعصُّبٌ مذمومٌ وباطلٌ، ومحرمٌ بالإجماع (\*).

<sup>( \* )</sup> فاعلم أخي المسلم! أنَّ أَتُمَّةُ الإسلام قاطبة ، والآثمَّة المجتهدون؛ جميعهم كانوا ينهونَ عن التقليد الأعمى بكل أشكاله وصوره؛ لأنَّ التقليد من أحد أهم أسباب ضعف المسلمين والتنازع بينهم، وذهاب شوكتهم! والخيرُ كلُّ الخيرٌ في الوحدة والاتِّباع، والرجوع في الخلاف إلى قول الله تعالى، وقول رسوله على وإجماع الأمَّة، ولذلك لم نَرَى الصُّحابة الكرام - رضي الله عنهم - يقلُّدون أحدًا منهم بعينه في جميع المسائل! وكذلك الأثمَّةُ الأربعةُ العظام؛ أبو حنيفةُ ومالكٌ والشَّافعيُّ وأحمد - رحمهمَ الله - لم يأمرُوا بالتقليد الأعمىٰ أبدًا! بل نهوا عن ذلك بكلِّ شدة، ولم يتعصُّبوا هم لآراثهم البُّقة، وكانوا يتركون آرائهم وأقوالهم لحديث رسول الله عَيُّ إذا تبث لديهم وصح، وكانوا ينقادون له بلا تردُّد، ويتبعونه بكلُّ حذافره، وكانوا ينهون غيرهم عن تقليدهم دون معرفة أدلَّتهم الشَّرِعيَّة، وذلك لأنَّهم كانوا أثمَّة الهدى، ومصابيح الدُّجي، وأثمة الدِّين والعلم والعمل، وكانوا يعلمون مقاصد الشُّريعة الغراء وأصوله وقواعده حقًّا؛ فلا يليق بهم التعصُّب أبدًا! لأَنَّ الاجتهادَ منزلةٌ رفيعةٌ جليلةٌ كريمةٌ عزيزةٌ! لا ينالها إِلاَّ مَن أُوتي حظًّا وافرًا من العلم والعمل، والعلم بذاته شرف لأهله وسعادة؛ ينفى عنهم التعصب بكل أنواعه الذميم، ويُخرجهم منه إلى الحقّ المبين، والمنهج القويم، والصّراط المستقيم، وهدي النَّبيّ الكريم، ويرفع درجاتهم عند رَبِّ العالمين؛ فيدخُلهم جنَّات النَّعيم، فينالون بالعلم النبويِّ خيريٍّ الدُّنيا والآخرة، ولذلك نَرَىٰ أَنَّ جميعَ أَثمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة قاطبة - رحمهم الله -كانوا يتمسَّكون تمسُّكاً شديدًا بسُّنَّة النَّبِيِّ عَلَى وهديه الكريم في كلُّ صغيرة وكبيرة، ويردُّون كلُّ قول يخالف السُّنَّة، وجميعهم متَّفقون علىٰ منع تقليدهم. ومن المفيد – أخي القارئ - أنْ نسوق بعض أقوالهم في النهي عن التقليد المذموم:

<sup>•</sup> قال الإمام أبو حنيفة، رحمه الله: (إذا صحَّ الحديثِ فهوِ مذهبي).

وقال: ( لا يحل لأحد أن ياخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ).

وقال الإمام مالك، رحمه الله: (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما
 وافق الكتاب والسئنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسئنة فاتركوه).

## • هل يكون التَّقليدُ عذرًا شرعيًّا؟

\* ذهب جمهورُ أَثَمَّة أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ إلى جواز التقليد في العقائد والأحكام للعامي؛ الذي يعجز عن فهم الحجَّة، والنظر والاستدلال. ويحرمُ التَّقليد على العالم، أو طالب العلم الذي يستطيعُ النظر والاستدلال؛ إذا اجتهد وبان له الحقُّ في المسألة أن يقلِّد غيره، سواءٌ كان ذلك في العقائد أو الأحكام؛ لورود الأدلَّة في ذمِّ التقليد والمقلِّدين.

\* واتفقّوا - أيضًا - على أنَّ التقليدَ من موانع التكفير؛ لأنَّ المقلِّد جاهلٌ لا يفهم الدليلَ أو الحجَّة، ولا بصيرةَ له ولا فقه؛ فهو معذورٌ حتى تقام عليه الحجَّة ويُعَلَّم؛ حالُه في العذر كحال الجاهل والمتأوّل.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه اللهُ تعالىٰ - عن موقف الإمام أحمد - رحمه الله - من ولاة الأمر الذين قالوا بقول الجهمية: إنَّ القرآن مخلوق، وأنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة، وامتحنوا النَّاس علىٰ ذلك، وعاقبوهم إذا لم يجيبوا؛ بل كانوا يُكفِّرونَ مَن لم يوافقُهم:

<sup>= •</sup> وقال الإمام الشافعي، رحمه الله: (كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله على عند أهل النقل بخلاف ما قلت؛ فأنّا راجع عنها في حياتي وبعد موتي)

<sup>•</sup> وقال الإمام أحمد، رحمه الله: (لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري؛ وخذ من حيث أخذوا).

واقوالهم في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن حصرها؛ لأنّهم كانوا أثمّة عظام، وكانوا يفقهون معنى قوله تعالى: ﴿ البّعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبّكُمْ ولاَ تَتْبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]. لذا نرى أنَّ كثيراً من أصحابهم وتلامذتهم نقُذوا وصاياهم في ترك قولهم المخالف لسنتة صحيحة، وقالوا: هذا هو مذهب إمامنا، وإنه لو بلغته السننة لقال بها وعمل؛ فجزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، وجمعنا وإيّاهم مع الحبيب المصطفى على الله بعزيز.

( ومع هذا فالإمام أحمد - رحمه الله تعالى - تَرَحَّمَ عليهم، واستغفرَ لهم؛ لعلمه بأنَّهم لم يُبيَّن لهم أنَّهم مكذَّبون للرَّسُول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأوَّلوا فأخطأوا، وقلَّدوا مَن قال لهم ذلك)(١).

وقال الإمام ابن القيِّم - رحمه الله - في بيان أقسام أهل البدع:

( وأهلُ البدع موافقون الأهلِ الإسلام ولكنهم مخالفون في بعض الأصول كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم! فهؤلاء أقسام:

\* أحدُها: الجاهل المقلّد الذي لا بصيرة له؛ فهذا لا يكفّر ولا يُفسّقُ، ولا تردُّ شهادتُه؛ إذا لم يكن قادرًا على تعلّم الهدى، وحكمه حكمُ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً؛ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً.

\* القسم الثاني: المتمكّن من السؤال وطلب الهداية، ومعرفة الحقّ، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته، ولذّته ومعاشه وغير ذلك ؛ فهذا مفرّط مستحقّ للوعيد، آثمٌ بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته ؛ فهذا حكمهُ حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات ؛ فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السّنّة والهدى: ردّت شهادته ، وإن غلب ما فيه من السّنّة والهدى: قبلت شهادته .

\* القسم الثالث: أن يسأل ويطلب، ويتبيَّن له الهُدى، ويتركه تقليدًا، وتعصبًا، أو بغضًا، أو معاداةً لأصحابه؛ فهذا أقلُ درجاته: أن يكون فاسقًا، وتكفيره محلُّ اجتهاد وتفصيل ...)(٢).

<sup>(</sup>١) ه مجموع الفتاوي ، ، ج٣٢، ص ٣٤٩

<sup>(</sup>٢) ١ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ٤: ( الطريق السادس عشر ) ص٢٣٣.

# « ١ ٢ » « ما يَمْحو الكُفر بعد وقوعه علىٰ المعيَّن! »

فقد أجمع أهلُ السُنَّةِ والجماعة؛ على أنَّ الكُفرَ إِذا ثبتَ في حقِّ المعيَّن ووقعَ عليه! لم يمحُه شيءٌ البتَّة! إِلاَّ التَّوبةُ الصَّادقةُ النَّاصحةُ الخالصةُ، وبشروطها المعروفة (\*)؛ لأنَّ التَّوبةَ تجبُّ ما قبلها، وتمحُو جميعَ الخطايا والسَّيئات قاطبةً، والتَّائبُ من الذَّنب؛ كمَن لا ذنب له! والشِّركُ والكفرُ هما من أكبرِ الذُّنوبِ على الإطلاقِ، والتَّوبةُ هي المانعُ الوحيدُ الذي يمنع إطلاقَ اسم الكُفر على المعيَّن بعد رجوعِه عن الكُفر الذي وقعَ فيه؛ بخلاف الموانع السَّابقة التي تمنعُ إلحاق الكُفر به ابتداءً؛ حتى يزول المانع.

والتَّوبةُ من أحب الأعمالِ إلى الله - عزَّ وجلَّ - وهي سبب للفلاحِ في الدُّنيا، والنَّجاةِ في الآخرة، وقد أمر الله تعالى بها عباده المؤْمنين، ورغبهم فيها؛ وذلك لسعة فضله ومنه وحلمه ورحمته، ويفرح بها - سبحانه - مع غناه عنهم أجمعين، ويقبلها من عباده التَّائبين الصَّادقينَ من جميعِ الذُّنوبِ مهما عظمت! قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنَ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّنَاتكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (().

<sup>(</sup>١) سورة التجريم، الآية: ٨.

<sup>( \* )</sup> انظر شروط التوبة في فصل: « مكفرت الذنوب » ص ( ٥٩٧ ) من هذا الكتاب .

فإِنَّ الله تعالىٰ يقبلُ توبة العبدِ الصَّادقِ المقبل إليه إِقبالاً صادقًا خالصًا من كلِّ قلبه، ويغفرُ جميعَ الذُّنوب والخطايا، والمعاصي، والكُفر، والشِّركِ! وأنَّ كلَّ مَن تابَ من عباده صادقًا، وأناب إلىٰ الله – جلَّ في عُلاهُ – خالصًا في هذه الدُّنيا قبل المماتِ؛ تابَ الله عليه، وغفر له جميع ذنوبه، ولو كانت ذنوبه كالجبالِ الشَّامخاتِ! وليسَ شيءٌ يغفرُ جميع الذُّنوب؛ إِلاَّ ولو كانت ذنوبه كالجبالِ الشَّامخاتِ! وليسَ شيءٌ يغفرُ جميع الذُّنوب؛ إِلاَّ التَّوبة الصَّادقة الخالصة النصوح، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةَ وَمَا مِنْ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ يَنتَهُوا عَمَا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الَّذَينَ كَفَرُواْ مِنْهُمُ عَذَابٌ اللهِ وَيَسْتَغْفُرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِّلُ الآيَات لقَوْم يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُل لَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يعُودُوا فَقَدْ مَضتْ سُنَتُ الأُولِين ﴾ ( أ ) .

فالتوبةُ النُّصوح! تذهب السَيئاتِ وتمحوها - بفضل الله تعالىٰ وعفوه وكرمه - بل تتبدل السَيئات إلىٰ حسنات، ويجعلها الله تعالىٰ سببًا في

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٥٣. (١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٧ – ٧٤.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة التوبة، الآية: ١١ . ( ٤ ) سورة الأنفال، الآية: ٣٨ .

دخول الجنَّة التي وعد الله تعالى عباده الصَّالحين، وهذا يدل على فضل وشرف ومنزلة التوبة الصَّادقة، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّهْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا الْحَقِ وَلَا يَوْتُلُونَ النَّهْ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ يَكُ يُضَاعَفُ لَهُ اللَّهُ إِلاَّ مِن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿ وَآ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿ وَآ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَٰ اللَّهُ سَيّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رُحِيمًا عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَٰ اللَّهُ سَيّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رُحِيمًا هَا اللَّهُ مَتَابًا ﴾ (١٠).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ: «إِنَّ الله – عَزَّ وَجَلَّ – يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ؛ حَتَّىٰ تَطْلُعَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ؛ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » (٢) .

وقالَ عَلَيْهُ: « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجَبَالِ ؛ فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ »(").

وقالَ ﷺ: «الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ؛ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَهُ فِي أَرْضِ فَلاَةٍ » ( أَنَ ) .

وقالَ عَلَيْكُ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبُلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ؛ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ " ( " ) .

<sup>(</sup>١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨ – ٧١.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب ه قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، .

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب « قبول توبة القاتل وإن كثر قتلة ».

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب «التوبة».

<sup>(</sup> ٥ ) رواه الترمذي في ( كتاب الدعوات ) باب « في التوبَّة والاستغفار » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِي عَيِّكُ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبَهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرُ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْب، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْب، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَب، فَقَالَ: أَيْ رَبُ اغْفِرُ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْب، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، عَبْدِي أَذْنَب ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب؛ وَعَالَىٰ: أَذْنَب عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب؛ اعْمَلْ مَا شِئْت عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْب، وَيَاخُذُ بِالذَّنْب؛ اعْمَلْ مَا شِئْت عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْب، ويَاخُذُهُ بِالذَّنْب؛ اعْمَلْ مَا شِئْت عَبْدي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْب، ويَاخُذُهُ بِالذَّانِ ؛ اعْمَلْ مَا شِئْت فَقَرْتُ لَكَ هُرَبُ لَكَ هُرَبُ الذَّنْب، ويَاخُذُهُ بِالذَّانِ بَا الْمَالُ مَا شَيْت

### وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فثبت بكتاب الله، وسننة رسوله على أن كل من تاب، تاب الله عليه. ومعلوم أن من سب الرّسول من الكفّار المحاربين، وقال: هو ساحر، أو ساعر، أو معنون، أو معنون، أو معلّم، أو مفتر، وتاب تاب الله عليه. وقد كان طائفة يسببُون النبي عَلَي من أهل الحرب؛ ثم أسلموا، وحسن إسلامهم، وقبل النبي عَلَي منهم: منهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي على النبي عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي عَلَي منهم، ويقول: أنا كُنت أعلمه القُرآن؛ ثم تاب، وأسلم، وبايعه على النبي عَلَي على ذلك) (٢).

إِذَنَ ! مَن وقع في الكفرِ أو الرِّدَّةِ ؛ ثمَّ تابَ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ صادقًا، وأتىٰ

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب «قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ».

<sup>(</sup>٢) ﴿ مجموع الفتاويٰ ﴾ ج٣، ص ٢٩١.

للإسلام مخلصًا، وعملَ لله تعالى خالصًا؛ تابَ اللهُ تعالى عليه، وبدل سيئاته حسنات؛ كما وعد الله تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقِّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ أَنْ لَكِ الْوَلَاكِ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ فَي خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخفَقُفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ فَي إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ يُخفَقَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ فَي إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ فَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ فَي إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَلَو لَا يَعْدَ إِيمَانِهُمْ وَأُولِكَ هُمُ الضَّالُونَ ﴾ (١٠).

فليبشر التَّائِبُ من الكفر أو الرِّدَّةِ بالخير والسَّعادة؛ لأَنَّ دخولَهُ الإسلامَ صادقًا؛ يجبُ ما قبله ويهدمه؛ كما قالَ النَّبِيُّ عَلَيْتُ لعمرو بن العاص، رضى الله عنه: « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ » (٢٠).

ولا ينبغي للعبد أن يشك في ذلك البتَّة، وقد صرح أئمَّة الإسلام بأنَّ التوبة من الكفر مقبولة قطعًا؛ بخلافِ التوبة من المعاصي.

قالَ الإمامُ النَّوويُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( تَوبَة الكافِر من كُفْره مَقطُوع بقبولها، وما سِواها من أَنواع التَّوبة هل قَبُولها مَقطُوع بِهِ أَمْ مَظْنُون؟ فيهِ خلاف لأَهلِ السُّنَةِ، واختارَ إِمام الحرمينِ أَنَّهُ مَظْنُون، وهو الأَصَحُّ، واللهُ أَعلم) (٣).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآيات ٨٦ - ٩٠.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج».

<sup>(</sup>٣) « شرح صحيح المسلم » ج١، ص٣٧٣.

وقالَ الحافظُ العراقي، رحمهُ اللهُ: (التوبة تكفر المعاصي الكبائر، وهو مجمع عليه؛ لكن هل تكفيرها قطعي أو ظني؟ أمَّا في التوبة من الكفر؛ فهو قطعي، وأمَّا في غيره من الكبائر فللمتكلمين من أهل السُّنَّة فيه خلاف. قال النووي: والأقوىٰ أنَّهُ ظنئ )(١).

فيجبُّ على التَّاتبُّ الصَّادقُ! أن يقبلَ على اللهِ تعالى بإخلاص، ويشغلَ نفسه بطاعته، ويحسن ظنَّ بربه الكريم، ويعلمَ أنَّهُ – سبحانهُ – يقبلُ التَّاتبين بجميع ذنوبهم، ويكرم الطَّاتعين بغير حساب، ويحبُّ المستغفرين، ويفرح بالعائدين الصَّادقين؛ فيقربهم، ويدنيهم، ويسعدهم في الدَّارين، ويفتح عليهم أبواب الخير، وينور قلوبهم بالإيمان، ويحبِّب إليهم ذكره وطاعته.

فاحرص - أخي التّاثب - أن تكون من هؤلاء العائدين الصّّادقين المتقين، ولا تصغ إلى وسوسة الشّيطان؛ فإنّه عدوك الأوّل؛ ووظفته الأكبر تنفيرُ العبادِ من التّوبة، وتقنيطهم منها! حتى يستمر العبد في غيه وضلاله، ويقول له: كيف يقبل الله منك، وقد فعلت كذا وكذا! ولم تضيق على نفسك وأنت مطرودٌ على كلّ حال؟ وهذا والله! من كذبه وتلبيسه وإضلاله؛ فإنّ الله - جلّ في عُلاه - أرحم الرّاحمين، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهِ إِنَّ اللهِ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) «طرح التثريب» ج٨، ص٠٤.

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

وأَمَّا مَن ماتَ على الكُفر! ولم يتب منه؛ فقد استحقَّ الوعيدَ والخلودَ في النَّار إلى أَبد الآبدين، وتحقَّقَ فيه قولُ اللهِ تباركَ وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرَكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِـمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (1).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاوُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مَنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكُفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ يَكُفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّاكُمْ إِذًا مَثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

<sup>(</sup>٦) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلُّ كَفُورٍ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِلاَ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٢) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الجن، الآية: ٢٣.

## نواقض الإيمان

فقد علمنا فيما سبق - من هذا الكتاب - مضمون الإيمان عند أهل السُنَّة والجماعة: تعريفه، حقيقته، شروطه، أركانه، مراتبه، درجاته، ثمراته، نِعَمَه، صفاتِ أهله، وخوارمة بالكباثر والذُّنوب.

وعرفنا كلَّ ذلك على النَّحو الذي بيَّنه الله - تبارك وتعالى - لنا في كتابِه العزيز، وبيَّنه رسوله الأمين محمَّد عَلَيْ في سُنَّته المطهَّرة، ومن خلال أقوال أَتمَّة أهل السُنَّة والجماعة، وفهمهم للإيمان ومسائله.

وتبيَّنَ لنا أَنَّ الإيمانَ ليسَ مجرَّد تصديقٍ بالقلب، أو اللِّسانِ، أو إِظهارِ الإيمان والرَّمان لوازِمَ يُلزم بها صاحبُه، وشُرُوطًا وأركانًا، ومقتضيات مِقتضيها؛ لا يتحقَّق الإيمانُ، ولا يصحُ إلاَّ بها.

فتبيَّنَ لنا - أيضًا - من هذا الفهم الصَّحيح للإيمان:

أَنَّ الملتزمينَ العاملينَ الصَّادقينَ بأوامر اللهِ – تبارك وتعالىٰ – والمتباعدين عن نواهيه؛ هم الصَّادقون حقًّا وصدقًا في دعوىٰ الإيمان.

والسَّعيدُ مَن تمسَّكَ وعَملَ بهذا الإيمان؛ الذي كان يؤمن به النَّبِيُّ وأصحابه، والتَّابعون، ومَن تبعهم بإخلاصٍ وصدق وإحسان.

والشقيُّ مَن صُرِفَ عن هذا الإِيمانِ، وتركَ العمل بمقتضياته، أو تركَ العمل بمقتضياته، أو تركَ العضدة، أو تهاون فيه؛ بمداخلِ الشَّيطان وخُطواته؛ من جهلٍ، وتأُويلٍ،

وشُبهة، واتّباع للهوى؛ فهو في حقيقة الأمرِ من الكاذبينَ، والغاشّين لأنفسهم لا غير، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِينَ يُقِيمُونَ اللَّهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَمَعْلُونَ حَقًا لَّهُمْ الصَّلاةَ وَمِمًّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَنَ أُولَئِكَ هُمُ اللَّمُومِنُونَ حَقًا لَّهُمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرَيمٌ ﴾ (١).

فإذا تبيَّنَت لنا حقيقةُ الإيمان على النَّحوِ الذي رضيَه لنا رَبُّنَا - جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه - وجبَ علينا أن نعرف أنَّ هذه الحقيقة لها نواقضُ تنقُضُ عُراها، عروةً عروةً؛ حتى تُعرِّي صاحبها منها!

فالعبدُ المسلِمُ قد يُتَصَفُ بحقيقة الإيمان! كما بيَّنها أهلُ السُّنَة والجماعة، ولكن قد يَطرأُ عليه اعتقادٌ، أو قولٌ، أو عملٌ، أو شكٌ؛ يُخرجه من حقيقةِ الإيمان إلى دائرة الكُفر، وهو لا يشعُرُ!!.

ونواقضُ الإيمان الاعتقاديَّةُ والقوليَّةُ والعمليَّةُ التي يُكَفَّر بها صاحبُها؛ كثيرةٌ جدًّا لا يمكن حصرُها هنا في هذا الكتاب، ولذلك سأُورِدُ أُصولَ هذه النَّواقِض، وبعضَ الأَمثلة عليها (\*).

 <sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

<sup>( \* )</sup> ومن شاء البسط في معرفة أدّلة نواقض الإيمان أكثر؛ فعليه الرجوع إلى مصادرها في كُتب عقيدة أهلِ السُّنّة والجماعة، وهي كثيرةٌ ومتوفّرةٌ - ولله الحمد والمنّة - وقد ذكرتُ بعضها في نهاية هذا الكتاب.

### • معرفةٌ مهمةٌ وضروريةٌ لا بُدَّ منها !:

اعلم - أَخي الموحِّد - علَّمنا الله تعالى وإيَّاك الإيمان الخالص: أنَّ الإيمانَ - عند أهلُ السُّنَّة والجماعة - كما علمنا ممَّا سبق:

\* اعتقادًا، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيد بالطَّاعات، وينقص بالمعاصي، ويقبل التَّجزِئَةَ والتَّبعيضَ من حيث العمل به، والقيام بواجباته، وبقليله يُخرج الله تعالىٰ من النَّار من دخلها؛ فمرتكب الكبيرة - عندهم - لا يخرج من الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، وفاسقٌ بكبيرته، وفي الآخرة تحت مشيئة الله تعالىٰ؛ إنْ شاءَ غفرَ لَه، وإنْ شاءَ عذَّبَهُ.

\* أمًّا الإيمان من حيث الاعتقاد به، وقبوله، والتّسليم له؛ كما جاء من عند الله تعالى في النّصوص الشّرعيّة؛ فهو حقيقة شرعيّة ثابتة؛ متركبة من أجراء يلازم بعضها بعضًا، ولا ينفصلُ واحدٌ منها عن باقيها، وكُليّة بأركانها ومُسمّاها لا يمكنُ أن يتحقق معناها إلا باتصال بعضها ببعض، ولا تقبَلُ التّغيرَ والتّقسيمَ والتّجزِئة والتّبعيض، ولا التّفرقة بين أركانها وعناصرها، ولا تقبلُ الزّيادة والنّقصان، وهو وحدة مترابطة أشد التّرابط، وتندرَرج تحتها أجزاء وفروع كثيرة، وهذه الأجزاء متلازمة شرعًا؛ بحيث إذا انتفى جزء منها لزم انتفاء بقية أجزائها، ولزم بالتالي انتفاء حقيقته؛ فيجب الإيمانُ بجميع أركانها وأجزائها ومسائلها جملة واحدة؛ كما جاء من عند الله تعالى، فآمن به رَسُوله الأمين عَنْ وأصحابه الكرام – رضي الله عنهم – فمن آمن بمثل إيمانهم فهو مؤمنٌ، ومن آمن ببعضه وكفر ببعضه؛ فهو كافر.

أَي: أَنَّ الإيمانُ باللهِ تعالىٰ يقتضي الإيمان بالملائكة والكُتب والرُّسُلِ والرُّسُلِ والرُّسُلِ والرُّسُلِ والمُرْبِ فَمَن آمنَ بأصلٍ، وكفرَ بآخرٍ؛ فهو كافرٌ، والتَّكذيبُ بجزئيةً

من جزئياتِهِ يَعدُّ كفرًا؛ فالمكذب برسُولِ واحدٍ؛ تنتفي عنه حقيقة الإيمان من أساسها، ويجب الحكم عليه شرعًا؛ بأنَّهُ لا يؤْمنُ باللهِ تعالىٰ، ولا بالملائكة، ولا بالكتب، وبالرُّسُلِ، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر! وان زعمَ أنَّهُ يؤْمنُ بذلكَ؛ فزعمه باطلٌ مردودٌ عليه شرعًا؛ لأنَّ حقيقة الإيمانِ لا تقبل التجزئة البتَّة! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رُبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُنِّهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قُلْ آمَنًا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَعِيسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنّبِيُّونَ مِن رّبّهِمْ لا نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢٠).

فالإيمانُ لا يتمُّ ولا يصحُ ولا يُقبل عند الله تعالى إلاَّ بالتَّصديقِ بجميع ما جاء به الرَّسُولُ عَلَيُ من دين الإسلام وبجميع مفرداته واعتقادُ ذلك؟ لأنَّ جميع أركانه مع فروعها؛ وحدةٌ متماسكةٌ تماسكًا تامًا! فإنَّ الإخلالَ بجزء من أجزائها يفقدها كيانها؛ فلا بُدُّ من الإيمانِ بكلِّ حقيقتها،

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٥٢.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥ .

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.

والاعتقاد بكلّ جزءٍ من أجزائها؛ فمَن أخلّ بواحدٍ من أجزاء هذه الوحدة الاعتقادية المتكاملة؛ فقد نزل عن أدنى مراتب الإيمان، ومن نزل عن أدناه؛ فقد كفر، أو مَن أنكر شيئًا مما يجب الإيمان به يُسمّىٰ كافرًا؛ فإنكارُ أيّ فرعٍ من فروع الإيمان، أو جزءٍ من أجزائها، أو مسألةٍ من مسائلها؛ هو كُفرٌ ببقيّة الفروع والمسائل، وخروجٌ من دائرة الإيمان إلى حظيرة الكُفر؛ إذا وجدت الشروط، وانتفّ الموانع، قال الله تعالى:

﴿ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ لَا اللهُ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدٌ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَخِذُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿ وَيَقُولُونَ فَهُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مَتَّهَا اللَّكَافِرِينَ عَذَابًا مَتَّها اللَّهَا فِرْدَنَ اللَّكَافِرِينَ عَذَابًا مَتَّها اللَّهُ اللَّهُ اللَّهَافِرِينَ عَذَابًا مَتَها اللَّهُ الْكَافِرِينَ عَذَابًا اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُلِمُ الللللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُو

ففي هذه النُّصوصِ – وغيرُها كثيرة – دلالةٌ واضحةٌ وصريحةٌ علىٰ أَنَّ الإيمانَ والالتزامَ يجبُ أَن يكونَ كليًّا غيرَ منقوصٍ، والإيمانُ لا يقبل التجزئةَ في عناصرِهِ، وأركانِهِ، ومسمَّاه.

والإيمان يَنتقِضُ بانتقاض عنصر واحد من عناصره؛ فمن طعن في مسألة جزئية من مسائله، أو استحلَّ المعصية، أو اعترض علىٰ أيَّ شعيرة

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١.

من شعائر الإسلام؛ كأنَّما طعنَ في الإيمان كلِّه؛ إذا كانَ ذلك عن غير شبهة ولا تأويل، وانتفتِ الموانعُ، ووجدت الشُّروط.

فالإيمانُ ليس أجزاءَ مفرَّقةً مُبَعْثَرةً نستطيعُ أَن ناْخذَ من أركانها وعناصرها ما نشاء، ونترك ما نشاء، ثمَّ نبقىٰ في دائرة الإيمان!

فإنَّ مَن قال قولاً، أو فعلَ فعلاً، أو اعتقد أمرًا؛ يدلُّ على إنكار شيءٍ من عناصر الإيمان، أو أجزائه، أو أركانه؛ فقد نقض إيمانه، وخرجَ من دائرة الإسلام، وتُطبَقُ عليه أحكامُ الرَّدَّة، ولو أتَىٰ ببعض أجزاء الإيمان – مع وجود الشُّروط وانتفاء الموانع – وإذا لم يَتُبْ قبلَ الموت؛ يكون من المخلَّدين في النَّار – والعياذُ بالله – قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ١٦١.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

## نواقض الإيمان وأنواعها

فاعلم أخي المسلم العزيز: أنّه من الواجب على المسلم الصّادق! أن يحافظ على نعمة الإيمان الّتي أنعم الله تعالى عليه، وأن يبتعد عن كلّ ما من شأنه أن ينقص إيمانه، أو يخدشه فضلاً عمّا يبطلَه وينقضه، وأول ما يجب عليه أن يبتعد عنه؛ هو أن لا تتناقض معتقداته وتصوراته وأقواله وأفعاله مع إيمانه وذلك حفاظًا عليه؛ لأنّ الإيمان هو أغلى وأنفس ما يملكه، وما يوصف به العبد ؛ فإنّما يشرف بوصفه بالإيمان، ويعلو به في الدّارين، وبينما يكون مهينًا إذا سُلِب عنه وصف الإيمان! مهينًا عند الله – جلّ في علاه – ومهينًا عند خلقه؛ فإذا فقد الإيمان! فقد خسر خُسرانًا مبينًا.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُر ْ بِالْإِيمَانِ فَقَد ْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (().

فإذا علمنا هذا! وجب علينا - إِنْ كنا صادقين في عقيدتنا مع لقاء ربّه جلّ وعلا - أَن نعلَمَ أَنَّ هذه النواقضَ أعظمُ الذُّنوبِ على الإطلاق؛ فمَن ارتكبَ ناقضًا من تلك النّواقض، أو وقع فيها؛ فإنّها تنقُضُ إيمانَه وتهدمُه؛ لأنّه لا يبقى إيمانٌ مع وجود أحد هذه النواقض البتّه؛ فهي تُحْبِطُ جميعَ الأعمالِ الصّالحة، وتُخرِج صاحبَها من دائرةِ الإيمان والإسلامِ وملّته إلى حظيرة الكفر وملّته، وإنّ الله تعالىٰ لا يغفرُ لمن مات عليها؛ بل صاحبها

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٥.

خالدٌ مخلَّدٌ في نارِ جهنَّم إِلَىٰ أَبَدِ الآبدينَ - والعيادُ بالله - قالَ اللهُ تعالىٰ:

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُونُوا وَلَا يُخَفُّورِ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣).

وهذه النواقض هي: اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تُزيل الإيمان وتفسده وتهدمه وتبطله؛ بشروط وضوابط، ونظرًا لخطورة هذه النواقض؛ فإنَّهُ يتعينُ علينا العلم بها، ومعرفة أنواعها؛ مخافة الوقوع فيها.

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَليلُ؛ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْركنِي! (١)(٥).

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٩١. (٢) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٣) سورة محمد على ، الآية: ٣٤.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه البخاري في ( كتاب المناقب ) باب « علاماتِ النُّبُوَّةِ في الإسلام » .

<sup>(\*)</sup> قالَ الإمامُ ابن القيّم، رحمهُ اللهُ: (قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الانعام: ٥٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَشْعِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]. واللهُ تعالىٰ قد بيّنَ =

فالكلامُ عن نواقضِ الإيمانِ: هي من بابِ معرفةِ الشَّرِّ والتَّوقِ منه! ومعرفة سبيلِ المجرمينَ والبعدُ عنه، وعن مصيرهم الحتم الوخيم؛ فهي إِذًا! من أهم المعلوماتِ التي يجب أن يعرفها كلُّ مسلم – مهما كان جهله – حتَّىٰ يعرف كيف ينجو من مواضع الخطر الجسيم؛ ألا وهي الخروج من ملَّةِ الإسلام، وتجنب دخول حظيرة الكفر!

وكما أنَّ هذه النَّواقض في دنيا المسلمين اليوم! قد عمَّت وطمَّت الكثير من بلادهم؛ حتى أصبحت أمرًا مالوفًا بينهم! بل سُميت أكثر تلك النواقض بأسماء محبَّبة للنُّفوس؛ تضليلاً للعباد!

في كتابه سبيلَ المؤمنينَ مفصَّلةً، وسبيلَ المجرمين مفصَّلةً، وعاقبةَ هؤلاءِ مفصَّلةً، وعاقبة هؤلاءٍ مفصئلةً، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلاته لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفيّ بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلَّىٰ سبحانه الأمرين في كتابه، وكشفَهُما وأوضحَهُما وبيُّنهما غاية البيان؛ حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام. فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيلَ المؤمنينَ معرفة تفصيلية، وسبيلَ المجرمين معرفة تفصيلية ؛ فاستبانت لهم السبيلان كما يستيبينُ للسالك الطريق الموصلُ إلى مقصوده والطريقُ الموصلُ إلى الهلكة؛ فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للنَّاس وأنصحهم لهم، وهم الأدِلاَّءُ الهداة . . . وأمَّا من جاءَ بعد الصَّحابة ؛ فمنهُم مَن نشأ في الاسلام غيرَ عالم تفصيلَ ضدَّهِ، فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإنَّ اللَّبُسَ إِنَّما يقعُ إذا ضَعُفَ العلمُ بالسبيلين أو أحدهما؛ كما قالَ عمرُ بن الخطَّابِ: إِنَّما تُنقَضُ عُرى الإسلام عُروةً عُروةً ! إذا نشأ في الإسلام من لم يعرِف الجاهليَّةَ. وهذا من كمال علم عمرَ - رضي اللهُ عنه - فإنَّهُ إذا لم يعرف الجاهليَّةُ وحكمها، وهو كلُّ ما خالف ما جاء به الرَّسُولُ عَلَيْهُ فَإِنَّهُ مِن الجاهليَّةِ؛ فإنَّها منسوبةٌ إلى الجهل، وكلُّ ما خالف الرُّسُولَ عَلَيْ فهو من الجهل؛ فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبنَّ لَهُ، أوشكَ أن يظنُّ في بعض سبيلهم إنَّها من سبيل المؤمنينَ؛ كما وقعَ في هذه الأُمَّةِ من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل) «الفوائد» ص٥٥٥. دار ابن خزيمة. وانظر: «مجموع الفتاوي» ج٠١، ص٣٠١ - ٣٠٢.

ولخطورة هذه النواقض؛ وجب علينا معرفتُها، والعلمُ بها، والفقه في مسائلها وأجزائها، وبدقائق أمورها، ومعرفة أنواعها وأشكالها وحالاتها.

وهذه النَّواقضُ لا يمكن فهما واستيعابُ أحكامها! إِلاَّ بفهم صحيح للإيمان؛ لأنَّ النَّاقضُ هو حل، وحلَّ الشيء لا يكون إِلاَّ بتصور ذلك الشيء؛ فمن لم يفهم الإيمان فهمًا صحيحًا على طريق أهل السنَّة والجماعة! فإِنَّ كلامه في النَّواقضِ، أو حكمه فيه؛ يكون أبعد عن الصَّواب؛ لأنَّ حكمه في السَّالةِ يكون من دونِ فقه سديد! فلذا حصل الحسَّواب؛ لأنَّ حكمه في المسألةِ يكون من دونِ فقه سديد! فلذا حصل الخلل عند كثيرين ممن تكلموا في هذه المسألة الخطيرة بغير علم صحيح؛ لأنَّ علم هذه المسألة من العلوم الدقيقة، وهي من المباحثُ الفقهية العظيمة! التي بحثها الفقهاء في باب خاص بها، وسمَّوها: «باب حكم المرتد».

والذي يتكلم بهذه المسألة العظيمة! دون معرفة لغة العلماء لا يمكنه أن يفهم معاني كلامهم، ولا مصطلحاتهم العلمية الدقيقة فهمًا صحيحًا يعينه في تزيل الحكم! لأنَّ لغتهم الفقهية – التي هي لغة محكَّمةً – لا يفهمها إلاَّ الذي تدرج بهذا العلم عن طريقهم؛ فمن قرأها بلغة المثقفين والصحفيين أتى بعجب! وحكم على أساسٍ فهمه للمسألة، لا على أساسٍ فهم المسألة بقواعدها وضوابطها الشَّرعيَّة الحكيمة! وحتَّىٰ لو فهم أنَّ فهم المسألة بقواعدها وضوابطها الشَّرعيَّة الحكيمة! وحتَّىٰ لو فهم أنَّ أحدهم فهم الإيمان فهمًا صحيحًا؛ لا يعني هذا أنَّهُ تمكن من إنزال الحكم في المسألة؛ لأن إنزال الحكم غير معرفة الأحكام! تحتاج إلى علم أخرٍ أعمق؛ له ضوابطها وشروطها وموانعها؛ فهذا العلم لا يعلمه إلاَّ أهل العلم المتمكنين؛ لأنَّ إنزال الحكم في النَّوازل، أو على معين من أصعب العلوم! الذي تحتاج إلى فقه دقيق، وعلم جليل.

وأمَّا نواقضُ الإيمان: فهي مفسداته ومبطلاته ومحبطاته؛ فالإيمان ينتقض بالرِّدّة؛ كما ينتقضُ الوضوء بالحدثِ.

والنَّواقضُ: هي تلكَ الأعمال القلبية، أو المتعلقة بالجوارح، أي: تقعُ؟ بالاعتقاد والقول والعمل التي ثبت بالأدلَّة الشَّرعيَّة، والتي تهدمُ أركانَ الإيمانِ وتنقله من ملَّة الإسلامِ الإيمانِ وتنقله من ملَّة الإسلامِ إلىٰ ملَّة الكفر، أي: إلىٰ الكفر بعد الإيمان! والعياذُ باللهِ.

ومَن أَتَىٰ بناقضٍ مِن نواقضِ الإيمانِ؛ المجمع عليه عند أَثَمَّةِ أَهل السُّنَّةِ وَالجماعة؛ فهو مرتد كافر ! يُدعىٰ إلى الإسلام؛ فإن أَبىٰ! يُقتل ردَّة ؛ لأَنَّ المرتد - كما عرَّفه العلماء - هو الذي يكفر بعد إسلامه؛ باعتقادٍ، أو شك ، أو قول ، أو عمل ؛ إذن نواقض الإيمان من حيث التقسيم العام أربعة أنواع: إعتقاد ، وشك ، وقول ، وعمل "

\* فالاعتقادُ: هو الكفرُ الذي يقع باعتقاد القلبي؛ مثل الإباء، والإعراض، والاستحلال، وما شابه ذلك.

\* والشَّكُّ: هو ضدُّ اليقين المنافي للتصديق الجازم الذي لا ريب فيه، والإيمان هو التَّصديق الذي لا ريب فيه ولا تردد؛ فإذا شكَّ العبدُ أَصبح عنده ريبٌ أو تردد؛ فهذا ليس بمؤمن.

\* والقولُ: هو الذي يُدخل العبد في الإيمان، وذلك بنطق قول واضح بين، وهو لفظ الشَّهادتين، وكذلك يخرج العبد من الإيمان بقول واضح وبين؛ الذي ينقض أصل الإيمان.

\* والعملُ: هو الذي ينقض به الإيمان، ويكون مخالفًا لأصله، أو

يكون العمل مخالفًا لما يجب عليه من العمل الظَّاهرِ الذي فيه تعظيم الرَّبِّ – جلَّ في عُلاه – وإفراده بألوهيته، وما شابه ذلك.

فنواقض الإيمان ترجع إلى نواقض اعتقادية منها ناقض الشّك، أو نواقض قولية، أو نواقض عملية، ومنهج أهل السُنّة والجماعة؛ وسطّ في تحديد هذه النّواقض:

\* بينَ الغالي الذي تشدُّد في هذه النُّواقض، وأدخل فيها ما ليس منها.

\* وبين الجافي الذي تساهل في أمر هذه النُّواقض، وجعلَها مجرد محرمات، أو كبائر؛ لا تُخْرِجُ صاحبها من الإسلام.

ويمكنُ حصرٌ هذه النُّواقِضِ، وتلخيصُها في النَّقاطِ التَّاليَّة:

١- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في ربوبيَّته.

٧- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في ألوهيَّته.

٣- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته.

٤ - نواقضُ عموم الدّين.

#### ١ نواقض توحيد الله تعالى في ربوبيّته:

#### • توحيدُ الرُّبوبيَّة (١):

( هو الإقرار بأنَّ الله - تبارك وتعالى - رَبُّ كلِّ شيء ومالِكُه وخالِقُه ورازِقُه، وأنَّه هو المحيي والمميتُ النَّافعُ الضَّارُ المتفرِّدُ بإجابة الدُّعاءِ عند الاضطرار؛ الذي له الأمرُ كلُه، وبيده الخيرُ كلُه؛ القادر على كلِّ شيءً، ليسَ لَهُ في ذلك شريك )(٢).

أي: الاعتقادُ الجازمُ والإقرارُ التَّامُ؛ بأنَّ الله تعالى وَحْدَهُ رَبُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ، لا شريكَ لَهُ، هو الخالقُ، وهو مدبِّرُ العالَم، والمتصرِّفُ فيه، والقادر عليه، وأنَّه خالقُ العِباد، ورازقُهُم، ومحييهم، وجميتهم، ولا مُعَقِّبَ لله عليه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكلُّ مَن في السَّموات والأَرض عبد له وفي قبضته، وتحت قهره – سبحانه وتعالىٰ – والإيمانُ بقضاء الله وقدرَه، وبوحدانيَّته في ذاته، وخُلاصَتُهُ هو:

« توحيدُ اللهِ تعالىٰ بأفعاله » .

إِذِن! فكلُّ اعتقادٍ، أو قولٍ، أو فعلٍ؛ يصدر من عبدٍ مخلوقٍ! فيه إنكارٌ لفعلٍ من أفعالِ اللهِ تعالى، وهي من خصائِصِ ربوبيَّة اللهِ – جلَّ في عُلاه – أو بعضِهَا؛ فهي كفرٌ ورِدَّة بالإجماع!

كوصف أحدٌ من الحلق بأي صفة من صفات الله تعالى الذاتية، أو الفعلية المختصة به سبحانه؛ كالحلق، أو الرِّزق، أو علم الغيب، أو التَّصرف

<sup>(</sup>١) انظر: (توحيد الربوبية): ص (٢٤١) من هذه الكتاب.

<sup>(</sup>٢) « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب؛ ص ٢٥.

في الكونِ؛ حتَّىٰ لو أَثبت هذه الصِّفاتِ لله تعالىٰ، وكذلكَ إِنكار الخلق للخالق - سبحانه وتعالى - أي : إنكارٌ لوجودِ الخالق الصَّانع الرَّازق المحيي المميت، أو إسناد الخلق إلى غير الله تعالى ؛ كالقول بأنَّ الكونَ خُلِقَ صدفةً، أُو أَنَّ الطبيعة هي الخالقة، والقول بقدم العالم، أو ادَّعاء شيءٍ من هذه الخصائِص لأحد من خَلْقِهِ ؛ كاذِّعاءِ الرُّبوبيَّةِ ، كما ادعى فرعون ذلك :

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (١)(٠).

أو ادِّعاءُ خالق مشارك لله - سبحانه وتعالى - في الخلق والإيجاد والتدبير، أو إسناد إليه خصائص ربوبية الله تعالى، وإن لم يكن مساويًا له من كلِّ وجه، أو ادِّعاءُ المُلْك، أو الرِّزق، أو التَّصرفُ من دون الله تعالى، أو أن تؤخذ أحكام الدِّين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره، أُو الادِّعاء بأنَّ الله تعالىٰ قد خلقَ الخلقَ وأهملهم، وغيرها من الأمورِ التي هي من أفعال الله تعالى وخصائِصِه سبحانه، ويَكْفُرُ كُلُّ مَن يُصدِّقُ بهذه الدُّعويْ، أو يؤمن بها، ومَن مات! وقد وقع في شيءٍ من ذلك؟ فقد مات علىٰ الشِّرك والعياذُ بالله، وهو شركُ الرُّبوبيَّة، ودخلَ تحتَ قول اللهِ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة النازعات، الآية: ٧٤. (٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

<sup>( \* )</sup> فماذا كانَ حالُهُ في أحضانِ الموج وقد أدركهُ الغرق؟! قال الله تعالىٰ وصفًا لحالِهِ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَّهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَمَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] فأغرقه الله تعالى إمعانًا في إبطال دعواه؛ إذ كيف يغرق الرُّبُّ في ملكه الذي يُسيِّره ؟! الله أكبر ا ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ مُلْبٌ أَوْ ٱلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شهيدٌ ﴾ [ق: ۲۷].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيَنْ أَشْرَكْتَ لَيْنَ أَسْرِينَ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٣) .

لأَنَّ الله - جلَّ في عُلاه - جعل التَّوحيد الخالص، وعدم الشُّرك في عبادته؛ شرطًا لرضوانه، ودخول جنَّته؛ جنَّة النَّعيم، فقالَ تعالىٰ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٠).

والشّركُ باللهِ تعالىٰ أعظمُ الذُّنوبِ إطلاقًا وأقبحهُ؛ لأنَّهُ تشبيهُ المخلوقِ العاجز المحتاج الفقير الحقير؛ بالخالقِ العظيم القادر الجبار القهار المتكبر؛ الغنيِّ في جميع خصائصه، وهذا من أقبح التَّشبيه؛ لأنَّهُ ظلمٌ عظيمٌ في حقِّ ربِّ العالمين وملكه – جلَّ في عُلاه – قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ ﴾ (°).

<sup>(</sup>٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

<sup>(</sup>٥) سورة لقمان، الآية: ١٣.

## ومن الأمثلة على الشِّرك في توحيد الرُّبوبيَّة:

- الاعتقادُ: بأنَّ لله تعالىٰ شريكًا في الخَلْق، والرِّزق، والإحياء، والإماتة، والتَّدبير. أو شرك النَّصارىٰ الذين يقولون: الله ثالث ثلاثة.
- الاعتقادُ: بأنَّ الأولياء كهم تصرُّفٌ في الكون مع الله تعالىٰ. أو أنَّ أرواح الأموات تتصرف بعد الموت.
- اعتقاد: تأثير وتصرُّف غير الله تعالىٰ؛ من الأبراج، والكواكب، ومساراتها، ومواقعها علىٰ حياةِ النَّاس.
- اعتقاد أنَّ الاستسقاء بالنجوم مصدر السُّقيا، وإِنَّها تنزل الغيث بدون مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ.
- الاعتقاد: بأنَّ المخلوق يمكنهُ أن يَرزُق المخلوق، أو يمنعَ عنه الرِّزق، أو
   يمكنه أن يَضرُّ، أو ينفَعَ من دونِ الله تعالىٰ.
  - الاعتقادُ: بأنَّ أحدًا من دونِ الله تعالىٰ يعلمُ الغيب.
  - اعتقادُ: حلول الله تعالىٰ في خلقه، أو أنَّ الله في كلُّ مكان.
- الاعتقادُ: بأنَّ الشَّفاءَ من الطَّبيبِ، أو من الدُّواء، أو اعتقادُ التُّوفيقِ
   في حياة العبد من ذكائه، أو جُهْدِهِ واجتهادِهِ من دون الله تعالىٰ، أو أَنَّ الإِنسان يخلق أفعاله.
- الاعتقادُ: بأنَّ للمخلوقِ حقًا في سنَّ القوانينِ وتشريعِهَا، وهي تلك النُظُمُ التي تحكُمُ في أموال النَّاس وأعراضِهِم.

وغيرُها من الاعتقاداتِ التي تُناقِضُ الإيمانَ وتُبطلُه.

# ٧ نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في ألوهيته: توحيدُ الألوهيَّة (١): هو إفرادُ اللهِ تعالىٰ بأَفْعَال العِبَادِ.

ويُسمَّىٰ أيضًا: «توحيدُ العبادة» ومعناهُ الاعتقادُ الجازمُ والإيمان التَّامُّ؛ بأنَّ الله – سبحانه وتعالىٰ – هو الإلهُ الحقُّ ولا إلهَ غيره، وكلُّ معبود سواهُ باطلٌ، وإفرادُه تعالىٰ بالعبادة والخضوع والطَّاعة المطلقة، وأن لا يُشركَ بهِ أحدٌ كائنًا مَن كان، ولا يُصرَفُ شيءٌ من العبادة لغيره تعالىٰ؛ كالصَّلاة، والصَّيام، والزَّكاة، والحجِّ، والدُّعاء، والاستعانة، والنَّذر، والذَّبح، والتَّوكُل، والخوف والرَّجاء واحبُّ، والإنابة، والخشية، والتَّذلُل، وغيرها من أنواع العبادة الظَّاهرة والباطنة، وأن يُعبَد الله بالحبِّ والخوف والرَّجاء جميعًا، وعبادتُه ببعضها دون بعض ضلال، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (١٠.

وكانت دعوةُ جميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - إلىٰ توحيد العبادة، وكان أوَّلُ ما يدعون إليه هي عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءةِ من الشَّرك بجميع أنواعِهِ، وألوانِهِ، وصُورِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ (٢).

فتوحيدُ الألوهيّة: هو اعتقادُ المسلم بإفرادِ اللهِ - جلَّ وعلا - بالعبادة والخضوع والطّاعة المطلقة، وأن لا يُشرَك به أحدٌ كائنًا من كان، ولا

<sup>(</sup>١) انظر: (توحيد الألوهيّة): ص (٢٤٣) من هذه الكتاب. (٢) سورة النساء، الآية: ٣٦. (٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

يُصرَفَ شيءٌ من العبادة لغيره سبحانه وتعالىٰ. أي: أنَّ الله تعالىٰ وحدة ولله المعبود بحق وأنَّ ما سواه من المعبودات كلّها باطلٌ ؛ لا تستحقُ أيَّ شيء من العبادة ؛ فمن اعتقد غير هذا الذي آمن به المؤمنون، أو قال قولاً ، أو فعل فعلاً ، يُنافي هذا المعنىٰ، أو أنكرَ حقَّ اللهِ تعالىٰ في ألوهيته، أو انتقص شيئًا منه، أو صرَف شيئًا منه لغيره ؛ فقد كَفَر، وارتدُّ عن الإسلام ؛ إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُل لّو كَانَ مَعَهُ الْهَ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَ بُتَعَوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْش سَبيلاً ﴾ (١).

فإنَّ أكثرَ الأُم السَّابقة، وأكثرُ النَّاسِ في الإسلام - أيضًا - وَقَعُوا في الشُرك، أو الكُفر في توحيدِ الألوهيَّة؛ لأنَّهم لم يكُونُوا ينكِرُونَ ربوبيَّةَ الله تعالىٰ؛ بل أقرُّوا بأنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - هو الرَّبُ والخالقُ والرَّازق والحيي والمميتُ، ولكنَّهم صرَفُوا شيئًا من العبادةِ لغيرِهِ تعالىٰ؛ فجعلَهُم الله في عِداد الكافرين بإشراكهم غيرَه في العبادة.

وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له؛ هي غاية الخالق من خَلْق عباده، ولذلك هي موضوع الامتحان للعبادة في الدُّنيا؛ إذن نفيُ استحقاق الخالق للعبادة، وإثباته لغيره من مخلوقاته؛ ناقض للإيمان والإسلام؛ فكلُّ اعتقاد، أو قول، أو عمل يتضمَّن أحد هذين الأمرين يُخرج صاحبَهُ من الإسلام.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

<sup>(</sup>٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ ﴿ إِلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ الشَّمَاءِ مِنَا اللَّهُ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ وَأَنزَلَ مِنَ الشَّمَورَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمًّا يَصِفُونَ ﴾ (٣).

الأَمثلةُ من نواقضِ الإِيمانِ في توحيدِ الأُلوهيَّة والعبادة:

• عَدَمُ إِفْرَادِ الله - تبارك وتعالىٰ - بالشَّعائرِ والنُّسُكِ:

هو اعتقاد شريك لله تعالى في الألوهيّة؛ فمَن اعتقد آنَّ غيرَ اللهِ يستحقُ العبادة مع الله تعالى، أو يستحق أن يصرف له أي نوع من أنواع العبادة مع الله – جلَّ في عُلاه – فهو مشركٌ في الألوهيَّة .

أي: هو عبادة أحد مع الله - تبارك وتعالى - أو دون الله سبحانه ؛ كالصّلاة، والرّكوع، والسّبحود، والصّوم، والطّواف، والذّبح، والنّذر، والخشوع، والتّذلّل، وحلق الرأس؛ لغير الله تعالىٰ.

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ – ٢٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

أو دعاء غير الله تعالى، أو الدُّعاء مع الله - جلَّ وعلا - في جلب المرغوب أو دفع المرهوب، أو الاستغاثة بغيره - سبحانه وتعالىٰ - في جلب خير، أو دفع ضرَّ.

أو التَّوَكُّلُ على غيره - سبحانه وتعالى - أو الاستعاذة بغيره، أو الخوف من غيره تعالى، أو الرَّجاء، أو الخضوع لغيره، أو التَّقرب إلى غيره تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، أو طاعة غير الله تعالى الطاعة المطلقة.

أو اعتقد : أنَّ الله تعالىٰ لا يُخشىٰ منه، أو لا يستعان به، أو لا يتوكل عليه، أو من سخر، أو الستخف بعبادة من العبادات؛ كالصَّلاة والصَّوم والرَّكاة والطواف، أو بشيء من شعائر الإسلام المجمع عليه، أو أي فعل، أو قول يعدُّه الشَّارع الحكيم عبادةً.

أو مَن نفىٰ استحقاق الله - جلّ في عُلاه - لهذه العبادات، أو مَن أنكرَ استحقاقه للطّاعة، أو لم يمتثل أمره - سبحانه - ويجتنب نهيه، أو مَن ادّعىٰ أنَّ شرعَ اللهِ تعالىٰ لا يصلح في زمن معيّن، أو لا يستحقُ الامتثال، أو التطبيق، أو مَن أثبت شيعًا من هذه العبادات لغير الله تعالىٰ، أو مَن ادعىٰ لنفسه استحقاقه لتلك العبادات، أو أمر النّاس بممارستها من أجله، أو مَن صدقه في ذلك.

أو مَن أحبُّ أَن يُعبدَ من دون الله؛ كمن أحبُّ أَن يسْجَدَ لَهُ، أَو يرْكَعَ لَهُ، أَو يرْكَعَ لَهُ، أَو يرْكَعَ لَهُ، أَو يتَوكَّلَ عليه، أَو غير ذلك من المعاني التي لا ينبغي التوجه بها إِلاَّ إِلَىٰ الحالق وحده؛ فإذا صرف واحدًا من هذه الأعمال لغير الله تعالىٰ؛ فقد وقع في الشَّرك، والعياذُ بالله.

## • عدمُ إِفرادِ اللهِ - تبارك وتعالى - بالولاءِ والحبَّة:

الحبية : هي من أجلِ أنواع العبادات، ومن أوجب الواجبات؛ لأنَّ محبَّة الله تعالى هي أصل دين الإسلام؛ فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصها ينقص التوحيد؛ فيجبُ على العبد المسلم محبَّة ما أحبَّهُ الله تعالى، وبغض ما يبغضه الله تعالى، والموالاة والمعاداة فيه، وإلتزام شرعه سبحانه.

وهذه المحبَّةُ هي محبَّة العبودية المستلزمة للإجلالِ والتَّعظيمِ والذَّلِ والخضوعِ وكمال الطاعة؛ الَّتي لا تصلح إلاَّ الله تعالىٰ وحده لا شريك لَهُ؛ فمَن صرفها لغير الله تعالىٰ؛ فقد أشرك به الشِّرك الأكبر.

كمَن أحبَّ غيرِ الله - تبارك وتعالى - كحُبِّ الله، أو عظَّمَ غيره ؟ كتعظيم الله تعالىٰ ؟ سواءً كان هذا المعَظَّمُ، أو المدعُو ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو قبرًا، أو حَجرًا، أو شَجرًا.

أَمَّا محبَّة النَّبِيِّ عَلَيْكَ فهي تابعة لمحبَّة الله - جلَّ في عُلاه - لازمة لها، وتتمثل هذه المحبَّة في متابعته عَلَيْكَ وتقديم قوله وأمره على قول وأمر غيره؛ بل قد نفى النَّبِيَ عَلِيْكَ إِيمان العبد بدون تحقيق محبَّته؛ فقال عَلِيْكَ :

« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ! حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب « وُجُوبِ مَحْبَةِ رَسُولِ الله عَلَيْ أكثر من . . . . .

# عدمُ إِفرادِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - بالحكم والتّشريع:

هو الطَّاعة والانقياد لغير الله - تبارك وتعالىٰ - في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ كاعتقاد أنَّ حكم غيرَ اللهِ تعالىٰ أفضل من حكم اللهِ تعالىٰ، أو هو مثله، أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، أو إطاعة من يحكم بغير شرع الله تعالىٰ عن رضى.

أو اعتقاد أنَّ شَرْعَ اللهِ تعالىٰ لا يصلُّحُ لهذا الزَّمانِ، أو لهذا المكان، أو اعتقاد أنَّ للعبد المخلوق حقَّ تشريعِ ما لم يأذن به اللهُ تعالىٰ؛ مِنَ التَّحليلِ والتَّحريمِ وسَنَّ القوانين مخالف لما جاء في كتاب اللهِ تعالىٰ، أو في سُنَّةِ نبيّه الأمين عَلَيْهُ، أو مَن ادَّعیٰ ذلك لنفسه، قال اللهُ تبارك وتعالیٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلِّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدَّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

واعلم أخي المسلم الموحد: أنَّه يَكُفُرُ مَن أتىٰ شيئًا من هذه النَّواقض، أو رضي بها، أو عَمِلَ بعضها، أو غير ذلك من النَّواقضِ الَّتي تَخُصُّ توحيدَ العبادة.

١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الشوري، الآية: ٢١.

## ٣ ـ نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته:

توحيد الأسماء والصفات (١): هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله - جلَّ في عُلاه - له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وهو متَّصَف بجميع صفات الكمال المطلق من جميع الوجوه بنُعُوت العظمة والجلال والجمال، ومنزَّة عن جميع صفات النَّقص؛ متفرِّد بذلك عن جميع الكائنات.

وأهلُ السُّنَة والجماعة: يَعْرِفُونَ ربَّهم - جلَّ وعلا - بصفاته الواردة في القرآن والسُّنَة، ويَصفُونَ ربَّهم بما وصفَ به نفسه، وبما وصفه به رسولُهُ عَلَيْكُ ولا يُحرِفُون الكَلِمَ عن مواضِعِه، ولا يُلحدُون في أسمائه وآياته، ويُثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تَكْييف، ولا تَعْطيل، ولا تَحْريف، وقاعدتهم في كلَّ ذلك قولُ الله تبارك وتعالىٰ:

# ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

وينفونَ ما نفاهُ الله تعالى عن نفسه، أو ما نفاه رسُوله الأمين عَلَيْهُ من صفاتِ النَّقص مع اعتقادهم ثبوت كمال ضدَّ الصِّفة المنفية عن الله تعالىٰ.

وأمًّا فيما لم يرد نفيه ولا إِثباته في الكتابِ والسُّنَّة: فطريقتهم التَّوقفُ في اللَّفظ، والاستفصال في المعنى؛ فأمًّا اللَّفظ: فيتوقفون فيه فلا يثبتونه لعدم وروده، ولا ينفونه؛ لأنَّهُ قول على الله تعالىٰ بغير علم.

وأمًا معناه: فيستفصلون عنه؛ فإن أُريد به باطل؛ ينزه الله تعالىٰ عنه ردوه، وإن أُريد به حقُّ؛ لا يمتنع علىٰ الله تعالىٰ قبلوه.

<sup>(</sup>١) انظر: (توحيد الأسماء والصفات): ص (٢٤٧) من هذه الكتاب.

<sup>(</sup>٢) سورة النازعات، الآية: ٥٨.

وصفاتُ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - ثلاثة أقسام:

- صفاتٌ ذاتيةٌ: هي التي لم يزل ولا يزال الله تعالى متصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسَّمع، والبصر، والوجه، واليدين.
- صفات فعلية : هي الصّفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته ؛ إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ؛ كالجيء ، والنّزول ، والغضب ، والفرح .
- ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر: كصنفة كلامه تعالىٰ؛ فإن الكلام باعتبار أصله ونوعه صفه ذاتية؛ لأن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته تعالىٰ.

وأهل السُنَة والجماعة: عندهم القول في الصِّفات كالقول في الذات؛ أي: من حيث الثبوت ونفي المماثلة، وعدم العلم بالكيفية؛ فكما أنَّ ذات الله تعالىٰ ثابتة حقيقة؛ كذلك صفاته ثابته حقيقة. وكذا القول في بعض الصِّفات؛ كالقول في بعضها الآخر! فبهذا فهم يردُّون علىٰ الذين يثبتون بعض الصِّفات وينفون بعضها. وعندهم! الاتفاق في الأسماء لا يقتضي بعض الصِّفات وينفون بعضها. وعندهم! الاتفاق في الأسماء لا يستلزم التساوي في المسميات: أي أنَّ الاشتراك في الأسماء والعقل والحس.

فإنَّ الله - تبارك وتعالى - أثبت لنفسه في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيّه الأمين محمَّد عَلَى السماء وصفات، ونفى - سبحانه - كذلك عن نفسه صفات؛ فمَن انتقَصَ شيئًا ثمًّا أثبته الله لنفسه أو نفاه، أو أثبت لله تعالى شيئًا ثمًّا نفاه عن نفسه؛ فقد كَفَر، مع وجود الشُّروط وانتفاء الموانع.

وقوادِحُ توحيد الأسماء والصِّفاتِ، أي: الإلحاد فيه هي أربعةً:

التَّحريف، والتَّمثيل، والتَّعطيل، والتَّكيف، أي: تسمية الله تعالى، أو وصفه؛ بما لا يَليقُ به سبحانه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

#### ومن الأمثلة على ذلك:

- إنكارُ! أو جَحْدُ أسماءِ اللهِ تعالىٰ، أو صفاتِه العُلىٰ، أو بعضِ أسمائه، أو بعض صفاته، أو إثباتُ صفاتٍ الله تعالىٰ؛ نفاها الله عن نفسه.
- الإلحادُ في أسماءِ الله الحسنى وصفاته العُلى، أو نفيها، أو جحدُ معانيها، أو تحريفُها عن الصَّواب، وإخراجُها عن الحقِّ المراد؛ بالتأويلاتِ الباطلة، أو تعطيلُ صفاتُ الكمال ونعوت الجلال الثَّابتة في الكتاب والسُّنَة عن الله تبارك وتعالىٰ –؛ كمن نفى صفة القدرة، أو القيومية، أو السَّمع والبصر، أو الاستواء، أو علم، أو كلام إلى غيرها؛ كما يقولُ الجهميَّة: إنَّها ألفاظٌ مجرَّدةٌ؛ لا تتضمَّنُ صفاتٍ ولا معاني!
- جعلُ للهِ تعالى مماثلاً في شيءٍ من أسمائه وصفاته، أو وصفه تعالى بشيءٍ من صفات خلقه؛ كمن سمّى غير الله تعالى باسم من الأسماء الله تعالى؛ معتقدًا اتصاف هذا المخلوق بما دلّ عليه الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفة بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به.
- تشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين؛ كمن ادعى أنَّ الله تعالى يبصر كما يبصر البشر، أو يسمع كسمع البشر، أو يتكلم ككلام البشر.

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

- ادعى صفة من صفات الله تعالى، أو أثبت هذه الصفة الآي مخلوق، كقول من قال: عندي من الحكمة كما عند الله، أو قال: أنا أعلم كعلم الله.
- انتقاص من صفات كمال الله جلًّ في عُلاه كمن قال: إنَّ الله تعالىٰ عليمٌ، ولكن علمه إجمالي، وأنَّهُ سبحانه لا يعلم بالجزئيات والتفصيلات.
- وَصَّفُ الله تبارك وتعالى بصفة يجبُ تنزيهُ عنها، مثل: أَن يزعُمَ أَنَّ الله تعالىٰ شريكًا، أو ولدًا، أو يصفه سبحانه بالنَّومِ، أو السنَنة، أو الغفلة؛ تعالىٰ الله عمًا يقول المشبَّهُونَ علوًّا كبيرًا.
- تسمية الله عزّ وجلّ بما لا يَليقُ بجلاله تعالىٰ؛ كتسمية النصارىٰ له: أبًا، أو كتسمية الفلاسفة الله تعالىٰ: موجب الوجود بذاته، أو عِلةً فاعلةً.
- وصفُ الله تعالى بما يتعالى عنه سبحانه ويتقدَّسُ من النقائص؛ كقول أخبثِ اليهود: إِنَّ اللهَ فقيرٌ. أو إِنَّه استراحَ؛ بعد أن خلقَ خلقه، أو يَدُ اللهِ مغلولة؛ إِلَىٰ غيرِ ذلك من صفاتِ النَّقص التي تَعْتَرِي ابن آدم؛ فيكفر كل مَن قال ذلك، وكذلك يكفر من يصدقه في دعواه.

#### ٤ نواقض عموم الدين:

إِنَّ الدِّينَ الإسلاميِّ! هو تشريعات إلهية ربانيَّة محكَّمة من لدن العزيز الحكيم الخبير؛ سواءً كان في الاعتقادات؛ أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق والسُّلوك والتَّزكية، وهو حدودُ الله تعالى وأوامره ونواهيه، وما أراده - سبحانه وتعالى - من جميع عباده؛ لأنَّ الله - جلَّ في عُلاه - وحدة الذي يعلمُ ما يَصْلُحُ لعباده، وما يُفْسِدُهُمْ ؛ كيفَ لا! وهو خالِقُهُم ورازقهم ومربَّيهم سبحانه، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ إِن الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَبِيرُ ﴾ (٣).

ولاَنَّ الغايةَ من خلقِ العبادِ، والمقصودَ منه؛ هو عبادةُ الله تعالىٰ واتِّباع أوامره، وإِلاَّ أصبحَ خَلْقُهم عبثًا وهملاً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ (١٠).

فالتَّشريعُ الإلهيُّ! واجبٌ على كلِّ مَن يَعْقِلُ من عباده، وفرضُ عين عليه، ولا يجوزُ مخالفَتُهُ البَّقَ ! بأي شكل من الأشكال ؛ لأنَّ الحكمَ بشرع الله تعالىٰ في كلِّ شئونِ الحياة ؛ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الدِّينِ، ولا يصحُ الدِّينُ إِلاَّ بهِ، وإِنَّ من أصولِ الإيمانِ التَّحاكم إلىٰ اللهِ تعالىٰ ورسُولِهِ عَلَيْهُ في كلِّ أمر، والتَّسليم المطلق لحكمهما، والرِّضا به، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

<sup>(</sup>١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥. (٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الملك، الآية: ١٤. ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآية: ٤٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمُ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللهِ حُكْمًا لِقُومْ يُوقِنُونَ ﴾ (١).

فكلُّ حكم خالف حكم اللهِ تعالىٰ؛ فهو حكم جاهلية! قالَ الله تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكُمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

وبهذا يظهر جليًّا! أنَّ رفضَ التَّحاكم إلى الله - جلُّ في عُلاه - وإلى رَسُلِهِ عَلَيْكُ أُو رفض حكمهما، أو اعتقاد أنَّ حكمَ غيرهما أحسن من حكمهما؛ كفرٌ وخروجٌ من الإسلام! قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا ﴾ (٥٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١).

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٥٩. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠. (٣) سورة التين، الآية: ٨.

<sup>(</sup>٤) سورة يوسف، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ( ' ).

فعلىٰ المؤمنِ الصَّادقِ! أَن يستجيبَ لأَوامرِ رَبِّهِ - جلَّ في عُلاه - ولا يعترض علىٰ أَحكامه؛ لأَنَّ الذي يستجب للهِ تعالىٰ ولرسُوله عَلَيْ ولا يعترض! هو المؤمن حقًا وصدقًا، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ اللَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ أَن اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢).

لأَنَّ مَن اعترضَ لحكمِ اللهِ تعالىٰ، أو ظنَّ أَنَّ هناك حكمٌ أفضل من حكمه، أو خالف أحدِ أوامرِهِ – مع عَدَمْ اعتقادِهِ – أو خالفها بالكليَّة؛ فهي سواءٌ عندَ اللهِ تعالىٰ، وكذلك الاعتراضُ علىٰ أوامرِهِ، أو علىٰ أحدِها؛ اعتراضٌ علىٰ اللهِ – سبحانه وتعالىٰ – وهذا كفرٌ ورِدَّة.

فإِنَّ مقتضىٰ الإِيمانِ بالله تعالىٰ هو تنفيذُ أَوامره، وتركُ نواهيهِ سبحانه، والتَّسليمُ المطلَقُ له تعالىٰ؛ بدون تردُّدٍ، أَو توقُّفٍ، أَو شَكَّ.

والواجب على المسلم الصَّادق: أمامَ شرعِ الله - عزَّ وجلَّ - التَّسليمُ
 التَّامُ، والإيمان الكامل، والتَّصديق المطلق، والرَّضا بحُكمه تعالى، بقوله:

(آمَنًا وَصَدَقْنَا، سَمِعْنا وَأَطَعْنَا) فَحَسْبُ!

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

وهكذا كانَ شِعارُ المؤمنينَ - الصَّادقين المخلصين العاملين - مع الله تعالىٰ؛ من الصَّحابةِ الكِرام - رضي الله عنهم - والتَّابعين العِظام، وأولياءُ اللهِ المتقين - رحمهم الله أجمعين - وكان ذلك أيضًا؛ شِعارُ مَن تبعهم من المؤمنين الصَّالحين؛ بإخلاص وصدق وإحسان لهم إلىٰ يومنا هذا، والأمر باق علىٰ هذا الحال معهم إلىٰ يوم الدين، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْـمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ كُولَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمُ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ كَا وَمَن يُطعِ اللَّهَ وَيَتَقَهْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (١).

وأمًّا دأْبُ الكافر - ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً - هو الاعتراض،
 والاستهزاء، والطَّعنُ في تشريع اللهِ سبحانه، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلُّ أَفَاكِ أَثِيم ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُ مُسْتَكُبْرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعُهَا فَبَشُرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلِّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (١٠).

<sup>(</sup> ١ ) سورة النور، الآيتان : ١٥ ــ ٥٢ .

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الجاثية، الآيات: ٧ –٩.

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنًا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتُولَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ إِنَّ كُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿ إِنَّ ﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَم ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ ﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَتِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿ ۞ وَمَن يُطع اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقُهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْروفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلُّواْ فَإِنُّمَا عَلَيْهِ مَا حُمُّلَ وعَلَيْكُم مَّا حُمَّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُول إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾(١).

إِنَّ دينَ الحقِّ لا يتم إِلاَّ باعتقادِ أَنَّ العملَ بالتَّشريعِ الإلهيِّ هو أَمرُ اللهِ تعالى، وأَنَّ الإعراض عن شرعه - سبحانه - مناقضٌ للعقيدة؛ فالاعتراضُ وعدمُ الرِّضا بتشريعِ اللهِ تعالىٰ كُفرٌ وردَّة؛ لأَنَّ هذا الاعتراض والطَّعنَ في التَّشريعِ يقتضي الاعتراض والطَّعنَ في صاحبِ الرِّسالة محمَّدٍ عَلَيْكُ أَو إِنكارَ ما جاء وأخبرَ به وهذا ناقضٌ من نواقض الإيمانِ، وردِّةٌ عن دين الإسلام.

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآيات: ٤٦ - ٥٤.

وكذلك الاستهزاء ! بمن يعمل بهذا التَّشريع الإلهيّ من المسلمين، أو الاستهزاء بهم بسبب تمستكهم بشعيرة من شعائره، أو مُعاداتُهُم من أجل تلك الشَّعيرة ؛ يكون كُفرًا ورِدَّة ؛ لأنَّه مُحارَبَةٌ لدين اللهِ تعالى ومحادَّةٌ له، وصد عن سبيل الله ؛ لأنَّ هذا الاستهزاء ؛ ينصرِف في حقيقة الأمر إلى التَّشريع نفسه، ثمَّ إلى مُبلِّعه عَلَيْ ثُمَّ إلى مُنزَّلِهِ سبحانه، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿ وَ وَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿ وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ عَالَمُونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ مَافِطِينَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُمُ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا مَنْ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ ﴿ وَ اللَّهِمُ اللَّهُ وَا اللّهُ وَا اللَّهُ وَا إِلَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا إِلَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَلَا مِنَ اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ وَال

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢).

فيُكَفَّرُ! كلَّ مَن الطَّعنَ في القُرآن العظيم الذي هو كلام رَبِّ العالمين: كدعوى المشركين أنَّهُ سحرٌ، أو شعرٌ، أو أساطيرُ الأولين، أو أنَّهُ مفتر مكذوب، وكذا مَن زعمَ أنَّهُ قول البشر، أو نفي إعجازه، أو حاول معارضته بمثله، وزعم أنَّ ذلك ممكن، أو كذب ببعض ما اشتمل عليه، أو أنكر بعض السُّور، أو الآيات المنقولة بالتواتر، ونحو ذلك.

<sup>(</sup>١) سورة المطففين، الآيات: ٢٩ ــ ٣٥.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢.

أو مَن انكر حكمًا من الأحكام الشَّابتة في القُرآنِ أَو السُّنَة؛ كإنكار حكم معلوم من الدِّين بالضرورة: من أَنكر حرمة الزِّنا، أَو شرب الخمر، أَو السَّرقة، أَو أَنكر فريضةَ الزَّكاةِ، أَو الصَّلاةِ، أَو ادَّعيٰ زيادة ركعة في إحدىٰ الصَّلواتِ، أَو أَجازَ الصَّلاة بدون وضوء، ونحو ذلك (\*).

أو مَن أَنكرَ شيئًا من الأُمور الغيبية التي أمرَ الله تعالى بالإيمان بها في كتابه وعلى لسانِ نبيه عَلَي كالملائكة، والكُتب، والرُسل، والبعث بعد الموت، وحشر الأجساد والجنَّة والنَّار، وعذاب القبر ونعيمه، ونحو ذلك.

أو من طعن في رسالة النّبِيّ عَلَيْكَ أو في شريعته الغراء، أو في صدقه، أو تكذيبه، أو دعوى خيانته، أو كتمانه لما أوحي إليه، وكذا إظهار سبّه، أو عيبه، أو التهكم بسيرته العطرة، أو شيء من أعماله، أو أحواله، أو تصرفاته المباركة، أو إنكار بعض ما أخبر به الرّسُول عَلَيْكَ أو استهزأ بفعل من أفعاله عَلِي الشّريفة الثّابتة عنه، أو من أنكر شيئًا من القرآن؛ لأنّه مما أخبر به الرّسُول عَلَيْ الشّريفة الثّابتة عنه، أو من أنكر شيئًا من القرآن؛ لأنّه مما أخبر به الرّسُول عَلَيْ أو مَن أنكر أمرًا من الأمور التي أخبر عنها، وثبتت ذلك عنه عَلَيْ كالحوض والميزان والبعث والحساب والصراط والجنّة والنّار، وغير ذلك من المغيبات، ونحو ذلك مما يدل على إنكار رسالته في الباطن؛ فإنّ الطعن فيه طعن في الله تعالىٰ؛ الذي أرسله بالهدى ودينُ الحقّ، وحمله هذه الرّسالة الكريمة العظيمة.

ويكفر مَن أَنكر نبوة، أو رسالة مَن أثبت القرآن لهم النّبوة، أو الرّسالة، وكذلك مَن ادّعى النّبوة بعد النّبيّ عَلَيْ أو مَن أنكر إرسال الرّسل قبل

<sup>(\*)</sup> تنبيه! ولكن لا يكفر من أنكر حكمًا مُجْتَهَدًا فيه، وليس مُجْمَعًا عليه، أو أنكر شيئًا ليس مُشْتَهَرًا من الدين، ولا يعلمه إلا خاصة العلماء.

محمَّد عَلَيْ أو جحد ما ذكره الله تعالى من قصصهم مع أقوامهم، أو مَن أنكر شيئًا جاء به القرآن وأثبته؛ كالجنّ والملاثكة والعرش واللوح والقلم، أو مَن طعن في رَسُول من رسُل الله تعالى، وأنكر رسالته، أو نبوته، أو مَن أنكر إعجاز القرآن الكريم؛ لأنّ ذلك ثابت بإخبار الله تعالىٰ.

وهَذِهِ النَّواقضُ تَقَعُ؛ باعتقاد، أو قول، أو فعلِ أيِّ أمرٍ يمسُّ دينَ الإسلام، أو تشريعَهُ، أو رسولَهُ، أو سُنتُهُ عَلَى : بطعن، أو تنقيص، أو الستهزاء، أو تكذيب، أو شك، أو ريب، أو تردُّد!

وكلُّ هذه الأُمور تعتبر ناقضًا من نواقضِ الإيمان، ورِدَّةً عن الإسلام، والعياذُ باللهِ تعالىٰ (\*).

واعلم! أخي المسلم اللّبيب: أنَّ المعرضونَ عن دين اللهِ تعالىٰ، والمعترضونَ عليه وعلىٰ دعوة رسُله؛ بهوىٰ عقولهم، أو بهوىٰ عقول وأفكار غيرهم! فهولاء موجودن في كلَّ زمانٍ ومكانٍ! منذُ أن خلقَ الله

<sup>(\*)</sup> قال العلاَّمةُ الشيخ ابن باز، رحمهُ الله: (الأحكام التي شرعها الله لعباده، وبينها في كتابه الكريم، أو على لسان رسُوله الأمين – عليه من ربه أفضل الصَّلاة والتَّسليم – كأحكام المواريث، والصَّلوات الحمس، والزَّكاة، والصَّيام، ونحو ذلك بما أوضحه الله لعباده، وأجمعت عليه الأمَّة؛ ليس لأحد الاعتراض عليها ولا تغييرها؛ لأنَّهُ تشريعٌ محكمٌ للأُمَّة في زمان النَّبِي عَنِي وبعده إلى قيام السَّاعة، ومن ذلك: تفضيل الذَّكر على الأنثى من الأولاد، وأولاد البنين، والإخوة للأبوين وللأب! لأنَّ الله – سبحانه – قد أوضحه في كتابه، وأجمع عليه علماء المسلمين؛ فالواجب العمل بذلك عن اعتقاد وإيمان، ومن زعم أنَّ الأصلح خلافه فهو كافرً! وهكذا من أجاز مخالفته يعتبر كافرًا؛ لأنَّهُ معترضً على الله – سبحانه – وعلى رسُوله على إجماع الأمَّة؛ وعلى ولي الأمر أن يستتيبه – إن كان سبحانه – وعلى رسُوله على إجماع المسلين العافية من مضلات الفتن ومن مخالفة الشرع دينة فاقتُلُوهُ » نسألُ الله لنا ولجميع المسلين العافية من مضلات الفتن ومن مخالفة الشرع دينة فاقتُلُوهُ » نسألُ الله لنا ولجميع المسلين العافية من مضلات الفتن ومن مخالفة الشرع المطهر) « مجموع فتاوى ابن باز » ج ، ص ١٥٠ .

تعالىٰ أبينا آدم – عليه الصّلاةُ والسّلامُ – في الجنّة؛ يعلنون وينافحون عن إعراضهم، ومعارضتهم بلسانهم وبنانهم، وربما بأنفُسهم وأمالهم، وفي الحقيقة ما هم إلاَّ امتدادٌ لدعوة إبليس الملعون والمطرود من رحمة الله تعالىٰ! فركبهم بدأ من حين أعرض إمامهم عن أمر الله تعالىٰ، وعارضه بحجج عقلية واهية! عندما عقد مقارنة بين مادة خلقه ومادة خلق آدم؛ فاغتر بنفسه، واستكبر عن أمر ربّه له بالسّجود لآدم؛ فكانت عاقبة أمره خسرًا؛ فاستحق الخزي واللعنة إلىٰ يوم الدين، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمُّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمُّ قُلْنَا لِلْمَلاثِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿ فَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاً قَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنَهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿ فَ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿ فَ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِن الصَّاغِرِينَ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ فَالَ فَاللَّهُ مِنْ السَّاعُولِينَ فَاللَّ أَنْ عَلَى اللَّهُ مُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ فَا لَهُمْ عَلَى اللَّهُ مُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ لَنَ اللَّهُمْ وَلَا اللَّهُمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا لَا مُسْتَقِيمَ مَنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا لَا مُسْتَقِيمَ مَنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا لَنَا عَلَى مَا مُذَّهُ ومَا مَدْءُومًا مَدْءُومًا مَدْهُومًا مَنْ مُولًا لَمَن اللَّهُ مَعْمَى اللَّهُ مَعْمَا مَذْءُومًا مَدْءُومًا مَنْهُمْ لأَمْلُأَنَ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٠).

ثمَّ اقتدىٰ بإبليس - العدو الأكبر لابن آدم - في إعراضه عن الحقّ ومعارضته له بحجج عقلية؛ مَن تبعه من ضعفاء العقول من ابن آدم! الذين اتَّبعوا أهوائهم بوسوسة من إمامهم! فكان أوَّلهم قوم نبيَّ اللهِ نوح - عليه

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآيات: ١١ - ١٩.

الصَّلاةُ والسَّلامُ - الذين قادتهم عقولهم إلى عدم استجابتهم لنوح؛ لأنَّهُ بشرٌ مثلهم وليس ملكٌ، واقترانهم بالضُّعفاء ممن تبعه حط لمكانتهم، وتنزيل لقدرهم: ﴿ قَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾(١).

ثمَّ اتَّباعَ إِبليسُ من بعد هؤلاء؛ عاد وثمود، وقوم إِبراهيم، وأصحاب مدين والمؤتفكات؛ كلَّ هؤلاءِ أعرضوا عن الحقِّ المبين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُورِيبٍ ﴾ (٢).

ثمَّ جاءَ كفَّار قريشٍ؛ قوم خاتم النبيِّينَ عَلَيُّ فأعرضوا عن دعوة نبيِّهم محمَّد عَلَيُّ وعارضوه وكذبوه؛ بل إنهم ولشِّدَّةِ استحكام الكفر في قلوبهم أنكروا آيات رأوها رأي العين، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ ﴾ (٣).

ثمَّ جاء دور المنافقين! فأعرضوا عن الحقّ، وعارضوه بما استطاعوا، وبما أنَّهم منتسبون للإسلام ظاهرًا! فقد كسوا معارضتهم العقلية على التَّشريع الألهي بلباس الشَّرعيَّة ووجهوا سهامهم صوب من يحمل شرع الله تعالىٰ.

فالمنافقون في عهد النُّبوةِ لم يعلنوا أبدًا أنَّهم مخالفين للتَّشريع الألهيِّ! بل كانوا يقدمون بين يدي معارضتهم أعذارًا شرعيَّةً، قالَ الله تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

<sup>(</sup>٣) سورة القمر، الآية: ٢.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة إبراهيم، الآية : ٩ .

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلا تَفْتِنِي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَمَ لَمُحِيطَةٌ بَالْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُحَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (٢).

وأَنَّ الهداية لطريق الحقِّ والصِّراط المستقيم؛ مبدؤُها من نفسِ ابن آدم وتسليمه للفطرة ودينِ الحقِّ؛ فالمعترضون والمعارضون للتَّشريع الإلهيِّ! هم قومٌ زائغون، وقلوبهم مخالفةٌ لما فطرهم الله تعالىٰ عليه من الهداية ودين الحقِّ! فزاغت قلوبهم ابتداءً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ( \* ) .

والذين إِذا زاغت قلوبهم مرضت، ثمَّ عُرضت للفتنة ! فيتبعون المتشابه، أو يختلقونه لغرض بيَّنه الله تعالىٰ ألا وهو: ابتغاء الفتنة ! وابتغاء صرف النُّصوص عن ظاهرها، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأُويِلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأُويِلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأُويِلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأُويِلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنًا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (\*).

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

<sup>(</sup>٤) سورة الصف، الآية: ٥.

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٤٢. (٣) سورة الفتح، الآية: ١١.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

فالمعارضونَ للتَّشريع الإلهيِّ والمعترضون علىٰ دين الحقِّ؛ حُجبت عنهم طريق الهداية، وسبيل النَّجاة والفلاح! بسبب ما قام في قلوبهم من مرض الاستعلاء علىٰ الحقِّ وبغضه، وعدم الرِّضا والتَّسليم له، وبسبب اتِّباعِ أهوائهم، وعقولهم القاصرة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكُذِبُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبِّرُونَ فِي الأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَىهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقُلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

وخلاصة القول! أنَّهُ ما زاغ عبدٌ عن طريق الهداية، وراغ عن الحقّ وعارضه؛ إلاَّ بسبب ما قام في قلبه من زيغ وكراهة له، وافتعال للشُّبهاتِ واتَّباع للشَّهواتِ، ومعارضته له بحجج عقلية واهية، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبُهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِيٰ الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴾ (٣).

فغيابُ التَّصور الصَّحيح لمعنى العبوديَّةِ عن ذهن العبد المكلَّف، وغيابُ فقه الاعتقادِ أَنَّ عبادةَ اللهِ تعالىٰ وحده لا شريك له؛ هي الغايةُ التي من أجلها خُلِقَ جميع الخلق، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾ (٤). يجعلُ العبد أن يعظمَ نفسه، ومن ثمَّ يتبع ما يمليه عليه هواه وعقله، أو يكبر في نظره عبيد آخرين أمثاله؛ فيتبعهم!

وحقيقة العبودية لله تعالى: هي أن يكون العبد الفقير في غاية الخصوع والذّل والانقياد لرّبة تعالى؛ يأتمر بأوامره وينته عن نواهيه، ويسلم ناصيته له - سبحانه - لاحول له ولا قوة؛ فالعبد خاضعٌ ذليلٌ لمولاه، لا يعترض ولا يعارض، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٦. (٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحج، الآية: ٥٣. (٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

<sup>(</sup> ٥ ) سورة النور، الآية: ٦٣ .

قَالَ الْإِمَامُ الحَافظُ ابن كثيرٍ – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية :

(قوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: عن أمر رَسُول الله عَلَيْهُ سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته؛ فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله؛ كاثنًا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله عَلَيْهُ أَنْهُ قال: ( مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدِّ ، أي: فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرَّسُول باطنًا أو ظاهرًا. ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وليخْشَ من خالف شريعة الرَّسُول باطنًا أو ظاهرًا. ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ ﴾ أي: في الدُّنيا؛ بقتل، أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك.

قالَ الإمامُ أحمد: حدثنا عبد الرَّزاق، حدثنا مَعْمَر، عن همام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُرَيرة، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيُّهُ: ﴿ مَثْلِي وَمَثْلُكُمْ كَمَثُلِ رَجُلِ اسْتَوْقَلَ نَارًا! فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا ؛ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ كَمَثُلِ رَجُلِ اسْتَوْقَلَ نَارًا! فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا ؛ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ اللَّيِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ ، يَقَعْنَ فِيها، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَعْلِبْنَهُ وَيَقْتَحِمْنَ فِيها ، وَجَعَلَ يَحْجُزُكُمْ عَنِ النَّارِ وَيَقْتَحِمُونَ فِيها » وَمَقْلُكُمْ ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزَكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمُ عَنِ النَّارِ ؛ فَتَعْلِبُونِي وتَقْتَحِمُونَ فِيها » ) .

وقال العلاُّمة المفسِّرُ القرطبي – رحمهُ اللهُ – في تفسير هذه الآية :

(بهذه الآية احتَجُ الفُقهاء على أَنَّ الأَمرَ على الوجُوب. ووجهها أَنَّ اللهُ - تبارك وتعالى - قد حذَّرَ من مُخالَفَة أَمره، وتوعَّدَ بالعقابِ عليها بقولِهِ: ﴿ أَنْ تُصِيبِهُمْ فِئْنَة أَوْ يُصِيبِهُمْ عَذَابِ أَلِيم ﴾ فتحرُم مُخالَفَته؛ فيجب إمتثال أمره، والفتنة هنا القتل، قالة ابن عبَّاس، عَطَاء: الزَّلازل

والأهوال. جعفر بن محمَّد: سُلطان جاثِر يُسلَّط عليهم. وقيلَ: الطَّبع على القُلوب بشُؤْم مُخالَفَة الرَّسُول. والضَّمير في أَمْره، قيل هو عائد إلى أمر الله تعالىٰ؛ قاله يحيىٰ بن سلاَّم. وقيل: إلىٰ أمر رَسُول عليه السَّلام؛ قاله قتادة. ومعنىٰ ﴿ يُخالفونَ عَنْ أَمْره ﴾ أي: يُعْرِضُونَ عَنْ أَمْره).

وقالَ الإمامُ الطبريُّ - رحمهُ الله - في تفسيره:

(حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وقد يَعْلَمُ اللهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ قال: هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسُول الله عَيْكُ قال: اللواذ: يلوذ عنه، ويروغ ويذهب بغير إذن النّبِي عَيْكُ ﴿ فُلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم. الفتنة هاهنا: الكفر، واللّواذ: مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا، ولذلك ظهرت الواو، ولو كان مصدرا للذت لقيل: لياذا، كما يقال: قمت قياما، وإذا قيل: قاومتك، قيل: قواما طويلا. واللواذ: هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا، وهذا بهذا، كما قال الضحاك.

وقوله: ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يقول: أو يصيبهم في عاجل الله الله عذابٌ من الله موجع، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسُول الله عَلَى الله وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ اللَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ وأدخلت عن؛ لأَنَّ معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين).

وقالَ الإِمامُ البُّغويُّ – رحمهُ اللهُ – في تفسيره:

( ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: أمره وعن صلة. وقيل:

معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: لئلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدُّنيا. ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وجيع في الآئيا).

وقالَ العلاَّمةُ عبدالرَّحمن السَّعديِّ - رحمهُ الله - في تفسيره:

(﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: يذهبون إلى بعض شئونه؟ شئونه؟ من أمرِ الله ورسُوله؛ فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شئونه؟ وإنَّما ترك أمر الله من دون شغل له. ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: شرك وشر ﴿ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: شرك وشر ﴿ أَنْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ ﴾ ).

# الأمثلة على بعض نواقض الإيمان الاعتقادية، والقولية، والعملية

للزيادة في الإيضاح؛ نذكرُ بعضَ الأمثلة - على سبيلِ المثالِ لا الحصر - لأقسام نواقضِ الإيمانِ الثلاثةِ: بالاعتقادِ، والقولِ، والفعل. الأوّل: نواقضُ الإيمان بالاعتقاد:

هي الاعتقاداتُ الباطِلَةُ، التي تُبَتَتْ بالأَدِلَة الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدَّلالةِ علىٰ أَنَّه كفرٌ صريحٌ مخرِجٌ من دينِ الإسلام، ويكون بمجرَّدِ اعتقادِ القلب، وإن لم يتكلَّمْ بها، أو يفعَلْ شيئًا منها.

1 - الجحدُ، أو الشَّكُ في وجودِ الله سبحانه وتعالى، أو الاعتقاد بأنَّ لله تعالىٰ شريكًا في ربوبيَّتِه - جلَّ وعلا - أو الاعتقادُ بقدَم العالم، أو الله تعالىٰ شريكًا في ربوبيَّتِه - جلَّ وعلا - أو الاعتقادُ بقدَم العالم، أو إسناد الخلق إلىٰ غير الله تعالىٰ؛ كالقول بأنَّ الكون خُلق صدفة، أو أنَّ الطبيعة هي الخالقة، أو ادعاء الرِّزق من غير الله تعالىٰ، أو إشراك غيره معه في ذلك، أو الادعاء بأنَّ الله تعالىٰ قد خلق الخلق وأهملهم، أو ادعاء أحد لنفسه شيئًا من هذه الخصائص؛ كما ادعىٰ فرعون الرُّبوبيَّة.

٧- إنكار صفات الكمال لله تعالى، أو تشبه صفات الله تعالى بصفات الله تعالى بصفات المخلوقين، أو نفي شيئًا مما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله على أو أشرك بالله تعالى؛ فجعل له ولدًا، أو بنات، أو مثيلاً مشابهًا له

سبحانه وتعالى، أو إنكار حقّ العبودية لله تعالى، واستحقاقه وحده لا شريك له في جميع العبادات، أو اعتقد أنَّ الله - سبحانه - لا يخشى منه، أو لا يتوكلُ عليه.

٣- التَّكذيبُ، أو الشَّكُ في رسالةِ نبئ الإسلامِ محمَّدِ عَلَيْكُ أو جحدُ عمومِ رسالتِهِ، وختمِهِ للنبوَّة، أو إنكارُ بعضِ ما أخبرَ به الرَّسُولُ عَلَيْكُ أو الطُّعنُ فيه بعد تُبُوتِه.

الاعتقادُ بأنَّ الرَّسولَ عَلَيْهُ كَتَمَ شيئًا ثَمَّا أُوحىٰ اللهُ تعالىٰ إليه وهو مأمورٌ بتبليغه.

- التَّكذيبُ أو الشُّكُ في شيء من أركانِ الإسلام الخمسة، أو أركانِ الإيمانِ الستَّة، أو الجنَّة، أو النَّار، أو الثَّوابِ والعقاب، أو البعث والنَّشُورِ، أو الجنِّ، أو الملائكةِ، أو أنَّ الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، أو إنَّ الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، أو إنكار صفاتِ الله تعالىٰ أو صفة منها، أو اعتقاد التجسيمِ والتمثيلِ في ذاته تعالىٰ، أو إنكار، أو الشَّكُ بشيءٍ ثمَّا هو مُجْمَعٌ عليه؛ كالإسراءِ والمعراج، أو الشَّكُ بشيءٍ ثمَّا هو مُجْمَعٌ عليه؛ كالإسراءِ والمعراج، أو الشَّكُ فيما أخبَرَ به الله - تبارك وتعالىٰ - ورسولُهُ محمَّد عَلَيْهُ من الأمور الغيبيَّةِ، وغيرها.

وسائر شيء من القرآن، أو اعتقادُ زيادة فيه، أو الاعتقادُ بانً للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأنَّ باطنه يُخالِفُ ظاهِرَه، أو أنَّ هذا الباطنَ مخصوصٌ للبعض دونَ بعض.

٧- الإيمانُ بشريعة غير الإسلام، واعتقادُ صلاحيتها للبشر، أو العملُ بها، وتطبيقها، أو الرّضا بها، أو التّحاكم إليها.

٨- اعتقادُ عدم كُفر الكفّار من: الملحدين، والمشركين، والمرتدين، والمرتدين، والزنادقة، أو الشك في كُفرهم، أو تصحيحُ مذهبهم، أو موالاتُهم على حساب الدين.

٩- الاعتقادُ بأنَّ الكنائسَ أو المعابدَ؛ بيوتُ الله - جلَّ وعلا - وأنَّ اللهَ تعالىٰ يُعبد فيها ويذكر ويُوحَدُ، وأنَّ ما يفعلُهُ اليهودُ والنَّصارىٰ في هذه الأَماكن عبادةٌ لله تعالىٰ، وطاعةٌ لَهُ - سبحانه - ولاَنبيائِه ورسُلِه عليهم أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلام.

• ١- جَحْدُ وجوبِ شيءٍ معلوم من الدّين بالضّرورة؛ كالصّلواتِ الخمس، والزَّكاةِ، والصّوم، والحجّ، وغيرها.

1 1 - اعتقادُ تحريم مباح معلوم من الدين بالضرَّورة ؛ كالبيع والنّكاح ، أو اعتقادُ إِباحة محرَّم معلوم من الدين بالضرَّورة ؛ كالقتلِ ، والزِّنا ، والرِّبا ، والحمر ، أو إعطاءُ غير الله تعالىٰ حقَّ الأَمرِ والنَّهي ، وحقَّ التَّحليلِ والتَّحريم ، وحقَّ التَّحليلِ والتَّحريم ، وحقَّ التَّسريع ، أو اعتقادُ جواز الاحتكام إلىٰ غير اللهِ تعالىٰ .

١٦ - تكذيب رُسُلِ اللهِ تعالى، أو تكذيب واحد منهم! في أي أمر من الأمور الثّابتة عنهم.

٣ ١ - اعتقادُ صفاتِ الرَّبوبيَّة أو الأُلوهيَّة في المخلوقِ والعياذُ بالله تعالىٰ.

١٤ - ادُّعاءُ النبوَّةِ، أو تصديقُ من يدُّعيها.

١٥ - الاعتقادُ بأنَّ البعض يَسَعُهُ الحروجُ عن شريعةِ الإسلام، أو لا يجبُ عليه اتَّباعُ النَّبِيِّ عَلَيْكُ ، أو يجُوزُ للشَّخصِ أن يلتزمَ بدينٍ آخرَ غيرِ دين الإسلام.

١٦ - الاعتقادُ بأنَّ جُمْهُورَ الصَّحابةَ - رضيَ الله عنهم أجمعين - ارتدُّوا، أو فستقُوا، أو خانوا؛ بعد وفاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ .

١٧ - انكارُ صُحْبَةِ أبي بكر الصّدِّيقِ - رضي الله عنه - وصدْقِهِ مع الرّسُول عَلَيْ ؛ لأنّه تكذيبٌ لنص القرآن .

١٨ - الرُّضا بالكُفر، والعَرْمُ على الكُفر، أو تعليقُ الكُفر بأمر مستقبل.

19 - مَن ضَحِكَ لمن تكلُّم بالكُفر مع الرُّضا به.

٣ - من شك في كُفر من عَمِلَ الأعمالَ المُكَفَّرة الظَّاهرة التي استبانَ دليلُها، واتَّفقَ أَثمَّةُ أهل السُنَّة والجماعة عليها.

وغيرها من صُورِ نواقضِ الإيمانِ الاعتقاديَّة.

الثَّاني: نواقضُ الإيمانِ بالقولِ:

هيَ الأَقوالُ والأَلفاظُ الصَّريحةُ التي ثَبَتَتْ بالأَدِلَّةِ الشَّرعيَّةَ القطعيَّةِ الدَّلالَةِ علىٰ أَنَّها كفرٌ صريحٌ مُخرجٌ من دينِ الإسلام، ويكونُ بمجرَّدِ التَّلفُّظ بها.

١- سبُّ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - أو نسبةُ العيبِ إليه - جلَّ وعلا - أو سبُّ الرَّسولِ عَلَيْهُ أو أحدِ الرُّسل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - أو سبُّ المُلائكة، أو سبُّ دين الإسلام.

٧- القولُ بأنَّ القرآنَ نُقص منه بعد موت رسُول اللهِ عَلَيْ أَو زيد فيه حرفٌ، أو بُدُّل منه حرفٌ، أو القول بأنَّ هذا المسموع، أو المكتوب ليس هو القرآن، أو القولُ بأنَّ القرآن ليسَ كلامُ اللهِ تعالىٰ.

٣- الاستهزاء بالله العظيم - جلَّ في عُلاه - وبرسُولِهِ الاَمين محمَّد بن عبد الله عَلَى وانتقاصُهما، أو الاستهزاء بكلامه - جلَّ وعلا - وكتابه الكريم «القرآن العظيم» أو سائر كُتُهِه، أو بآية من آياتِه، أو برسُله، أو بالرَّسُولِ محمَّد عَلَى مثل: الطَّعنِ في صدقِه، أو في أمانتِه، أو عفَّتِه، أو عرضه؛ كقول أنَّه عَلَى كان شهوانيًا فقد أكثرَ من النساء، أو الاستهزاء والاستخفاف بشخصِهِ الكريم عَلَى ؟ كقول: أنَّه أسودُ اللَّون، أو أنَّه أصفرُ اللَّون، أو بسنته المطهرة عَلَى أو ردِّها وعدم قبولها؛ بحُجَّة أنَّها لا تُوافِقُ العقل.

١٤ - الاستهزاء والسُّخرية من أسماء الله تعالى، أو تنقُصه، أو بوعده بالنَّار؛ كقول بعضهم: لو أعطاني الله الجنَّة ما دخلتُها، لو

شَهدَ عنديَ الأنبياءُ والرُّسلُ بكذا ما قبلتُ شهادتَهُم، أو ما لحقني خيرٌ منذ أن صلَّيتُ، أو ما نفعتك صلاتُك، وغير ذلك.

الاستهزاءُ والاستخفافُ بأحكامِ الشَّريعة الغَرَّاءِ، ووصفُها بالأَوصافِ القبيحة؛ كأن يقولَ قائلٌ: قطعُ يَلدِ السَّارِقُ جريمةٌ بشعةٌ، أو رجمُ الزاني المحصن ظلم.

٣- الاستهزاءُ والاحتقارُ للشَّعاثِر الإسلاميَّة الثابتة؛ كإعفاء اللحيَّة، أو حجابِ المراَةِ، أو شعائر العباداتِ، وغيرها.

٧- معارضة أوامر الله - تبارك وتعالىٰ - كليًّا، أو معارضة أمر واحد .

النَّبِيُّ عَلَيْكُ في عرضه، أو اتَّهامُهُ في تبليغه، أو الاستهزاءُ به.

9- دعاءُ الأنبياء والأولياء والصَّالحين، والاستغاثة بهم عند الكُرَبِ والشدائد، وسؤالُهم ما لا يقدرُ عليه إِلاَّ الله - تبارك وتعالىٰ - وكذلك الاستعادة بهم.

• ١- القولُ: أنا لا أخافُ الله. أو أنا لا أحبُّ اللهُ تعالىٰ.

١ - القولُ: إِنَّ الرَّسُولَ عَلَيْكُ لم يوجب علينا الصَّلَاةَ، أو الزَّكاة، أو الصَّومَ، أو الحجِّ.. إلخ.

١٢ - القولُ: إِنَّ الدِّين لا صلَة له بالدولة، وسائرِ شؤونِ الحياة، أو إِنَّ تعاليمَ الإسلام لا تتناسَبُ مع هذا الزمن.

١٣- القولُ: لمن التزمَ بدين الإسلام: أنت رَجْعِيٌّ.

١٤ - القول: إِنَّ دينَ الإسلامِ وتعاليمَهُ؛ هو سببُ تأخُرِ المسلمينَ، أو
 بلاد المسلمين.

١٥ - قولُ شخص عن عدوه: لو كان رَبِّي ما عَبدتُه، أو لو كان نبِيًا
 ما آمنتُ به.

١٦ - قولُ المرءِ لمن قال (لا حول ولا قوة إِلاَّ بالله): هذا القول لا يُعني من جُوع.

١٧ - قولُ شخص عن ولَدهِ أو زوجته: هو أحبُّ إِليَّ منَ الله، أو من رسُولِه ﷺ.

١٨ - ادِّعاءُ الوحي، وإن لم يدَّع معها النُّبوَّة.

١٩ - ادِّعاءُ الغيبِ، أو ما يقَعُ في المستقبل جازمًا.

٥ ٣ - قولُ الشَّخص: إِنَّ اللهَ نقَّص من مالي، وأَنا أُنقَصُ من حقّهِ ولا أُصلَى.

٢١ - قولُ الشَّخص لمن يُحبُّه: لو أعطاني الله الجنَّة؛ لا أدخُلُها من دُونِكَ.

٣٢ - قول مَن صلّىٰ في رمضان فقط، ثمَّ قال: هذا أيضًا كثير، أو
 هذا يكفى وزيادة.

٣٣ - قولُ الفاسقِ إِذَا قيل له صلِّ حتىٰ تجد َ حلاوةَ الصَّلاة: لا أُصلِّي حتىٰ أَجد َ حلاوةَ التَّرك .

المعازف. على نغمات الدَّف، أو على نوع من أنواع المعازف.

٣٥ من عَابَ شيئًا من القرآنِ العظيم، أو قرأةُ على وجهِ الهزل والمزاح.

٣٦ - مَن طعنَ في عدالة الصّحابة، أو جمهورهم، كأن يقولَ عنهم:
 فُسَّاقٌ، أو ضُلاًل.

٧٧ – مَن قالَ بِٱلوهية عليٌّ – رضي الله عنه – أَو نُبُوَّتِهِ.

٣٨ - ادّعاءُ أنَّ جبريل - عليه السلام - خانَ الأَمانة؛ فأنزلَ الوحيَ
 على محمَّد عَلَيْ بدلاً من أن ينزَلَهُ على على .

٣٩ - قَذْفُ أُمَّ المؤمنين الصديّقة عائشة بنت الصدّيق - رضي الله عنهما - بما برّاً ها الله تعالى منه من فوق سبع سموات.

إِلَىٰ غيرِ ذلك من الأَقوال القبيحةِ المناقضةِ للإيمان والإسلام.

الثَّالث: نواقضُ الإيمان بالفعل:

هي الأفعالُ التي تُبَتَّ بالأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدَّلالَةِ على أَنَّها كَفَرِّ صريحٌ مُخرجٌ من دين الإسلام؛ دونَ اشتراطِ الجحود، أو الاستحلال، أو الاعتقاد، أو قصد الكفر، ويكون بمجرَّدِ فعله.

١- السُّجودُ لغيرِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - والنَّذرُ لغير اللهِ سبحانه، والذَّبحُ لغيرهِ تعالىٰ.

٣- السّخرية باسم من أسماء الله تعالى، أو بأمره، أو وعيده، أو ذكر اسم الله تعالى عند تعاطي الخمر والزّنا والدّخان؛ استخفافًا.

٣- الاستهانة بالمصحف الشريف تَعَمُّدًا، مثل: إلقائه في القاذُورات، أو دَوسِهِ بالقدم مُتعمِّدًا، أو الإشارة إليه باليد، أو بالقدم، أو بالشفّة؛ إشارة استهانة، أو قراءته على ضرب الدُّف على سبيل الاستخفاف، وهكذا فِعْلُ أمثال هذه الأشياء بحديث رسول الله عَلِي وكتُب الشَّريعة عمومًا.

٤- الطّوافُ بالأَضرحةِ وقبورِ الأولياءِ والصَّالحين؛ من أَجلِ التّقرّبِ إليهم، ودُعائِهم، أو الاسْتِغَائةِ بهمْ من دُونِ اللهِ تعالىٰ.

إِظْهَارُ الْمُقْتِ وَالْكَرَاهِيَّةِ؛ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَوْ عِنْدَ ذِكْرِ رَسُولُهِ
 أَوْ عِنْدَ ذِكْرِ الإسْلام، أَوْ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؛ اعْتِقَادًا.

٣- أَبْسُ شَيْءٍ مِنْ شَعِارِ الْكُفّارِ ؛ كالصّليبِ، أو قلنسوة المجوس ونحوه
 ممّا هو خاص بشعائرهم الدينية ؛ عالمًا ، عامدًا ، راضيًا بشعارهم وبدينهم .

٧- مشاركة أهل الكُفر في عباداتهم؛ كصلاتهم ونحوها.

٨- هدمُ معالمِ الإسلامِ المشروعَةِ؛ كهدمِ المساجدِ؛ لأجل ما يُفعل فيها مِنَ العبادة .

9- بناءُ دُورِ العبادَةِ للكفَّارِ، أَو إِعانتُهُمْ عَلَىٰ ذلك راضيًا؛ كبناءِ الكنائس ونحوها، وكذلك بناء الأضرحةِ التي يطوف النَّاسُ حولها، ويقصدونها بالدُّعاء والنذر، وغيرها من الأعمال الشُّركيَّة.

١ - أن يعمل فعلاً أجمع المسلمون على أنَّه لا يَصدُرُ إلاَّ من كافر.

١١- تَعَلُّمُ السَّحرِ، وتعليمُه.

١٧- الإعراضُ التَّامُّ عن دينِ الإسلام؛ لا يتعلَّمُهُ، ولا يعملُ به.

1 ٣ - عدمُ تكفيرِ الكفَّار؛ مِنَ الملحدين؛ والمشركينَ؛ والمرتدِّين، أو موالاتُهم، أو تصحيحُ مذاهبهم، أو إظهارُ موافقتهم على دينهِم، أو التَّقرُّبُ إليهم؛ بالأقوال، والأفعال، والنِّيات؛ حُبًّا بِهِمْ.

١٤ - موالاة أعداء الإسلام؛ مِنَ الكفّارِ والمشركينَ، ومظاهرتُهُمْ على المسلمينَ، أو إعانتُهُمْ على المسلمينَ.

١٥ - مشاركةُ الكقَّارِ والمشركينَ في أعيادِهِمْ الكفريَّة، وتهنئتهم بها؛
 عالمًا، عامدًا، راضيًا.

١٦ - بُغضُ دينِ الإسلام، أو كلّ ما جاء به هذا الدّينُ، أو ما جاء به رسُولُهُ الأمين محمّد عَلِيةً.

١٧ – الامتناعُ مِنَ الالتزامِ بشرعٍ من شرائعِ الإسلامِ العظيمِ؛ ردًا له، لا
 عن شبهة، أو هوئ.

## ١٨ - عَدَمُ إِفْرادِ اللهِ - تباركَ وتعالىٰ - بالْحُكمِ والتَّشريعِ:

كتَنْحِبَةِ شَرْعِ اللهِ تعالىٰ جملةً أو تفصيلاً، أو التَّشريعِ المخالفِ لشرعِ اللهِ تعالىٰ، أو الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله تعالىٰ، والتزامِهِ، والإلزامِ بهِ: فمن شَرَعَ حُكمًا غيرَ حُكم اللهِ تعالىٰ، وحكَّمهٔ في عبادِهِ، أو بدًّلَ شَرْعَ اللهِ تعالىٰ، أو عُكمًا غيرَ حُكم اللهِ تعالىٰ، أو عطَّلَهُ، ولم يحكُم بهِ، واستبدلَ حُكمًا طاغوتيًا بهِ، وحَكمَ به؛ فهذا كفر أكبَرُ بالنَّصِ والإجماع؛ لأنَّهُ ناقضٌ من نواقضِ الإيمان، ورِدَّةٌ عن دينِ الإسلام؛ لأنَّ فِعْلَهُ دليلٌ علىٰ رضاهُ به، وإباةً وامتناعٌ عَنِ الالتزامِ بشرعِ اللهِ تعالىٰ، ولو لمْ يُصرِّح بلسانِهِ ؛ لأنَّ لسانَ الحالِ تسويغِهِ اتِّباعَ غيرِ شرع اللهِ تعالىٰ، ولو لمْ يُصرِّح بلسانِهِ ؛ لأنَّ لسانَ الحالِ والعملِ ؛ أقوىٰ وأصدقُ وأفصحُ بيانًا من لسانِ المقالِ! ولسانَ الحبرِ يحتمِلُ والعملِ ؛ أقوىٰ وأصدق ولسانَ الحال لا ينطِقُ إلاَّ بالتَّحقيق (\*).

<sup>(\*)</sup> فاعلم! آخي الموحِّد: أنَّ اشتراطَ الاستحلالِ لتكفيرِ مَن وقعَ في الكفرِ بالأقوال والأفعال؛ ليس له أصل في الشرع، ولا هو معتمدٌ عند أَثمَّة السَّلفِ – رحمهم الله – ألبَّة الله هذا الأمرُ مشهورٌ عن المتكلّمين من الجهميَّة والمرجفّة! لأنَّ الإستحلالَ لا يُشترطُ في نواقضِ الإيمانِ عند أهلُ السَّنة والجماعة، ولكن هو شرطٌ في الأعمالِ غيرِ الكفريَّة؛ كالمعاصي والذّنوب؛ إن استحلّها كفرا أمًّا الكفرُ نفسهُ فلا يقالُ فيه ذلك؛ فإنَّ المُواقع لِلْكفرِ يُكُفُّرُ؛ سواء استحلُ الفعل المُكفر أم لا، وهذا مع مراعاة ضوابط الحكم على الشّخص المعين. فالجمودُ والاستحلالُ هما فعلانِ مكفرانِ مستقلانِ ما دامَ ما جمدة أو استحلالُ معلومًا من الدّينِ بالضرورة، وأنَّ الواجباتِ التي هي من أصلِ الإيمانِ؛ يَكفُرُ تاركها بمجردِ التَّرك، وإن لم يصاحب ذلك جموداً أو استحلالًا! لأنَّ الإستحلالَ كفرَّ مستقلُّ بذاتهِ دون الشُروعِ في الفعل؛ فمن استحلُّ الماسنيُّ المناسنُ لو كانَ يُحكِّمُ شرعَ اللهِ تعالى، وهو في قرارةِ نفسه يستحلُّ التَّحاكمَ لليهوديَّةِ أو في النصرانيَّة وغيرهما؛ لكانَ كافرًا بالإجماع! مع أنَّهُ مُحكمٌ لشرعَ اللهِ تعالىٰ؛ فكون النَّس السُحرَ هو فماذا كانَ يقولُ الملكانِ؟ في المحرد عليًا: ﴿ وَمَا لِيحَكُمُهُ وما ذكرَهُ اللهُ تعالىٰ عن الملكين هاروت وماروت؛ يُوضِعُ هذا الأمرَ جليًا: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلْيَمانُ وَلَكِنَ الشَّيَا عَن الملكينِ هاروت وماروت؛ يُوضِعُ هذا الأمرَ جليًا: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلْيَمَانُ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفُرُوا يُعلَّمُ وَالنَّاسَ السَّحرَ هو فماذا كانَ يقولُ الملكانِ؟ : =

# وذلكَ لأنَّ التَّشريعَ والتَّحليلَ والتَّحريمَ؛ حقٌّ خالصٌ للهِ تعالىٰ وحدَّهُ لا

﴿ وَمَا يُعَلَّمَانِ مِنْ أَحَد حَتَىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِئْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ فإنهم كانوا لا يستحلُونَهُ! فإنَّ الله على يعلمُ أنّها فتنةٌ وحرامٌ، وأنها كفرٌ، ومع ذلك كَفَرَهُم الله تعالىٰ؛ لأنَّ الله تعالىٰ لم يقيّد الكُفرَ الأكبر بهذه القيود، والدّليلُ أنَّ الله لم يُغذِر الله يقالى: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَب ﴾ بل حكمَ عليهم بالكفر والدّليلُ أنَّ الله لم يُغذِر الله يقالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَب ﴾ بل حكمَ عليهم بالكفر بمجرّد فعلهم! فقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَب قُلْ آبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِعُون ﴿ وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ آبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِعُون ﴿ وَلَي مَا لَتَعْمَارُوا قَلْ كَفُرتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نُعْفُ عَن طائِقَة وَرَسُولِهِ كُنتُمْ نَعَدُب طائِفَة بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة التوبة].

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة ، رحمة الله: (وبالجملةِ فمن قالَ أو فعلَ ما هو كفرٌ ، كفرَ بذلك ، وإن لم يقصدُ أن يكون كافرًا ، إذ لا يقصدُ الكفرَ إلا ما شاءَ الله ) والصارم المسلول ، ج٢ ، ص٣٦٩ . وقال : (وقد قالَ الإمامُ ابنُ راهويه : قد أجمعَ المسلمون على أن مَن سبَّ الله أو سبُّ رسولَه عَلَي شيئًا عما أنولَ الله ، أو قتلَ نبيًا من أنبياءِ الله أن من سبّ الله أو سبُّ رسولَه عَلي ما أنولَ الله ) والصارم المسلول ، ج٣ ، ص٥٥ . أنَّه كافرٌ بذلك ، وإن كان مقرًّا بكلٌ ما أنولَ الله ) والصارم المسلول ، ج٣ ، ص٥٥ . وقال ، رحمهُ الله : ( فثبت بالكتابِ والسنَّة وإجماع الأمّة أنَّه بُقاتَلُ من خرجَ عن شريعة وإسلام ، وإن تكلمَ بالشّهادتين!) انظر: والسياسية الشرعية ، باب : جهاد الكفاره .

وقال الخافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَحُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكُمًا لَقُوم يُوقِئُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]: (يُنكرُ الله تعالى على مَن خرجَ عن حكم اللهِ ، وعدل إلى ما سُواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال؛ كما كان أهلُ الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التّتارُ من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق! وهو عبارة عن أحكام جمعها من شرائع شتى، ومن نظره وهواه! فصارت في بنيه شرعًا متبعًا؛ فمن فعل ذلك منهم؛ فهو كافرًا يجب تتاله؛ حتى يرجع إلى حكم الله واسوله إلى المقرة الله على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كُفرًا؛ فكيف بمن تحاكم إلى عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كُفرًا؛ فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقد مها عليه! فمن فعل ذلك؛ كفر بإجماع المسلمين انظر: والبداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١١٩ . وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة، رحمه الله تعالى:

(من سبُّ الله ، أو سبّ رسولُه كفر ظاهرًا وباطنًا؛ سواءً كان السَّابُ يعتقدُ أنَّ ذلك محرَّم ، أو كان مستحلاً له ، أو كان جاهلاً عن اعتقاده ؛ هذا مذهبُ الفقهاء وسائر أهل السُّنَة العائدين بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ... وكذلك نُقِلَ عن الشّافعيّ أنَّهُ سُئِلَ عمن هَزَلَ بشيء من القائدين بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ .. وكذلك نُقِلَ عن الشّافعيّ أنَّهُ سُئِلَ عمن هَزَلَ بشيء من آياتِه وكافرٌ ، واستدل بقول الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِه = =

### شريكَ لَهُ؛ فالحلالُ مَا أَحَلُهُ اللهُ ورسُولُهُ عَلَيْتُهُ والحرامُ مَا حرَّمَهُ اللهُ ورسُولُهُ

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُون ﴿ إِنَّ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وكذلك قال أصحابنا وغيرهم: من سبَّ الله كفرَ؛ سواءً كان مازحًا، أو جادًا؛ لهذه الآية، وهذا هو الصوابُ المقطوعُ به.... ويجبُ أنْ يعلمَ أنَّ القولَ بأنَّ كُفْرَ السَّابِّ في نفس الأمر إنَّما هو لاستحلاله السبِّ زلَّةُ منكَرةً وهفوةً عظيمةً ... وذلك من وجوه: أحدُّها: أنَّ الحكايةُ المذكورة عن الفقهاء أنَّهُ إنْ كانَ مستحِلاً كفرَ، وإلاَّ فلا، ليس لها أصل، وإنَّما نقلها القاضي من كتاب بعض المتكلِّمين الَّذين نقلوها عن الفقهاء، وهؤلاء نقلوا قولُ الفقهاء بما ظنُّرهُ جَارِيًا علىٰ أُصولِهم، أو بما قد سمعوه من بعض المنتسبين إلى الفقه ممن لا يُعَدُّ قولُهُ قولاً، وقد حكينا نصوص أثمَّة الفقهاء وحكاية إجماعهم عمَّن هو من أعلم النَّاس بمذاهبهم؛ فلا يظنُّ ظانٌّ أنَّ في المسألة خلافًا يجعلُ المسألة من مسائل الخلافِ والاجتهادِ، وإنَّما ذلك غلط، لا يستطيع أحدُّ أنْ يحكى عن واحد من الفقهاء أثمَّةِ الفتوى هذا التَفصيلَ ٱلبَّقةَ. الوجه الثاني: أنَّ الكفرَ إذا كان هو الاستحلالَ؛ فإنَّما معناه اعتقادٌ أنَّ السبِّ حلال؛ فإنَّهُ لمَّا اعتقدَ أَنَّ ما حرَّمهُ اللهُ تعالىٰ حلالٌ كفَرَ ، ولا رَيْبَ أَنَّ من اعتقدَ في الحرَّماتِ المعلوم تحريمها أنَّها حلالٌ كفرَ؛ لكن لا فرقَ في ذلك بين سبِّ النَّبيُّ وبين قذف المؤمنين والكذبَ عليهم والغِيبة لهم إلى غير ذلك من الأَقُوال التي علم أَنَّ اللهُ حرَّمها؛ فإنَّهُ من فعل شيئًا من ذلك مستحلاً كفرًا مع أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُقالَ: مَنْ قذف مسلمًا أو اغتابه كفرَ، ويعنى بذلك إذا استحله. الوجه الثالث: أنَّ اعتقادَ حلَّ السَّبِّ كفرٌ؛ سواةً اقتُرنَ به وجودُ السبِّ أو لم يقترن؛ فإذًا لا أثرَ للسبِّ في التَّكفيرِ وجودًا وعدمًا، وإنَّما المؤثَّرُ هو الاعتقادُ، وهو خلافٌ ما أجمعَ عليه العلماء. الوجه الرابع: أنَّه إذا كان المكفِّرُ هو اعتقادَ الحلِّ فليس في السبِّ ما يدلُّ على أنَّ السَّابِّ مستحلٌّ؛ فيجبُ أن لا يكفَّر، لاسيَّما إذا قالَ: أَنَا أَعَتَقَدُ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ، وإنَّمَا أَقُولَ غَيْظًا وَسَفَهًا، أَوْ عَبِثًا أَوْ لَعبًا؛ كما قال المنافقون: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ وكما إذا قال: إنَّما قذفتُ هذا وكذبتُ عليه لعبًا وعيثًا؛ فإن قيل لا يكونون كفارًا؛ فهو خلاف نصُّ القرآن، وإنْ قيل يكونون كفارًا؛ فهو تكفيرٌ بغير موجب إذا لم يجعل نفسُ السِّبِّ مكفّرًا، وقول القائل: أنا لا أصدَّقهُ في هذا لا يستقيم؛ فإِنَّ التَّكفيرَ لا يكون بأمر محتملٍ؛ فإذا كان قد قال: أنا أعتقدُ أنَّ ذلك ذنبٌّ ومعصيةٌ وأنا أَفعلُه؛ فكيف يكفُّرُ إن لم يكن ذلك كفَّرا؟ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ لا تَعْتَذَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ولم يقل قد كذبتم في قولكم: إنَّما كنَّا نخوص ونلعب؛ فلم يكذَّبهم في هذا العُذر كما كذَّبهم في سائر ما أظهروه من العدر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين؛ بل بَيِّن أنَّهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب) انظر: والصارم المسلول على شاتم الرسول ، ج٣، ص ٩٦٢ - ٩٦٤.

عَلَيْهُ والدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللهُ ورسُولُهُ عَلَيْهُ ؛ فالحكمُ والتَّحاكُمُ مِنَ العباداتِ اللَّهِ يَعالَىٰ : الَّتِي لا يجوزُ صرفُها إِلاَّ اللهِ تعالىٰ : وقد سمَّاها اللهُ عبادةً ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعَبُّدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ (١٠).

ومَن تحاكمَ لغيرِ اللهِ تعالىٰ؛ فقد جعلَ شيئًا من حقوقِ اللهِ في العبوديَّةِ لغيرِهِ – سبحانَهُ – كما فعلَ أهلُ الكتابِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَوْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَىهًا وَاحِدًا لاَ إِلَىهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٧).

فَعَنْ عَدِيٌ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَ عَلَيْهُ وَفِي عُنْكَ هَذَا الْوَثَنَ » وَسَمِعْتُهُ عُنْكَ هَذَا الْوَثَنَ » وَسَمِعْتُهُ عُنْكَ هَذَا الْوَثَنَ » وَسَمِعْتُهُ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ » وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةً : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُوا لَهُمْ شَيْئًا وَلَكَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ » (٣).

وقالَ حذيفةُ، رضيَ اللهُ عنْهُ: ﴿ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَصُومُونَ لَهُمْ، وَلاَ يَصَلُونَ لَهُمْ؛ لَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ حَرَّمُوهُ؛ فَتِلْكَ كَانَتْ رُبُوبِيَّتَهُمْ ﴾ (1).

لأَنَّ التَّحاكمَ عبادةٌ كسائرِ العباداتِ؛ فهؤلاءِ لم يركعوا ولم يسجدوا لهم! وإِنَّما أَطاعُوهُم في تغييرِ أحكام شرع اللهِ تعالىٰ؛ بتحليلهمُ الحرامَ

<sup>(</sup>١) سورة يوسف، الآية: ٤٠. (٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن) باب ٥ من سورة التوبة ﴾ وحسنه الألباني.

<sup>(</sup>٤) « تفسير الطبري » ج١٤. ص٢١١.

وتحريمهم الحلال فذلك من عبادتهم وهو من الشّركِ الأكبرِ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدّين مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُلِقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٢)(\*).

فعبادةُ الله تعالى؛ تقتضي افراده - سبحانه - بالتَّحليلِ والتَّحريمِ المطلَقِ، وهذه هي حقيقة الإسلامِ والدِّينِ الحنيفِ، وقد سمَّىٰ الله تعالىٰ الحكم بغير شرعِهِ طاغوتًا، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تُرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿ وَقَدْ أَمِرُوا قَيلَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَى وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُول رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صَدُودًا ﴾ (٣).

والطَّاغوتُ: هو كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ تعالىٰ، ورُضيَ بالعبادَةِ من معبودٍ، أو متبوع، أو مطاعِ في غيرِ طاعَةِ اللهِ تعالىٰ، ورَسُولِهِ عَلِيَّكُ .

فَمَن شَرَعَ مَن دونِ اللهِ تعالى، أو ألزمَ النَّاسَ بغيرِ شرعِ اللهِ؛ فقد نازَعَ اللهَ - جلَّ في عُلاه - فيما اختصَّ بِهِ سبحانَهُ، وتعدَّى على حقٌ من حُقُوقِهِ، وأعارَهُ لنفِسِه، ورَفَضَ شريعةَ اللهِ؛ فهذا العملُ شركٌ باللهِ تعالى،

<sup>(</sup>١) سورة الشوري، الآية: ٢١. (٢) سورة البينة، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٠ - ٦١.

<sup>( \* )</sup> قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ، رحمهُ اللهُ: (والإنسانُ متى حلَّلَ الحرامَ المجمّعَ عليهِ ، أو حرَّمَ الحلالَ المجمّعُ عليهِ ، أو بدئلَ الشَّرعَ المجمعَ عليهِ ؛ كانَ كافرًا مرتدًّا بالاتّفاقِ ) «مجموع الفتاوى»: ج٣ ، ص٢٦٧ .

وصاحبُهُ مُشركٌ ضالٌ ضلالاً بعيدًا! والحكمُ يشمُلُ: مَن سنَّ تلكَ القوانينَ المُشرَّع، ومَن حَكَمَ بها، ومَن أَلزمَ النَّاسَ بالتَّحاكُم إليها، ومَن رضيَ بالتَّحاكُم إليها (\*).

(\*) وقالَ العلامةُ محمدُ بنُ إبراهيمَ آلُ السَّيخ، رحمةُ الله: (إنَّ من الكفرِ الأكبرِ المستبينِ؟ تنزيلَ القانونِ اللعينِ! منزلةَ ما نزلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ محمد عَلَى ليكونَ من المنذرينَ بلسان عربيَّ مبين في الحكم به بينَ العالمينَ، والرَّدُ إليهِ عندَ تنازُعِ المتنازعينَ). وقالَ رحمهُ الله: (لا يجتمعُ التُحاكمُ إلى غيرِ ما جاءَ بهِ النَّبِيُّ عَلَى مع الإيمانِ في قلبِ عبد أصلاً؟ بلُ أحدُهما ينافي الآخرَ) انظر: «رسالة تحكيم القوانين».

• تنبية مهم ا اعلم أخي الموحد : الأصل في التَّحاكم؛ أنَّهُ لا يجوزُ إِلاَّ لِحُكُم اللهِ تعالى، ومَن كانَ في بلد لا يتحصُّلُ فيهِ الحقُّ إلاَّ بالتَّحاكُم للمحاكِم الوضعيَّة؛ كمَنَّ يعيشُ في بلادِ الكفرِ، أَو في بلادِ المسلمينَ ا ولكنَّ لا يُحكُّمونَ الشُّرعَ ! فَإِذَا سُلِبَ مالُ المسلم بسرقة أو غُصبٍ، أو سُفُكَ لَهُ دمٌ، أو كانَ تحصيلُ نوعٍ من الحقوق، أو دفعُ نوعٍ من المظالَم؛ ولا يستطيعُ أنْ يلجأ لحكم اللهِ تعالىٰ؛ لغيابهِ في بلدِّهِ وتعذَّرُ تحقيقُهُ؛ فغي هذهِ الحالةِ؛ يجوزُ لهُ التَّحاكُمُ إلى الحاكم الوضعيَّة ؛ تحت ظروف الإكراه، والتَّقيَّة، والضَّرورة، ومن قبيل دفع الضَّرَرِ الأكبرِ، ودفعَ الظُّلم والأذى عن النُّفسِ والعِرضِ والمالِ، وتحصيلِ ما يمكنُ تحصيلُهُ من الحَقُوقِ المُعتصبَةِ الَّتِي لَا يمكنُ تحصيلُها إِلَّا من خلالِ هذا الطُّريقِ؛ لأَنَّ المنعَ مطلقًا من التَّحاكُم في هذهِ البلادِ! يجعلُ دماءَ المسلمينَ وأموالَهُم مستباحَةً، وأعراضَهُمْ منتهِكَةً، ودمائهُمْ مهدرةً، وهذا ما لا يأمرُ بهِ الشُّريعَةُ المرعيَّةُ ؛ بل جاءَ دينُ الإسلام ؛ بدفع الظُّلم، وإنصاف المظلوم وتحصيل الحقوق لأصحابِها؛ فإنْ تعسَّرُ ذلكَ علىٰ يدِ المسلَّم! وتحَقَّقَ علىٰ يد غيره الاحرج منه؛ لأنَّ الحكمة ضالةُ المؤمن! أينما وجدَّها كان أحقَّ بها، والقواعدُ الأُصولَيَّةُ تُرَخِصُ بدلك؛ منها: ﴿ إِلا مَا اضْطُرِرتُمْ ﴾ و﴿ إِلا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَعِنَّ بِالْإِيمَانِ ﴾ و﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ و﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ود ما لا يُدرُكُ جُلَّهُ لا يُمْرَكُ كُلُّهُ ، ود ما أمرتُكُم بأمر فأتوا منه ما استطعتُم ، ود الضرّوراتُ تُبيحُ المحظوراتِ، وولا ضرَرَ ولا ضرارَ ، فليسَ من الشُّرع ولا العقل؛ أنْ يُوصَف المسلمُ الَّذِي هذا حالُهُ ا بانَّهُ عَمْن يُعرضونَ عن الحكم بما أنزلَ الله ، ويريدونَ أنْ يتحاكموا إلى الطَّاعُوتِ ! ومن ثمَّ يُحمَلُ عليهِ حُكُمُ الَّذِي يتُحاكَمُ إلى الطَّاعُوتِ ! لأنَّ مثلَ هذا الحكم يُوجبُ علينا تكفيرَ جميعِ المسلمينَ في الأرضِ الَّذينَ يعيشونَ واقعَ غيابِ الحكْم بما أنزلُ اللهُ تعالىٰ، وغيابِ المحاكِمُ الشُّرعيَّةِ الظَّاهرَةِ المُتمكَّنةِ القادرَةِ علىٰ أَنْ تَفْصِلَ فيما بينَ العبادِ بحكم الشَّرع، ولا يقولُ هَذا القولَ؛ مَن شَمَّ رائحة العلم! أو لَهُ مَسْكَةٌ من العقل! وَأَمَّا مَنْ تَحَاكَمَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، أَو حكَّمَهُ في نفسِهِ، أَو في غيرِهِ ؟ عامدًا مختارًا، ثمَّ ادَّعَىٰ الإيمانَ ؛ فهذه دعوةٌ كاذبةٌ ! لا وزنَ لها عندَ ربِ العالمينَ (\*) ؛ لأَنَّ الله - جلَّ في عُلاهُ - جعلَ طاعتَهُ، وطاعَةَ رَسُولِهِ الأَمِينِ محمَّد عَلَيْ من لوازم الإيمانِ ومقتضياتِهِ، قالَ الله تباركَ وتعالىٰ :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠.

فجعل - سبحانَهُ - مجرَّدَ التَّولِّي عن طاعتِهِ وطاعةِ رَسُولِهِ الكريمِ عَلَيْهُ كُفرًا بهِما، وأَيُّ تولِّ عن طاعتِهِما أكبرُا وأعظمُ ا من تعطيلِ شرعِ اللهِ تعالىٰ جملة واستبدال حكم طاغوتي بهِ، وتحكيمهِ بينَ عبادِهِ وإلزامِهِمْ بهِ.

وأمَّا الَّذِينَ يحكمُونَ بالشَّرِيعَةِ في مجملِ أحكامِهِم؛ لكنَّهُمْ يُحكُمونَ في بعضها بالقوانين المخالفة لشَرعِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ -؛ فهذا حالُ المنافقينَ؛ الَّذِينَ قالَ اللهُ تعالىٰ عنهُم في كتابِهِ العزيزِ:

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُعْرِضُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُعْرِضُونَ اللَّهِ وَإِنْ يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ مُرْضٌ ۗ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ۗ

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

<sup>( \* )</sup> قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةً ، رحمهُ اللهُ تعالى:

<sup>(</sup> ذمَّ الله - عزَّ وجلً - الْمُدَعِينَ الإِمَانَ بالكُتبِ كُلُها، وهم يتركونَ التَّحاكمَ إِلَىٰ الكتابِ والسُّنَةِ، ويتحاكمونَ إلى بعضِ الطَّواغيتِ المعظَّمةِ من دونِ اللهِ؛ كما يعيبُ ذلكَ كثيرٌ ممن يدعي الإسلام وينتحلُه في تحاكمهم إلى مقالات الصَّابئةِ الفلاسفةِ أو غيرِهم، أو إلى سياسة بعضِ الملوكِ الخارجينَ عن شريعةِ الإسلام... ومعلومٌ باتَّفاقِ المسلمينَ أنَّهُ يجبُ تحكيمُ الرَّسُولِ عَلَيْ في كلَّ ما شجرَ بينَ النَّاسِ في أمرِ دينهم ودنياهم في أصولِ دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكمَ بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما حُكِمَ ويسلموا تسليمًا) «مجموع الفتاوى» ج١١، ص٣٦٩ - ٣٤٠.

أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الظَّالِمُونَ ﴿ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ الظَّالِمُونَ ﴿ وَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١). لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

فاللذين لا يَحكُمُونَ بما أنزلَ الله - تبارك وتعالى - اسواءً كانوا مشرّعينَ، أو مبدّلينَ لشرعِهِ، أو مُسْتَوْرِدِينَ لِلْحُكْمِ الطَّاغوتيِّ، أو مُساوينَ بينَ حكمِ اللهِ وحكمِ الطَّاعُوتِ، أو ممتنعينَ عن تحكيمِ شرعِ اللهِ تعالىٰ؛ قد حكمَ الله تعالىٰ عليهم بالكُفْرِ، وَسَمَّاهُمْ في كتابِهِ العزيز:

كَافِرِينَ، ظَالِمِينَ، فَاسِقِينَ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢)(\*).

<sup>(</sup>١) سورة النور، الآيات: ٤٨ - ٥١. (٢) سورة المائدة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

<sup>( \* )</sup> قالَ العلاُّمةُ المفسِّرُ؛ محمَّدٌ الأمينُ الشَّنقيطيُّ - رحمة اللهُ - عن هذهِ الآياتِ الثَّلاثِ:

<sup>(</sup> واعلمُ ا أَنَّ تحريرَ المقام في هذا البحثِ أَنَّ الكفرَ والظُلمَ والفِسْقَ كلُّ واحدِ منها ربَّما أُطلقَ في الشَّرعِ مرادًا به المعصيةُ تارةً، والكفرُ المخرجُ من الملَّةُ أُخرىٰ . . . وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ ﴾ معارضةً للرَّسُلِ وإبطالاً لأحكامِ اللهِ ؛ فظلمهُ وفسقُهُ وكفرُهُ كلُها كفرَّ مخرجٌ عن الملَّة ) وأضواء البيان ، ج٢ ، ص١٠٤ .

وقالَ، رحمهُ اللهُ: (إِنَّ الَّذِين يتبعونَ القوانينَ الوضعيَّةَ الَّتي شرعها الشَّيطانُ على ألسنَةِ أُوليائِهِ مُخالفَةً لما شرعهُ اللهُ – جلَّ وعلا – على ألسنَةِ رُسُلِهِ – عليهم الصلاةُ والسلامُ – إِنَّهُ لا يَسْلُكُ في كفرِهم وشركِهم؛ إلاَّ مَن طمسَ اللهُ بصيرتَهُ، وأعماهُ عن نورِ الوحي مثلهُم!) وأضواء البيان، ج٤، ص٨٢.

وقالَ أيضًا: (وأمَّا النَّظامُ الشُّرعيُّ المخالفُ لتشريع خالتي السُّمواتِ والأرضِ؛ فتحكيمُهُ كفرٌّ بخالق السَّموات والأرض كدعوى أنَّ تفضيلَ الذِّكرِ على الأنشىٰ في الميراثِ ليسَ بإنصافٍ =

وأنَّهما يلزمُ استواؤهما في الميراث، وكدعوى أنَّ تعدُّدَ الزَّوجاتِ ظلمٌ، وأنَّ الطلاق ظلمٌ للمرآةِ، وأنَّ الطلاق اللمرآةِ، وأنَّ الطلاق اللمرآةِ، وأنَّ الرَّجمَ والقطعَ ونحوهما أعمالٌ وحشيَّةٌ لا يسوغُ فعلُها بالإنسانِ، ونحو ذلك؛ فتحكيمُ هذا النوع من النَّظامِ في آنفُسِ المجتمع، وأموالهم، وأعراضهم وأنسابهم، وعقولهم، وأديانهم؛ كفرٌ بخالق السَّمواتِ والأرضِ، وتمرُّدٌ على نظام السَّماءِ الَّذي وضعَهُ مَن خلق الخلائق كلُها، وهو أعلمُ بمصالحها - سبحانَهُ وتعالىٰ - عن أن يكونَ معهُ مُشرَّع آخرُ؛ علوًا كبيرًا) « أضواء البيان » ج٤، ص٨٤.

وقالَ العلاَّمةُ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ آلُ الشَّيخ، رحمهُ اللهُ: ﴿ إِنَّ كَفَرَ مَن حَكَمَ بغيرِ مَا أنزل اللهُ لا يخلو من أن يكون كفرَ اعتقاد أو عملٍ، والأولُ على أنواع هي: . . . ثمَّ قالَ: الخامسُ: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة الله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعيَّة؛ إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلاً وتفريقًا وتشكيلاً وحكمًا وإلزامًا ومراجع ومستندات؛ فكما أنَّ للمحاكم الشَّرعيَّةِ مراجعَ ومستندات؛ مرجعها كلُّها إلى كتاب الله وسنَّة رسوله عَلَي ؛ فلهذه المحاكم مراجعُ هي القانونُ الملفَّقُ من شرائعَ شتَّى الله وقوانينَ كثيرة؛ كالقانونِ الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين . . . فهذهِ المحاكمُ الآن في كثير من أمصارِ الإسلام مهيَّأةً مكمَّلةً ، مفتوحةً الأبواب، والنَّاسُ إليها أسرابٌ إِثر أسرابٍ، يحكمُ حُكَّامُها بينهم بما يخالفُ حُكمَ السُّنَّةِ والكتابِ من أحكام ذلك القانون، وتلزمُ بهِ، وتُرغمُ عليه، وتحتَّمهُ عليهم. فأيُّ كفر فوق هذا الكفر! وأَيُّ مناقضَة لِلشُّهادةِ بِأَنَّ محمَّدًا رسُولُ اللهِ بعد هذه المناقضة؟!) ٥ رسالة تحكيم القوانين٠٠ وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ ، رحمهُ الله: ( ومعلومٌ بالاضطرارَ من دين المسلمينَ ، وباتُّفاقِ جميع المسلمين أنَّ من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمَّد، فهو كَافرٌ، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفرَ ببعض الكتاب) « مجموع الفتاويٰ » ج٨٨، ص٢٥. وقال، رحمه الله: (ومعلومٌ أنَّ مَن أسقطَ الأمرَ والنهي الَّذي بعثَ الله به رسلَهُ؛ فهو كافرٌ باتِّفاقِ المسلمينَ واليهود والنصاريٰ) «مجموع الفتاويٰ» ج٨، ص١٠٦. وقالَ العلاَّمةُ أحمِدُ شاكر، رحمهُ اللهُ: (القرآنُ مملوةٌ بأحكام وقواعدَ جليَّةٍ، في المسائل المدنية، والتَّجارية، وأحكام الحرب والسِّلم، وأحكام القتَّال، والغناثم، والأسرى، وبنصوص صريحة في الحدود والقصاص؛ فمن زعمَ أنَّهُ دينُ عبادة فقط؛ فقد أنكر كلُّ هذا، وأعظمَ على الله الفرية، وظنَ أنَّ لشخص كائنًا من كانَ، أو لهيئة كائنة من كانت، أن تنسخ ما أوجب الله من طاعتِهِ والعمل بأحكامِهِ، وما قالَ ذلكَ مسلمٌ ولا يقولُهُ، ومن قالَهُ؛ فقد خرجَ عن الإسلام جملة ورفضة كلَّه، وإنْ صلَّىٰ وصامَ وزعمَ أنَّهُ مسلمًا) انظر: « الكتاب والسُّنَّة يجب أن يكونا مصدر القوانين بمصر ، ص ٨٩ .

وقالَ شيخُ الإسلامَ ابنُ تيميَّةً ، رحمهُ اللهُ: ﴿ فَإِنَّ الحَاكُمَ إِذَا كَانَ دَيِّنًا ؛ لَكُنَّهُ حكمَ بغيرٍ عُلَم كَانَ مِن أَهِلِ النَّارِ، وإنْ كَانَ عالمًا، لكنَّهُ حكمَ بخلافِ الحقِّ الَّذي يعلَمُهُ كَانَ من أهلِ النَّارُ وإذا حكم بلَّا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النَّارِ، وهذا إذا حكم في قضيةً معيُّنة لَشخص، وأمَّا إذا حكمَ حُكمًا عامًّا في دين المسلمين؛ فجعلَ الحقُّ باطلاً، والباطلَ حَقًا، والسُّنَّةُ بدعةً، والبدعة سُنَّةً، والمعروف منكرًا، والمنكرَ معروفًا، ونهي عمَّا أمرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وأَمرَ بِمَا نَهِيْ اللهُ عَنهُ وَرَسُولُهُ؛ فَهِذَا لُونٌ آخرُ! يَحَكُمُ فيهِ رَبُّ العالمين، وإلهُ المرسلين، مالكُ يوم الدِّين الَّذِي لَهُ الحمدُ في الأولَىٰ والآخرَةِ: ﴿ لَهُ الْحَكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُطْهِرُهُ عَلَىٰ الدِّين كُلَّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]) ومجموع الفتاوي، ج٥٥، ص ٣٨٨. تنبيةً مهمَّا اعلمُ أَخِيَ المُسَلَّمَ: أَنَّ هؤلاءِ المشرَّعينَ في بلادِ الإسلام؛ الَّذينَ بدُّلوا حكمَ اللهِ تعالى، ونحُّوا الشُّريعَة الإسلاميَّة جملة أو تفصيلاً، ووضعوا تلكَ الأحكام الطَّاغوتيَّة، أو استوردوها، وجعلوها بديلاً لها؛ فإنَّ لسانَ حالهم وأفعالهم وتاريخهم يقولُ: إنَّهمْ ما وضعوها وما بدُّلوها إلاُّ لاعتقادهم أنُّها أصلحُ وأنفعُ للخلق من الشُّريعةِ الغرَّاءِ؛ فهذا لا شك أنَّهُ ردَّةً عن الإسلام ومخرجٌ من الملَّةِ ومناقضٌ للتوحيد؛ فهم خارجونَ عن طاعة المسلمين؛ فلا سمع لهم على المسلمين ولا طاعة ألبتَّة؛ لأنَّهم ضيَّعوا مقاصد الإمامة التي من أجلها نُصِبوا واستحقُّوا السُّمع والطَّاعة وعدم الحروج، ولأنَّ الوالي المسلم ما استحقُّ أَنْ يكونَ كذلك إلا لقيامه بتحكيم شرع الله، وحراسة الدين ونشره، وتنفيذ أحكامه، وتحصينِ الشُّغورِ، وجهادِ من عاندَ الإسلامَ بَعدَ الدُّعوةِ، وأنْ يوالَيَ المسلمينَ ويعاديَ أعداءَ الدِّين؛ فَإِذَا لَمْ يَحْكُمْ بشريعة الإسلام، ولم يَقُمْ بأمور المسلمين؛ فقد زالَ عنه حقَّ الإمامة ومقاصدها، ووجب على الأمَّةِ في حينها؛ - متمثلةً في أهلِ الحلِ والعقدِ الَّذينَ يرجعُ إليهم تقديرُ الأمرِ في ذلك - خلَّعُهُ، ونصبُ آخرَ مِئْن يقومُ بتحقيق مقاصدِ الإمامةِ الشُّرعيَّةِ؛ إن استطاعوا ذلك، ولم تترتب عليهِ مفسدةٌ عُظميٰ؛ فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ حينَ لا يُجَوِّزُونَ الحروجَ على الأنمَّةِ بمجردِ الظُّلمِ والفسقِ؛ فإنَّهم يُريدونَ الإمامَ الَّذي يحكُمُ بشرع اللهِ تعالىٰ؛ لأَنَّ الفجورَ والظُّلمَ لا يعني تضييعَهم للدِّينِ، والسُّلفُ الصَّالحُ لم يكونوا يعرفون إمارة لا تحكم بشرع الله تعالى؛ فهذه عندهم ليست بإمارة شرعيَّة أصلاً، وإنَّما الإمارةُ هي ما أقامت الدِّينَ؟ ثمُّ بعد ذلكَ قد تكونُ؛ إِمارةٌ بَرَّةً، أَو إِمارةً فاجرةً ! قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمنينَ عليَّ بنُ أبي طالب، رضي الله عنه : ( لا بُدُّ للنَّاس؛ من إمارة برة كانت أو فاجرة ، قيل له : هذه البرة عرفناها فما بال الفاجرة ؟! قال : يُؤْمَنُ بها السُّبُلُ وتُقامُ بها الحدودُ ويُجاهَدُ بها العدو ويُقسَّمُ بها الغيءُ) ومنهاج السُّنَّة ، لابن تيمية : ج١، ص١٤٦.

#### ١٩ - تركُ الصَّلاةِ:

فإِنَّ تركَ الصَّلاةِ المفروضةِ من الكُفرِ الأكبرِ المخرجِ من الملَّةِ، وإِن كان مقرًّا بوجوبها؛ لأَنَّ باعثَ الإعراضِ عن الطَّاعةِ بالكلِّيةِ؛ فقدانُ عملِ القلبِ الَّذي هو شرطٌ لصحَّةِ الإيمانِ.

والإسلامُ عظَمَ شأنَ الصَّلاةِ، ورفعَ ذكرها، وأعلى مكانتها؛ فهي أعظمُ أركانه بعدَ الشَّهادتين، وهي أمُّ العبادات، وأفضلُ الطَّاعات، لا تعْدلُها أيَّةُ عبادة أخرى، وهي آكدُ الأعمالِ الَّتي لا يصحُ إيمانُ العبد بدونِ شيء منها، وهي أعظمُ الواجباتِ وأدلُها وأجلُها، وهي عَمُودُ الدِّين، وشعارُ المسلمين، والفيصلُ بينَ الإسلام والكفر.

ولذلكَ جاءت نصوص خاصة بها من الكتاب والسُنَّة؛ تؤكِّدُ إِقامتها، والمحافظة عليها، والمداومة على تأديتها في أوقاتها، وهي أوَّلُ ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، قال النَّبِيُ عَلَيْكَ :

« بُـنِيَ الإِسْلاَمُ عَـلَىٰ خَـمْسٍ: شَـهَـادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَـمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الرَّكَاةِ، والْحَجِّ، وَصَوْمٍ رَمَضَانَ» (١٠ .

وقالَ عَلَيْ : « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » (٢٠٠٠).

وقالَ عَلِي الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّر الْ وَالكُفْرِ؛ تَر الْ الصَّلاَقِ» (٢٠).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «الإيمان وقول النبي على «بني الإسلام على خمس».

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب: «ما جاء في حرمة الصلاة ، وصححه الألباني. (٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان اطلاق اسم الكفر على مَن ترك الصلاة ».

وقالَ عَلِيُّكُ : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَّةُ ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفُرُ (١).

وقالَ عَيْكُ : ﴿ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّدًا ؛ فَقَدْ بَرئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الله تَعَالَىٰ ورسوله (۲).

وقال عَلِيُّ : ﴿ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا ، كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلاَ بُرْهَانٌ، وَلاَ نَجَاةً، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَهَامَانَ، وَفِرْعَونَ، وَأَبِيُّ ابن خَلَفٍ» (٣٠.

والصَّلاةُ كانت هي آخِرَ ما وصَّىٰ بها النَّبِيُّ عَلَيْكُ وهو يلْفِظُ أَنفاسَهُ الأخيرة في مَرَض مؤته؛ فكانَ يقولُ عَلِيَّ :

« الصَّلاةَ! الصَّلاةَ! وَمَا مَلَكَت أَيْمَانُكُمْ (1).

والصَّلاةُ أَعظمُ قرينة دالَّة على إسلامَ المرءِ؛ تَمْنَعُ من تكفيرِهِ، أو إساءةِ الظنِّ فيه؛ لأنها شعارُ المسلمينَ في مجتمعاتهم! قالَ النَّبِيُّ عَلِيُّكُ :

« مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنا، وَاسْتَقبَلَ قِبْلَتَنا، وَأَكُلَ ذَبيحَتَنا؛ فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ؛ فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ ﴾ (°).

<sup>(</sup>١) رواه النسائي في (كتاب الصلاة) باب وحكم في تارك الصلاة، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في ه المسند، ج٦، ص٢١. عن حديث معاذ بن جبل، رضي الله عنه . ووحسُّنه الألباني في (صحيح الترغيب) برقم ( ٥٧٠ ) .

<sup>(</sup>٣) رواه الإمام أحمد في ١ المسند ، ج٢، ص١٦٩ . والدارمي في ٥ سننه ، (كتاب الرَّقاق) باب وفي المحافظ على الصُّلاة ، وقال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني في والكبير ، وه الأوسط، ورجال أحمد ثقات) ه الجمع، ج١، ص٢٩٢.

<sup>(</sup>٤) رواه ابن ماجة في (كتاب الوصايا) باب ه وهل أوصىٰ رسول الله ﷺ ، وصحَّحه الألباني.

 <sup>( ° )</sup> رواه البخاري في (كتاب أبواب القبلة) باب وفضل استقبال القبلة ه.

والتّهاونُ بالصّلاةِ من المنكراتِ العظيمةِ، وهو من صفاتِ المنافقين! قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُو خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً وَلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً وَلاَ إِلَى هَوُلاءِ وَلا إِلَى هَوُلاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً وَلِكَ لا إِلَى هَوُلاءِ وَلا إِلَى هَوُلاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً وَلَى اللَّهُ عَلَىٰكُمْ سُلُطانًا مُبِيناً وَلِياءَ مِن دُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلُطانًا مُبِيناً ﴿إِنَى اللهُ عَلَىٰكُمْ سُلُطانًا مُبِيناً ﴿إِنَى اللّهِ عَلَىٰكُمْ سُلُطانًا مُبِيناً ﴿ إِنَى اللّهِ عَلَىٰكُمْ سُلُطانًا مُبِيناً ﴿ إِنَّ اللّهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ الللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلْونَ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ الللّهُ عَلَىٰ الللّهُ الللّهُ عَلَىٰ الللّهُ الللّهُ عَلْمُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللللللهُ اللللللللهُ الللللللهُ الللّهُ اللللللللللهُ اللللللهُ اللللللهُ الللللللهُ الللللللهُ الللللللهُ الللللللهُ الللللهُ ا

وقد بيَّنَ اللهُ تعالىٰ حالَ تاركِ الصَّلاةِ يومَ القيامةِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ الْكَ أَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ الْآَكَ أَمْ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ الْآَكِ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿ فَي الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ اللَّهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿ فَي أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُركَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ فَي يَوْمَ يُكُشَفُ عَن سَاقَ وَيُدْعَونَ إِلَى السِّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ فَا لَهُ عَنْ اللَّهُ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَونَ إِلَى السِّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ (١٠) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ آَكُ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿ آَكَ فَلَ الْمُصَلِينَ ﴿ آَكَ فَلَ اللهُ مَا الْيَمِينِ ﴿ آَكَ فَا اللهُ اللهُ اللهُ عَنِ الْمُصَلِينَ ﴿ آَنَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ع

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآيات: ١٤٢ - ١٤٥ .

 <sup>(</sup>٢) سورة القلم، الآيات: ٥٥- ٤٢.

الْمِسْكِينَ ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اللَّهِينَ ﴿ وَكُنَّا نُكَذَّبُ بِيَوْمِ اللَّينَ ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اللَّذِينَ ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اللَّذِينَ ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهُوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿ فَ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْعًا ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿ فَي وَيْلٌ يَوْمَعِذِ مِ لَلْهُ مُعَذِ

وغيرها من النُّصوصِ الكثيرةِ الَّتي وردت في تخصيصِ حكمِ تركِ الصَّلاةِ دونَ غيرها من الأَحكامِ! ولم تُفرَقُ هذهِ النُّصوصُ بينَ تركها جحودًا، أو تهاونًا، أو كسلاً! بل جعلَ الشَّارِعُ الحكيمُ مناطَ التَّكفيرِ؛ ترك الصَّلاةِ، ومن المعلومِ أنَّهُ ليسَ كلُّ مَن ترك الصَّلاةَ يكونُ جاحدًا لها! بل يكونُ العبدُ جاحدًا لها، ويكونَ غيرَ ذلكَ!

قَالَ الحافظُ الفقيةُ أبو بكر البيهقيّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ليسَ من العباداتِ بعدَ الإيمانِ الرَّافعِ للكُفرِ عبادَةٌ سمَّاها اللهُ عزَّ وجلً – عزَّ وجلً – إيمانًا وسمَّىٰ رَسُولُ اللهُ عَلِيُّ تركَها كفرًا إلاَّ الصَّلاةَ )('').

وهكذا فهمَ الصَّحابةُ الكرامُ - رضي اللهُ عنهم - عن النَّبِيّ عَلَيْكُ حكمَ تاركِ الصَّلاةِ ؟ حتَّىٰ أنَّهم ميّزوا الصَّلاة عن غيرها في هذا البابِ؟

<sup>(</sup>١) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ – ٤٧. (٢) سورة مريم، الآيتان: ٥٩ – ٢٠.

<sup>(</sup>٣) سورة المرسلات، الآيتان: ٤٨ – ٤٩. (٤) وشعب الإيمان»: ج٣، ص٣٣.

فجعلوا تركَها هو مناطَ الكفرِ دونَ غيرِها من الأَعمالِ؛ فأَجمعوا على ذلكَ، وقد نقلَ الإِجماعَ عنهُمْ - التَّابعيُّ الجليلُ - عبدُ اللهِ بنُ شقيقِ العقيليُّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - فقالَ: (كانَ أَصحابُ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ لا يرونَ شيئًا من الأَعمال تركهُ كفرٌ غيرَ الصَّلاةِ )(١)(\*).

وقالَ ابنُ القيِّمِ، رحمهُ اللهُ: (ولا يُعْلَمُ عن صحابيٌ خلاقُهُم) (٢٠. وقالَ العلاَّمَةُ الشَّوكانيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَالظَّاهِرُ مِنِ الصِّيغَةِ أَنَّ هَذَهُ المَقَالَةُ اجتمع عليها الصَّحَابَةِ ؛ لأَنَّ قُولُهُ: كَانَ أَصحَابُ رَسُولُ اللهِ جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك ) (٣٠).

وعن مُجاهد أبي الحجاج عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قلتُ له: (ما كانَ يفرق بينَ الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهدِ رَسُول اللهِ عَلَيْ ؟ قالَ: الصّلاةُ )(1).

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب ٥ ما جاء في ترك الصلاة ٥ وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) «الصلاة وحكم تاركها»: ص٠٥.

<sup>(</sup>٣) «نيل الأوطار»: ج٢، ص١٦.

<sup>(</sup> ٤ ) « أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة » للإمام اللالكائي: ج٤ ، ص٨٦٦ .

<sup>(\*)</sup> أي: أنَّ الصَّحابة الكرام - رضي الله عنهم - لا يعتقدون شيئًا من الأعمال الظاهرة تركه كفر غير الصَّلاة؛ فإن قيل: كيف هذا! وهناك صور كثيرة من الكفر غير ترك الصَّلاة؛ فنقول: أن المراد بالحديث تكفير تارك الصَّلاة من جملة أعمال الجوارح الظاهرة التي يسهل جدًا تبينها في كلّ فرد، أمَّا باقي أركان الإسلام فتبينها صعب جدًّا؛ فكيف تعرف أنَّ الرَّجل يؤدي زكاته! مع علم بأنَّ صدقة السرِّ أفضل؟ وأمَّا باقي أعمال الجوارح الظاهرة التي يكفر تاركها؛ فهي نادرة، وليست عامَّة في الأمَّة كعموم الصَّلاة، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصَّلاة» ص ٥٠: (أنَّ هذا ابن تيمية في «الصَّلاة» ص ٥٠: (أنَّ هذا هو إجماع الصَّحابة لقول عمر بمحضر الصَّحابة دون إنكار عليه: لا حظ في الإسلام، لمن ترك الصَّلاة).

وعن أمير المؤمنينَ؛ عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – بعد أن أفاق من طعنته التي مات منها، قالَ: ﴿ هَلْ صَلَّىٰ النَّاسُ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ، فَقَالَ : لاَ حَظَّ في الإسلام لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ ! ﴾ .

وقالَ ابن مسعود، رضي الله عنه: ( مَن ترك الصَّلاة فلا دين له ).

وقالَ أَبُو الدرداء، رضي الله عنه:

(لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له).

وقالَ عبد الله بن عبَّاس، رضي اللهُ عنهما:

( مَن ترك الصَّلاة ؛ فقد كفر ) .

وقالَ علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهما:

(مَن لم يُصلُّ؛ فهو كافر).

وقالَ الحافظُ المنذريُّ – رحمهُ الله – بعدَ أنْ سردَ أقوال الصَّحابةِ في حكم تارك الصَّلاة: (قد ذهب جماعة من الصَّحابة ومن بعدهم إلىٰ تكفير من ترك الصَّلاة متعمدًا لتركها ؛ حتىٰ يخرج جميع وقتها ، منهم : عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عبَّاس ، ومعاذ بن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء – رضي الله عنهم – ومن غير الصَّحابة أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعي ، والحكم بن عتبة ، وأبوب السختياني ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ) (١).

<sup>(</sup>١) انظر: والترغيب والترهيب » (كتاب الصلاة) باب والترهيب من ترك الصلاة تعمدًا، وإخراجها عن وقتها تهاونًا »

وقالَ الإِمامُ الحافظُ؛ إِسحاق بن راهويه، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(قد صحَّ عن رَسُول اللهُ عَلَيْ أَنَّ تارك الصَّلاة عمدًا كافر ، وكذلك كان رأْي أَهل العلم من لدن النَّبِي عَلَيْ إلىٰ يومنا هذا ؛ أَنَّ تارك الصَّلاة عمدًا من غير عذر ؛ حتىٰ يذهب وقتها ؛ كافر ) (١٠).

وقالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، رحمهُ اللهُ: (وأكثر السَّلف علىٰ أَنَّه يُقتل كافرًا! وهذا كله مع الإقرار بوجوبها )(٢).

وصفوة القول: إِنَّ تاركَ الصَّلاةِ! يكفرُ الكفرَ الأكبرَ الخرجُ عن المَّلةِ؛ إِلاَّ أن يكونَ التَّاركُ جاهلاً أو متأولاً؛ فلا يُكفَّرُ لعدم قيام الحجَّة عليه! أمَّا مَن كان عالماً بحكم تركِ الصَّلاةِ؛ ثمَّ أصرَّ على تركها؛ فهو يُكفَّرُ لتحقُّق شروط الكفر فيه وانتفاء موانعه، ولا يُعفيه جهلُهُ من الإثم العظيم، وما يترتبُ عليه من أحكام في الدُّنيا.

• اذن! ياتارك الصّلاةِ المسألةُ جدّ والأَمرُ خطيرٌ، ولامجالَ للتسويفِ والتَّكاسلِ في هذا الأَمرِ العظيمِ! بل يجبُ المباشرةُ بالتَّوبةِ فورًا، والمبادرةِ إلىٰ أَداءِ الصَّلاةِ المفروضةِ علىٰ العبدِ في الدَّارين؛ أَذكرُ هنا ما يترتبُ عليهِ من الأحكام الشَّرعيَّةِ، ومن أهمها:

حكمهُ: كافرٌ مرتدٌ؛ يستتابُ من وليِّ الأمرِ؛ فانْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ مرتدًّا.

جنازتُهُ: لايغسَّلُ ولايكفَّنُ ولايصلَّىٰ عليهِ ولا يقبَرُ في مقابرِ المسلمينَ، ولا يحلُّ تقديمهُ للمصلينَ؛ ليصلوا عليهِ.

<sup>(</sup>١) « تعظيم قدر الصّلة »: ج٢، ص٩٣٠.

<sup>(</sup>۲) «مجموع الفتاوي»: ج۲۸، ص۲۰۸.

الدُّعاءُ لَهُ: لا يجوزُ الدُّعاءُ لهُ بالرَّحمةِ والمغفرةُ بعد موتهِ؛ لكن يجوزُ الدُّعاءُ لهُ بالهدايةِ فقط؛ إن كانَ حيًّا.

الميراثُ: إذا ماتَ؛ فإنَّ تَرِكَتَهُ تُسلَّمُ لبيتِ المالِ، وإن كانَ حيًّا؛ فلا يجوزُ أن يرثُ أحدًا من أقاربِهِ المسلمين.

الولاية : لا تجوز ولايته على مسلم من أبناء وبنات وأيتام، وغيرهم.

الزُّواجُ: لا يحِلُّ تزويجُهُ من مسلمةِ، وإذا عُقِدَ لَهُ فإنَّ العقدَ باطلٌ، ولا تَحِلُّ لهُ الزُّوجَةُ، وإن كانَ تركهُ للصَّلاةِ بعد العقدِ؛ فإنَّ نكاحَهُ يَنْفَسِخُ.

دخولُ الحرم: لا يجوزُ أن يدخلَ مكةً، ولاحدودَ حرمها.

الذبيحة: إِذا ذبحَ لاتؤكلُ ذبيحتُهُ؛ مع جوازِ أكلِ ذبيحةِ اليهوديِّ والنَّصرانيّ؛ فذبحُهُ أَخبتُ، والعياذُ باللهِ.

الصُّحبَةُ: لا تجوزُ صحبتُهُ، بلُ الواجبُ هجرُهُ، والبُعدُ عنهُ.

الاحتضارُ: تضربُ الملائكةُ وجههُ ودبرَهُ، ويعذِّبُ العذابَ الشَّديدَ.

القبرُ : يُفتحُ لَهُ من النَّارِ، ويُمَهَّدُ لَهُ من قُرُش النَّارِ .

الآخرة : يحشرُ يومَ القيامَةِ معَ أَثمَّةِ الكفرِ والضَّلالِ؛ كفرعونَ وهامانَ وقارونَ وأُبيِّ بنِ خلفٍ، ولايدخلُ الجنَّة، ومصيرُهُ إلى النَّارِ! والعيادُ بالله.

ياتارك الصَّلاةِ! تُبُّ وصلٌ؛ قبل الخلودِ في الجحيم!!

هذه بعضُ الأَمثلةِ على نواقضِ الإيمانِ الاعتقاديَّةِ، والقوليَّةِ، والفوليَّةِ، والفعليَّةِ؛ التي يُعتبرُ العبدُ بملابسة أَحَدِهِمَا كَافرًا كُفرًا مُخرِجًا من الملَّة؛ إِذا وقعَ في إِحْدَىٰ صُورَها.

# خطورة السخرية والاستهزاء بالدين وأهله

إِنَّ من علاماتِ الجليةِ للإيمان الصَّادق الَّتي يجب أن يتحلَّىٰ بها كلُّ مسلم صادق مع ربِّهِ – جلَّ في عُلاه – هو تعظيمُ شعائر اللهِ تعالىٰ وحرماته، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والبُعْدُ عمَّا يُسْخِطُ الله تعالىٰ ويُغذبه سبحانه، وأن يكون العبدُ معظَّمًا لاَوامر ربِّهِ – جلَّ ثنائه – منقادًا لشَّرعه الحكيم، صاغرًا وراضيًا لاَحكام دينه الحنيف؛ فهذا برهانٌ ساطعٌ علىٰ صدق إيمانه، ومؤشرٌ بينٌ علىٰ تقوىٰ قلبه، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ فَلاَ وَرَبُّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٢).

وإذا كانَ تعظيمُ اللهِ - جلَّ وعلا - والخوفُ من مقامه سبحانه؛ دليلَ الإيمانِ الصَّادقِ؛ كما قال اللهُ تبارك وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

# ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١).

فكذلك الاستهانة بالله العظيم، وبدينه الحنيف، وبرَسُولِه الأمين عَلَيْكُ وبآسُولِه الأمين عَلَيْكُ وبآياته وأحكامه، وشَرعه ودينه، وبحملته والمتمسكين به، والسُّخرية منهم والاستهزاء بهم؛ ناقض لذلك الإيمان! فلا يمكن أن يجتمع في قلب العبد المسلم: تعظيمُ الله تعالى، واستهزاء بدينه وشرعه، أو بمن تمسك به!

فالاستهزاء من أعظم المنكرات اللّتي يجب الابتعاد عنه؛ لأنّه مرض عُضَال، وشرّ مستطير، ووبال قاتل؛ يفرّق القلوب، ويزرع الأحقاد، ويُذكي نار الفتن، ويجرّى السّفلة على القامات، ويشجّع الجهال على الإغارة لمسلّمات شرع الله تعالى وحرماته، وثوابت الملّة ومقدساته.

إذن! هو أمرٌ خطيرٌ؛ يجب اجتنابُه على الإطلاق، والتَّوبةُ منه - إِن وقع من مسلم - فورًا؛ لأنَّهُ يقدح في الإسلام والتَّوحيد؛ بل هو ناقضٌ من نواقض الإيمان، وكفرٌ باللهِ تعالى وبرسُوله الأمين عَلَيْكُ وبدينه العظيم، وهذا هو حكم رَبِّ العالمين في المستهزئين، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَحْدَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنبُّهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْدَرُونَ ﴿ آَلَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنتَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ لَا كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ لَا تَعْنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ آَلَ اللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ آَلَ لَكُ لَا نَخُوضُ وَنَلْعَهُ مَنكُمْ نُعَذَبُ طَائِفَةً مَعْدَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعْفُ عَن طَائِفَةً مِنكُمْ نُعَذَبُ طَائِفَةً بَاللّهِ وَآيَاتِهُ وَاللّهُ وَآيَاتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

<sup>(</sup> ٢ ) سورة التوبة، الآيات : ٦٢ – ٦٦ .

قالَ الإمامُ ابن كثير - رحمهُ الله تعالى - في تفسيره:

(عن عبد الله بن عمر، قالَ: قالَ رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيتُ مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللهاء. فقالَ رجلٌ في المسجد: كذبت! ولكنّك منافقٌ؛ لأخبرن رسُول اللهِ عَلَيْ فبلغ ذلك رسُول الله عَلَيْ ونزل القُرآن، فقالَ عبد الله بن عمر: أنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسُول الله عَلَيْ تَنكُبُه الحجارة، وهو يقول: يا رسُول الله إنّما كنا نخوض ونلعب، ورسُول الله عَلَيْ يقول: ﴿ أَبَاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُول الله عَلَيْ يَقول: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ وَرَسُول الله عَلَيْ فَعْ عَنْ طَائِفَة مِنكُمْ وَرَسُول الله عَلَيْ مَن عَا الله عَن طَائِفَة مِنكُمْ فَي اللهِ عَلْ عَن جميعكم، ولا بُدّ من عذاب بعضكم في أنوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بُدّ من عذاب بعضكم في أنوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة).

قالَ الإمام أبو بكر الجصَّاص - رحمهُ الله - في هذه الآية:

(فيه الدَّلالةُ علىٰ أَنَّ الَّلاعِبَ والجَادَّ سواءٌ في إِظهار كلمةِ الكُفرِ علىٰ غير وجهِ الإكراه؛ لأنَّ هؤلاء المنافقين ذكروا أنَّهم قالوا ما قالوه لعبًا؛ فأخبرَ الله عن كفرهم بالَّلعب بذلك. وروى الحسنُ وقتادةُ أنَّهم قالوا في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرَّجلُ أن يفتحَ قُصُورَ الشَّامِ وحصونَها! هيهات هيهات؛ فأطلع الله نبيَّهُ علىٰ ذلك؛ فأخبر أنَّ هذا القولَ كفرٌ منهم علىٰ أيًّ وجه قالوه من جد أو هزل؛ فدلَّ علىٰ استواءِ حكم الجاد والهازل في إظهار كلمة الكفر، ودلَّ – أيضًا – علىٰ أنَّ الاستهزاء بآيات الله، أو بشيء من شرائع دينه؛ كفرٌ من فاعلِه )(۱).

<sup>(</sup>١) « أحكام القرآن ، ج٣، ص١٤٢.

وقالَ القاضي ابن العربي المالكي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( لا يخلو أن يكونَ ما قالوه من ذلك جدًّا، أو هزلاً؛ وهو كيفما كان كفرٌ! فإنَّ التَّحقيقَ أَخُو كفرٌ! فإنَّ التَّحقيقَ أَخُو الجلقِ والعلم، والهزلَ أَخُو الباطلِ والجهل)(١).

وقالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، رحمة الله: (وهؤلاء الصَّنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم؛ فإنَّ هؤلاءَ حلفوا بالله ما قالوا، وهو وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد إسلامهم، وهموا بما لم ينالوا، وهو يدل على أنَّهم سعوا في ذلك؛ فلم يصلوا إلى مقصودهم! فإنَّهُ لم يقل: هموا بما لم يفعلوا؛ لكن ﴿ بِما لَمْ يَنالُوا ﴾ فصدر منهم قول وفعل، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فاعترفوا واعتذروا؛ ولهذا قبل لهم: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَة مِنْكُمْ نُعَذَبُ طَائِفَة بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ فدل على أنَّهم لم يكونوا طائِفَة مِنْكُمْ نُعذَبُ طَائِفَة بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ فدل على أنَّهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا؛ بل ظنوا أن ذلك ليسَ بكفر؛ فبين اللهُ تعالىٰ أنَّ عند أنفسهم قد أتوا كفرًا؛ بل ظنوا أن ذلك ليسَ بكفر؛ فبين اللهُ تعالىٰ أنَّ الاستهزاء باللهِ وآياته ورَسُوله كفرٌ يكفر به صاحبه بعد إيمانه! فدل علىٰ أنَّهُ محرم، ولكن لم كان عندهم إيمان ضعيف؛ ففعلوا هذا الحرم الذي عرفوا أنَّهُ محرم، ولكن لم يظنوه كفرًا، وكان كفرًا كفرو به؛ فإنَّهم لم يعتقدوا جوازه) (٢).

وقالَ العلاَّمةُ الفقيه؛ ابن قدامة المقدسيِّ الحنبليِّ، رحمه اللهُ تعالىٰ:

( ومَن سبَّ الله تعالىٰ! كفرَ؛ سواءً كان مازحًا، أو جادًا، وكذلك مَن

<sup>(</sup>١) ه أحكام القرآن ، ج٢، ص٩٧٩.

<sup>(</sup> ٢ ) و مجموع الفتاوي ، ج٧ ، ص٢٧٣ .

استهزأ باللهِ تعالىٰ، أو بآياته، أو برُسُله، أو كتبه، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ سَاَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَيَنْ عَلَىٰ اللهُ عَلَيْ الله عَلَيْ يَوْدَبَ أَدَبًا يزجره عن يُكتفىٰ من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام؛ حتَّىٰ يؤدبَ أَدبًا يزجره عن ذلك؛ فإنَّهُ إذا لم يُكتف ممن سَبَّ رسُول الله عَلَيْ بالتَّوبة؛ فممن سَبَّ الله تعلیٰ أولیٰ (۱).

وقالَ الإِمامُ النُّووي – رحمهُ الله – في « روضة الطالبين » كتاب ( الرُّدَّة ):

(هي قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر، وتارة بالفعل؛ والأفعال الموجبة للكفر: هي التي تصدر عن تعمّد واستهزاء بالدّين صريح؛ كالسّجود للصّنم أو للشّمس، وإلقاء المصحف في القاذورات، والسّحر الذي فيه عبادة الشّمس ونحوها. قال الإمام في بعض التعاليق عن شيخي: أنَّ الفعل بمجرّده لا يكون كفرًا! قال: وهذا زلَل عظيم من المعلّق ذكرته للتّنبيه على غلطه! وتحصل الرّدّة بالقول الذي هو كفرٌ؛ سواء صدر عن اعتقاد، أو عناد، أو استهزاء)(٢).

وقالَ العلاَّمةُ عبد الرحمن ابن السَّعديِّ - رحمه الله - في تفسيره:

( فَإِنَّ الاستهزاءَ باللهِ وآياته ورسُوله كفرٌ مخرجٌ عن الدِّين؛ لأَنَّ أَصلَ الدِّين مبنيٌّ على تعظيم اللهِ وتعظيم دينه ورسُله، والاستهزاءُ بشيءٍ من ذلكَ مناف لهذا الأصل، ومناقضٌ له أَشدٌ المناقضة ).

<sup>(</sup>١) «المغني» ج٩، ص٢٨.

<sup>(</sup>٢) ﴿ روضة الطالبين ﴾ ج ١٠ ص ٦٤ .

(وقد اتَّفقَ الفُقهاءُ على كفرِ مَن استخفَ بالأحكامِ الشَّرعيَّةِ من حيث كونها أحكامًا شرعيَّةً؛ مثل الاستخفاف بالصَّلاة، أو الزَّكاة، أو الحجِّ، أو الصَّيام، أو الاستخفاف بحدودِ اللهِ؛ كحدُّ السَّرقة والزَّنيُ )(١).

فالاستهزاءُ مناف للإيمانِ بالكليَّةِ، ومخرجٌ من الدِّين؛ لأَنَّ أَصلَ الدِّين الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسُله، ومن الإيمانِ تعظيم ذلك، ومن المعلوم أَنَّ الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أَشدَّ من الكفر المجرد؛ لأَنَّ فيه كفرٌ وزيادة احتقار؛ فإنَّ الكفَّارَ إمَّا معرضون، أو معارضون؛ فالمعرض معروف، وأمَّا المعارض؛ فهو المحاربُ لله تعالى، ورسُوله عَنَّهُ فالقادح بالله تعالى، وبدينه، ورسوله عَنِّهُ ما الأَوَّل.

والاستهزاءُ بالإسلامِ ومعتقداته، وبشعائر الدّين وأحكامه، وبأهله الملتزمين؛ من أخلاقِ الكافرين والمنافقين! قالَ الله تباركَ وتعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَالِينَ كَفَرُوا الْمَالِينَ كَفَرُوا الْمَالُولِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنذِرُوا هُزُوًا ﴾ (٧).

فالسُّخريَةُ بالدِّين! والاستهزاء بأهله؛ سُنَّةِ الكافرينَ، وسمةُ المنافقين، وحيلة العاجزين، وبضاعة المفلسين الذين لا يعقلون، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

لأَنَّ الاستهزاءَ في اللَّغَةِ: يدل على فرح في خفية، وأصله الانتقام. واصطلاحًا: هي طلب السُّخرية من شخصِ دون أن يفعلَ ما يقتضى

<sup>(</sup>١) انظر: والمغني، لابن قدامة المقدسي: ج٩، ص٢٨.

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

<sup>(</sup>٣) سورة المائدة، الآية: ٨٥.

ذلك، أو هو ابتداء السَّخرية بشخص دون أن يسبقه فعل من أجله يستهزأ به، ولقباحة الاستهزاء؛ فقد ورد ذمه والنهي عنه في سبعة وعشرين آية من القرآن الحكيم؛ فشنّع الله تعالىٰ هذا السَّفة وأثّم وكفّر أهله وجرّم؛ فالاستهزاء بالدين وأهله مرض قديمة، وحقد غرسها أعداء أنبياء الله تعالىٰ؛ الذين فسدت طبيعتهم، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِيٍّ فِي الْأُوَّلِينَ ﴿ وَهَا يَأْتِيهِمِ مَن نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهُرْئُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأُوَّلِينَ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِن رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٣).

ثمَّ أَشْرِفَ على سقيها المنافقون في المدينة، قالَ الله تعالى:

﴿ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ( ° ) .

وقد هدد الله - سبحانه - المستهزئين بالعقوبة الشَّديدة، والعذاب الأليم، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهُرْتُونَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ١٠. (٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٦-٧.

<sup>(</sup>٣) سورة الحجر، الآيتان: ١٠ – ١١. ﴿ ٤) سورة التوبة، الآية: ٤.

<sup>(</sup>٥) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ - ٩٥. (٦) سورة الجاثية، الآية: ٣٣.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءِهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرْءُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيُّنَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزْتُونَ ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ( أ ).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزُءُونَ ﴾ (°).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطُّوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ لَكُمْ السَّعَفْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ لَكُمْ السَّعَفْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٥.

<sup>(</sup>٣) سورة النحل، الآية: ٣٤.

<sup>( ° )</sup> سورة الروم، الآية : ١٠ . ( ° ) سورة الروم، الآية : ١٠ .

<sup>(</sup>٢) سورة هود، الآية: ٨.

<sup>(</sup>٤) سورة الجاثية، الآية: ٩.

<sup>(</sup> ٦ ) سورة التوبة، الآيتان : ٧ ٥ – ٨ ٥ .

فالاستهزاء بشيء ممّا سبق ذكره من نواقض الإيمان - الاعتقادية والقوليَّة والعملية - أو السُّخرية بشيء فيه ذكرُ الله تعالىٰ، أو القرآن العظيم، أو الرَّسُول الكريم عَلَيُّة، أو شعيرة من شعائر اللهِ ين الحنيف، ولو علىٰ سبيلِ المزاح؛ فهو كُفرٌ مخرجٌ من دين الإسلام، ويقطع الإيمان ويزيله، ويُخرجُ صاحبَه من درجات الإيمان والإسلام إلىٰ دركات الكفر والنَّار! لانَّه يدخل في باب الاحتقارِ والاستخفاف! ممّا يجعل هذه الأعمال، أو التَّلفُظُ بتلك الأقوال ردَّة عن الإسلام!

لأَنَّ أصلَ الدِّين مبنيٌ على تعظيم الله - تبارك وتعالى - وتعظيم دينه العظيم، ورسوله الكريم عَلَيْ وحرمات المسلمين؛ فلا ينتهكُ لهم عرضًا، ولا يسخرُ منهم، ولا يَعيبُهُم، ولا يتجسَّسُ عليهم، أو يستهزئ بهم من أجل تمستكهم بدينهم العظيم، ومحافظتهم على شعائره؛ فالاستهزاء بشيء من ذلك مُناف لهذا الأصل العظيم، ومُناف للتَّوحيد الخالص، ومناقض له أشد المناقضة؛ فهو من نواقض الإسلام والإيمان - عند أهل السنَّة والجماعة - وتجبُ التَّوبة منه على الفور إذا وقع ذلك من مسلم!

فالذي يهزل بشيء من أُمور الدين، أو يستهزئ بأهل الدين والصّلاح، ويتهكم بهم، ويضحك منهم، أو يسخر بشيء من عباداتهم؛ فهو كأفرًا سواء كان جادًا، أو هازلاً، أو مازحًا، وسواء كان هذا الاستهزاء خفيًّا أم ظاهرًا، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿ إِنَّ اللهُ تعالىٰ عَالَوْا بِهِمْ يَتَعَامَزُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) سورة المطففين، الآيتان: ٢٩ - ٢٠.

وفي هذا دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ الإنسانَ قد يكفر؛ بكلمة ٍ يتكلم بها، أو عمل يسير يعمله، وهو لا يشعر! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضِ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ (١).

وهذه الآية تدلُّ على أنَّ الخوف من النَّفاقِ الأكبر واجبٌ؛ لإنَّ اللهَ تعالى أثبت لهؤلاء إيمانًا قبل أنْ يقولوا ما قالوه! قالَ النَّبِئُ عَلَيْكَ :

( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضُوانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ؛ يَرْفَعُهُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المَالِمُ اللهِ اللهِ اللهِ المِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

فالواجبُ علىٰ كلِّ المسلمِ الصَّادقِ؛ أن يعرضَ عن هؤلاءِ المستهزئين إعاراضًا تامًا، وألا يجالسهم أبدًا، ويتبرأ منهم، ومن أقوالهم وأفعالهم، كما بيَّن الله تعالىٰ ذلك الحكم، ولم يجعل فيها مجالاً للاجتهاد لخطورة هذه القضية، ومكانتها من العقيدة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذّكْرَى مَعَ الْقَوْم

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب (حفظ اللسان).

<sup>( \* )</sup> قالَ شيخُ الإسلام ابن تبعيَّة، رحمه الله : (الاستهزاءُ بالقلبِ والانتقاص يُنافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضدُّ ضدَّه، والاستهزاء باللسان يُنافي الإيمان الظّاهر باللسان كذلك) والصارم المسلوم ، ص ٣٧٠.

الظَّالِمِينَ ﴿ مَنَ عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ وَهَ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ اللَّانْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٍّ وَلا اللَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لِأَ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ آلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكُفُرُونَ ﴾ (١) (\*).

ويُخشى على الذين يشاركون مجالس المستهزئين، أو يستمر في مجالستهم، أو لا يرون بها بأسًا! أن يمسهم عذاب الله تعالى، أو يتعرضوا لعقابه الشّديد، قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مَنْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١)(\*\*).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآيات: ٦٨ - ٧٠ (٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

<sup>( \* )</sup> قالَ الحافظ ابن كثير - رحمهُ الله - في تفسيره: ( والمراد بهذا كلُّ فَرْدٍ فَرْدٍ مِن آحاد الأُمَّةِ آلاً يجلسوا مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها ) .

<sup>( \*\* )</sup> قال الحافظ ابن كثير - رحمة الله - في تفسيره: ( أَي: إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يُكفر فيه بآيات الله ويُنتقص بها، وأقررتموهم على ذلك؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ في المأثم . . . وقوله: ﴿ إِنَّ الله جَامِعُ المنافقينَ والكافرينَ في جَهَنَّمَ جَميعًا ﴾ أي: كما اشتركوا في الكفر؛ كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم آبدًا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال، وشراب الحميم والغسلين لا الزلال) .

وقال العلامة القرطبي - رحمة الله - في تفسيره: (فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم المنكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر ).

لأَنَّ الاستهزاءَ والسُّحريَّة؛ بالله تعالىٰ، أو بكلامه الكريم، أو برسوله الأمين محمَّد عَلَيُّ أو بدينه العظيم، أو بالمسلمينَ المؤمنين المتمسَّكين بأوامر ربِّهم – جلَّ وعلا – صفةٌ من صفات الكفَّار، وخصلةٌ من خصال المنافقين؛ الذين أرتفعت أصواتهم في هذه الأيام، وأنَّ هذا النَّاقضُ قد علا دخانه، واستبان لحنه؛ فزلت فيه أقدام، ولاكته أفواة وأقلامٌ؛ حتَّىٰ أصبحَ صوتُ الغمزِ، وحديثًا بائنًا، وصوتًا لم صوتُ الغمزِ، وحديثُ اللمزِ علىٰ الدينِ وأهلهِ، حديثًا بائنًا، وصوتًا لم يعد خافتًا بفضلِ أعداء الرَّحمن، واللهُ المستعان! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمًا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ مَ أَلَمْ يَرَوُا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنِ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكُن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكُن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخِرِينَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكُنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْنًا آخِرِينَ عَرْبُولُ وَلَوْ وَلَوْ فَوْلُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ كَفُرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ مَبِينَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ كَفُرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ مَبِينَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ كَفُولُوا إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ مَبِينَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ كَفُولُوا إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ مَبِينَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكً لَيهِم مَا يَلْبَسُونَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أَنْزِلَ عَلَيْهُمْ مَا يَلْبِسُونَ فَي وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِوسُلُ مِن فَبْلِكَ وَلَوْ وَلَوْ اللّهُ فَا لَلْهُمْ مُا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزُءُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَاللَّخِرَةِ وَأَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ وَاللَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّمُوْمِنَاتِ بِغَيْر مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مَّبِينًا ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآيات: ٥ - ١٠. (٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧ - ٥٨.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَسْعُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

• فاعلم أخى المسلم الكريم! علَّمنا الله تعالى وإيَّاك وجميع المسلمينَ؛ طريق الَّذينَ أنعمَ عليهم الإيمان الصَّادقِ والتَّوحيدَ الخالص:

أنَّه يجب على كلِّ مسلم أن يحتاط لدينه ولآخرته، وأن لا يَستهينَ بهذه النُّواقض المهلكة، ويحذرَ الخوضَ فيها، وأن لا يعمل، أو يتلفُّظُ بشيءٍ ما يخرج به من الدِّين؛ لأنَّ النُّطقَ بالشُّهادتين يتمُّ به الدُّخولُ في الإسلام؛ ثمَّ يتَّبِعُهُ العمل بالأركانه، وكذلك النَّطق بشيء ضدِّه ممَّا يناقضُ الْإِسلام ويهدمه؛ فيحصُلُ به الخروجُ منه، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ إِذْ تَلَقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولاً ﴾ (1).

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآيات: ٣٢ - ٣٤.

<sup>(</sup>٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : ﴿ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لاَ يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا ؛ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ ﴿ ( ' ' ) .

و لَخَطَرِ اللَّسانِ وعَظيمِ جُرْمِهِ ؛ جاء في الحديث الطُّويل ، عن الصَّحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النَّبِئ عَلَيْهُ أَنَّهُ قَالَ :

« ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَادُ ! وَهَلْ يَكُبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوَّهِهمْ ، أَوْ
 عَلَىٰ مَنَاخِرهِمْ ؛ إِلاَّ حَصَائِدُ ٱلْسِنتِهمْ ٥ (٣ ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيُ عَلَيْهُ: حَسَبُكَ مِنْ صَغِيَّةً؛ كَذَا وَكَذَا قَالَ الرَّوي: تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ عَلَيْهُ: « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً ! لَوْ مُرْجَتْ بِمَاءِ الْبَحْر لَمَزَجَتْهُ ( أ ) .

وَعَنِ الْمُعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرِّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غَلَامِهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غَلاَمِهِ حُلَّةٌ؛ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ! فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً؛ فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ! فَقَالَ لِي سَابَبْتُ رَجُلاً؛ فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ! فِقَالَ لِي النَّبِيُ عَلِيْتُهُ: «يَا أَبَا ذَرًا أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُو فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ؛ لِي النَّبِي عَلِيْهُ : «يَا أَبَا ذَرًا أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُو فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ؟ إِنْكَ امْرُو فِيكَ جَاهِلِيَّةً؟ إِنْكَ امْرُو فَيكَ جَاهِلِيَّةً؟ إِنْكَ امْرُو فَيكَ جَاهِلِيَةً؟ إِنْكَ امْرُو فَيكَ جَاهِلِيَّةً؟ إِنْكَ امْرُو فَيكَ جَاهِلِيَّةً؟ إِنْكَ امْرُو فَيكَ جَاهِلِيَّةً؟

<sup>(</sup> ١ ) سورة القرة، الآية : ١٠٤.

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب ه ما جاء في مَن تكلُّم بالكلمة ليُضحك النَّاس» وصحَّحة الألباني.

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب دما جاء في حرمة الصلاة، وصحَّحهُ الألباني.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه أبو داود في (كتاب الأداب ) باب « في الغيبة ، وصحَّحهُ الألباني.

يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ؛ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ »(١).

وقالَ - الصَّحابيُّ الفقيه - عبدُ الله بنُ مسعودٍ، رضي اللهُ عنه: « واللهِ الَّذي لاَ إِلَهَ غَيرُهُ مَا عَلَىٰ وَجُهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحُوجَ إِلَىٰ طُولِ سجن من لسان »(٢).

لأَنَّ اللَّسانَ هو ترجمان القلب، وقد كلفنا الله تعالى أَن نحافظ على استقامة قلوبنا، واستقامة القلب مرتبطة باستقامة اللَّسان، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ :

« لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ؛ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ؛ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِللهُ عَلَيْهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِللهُ اللهُ عَلَيْهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ (\*).

وقالَ عَظَّهُ: « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ ؛ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللَّسَانَ ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا ؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ! فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنْ اعْوَجَجْنَا » (1) . اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا » (1) .

والكلمةُ تتكون من بضعةِ أحرف إ تخرج من فم الإنسان وهو لا يُبالي في إطلاقها! ثمَّ تكتب عليه، فالكلمةُ يدخل العبدُ دين الله تعالى، ويخرج من دائرته مع سعتها، وبالكلمة يبني بيتًا وأسرة ومجتمعًا، وبالكلمة يشل بناء بيت ويفرِق جمع أسرةٍ، وبالكلمة يعانق الإنسان جنَّة الخُلد، ويسقط في حضيض نار جهنَّم – والعياذُ باللهِ – فالإنسان قد يكفر بكلمة يقولها،

<sup>(</sup>١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب ٥ المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها ٥.

<sup>(</sup>٢) « حلية الأولياء » لابن نعيم الأصفهاني: ج١، ص١٣٤.

<sup>(</sup> ٣ ) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ج٧ ، ص٨٥٨ .

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في (كتاب الزهد ) باب « ما جاء في حفظ اللِّسان » وصحَّحهُ الألباني .

وهو يلعب ويضحك ولا يشعر في خطورتها! قالَ الله تبارك وتعالى:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُولُوا يُعَذَّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (١).

فيجب على كل مسلم صادق؛ إذا وقع منه شيءٌ من ذلك؛ المبادرة على الفور بالتَّوبة، والاستغفار، والنَّدم على ما صدر منه، والعزم على أن لا يعود لمثله أبدًا؛ لأنَّ التَّوبة تَجُبُّ ما قبلَها، قالَ النَبِئ عَلَيْ :

« مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلَفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّىٰ ، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرْكَ ؛ فَلْيَتَصَدَّقَ ، (٢) .

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري (كتاب التفسير) باب ، ﴿ أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتُ وَالْعُزُّىٰ ﴾ . .

# أقوال أنهة أهل السنة والجماعة أن الكفر يكون: بالاعتقاد والقول والفعل

1- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ سفيانُ بن عُيينة - رحمهُ اللهُ - عندما سُئِلَ عن الإرجاء: (يقولونَ: الإيمانُ قولٌ، ونحن نقول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، والمرجعةُ أوجبوا الجنَّةَ لمن شهدَ أن لا إِلهَ إِلاَّ الله؛ مصرًّا بقلبه على تركِ الفرائض، وسمَّوا تركَ الفرائضِ ذنبًا بمنزلة رُكوبِ المحارم، وليس بسواء؛ لأَنَّ رُكوبَ المحارم من غير استحلالِ معصية، وتركُ الفرائض متعمدًا من غير جهلِ ولا عذر؛ هو كُفرٌ!)(١).

٣- قالَ الإمامُ المبجلُ الشَّافعيُّ - رحمهُ اللهُ - حين سُئِلَ عمَّن هَزَلَ
 بشيءٍ من آيات اللهِ تعالىٰ: (هو كافرٌ) واستدلَّ بقولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ آَيَ لِا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (٢).

٣ - قالَ الإمامُ الحافظُ؛ عبدُ الله بن الزُّبير الحُميديِّ، رحمهُ اللهُ:

( أُخْبِرتُ أَنَّ ناسًا يقولونَ : مَن أَقَرُّ بالصَّلاة ، والزُّكاة ، والصُّوم ، والحجِّ ،

<sup>(</sup>١) ه كتاب السُّنَّة » الإمام عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص ٣٤٧ ( ٧٤٠).

<sup>(</sup> ٢ ) ( الصارم المسلول » ابن تيمية: ج٣، ص٥٥ . والآيتان من سورة التوبة.

ولم يفعلْ من ذلك شيئًا حتى يموت، أو يُصلِّي مُستدبرَ القبْلة حتى يموت؛ فهو مؤمنٌ ما لم يكُن جاحدًا... إذا كان يقرُّ بالفرائض واستقبال القبْلة؛ فهو مؤمنٌ ما لم يكُن جاحدًا... إذا كان يقرُّ بالفرائض واستقبال القبْلة؛ فقلتُ: هذا الكُفرُّ الصَّراحٌ، وخِلافُ كتابِ اللهِ وسُنَّة رسولهِ عَلَيْهُ وفِعلِ المُسلمين، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ المُسلمين، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤثُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (١).

# ٥- قالَ الإمامُ الحافظُ؛ إسحاقُ بنُ راهَويه، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وثمًا أجمعوا على تكفيره، وحَكموا عليه كما حكموا على الجاحِد؟ المؤمنُ الذي آمنَ باللهِ تعالى، وبما جاء من عنده، ثمَّ قتلَ نبيًّا، أو أعانَ على قتلِه، وإنْ كان مُقرًّا، ويقولُ: قتلُ الأنبياءِ محرَّمٌ؟ فهو كافرٌ، وكذلك مَن شتَمَ نبيًّا، أو رَدَّ عليه قولَه من غير تقيَّة، ولا خَوف )(١).

قالَ الإمامُ الفقيه؛ أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، رحمهُ الله:

(فاعلم - يرحمنا الله وإيّاك - أنّ الإيمان تصديق بالقلب، وقول اللّسان، وعمل بالجوارج. وذلك أنّه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أنّ الله - عزّ وجلّ - واحد، وأنّ ما جاءت به الرّسُلُ حق، وأترّ بجميع الشّراثع، ثمّ قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا، ولا أصدق به ؟ أنّه ليس بمسلم. ولو قال: المسيح هو الله، وجَحَد أمرَ الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على ذلك؟ أنّه كافر بإظهار ذلك، وليس بمؤمن )(٢).

<sup>(</sup>١) ه شرح أُصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة، الإمام اللالكائي: ج٥، ص٧٥٥ (٤٥٩٤). (٢) ه تعظيم قدر الصلاة، الإمام المروزي: ج٢، ص٩٣٠ (٩٩١).

<sup>(</sup>٣) ا شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، الإمام اللالكائي: ج٤ ، ص٩٣٢ (١٥٩٠).

٣- قالَ الإمامُ؛ أحمدُ بنُ حنبل - رحمهُ الله - عندما سَأَله ابنهُ عبد الله عن رجل قال لرجل: يا ابن كذا وكذا؛ أنت ومَن خلقك: (هذا مرتد عن الإسلام) وسأله: تُضربُ عنقُهُ؟ قالَ: (نعم تُضرَبُ عُنقُه)(١).

٧- قالَ الإمامُ؛ محمَّد بن سُحنُون المالكيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(أَجمعَ العلماءُ على أَنَّ شَاتَمَ النَّبِيِّ عَلَيْكَ الْمُتَنَقِّصَ لَهُ ؛ كَافَرٌ ، والوعيدُ جارِ عليه بعذابِ الله له ، وحكمه عند الأُمَّة : القتلُ ، ومَن شَكَّ في كُفرِه وعذابه كَفَرَ) (٢).

٨ قالَ الإمامُ ؛ أبو محمَّد البربهاري، رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

(ولا يَخرِجُ أَحدٌ من أَهلِ القبْلةِ من الإسلام؛ حتَّىٰ يَرُدُّ آيةٌ من كتابِ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ الله الله عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلْمُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُلّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

٩- قالَ الإمامُ؛ أبو الحسن الأشعريُ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إِرادةُ الكفر كُفْرٌ، وبناء كنيسة يُكفر فيها بالله كفرٌ؛ لأنَّهُ إِرادة الكفر)(1).

<sup>(</sup>١) \* مسائل الإمام أحمد » رواية ابنه الإمام عبد الله: ج٢، ص١٢٩١.

<sup>(</sup> ٢ ) « الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ » القاضى عياض: ج٢ ، ص ٢١٤ .

<sup>(</sup>٣) ٥ شرح السُّنَّة ، البربهاري: ص٧٧ (٥٠). دار السلف.

<sup>(</sup>٤) «أنوار البروق في أنواع الفروق» للإمام القرافي؛ ج١، ص٥٢٠.

# • ١ - قالَ الإمامُ النوويُّ - رحمهُ اللهُ - في تعريف الرِّدَّةِ:

(هي قطعُ الإسلام، ويَحصلُ ذلك تارةً بالقولِ الذي هو كفرٌ، وتارةً بالفِعل، والأَفعالُ الموجبةُ للكُفرِ هي التي تَصدرُ عن تعمَّد واستهزاء بالدِّين صريحًا؛ كالسُّجودِ للصَّنمِ أو للشَّمس، وإلقاءُ المصحف في القاذورات، والسِّحر الذي فيه عبادة الشَّمس ونحوها. قال الإمام: في بعضِ التَّعاليق عن شيخي إِنَّ الفعلَ بمجرَّدِه لا يكون كفرًا، قال: وهذا زَللٌ عظيمٌ من المعلِّق ذكرته للتَّنبيه على غلطِه، وتَحصلُ الرِّدَةُ بالقولِ الذي هو كفرٌ؛ سواءً صدر عن اعتقادٍ أو عنادٍ أو استهزاء)(١).

## ١ ١ - قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(إِنَّ مَن سَبُّ اللهُ، أَو سَبُّ رسُولَه كَفرَ ظاهرًا وباطنًا؛ سواءً كان السابُ يعتقدُ أَنَّ ذلكَ محرَّمٌ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهبُ السابُ يعتقدُ أَنَّ ذلكَ محرَّمٌ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهبُ الفقهاء وسائرِ أَهل السُّنَة القائلين بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل)(٢).

١٩ - قالَ القاضي أبو بكر بن العربيُّ المالكيّ - رحمهُ اللهُ - في تفسير
 الآية ( ٦٥ ) من سورة التوبة ؛ قول الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهُزْءُونَ ﴿ إِنَّا لِللَّهِ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ :

( لا يخلو أن يكونَ ما قالوه من ذلك جدًّا، أو هَزْلاً، وهو كيفما كان

<sup>(</sup>١) ه روضة الطالبين، النووي: ج١، ص٦٤ (كتاب الرَّدَّة).

<sup>(</sup> ٢ ) • الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ،: ج٣، ص٥٥٥ .

كفرٌ؛ فإِنَّ الهزلَ بالكفرِ كفرٌ؛ لاَ خلافَ فيه بينَ الأَئمَّة؛ فإِنَّ التَّحقيق أَخو الحقِّ والعلم والهزلَ أَخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ )(١).

١٠٦ قالَ الإمامُ ابن كثير – رحمهُ اللهُ – في تفسير الآيتان (١٠٦ – ١٠٠ )
 ١٠٧ » من سورة النحل، قوله اللهِ تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَكِن مَن اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَنَ اللّهِ وَلَهُمْ اللّهَ لا يَهْدِي وَأَنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فَيْ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فَيْ أُولِيكِ أُولِيكِ اللّهِ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فَي الْآخِرَةِ هُمُ وَأَرْبُونَ هُمُ الْعَافِلُونَ فَي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ :

(أخبر تعالى عمَّن كَفَر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدرة بالكُفر والممان به: أنَّه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثمَّ عُدُولِهم عنه، وأنَّ لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة؛ لأنَّهم استحبُّوا الحياة الدُّنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الرِّدَةِ لأَجلِ الدُّنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحقّ؛ فطبع على قلوبهم، فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئًا فهم غافلون عمًا يراد بهم).

<sup>(</sup>١) « أحكام القرآن » لابن العربي: ج٢، ص٤٦٥. والآية « ٦٤ » من سورة البقرة.

\$ 1 - قالَ الإمامُ الحافظُ؛ ابن رجب الحنبليُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( فقد يتركُ دينَهُ، ويُفارقُ الجماعة، وهو مقرِّ بالشَّهادتين ويدَّعي الإسلامَ كما إذا جَحَدَ شيئًا من أركانِ الإسلام، أو سبُّ اللهُ ورسُولَه، أو كفرَ ببعض الملائكةِ، أو النبيِّينَ، أو الكُتب المذكورةِ في القرآنِ مع العلم بذلك )(١).

وقال - رحمهُ الله - في شرحه لحديث المنه الإسلامُ عَلَىٰ خَمْس . . . »:

(وهذا الحديثُ دلُّ علىٰ أَنَّ الإسلامَ مبنيٌّ علىٰ خمسةِ أَركان . . . وأَنَّ الإسلامَ مَثَله كبنيان ، وهذه الحمسُ: دعائمُ البنيان وأَركانُهُ التي يثبتُ عليها البنيانُ . . . وأمَّا هذه الحمسُ ؛ فإذا زالت كلُها سقطَ البنيانُ ولم يثبت بعد زوالها ، وكذلك إن زالَ منها الركنُ الأعظم وهو الشهادتان ، وزوالهما يكونُ بالإتيان بما يضادُهما ولا يجتمعُ معهما .

وأمًّا زوالُ الأربعِ البواقي: فاختلفَ العلماءُ... وكثيرٌ من علماء أهلِ الحديثِ يرى تكفيرَ تاركِ الصَّلاة. وحكاه إسحاقُ بنُ راهويه إجماعًا منهم حتى إنَّه جعلَ قولَ مَن قالَ: لا يكفرُ بتركِ هذه الأركان معَ الإقرارِ بها من أقوال المرجعة... وبيان ذلك في أمر آدم وإبليسَ وعلماء اليهود الذين أقروا ببعثِ النَّبِئَ عَلَيْ بلسانهم ولم يعملوا بشرائِعهِ.

ورُويَ عن عطاء ونافع - مولى ابن عمرَ - أنَّهما سُئلا عمَّن قالَ: الصَّلاةُ فريضةٌ ولا أُصلِّي، فقالا: هو كافرٌ. وكذا قال الإمام أحمد.

ونقلَ حربٌ عن إسحاقَ قال : غَلَبَتِ المرجعةُ حتى صارَ من قولهم : إن

<sup>· ( ° ) «</sup> جامع العلوم والحكم » لابن رجب: ( شرح الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية ) .

قومًا يقولونَ: مَن تركَ الصلواتِ المكتوباتِ، وصومَ رمضانَ، والزَّكاةَ، والحجَّ، وعامةَ الفرائضِ من غيرِ جحود لها لا نكفِّرُهُ، يرجىٰ أَمرُهُ إِلَىٰ الله بعد ؛ إذ هو مُقرِّ؛ فهؤلاء الذين لا شكَّ فيهم - يعني في أنَّهم مرجعةً.

وظاهرُ هذا: أنَّه يكفرُ بتركِ هذه الفرائض... ولمَّن قال بذلكَ: ابنُ المبارك، وأحمد - في المشهور عنه -، وإسحاق، وحكىٰ عليه إجماع أهلِ العلم - كما سبق - وقال أيوبُ: تركُ الصَّلاةِ كفرٌ لا يُختلفُ فيه)(١).

١٥ - قالَ المحدث الفقيه؛ علي بن محمَّد البزدويِّ الحنفيِّ، رحمهُ الله :

(فَإِنَّ الهَزْل بالرِّدَّة كَفَرًا لا بما هَزَل به لكن بعَيْنِ الهَزْل؛ لأَنَّ الهازلَ جادِّ في نفس الهَزْل مختارٌ راضٍ، والهَزْل بكلمة الكفر استخفاف بالدِّين الحق فصار مُرتدًا بعينه لا بما هَزَل به إِلاَّ أَنَّ أَثرهما سواةً بخلاف المُكْرَه؛ لأَنَّة غير معتقد لِعَيْن ما أُكْرِه عليه)(١).

١٦ - قالَ الإمامُ العلاَمةُ شيخُ المالكيَّة؛ جلال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السَّعدي المالكيِّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

( وظهور الرِّدَّةِ؛ إِمَّا أَنْ يكونَ بالتَّصريحِ بالكفرِ، أو بلفظ يقتضيه، أو بفعل يتضمَّنه )(<sup>7)</sup>.

١٧ - قالَ الإمامُ القاضي صدر الشَّريعةِ؛ عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) « فتح الباري ، لابن رجب: ج١، ص٢٢، حديث رقم (٨) شرح كتاب الإيمان .

<sup>(</sup>٢) «كشف الأسرار؛ شرح أصول البزدوي»: ج٤، ص٠٠٠.

<sup>(</sup>٣) «عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة »: ج٣، ص٢٩٧.

(الهزلُ بالرَّدَّةِ كَفَرٌ؛ لأَنَّهُ استخفافٌ! فيكون مرتَدًّا بعينِ الهزلِ لا بما هزل به، وهو اعتقادُ معنى كلمة الكفر هزل به، أي: ليس كفره بسبب ما هزَل به، وهو اعتقادُ معنى كلمة الكفر التي تكلَّم بها هازلاً؛ فإنَّهُ غير معتقد معناها؛ بل كفَّره بعين الهزل، فإنَّهُ استخفاف بالدين، وهو كفرٌ نعوذُ بالله تعالىٰ منه)(١).

١٨ - قالَ الإمامُ كمال الدّين ابن عبد الواحد ابن الهمام الحنفيّ، رحمهُ اللهُ: (ومَن هزل بلفظ كفر ارتدًا وإن لم يعتقده للاستخفاف؛ فهو ككفر العناد، والألفاظ التي يكفر بها تعرف في الفتاوى)(١).

19 - قالَ الإمامُ العلاَّمةُ؛ مَرْعيُّ بن يوسف الكرميُّ المقدسيُّ - رحمهُ اللهُ تعالىٰ - في تعريفِ الرِّدُّةِ: (وهو مَن كَفَرَ بعد إسلامه، ويَحصُلُ الكُفرُ باَحد أَربعة أُمورِ: بالقولِ كَسَبُّ اللهِ تعالىٰ ورسولِه، أو ملائكته، أو ادَّعاء النبوَّة، أو الشَّركة له تعالىٰ، وبالفعلِ كالسُّجودِ للصَّنمِ ونحوه، وكإلقاء النبوَّة، أو الشَّركة له تعالىٰ، وبالفعلِ كالسُّجودِ للصَّنمِ ونحوه، وكإلقاء المصحف في قاذورة، وبالاعتقادِ كاعتقادِه الشَّريك له تعالىٰ، أو أَنَّ الزِّنا أو الخَمرَ حلالٌ، أو أَنَّ الخِبزَ حرامٌ، ونحو ذلك، وثمَّا أُجمعَ عليه إِجماعًا قطعيًّا، وبالشَّكُ في شيءٍ من ذلك) (٢٠).

<sup>(</sup>١) ١ التوضيح شرح التنقيع ١ ح٠، ص١٠٤.

<sup>(</sup>٢) ﴿ فَتَعَ القَدْيَرِ ﴾ : ج٦، ص ٩١.

<sup>(</sup>٣) « دليل الطالب » ص ٣١٧.

# أسباب ضعف الإيمان أعراضه وعلاجه



## أسباب ضعف الإيمان

فاعلم ! أخي المسلم الصَّادق ؛ هدانا الله تعالى وإيَّاكَ إلى طريقِ أهلِ الإيمان ، والصِّدق ، والإخلاص ، والإحسان :

إِنَّ ضُعفَ الإيمانِ في القلبِ! من الأمراضِ الخطيرةِ والفتَّاكَةِ والقاتلةِ؛ في حياةِ العبدِ، والمجتمع، والأُمَّةِ؛ لأنَّهُ يقضي على صاحبِهِ؛ إِذا لمْ يعالجْ! في مَشْفَىٰ الشَّرِيعَةِ الغرَّاءِ؛ بأَيدِي الأَطباءِ الرَّبَّانيينَ.

ومَن يطلع ! بعينِ الفاحصِ والعارفِ لحالِ الأَمَّةِ الإسلاميَّةِ اليوم ؛ يجد بوضوح انتشارَ ظاهرةِ ضُعفِ الإيمانِ ! بينَ المسلمينَ - واللهُ المستعانُ وعليه التُّكلانُ - ويجد غالبَهُم ! - إِلاَّ مَن رحمَ ربِّي - يشكونَ من قسوةِ القلوب ! وكثيرًا ما نسمعُ من قولِهِمُ الحزينِ :

(أُحسُ بقسوةٍ في قلبي؟!)، (لا أَجدُ لذَّةً للعبادات؟!)، (لا أَشعرُ الله المُحدُ الدَّةُ للعبادات؟!)، (لا أَتأَثَّرُ بقراءةِ القُرآنِ ولا بالأَذكارِ؟!)، (أَقعُ في المعصية بكلَّ سهولَة؟!)، (لا أَتورَّعُ عن الشُّبهات؟!)، (أَتجرأُ على الظُّلمِ والاعتداءِ على الآخرين؟!)، (لا أَصلُ الرَّحْمَ؟!)، (أَشعرُ بأَنَّ إِيماني في الحضيض؟!) وكثيرون آثارُ المرضِ عليهم ظاهرةٌ! للخبيرِ من أَوَّلِ وهُلَةٍ!

وهذا المرضُ خطيرٌ جدًّا! وهو أساسُ كلِّ مصيبةٍ، وسببُ كلِّ نقصٍ وبليَّةٍ! لأنَّهُ يسكنُ القلبُ ومنطلقُهُ، والقلبُ هو بيتُ الإيمانِ ومنطلقُهُ، وهو محلُّ نظرِ الرَّبِّ – جلَّ في عُلاه – قالَ النَّبِيُّ الأَمينُ عَلَيْهُ :

« إِنَّ اللهَ ! لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وآمُوالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ ﴾ ` ` .

فالقلبُ يمرضُ كما يمرضُ البدنُ ا وأمراضُ القلبِ كثيرةً ، وهيَ تختلفُ حسبَ نوعِ المؤثراتِ عليهِ اكلَما قوي حسبَ نوعِ المؤثراتِ عليهِ اكلَما قوي حسبَ نوعِ المؤثراتِ عليهِ اكلَما قوي المرضُ واشتدً ؛ حتَّىٰ يُغْلِفَ ويُطمِسَ ، ويقفلَ ويطبَعَ عليهِ ، ثمَّ يزيغُ عن المرضُ واشعد ؛ حتَّىٰ يُغْلِفَ ويُطمِسَ ، ويقفلَ ويطبَع عليهِ ، ثمَّ يزيغُ عن المحقِ - والعيادُ باللهِ - وعندها يموتُ القلبُ الوهذهِ هي آسوا حالاتِهِ ؛ لأنَها تنقلُ صاحبَها من الإيمانِ إلى الكفرِ المجمعلُهُ في مرتبةِ البَّهاثِم .

ومرضُ ضعف الإيمانِ في القلب؛ من أَشَدُ الأَمراضِ خَطرًا على العبدِ المؤمنِ؛ لأنَّهُ يُؤدِّي إلى قسوةِ القلبِ الَّتي تنشأُ منهُ جميعُ الأَمراضِ المدمرةِ، المؤدِّي إلى قسوةِ العقي؛ لأَنَّ أَبعدَ القلوبِ من اللهِ تعالىٰ؛ القلبُ القلبُ القاسي، والقلبُ يقسي بالمعاصي وفعلِ المنكرات، وارتكابِ الذُّنوبِ، والبُعدِ من الخيرِ؛ حتَّىٰ يكونَ كالحجارةِ، أَو أَشدًا

وتظهرُ خطورةُ هذا المرضِ الفتَّاكِ جليًّا! من خلالِ الآياتِ القرآنيَّةِ؛ الَّتي تصفُ خطورةَ هذا الأمرِ الخطيرِ! كقول اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (١).

وقولهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب «تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله».

<sup>(</sup> ٢ ) سورة البقرة، الآية: ٧٤ ( ٣ ) سورة الأنعام، الآية: ٤٣ .

وقولهِ تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ ﴾ (١).

وقولهِ تعالىٰ: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢).

ولا يَسْلَمُ من هذا المرضِ الفتَّاكِ! أَحدٌ مِنِ ابْنِ آدمَ؛ إِلاَّ من سلَّمَهُ اللهُ تعالىٰ، وأخذ بالأسبابِ الشَّرعيَّةِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٣).

وقلبُ ابْنِ آدمَ! أَشدُ تقلّبًا من الرّبِحِ في يوم عاصف، وسُمّي القلبُ قلبًا لسرعة تقلّبه؛ فتارة يجدُ العبدُ قلبَهُ؛ ممتلعًا إِعانًا وخشيةً، ثمّا يورثُهُ سعادة وأنسًا وانشراحًا، وتارة يضيقُ عليه صدره، ويضعفُ الإيمانَ في قلبه، وهذا حالُ ابْنِ آدمَ المسكينِ، وإذا ضعفَ الإيمانُ في القلب؛ وجد العبدُ وحشة وضيقًا! حتَّىٰ إِنَّ الدُّنيا كلّها لتضيقُ عليه! كما أخبرَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (١٠).

إِذِن ! القلبُ شديدُ التَّقلبِ ؛ كما وصفَهُ النَّبِيُّ عَلَيْكُ بقولهِ :

« لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ ! أَشَدُّ انْقِلابًا مِنْ الْقِدْرِ ؛ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا »(°).

وقالَ عَلَيْكَ : «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلِّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ ؛ كَمَثَلِ ريشة مُعَلَقة فِي أَصْلِ شَجَرَة ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ » (١٠) .

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٢٢. (٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤. (٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.

<sup>(</sup>٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٤، ص٠٠. عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» ج١، ص١٠١.

<sup>(</sup>٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٤، ص٨٠٤. في مسند ابي موسى الأشعري. وصحح الألباني في «صحيح الجامع» ( ٢٣٦٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ يَقُولُ اللهِ عَلَيْهُ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن ﴾ كَلَهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن ﴾ كَفَلْ اللهِ عَلَيْهُ:

« اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ ، (١).

وقلبُ ابْن آدمَ نوعانِ: قلبٌ صالحٌ، وقلبٌ فاسدٌ!

#### • القلبُ الصَّالحُ:

فالقلبُ إذا صَلُح؛ استقامَ حالُ العبدِ - ظاهرًا وباطنًا - وصحت عبادتُهُ، واعتدلَت طبيعتُهُ، وأثمرَ لَهُ الرَّحمةَ والإحسانَ إلى الحلقِ، وأصبح يعيشُ في سعادة وفرحة تغمرُ بشاشة قلبهِ، وتعكسُ هذهِ النَّعمةُ على مجرىٰ حياتِهِ؛ فلا تقدَّرُ بثمنِ، ثمَّ يذُوقُ طعمَ الإيمانِ، ومحبَّةَ اللهِ تعالىٰ، والأُنسَ بِهِ، ولذَّةَ مناجاتِهِ، وسعادة عبوديَّتِهِ - سبحانَهِ تعالىٰ - ممَّا يصرفُهُ هذهِ النَّعمةُ عن النَّظرِ إلىٰ بهجةِ الدُّنيا الخادعةِ، وزخرفها الفانيَةِ، والإغترارِ بها، والرُّكونِ اليها، وهذهِ حالةٌ عظيمةٌ؛ يعجزُ الكلامُ عن وصفها! لو كان بها، والرُّكونِ اليها، وهذهِ حالةٌ عظيمةٌ؛ يعجزُ الكلامُ عن وصفها! لو كان صاحبُه أبلغ بلغاء! ويتفاوتُ الخلقُ في مراتبِ هذهِ النَّعمةِ! وكلما كان العبدُ أتقىٰ للهِ - جلَّ في عُلاه - كان أكثرَ سعادةً؛ فإنَّ للهِ تعالىٰ جنَّينِ العبدِ! مَن دخلَ جنَّةَ الدُّنيا؛ دخلَ جنَّةَ الآخرةِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب القدر) باب و تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء». (٢) سورة ق، الآية: ٣٣. (٢) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

#### • القلبُ الفاسدُ:

القلبُ إذا قسى وأظلم؛ فسد حالُ العبد - ظاهرًا وباطنًا - وخلت عبادتُهُ من الخشوع، وغلبت عليه شقوتُهُ، واختلَّت طبيعتُهُ وموازينُهُ؛ فاتَبعَهُ البُّخلُ والكِبْرُ وسوءُ الظَّنِ، وأصبحَ بعيدًا عن اللهِ تعالى، وأحسَّ بالضيقِ والشَّدَّةِ، وفقرِ النَّفسِ، ولو ملكَ الدُّنيا بأسرها! وحُرِمَ لذَّةَ العبادةِ والطاعةِ، ومناجاةِ ربِّهِ - الغفورِ الرَّحيمِ - ثمَّ يُصبحُ عبدًا للدُّنيا الفانيةِ؛ مفتونًا بها، وطالَ عليهِ الأَمَدُ!! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ فَوَيْلٌ لَّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي صَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلا تُطع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢).

فإذا كانَ الأمرُ بهذه الخطورة؛ فلا بُدَّ للعبدِ المؤمنِ أَن يتحسسَ قلبَهُ، ويعرفَ مكمنَ الدَّاءِ، وسببَ المرضِ، ويُشْعَ في العلاجِ؛ قبلَ أَن يطغىٰ عليهِ الرَّانُ؛ فيَهلكُ! والأمرُ عظيمٌ والشأنُ خطيرٌ؛ فإنَّ الله تعالىٰ قد حدَّرنا من القلبِ القاسي، والمقفلِ، والمريضِ، والأعمىٰ، والأغلفِ، والمنكوسِ، والمختومِ عليه!! لذا كانَ لزامًا علىٰ الصَّادقِ مع رَبِّهِ؛ أَن يتفقدَ قلبُه، ويأخُذَ بأسبابِ صلاحِهِ، وزيادة الإيمانِ؛ لأنَّهُ لا يفلحُ، ولا ينجو يومَ القيامةِ؛ إلاَّ صحابُ القلوبِ الحيَّةِ الطَّيبةِ السَّليمةِ المؤمنةِ، قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ ﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَىٰ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣).

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٢٢. . . . . (٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

## واعلم ! أخي المؤمن الصَّادق:

فقد اعتنى الشَّارعُ الحكيمُ؛ بهذا العُضوِ الخطيرِ، وسعى بكلِّ الطُرُقِ اللهِ إلى إصلاحِهِ، وتطهيرِهِ، وتنقيتهِ من جميعِ الشُّوائبِ، وحثَّ العبدَ المؤمنَ على تجديدِ الإيمانِ فيهِ، وذلكَ بعلاجِهِ وإصلاحِهِ في مشفى رسُولِهِ الكريمِ الرَّوْوفِ الرَّحيم؛ الَّذي أوصى مرضاهُ بوصيَّةِ اللهِ تعالى، فقال عَلَيْهُ:

﴿ أَلا ! وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ؛ إِذَا صَلَحَتْ ! صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ ! فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُهُ ! أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ ، (١) .

إذن! القلبُ يمرضُ ويضعفُ؛ كما يمرضُ البدنُ ويضعفُ ويتعبُ! وشفاءُ القلبِ؛ التَّوبةُ النَّصُوحُ الدَّاثمُ، والعملُ الصَّالحُ المستمرُّ.

ويصدأ؛ كما تصدأ المرآةُ! وجلاؤهُ؛ الذُّكرُ، والتَّسبيحُ في الحلواتِ.

ويعرى؛ كما يعرى الجسمُ! وزينتُهُ؛ لباسُ التَّقويٰ، ومخافةُ اللهِ الدَّاثمُ.

ويجوعُ؛ كما يجوعُ البدنُ! وطعامُهُ وشرابُهُ؛ معرفهُ الحقّ، ومحبَّةُ الحلقِ، ومحبَّةُ الحلقِ، ومحبَّةُ الحلقِ، والإنابةُ إليهِ؛ سبحانه وتعالىٰ.

وفيما يلي - أخي القارىءَ الكريمَ - محاولةٌ للتَّعرُفِ على مظاهرِ مرضِ ضعف الإيمانِ في القلبِ، وعلى أسبابهِ، وطرقِ علاجِهِ (\*).

فأَقُولُ، وباللهِ التَّوفيقُ والسَّدادُ:

<sup>(</sup> ١ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب و فضل من استبرا لدينه ٥ .

<sup>( \* )</sup> نقلتُ هذا الفصل بإختصار وتصرف من كتاب وظاهرة ضعف الإيمان ؛ الأسباب، المظاهر، العلاج ، للشيخ الدّاعية محمد بن صالح المنجد، وفقه الله وسدد خطاه.

#### أَوَّلاً - مظاهرُ صُعْفِ الإيمان:

إِنَّ مرضَ ضعف الإيمانِ؛ لَهُ أعراضٌ ومظاهرٌ متعددةٌ؛ منها:

## ١- الوقوعُ في المعاصي، وارتكابُ المحرَّماتُ:

فإذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ يسهُلُ عليه الوقوعُ في المعاصي وارتكاب الذُنوب - بمكيد من الشَّيطان - بجميع أنواعها وأشكالها! ثمَّ يتبعُها الإكثارُ منها، ثمَّ الإصرارُ عليها! ثمَّ تُحَوِّلُهَا إلى عادة مألوفة! ثمَّ يزولُ قُبحُها من القلب تدريجيًّا؛ حتَّىٰ يقعَ العاصي في الجاهرة بمعصيتِها، ثمَّ يدخلُ - والعياذُ باللهِ - في قولِ النَّبِيِّ الكريم عَلَيْكُ :

« كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى؛ إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ! وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ؛ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ! عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا! وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ ﴾ (١).

#### ٢- الشُّعورُ بقسوةِ القلب وخشونتِهِ:

إِذَا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ قسىٰ قلبُهُ! ثمَّ لا يتأثرُ بشيءٍ، بلُ لا يُؤَثرُ فيه أَبلغُ المواعظِ! حتَّىٰ لو كانَ موعظةَ الموتِ، ولا رؤيةَ الأمواتِ، ولا الجنائزِ! وربَّما حملَ الجنازةَ بنفسهِ، وواراها بالتُّرابِ، ولكن سيرُهُ بينَ القبورِ كسيرهِ بينَ الاَحجارِ! ثمَّ ينقلبُ قلبُهُ حجرًا صلدًا! قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) رواه البُّخارئ في (كتاب الأدب) باب دستر المؤمن على نفسه ١.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

#### ٣- عدمُ إتقان العباداتِ:

إِذَا ضَعَفَ الْإِيمَانُ فِي قلبِ العبدِ؛ لا يُتقنُ عباداتِهِ ٱلبَتَّةَ؛ لأَنَّ اتقانَ العبادَةِ؛ تحتاجُ إِلَىٰ خشوع القلبِ، وقلبُ صاحبِهِ ضعيفٌ لا يُسعفُهُ بذلكَ! فلا يحضرُ قلبُهُ في العبادَةِ! فتراهُ يشرُّدُ ذهنَهُ أثناءَ العباداتِ؛ مثل الصَّلاةِ، وتلاوةِ القرآنِ، والأَذْكَارِ؛ حتَّىٰ أَثناءَ الأَدْعَيَةِ! فلا يتدبُّرُ معانيها.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ ادْعُوا اللَّهَ ! وَأَنْتُمْ مُوقِّنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبِ غَافِل لاَهِ ١٠٠٠.

# ٤- التَّكَاسلُ عن الطَّاعاتِ والعباداتِ، أو إضاعتُها:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ تكاسلَ عن الطَّاعاتِ والعباداتِ! بل ضيُّعها في أكثرَ الأوقاتِ؛ إِمَّا بعدم أداءِها، أو أدَّاها بالحركاتِ الجوفاءِ! لا روحَ فيها! كما وصفَ الله عبادة المنافقينَ بقولِهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَىٰ الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢٠).

ثمَّ بعدها! يُضيعُ مواسمَ الخيرِ والبركةِ، وأوقاتِ العبادةِ، وفعل السُّنن؛ من أُداءِ الرُّواتبِ والنُّوافل، والأورادِ والأذكارِ، وقيام اللُّيل، والتَّبكير إِلَىٰ المساجد، ثمَّ لا يهتمُّ بتحصيل الأجرِ، ولا يشعرُ بتأنيبِ الضَّميرِ؛ إِذا فاتَّهُ شيءٌ من هذه العبادة العظيمة؛ الَّتي هي من صفات عباده المتقينَ؛ من الأنبياءِ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>( ` )</sup> رواه الترمذي في ( كتاب الدعوات ) باب ه جامع الدعوات a . وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونُ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (١).

# ٥ - ضيقُ الصَّدرِ، وتغيُّرُ المزاج، وانحباسُ الطَّبعِ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ ضاق صدرهُ، وتغيَّرَتْ فطرتُهُ ومزاجُهُ وطبعُهُ؛ حتَّىٰ يُحِسُّ كَأَنَّ عليهِ جبلاً ثقيلاً؛ ثمَّ يتغيرُ مجرَّةُ حياتِهِ كاملاً! فيصبحُ سريعَ التَّضجرِ والتأففِ من أدنى شيء ويشعرُ بالضيَّيقِ من تصرفاتِ النَّاسِ حولَهُ وتذهبُ سماحَةُ نفسهِ؛ ثمَّ يعيشُ حياةً ضنكًا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَىٰ ﴾ (١).

## ٦ عدمُ التَّأْثرِ بآياتِ القُرآنَ العظيمِ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ لا يتأثرُ بقولِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - لا بآياتِ القُرآنِ الحكيم! ولا بوعده ولا بوعيده، ولا بأمره ولا نهيه؛ فيملُ من سماع القرآنِ العظيم! لا تطيقُ نفسهُ مواصلةَ قراءتِه؛ فكلَّما فتحَ المصحف؟ كادَ أَن يغلقَهُ! نسألُ اللهُ تعالىٰ العافية .

# ٧- الغفلةُ عن ذكر اللهِ تعالىٰ، ودعائِهِ:

إِذَا ضعفَ الإِمَانُ في قلبِ العبدِ؛ لا يذكرُ الله إِلاَّ قليلاً! فإِذَا ذكرَ اللهَ تعالىٰ؛ ثقلَ ذلكَ علىٰ نفسهِ! وإِذَا رفعَ يدَهُ للدُّعاءِ؛ سُرعانَ ما يقبضهما ويمضي! فيُشاركُ المنافقينَ في هذه الصِّفة الذَّميمة! قالَ اللهُ تعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

<sup>(</sup>٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١).

٨ - عدمُ الغضب ! إذا انتهكت محارمُ الله ؛ جلَّت قدرته :

لأَنَّ لَهِبَ الغيرةِ في قلبهِ قد انطفاً؛ فتعطلت جوارحُهُ عن الإنكارِ! فلا يأمرُ بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يتمعرُ وجهه قط في اللهِ تعالى، وقد وصف رسُولُ اللهِ عَلَيْهُ هذا القلبَ بالضّعف، فقالَ الأمينُ عَلَيْهُ:

ا تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ! كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبِ أَشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؟ أَشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؟ حَتَىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الْصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ حَتَىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الْصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخَيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنكِرُ مُنكَرًا ؛ إلاَ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ (١).

## ٩ - حُبُّ الظُّهُورَ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ ينسى مراقبة رَبِّ العالمينَ لَهُ؛ فيحبُّ الظُّهورَ بينَ عبادِهِ، وهذا المرضُ مهلكٌ! لَهُ صورٌ عِدَّةٌ، منها:

الرَّغبةُ في الرَّئاسةِ والإمارةِ، وعدمُ تقديرِ المسؤوليَّةِ والخطرِ. محبَّةُ تَصَدَّرِ المسؤوليَّةِ والخطرِ. محبَّةُ تَصَدُّرِ المجالسِ، والاستئثارِ بالكلامِ، وفرضِ الاستماعِ على الآخرينَ. محبَّةُ أَن يقومَ النَّاسُ لَهُ إِذا دخلَ عليهم! لإشباعِ حبُّ التَّعاظمِ في نفسِهِ المريضةِ.

<sup>(</sup>١) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في ( كتاب الإيمان ) باب وبيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا » .

#### . ١ - الشُّحُّ والبُخلُ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ يغلبُ عليه الشُّحُ والبُخلُ! وهُما صفتانِ ذميمتانِ؛ نهى عنهُما الله تعالى، ورسُولُهُ الأَمينُ عَلَيْهُ فصاحبُهُ لا يكادُ يُخرِجُ شيئًا في سبيلِ اللهِ تعالى، ولو دعى داعي الصّدقة، وظهرت فاقة إخوانه المسلمين، وحلّت بهمُ المصائبُ! لا يُحركُ ساكنًا! ولا أبلغَ من كلام رَبِّ العالمينَ - جلَّ شأنه - في هذا الشّأنِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ هَا أَنتُمْ هَوُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَآنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلُّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ : « إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ ! فَانَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ ؛ أَمَرَهُمْ بِالْشُحِّ ؛ أَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ أَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَهَجُورِ اللهُ فَعَرُوا » (٢) .

#### ١١ – القولُ دونَ العملِ:

لا شكَ أَنَّ هذا الفعل من أكبر صفاتِ المنافقينَ! لأَنَّ الإيمانَ إِذا ضعفَ في قلبِ العبد؛ فيقولُ ما لا يفعلُهُ! ومَن خالفَ قولَهُ عملُهُ؛ صارَ مذمومًا عندَ اللهِ تعالىٰ، ومكروهًا عندَ الخلقِ، وأهلُ النَّار! سيكتشفونَ حقيقةَ الَّذي يأمرُ بالمعروفِ في الدُّنيا ولا يأتيهِ، وينهاهم عن المنكرِ ويأتيهِ! ولا شكَّ أَنَّ هذا نوعٌ من النَّفاقِ المذمومِ في الشَّرع، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة محمَّد عَظِيَّ ، الآية: ٣٨.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه أبو داود في ( كتاب الزَّكاة ) باب ﴿ فِي الشُّحِّ ﴾ وصحَّحهُ الأَلباني .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (١).

# ١٢ - السُّرورُ والفرحُ بمصائب الآخرينَ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ لا يفرحُ بنجاحِ الآخرينَ، ولا يسرُّ بذلكَ! بلْ يغمِّرُ قلبَهُ المريضَ بالسُّرورِ والغبطّةِ؛ بما يصيبُ الآخرينَ؛ من فشل، أو خسارة، أو مصيبة، أو زوال نعمة؛ فيشعرُ بالسُّرورِ! لأنَّ النَّعمةَ قد زالتُ عن غيرهِ! ولأنَّ الشَّيءَ الَّذي كانَ يتميَّزُ عليهِ غيرُهُ بهِ؛ قد زالَ عنهُ، وهذا من أحدِ صفات المنافقينَ!

١٣ – تَجنُّبُ المُحرَّماتِ المعلوم من الدِّينِ بالضَّرورَةِ فقط ! دونَ غيرِهِ :

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ ينظرُ إلى الأمورِ من جهة وقوع الإثم فيها، أو عدم وقوعه فقط! ويتساهلُ في فعل المكروه، أو غير المستحب، وهذا العملُ يؤدِّي إلى الوقوع في الشركِ والشَّبهاتِ والمكروهاتِ! ثمَّ يؤدِّي إلى الوقوع في الحرماتِ قطعًا! لأنَّ صاحبَهُ لا مانعَ لديهِ من ارتكابِ عمل مكروه، أو مشتبه فيه؛ ما دامَ أنَّهُ ليسَ محرمًا!! وهذا الذي حذَّرَ منهُ بشدَّة؛ الرَّسُولُ الأَمينُ، فقالَ عَيَّا :

﴿ إِنَّ الْحَلاَلَ بَيْنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الشَّبُهَاتِ اسْتَبْراً لِدينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الشَّبُهَاتِ اسْتَبْراً لِدينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ الشَّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ الشَّهُ مَا لَكُلُ مَلِك حِمَى ! أَلا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي فِيهِ ؛ أَلا وَإِنَّ لِكُلُ مَلِك حِمَى ! أَلا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي

<sup>(</sup>١) سورة الصف، الآيتان: ٢ - ٣.

الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

والاستهانة بمحقرات الذُّنوب! ثمَّا ينتجُ عنهُ؛ الاجتراءُ على محارم اللهِ تعالى وحدودهِ، وزوالُ الحواجزِ بينهُ وبينَ المعصيةِ؛ فتجدُ صاحبَهُ يقعُ في الحرَّماتِ دونَ تحفُّظ ولا تردُّد، وهذا أسوأ من الَّذي يقعُ في الحرام بعد تردُّد، وكلا الشَّخصينَ على خطر! ولكنَّ الاَوَّلَ أَسوأُ من الثَّاني؛ لأَنَّهُ يستسهلُ ذنوبهُ نتيجة ضعف إِيمانِهِ، ولا يرى أنَّهُ عَمِلَ شيعًا منكرًا!

فَعَنْ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ عَلَيْكُ ثُوبَانَ بْنِ بجددٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

« لأَعْلَمَنَّ أَقُوامًا مِنْ أُمَّتِي يَاْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ؛ فَيَجْعَلُهَا اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هَبَاءً مَنْثُورًا » قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ؟ قَالَ : « أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَاْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَاْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقُوامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِم اللهِ انْتَهَكُوهَا » (٢).

١٤ - احتقارُ المعروفِ، وعدمُ الاهتمامِ بالحسناتِ الصَّغيرةِ:

إِذَا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ يستهينُ بالأعمالِ الصَّالحةِ عامَّةً، فضلاً عن الأعمالِ النَّوافلِ والحسناتِ الصَّغيرةِ، والَّذي يحتقرُ أَعمالَ الخيرِ اليسيرةَ فيه سوءٌ وخللٌ عن الصراطِ المستقيم، وهدي نبيِّهِ الأمين، قالَ ﷺ:

« لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ! وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ، (٣).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب المساقاة) باب «أخذ الحلال وترك الشُّبهات ».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد ) باب « ذكر الذُّنوب » .

<sup>(</sup> ٣ ) رواه مسلم في ( كتاب البر والصلة والآداب ) باب « استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء».

لأَنَّ دينَ الإسلامِ الحنيف! حثَّ على الأَعمالِ الصَّالحةِ بجميعِ أنواعها وأشكالها، وأعطى للأعمالِ الصَّغيرةِ؛ حسنات عظيمة، والله - جلَّ في عُلاهُ - يُكافىءُ لهذهِ الأعمالِ الصَّالحةِ، ويُدْخِلُ فيها عبادَهُ العاملينَ؛ جنَّةَ النَّعيم، ولو كانت هذهِ الأَعمالُ الصَّالحةُ صغيرةً، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ :

« مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ : وَاللّه ! لأُنَحِّينَ هَذَا عَن الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ؛ فَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ ، (١).

# ٥ ١ - عدمُ الاهتمام بأمور المسلمينَ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلب العبد؛ لا يهتمُّ بقضايا المسلمينَ، ولا يتفاعلُ معهم بتتبُّع أخبارِهم، ولا بإعانتهم؛ فضلاً عن الدُّعاءِ لهم؛ فهو باردُ الإحساسِ تُجاهَ ما يصيبُ إخوانَهُ في بقاع الأرضِ؛ من تسلّط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث؛ فيكتفي بسلامة نفسه! وصفاتُ المؤمنِ الصَّادة خلافُ ذلك؛ كما أخبرَ الصَّادة والمصدوق عَلَيْهُ:

« إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ! بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ؛ يَاْلُمُ الْمُؤْمِنُ لأَهْل الإِيمَانِ! كَمَا يَاْلُمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ ، ('').

٦ ١ - عدمُ الاستشعار بالمسؤليَّةِ تُجاهَ الدِّين:

إذا ضعف الإيمانُ في قلبِ العبدِ؛ لايشعرُ بالمستوليَّةِ في العملِ لدينِ الإسلام؛ فلا يسعىٰ لنشرِهِ، ولا يسعىٰ لخدمتِهِ؛ كأنَّهُ غيرُ مكلَّف بهذا الأمرِ!

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب) باب وفضلُ إزالة الأذي عن الطريق.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في دمسنده؛ ج٥، ص ٣٤. عن سَهْلِ بْنِ سَعْد السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْه، وصحَحهُ الألباني في الصَّحيحة ، برقم: (١١٣٧).

١٧ - انفصامُ عُرى الأُخوةِ بينَ المتآخين:

إذا ضعف الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ يضعفُ روابطُ الأُخوةِ الإسلاميَّةِ! فيجدونَ بينهم وحشةً، وخلافًا، وضعفًا، وهوانًا، وخوفًا، وتسلطَ العدوِّ! لاَنَّهم وكِّلُوا علىٰ أَنفسهِم، وفاتَهُم دفاعُ اللهِ – عزَّ وجلَّ – عنهم!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١).

١٨ - الخوفُ والفزعُ عندَ نُزُولِ المصيبةِ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ؛ يُصيبهمُ الخوفُ والفزعُ عندَ نزولِ المصيبةِ، أو حدوثِ المشكلةِ؛ فتراهم مرتعدي الفرائصِ، مختلّي التَّوازنِ، شاردي الذَّهنِ، شاخصي الأبصارِ، حاثرين في أمرهم؛ لا يستطيعونَ مواجهة واقعهم بجنان ثابت، وقلب قويًّ!

١٩ ـ كثرةُ الجدالِ والمراءِ:

إذا ضعف الإيمانُ في قلوبِ المسلمينَ؛ يُصابون بكثرةِ الجدلِ العقيمِ، والمراءِ القاتلِ المقسي للقلبِ! لأنَّ الجدلَ بغيرِ علم ولا دليلٍ، ولا قصد إصابةِ الحقّ؛ يؤدِّي إلى الابتعادِ عن الصراطِ المستقيمِ، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكَ :

« مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدِّي كَانُوا عَلَيْهِ ! إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ » (٢).

وقالَ عَلَيْكَ : «أَنَا زَعِيمٌ! بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ؛ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ ، وإِنْ كَانَ مَازِحًا ، كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ ؛ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِينْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ ؛ لِمَنْ خُلُقَهُ »(٣) .

<sup>(</sup>١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن) باب ٥ من سورة الزخرف، وصحَّحهُ الألباني.

<sup>(</sup>٣) رواه أبي داود في (كتاب الآداب) باب «في حُسن الخلق» وصحَّحةُ الألباني.

# ٠ ٢ - التعلقُ بالدُّنيا ، والشُّغفُ بها ، والاسترواحُ إليها :

إذا ضعف إيمانُ العبد؛ فيتعلقُ قلبُهُ بالدَّنيا الفانيَةِ! إلى درجةِ أَنَّهُ يحسُّ بالأَلمِ إذا فاتَهُ شيءٌ من حظوظها؛ كالمالِ والجاهِ والمنصبِ والمسكن، ويعتبرُ نفَسهُ مغبونًا سيَّءَ الحظِّ؛ لأنَّهُ لم ينلُ ما نالَهُ غيرُهُ! ويُحسُّ بألمٍ وانقباضٍ عظيم؛ إذا رأى غيرَهُ! قد نالَ بعضَ ما فاتَهُ من حظوظِ الدُّنيا!

قَالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ : ﴿ وَلاَ يَجْتَمِعَانِ ! فِي قُلْبِ عَبْدِ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ ﴾ (١). ٢١ – المفالاةُ في الشَّكليَّات:

إذا ضعف الإيمانُ في قلوب المسلمينَ؛ فيظهرُ المغالاةُ والاهتمامُ في الشّكليَّاتِ مِن أُمورِ الدُّنيا الزَّاتَفَةِ! كالاهتمامِ الزَّائدِ بالنَّفسِ؛ مأكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا! فتجدُهُم يهتمُّونَ بالكماليَّاتِ اهتمامًا بالغًا، وينفقونَ في سبيلها أموالاً وأوقاتًا! وهي ثمّا لا ضرورة لهُ ولا حاجةً! مع أنَّ من إخوانه المسلمينَ من هُمْ في أشدٌ الحاجة لهذه الأموال والأوقاتِ!

# ٢٢ - عدمُ تشبُّهِهِ بأهلِ الإيمان:

إِذَا ضعفَ الإيمانُ في قلبِ العبد؛ يأْخذُ كلامُهُ، وأُسلوبُهُ الطَّابِعَ العقليَّ البحتَ! ويفقدُ السِّمةَ الإيمانية؛ حتى لا تكادُ تجدُ في كلامِهِ أثرًا لنصَّ من القرآنِ، أو السُّنَّةِ، أو كلام السَّلفِ الصَّالح!!!

<sup>(</sup>١) رواه النسائي في (كتاب الجهاد) باب و فضل من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، وصحَّحهُ الألباني.

#### ثانياً - أسباب ضُعْفِ الإيمان:

أسبابُ ضعفِ الإيمانِ في قلبِ العبدِ؛ كثيرةٌ جدًّا! منها ما هو مشتركً مع الأعراضِ، وهذا ذكرٌ لبعضِ الأسبابِ المهمَّةِ؛ مضافًا إلى ما سبقَ ذكرُهُ في مظاهرِ ضُعفِ الإيمانِ:

#### ١ – الابتعادُ عن الأُجواءِ الإيمانيَّةِ:

الابتعادُ عن مجالسِ أهل الإيمانِ؛ سببٌ رئيسٌ من أسبابِ ضعفِ الإيمانِ في قلبِ المسلمِ! خصوصًا إذا كانَ فترةً طويلةً! قالَ اللهُ تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْمَحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ الْمَحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

فدلَّتْ هذه الآيةُ الكريمةُ ؛ على أنَّ البُعدَ عن الأَجواءِ الإيمانيَّةِ! مدعاةً لضعف الإيمانِ في القلبِ! وهذا الابتعادُ! إذا استمرًّا يُخلفُ وحشةً تنقلبُ بعدَ حين إلى نفرة من تلك الأَجواءِ الإيمانيَّةِ! فيقسو على أثرها القلبُ ويظلمُ، ثمَّ يخبو فيهِ نورُ الإيمانِ! لأنَّ في مجالسِ العلمِ ولقاءِ الصَّالحينَ والعارفينَ العاملينَ ؛ تتنزَّلُ الرَّحمةُ ، وتغشىٰ القلوبَ السَّكينةُ .

قالَ الإمامُ التَّابِعيُّ؛ الحسنُ البصريُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(إخوانُنا أَعْلَىٰ عِنْدَنا من أَهْلينا؛ فأَهلُونا يُذَكِّرُونَنَا الدُّنيا، وإخوانُنا يُذَكِّرُونَنا بالآخرَة).

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

#### ٢- الابتعادُ عن القدوةِ الصَّالحةِ:

فالمسلمُ الَّذي يتعلَّمُ علىٰ يدي رجل صالح؛ يجمعُ بينَ العلمِ النَّافعِ والعمل الصَّالحِ وقوةِ الإيمانِ؛ يتعاهدُهُ ويحدُّ يهِ ثَمَّا عندَهُ من العلمِ والأَخلاقِ والفضائلِ، لو ابتعدَ عنهُ فترةً من الزَّمن! فإنَّ المتعلَّم يُحِسُّ قسوةً في قلبِهِ، ولذلكَ لمَّا توفِّي النَّبِيُ عَلَيْ قالَ الصَّحابَةُ الكرامُ، رضيَ اللهُ عنهم: (فأنكرنا قلوبنا!) أي: أصابتهم وحشةً؛ لأنَّ المربي والمعلَّم والقدوة عَلَيْ قد فارقهم! وجاءَ وصفهُم - أيضًا - في بعضِ الآثارِ: (كالغنم في اللَّيلةِ الشَّاتيةِ المطيرةِ!) ولكنَّ النَّبِيُ عَلَيْ تركَ فيمن تركَ وراءَهُ؛ جبالاً كلَّ منهم يصلحُ للخلافةِ والقيادةِ! وصارَ بعضهم لبعض قدوةً؛ أمَّا اليومَ! فالمسلمُ في يصلحُ للخلافةِ والقيادةِ! وصارَ بعضهم لبعض قدوةً؛ أمَّا اليومَ! فالمسلمُ في أَشدً الحاجةِ إلىٰ قدوةٍ صالحَة يكونُ قريبًا منهُ! واللهُ المستعان.

## ٣- الابتعادُ عن العلوم الشُّرعيَّةِ:

الابتعادُ عن طلب العلم الشَّرعيَّ، والاتصالِ بكُتب العلماء العظامِ، والكتب الإيمانيَّة - الَّتي تُحيي القُلوبَ -؛ تُورِثُ قسوةَ القلبِ ا

أمَّا القراءة في كتاب الله تعالى، وكتب الحديث، وكتب العلماء المجيدين في الرَّقائق والوعظ، والذين يحسنون عرض العقيدة بطريقة تحيي نور الإيمان في القلوب؛ فقراءة في هذه الكُتب تحرِّكُ القلوب، والدَّوافع الإيمانيَّة الكامنة في نفسه! لأنَّ هؤلاء العلماء الأماجد هم أهلُ الرَّسُولِ عَلَيْ وخاصَتُهُ؛ فهم إن لم يصحبُوهُ؛ فقد صحبوا أنفاسُهُ عَلَيْ .

والانقطاعُ عن مثلِ هذه الكُتبِ! معَ الإغراقِ في قراءةِ الكتبِ الفكريةِ فقط! أو كتبِ الآلةِ المجرَّدةِ؛ مثلَ اللَّغةِ فقط! أو كتبِ الآلةِ المجرَّدةِ؛ مثلَ اللَّغةِ والأصول؛ من الأشياءِ الَّتي تورثُ – أحيانًا – قسوة القلبِ! وآثارُ هذهِ

القسوة ظاهرة جلية اعلى أولئك الذين يدرسون دراسات لا علاقة لها بدين الإسلام؛ كالفلسفة، وعلم النَّفس، والاجتماع، وغيرها من الموضوعات التي صيغت بمعزل عن الإسلام، وكذا من يعشق قراءة القصص الخيالية، وقصص الحب والغرام، وهواة تتبع الأخبار غير النَّافعة من الصُّحف والمجلات والمذكرات، وغيرها.

#### ٤- الجليسُ السُّوءُ:

وجودُ المسلمِ في وسطم يعجُّ بالمعاصي والذُّنوبِ وأهلِهِ؛ من الأَسبابِ الرئيسةِ في ضعفِ الإيمانِ في القلبِ!

فإذا دخلت مجتمعاتنا اليوم ! تجدُ هذا يتباهى بمعصية ارتكبها ! وآخرَ يترنَّمُ بألحانِ أغنية وكلماتها ، والثَّالثَ يُدخنُ ، والرَّابعَ يبسطُ مجلةً ماجنةً ، والخامس لسانُهُ منطلقٌ باللَّعنِ والسِّبابِ والشَّتاثم وهكذ ! أمَّا القيلُ والقالُ ، والغيبةُ والنميمةُ ، وأخبارُ المبارياتِ ؛ فممًّا لا يحصى كثرةً !

وبعضُ الأوساطِ لا حديثَ فيها إِلاَّ عن الدُّنيا! كما هو الحالُ في كثيرٍ من مجالسِ النَّاسِ، ومكاتبهم، ومنتدياتهم؛ فأحاديثُ التَّجارَةِ والوظيفةِ والاَ موالِ والاستثماراتِ، ومشكلاتِ العملِ، والعلاواتِ، والتَّرقياتِ، والانتداباتِ، وغيرها؛ تحتلُ الصَّدارة في اهتماماتهم!

وأمَّا البيوت! - فحدث ولا حرج - حيث الطَّامَّات الجسام! والأمور المنكرات العظام؛ ثمَّا يندى له جبين المسلم الغيور، وينصدع قلبُهُ الحيُّ؛ فالأغاني الماجنة، والأفلام السَّاقطة بجميع أنواعها وألوانها! والاختلاط الحرَّم، وغيرُها كثرَ ثمَّا تمتلئ به بيوت المسلمين اليوم!

#### ٥- الإغراقُ في الحياةِ الفانيةِ:

الإغراقُ في الاشتغالِ بطلبِ الدُّنيا وزينتها الفانيةِ، والإفراطُ في السَّعي وراءها؛ حتَّىٰ يُصبحَ القلبُ عبدًا لها! من أحد أهمَّ أسبابِ لضعفِ الإيمانِ في القلب؛ بل ربَّما يوصلُ إلىٰ موتِ القلب! فالنَّبِيُ عَلَيْكُ قالَ:

« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهُمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَ إِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَوْضَ ، (١).

وقالَ: ﴿ إِنَّمَا يَكُنْفِي أَحَدَكُمْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبَ » (٢٠).

أي: ما يوصلُ العبدَ المسلمَ إلى قصدِهِ بقدرِ حاجتهِ؛ من غيرِ فضلَةٍ في مأكلهِ ومشربهِ، وما يقيهِ الحرَّ والبردَ، وهذا إرشادٌ إلى الزُّهدِ في الدُّنيا، والاقتصارِ فيها على قدرِ الحاجةِ؛ فإنَّ التَّوسُّعَ فيها! وإن كانَ قد يعينُ للمقاصدِ الأُخرويَّةِ؛ لكنَّ النَّعمَ الدُّنيويَّةَ! قد امتزجَ دواؤها بدائها، ومرجوُها بمخوفها، ونفعها بضرها؛ فمن وثق ببصيرتِهِ، وكمالَ معرفتِهِ؛ فلهُ استكثارٌ بقصدِ صرفِ الفاضلِ إلى ما يوصلُ إلى منازلِ الأبرارِ! وإلاَّ فالبُعدَ البعد؛ والفرارَ والفرارَ! عن مظانَ الأخطار.

# ٦- الانشغالُ بالمال والزُّوجةِ والأولادِ:

\* فإِنَّ حبَّ المالِ والنِّساءِ والأولادِ؛ إِذا قُدَّمَ على طاعَةِ اللهِ تعالىٰ وطاعةِ رسُولِهِ الكريم عَلَيْ كانَ مستقبحًا ومذمومًا عندَ اللهِ! قالَ تعالىٰ:

<sup>(</sup> ١ ) رؤاه البخاري في (كتاب الرقاق ) باب ٩ ما يتقى من فتنة المال ٩ .

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الطبراني في و المعجم الكبير، ج٤ ، ص٧٨. وصححه الألباني في ٥ صحيح الجامع،

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنِطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٢).

لأَنَّ كثيرًا من المسلمينَ! ينساقون وراءَ الزَّوجةِ والأَولادِ في المحرَّماتِ؛ منشغلاً عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ! قالَ النَّبِيُّ الكريمُ عَلَيْكُ :

« الْوَلَدُ! مَحْزَنَةً، مَجْبَنَةً، مَجْهَلَةً، مَبْخَلَةً " (").

قولة عَلَيْ : « مَحْزَنَة » أي: إِذا مرض حزنَ عليه، وإذا طلبَ الولد شيئًا لا يقدرُ عليه الأبُ ؛ حزنَ ! وإذا كبر وعق أباه ؛ فذلك الحزنُ الدَّائم، والهم اللازم ؛ نسأَلُ الله العافية .

وقولُهُ عَلَيْهُ: « مَجْبَنَةً » أي: إذا أرادَ المسلمُ أن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ؛ يأتيهِ الشَّيطانُ! فيقولُ: تُقتلُ وتموتُ! فيصبحُ الأولادُ ضياعًا يتامىٰ؛ فيقعدُ الأبُ عن الخروج للجهادِ!

وقولُهُ عَلَيْكَ : « مَجْهَلَةٌ » أي : يشغلُ الأبُ عن طلبِ العلمِ، والسَّعي في تحصيلهِ، وحضور مجالسهِ، وقراءَةِ كتبهِ! بسببِ تربيتهم!

وقولُهُ عَلَيْكَ : « مَبْخَلَهُ » أي: إذا أرادَ المسلمُ! أن ينفقَ في سبيلِ اللهِ

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير» ج٢٤، ص ٢٤١. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٩٩٠).

تعالىٰ شيئًا؛ ذكَّرهُ الشَّيطانُ بأولادهِ! فيقولُ: أولادي أحقُ بالمالِ! أُبقيهِ لهم يحتاجونه من بعدي؛ فيبخلُ عن الإنفاقِ! وليسَ المقصودُ تركَ الزَّواجِ والإنجابِ، ولا تركَ تربيةِ الأولادِ، والإهتمام بهم! بل الإسلامُ حثَّ علىٰ ذلكَ بشدَّةٍ، ولكنَّ المقصود؛ هو التَّحذيرُ مِنَ الانشغالِ معهم بالمحرَّماتِ.

وأمَّا فتنةُ المالِ!! فعظيمةٌ ووخيمةٌ، قالَ النَّبِيُّ الأَمينُ عَلَيْكَ : «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِينْنَةً ! وَفِينَةً أُمَّتِي الْمَالُ ('').

وقالَ عَلَىٰ الْمَال ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ ، (٢). الْمَوْ فِي غَنَم بِأَفْسَدَ لَهَا ؛ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَىٰ الْمَال ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ ، (٢).

لأَنَّ الحَرصَ على المال؛ أَسدُّ إِفسادًا للدَّينِ من الذَّئبِ الَّذي تسلَّطَ على زريبةِ غنم! ولذا حثَّ النَّبِيُّ عَلَيْ على أَخذِ الكفايةِ من المال؛ دونَ توستُع يشغلُ عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ وطاعتِهِ، قالَ النَّبِيُّ الكريمُ عَلَيْكَ :

« إِنَّمَا يَكُفْيِكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ؛ خَادِمٌ، وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهَ » (٣). ومن هنا! جاءَ الوعيدُ للمكثرينَ من جمع الأموالِ إِلاَّ أَهلَ الصَّدقاتِ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلِيْكُ : ﴿ وَيُلِّ لِلْمُكُثِّرِينَ ! إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا ، وَهَكَذَا ؟ أَرْبَعٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قُدَّامِهِ وَمِنْ وَرَائِهَ ﴾ ( ' ' ) .

أي: في أبوابِ الصَّدقةِ، ووجوهِ البرِّ.

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (الزهد) باب دما جاء إنَّ فتنة هذه الأمة في المال؛ وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب وما جاء في أخذ المال ، وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٣) رواه الترمذي في ( الزهد ) باب ه ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، وصِحَّحه الأَّلباني.

<sup>(</sup> ٤ ) رواه الترمذي في ( كتاب الزهد ) باب ومجالسة الفقراء، وصحَّحه الألباني.

\* أَمَّا إِن كَانَ حَبُّ ذَلِكَ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ وَجَهِهِ الشَّرَعِيِّ الْمُعِينِ عَلَىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ؛ فهو محمودٌ ونعمةٌ من اللهِ تعالىٰ لعبادهِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلِيْكَ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا : النَّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْني فِي الصَّلاقِ» (١٠).

# ٧\_ طولُ الأَملِ:

وما أدراكَ! ما طولُ الأملِ؟! إِنَّهُ من أعظم مداخلِ الشَّيطانِ لابنِ آدمَ! وإنسادِ أعمالهِ الصَّالحةِ الَّتي هي ذُخرٌ لآخرتهِ! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : « لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًا فِي اثْنَتَيْنِ ؛ فِي حُبِّ الدُّنْيَا ، وَطُول الأَمَل » (٦٠) .

وروى أنسُ بنُ مالك - رضيَ اللهُ عنهُ - أَنَّ النَّبِيَّ عَلِيلًا قالَ:

« أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَحِرْصٌ عَلَىٰ الدُّنْيَا، وَطُولُ الأَمَلِ ( \* ) . الدُّنْيَا، وَطُولُ الأَمَلِ ( \* ) .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ؛ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، رضيَ اللهُ عنهُ:

(ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا

<sup>(</sup> ١ ) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٣، ص١٢٨ عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم ( ٣١٢٤).

<sup>(</sup>٢) سورة الحجر، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب «من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله إليه في العمر ».

<sup>(</sup>٤) رواه البزار في «مسنده» برقم: ( ٣٢٣٠) من طريق هانئ بن المتوكل، وقال الهيشمي في «مجمع الزوائد» ج ١٠، ص ٢٢٦: (وفيه هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف).

بَنُونَ؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَعَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ).

وقالَ: (الدُّنيا مُدْبِرَةٌ، وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ؛ فَعَجَبٌ المِمَنْ يُقْبِلُ عَلَىٰ الْمُدْبِرَةِ، وَيُدْبِرُ عَلَىٰ الْمُقْبِلَةِ).

وقالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ؛ اتَّبَاعُ الهَوَىٰ، وَطُولُ الأَمَلِ! فَأَمَّا اتَّبَاعُ الهَوَىٰ، وَطُولُ الأَمَلِ! فَأَمَّا التَّبَاعُ الهَوَىٰ؛ فَيُصْدُ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ؛ فَيُنْسِي الآخِرَةَ).

وقيلَ: (مَنْ قَصُرَ آمَلُهُ؛ قُلَّ هَمَّهُ، وَتَنَوَّرَ قَلَبُهُ؛ لأَنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْمَوتَ! اجْتَهَدَ في الطَّاعَةِ). وقيلَ: (الأَمَلُ؛ مَطْبُوعٌ في جَمِيع بَنِي آدَمَ).

وفي الأمل! سرِّ لطيفٌّ؛ لأنَّهُ لولا الأملُ؛ ما تَهَنَّىٰ أَحدٌ بعيشٍ، ولا طابتْ نفسهُ أن يشرعَ في عمل من أعمال الدُّنيا.

وإِنمًا المذمومُ منهُ؛ الاسترسالُ فيهِ، وعدمُ الاستعدادِ لاَمرِ الآخرَةِ؛ لأَنَّ طولَ الأَملِ! يتولُّدُ منهُ؛ الكسلُ عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ، والرَّغبَةُ في الدُّنيا، والنَّسيانُ للآخرةِ، والقسوةُ في القلبِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١).

ورقَّةُ القلبِ وصفاءُهُ؛ إِنِّما يقعُ بتذكيرِ الموتِ وشدَّتِهِ، والقبرِ وفضاعتِهِ، والثَّوابِ والعقابِ، وأهوال القيامةِ، ويوم الحسابِ!

فَمَن سَلَّمَ مِن ذَلِكَ كُلُّهِ إِلَّم يَكُلُّف بِإِزَالِتِهِ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

<sup>(</sup>٢) انظر! هذه الآثار في « فتح الباري ، ج١١، ص٢٣٦. في (كتاب الرقاق ).

#### ٨- الإفراطُ في المباحاتِ:

ومن أسباب ضعف إيمان العبد وقسوة قليه: الإفراط في الأكل، والشُّرب، والنَّوم، والسَّهر، والكلام، والخلطة!

فكثرةُ الأكلِ؛ تُبلّدُ الذّهنَ، وتثقّلُ البدنَ عن طاعةِ الرَّحمنِ ا وتغذي مجاري الشَّيطانِ في الإنسانِ اكما قالَ العُلماء: مَن أكلَ كثيرًا! شرب كثيرًا؛ فنامَ كثيرًا، وخسرَ أجرًا كبيرًا! والإفراطُ في الكلام؛ يُقسي القلب، والإفراطُ في مخالطةِ النَّاسِ؛ تحولُ بينَ المرءِ ومحاسبةِ نفسهِ، والخلوةِ بها والأفراطُ في كثرةِ الضَّحكِ؛ تقضي على مادَّةِ والنَّظرِ في تدبيرِ أمرها! والإفراطُ في كثرةِ الضَّحكِ؛ تقضي على مادَّةِ الحياةِ في القلبِ فيموتُ! قالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ:

« لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ! فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ تُمِيتُ الْقَلْبَ »(١).

والإِفراطُ في الوقتِ! بغيرِ طاعةِ الرَّحمنِ - جلَّ في عُلاه - يُنتجُ قلبًا صلدًا؛ لا تنفعُ فيهِ زواجرُ القُرآن العظيم! ولا مواعظُ الإيمانِ!

وأسبابُ ضعف الإيمان؛ كثيرة جدًّا ليسَ بالوسعِ حصرُها، ولكن يمكنُ أن يسترشد بما ذُكرَ على ما لم يذكر منها، والعاقلُ يدركُ ذلكَ من نفسه!

قالَ الإمامُ الزَّاهدُ ابنُ القيِّمِ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فاعلم ! أَنَّ العبدَ إِنَّما يقطعُ منازلَ السَّيرِ إِلَى اللهِ تعالى ؛ بقلبِهِ وهمَّتِهِ لا ببدنِه ! والتَّقوى في الحقيقةِ تقوى القلوبِ لا تقوى الجوارحِ، قالَ تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب ﴾ (٢٠).

<sup>(</sup>١) رواه ابن ماجة في (كتاب الزهد) باب «الحزن والبكاء» وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) سورة الحج، الآية: ٢٢.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقُونَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَسْسِّرِ اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَسْسِّرِ النَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَسْسِرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ التَّقُورَىٰ هَهُنَا ﴾ وَأَشَارَ إِلَىٰ صَدْرِهِ (٢).

فالكيّسُ يقطعُ من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمّة، وتجريد القصد، وصحّة النيّة مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارعُ من ذلك مع التعب الكثير، والسّغر الشّاق؛ فإنَّ العزيمة والحِبَّة تُذهب المشقّة وتُطيّب السّيرَ، والقدومُ والسّبقُ إلى الله — سبحانه — إنّما هو بالهمم وصدق الرّغبة والعزيمة؛ فيتقدّمُ صاحبُ الهمّة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل، فإنْ ساواهُ في همّته تقدّم عليه بعمله، وهذا موضع يحتاجُ إلى تفصيل يوافقُ فيه الإسلامُ الإحسان: فأكملُ الهدّي هَدْيُ رَسُولِ اللهِ عَلَى وكان موفياً كلّ واحد منهما حقّه؛ فكانَ مع كماله وإرادته وأحواله مع الله حتّى موفياً كلّ واحد منهما حقّه؛ فكانَ مع كماله وإرادته وأحواله مع الله عرّبَ ترم قدماه، ويصومُ حتّى يُقالَ: لا يُفطِرُ ويجاهدُ في سبيلِ الله، ويخالِطُ أصحابة ولا يَحْتَجبُ عنهم، ولا يترك شيعًا من النّوافلِ والأوراد لتلك أصحابة ولا يتحبّ عنهم، ولا يترك شيعًا من النّوافلِ والأوراد لتلك الواردات الّتي تَعْجزُ عن حملِها قوى البشر. والله تعالى؛ أمرَ عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم، ولا يقبلُ واحدًا منهما إلاً بصاحبه وقرينه (٢٠).

<sup>(</sup>١) سورة الحج، الآية: ٣٧.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في ( كتاب البر والصلة والأداب ) باب ، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، .

<sup>(</sup> ٣ ) انظر: « الفوائد » فصل ( منازل السير إلى الله تقطع بالقلوب والهم لا بالأبدان والجوارح ) .

#### ثالثًا علاجُ ضُعْفِ الإيمانِ:

وقد علمنا - ممَّا سبق - أنَّ الإيمانَ هو: اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللَّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ والأَعمالِ الصَّالحةِ؛ حتَّىٰ يكونَ كَالجبلِ! وينقصُ الإيمانُ بالمعاصي والذُّنوبِ والأَعمالِ الطَّالحَةِ؛ حتَّىٰ يكونَ كحبَّةِ الخردل! وأَهلُهُ يتفاضلونَ فيهِ حسبَ إيمانِهِم وطاعاتِهِم.

وأثرُ الطَّاعةِ والمعصيةِ في الإيمانِ – زيادةً ونقصًا – أمرٌ معلومٌ مشاهدٌ، ومجرَّبٌ؛ لو أَنَّ شخصًا مسلمًا خرجَ يمشي في السُّوقِ ينظرُ إلىٰ المتبرِّجاتِ، ويسمعُ صخبَ أهل السُّوقِ ولغوهم؛ ثمَّ خرجَ فذهبَ إلىٰ المقبرةِ؛ فدخلها فتفكَّرًا ورقَّ قلبُهُ؛ فإنَّهُ يجدُ فرقًا بيِّنًا بينَ الحالتينِ! إِذَا القلبُ يتغيرُ بسرعةٍ؛ حسبَ حالِهِ وأوضاعِهِ، قالَ النَّبِيُّ عَلَىٰ :

« إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ! كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ؛ فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ» (``.

وَفِي رَوَايَةٍ: « إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَيَتْلُو ؛ فَاتْلُوا الْقُرْآنَ يُجَدُّدُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ ( ` ` .

أي: أَنَّ الإيمانَ يبلى في القلب! كما يبلى النَّوبُ إِذَا اهتراً وأُصبحَ قديمًا، وتعتري قلبَ المؤمنِ في بعضِ الأحيان؛ سحابةٌ من سُحبِ المعصيةِ فيظلمُ، وقد صور لنا النَّبِيُ عَلَيْهُ هذهِ الحالة، بقولهِ الشَّريفِ:

<sup>(</sup>١) رواه الحاكم في «المستدرك» (كتاب الإيمان) وصحَّحة الألباني في «الصحيحة» برقم. (١٥٨٥).

<sup>(</sup>٢) رُواه الطبراني في «معجم الكبير» عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما. وقال الهيشمي في «مجمع الزوائد» ج١، ص٥٠: (رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن).

« مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلاَّ وَلَهُ سَحَابَةٌ ! كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ ؛ بَيْنَمَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ ! إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ » (١).

فالقمرُ تأتي عليه - آحيانًا - سحابةٌ تغطي ضوءُهُ، وبعدَ بُرهةٍ من الزَّمنِ تزولُ وتنقشعُ؛ فيرجعُ ضوءُ القمرِ مرةٌ أُخرىٰ ليضيءَ في السَّماءِ، وكذا! قلبُ المؤمنِ تعتريهِ - آحيانًا - سُحُبٌ مظلمةٌ من المعصية؛ فتحجبُ نورَهُ! فيبقىٰ العبدُ في ظلمة ووحشة؛ فإذا سعىٰ لزيادة إيمانِهِ، واستعانَ بربَّهِ وحِدُّ - انقشعتُ تلكَ السَّحبُ، وعادَ نورُ قلبهِ يضيءُ كما كان.

ولكن! احذر أخي: من الإيمان! إذا نقص وأدَّى إلى تركِ واجب! أو فعلِ محرَّم! فهذا فتورٌ خطيرٌ مذمومٌ؛ لأنَّهُ من عملِ الشَّيطان! فتجبُ على العبدِ المسلمِ التَّوبةُ إلى اللهِ تعالى على الفورِ! والمبادرةُ في علاج نفسهِ.

وأمًّا إِذَا لَمْ يُؤدِّ الفتورُ إِلَىٰ تَرَكِّ وَاجِبٍ أَوْ فَعَلِ مَحَرَّمٍ، وَإِنَّمَا كَانَ تَرَاجِعًا فِي عَمْلِ مُسْتَحْبَاتٍ مِثْلاً؛ فَعَلَىٰ صَاحِبِهِ أَنْ يَسُوسَ نَفْسَهُ، ويَسَدُّدَ ويقارِبَ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَىٰ نَشَاطِهِ وقوتِهِ فِي العَبَادَةِ، وهذا معنىٰ قول النَّبِئَ عَلَيْكُ :

« فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِد شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً ! فَإِمَّا إِلَىٰ سُنَّة ، وَإِمَّا إِلَىٰ بِدُعَة ، فَإِمَّا إِلَىٰ سُنَّة ، فَقَد اهْتَدَىٰ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتُوتُهُ إِلَىٰ سُنَّة ، فَقَد اهْتَدَىٰ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتُوتُهُ إِلَىٰ غَيْر ذَلِكَ ! فَقَدُ هَلَكَ ، (٢).

<sup>(</sup>١) رواه أبو نعيم في وحلية الألياء ( ٢٠ ص ١٩٦ وصححه الألباني في والصحيحة ( ١٦٨).

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه ٢١مام أحمد في ومسنده و ج٢، ص ٢٠٠ . وصححه الألباني في وصحيح الترغيب و برقم ( ٥٥ ) . وقوله عَلَيْنَهُ : وشِرَّةً و أي : نشاطًا وقوةً . وقوله عَلَيْنَهُ : « فترةً ، ضعفًا وفتورًا .

### تنبيةٌ مهمم العلم أخي المسلم الحبيب اللَّبيب:

إِنَّ كثيرًا من المسلمينَ؛ الَّذينَ يحسُّونَ بضعف إِيمانِهِم، وقسوةِ قلوبِهِم؛ يبحثونَ عن علاجات سحريَّة فوريَّة! كحبوب المسكن! يريدونَ بها الاعتمادَ على الآخرينَ! معَ أَنَّ بمقدورِهم - لو أرادوا - علاجَ أنفسِهِم بأنفسِهِم! وهذا هو الأصلُ في علاج القلوب؛ لأنَّ الإيمانَ أمرٌ معنويٌّ غيرُ مادِّيً! أي: هو علاقةٌ بينَ العبدِ وربَّه؛ سبحانه وتعالىٰ!

وفيما يلي ذكرُ عددٍ من الوسائلِ الشَّرعيَّةِ المرعيَّةِ؛ الَّتي يمكنُ للمرءِ السلمِ أَنْ يعالجَ بها ضُعْفَ إِيمانِهِ، ويزيلَ قسوةَ قلبِهِ؛ بعدَ الاعتمادِ على اللهِ تعالى، وتوطين النَّفس على المجاهدةِ في العبادةِ:

#### ١ - تدبُّرُ القُرآن العظيم:

أَنزَلَ اللهُ تعالىٰ القُرآنَ العظيمَ علىٰ نبيّهِ الأَمينِ عَلَىٰ اللهُ الكُونَ تبيانًا لكلّ شيء، ونورًا وهُدًى الهُدي به - سبحانه - مَنْ شاءَ من عباده، ولا شكّ أَنَّ في القُرآن العظيمًا، ودواءً فعَّالاً! لمنْ اتَّخذهُ منهجًا ودستورًا!

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ (١٠).

وطريقةُ العلاجِ في القُرآنِ الكريم؛ هي التَّفكُّرُ والتَّدبُّرُ بآياتِهِ العظيمةِ! وكانَ النَّبِيُّ عَلِيَّةً وهو سيِّدُ العابدينَ؛ يتدبَّرُ كتابِ اللهِ تعالىٰ، ويردِّدُهُ وهو قائمٌ باللَّيل وأطرافِ النَّهارِ، وقد بلغَ في ذلكَ مبلغًا عظيمًا!

والقرآنُ فيهِ ؛ توحيدٌ ، ووعدٌ ووعيدٌ ، وأحكامٌ وأخبارٌ وقصصٌ ، وآدابٌ

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

وأخلاقٌ، وآثارُها في النَّفسِ متنوَّعَةٌ، وفيها السُّورُ ما يُرهبُ النَّفسَ أكثرَ من سور أُخرىٰ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ:

قَالَ آبُو بَكْرِ الصَّدِيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ شِبْتَ! قَالَ عَلَيْكَ : ﴿ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ ﴿ ( ) .

لقد شَيَّبَت رَسُولَ اللهِ عَلَيْ هذهِ السُّورُ لما احتوت من حقائق الإيمان، والتَّكاليف العظيمة؛ الَّتي ملاَت بثقلِها قلب الرَّسُول الاَّمين عَلَيْ فظهرت آثارُها على شعره وجسده، قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْفَوْ ا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

وقد كانَ أصحابهُ الكرامُ - رضيَ اللهُ عنهم - يقرؤونَ ويتدبَّرونَ ويتأثِّرونَ ويتأثِّرونَ اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّهم كانوا يفقهونَ ما يقرؤونَ ا

وكانَ صدِّيقُ هذهِ الأُمَّةِ - رضيَ اللهُ عنهُ - رجلاً أَسيفًا رقيقَ القلبِ؛ إذا صلَّىٰ بالمسلمينَ، وقرأ كلامَ اللهِ تعالىٰ؛ لا يتمالكُ نفسهُ من البُكاءِ!

وقد مرضَ الفاروقُ عمرُ - رضيَ اللهُ عنه - من أثرِ تلاوةِ قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبُّكَ لَوَاقعٌ ﴿ ٢٠﴾ مَا لَهُ مِن دَافع ﴾ (٣).

وسُمِعَ نشيجُهُ من وراءِ الصُّفُوفِ؛ لَمَّا قرآ قولَ اللهِ تعالىٰ عن نبيّهِ يعقوبَ عليهِ الصَّلامُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الذبائح) باب وومن سورة الواقعة ، وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup>٢) سورة هود، الآية: ١١٢.

<sup>(</sup> ٣ ) سورة الطور، الآيتان: ٧ – ٨. وانظر: و تفسير ابن كثير؛ .

<sup>(</sup>٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦. وانظر: دمناقب عمره لابن الجوزي، ص١٦٧.

وقالَ أَميرُ المؤمنينَ ذُو النُّورينِ؛ عُثمانُ بنُ عفانٍ، رضيَ اللهُ عنهُ: (لو طَهُرَتْ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلاَمِ اللهِ تَعَالَىٰ). وقُتلَ شَهيدًا مظلومًا، ودَمُهُ علىٰ مصحَفِهِ!

وأَخبارُ الصَّحابةِ الكرامِ في هذا البابِ كثيرةٌ جدًّا لا يمكنُ حصرُها! ومن أَعظمِ تدبُّرِ القرآنِ! تدبُّرُ أَمثالِهِ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ لما ضربَ لنا الأَمثالَ في كتابهِ العزيزِ؛ نَدَبَنَا إلىٰ التَّفكُّرِ والتَّذكُّرِ فيهِ! فقالَ تعالىٰ:

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكُّرُونَ ﴾ (' ' .

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٠). وأحدُّ العُلماءِ السَّلفِ؛ تفكَّرَ في مثل من أمثالِ القُرآنِ مرةً! فلمْ يتبين لَهُ معناهُ؛ فجعلَ يبكي! فسُئِلَ: ما يُبكيك؟ فقالَ: إِنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ (٣). وأنا لم أعقلِ المثل المثل المست بعالم؛ فأبكي على ضياع العلم مني!! قال الإمامُ الزَّاهدُ والعالمُ الرَّبانيُ؛ ابنُ القيِّم، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(وحُسنُ التَّامَّلِ لما ترى تسمعُ من الآباتِ المشهودة والمتلوَّة ؛ يشمرُ صحة البَصيرة ، وملاكُ ذلك كلِّه: أمرانِ أحدُهما: أن تنقلَ قلبكَ من وطنِ الدُّنيا ؛ فتسكنه في وطنِ الآخرة ، ثمَّ تُقبلُ به كلّه على معاني القُرآنِ واستجلائها وتدبُّرها ، وفهم ما يرادُ منه ، وما نزلَ لاَجلِه ، وأخذ نصيبِك

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

<sup>(</sup>٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وحظك من كل آية ، من آيات تُنزلُها على داء قلبك ؛ فهذه طريقة مختصرة ، قريبة سهلة ؛ موصلة إلى الرّفيق الأعلى ، آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ، ولا جوع ولا عطش ، ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق ألبَتَة ، وعليها من الله حارس وحافظ ؛ يكلا السّالكين فيها ، ويحميهم ويدفع عنهم ، ولا يعرف قدر هذا الطريق إلا من عرف طرق النّاس ، وغوائلها وآفاتها وقطاعها ، والله المستعان ) (١).

# ٢- استشعارُ عظمةِ الله تعالىٰ في القلبِ:

فإنَّ استشعارَ عظمةِ اللهِ - جلَّ في عُلاه - ومعرفة أسمائِهِ الحُسنىٰ وصفاتهِ العُلیٰ، والتَّدبُّرَ فیها، وعقلَ معانیها، واستقرارَ هذا الشُّعورِ العظیمِ في قلبِ العبدِ، وسریانَهُ إلیٰ جوارحِه؛ لتنطقُ عن طریقِ العملِ بما وعاهُ القلبُ؛ فهو ملكُها وسیّدُها، وهي بمثابة جنوده وأتباعِه؛ فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت، والنُّصوصُ من الكتابِ والسُّنةِ في عظمةِ اللهِ تعالیٰ کثیرة جدًا؛ فإذا تأمَّلها المسلمُ الصَّادقُ! ارتجف قلبُهُ خوفًا مِنَ الجبَّارِ العظیم، وتواضعت فسه للعلی الكریم، وخضعت أركانه للسَّمیع العلیم، وازداد خشوعًا لرَب الأولین والآخرین!

فمن أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، فهو: العظيمُ المهيمنُ الجبّارُ المتحبّرُ القويُ القهّارُ الكبيرُ المتعالُ، هو الخالِقُ الحيُ الّذي لا يموتُ، وكلُ خلقه يموتونَ! وهو القاهرُ فوق عبادهِ، ويسبحُ الرَّعدُ بحمدهِ والملائكةُ من خيفته، وهو العزيزُ ذو انتقام؛ القيُّومُ لا ينامُ، وسعَ كلَّ شيْء علمًا، يعلمُ خائنةَ الأَعين، وما تُخفي الصُّدورُ.

<sup>(</sup>١) انظر: ٥ مدارج السَّالكين، فصل: (منزلة الورع).

وقد وصفَ اللهُ سعَةَ علمهِ، بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبِ وَلَا يَابِسِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

وعظمتَهُ - سبحانه وتعالى - به الآية الكريمة الجليلة:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطُويًاتٌ بيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمًا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وقالَ النَّبِيُّ الأَمينُ عَلَيْكَ : « يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ ! وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ؛ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ! أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ ! » (٣) .

واعلم ! المسلم الصَّادق: إِنَّ قلبَ العبدِ الصَّادقِ التَّقيِّ النَّقيِّ ! ليرجفُ خشيةً ، وينخلعُ خوفًا ؛ عند التَّأَمُّلِ في قصةِ كلامِ نبيِّ اللهِ موسىٰ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - لرَبِّهِ - سبحانه وتعالىٰ - أرني أنظرْ إليكَ ! :

﴿ وَلَـمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِـمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبٌّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ رَبٌّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَالَىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ( أ ) .

ولَمَّا فسَّرَ النَّبِيُّ عَلِي عَلَي مَدهِ الآية قرأها وقالَ بيدهِ هكذا - ووضع الإبهام

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩. (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب التفسير) باب «قوله ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطُويًاتٌ بِيَعِينِهِ ﴾ ».

<sup>(</sup>٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

علىٰ المفصلِ الأعلىٰ من الخنصرِ - ثمَّ قالَ عَلَيُّ : ( فَسَاخَ الْجَبَلُ (١٠).

لأَنَّ اللهَ؛ سبحانه وتعالى: (حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ (``).

ومن عظمةِ اللهِ تعالىٰ؛ ما حدَّثَ بهِ النَّبِيُّ عَلَيْكُم، فقالَ:

﴿ إِذَا قَسْنَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلاَثِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُصْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانِ ! فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبَّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ! وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣).

فإنَّ استشعارَ عظمةِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - والتَّامَّلِ في مثلِ هذهِ النُّصوصِ وغيرِها؛ من أنفع الأشياءِ في علاج ضعفِ الإيمانِ.

#### ٣- طلبُ العلم الشُّرعيِّ:

فإنَّ تحصيلَ العلمِ الشَّرعيِّ؛ وهو الَّذي يوصلُ إلى خشيةِ اللهِ تعالىٰ والحوفِ منهِ، وزيادةِ الإيمانِ بهِ - سبحانه - قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١).

فلا يستوي في الإيمان؛ الذين يعلمون والذين لا يعلمون و فكيف يستوي؛ من يعلم ربَّهُ - سبحانهُ وتعالىٰ - بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ حقًا! ويعلمُ تفاصيلَ الشَّريعَةِ، ومعنىٰ الشَّهادتين ومقتضياتهما، وما بعد

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب التفسير) باب و ومن سورة الأعراف، وصححُّه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ه في قوله عليه السَّلامُ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنَامُ B .

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب و ﴿ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدُهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذًا فَرْعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَوْيُرُ ﴾ .

<sup>(</sup>٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

الموت؛ من فتنة القبر وعذابها، وأهوال يوم القيامة، وأهوال المحسّر ومواقفها، ونعيم الجنّة وعذاب النّار، وحكمة الشّريعة الغرّاء في أحكام الحلال والحرام، ويعلم تفصيل سيرة النّبي عَلَيْ وأيامه، وسيرة أصحابه الكرام، وسيرة أنبياء الله – عليهم الصّلاة والسّلام – وغير ذلك من أنواع العلوم الشّرعيّة المرعيّة؛ كيف يستوي هذا العبد في الإيمان! مع من هو جاهل بالدّين وأحكامه، وما جاءت به الشّريعة من أمور الغيب؛ حظّه من الدّين التّقليد، وبضاعته من العلم مزجاة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْدَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١).

## ٤ ــ لزومُ ذكر الله تعالىٰ وأَهلِهِ:

فإِنَّ لزومَ حلَقِ الذِّكرِ! ثَمَّا يؤدِّي إلى زيادَةِ الإيمان؛ لعدَّةِ أَسبابٍ، منها: ما يحصلُ فيها من ذكرِ اللهِ تعالى، وغشيانِ الرَّحمةِ، ونزولِ السَّكينَةِ، وحفِ الملائكةِ للذَّاكرينَ، وذكرِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – لهم في الملاَ الأَعلى، ومباهاتِهِ – سبحانَهُ – بهمُ الملائكةِ، ومغفرتِهِ لذنوبِهِم، قالَ النَّبِيُ عَلِيْهُ:

« لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله - عَزَّ وَجَلً - إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ (٢٠).

وقالَ عَلِيْهُ : «مَا مِنْ قَوْمِ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ ! لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٩.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب « فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر».

وَجْهَهُ ؛ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ ؛ قَدْ بُدُلَتْ سَيِّنَاتُكُمْ حَسنَاتٍ ، (١).

وقالَ العلاَّمةُ ابنُ حجرِ العسقلانيُّ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(ويطلقُ ذكرُ اللهِ تعالىٰ! ويرادُ بهِ المواظبةُ علىٰ العملِ بما أوجبَهُ، أو ندَبَ إليهِ؛ كتلاوةِ القُرآنِ، وقراءةِ الحديثِ، ومدارسةِ العلم)(١).

و ثمّا يدلُّ على أنَّ مجالسَ الذّكرِ وحلقاتِهِ؛ تزيدُ الإيمانَ في القلبِ، وتُقوِّيهِ وتُضاعفُهُ وتُنمِّيهِ، قصةُ الصَّحابيُّ الجليلِ حنظلةَ الأُسيِّديُّ – رضيَ اللهُ عنهُ – الذي كانَ من كُتَّابِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ، قالَ:

(لَقِيَنِي آبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ آنْتَ يَا حَنْظَلَةُ! قَالَ: قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْىٰ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْىٰ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْ عَلْمَ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْكَ بِالنَّالِ وَالْجَنَّةِ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ؛ فَنسينَا كَثِيرًا. قَالَ آبُو بَكْرٍ: فَوَالله ل إِنَّا لَنَاقَىٰ مِثْلَ هَذَا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ أَسُولُ اللهِ عَلَىٰ : • وَمَا ذَاكَ ! » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ : • وَمَا ذَاكَ ! » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ا

<sup>(</sup>١) رواه الأمام أحمد في «مسنده» عن أنس رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني في «الصحيح الجامع» برقم: (٧٠٥٠).

<sup>(</sup>٢) انظر: ٥ فتح الباري ٥ ج١١، ص ٢٠٩٠.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ : « وَاللَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذّكْرِ ؛ لَصَافَحَتّكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ ، وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً » ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ( ' ) .

٥- المداومة على الأعمال الصَّالحة والاستكثار منها:

الاستكثارُ من الأعمالِ الصَّالحةِ، والحرصُ على أداثها، والتَّنويعُ فيها، وملءُ الوقتِ بها؛ من أعظمِ أسبابِ علاجِ القلبِ، وهو أمرٌ عظيمٌ، وأثرهُ كبيرٌ وظاهرٌ في تقويةِ الإيمانِ!

وقد ضرب صدّيقُ الأُمَّةِ - رضيَ اللهُ عنهُ - في ذلكَ مثلاً عظيمًا؛ لمَّا سَأَلَ النَّبِيُ عَلَيْ أَصحابَهُ: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ » قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ » قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ عَادَ « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ » قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مَنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ » قَالَ آبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَقَالَ : « مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِي إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » ( ٢ ).

فهذه القصة ؛ تدلُّ على أَنَّ الصِّديق - رضي الله عنه - كانَ حريصًا على اغتنام الفُرص، وتنويع العبادات، ولمَّا وقعَ السُّوَّالُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهُ مِفَاجِعًا! دلَّ ذلكَ على أَنَّ أَيامَ أَبِي بكرٍ! كانتْ حافلة بالطَّاعات بجميع أَنواعها وأَشكالها!

 <sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب التوبة) باب ٥ فضل دوام الذكر والفكر في أُمور الآخرة والمراقبة
 وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات ٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة) باب دمن فضائل أبي بكر الصَّديق رضي الله عنه ، .

ومن هنا ينبغي على المسلم الصَّادِق؛ الَّذي يسعى لرضى ربِّهِ سبحانَهُ! أَنْ يراعي في الأعمال الصَّالِة أُمورًا، منها:

• المسارعةُ إلى الأعمال الصَّالحةِ:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَبُّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَإِلاَّرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَفْفِرَةٍ مِّن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَصْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَصْلُ الْعَظِيم ﴾ (٢).

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ الله عنه - في قصة غزوة بدر؛ لَمَّا دنا المشركون، قالَ النَّبِيُ عَلَيْكُ لأصحابهِ الكرام، رضيَ الله عنهم:

« قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالاَرْضُ ، فَقَالَ : عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُ ، يَا رَسُولَ اللهِ ! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالاَرْضُ ؟ قَالَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخِ « نَعَمْ » قَالَ : بَخٍ ! بَخٍ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَىٰ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخِ بَغَعْ » قَالَ : بَخٍ ! بَخٍ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَىٰ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخِ بَغَ عَلَىٰ اللهِ اللهُ اللهِ ال

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في (كتاب الإمارة) باب وثبوت الجنَّة للشهيد ،

#### • الاستمرارُ على الأعمالِ الصَّالحةِ:

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ عَنْ رَبِّهِ - جَلَّ في عُلاهُ - في حديثٍ قدسيٍّ:

«إِنَّ اللهَ ! قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ! فَقَدْ اذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَى ء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمًّا الْمُتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ مِلًا الْمُتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ ؛ حَتَّىٰ أُحِبَهُ ! فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُسْمَعُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَالَنِي لأُعْطِينَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَهُ ، وَمَا تَرَدُّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا وَإِنْ سَالَنِي لأُعْطِينَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَهُ ، وَمَا تَرَدُّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِدُ وَمَا تَرَدُّدُ مَا عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِن ، يَكُرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (١).

وكلمة : « مَا يَزَالُ ، في الحديثِ ؛ تفيدُ الاستمراريّة !

وقالَ عَلَيْهُ: « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ! كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ للْحَجَّة الْمَبْرُورَة ثَوَابٌ، إلاَّ الْجَنَّةُ » (٢).

والمتابعة : تعني كذلك الاستمرار، وهذا المبدأ مهم في تقوية الإيمان، وعدم إهمال النَّفس؛ حتَّىٰ لا تركنُ وتأسنُ، والقليلُ الدَّائمُ؛ خيرٌ من الكثيرِ المنقطع. والمداومة على الأعمال الصَّالحة تقوِّي الإيمان وتُضاعفُهُ!

فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: « أَدْوَمُهَا ، وَإِنْ قَلَّ! » (٣) .

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب « التواضع».

<sup>(</sup>٢) رواه الترمذي في (كتاب الحج) باب ٥ ما جاء في ثواب الحج والعمرة ٥.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب (القصد والمداومة على العمل).

#### • الاجتهادُ في الأعمال الصَّالحةِ:

إِنَّ علاجَ مرضِ القلبِ وقسوتِهِ ؛ لا يصلحُ أَن يكونَ علاجًا مؤقَّتًا ، يتحسَّنُ فيهِ الإيمانُ فترةً من الوقتِ ؛ ثمَّ يعودُ إلى الضَّعفِ ! بل ينبغي أَن يكونَ نهوضًا متواصلاً بالإيمانِ ، وهذا الأمرُ لن يكونَ ؛ إِلاَّ بالاجتهادِ في العبادةِ والطَّاعةِ ، والاستمرارِ عليها .

وقد ذكرَ الله - عزَّ وجلَّ - في كتابِهِ العزيزِ؛ من اجتهادِ عبادِهِ الأولياءِ الأَتقياءِ؛ بأنَّ لهم أحوالاً عدَّةً، فمنها قولُهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكُرُوا بِهَا خَرُّوا سُجُّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ آَنَ عَنَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمًا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١).

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ وَإِنَا لَهُمْ حَقِّ لَلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢).

وسلفُ هذه الأُمَّة المرحومة؛ ضربوا أروع الأمثال في تحقيق صفات العابدين؛ يبعث على الإعجاب، ويقودُ إلى الاقتداء بهم؛ فمن ذلك! كان لهم السُّبُعُ من القُرآنِ يختمونَهُ كلَّ يوم، وكانوا يقومون اللَّيلَ في الغزو والقتال، ويذكرونَ اللَّه تعالىٰ قيامًا وقعودًا، ويتهجَّدونَ في ذلك؛ حتَّىٰ لو كانوا في السُّجونِ! تسيلُ دموعُهُم علىٰ خدودِهِم؛ يتفكرونَ في خلقِ كانوا في السُّجونِ! تسيلُ دموعُهُم علىٰ خدودِهِم؛ يتفكرونَ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ، يخادعُ أحدُهُم زوجتَهُ! كما تُخادعُ المرأةُ صبيها، فإذا

١١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ – ١٦.

<sup>(</sup> ۲ ) سورة الذاريات، الآيات: ۱۷ ــ ۱۹ .

علمَ أنّها نامت انسلُ من لحافِها وفراشِها لصلاةِ القيام؛ يقسّمونَ اللّيلَ على أنفسِهِم وأهليهِم، ونهارَهُم في الصّيام، والتّعلُم، والتّعليم، واتّباع الجنائز، وعيادة المرضى، وقضاء حوائج النّاس؛ تمرُّ على بعضهم السّنون؛ لا تفوتُهُم تكبيرة الإحرام مع الإمام - الله أكبر! - ينتظرون الصّلاة بعد الصّلاة، يتفقّد أحدُهُم عيالَ أخيه بعد موته سنوات ينفق عليهم، ومَن كانَ هذا حاله؛ فإيمانُهُ في ازدياد؛ حتّى يصل ويكون كإيمانِ الصّديق.

#### • عدمُ الإفراطِ والتَّفريطِ في الأعمالِ الصَّالحةِ:

ليسَ المقصودُ من المداومةِ على العباداتِ، أو الاجتهادِ فيها، أو الإكثارِ منها؛ إيقاعَ النَّفسِ بالسآمةِ وتعريضَها للمللِ، وإنَّما المقصودُ عدمُ الانقطاعِ عن العباداتِ والأعمالِ الصَّالِحةِ مطلقًا! والقيامُ بما تطيقُ بهِ النَّفسُ، أي: إنَّ العبد يسددُ ويقاربُ في أعمالِه الصَّالِحةِ؛ فينشطُ إذا رأى نفسهُ مقبلةً، ويقصدُ عندَ الفتورِ، قالَ النَّبِيُّ الأمينُ عَلَيْكُ :

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاً غَلَبَهُ؛ فَسَدُّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْسِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدُوةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةَ»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهُ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا إِمْرَاةٌ، قَالَ عَلَيْهُا، وَعِنْدَهَا إِمْرَاةٌ، قَالَ عَلَيْهُا، قَالَ عَلَيْهُ : إِمْرَاةٌ، قَالَ عَلَيْهُ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : فُلاَنَةُ! تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا. قَالَ عَلَيْهُ : « مَهُ ! عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ ؛ فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ ؛ حَتَّىٰ تَمَلُّوا » . وَكَانَ عَلَيْهُ أَحَبُ الدِّين إِلَيْهِ ؛ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (٢) . وَكَانَ عَلِيْهُ أَحَبُ الدِّين إِلَيْهِ ؛ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (٢) .

 <sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «الدين يسر».

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الإيمان ) باب « أحبُّ الدّين إلى اللهِ ادومه » .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ مِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُ عَلَىٰ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ! فَقَالَ عَلَىٰ : ﴿ مَا هَذَا الْحَبْلُ ﴾ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِمَعْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ! فَقَالَ عَلَىٰ : لِزَيْنَبَ؟ فَإِذًا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِئُ عَلَىٰ :

« لا ، حُلُوهُ ؛ لِيُصلُ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ ، (١).

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرُو – رَضِيَ اللهُ عَنَهْمُا – قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ عَلِيُّكُ :

« أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ » قُلْتُ إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ ! قَالَ :

« فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؛ هَجَمَتْ عَيْنُكَ ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ ، وَإِنَّ لِلْمُلِكَ ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقِّ ، وَلاَهْلِكَ حَقِّ ، فَصُمْ وَٱفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، (٢٠ .

• الاستدراك ما فات من الأعمال الصَّالحة :

قَالَ النَّبِيُ عَلِيلَ : ٥ مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ! فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، (٣) .

وَعَنْ أُمَّ المؤمينَ عَائِشَةَ الصَّدِّيقةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

(كَانَ النَّبِيُّ عَلَّةً إِذَا لَمْ يُصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ! مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ النَّوْمُ، أَوْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ؛ صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً )(1).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب ه ما يكره من التشديد في العبادة ،

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في (كتاب التهجد) باب هما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه ،

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب وجامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ٤.

<sup>(</sup>٤) رواه الترمذي في (كتاب الصلاة) باب وإذا نام عن صلاته، بالليل صلى بالنهار ، وصحَّحه الألباني .

وَقَالَتْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيُّ عَلِيًّ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْر؛ صَلاَّهُنَّ بَعْدَهُ ) (١٠).

ولَمَّا رأَت أُمُّ سلمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - النَّبِيَّ عَلَيْ يُصلِّي ركعتين بعدَ العصر؛ سألتُهُ؟ فأجابها عَلَّهُ: « يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ! سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْلَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ؛ فَشَعَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اللَّهَ عَنْ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اللَّهَ الْعَلْمِ ؛ فَهُمَا هَاتَان » (٢٠).

#### • تحقيقُ أركان العبادةِ:

إِنَّ عبادةَ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ؛ ترتكِزُ علىٰ ثَلاَثَةِ أركانٍ مجتَمِعةٍ، وهي: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ.

أي: أنَّ المسلمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ - جلَّ وعلا - محبَّة له سبحانه، وخوفًا من عقابِهِ، ورجاء لثوابِهِ؛ فيجبُ أن تَجْتَمع هذه الأركان الثَّلاثَة في العبادة، وإلاَّ فهي مردودة على صاحبِه؛ فلا يُفْرِطُ في الحوف حتَّىٰ يصلَ إلىٰ درجة القنوط والياْس من رحمة الله الواسعة، ولا يُفْرِطُ في الرَّجَاء فَيَتَعَلَّقُ بِسَعة رحمة الله تعالىٰ مع إصرارِه على المعصية وترك الأعمال الصالحة؛ بل يجبُ علىٰ المسلم أن يجمع بينهما؛ فطريقة أهل السنَّة والجماعة وسط لا إفراط فيه ولا تفريط، ولذا! صَدَقَ مَنْ قالَ مِن السَّلف، رحمهُم الله تعالىٰ:

﴿ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحَبِّ وَحْدَهُ فَهُو زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي في (كتاب الصلاة) باب «ما جاء في الركعتين بعد الظهر» وصحَّحه الألباني.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب السهو ) باب « إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع » .

فَهُوَ مُرْجِيءٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبُ وَالْحُوثِ وَالرَّجَاءِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ )(١).

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونُ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٢).

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (٣).

وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (1).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهُ عَنْ هَادِهِ اللهِ عَلَيْهُ عَنْ هَادِهِ اللهِ عَلَيْهُ عَنْ هَادِهِ الآيةِ: ﴿ وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا اتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ قَالَت عَائِشَةُ: أَهُمُ! اللهِ يَنْ يَشْرُبُونَ الْحَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ عَلَيْهُ : ﴿ لاَ يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ! وَلَكِنَّهُمُ اللهِ يَعْرُبُونَ الْحَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ عَلَيْهُ : ﴿ لاَ يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ! وَلَكِنَّهُمُ اللهِ يَعْرُبُونَ الْحَمْرُ وَيَسَمِّدُ قُونَ ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ ؛ اللهِ يَعْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (\*).

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ؛ أبو الدَّرداءِ، رضي اللهُ عنهُ:

( لأَنْ أَسْتَيْقِنَ أَنَّ اللهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنْي صَلاَةً وَاحِدَةً ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا وَمَا فيها، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٦).

<sup>(</sup>١) انظر: «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٢٦. و«التخويف من النَّار» للحافظ ابن رجب، ص٢٥٠.

<sup>(</sup>٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

<sup>(</sup>٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

 <sup>( ° )</sup> رواه الترمذي في ( كتاب تفسير القرآن ) باب ومن سورة المؤمنون و وصحَّحة الألباني .

<sup>(</sup> ٦ ) سورة المائدة، الآية : ٢٧ . وانظر: ٥ تفسير ابن كثير٥.

فمن عرف الله تَعالىٰ حقّ معرفته، وعرف نفسه ! تبيّن لَه أَنَّ ما معه من البضاعة مزجاة ؛ لا يكفيه في الميزان يوم القيامة ! ولو جاء بعمل الثّقلين ؛ إِنمّا يقبلُه الله – سبحانَه وتعالىٰ – من عباده ؛ بمنه ، وكرمه ، وجوده ، وتفضيله ، ولكنْ على المسلم الصّادق ! بعد الاجتهاد في الطّاعات ؛ أَنْ يرجو من الله تعالىٰ القبول ، ويخاف من ردّها ؛ لأنّ من صفات المؤمنين الصّادقين العارفين ؛ احتقار النّفس ! أمام الواجب في حقّ الله تعالىٰ ، قال النّبي على المارفين ؛ احتقار النّفس ! أمام الواجب في حقّ الله تعالىٰ ، قال النّبي على الله العارفين ؛ احتقار النّفس ! أمام الواجب في حق الله تعالىٰ ، قال النّبي على الله العارفين ؛ احتقار النّفس ! أمام الواجب في حق الله تعالىٰ ، قال النّبي عليه الله الله عليه الله المؤلّف الله النّبي الله المؤلّف الله المؤلّف الله المؤلّف الله المؤلّف الله المؤلّف ال

« لَوْ أَنَّ رَجُلاً يُجَرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِلاَ إِلَىٰ يَوْمٍ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَوْضَاةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَحَقِّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -  $(^{1})$ .

#### ٦- التَّنويعُ في الأَعمال الصَّالحةِ:

فمن رحمة الله - سبحانه وتعالى - وحكمته البالغة! أن نوع علينا العبادات: فمنها ما يكون بالملل العبادات: فمنها ما يكون بالبدن؛ كالصّلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزّكاة، ومنها ما يكون بهما معًا؛ كالحجّ، ومنها ما هو باللّسان؛ كالذّكر والدُّعاء، وحتَّىٰ النَّوعُ الواحدُ ينقسمُ إلى فرائضَ وسُنَن مستحبّة، والفرائضُ تتنوعُ، وكذلك السُّننُ؛ مثل الصّلاةِ فيها: رواتبُ ثنتي عشرة ركعة في اليوم، ومنها ما هو أقلُّ منزلةً؛ كالأربع قبل العصر، وصلاةِ الضّحى، ومنها ما هو أعلى؛ كصلاةِ اللّيل، وهو كيفياتٌ متعددةٌ؛ منها مثنىٰ مثنىٰ، ثمَّ ما هو أعلىٰ؛ كصلاةِ اللّيل، وهو كيفياتٌ متعددةٌ؛ منها مثنىٰ مثنىٰ، ثمَّ يوترُ، ومنها خمسٌ، أو سبعٌ، أو تسعٌ؛ بتشهد واحد.

وهكذا من يتتبَّعُ العباداتِ يجدُ تنويعًا عظيمًا في الأعدادِ والأوقاتِ والمهيئاتِ والصِّفاتِ والأحكام، ولعلَّ من الحكمة في ذلك أنْ لا تمل

<sup>(</sup>١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ج٤، ص١٨٥ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» برقم ( ٢٤٩ ه).

النَّفسُ، ويستمرَ التَّجدُّدُ، ثمَّ إِنَّ النَّفسَ ليستْ متماثلةً في انجذابها وإمكاناتها، وقد تستلذُ بعضُ النُّفوسِ بعباداتٍ أكثرَ من غيرِها؛ فسبحانَ الله! الَّذي جعلَ أبوابَ الجنَّةِ على أنواع العباداتِ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَىٰكَ قَالَ:

لا مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ!
 هَذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ باب الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ باب الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ باب الصَّدَقَةِ».
 باب الرَّيَّان، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ باب الصَّدَقَةِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله إِ مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ؟ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ؟ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ؟ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَمُ اللهَ عَلَىٰ اللهُ اللهُ

## ٧- الخوفُ من سوءِ الحاتمةِ:

لأَنَّ الخوفَ من سوءِ الحاتمة؛ يدفعُ المسلمَ إلى الأعمالِ الصَّالحةِ ، ويجدِّدُ الإيمانَ في قلبِهِ ، أمَّا سوءُ الحاتمةِ ، والعيادُ باللهِ ؛ فأسبابُها كثيرةً ، منها: ضعفُ الإيمانِ ، والانهماكُ في المعاصى، قالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ :

ه إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمْهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ بِرِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيَّ، أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوِ الرَّجُلَ – يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الصُّوم) باب « الرَّيَّانُ للصَّمْمِينِ .

النَّارِ ؛ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ خَيْمُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ! » (١) .

وَعَنْ سَهُلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ النَّهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ اللهِ عَلَيْهُ إِلَىٰ عَسْكَرِهِم، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهُ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ اللهَ عَلَيْهُ وَلاَ فَاذَةً إِلاَ اتَّبَعَهَا! يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ؛ فقيل مَا أَجْزَا مِنَا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَا فَلاَنَّ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ : «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!».

فقال: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلُمَا وَقَفَ، وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ؛ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شِدِيدًا؛ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ قَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، الْمَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ قَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ! فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ عَظَمَ لَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ عَظْمَ النَّهُ إِنَّى أَنْ الرَّجُلُ اللهِ عَظْمَ النَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ اللهِ عَظْمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ؛ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا فَقَالَ شَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ فَلَا النَّهُ عَنْ مَنْ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَظْمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ؛ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا فَقَالَ عَيْهُ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ فَلَاكَ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلْكُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ ال

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب القدر) باب «في القدر».

#### ٨- الإكثارُ من ذكر الموتِ:

لأَنَّ تذكُّرُ الموت؛ يُلينُ القلبَ القاسيَ، ويردَعُ عن فعلِ المعاصي، ولا يذكُرُهُ أحدُّ كانَ في ضيقٍ من العيشِ؛ إلاَّ وسَعَهُ عليهِ، ولا ذكرَهُ في سَعَةٍ؛ إلاَّ ضِيقَهَا عليهِ، قالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ: و أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ! (٢٠).

ومن أعظم ما يُذكُرُ بالموتِ؛ زيارةُ القبورِ ولذلكَ آمرَ النَّبِيُ عَلَيْكُ بزيارتِها، فقالَ: « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ! أَلاَ فَرُورُوهَا؛ فَإِنَّهُ يُرِقُ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْرًا، (").

إِذَن ! زيارةُ القبورِ من أعظمِ وسائلِ ترقيقِ القلوبِ، وينتفعُ الزَّائرُ بذكرِ الموتِ، وينتفعُ الزَّائرُ بذكرِ الموتِ، وينتفعُ الموتىٰ بالدُّعاءِ لهم، قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« السلامُ عَلَيْكُمْ! أَهْلَ الدّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَا وَالْمُسْتَاْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ؛ أَسْاَلُ اللهَ لِنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ ( \* ) .
 الله لنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ ( \* ) .

<sup>(</sup> ١ ) رواه البخاري في (كتاب المغازي ) باب ۽ غزوة خيبر ۽ .

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب الزهد ) باب ه ما جاء في ذكر الموت ه وصحَّحه الألباني .

<sup>(</sup>٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (كتاب الجنائز) ج١، ص٣٧٦. وصحَّحه الأَّلباني في «الصحيح الجامع ، برقم (٤٥٨٤).

<sup>(</sup> ٤ ) رواه مسلم في ( كتاب الجنائز ) باب ه ما يقال عند دخول القبور والدُّعاء لاهلها .

(وينبغي لمن عزمَ على الزِّيارةِ؛ أن يتأدَّبَ بآدابها، ويحضرَ قلبَهُ في إِنيانها، ويقصُد بزيارتهِ وجه اللهِ تعالى وحده وإصلاح فسادِ قلبه؛ ثمَّ يعتبرَ بمن صارَ تحتَ التُّراب، وانقطع عن الأهلِ والأحباب! فليتأمَّلِ الزَّائرُ حالَ من مضى من إخوانه، ودرجَ من أقرانه الَّذينَ بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال؛ كيف انقطعت آمالهم، ولم تغنِ عنهم أموالهم، ومحا التُّرابُ محاسنَ وجوههم، وافترقت في القبورِ أُجزاؤُهُم، وترمَّلَ بعدهم نساؤُهُم، وشمُلَ ذلُّ اليتم أولادَهُم، وليتذكَّر آفة الانخداع بالأسباب، والرُّكونِ إلى اللهوِ واللعب، وأنَّهُ لا بُدَّ صائرٌ إلى مصيرِهِم السَّحَةِ والشَّباب، والميلِ إلى اللهوِ واللعب، وأنَّهُ لا بُدَّ صائرٌ إلى مصيرِهِم اللهُودُ لسانَهُ، وأبلى اللهو أسانَهُ، وأبلى اللهو المنانة.

واعلم ! أَنَّ مَن أكثرَ ذكرَ الموتِ ؛ أكرمَ بثلاثةِ أشياءٍ: تعجيلُ التَّوبَةِ ، وقناعةُ القلبِ ، ونشاطُ العبادةِ .

ومَن نسيَ الموتَ؛ عُوقبَ بثلاثَةِ أَشياءٍ: تسويفُ التَّوبةِ، وتركُ الرِّضا بالكفاف، والتَّكاسلُ بالعبادةِ!

وممَّا يؤثَّرُ في النَّفسِ من مشاهدِ الموتِ؛ رؤيةُ المحتضرينَ! فإِنَّ النَّظرَ إِلَىٰ الميتِ، ومشاهدةَ سكراتِهِ ونزعاتِهِ، وتأمُّلَ صورتِهِ بعدَ مماتِهِ؛ ما يقطعُ عن النَّفوسِ لذاتها، ويمنعُ الأجفانَ من النَّومِ، والأبدانَ من الرَّاحةِ، ويبعثُ علىٰ العمل، ويزيدُ في الاجتهادِ.

دخلَ التَّابِعيُّ الإمامُ الحسنُ البصريُّ - رحمهُ اللهُ - على مريض يعودُهُ ؛ فوجدَهُ في سكراتِ الموتِ! فنظرَ إلىٰ كربِهِ وشدَّةِ ما نزلَ به ؛ فرجعَ إلىٰ أهلِهِ، بغيرِ اللونِ الَّذي خرجَ بهِ من عندِهِم ؛ فقالوا لَهُ: الطَّعامُ ، يرحمُكَ أهلِهِ، بغيرِ اللونِ الَّذي خرجَ بهِ من عندِهِم ؛ فقالوا لَهُ: الطَّعامُ ، يرحمُك

اللهُ! فقالَ: يا أهلاه! عليكمْ بطعامكمْ وشرابكمْ، واللهِ! لقدْ رأيتُ مصرعًا لا أزالُ أعملُ لَهُ حتَّىٰ أَلقاهُ!!)(١).

ومن تمام الشُّعورِ بالموتِ، الَّذي يذكِّرُ بالآخرةِ؛ أَن يعيشَ العبدُ مراسيمها؛ من الصَّلاةِ على الجنازةِ، وحملها على الأعناقِ، والذَّهابِ بها إلى المقبرةِ، ودفن الميتِ، ومواراةِ التُّرابِ عليه! قالَ النَّبِيُ عَلَيْهُ:

« عُودُوا الْمَرْضَيْ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ ؛ تُذَكِّرُكُمْ الآخِرَةَ ، (٢).

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإنَّ في اتَّباعِ الجنازَةِ أَجرًا عظيمًا لعبدِ المسلمِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهُ:

« مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ ! حَتَىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا ؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا ! حَتَىٰ تُحنَىٰ ثُلَهُ قِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : « مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ حَتَىٰ تُدْفَنَ ؛ فَلَهُ قِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : « مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنَ » وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ ؛ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ اللهَ بْنُ عُمَرَ ؛ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةً ، قَالَ : لَقَدْ ضَيَعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً (٣) .

#### ٩ - تذكُّرُ منازل الآخرةِ:

ومِنَ الأُمور الَّتي تجدَّدُ الإيمانَ بالقلبِ! تذكُّرِ الآخرةِ، وما فيها من الأَهوالِ، والأُمورِ الجسامِ؛ من أشراطِ السَّاعَةِ الصُّغرىٰ والكُبرىٰ، ومن مشاهد يوم القيامة؛ كالبعث والنُّشورِ، والحشرِ، والشَّفاعَةِ، والحسابِ،

<sup>(</sup>١) انظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»: (باب: ما يذكّر الموت والآخرة ويزهّد - في الدُّنيا ) للقرطبي؛ بصرف.

<sup>(</sup>٢) رواه الإمام أحمد في د مسنده و ٣٠، ص٤٨ عن أبي سعيد الخذري. وصحَّحهُ الألباني في د صحيح الجامع و رقم ( ٢٠٩).

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في (كتاب الجنائز) باب و الإسراع بالجنازة ،

والجزاءِ والقصاصِ والميزانِ والحوضِ والصِّراطِ ودارِ القرارِ من الجنَّةِ أَو النَّارِ.

والقرآنُ العظيمُ! فيه ذكرُ كثيرٍ لمشاهدِ اليومِ الآخرِ؛ كسُورةِ ق، والواقعةِ، والقيامَةِ، والمرسلاتِ، والنبا، والمطففينَ، والتَّكويرِ، وكذلكَ في مصنفاتِ الحديثِ مذكورةٌ فيها تحت أبوابٍ مثلَ: القيامَةِ، والرِّقاقِ، والجُنَّةِ، والنَّارِ، وكُتبِ أَهلِ العلمِ المفرَدةِ لهذا الغرضِ العظيمِ!

#### . ١- التَّفاعلُ مع الآياتِ الكونيَّةِ:

من الأُمورِ المهمة في تجديد إيمانِ العبدِ في قلبِهِ ؛ التَّفاعلُ معَ الآياتِ الكونيَّةِ ، والتفكرُ في خالِقِها العظيم!

« يَا عَائِشَةُ ! مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَاب ! قَدْ عُذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيحِ ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ ، فَقَالُوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ (١).

وكانَ عَيْكُ يقومُ فَزِعًا إِذَا رَأَىٰ الكسوفَ؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ! فَقَامَ النَّبِيُّ عَيْكُ فَزِعًا؛ يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّىٰ بِأَطْوَل قِيَام وَرُكُوع وَسُجُودٍ؛ رَأَيْتُهُ

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في (كتاب الاستسقاء) باب « التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطره.

قَطُّ يَفْعَلُهُ! وَقَالَ: «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ؛ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدَّ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ! فَافْزَعُوا إِلَىٰ ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارَةَ ، (١).

وكذلكَ! الحوفُ والتَّأَثُّرُ عندَ المرورِ بمواضعِ المعَدَّبينَ! من أهلِ الحسفِ، والعذاب، وقبورِ الظَّالمينَ، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ:

« لاَ تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَوُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ! إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ! ٥(١).

هذا! والنَّاسُ اليومَ؛ يذهبونَ إليها للسِّياحَةِ، والتَّصويرِ؛ فتأمَّلُ!

#### ١٠ - ذكرُ اللهِ تعالىٰ:

ومن الأُمورِ بالغةِ الأَهميَّةِ في علاج ضُعفِ الإيمانِ في القلبِ؛ هو ذكرُ اللهِ تعالىٰ في السَّرِ والعلنِ، والذَّكرُ هو جلاءُ القلبِ وشفاؤُها، ودواؤُها عندَ اللهِ تعالىٰ في السَّرِ والعلنِ، والذَّكرُ هو جلاءُ القلبِ وشفاؤُها، ودواؤُها عندَ اعتلالها، وهو روحُ الأَعمالِ الصَّالحةِ، وقد أَمرَ الله – عزَّ وجلَّ – بهِ عبادَهُ الصَّالحينَ المتقين العاملينَ، فقالَ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٣).

ووعد - سبحانَهُ - بالفلاح مَن أكثرَ منهُ، فقالَ تعالىٰ:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَصْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في (كتاب الكسوف) باب ه الذُّكْرِ فِي الْكُسُوفِ ٥.

 <sup>(</sup> ٢ ) رواه البخاري في ( كتاب الكسوف ) باب « الصّلاةُ في مواضع الحسف والعذاب » .

<sup>(</sup>٣) سورة الاحزاب، الآية ٤١. (٤) سورة الجمعة، الآية ١٠.

وذكرُ اللهِ تعالىٰ أكبرُ من كلِّ شيءٍ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَر وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١).

وذكرُ اللهِ تعالىٰ؛ هو وصيةُ النَّبِيِّ عَلَيْهُ لمن كثرت عليهِ شرائعُ الإسلامِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً، قَالَ يَا رَسُولَ الله ا إِنَّ شَرَاتِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشْبَّتُ بِهِ؟ قَالَ عَلَيُّهُ: « لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهَ » ( ٢ ).

وذكرُ اللهِ تعالىٰ؛ مرضاةً للرَّحمنِ، مطردةً للشَّيطانِ؛ مزيلٌ للَّهمُّ والغمُّ، وجالبُّ للرِّزقِ؛ الفاتحُ لأبوابِ الخيرِ والمعرفةِ، وهو غراسُ الجنَّةِ، وسببُّ لتركِ آفاتِ اللِّسانِ، وهو سلوةُ أحزانِ الفقراءِ؛ الَّذينَ لا يجدونَ ما يتصدقونَ بهِ؛ فعوَّضهم اللهُ تعالىٰ بالذِّكرِ؛ الَّذي ينوبُ عن الطَّاعاتِ البدنيَّةِ والماليَّةِ، ويقومُ مقامها، وتركُ ذكرِ اللهِ تعالىٰ من أكبرِ أسبابِ قسوةِ القلبِ.

ولذلك! كانَ لا بُدَّ لمن أرادَ علاجَ ضعفِ إِيمانهِ في قلبهِ؛ من الإكثارِ من ذكِر اللهِ - جلَّ في عُلاه - قالَ تعالىٰ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَن رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ؛ مبيِّنًا أَثرَ الذَّكرِ علىٰ القلبِ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (١٠). فُلُو بُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup>١) سورة العنكبوت، الآية ٥٥.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الترمذي في ( كتاب الدعوات ) باب: « ما جاء في فضل الذكر ».

<sup>(</sup>٣) سورة الكهف، الآية ٢٤. (٤) سورة الرعد، الآية ٢٥.

وبالذِّكرِ يصرعُ العبدُ عدوهُ الأولَ الشَّيطانَ الرَّجيمَ؛ كما يصرعُ الشَّيطانُ؛ أهلَ الغفلةِ والنّسيانِ.

#### ١٢ - الدُّعاء:

دعاءُ اللهِ تعالى وحدَهُ لا شريك لَهُ، ومناجاتُهُ في السِّرِّ والعلنِ! والانكسارُ بينَ يديهِ - سبحانهُ - وإظهارُ الافتقارِ إليهِ؛ من أعظمِ أسبابِ تقويةِ القلبِ وزيادةِ الإيمانِ فيها؛ لأنَّها فيها إقرارٌ لعبوديَّةِ اللهِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١).

وكلَّما كانَ العبدُ؛ أكثرَ ذلَّةً، وخضوعًا للهِ! كانَ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ أقربَ؛ كما أخبرَ بذلكَ الصَّادقُ المصدُوقُ محمَّدٌ الأمينُ عَلِيُّكُ :

« أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ! وَهُوَ سَاجِدٌ ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » (٢٠).

لأَنَّ حالَ السُّجودِ فيها ذلَةٌ وخضوعٌ؛ ليستْ في بقيةِ الهيئاتِ والأَوضاعِ؛ فلمَّا أَلزقَ العبدُ جبهتَهُ في الأَرضِ - وهي أَعلىٰ شيءٍ فيهِ - صارَ أقربَ ما يكونُ من رَبِّهِ؛ جلَّ في عُلاه.

### ١٣- قصرُ الأمل:

قصرُ الأَملِ في حياةِ العبدِ؛ مهمٌّ جدًّا في تجديدِ إِيمانهِ، وضمانٌ لآخرتِهِ؛ لأنَّهُ يُقرِّبُ من الرَّحمنِ - جلَّ في عُلاه - ويُباعدُ من الشَّيطانِ، أمَّا طولُ الأَملِ! فيباعدُ من الرَّحمن، ويُقرِّبُ من الشَّيطان! لأَنَّهُ قولُ العبدِ: سأَعيشُ! سأَعيشُ! ثمَّ أَعمل!! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة فاطر، الآية ١٥.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في (كتاب الصلاة) باب: وما يقال في الركوع والسجود ،

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَالَوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿ ثَنِّ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٢).

فهذه َهيَ كُلُّ الدُّنيا! يا عبدَ اللهِ المسكينَ! فلا يطوِّلُ الإِنسانُ الأَملَ! ويقولُ: ساَعيشُ! ساَعيشُ! ثمَّ أَعملُ؛ إِن شاءَ اللهِ!!!

قالَ بعضُ العارفينَ من السَّلفِ لرجلٍ: صلِّ بنا الظُّهرَ. فقالَ الرَّجلُ: إِنْ صلَّ بنا الظُّهرَ؛ لَمْ أُصلِّ بكُمُ العصرَ! فقالَ: وَكَأَنْكَ تُؤَمِّلُ أَنْ تعيشَ لصلاةِ العصرِ! نعوذُ باللهِ من طول الأَملِ!

#### ١٤ - معرفة حقيقة حياة الدُّنيا:

التَّفكرُ في حقيقةِ أمرِ حياةِ الدُّنيا، والفقهُ في متاعِها الفانيَةِ، وزينتها الزائلَةِ! يُوصلُ العبد الصَّادق في إِيمانِهِ إِلى احتقارِ هذهِ الدُّنيا وما فيها من الفتن! ثمَّ يزولُ تعلَّقُ القلبِ بها، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوفَوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن 
زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ
الْغُرُور ﴾ (٣).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُو ۗ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآية: ٥٥.

<sup>(</sup>٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٠٥ - ٢٠٦.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١).

وقالَ النَّبِيُ عَلَيْكَ : « إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِللدُّنْيَا، وَإِنْ قُزَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ؛ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَصِيرُ ، (``).

وقالَ عَلَيْكَ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ؛ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ! إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا ، (<sup>7</sup>).

وقالَ عَلَيْكُ : ﴿ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرَ ﴿ ( 1 ) .

وقالَ عَلَى اللهُ اللهُ

وقالَ عَلَى اللهُ عَلَى الدُّنْيَا فِي الاخِرَةِ؛ إِلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ وَ(``.

وَعَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكَ بِبُعْضِ جَسَدِي، فَقَالَ: « يَا عَبْدَ اللهِ! كُنْ فِي الدُّنْيَا ؛ كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » (٧) .

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

<sup>(</sup> ٢ ) رواه الإمام أحمد في « مسنده » عَنْ أَبْيُ بْن كَعْبٍ ، رضي الله عنه . وصحَّحه الألباني في « الصحيحة » برقم ( ٣٨٢ ) .

<sup>(</sup>٣ -٧) روى هذه الأحاديث ابن ماجة في (كتاب الزُّهد) باب (مثل الدُّنيا) وصححها الأَلباني.

#### ه ١- تعظيمُ حُرماتِ اللهِ تعالىٰ:

إِنَّ الله - تبارك وتعالى - هو العليُّ العظيمُ! فالعظمةُ من صفاتِهِ العُلى، وآية من آياته، وتعظيمهُ - سبحانهُ - بتبجيلهِ وإجلالهِ؛ فينحني العبادُ إجلالاً لَهُ في ركوعهم، وذلك تعظيمًا لشأنه، وتكريمًا لعظمته؛ يردِّدُونَ في إخبات وخشوع، وتذلُّل وخضوع: سُبحانَ ربِّيَ العظيم.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْكُ : ﴿ فَأَمَّا الرُّكُوعُ ؛ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبُّ ، عَزَّ وَجَلَّ ١٠٠٠.

لذلك اقتضى! تعظيمُ اللهِ تعالى؛ تعظيمَ حرماتِهِ، وهي كلُّ ما يجبُ احترامُهُ وحفظُهُ وصيانتُهُ ورعايتُهُ، وتشتملُ جميعَ ما أوصى بتعظيمهِ وأَمرَ بأدائِهِ، والتَّعظيمُ: هو العلمُ بوجوبها، والإقرارُ بها، والقيامُ بحقوقها.

وإيمانُ العبد بربِّهِ، ورضاهُ بما شرعَهُ، واختارَهُ لَهُ، هوَ من تعظيمِ اللهِ تعالىٰ، وتعظيم حرماتِهِ - سبحانه - قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظَّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ

وقالَ تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ فَا اللهِ فَالا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدُّ حُدُودَ اللهِ فَالا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدُ اللهِ فَالا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدُ اللهِ فَالا تَعْدُودَ اللهِ فَالا تَعْدُودَ اللهُ اللهُولُ اللهُ فَالا تَعْدُودُ اللهِ فَالا تَعْدُودَ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

فإِنَّ المؤمنَ الصَّادقَ! هوَ الَّذي يعظِّمُ حرماتِ اللهِ تعالى، ويستشعرُ هيبتهُ وخشيتهُ، ويذعنُ لجلاله؛ سبحانَهُ.

<sup>(</sup>١) سورة الحديد، الآية: ٢٠. (٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

<sup>(</sup>٣) سورة الحج. الآية: ٣٢. ﴿ ٤ ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

وإِنَّ التَّهاونَ بالذَّنبِ، والمجاهرةَ بالمعصيةِ، والمسارعة إِلَى الخطيئةِ؛ ليستْ من صفاتِ مَن يُعظِّمُ اللهَ تعالى ويُعظِّمُ حرماتِهِ! وقد تكونُ حرماتُهُ في الأشخاصِ؛ كقيامٍ بحقّ النَّبِيِّ عَظِيَّهُ، وقد تكونُ في الأمكنةِ؛ كتعظيم بيتِ اللهِ الحرام، وقد تكونُ في الأزمنةِ؛ كتعظيم شهرِ رمضانَ.

# ١٦ – الموالاةُ والمعاداةُ في اللهِ تعالىٰ :

أَي: الحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ؛ لأنَّ القلبَ إذا تعلَّقَ بعبادِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المؤمنينَ، وبحبَّهم ونُصرتهم؛ زادَ إِيمانًا وحياةً، وقرُبَ من ربِّه سبحانه! فإذا تعلَّقَ بأعداءِ اللهِ تعالىٰ يضعفُ جدًّا، وتذوبُ معانى العقيدة فيه إ

#### ١٧ - التُّواضعُ:

صفاتُ التَّواضعِ! لهُ دورٌ فعَّالٌ في تجديدِ الإيمانِ، وجلاءِ القلبِ من صداً الكبرِ؛ لأَنَّ تواضع العبدِ في جميعِ مجالاتِ حياتِهِ؛ دالٌ علىٰ تواضعِ قلبهِ للهِ تعالىٰ، ومَن تواضعَ للهِ فقد زادَ إيمانُهُ بربَّهِ سبحانَهُ، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْكِ :

\* مَنْ تَرَكَ اللّباسِ تَوَاضُعًا اللهِ! وَهُو يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ؛ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا »(١).

## ١٨ - فقه أعمال القلوب:

فإِنَّ للقلب! أعمالاً مهمةً في زيادة إيمان العبد المسلم: كمحبَّة اللهِ تعالى، والخوف منه، ورجائه، وحُسن الظَّن به، والتَّوكل عليه، والاستعانة به، والرَّضا به وبقضائه، والشُّكر لَهُ، والصِّدة معه، واليقين به، والثُّقة به، والتَّوبة إليه – سبحانه وتعالىٰ – إلىٰ غير ذلك من الأعمال القلبيَّة.

<sup>(</sup>١) رواه الترمدي في (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع) وصححه الألباني.

وهناكَ مقامات ينبغي على العبد الصَّادق الوصولُ إليها لاستكمالِ العلاجِ؛ كالاستقامَةِ، والإِنابَةِ، والتَّذكُّر، والاعتصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، والخشُوع، والزُّهدِ، والورع، والمراقبَةِ، وغيرِها.

#### ١٩ - فقه محاسبة النَّفس:

فإِنَّ من أعظم الأَماناتِ أَمانةُ النَّفسِ؛ فهي أعظمُ من أَمانةِ الأَموالِ والأَولادِ! فقد أَقسمَ اللهُ تعالىٰ: والأَولادِ! فقد أَقسمَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (١).

وقد جعلَ اللهُ تعالىٰ للنَّفسِ طريقينِ: طريقُ اتَّباعِ الهُدىٰ والتَّقَىٰ، وبهِ يكونُ النَّجاةُ، والفوزُ برضا اللهِ تعالىٰ وبجنَّته؛ جنَّةِ الخُلد، والنَّعيمِ الدَّاتِمِ.

وطريقُ اتِّباعِ النَّفسِ الأَمارةِ بسوءٍ، وبهِ يكونُ الحسارُ المبينُ!

فيجبُ على كلِّ المسلمِ الصَّادقِ! أَن يعلَمَ فقة محاسبةِ النَّفسِ؛ لأَنَّ فيها نجاتَهُ وفوزَهُ! إِذَن! فلا بُدَّ أَنْ يكونَ للعبدِ المسلمِ الصَّادق معَ نفسهِ ومعَ رَبِّهِ – جلَّ في عُلاه – وقت يخلو فيه بنفسهِ؛ فيراجعها، ويحاسبها، وينظر في شأنها، وماذا قدَّمَ من الرَّادِ ليومِ المعادِ؛ لأَنَّ عدمَ مُحاسبةِ النَّفسِ؛ يعرضُ العبدَ لتسلُّطِ الشَّيطانِ؛ الَّذي يدعو إلى المعصيةِ والنَّارِ! ويحذَّرُ من الطَّاعةِ، ويزينُ الباطلَ، ويثبطُ عن العملِ الصَّالح، ويصَّدُّ عنهُ!

فيضعفُ الإيمانُ في قلبِ العبدِ، ثمَّ تتمكَّنُ الغفلةُ فيهِ؛ فلا يفقهُ بعدَهُ شيئًا من التَّذكرةِ والموعظةِ ولا يتَّعظُ ثمَّا حولَهُ؛ فيهلكُ قلبهُ! ويومَ القيامَةِ يتحسَّرُ العبدُ علىٰ ذلكَ! قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

<sup>(</sup>١) سورة الشمس، الآية: ٧.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَــِمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ (١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتُ لِغَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

قَالَ الْإِمَامُ ابنُ كُثيرٍ – رحِمَهُ اللهُ – في تفسيرِ هذهِ الآيَةِ الكريمَةِ:

(أي: حاسبوا أنفستكم قبل أن تحاسبواا وانظروا ماذا ادخرتُم لأنفسِكم من الأعمالِ الصَّالِحةِ ليومِ معادِكم، وعرضِكم على ربَّكم، واعلموا! أنَّهُ عالمٌ بجميعِ أعمالِكم وأحوالِكم، لا تخفى عليهِ منكم خافيةٌ).

نَسْأَلُ الله - العليَّ القديرَ - بأسمائِهِ الْحُسني، وصفاتِهِ العُليٰ:

أَنْ يُجَدِّدُ الإيمانَ في قُلوبنا، ويُوفِّقنا باتَباعِ هدي نبينا محمَّد عَلَيْكُ وهدي أَن يُجَدِّدُ الإيمانَ في قُلوبنا، ويُوفِّقنا باتباعِ هدي أصحابهِ الكرام - رضي الله عنهم - ومَن تَبِعَهُمْ من أَثمَّةِ العظامِ؛ بصدق وإخلاص وإحسان. . آمين!

<sup>(</sup>١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

<sup>(</sup>٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

# أسباب ترك الإيمان والإعراض عنه



## أسباب ترك الإيمان والإعراض عنه

فإذا علمنا - ممَّا سبق - أنَّ الإيمانَ الصَّحيحَ؛ كما جاءنا عن رسُولِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ فيه السَّعادةُ العاجلةُ والآجلةُ، أي: سعادةُ الدَّارين؛ الدُّنيا والآخرة.

وأنَّهُ يُصلِحُ الظَّاهرَ والباطنَ، والعقائدَ، والأخلاقَ، والآدابَ، والأخلاقَ، والآدابَ، والمعاملات، وجميعَ الخلقِ إلى ما فيه كلُّ خيرٍ وصلاحٍ وفلاحٍ ونجاةٍ، ويهدي للَّتي هي أقومُ وأحسن.

فإذا كان الأمرُ كذلك! فلم أكثرُ النَّاسِ - كانوا ولا يزالون - عن الدِّينِ الحق والإيمانِ الصَّحيحِ مُعرضينَ، ولهُ مُحاربينَ، ومنهُ ساخرينَ؟!

أَما كَانَ يجب أَنْ يكونَ الأَمرُ عكس ذلكَ! لأَنَّ النَّاسَ لهُم عقولٌ وأَذهانٌ؛ تختارُ الصَّالحَ على الطَّالحِ، والخيرَ على الشَّرِّ، والنَّافعَ على الضَّارِ؟

• نعم - أخي المسلم اللّبيب - كان من المفروضِ أن يكونَ الأمر كذلك! لأنَّ الله - تبارك وتعالى - قد وهب لِبَني آدم نعمة العقلِ الذي يختار ويميِّز به الخيرَ عن الشرِّ، والحقَّ عن الباطلِ، والنَّافعَ عن الضَّارِّ، ولكن أكثرَ النَّاس لا يعقلونَ، ولا يعلمُون، ولا يعملُون.

واعلم! - أخي المسلم - علَّمنا الله تعالى وإيَّاك طريقَ الهداية: أَنَّ الله تعالىٰ قد ذكرَ هذا الإيرادَ في كتابِه العزيز، وأَجابَ عنهُ بذكرِ الأسباب الواقعة المانعة، وبالموانع العائقة، وبذكر الأجوبة عن هذا الإيراد فلا يهول العبد ما يراه من إعراض أكثر البشر عنه، ولا يستغرب ذلك؛ فقد ذكر الله - عزَّ وجلَّ - من أسباب عدم الإيمان بالدِّينِ؛ موانعَ عديدةً، واقعةً من جمهور البشر، منها (\*):

## ١ – الجهلُ بالإيمان وحقيقته :

الجهلُ بالإيمان الحقّ، وعدمُ معرفة حقيقته العظيمة، وعدمُ الوقوفِ على توجيهاته الرَّبانيَّة، وتعاليمه العاليةِ، وإرشاداته السَّاميَّة، والجهلُ بالعلومِ النَّافعة عامَّة ؛ أكبرُ عائقٍ، وأعظمُ مانعٍ من الوصولِ إلى الحقائقِ الصَّحيحةِ، والاَخلاقِ الحميدة الرَّاشدة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَـمًا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ اللَّهِ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

فأخبرنا الله - جلَّ في عُلاه - أنَّ تكذيبهم صادرٌ عن جهلِهم، وعدم إحاطتهم بعلمه، وأنَّهُ لم يأتهم تأويلُهُ الذي هو وقوعُ العذابِ الذي يوجِبُ للعبد الرُّجوعَ إلى الحقّ والاعتراف به، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١٠).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآية: ٣٩. ﴿ ٢) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

<sup>(</sup>٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.

<sup>( \* )</sup> نقلتُ هذا الفصل بإختصار وتصرف من و تعليم أصول الإيمان وبيان موانعه ، للشيخ العلاُّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله: ص٣٣. ( دار أضواء السلف ) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ صُمُّمٌ بُكُمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠). وقالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٠). • والجهلُ إِمَّا أَن يكونَ بسيطًا:

كحال كثيرٍ من دهماء المكذّبين للرَّسولِ عَلَيُّ الرادِّينَ لدعوتِه؛ اتَّباعًا لرُوُسائهم وساداتهم، وهم الذين يقولونَ إذا مسَّهمُ العذابُ:

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصَلُّونَا السَّبِيلا ﴾ (٢٠).

• وإمَّا أَن يكونَ الجهلُ مُركَّبًا؛ وهذا على نوعين:

أَحدُهما: أن يكونَ على دينِ قومِه وآبائِه، ومَن هو ناشئٌ معهم؛ فيأتيه الحقُّ فلا ينظرُ فيه، وإن نظرُ! فنظرٌ قاصرٌ جدًّا؛ لرضاه بدينِه الذي نشأ عليه وتَعصَّبه لقومِه وهواه، وهؤلاء جمهورُ المكذّبينَ للرُّسُل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - الرَّادينَ لدعوتهم، الذين قالَ اللهُ - تبارك وتعالى - فيهم:

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتُرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُونَ ﴾ (\*).

وهذا هو التقليدُ الأعمىٰ؛ الذي يظنُّ صاحبُه أنَّه علىٰ حقَّ، وفي الأصل هو علىٰ الباطلِ، والضلالُ المبين!

ويدخلُ في هذا النوع: أكثرُ الملحدينَ المادِّينَ؛ فإنَّ علومَهُم - عند التحقيق والتَّدقيق - تقليدٌ لزعمائهم؛ إذا قالوا مقالةً قَبِلُوها؛ كأنَّها وحيٌ

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ١٧١. (٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧. (٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

منزلٌ من السَّماء! وإذا ابتكروا نظرية خاطِقة ؛ سلكوا خلفهم في حالِ اتَّفاقهم وحالِ تناقضهم ، وهؤلاء فتنة لكلّ مفتون لا بصيرة له!

النوعُ الثاني من الجهلِ المركّب:

حالةُ أَئمَةِ الكفرِ والضلال، وزعماءِ الملحدينَ المعاندين؛ الذين مَهرُوا في بعض علومِ الطبيعةِ والكونِ، واستجهلُوا غيرَهم، وحصروا المعلوماتِ في معارفِهم الضئيلةِ الضيّقةِ الدائرة، واستكبّروا على الرُّسُل وأتباعهم.

وزعمُوا أَنَّ العلومَ محصورةً فيما وصلتْ إليه الحواسُّ الإنسانية، والتجاربُ البشريَّة، وما سوى ذلك أنكروهُ، وكذَّبوهُ مهما كان من الحقّ؛ فأنكروا رَبَّ العالمين، وكذَّبوا رُسُله، وكذَّبوا بما أخبرَ اللهُ تعالىٰ به ورسُولهُ عَنْ مَورِ الغيب كلِّها، وهؤلاءِ أحقُّ النَّاس بالدُّخُول تحت قولِه تعالىٰ:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١).

ففرَحُهم بعلومهم - علوم الطبيعة - ومهارتُهم فيها هو السببُ الأقوى الذي أوجَبَ لهم تمستُكهم بما معهم من الباطل، وفرحُهم بها يقتضي تفضيلهم لها، ومدْحَهم لها وتقديمها على ما جاءت به الرُسُلُ من الهدى والعِلم والحقّ؛ بل لم يكفِهم هذه الحال؛ حتى وصلوا إلى الاستهزاء بعلوم الرُسل واستهجانها، وسيحيقُ بهم ما كانوا به يستهزؤن .

ولقد انخدع بهؤلاء الملحدين؛ كثيرٌ من المشتغلين بالعلوم العصريَّة التي لم يَصحبها دينٌ صحيحٌ، والعهدةُ في ذلك على تلك المدارس التي هي

<sup>(</sup>١) سورة غافر، الآية: ٨٣.

في بلاد المسلمين! والتي لم تهتم ابدًا بالتعاليم الدينيَّة العاصمة من هذا الإلحاد والكفر والزندقة؛ فإنَّ التلميذ المسكين إذا تخرَّجَ منها؛ فلم يمهر في العلوم الشَّرعية والدينيَّة، ولا يتخلَّق بالأخلاق الإسلامية الحميدة، ويرأَىٰ نفسته – أو صورة له – أنَّه يعرف ما لا يعرفه غيرُه من العلوم! فاحتقر الدِّين وأهله ، وسَهُل عليه الانقيادُ وراء هؤلاء الملحدين المادِّين!!

وهذا أَكبرُ ضررِ ضُربَ به الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف!!

فالواجبُ قبلَ كلِّ شيءٍ على المسلمينَ نحو هذه المدارس:

- أَن يكونَ اهتمامُهم بتعليم العلوم الدينيَّةِ قبل كلِّ شيءٍ.
- أَن يكونَ النجاحُ وعدمُه متعلِّقًا بها لا بغيرِها بل يُجْعَلُ غيرُها تبعًا.

وهذا من أفرض الفرائض؛ على من يَتولاً ها ويباشِرُ تدبيرَها؛ فليتَّقِ اللهَ تعالىٰ مَن لَهُ ولايةٌ، أو كلامٌ عليها، وليحتسب الأَجرَ العظيم عند الله تعالىٰ في جعل علوم الدِّين من أولويَّاتِ العلوم المدرسيَّة.

واعلم: أَنَّ الخطرَ الكبيرَ على المجتمعِ الإسلاميِّ في إهمالها وعدم تعليمها، والصَّلاحَ والفلاح والنَّجاح والخيرَ؛ مضمونٌ بالعنايةِ فيها.

#### ٧- الحسد والبغي:

كحال اليهود الذين يعرفُون النَّبِيَ عَلَيْ وصِدَّقَهُ وحقيقةَ ما جاءَ به كما يعرفون أبناءهم، ولكنَّهم يكتُمُون الحقَّ وهم يعلَمُون ؛ تقديمًا للأغراض الدُّنيوية والمطالب السُفْلِية على نعمة الإيمان، وقد مَنعَ هذا الدَّاءُ كثيرًا من رُؤساء قريش ؛ كما هو معروف من أخبارهم وسِيَرهم .

وهذا الداءُ في حقيقة الأمر؛ ناشئٌ عن داء آخر، وهو الكبر.

#### ٣- الكبر:

الكبرُ الذي هو أعظمُ الموانع من اتِّباع الحقِّ، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلاً الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا عَافِلِينَ ﴾ (١).

فالتَّكَبُّر - الذي هو رَدُّ الحقِّ واحتِقارُ الخلقِ - منَعَ خَلْقًا كثيرًا من اتَّباع الحقِّ، والانقيادِ له بعد ما ظهرت آياتُه وبراهينُه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسدينَ ﴾ (٢).

#### ٤ - الإعراضُ عن الحقُّ والإيمان:

الإعراضُ عن الأدلَّةِ السَّمْعيَّةِ، والأدلَّةِ العقليَّةِ الصَّحيحة؛ من أهمَّ الموانع التي تَصُدُّ عن الإيمان واتِّباع الحقّ، قالَ اللهُ تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿ ﴿ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُونَ ﴾ (٣) .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (1).

<sup>(</sup>١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦. (٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

<sup>(</sup>٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦ – ٣٧. (٤) سورة الملك، الآية: ١٠.

فلم تكن لأمثال هؤلاء الذين اعترفوا بعدم عَقلهم وسمعهم النَّافع رغبةٌ في علوم الرُّسُل، والكُّتب المنزَّلةِ من الله تعالى، ولا عقولَ صحيحة يهتدون بها إلى الصَّواب، وإنَّما لهم آراءٌ ونظريَّاتٌ خاطئةٌ يظنُّونها عقليات، وهي جَهالاتٌ، ولهم اقتداءٌ خلف زعماء الضّلال منعهم من اتّباع الحقّ؛ حتى وردوا نارَ جهنَّمَ؛ فبئس مثوى الْتَكبّرين.

#### ٥ ـ ردُّ الإيمان والحقِّ ؛ بعد معرفته :

إِنَّ رَدَّ المرء الإيمان بعد ما تبيَّن له؛ فيُعاقبُ بانقلاب موازين قلبه، ورؤيته الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٢).

وهذا! لأنَّ الجزاءَ من جنس العمل، وقد وَلاَّهُم الله ما قالوا لأنفسهم:

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾('').

وقالَ تعالىٰ: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ( " ).

<sup>(</sup>١) سورة الصف، الآية: ٥. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

<sup>(</sup>٤) سورة النساء، الآية: ١٧٣. (٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

<sup>(</sup>٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٦.

## ٣- الانغماسُ في التَّرَفِ والإسرافُ في التَّنعُم:

فإِنَّه يجعلُ العبدَ تابعًا لهَواه القاتل، مُنقادًا للشُّهواتِ الضَّارَّةِ؛ كما ذكرَ اللهُ تعالىٰ هذا المانِعَ في عِدَّة آياتٍ كريماتٍ، مثلَ قوله تعالىٰ:

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَوُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ (٢).

فلمًا جاءهُم الدّين الصّحيحُ بما يُعَدّلُ ترفَهم، ويوقفهم على الحدّ النّافع، ويمنعُهم من الانهماكِ الضّارِ في اللّذّاتِ؛ رأوا ذلك صادًا لهم عن شهواتهم. وصاحبُ الهوى الباطل ينصرُ هواه بكلٌ وسيلة؛ لمّا جاءهُمُ الدّينُ بوجوبِ عبادةِ الله، وشكرِ المنعمِ على نعمِه، وعدمِ الانهماكِ في الشّهوات، ولوا على أدْبارهم نُفُورًا، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكُّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا ﴾ (٣). ٧- احتقارُ الحقِّ وأهله:

احتقارُ المكذّبينَ للرُّسُلِ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - وأتباعِهم، واعتقادُ نقصِهم، والتحبُّر عليهم؛ من الموانع الصَّادَّةِ عن وصولِ الإيمانِ إلى القلب؛ كما قالَ قومُ نوح عليه الصَّلاة السَّلام:

﴿ قَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ (١٠).

<sup>(</sup> ١ ) سورة الأنبياء، الآية : ٤٤ .

<sup>(</sup>٣) سورة الإسراء، الآية: ٤١.

<sup>(</sup> ۲ ) سورة الواقعة، الآية : ٥ ٤ . ( ٤ ) سورة الشعراء، الآية : ١١١ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَقَالَ الْمَلاُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مَّنْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مَّنْلَنَا وَمَا نَرَاكَ الَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١).

وهذا الدَّاءُ منشؤهُ من الكِبرِ؛ فإذا تكبَّر وتعاظمَ في نفسِه، واحتقرَ غيرهُ الشمازَّ من قبولِ ما جاء به من الحقِّ؛ حتىٰ لو فُرض أَنَّ هذا الذي ردَّهُ جاءَه من طريق مَن يُعظِّمهُ لقبله بلا تَرَدُّد.

#### ٨- الفِسْقُ:

فالفِسقُ أكبرُ مانع من قبولِ الحقِّ علمًا وعملاً، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّت ْ كُلِمَتُ رَبِّكَ عَلَىٰ الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢). والفسق: هو خروجُ العبدِ عن طاعةِ الله تعالىٰ إلىٰ طاعةِ الشَّيطانِ.

والله تعالىٰ لا يُزكِّي مَن كان هذا حالهُ؛ بل يكِلُه إلىٰ نفسِه الظالمةِ فتجُولُ في الباطلِ عنادًا وضلالاً، وتكون حركاتُه كلُها شرًّا وفسادًا؛ فالفسق يَقرنه الباطلُ، ويصدُّه عن الحقِّ؛ لأَنَّ القلبَ متىٰ خرجَ عن الانقيادِ لله تعالىٰ والخضوع له؛ فلا بُدَّ أن ينقادَ لكلِّ شيطانٍ مريد:

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَأَهُ فَأَنَّهُ يُضِلُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ("). ﴿ وَتَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ("). ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (").

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤. (٢) سورة الواقعة، الآية: ٥٠.

 <sup>(</sup>٣) سورة الحج، الآية: ٤.
 (٤) سورة الحجر، الآيتان: ٤٤ - ٥٠٠.

### ٩- حصرُ العلوم والحقائق في دائرة ٍ ضيقة :

كما فعلَ مَلاحِدةُ المَادِّينَ في حصرِهِمُ العلومَ بمدركاتِ الحِسِّ؛ فما أدركُوهُ بحواسِّهم أثبتوه، وما لم يدركُوه بها نفوهُ، ولو ثَبَتَ بطُرقٍ وبراهينَ أعظمَ بكثيرٍ، وأوْضَعَ وأجْلىٰ من مدركات الحسِّ، وهذه فتنةٌ وشبهةٌ؛ ضلَّ بها خلقٌ كثيرٌ في عصرنا هذا!

وهذه الطريقةُ الخبيثةُ! أنكروا بها وجودَ الربِّ - جلَّ في عُلاه - وَكَفَرُوا بِالرُّسُلُ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - وبما أخبروهم به من أُمورِ الغيب التي قامت الأدَّلةُ والبراهين المتنوعةُ علىٰ صدَّقِها؛ بل قامت الأدَّلةُ المشاهدةُ علىٰ حقَّها.

ومن المعلوم بالضَّرورة، والعلم اليقينيُّ؛ أنَّ البراهينَ على وجودِ الباري - تبارك وتعالىٰ - ووحدانيَّتِه، وانفرادِه بالخلق والتَّدبير لا يُمكنُ أن يُساويَها، أو يقاربَها شيءٌ من الطُّرُقِ المثبِّتةِ لأي حقيقة تكونُ .

فقد قامتِ؛ الأَدِّلةُ السَّمْعيَّةُ، والعقليَّةُ، والعَيانِيَّةُ، والفطريةُ على ذلك.

وقد أَظهَرَ من آياته - سبحانه وتعالى - في الآفاق، وفي الأَنفسِ ما تبيَّنَ به الحقُّ، وأَنَّهُ حقَّ، ورُسُله حقَّ، وجزاؤهُ حقَّ، وجميع أَخبارِه حقِّ، ودينهُ حقَّ؛ فماذا بعد الحقَّ إلاَّ الضلالُ!!

ولكن تمرُّدُ الماديِّينَ، وكِبْرُهُم حالَ بينهُم، وبين اتِّباع الحقِّ النَّافع لهم في الدُّنيا والآخرة، والذي لا ينفعُ غيرَهُ بدونِه بوجهٍ من الوجوه.

ولكنَّ المؤمنَ البصيرَ يعرفُ بنورِ بصيرتِه أَنَّهم في ضَلالٍ مُبين، وعمَّى مُتَراكم، ونحمدُ الله تعالىٰ علىٰ نعمةِ الهداية.

#### • ١ - تَجُرد الماديِّينَ ومَن تَبِعَهُم من المغرورين :

زَعَم هؤلاء المادِّيُّون: أَنَّ البشرَ لَم يبلغوا الرُّشدَ والكمال، ونضوج العقلِ؛ إِلاَّ في هذه الأوقاتِ التي طَغَتْ فيها المادة، وعلومُ الطبيعةِ، وأنَّهم قبلَ ذلك لم يبلغوا الرُّشدَ؛ بل كانوا يعشون في جهلٍ وضلام!!

وهذا فيه من الجراءة والإقدام على السَّفْسَطَة والمُكابرة للحقائق، والمباهَتة ما لا يخفى على من له أدنى معقول لم تغيِّره الآراءُ الخبيثة.

فلو قالوا: إِنَّ المَادَّةَ والصِّناعةَ والاختراعاتِ، والعلوم التجربية، وتطويعَ الأُمورِ الطبيعيَّةِ لم تَنْضُحُ وتتمَّ إِلاَّ في الوقت الأَخيرِ لصَدَّقهُمْ كُلُّ واحدٍ.

فإِنَّ العقولَ والعلومَ الصَّحيحة؛ إِنَّما تعرفُ ويستدلُّ على كمالها وجمالها، أو نقصها؛ بآثارِها وبأدلَّتها وغاياتها.

فانظُر إلى الكمالِ والعُلُوِّ في العقائد، والأخلاق، والمعاملات، والدِّين، والدُّنيا، والرَّحمة، والحكمة التي جاء بها نبيُّ الإسلام محمَّد عَلِي وأخذها عنه المسلمون، وأوصَلَتْهم وقت عملِهم بها إلى كلِّ خيرٍ دينيُّ ودنيويُّ، وكلُّ صلاحٍ ونجاح وفلاح، وأخضعَت ْلهم جميعَ الأمم قاطبة في يومها؛ وأنَّهم وصَلُوا إلى حالة وكمالٍ والعزَّة؛ يستحيلُ أن يصلَ إليه أحدٌ؛ حتَى يسلُكَ طريقهم، وواقع حال البشر اليوم؛ خير شاهدٌ على هذا!!

ثمَّ انظر إلى ما وصلت إليه أخلاقُ المادِّيين الإباحيِّين الذين أطلقوا السَّراحَ لشهواتِهم، ولم يقفوا عند حدًّ؛ حتى هبطوا بذلك إلى أسفل السَّافلين، ولولا القوةُ المادِّيةُ تُمْسِكُهمْ بعض التماسُكِ لاَرْدتهم هذه الإباحيَّةُ والفوضيْ في الهلاك العاجل، قالَ الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ (١).

ثمَّ لولا بقايا من آداب الأديان بقيت بعض آثارها في الشُّعوب الراقية صلُحت بها دنياهم اليوم! لم يكن لرقيهم المادِّي قيمةٌ عاجلةٌ ؛ فإنَّ الذين فقدوا الدِّينَ عجزوا كلَّ العجزِ عن الحياة الطيِّبة الكريمة ، والرَّاحة الحاضرة ، والسَّعادة العاجلة ، والمشاهدة أقوى شاهد لذلك .

ومشركو العرب ونحوهم عن عندهم بعض الإيمان، وبعض الاعتراف بالأصول الإيمانيّة؛ كتوحيد الرّبوبيّة، والاعتراف بالجزاء؛ خيرٌ بكثير من هؤلاء الماذييّن، بلا ريب ولا شكّ، قال الله تبارك و تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْعَزِيزُ الْعَزِيزُ الْعَزِيزُ اللَّهُ اللّ

ثمَّ قد عُلِمَ بالضَّرورةِ؛ أَنَّ الرُّسُلَ - صلواتُ الله وسلامُه عليهم - جاؤوا بالبيِّناتِ والوحي، ودين الحقّ، والهداية جملة وتفصيلاً، وبالنُّورِ والعلمِ الصَّحيح، والصَّلاحِ المطلق من جميع الوجوه، واعترفتِ العقولُ الصَّحيحةُ بذلك، وعلمَت أنَّها في غاية الافتقارِ إليه، وخَضَعَت لِمَا حاءت به الرُّسُلُ الكرام، وعَلِمَت العقولُ أنَّها لو اجتمعت من أوَّلها إلىٰ جاءت بها رسُل آخرها لم تَصِل إلىٰ درجة الكُتب، والحقائق النَّافعة التي جاءت بها رسُل آخرها لم تَعلیٰ، ونزلت بها الکُتُبُ، وأنَّه لولاها لكانت البشریة في ضَلال مُبين، وعمَّى عظيم، وشقاء وهلاكِ مُستَمرً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالیٰ:

<sup>(</sup>١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

<sup>(</sup>٢) سورة الزخرف، الآية: ٩.

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي صَلالِ مِّبِينِ ﴾ (١).

وقالَ تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفُ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن فَهَدَىٰ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن فَهَدَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ عَلَيْهِ مَنَ الْحَقِ اللهُ مَنْ الْمَا عُنْهُمُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

فالعقُولُ لم تبْلغِ الرُّسْدَ الصَّحيحَ، ولم تَنضِج حقًّا؛ إِلاَّ بما جاءت به الرُّسُلُ الكرام – عليهم أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ – ومن ذلك انخدعُ أكثرِ النَّاس بالألفاظ التي يُزوَّقُ بها الباطلُ، ويُردُ بها الحقُ من غير بصيرةٍ، ولا علم صحيح، وذلك لتسميتهم علومَ الدِّين الحنيف، وأحكام الشَّريعة الغراء، وأخلاقه العالية، وأهدافه السَّامية؛ رجعيَّةً!! وتسميتهم العلومَ والأخلاقَ الأخر المنافية لذلك؛ ثقافةً وتجديدًا.

ومن المعلوم لكل صاحب عقل سليم: أنَّ كلَّ علوم وثقافة وتجديد مهما بلغ! إن لم يكن يَستند في أُصولِه ومبادئه إلى هداية الدِّين الحق، وإلى توجيهاتِه الرَّبانيَّة، وعلومه الحكيمة ؛ فإنَّه شرٌّ وضررٌ! عاجلاً كان أم آجل.

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

<sup>(</sup>٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ومَن تأمَّل اليوم!! ما عليه حالُ مَن يُسمَّونَ «المثقفينَ المادِّيينَ» من هبوطِ الأَخلاقِ، والإِقبالِ على كلِّ ضارٌ، وتَركِ كلِّ نافعٍ؛ عرف أَنَّ الثقافة الصَّحيحة؛ تثقيفُ العقول بهداية الرُّسُل، وعُلُومهم الصَّحيحة.

ومَن تأمَّلَ! ما جاء به الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف؛ من الكتابِ والسُّنَّةِ جملةً وتفصيلاً؛ عرف حقًّا أنَّهُ لا صلاحَ ولا نجاح ولا فلاح ولا عزَّة؛ للبشرِ قاطبة؛ إلاَّ بالرجوع إلىٰ تعاليمه، وهدايته، وإرْشادِه.

وأنَّهُ كما أَصلَحَ العقائدَ والأَخلاقَ والأَعمالَ؛ فقد أَصلَحَ أُمورَ الدُّنيا، وأَرشدَ إِلىٰ كلِّ ما يعودُ إِلىٰ الخير والنُّفع العامِّ والخاصِّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَلَلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠).

واللَّهُ تعالىٰ الموفَّقُ، والهادي إلىٰ سواءِ السَّبيل.

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك على محمَّد، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

<sup>(</sup>١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

# مؤلفات في مسائل الإيمان على منمج أهل السنة والجماعة

«مراجع ومصادر هذا الكتاب»



# مؤلفات في الإيمان على منهج أهل السنة والجماعة

لقد دون أفذاذ العلماء من أثمّة أهل السُنّة والجماعة، وطُلاَّبِ العلم المعتبرين؛ مؤلَّفات كثيرة في مسائل الإيمان على طريقة السُّلف الصُّالح، وعنوا بتقعيد أصولها، وتوضيح فروعها، وشرح مُشْكِلها، واستدلُّوا على كلِّ ذلك من كتاب الله الكريم، وسُنَّة رسُوله الأمين محمَّد عَلَيْهُ، وأقوال أَمَمَة الصَّحابة العظام، والتَّابعين الكرام، وتابعيهم بإحسان.

ورَدُّوا على أهل البدع والأهواء، وكشفُوا عُوارهم، وزيف أقوالهم، ورَدُّوا على أهل البدع والأهواء، وكشفُوا عُوارهم، وزيف أقوالهم، وفساد اعتقاداتهم، وواجهُوا الباطل بالحق المبين، والجهل بالعلم اليقين، والبدعة بالسُّنَة الصَّحيحة، وجرَّدوا أهل البدع والأهواء من سلاحهم، وأظهروا الحقَّ، وأبطلوا الباطل، وما كان ذلك كله؛ إلاَّ صيانةً للدِّين الحنيف، وأحكامه الغزاء، وحماية لعقيدة التَّوحيد الخالص.

ومن المفيد! أن أذكر ههنا بعض هذه المؤلّفات القيمة؛ اللّي ألّفت في موضوع الإيمان ومسائله، والتي كانت في الأصل هي مراجعي في إعداد هذا الكتاب: «الإيمانُ عند أهل السُنّة والجماعة».

والسَّبَبُ الأَهم في ذكر هذه المؤلَّفات العظيمة لأَئمَّة السَّلف الصَّالح هي أَن تكون - أخي المسلم اللّبيب - على بيّنة وبصيرة من عقيدتك،

وأن تكون على علم من أين أخذتها، ومن تتبع، وحتى تعلم - أيضًا - أنَّ هذه العقيدة الصَّحيحة - عقيدة أهل السَّنَّة والجماعة - في مسائل الإيمان وغيره من الأمور العقدية؛ هي الأصلُ في هذا الدِّين الحنيف، وما طرأ عليها من التَّحريفات في القرون المتأخِّرة من العقائد والفرق؛ فهو دخيلً على العقيدة الصَّحيحة التي تلقَّاها سلَفُنا الصَّالح - الصَّحابة والتَّابعون على العقيدة الصَّحيحة التي تلقَّاها سلَفُنا الصَّالح - الصَّحابة والتَّابعون ومن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان - من صاحب السَّريعة الغرَّاء، ورسُولِ هذا الدِّين العظيم؛ محمَّد صلَّىٰ الله عليه وعلیٰ آله وسلَم.

هذا! وقد علمنا - فيما سبق من هذا الكتاب - أنَّهُ قد قرَّر مسائلَ الإيمان على طريقة السلف الصَّالح؛ جمعٌ غفيرٌ من علماء الأُمَّة العظام وأَنْمَتها الأعلام في مؤلّفاتهم القيمة.

فَمَن أَرادَ البسط في مسائلِ الإيمان: مُسمَّاه، وحقيقته، ودرجاته، ومراتبه، وشعبه، وأركانه، ونعمه، وثمراته، وصفات أهله، وغيرها من المواضيع المتعلَّقة بالإيمانِ وأحكامِ مسائله؛ بأدلَّتها عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة فليرجع إلى كُتبهم، ومصنفاتهم، ومراجعهم العظيمة.

فمنها مصنَّفاتٌ مستقلَّة، ومنها ما هو مصنَّفٌ عامٌّ في العقيدة.

ومن هذه الكُتب القيمّة! على سبيلِ المثال، لا بسط القول فيها، والمذكور المطبوع منها فقط؛

أَقُولُ، وباللهِ تعالىٰ؛ التَّوفيقُ والسَّدادُ:

1 - « كتابُ الإيمان »: للإمام الحافظُ الفقيه المجتهدُ ؛ أبي عبيد القاسم بن سلاَّم البغدادي (ت ٢٢٤ هـ).

٢- «كتابُ الإيمان»: لسيِّد الحفاظ الإمامُ؛ أبي بكر بن أبي شيبة العبسيِّ (ت ٢٣٥ هـ).

٣- «كتابُ الإيمان »: للإمام الحافظُ شيخُ الحرمِ ؛ محمَّد بن يحيىٰ بن أبي عمر العَدَني، نزيل مكة (ت ٢٣٤ هـ).

٤- «كتابُ الإيمان »: للإمام الحافظُ محدّثُ الإسلام ؛ محمّد بن السحق بن محمّد بن يحيى بن مند و العبديّ الأصبهانيّ (ت ٣٩٥ هـ).

٥- « مسائلُ الإيمان »: للقاضي أبي يعلى محمَّد بن الحسين بن الفرَّاء البغدادي الحنبليُّ (ت ٤٥٨ هـ).

٦- « كتابُ الإيمان الكبير » و « كتابُ الإيمان الأوسط » :

كلاهما لشيخ الإسلام؛ تقي الدّين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد المالية الحرّانيّ الدّمشقيّ الحنبليّ (ت ٧٢٨ هـ).

٧- «مسالةُ الإيمان وما يتعلق بها»: هو مختصر «كتاب الإيمان الكبير» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ اختصرهُ الحافظُ الكبير، ومؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين الإمامُ؛ أبي عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانيِّ الذَّهبيُّ الشَّافعيِّ؛ (ت ٧٤٨هـ).

٨- « مختصرُ الإيمان الكبير»: لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ اختصرهُ الإمامُ المجدد محمَّد بن عبد الوهاب التميميِّ الحنبليِّ (ت٢٠٦٦ هـ).

9 - « شرح كتاب الإيمان » من كتاب « فتح الباري شرح صحيح البخاري »: للإمام الحافظ العلاَّمة ؛ أبي الفرج زين الدين عبد الرَّحمن بن أحمد الدمشقيّ ؛ الشهير بابن رجب الحنبليّ (ت٥٩٥ هـ).

١٠ « شُعبُ الإيمان »: للإمام الحافظُ؛ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الخرساني الشافعي (ت ٤٥٨ هـ).

١ ١ - « مختصر شعب الإيمان للبيهقي »: للإمام القاضي؛ أبي المعالي عمر بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد القزويني الشَّافعيّ (ت ٦٩٩ هـ).

١٢ - « شُعبُ الإيمان » : للإمامُ الزَّاهدُ العلاَّمةُ ؛ أبي محمَّد عبد الجليل
 بن موسىٰ القصريَّ الأَندلسيَّ القرطبيِّ المالكيِّ (ت ٢٠٨ هـ).

١٣ - « صحيحُ شُعب الإيمان ٥: للشَّيخ خالد بن عبد الرحمن العك.

١٤ - « البرهانُ في شعب الإيمان »: للشُّخ عليَّ الشَّربجيِّ.

٥١- ١ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، :

١٦ - « تعليمُ أصول الإيمان ، وبيان موانعه » : كلاهما للشيخ العلاَّمة الفقيه الأصولي المفسر؛ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديُ الحنبليُّ .

١٧ - « الإيمانُ بين السَّلف والمتكلّمين » : للأستاذ الدكتور الشّيخ ؛
 أحمد بن عطيّة بن على الغامديّ .

١٨ - ١ الإيمانُ أركانه حقيقته نواقضه ، : للدكتور محمَّد نعيم ياسين .
 ١٩ - ١ حدُّ الإسلام وحقيقة الإيمان » : للشّيخ عبد المجيد الشَّاذلي .

· ٢ - « حقيقة الإيمان »: للدكتور طارق بن أحمد عبد الحليم القنائي.

٢١ « قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة » :

للشَّيخ عادل بن محمَّد بن عليِّ الشِّخَانيِّ.

٢٢ ـ « حقيقةُ الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة »:

للشَّيخ محمَّد بن عبد الهادي المصريِّ.

٣٢ « فقه الإيمان على منهج السَّلف الصَّالح »:

للشيخ الدكتور وميض بن رمزي بن صديق العُمريِّ.

٢٤- «الإيمان عند السَّلف، وعلاقته بالعمل، وكشف شُبهات المعاصرين»: للشيخ محمَّد بن محمود آل خضير.

٥ ٢ - « براءة أهل الحديث والسُّنَّة من بدعة المرجئة » :

للشيخ محمَّد بن سعيد بن عبد الله الكثيريِّ.

٢٦ « البرهانُ في معاني الإيمان بين أهل السُّنَّة والمبتدعة » :

للشيخ أبي إسلام مصطفى بن محمد بن سلامة.

٢٧ - « الإيمان كما ورد في الكتاب والسُّنَّة »: للشيخ عادل زكي.

٢٨ « التبيان لعلاقة العمل بمسمَّىٰ الإيمان » :

للشيخ أبي معاوية علي بن أحمد بن سُوف.

٢٩ « الإيمان ؛ تعريفه ، أركانه ، نواقضه ، آثاره » :

للشَّيخ الدكتور الأمين الحاج محمَّد أحمد.

. ٣- و الإيمان بالله »: للشيخ الدكتور على محمَّد الصلاَّبي.

٣١ ـ « الإيمان حقيقته وما يتعلق به من مسائل »:

للشيخ الدكتور محمَّد ين إبراهيم الحمد .

٣٢- « أَقُوالُ ذُوي العرفان في أَنَّ أَعمال الجوارح دَاخِلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان »: للشيخ الدكتور عصام بن عبد الله السَّناني .

٣٣ ـ « زيادة الإيمان ونقصانه ، وحكم الاستثناء فيه » :

للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر .

٣٤ - « الحدُّ الفاصلُ بين الإيمان والكفر » :

للشَّيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف.

٣٥ « الإيمان: تعريف ومتفرقات »: لعثمان عبد القادر الصَّافي.

٣٦- « تنبيه الإخوان إلى حقيقة الإيمان والرُّدُّ على المخالفين »:

للشيخ علي بن عبد العزيز موسىٰ.

٣٧ « مسألة الإيمان ؛ دارسة تأصيلية » :

للشيخ الدكتور على بن عبد العزيز بن على الشبل.

٣٨- « حقيقة الإيمان، وبدع الإرجاء في القديم والحديث »:

للشيخ الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

٣٩- «كتاب الإيمان؛ مفهوم الإيمان ولوازمه عند أهل الحديث والسُّنَّة والأَثر »: للشيخ عمرُو عبد المنعم سليم.

· ٤- « الإيمان ؛ حقيقته وزيادته وثمرته » :

للشَّيخ العلاُّمة؛ عبد الله بن محمد الغنيمان.

١ ٤ - « الإيمان ؛ حقيقته ونواقضه »:

٤٢ - « أَسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر »:

كلاهما للشيخ العلاَّمة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

- ٤٣ « مسائل في الإيمان »:

٤٤ ـ « سؤال وجواب في التوحيد والإيمان » :

كلاهما للشيخ العلاَّمة صالح بن فوزان الفوزان.

0 ٤ - « حقيقة الإسلام والإيمان ، ومنزلة العمل في الإيمان » :

للشَّيخ منصور بن عبد العزيز السُّماري.

- ٤٦ « كتاب الإيمان »: للشَّيخُ عبد الجيد الزنداني.

٧٤ - « في ظلال الإيمان »: للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .

٨٤ - « شجرة الإيمان»: للشيخ الدكتور أحمد فريد.

9 ع - « الإيمان هو الأساس »: للدكتور عبد الله قادري الأهدل.

. ه- « بريق الجمان بشرح أركان الإيمان »:

للدكتور محمَّد محمدي بن جميل النورستاني.

١ ٥- « أُركان الإيمان »: للدكتور محمَّد بن محمَّد الأمين الأنصاري .

٠ - « بيان أركان الإيمان »: للشَّيخ عبد الله بن صالح القصيِّر.

٥٠ « شرح حديث جبريل؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان»:

للشَّيخُ عبد الله بن محمد علوش.

٤ ٥- « شرح أُصول الإيمان »: للعلاَّمة محمَّد بن صالح العُثيمين.

٥٥- « الإيمان ؛ أركانه وثمراته في ضوء الكتاب والسُّنَّة » :

للدكتور محمد بن عبد القادر هنادي.

٥٦ « نور الإيمان وظلمات النّفاق في ضوء الكتاب والسُّنَّة » :

للشيخ الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

٥٧ - « إذا صحَّ الإيمان »: للشيخ عبد الله بن فهد السَّلوم .

٥٨- « ركائز الإيمان »: للشَّيخُ محمَّد قطب.

٩ ٥- « الجواهر الحسان في معالم الإيمان ، : لعبد المنجى السيِّد أمين .

· ٦ - « منهج القُرآن في الدعوة إلى الإيمان »:

للشيخ الدكتور على بن محمد ناصر الفقيهي.

71- « الإيمان ؛ وأهميته في حياة الإنسان » :

للشيخ الدكتور أبي عاصم عبد العزيز بن عبد الفتاح القاريء.

٦٢- « ظاهرة ضعف الإيمان ؛ الأساب، المظاهر، العلاج ، :

للشيخ محمد بن صالح المنجد.

٦٢ - « نواقض الإيمان ؛ القوليَّة والعمليَّة » :

للشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمَّد بن على العبد اللطيف.

٦٤- « نواقض الإيمان الاعتقادية ، وضوابط التَّكفير عند السَّلف » :

للشيخ الدكتور محمَّد بن عبد الله الوهيبي.

-70 « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ه :

للشيخ الدكتور سفربن عبد الرحمن الحوالي.

٦٦- « جواب في الإيمان ونواقضه »:

للشَّيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك.

٣٧ – « درء الفتنة عن أهل السُّنَّة » : للعلأمة بكر بن عبد الله أبو زيد .

٦٨ - « التَّحذيرُ من الإرجاء ، وبعض الكتب الدَّاعية إليه » :

مجموعة الفتاوى الصادرة عن «اللَّجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإِفتاء» بالمملكة العربية السعودية.

9 - - « أَثْرِ الإِيمان في تحصين الأُمَّة الإسلاميَّة ضدَّ الأَفكار الهدَّامة »:

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.

. ٧- « الجهلُ بمسائل الاعتقاد، وحكمه »:

للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاش الجزائري.

٧١ « عارضُ الجهل ، وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السُنَّة والجماعة »: للشيخ أبي المُلا بن راشد بن أبي المُلا الرَّشد .

٧٧ - « الاستهزاء بالدين ؛ أحكامه وآثاره » :

للشيخ أحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي.

٧٣- « الاستخفاف بشعائر الله عزَّ وجلَّ ؛ حكمه وأثره » :

للدكتور عبد الكريم هجيج طعمة الحديثي.

• أمَّا المصنَّفاتُ العامَّةُ في العقيدةِ، ومن ضمنها مسائلُ الإيمان، وما يتعلق بها؛ فكثيرةٌ جدًّا يصعب حصرها هنا، وخُصوصًا في كُتب العقائد المسندة، ولكن نذكر أهمّها:

1 - « كتابُ السُّنَّة »: للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيبانيّ (ت ٢٩٠هـ).

٢ - «كتابُ السُّنَة »: للإمام الحافظ؛ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ).

٣- «كتابُ السُّنَة »: للإمام الحافظ؛ أبي بكر أحمد بن محمَّد بن هارون بن يزيد الخلال الحنبليِّ (ت ٣١١ هـ).

٤- «كتابُ السُّنَّة»: للإمام الحافظ؛ محمد بن نصر بن الحجاج المروزيّ الشَّافعيّ (ت ٢٩٤هـ).

٥- « شُوحُ السُّنَّة »: للإمام العلاَّمة فقيهُ المُلَّة ؛ أبي إبراهيم إسماعيل بن عمرو بن مسلم المُزَبِيُّ ؛ تلميذ الإمام الشَّافعيُّ (ت ٢٦٤هـ).

7- « شرحُ السُّنَّة »: للإمام الحافظ؛ أبي محمَّد الحسن بن علي بن خلف البربهاريّ الحنبليّ (ت ٣٢٩ ه).

٧- « كتابُ الشَّريعة »: للإمام الحافظ المحدث الفقيه ؛ أبي بكر محمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيِّ الشَّافعيِّ (ت ٣٦٠ هر).

٨ - « اعتقادُ أهل السُّنّة »: للإمام الحافظ المحدث الفقيه؛ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعليُّ الشَّافعيُّ (ت ٢٧١هـ).

9- « الإبانةُ عن شريعة الفرقة النَّاجية ومجانبة الفرق المذمومة » :

للإمام الحافظ؛ أبي عبد الله عُبيد الله بن محمَّد بن محمَّد بن حمدان بن بطَّة العُكْبَري الحنبليِّ (ت ٣٨٧ هـ).

· ١- ورياضُ الجنَّةِ بتخريج أُصول السُّنَّة »:

للإمام الزَّاهد؛ أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى المُرِّي الإلبيري الأندلسي المالكيِّ، الشهير بابن زَمَنِيْن (ت ٣٩٩هـ).

١١ - « شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُنَّة والجماعة من الكتاب والسُنَّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين من بعدهم»: للإمام الحافظ؛ أبي القاسم هبة الله ابن الحسين الطبري اللالكائي الشَّافعيِّ (ت ٤١٨هـ).

١٢ - «عقيدةُ السَّلف وأصحاب الحديث »: للإمام الحافظ؛ أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابونيِّ الشَّافعيّ (ت ٤٤٩ هـ).

١٣ - « الحجَّةُ في بيان الحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة » :

للإمام الحافظ قوَّام السُّنَّة؛ أبي القاسم إسماعيل بن محمَّد بن الفضل بن على القرشيِّ التيمي الطلحي الأصبهانيِّ الشَّافعيِّ (ت ٥٣٥ هـ).

1 - « الرسالةُ الوافية لمذهب أهل السُّنَة في الاعتقادات وأصول الديانات »: للإمام الحافظ العلاَّمة؛ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد ابن عمر الدَّانيُّ القرطبيُّ المالكيُّ (ت 222 هـ).

٥ ١ - « لُمعةُ الاعتقاد ؛ الهادي إلى سبيل الرَّشاد » :

للإمام الفقيه؛ مُوقَّق الدِّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة المقْدِسيِّ الحنبليِّ (ت ، ٦٢ هـ).

وغيرها من المؤلَّفاتِ العظيمة؛ التي دُوِّنت من قبل العلماء وأَثَمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، والمبثوثةُ في بطونِ كُتبهم ومراجعهم القيمة؛ فقد بذلوا هؤلاء أَثَمَّة الكرام – رحمهُم الله – جهودًا عظيمًا في بيان عقيدة أَهل السُّنَة والجماعة بكلِّ تفاصيلها، وإيضاحها للنَّاس بكلِّ دقائقها، والدُّفاع عنها بكلِّ بيان وسنان، والرَّد بكلِّ قوَّةٍ على المخالفين من أهل البدع والأهواء، وبرهنوا للجميع! أَنَّ الخيرَ كلَّه في الاتباع والتَّسليم للشَّرع، والشَّرَ كله في الابتداع؛ فكان الفهم العميق للإسلام رائدهم، وفقههم الدقيق مرشدهم، واتباع سبيل المؤمنين منهجهم؛ فكان عملهم سياجًا؛ حميٰ العقيدة الصَّافية من كلِّ شرِّ أُريد بها.

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعة؛ هم أهل الحق، وهم أسعد النَّاس بكتابِ الله تعالى، وسُنَّة رَسُولِهِ الكريم عَلَيَّة علمًا، وعملاً، وتعليمًا .

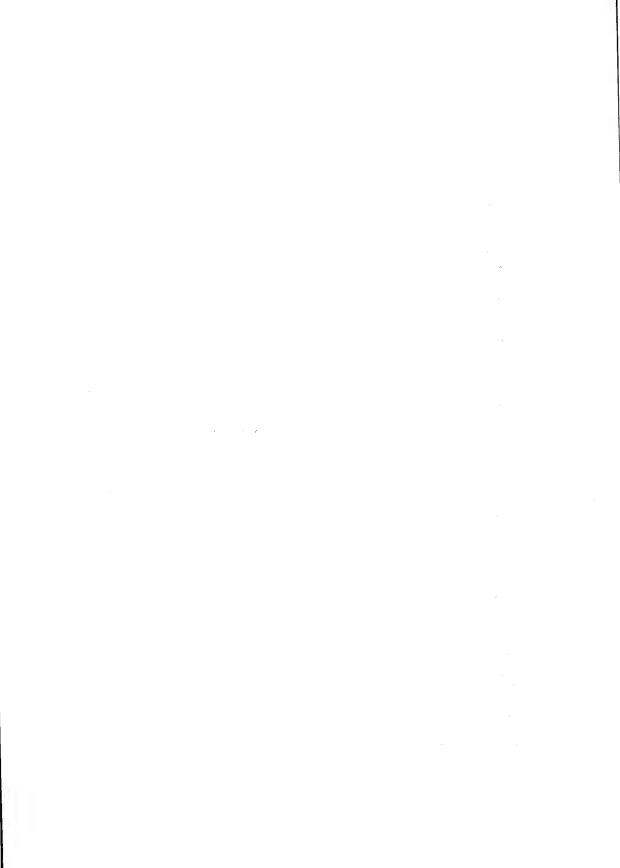
هذا؛ وأسألُ الله - جلَّ في عُلاه - أن يجعلَ عملي هذا صوابًا، وخالصًا لوجهِ الكريم؛ إنَّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه.

وصلّىٰ الله وسلّم وبارك؛ على الهادي البشير، والسّراج المنير؛ نبيّنا، ومرشدنا، وقدوتنا، وهادينا، وقائدنا إلى رضوان الله تعالى وجنّه النّعيم؛ محمّد بن عبد الله الأمين؛ نبيّ الرّحمة والملحمة، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين الأبرار، وصحبه الغرّ المحجّلين الكرام، ومَن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان إلى يوم الدّين.

### والحسر لله رب العاليس



# محتويات الكتاب





رقم الصفحة سسسسسسسس	الموضوع مسمسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسس
<b>y</b>	
Mark Mark	مقدمات الطبعة الجديدة
المحمودا	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح
Yo	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن يحيى الحنيني
قَرَه كويلي	مقدمة: فضيلة الشيخ محمَّد راشد بن خالد دوندار ال
77	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور ماهر بن ياسين الفحل.
Y7	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور الأمين محمَّد أحمد
۲۸	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور محمَّد يُسري إبراهيم.
<b>*1</b>	مقدمات الطبعة الأُوليْ
العقيلا	مقدمة: سماحة الشيخ العلاَّمة عبد الله بن عبد العزيز
يحي	مقدمة: فضيلة الشيخ العلاَّمة عبد العزيز عبد الله الراج
. آل سعد ۲۲	مقدمة: فضيلة الشيخ المحدِّث عبد الله بن عبد الرحمن
المحمودا	مقدمة: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح
00	المقدّمة
<b>1V</b>	حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة
7 9 P 7	تعريف الإيمان
79	الإِيمان في اللُّغة
γο	الإيمان في الاصطلاح الشرعي
٨٥	علاقة الإيمان بأعمال الجوارح عند أهل السُّنَّة والجماع

۸۹	الأدلُّة من القرآن علىٰ أنَّ الأعمال جزء من الإيمان
90	5 5
99	
1.1	
	زيادة الإيمان ونقصانه
	الأَدلَّة من القرآن علىٰ زيادة الإيمان
	الأدلَّة من السُّنَّة على زيادة الإيمان
	أسباب زيادة الإيمان
	أسباب نقص الإيمان
	شُعب الإيمان
	مراتب الإيمان
	* المرتبةُ الأُولَىٰ: ﴿ أَصِلُ الْإِيمَانِ ﴾
	* المرتبةُ الثَّانية: ٥ الإيمان الواجب ٥
1 2 9	
١٧٥	1
١٨٩	4 . 4 4 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1 4 4 1
197	
7.1	
7.7	أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في الإستثناء في الإسلام
۲۰٤	in the second se
۲۰۰	الإيمان والإسلام
710	أقوال أثمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في الإسلام والإيمان
T19	لتلازم بين الظاهر والباطن
770	قوال أَثَمَّة أَهُلَ السُّنَّةُ والجماعة في التلازم بين الظاهر والباطن
***	ركان الإيمان:

۳۱٦	* زينةُ الإيمان في القلوب
۳۱۷	* الإيمان شجرةً راسخةً في القلوب
۳۱۹	* الإيمان يتبوَّأُ في القلوب
۳۲۱	* نداءُ الإيمان في القلوب
۳۲۳	* الإيمان ينفع صاحبه في الدُّنيا والآخرة
۳۲٦	* للإيمان مجالس يزداد فيها ويتجدد
٣٣٠	* الإيمان يعلو ولا يُعلىٰ عليه
٣٣٣	
۳۳۰	
۳۴۷	
۳۳۸	
TT9	
٣٤١	
<b>717</b>	
T 2 T	
٣٤٤	
720	- 1
T £ 7	
TEA	٠١- أَهِلُ الْإِيمَانِ الصَّادَق: لَهُمُ البُشْرَىٰ فِي الحِياةِ الدُّنيا والآخرة
اةِ الدُّنيا	١١ – أَهَلُ الْإِيمَانِ الصَّادَقُ : هُمُ أَهَلُ الْأَمَنِ وَالْأَمَانِ وَالْاطْمَئْنَانِ فِي الْحِي
۳٥٠	والآخرة
TOY	٢ ا – أَهُلُ الْإِيمَانِ: ينعمون بالحياة الطيُّبة في الدُّنيا والآخرة
۳۰٤	٣١- أَهُلُ الْإِيمَانِ الصَّادق: وعَدَهُم اللهُ تعالىٰ بالنَّصر والتَّمكين
To7	٤ ١ - أَهُلُ الْإِيمَانِ: يهديهُمُ الله بإيمانهم إلى الصَّراطِ المستقيم
TOA	٥١ - أهلُ الإيمانِ: تَستغفرُ لهُم ملائكةُ عرش الرَّحمن جلُّ جلاله

٣٦٠	٦ ١- أَهَلُ الإِيمَانِ: نُورُ إِيمَانِهِم دليلٌ لهم للخير في الدُّنيا والآخرة
۳٦٢	١٧- أهلُ الإِيمانِ: أعظم تسليتهم عند المصائب هو الإيمان
٣٦٣	١٨ – أهلُ الإِيمانِ الصَّادق: يلجؤون إِلَىٰ إِيمانهم في اليُسر والعسر
<b>٣</b> ٦٦ .a.b	٩ - أَهِلُ الْإِيمَانِ الصَّادق: ينتفعون بالمواعظِ والتذكير
	. ٢- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: يَحفظُهُم إِيمانَهُم؛ من الوقوع في الموبقات
<b>***</b>	المهلكات
۳۷•	٢١ ـ أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم الطَّائفةُ المنصورةُ والفرقة النَّاجية
۳۷۲	٢٢ ـ أَهلُ الإِيمانِ الصَّادق: هم أَهلُ التَّقويٰ
۳۷٤	٢٣ ــ أَهَلُ الْإِيمَانِ الصَّادق: وعدمُمُ الله تعالىٰ نعيمُ الجنَّة
۳۷۹	من صفات أُهل الإيمان
۳۸۱	
۳۸٦	
<b>ፖ</b> ለን	
۳۸۹	الصَّفةُ الثَّانية: الحلم
۳۹۲	الصَّفةُ الثَّالث: قيامُ الليل
T9V	الصَّفةُ الرابعة: الخوف من عذاب الله تعالىٰ
<b>୮</b> ۸٦	الصِّفةُ الأولىٰ: التَّواضع
٤٠٠	الصِّفةُ الخامسة: الاعتدال في الإِنفاق
٤٠٢	الصَّفةُ السَّادسة: البُّعدُ عن الشَّرك
٤٠٣	
· v	الصَّفةُ التَّاسعة: البُّعدُ عن شهاد الزُّور والكذِّب
. 9	
17	
10	الصِّفةُ التَّانية عشرة: صفةُ دعائهم

	٧- أها الأعان من مفات أن من ن ال
٤١٩	٢- أهلُ الإيمانِ: من صفاتهم أنَّهم يؤمنونَ بالغيب
٤٢٤	٣- أَهَلُ الْإِيمَانُ: من صفاتهم أنَّهم يقيمون الصَّلاة
خلهم الجنَّة	٤- أَهِلُ الْإِيمَانُ: هُمْ أَهُلُ الطَّاعَةُ والعبادةُ والأَعمالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَدْ-
٤٣١	وتجعلهم خالدين فيها
٤٣٥	2. 2. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1.
٤٣٩	٦- أَهَلُ الإيمان: من صفاتهم عدمُ الشُّكِ في إيمانهم
٤٤٣	٧- أَهُلُ الْإِيمَانِ: من صفاتهم طاعةُ الله تعالى وطاعة رسوله عَلَى
٤٤٩	٨- أهلُ الإيمان: من صفاتهم الإخلاصُ لله تعالىٰ
٤٥٢	
٤٥٩	٠١- أَهِلُ الإيمان: من صفاتهمُ الولاءُ والبراءُ في الله تعالىٰ
٤٦٥	١١ - أَهِلُ الإيمان: من صِفاتهم الأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر
٤٧١	١٢ – أهلُ الإيمان: يتحلُّون بمكارم الأخلاق
٤٨٤	* صفوةُ القولِ فِي أَهل الإيمان الصَّادقين المخلصين
٤٨٥	• بعض صفات أهل الإيمان كما جاءت في القرآن
٤٩٥	• من أقوال أثمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في أهل الإيمان وصفاتهم
٥٠٢	خوارم الإيمان عند أهل السنة والجماعة :
	تعريف الخوارم في الحاشية
	المعاصي وأثرها على الإيمان
0.9	• أقسامُ المعاصي
011	• خطرُ المعاصي والذُّنوبِ عامَّة
o 1 V	• خطورةُ الإصرار على المعاصي، والتهاون في فعل الصغائر
070	• صغائر المعاصي قد تتحوّل إلى كبائر
o Y V	• حكم الإصرار على المعاصي
079	* تنبية مهمِّ: هل المعاصي والذُّنوب تذهب الإيمان
٥٣١	• أسبابُ الوقوع في المعاصي

001	ه أسبابُ عدم الوقوع في المعاصي
009	و آثارُ المعاصي الوخيمة على العبد في دينه ودنياه وآخرته
٠٦٣	* آثارُ المعاصي والدُّنوب على القلب
• VY	* آثارُ المعاصي والذُّنوب على الدِّين
•А•	
oay	
o	
۰۸٦	* آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ المحتمع
097	
ο ۹ γ	• مكفّراتُ الذُّنوب عند أهل السُّنَّة والجماعة
7.7	• المنجيّاتُ من الوقوع في المعاصي والذُّنوب
٦٢٧	• حكم مرتكب الكبيرة
والإجماع ٦٣١	• أدلَّة أهل السُّنَّة في حكم أهل الكبائر من: الكتاب والسُّنَّة
٦٣٩	• أقوال أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في الكبائر دون الشَّرك
7£V	• من أسباب سقوط العقوبة عن عصاة الموحّدين
77r	• طبقات عُصاة الموحِّدين يوم الدِّين
770	نواقض الإيمان عند أمل السنة والجماعة
٧٢٢	• تعریفاتٌ لا بُدَّ منها
1	
۱۷۳	٢- تعريف الرَّدَّة: لغةُ واصطلاحًا
1V0	٣ ـ تعريف الكُفر: لغة واصطلاحًا
AVI	
TV9	* الكُفر الأكبر؛ المخرج من الملة
IAT	* الكُفر الأصغر؛ غير مخرج من الملة
Ι <b>ΛΥ</b>	

	* الشَّرك الأكبر
79	2
797	
٦٩٣	٥- تعريف النفاق: لغةً واصطلاحًا
797	* الزنديق والزندقة
799	* النفاق الأكبر؛ المخرج من الملة
v.1	* النفاق الأصغر؛ غير مخرج من الملة
٧.٥	٦- تعريف الفِسْق: لغةً واصطلاحًا
V•Y	* الفسق الأكبر؛ المخرج من الملة
٧٠٨	* الفسق الأَصغر؛ غير مخرج من الملة
Y1 •	* من أحكامِ التُّعاملِ مِعَ المسلمِ الفاسق
V11	٧- تعريف الظُّلم: لغةً واصطلاحًا
V17	* أَنْوِاعُ الظُّلم
V17	<ul> <li>الظُّلم الأكبر؛ المخرج من الملة</li> </ul>
Y1A	* الظُّلم الأصغر؛ غير مخرج من الملة
٧٢١	٨- تعريف الهوى: لغةً واصطلاحًا
YY7	* مظاهرُ اتِّباع الهويٰ
YYY	
YYA	
VY9	. 21 91 ##
٧٣٠	5. u • 1
VTT	in the second
٧٣٤	* الهوى بمعنىٰ الكفر الأصغر
٧٢٠	•
٧٣٩	* وجوب الموالاة بين المسلمين
V	<ul> <li>* الموالاة والمعاداة من أصول الدين</li></ul>

V 2 2	« أقسام النَّاس في الموالاة والمعاداة
V£A	* حقه ق و مقتضيات الموالاة في الله
٧٠١	« مقتضيات معاداة الكافرين
٧٥٦	» موالاة الكفَّار درجات
νον	* الموالاة الكُبرىٰ
Υολ	* الموالاة الصغرى
V09	* موالاةٌ جائزةٌ عندَ الضَّرورة
٧٦٠	* مواده جائره عند المسرورد
V71	* ما يطن اله من بموارف ولتي ييس بنوه و المسلم
٧٦٣	<ul> <li>١٠- قواعد وصوابك مي الصير</li> <li>موقف أهل السُّنّة والجماعة من مسألة التّكفير</li> </ul>
٧٦٧	
٧٧٣	<ul> <li>خطورة تكفير المسلم</li> <li>التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعيَّن</li> </ul>
VV9	
٧٨١	• اعتبار الظاهر في مسائل الكفر والإيمان
V91	• الوعد والوعيد
	• تكفير من ثبت كفره
۸۰۲	
	• العجز:
	• الجهل:
(٣)	• الخطأ :
١٣٩	• التَّأُويل:
( £ 9	• الإكراه:
٠٠٣	* أَنُواعُ الإكراه
.0 {	* شروط الإكراه عند أهل السُّنَّة والجماعة
.09	* الآخذُ بالعزيمة والصبر أولىٰ من الأخد بالرُّخص
٠, ٦٣	• التقليد :

۸٦٥	* الاتباع:
A79	
AY1	
AY7	
AV9	
	<ul> <li>١٢ – ما يَمْحو الكُفر بعد وقوعه على المين</li> </ul>
AA9 PAA	
۸۹۱	معرفةً مهمةً وضروِريةً لا بُدُّ منها ا
٨٩٥	نواقض الإيمان وأنواعها
9.1	١ – نواقضُ توحيد الله تعالىٰ في ربوبيته
٩٠٤	الأمثلة علىٰ الشَّرك في توحيد الرُّبوبيَّة
9.0	٢ – نواقضُ توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته
لعبادةلعبادة	الأمثلةُ من نواقضِ الإيمانِ في توحيدِ الأُلوهيَّة وا
911	٣- نواقضُ توحيدُ الله تعالىٰ في أسمائه وصفات
917	الأمثلة علىٰ ذلكالأمثلة علىٰ ذلك
910	٤ – نواقضُ عموم الدّين
	الأَمثلةُ على بعضُ نواقض الإِيمان: الاعتقاديَّة و
٩٣١	الأوَّل: نواقض الإيمان بالاعتقاد
980	
989	
	* الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ
9 2 1	* حكم تارك الصَّلاة
901	•
9 o V	<ul> <li>* ما يترتب على تارك الصلاة من الأحكام</li> </ul>
909	خطورةُ السخرية والاستهزاء بالدِّين وأهله
بالاعتقاد والقول والفعل ٥٧٥	ُقُوال أَثْمَة أَهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الكُفر يكون

۹۸۳	أسبابُ ضعف الإيمان: أعراضه وعلاجه
991	* مظاهرُ ضعف الإيمان
1	* مظاهرُ ضعف الإيمان
1.11	* علاجُ ضعف الإيمان
١٠٤٥	أَسِبابُ تُركِ الإِيمان والإعراض عنه
	مؤلفات في مسائل الإيمان على منهج أهل السُّنَّة والجما
	هذا الكتاب
	محتويات الكتاب

# تم بعود الله تباتك وتعالى

#### كتب صدرت للمؤلف:

- «الوجيز في عقيدة السَّلف الصَّالح؛ أَهل السُّنّة والجماعة».
- «الموجز في عقيدة السَّلف الصَّالح؛ أَهل السُّنَّة والجماعة».
  - «موجز الكلام في أركان الإسلام».
  - «أنواع وأحكام التّوسل المشروع والممنوع».
- «الإيهانُ: ثَمَراتُهُ، وَصِفَاتُ أَهْلِهِ؛ عند أَهل السُّنَّة والجماعة».
  - «الموالاة والمعاداة؛ عند أهل السُّنَّة والجماعة ».
  - «الاحتفال برأس السنة، ومُشابهة أصحاب الجحيم».
    - «الغناء والموسيقى؛ بين اللَّهْوِ والوعيد».
      - «نظرةٌ في التّعدد».



# صَدَرَعَن دَاراليُسر



● طريـق الهدايـة مبادئ ومقـدمات علـم التوحيـد د. محمسد يسسري ايسراهيم • مستن درة البيسان في أصسول الإيمسان د. محمسد يسسري إيسراهيم • المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم د. معمسد يسسري إبسراهيم القواعــد النافعــة في تمييـــز البــدع الواقعــة د. محمسد يسسري إيسراهيم الفريسدة في عقيسدة أهسل السسنة والجماعسة د. محمسد يسسري إيسراهيم ● التسديد شرح حديث النزول للحافظ ابن عبد البر عناية وتعليـق د. محمـد يـسري إبــراهيم ● الإحكسام في قواعسد الحكسم علسي الأنسام د. محمسد يسسري إبسراهيم موقسف السسلف مسن المجساز في السمفات د. محمد محمد عبد العليم • موقسف السسلف مسن تفسويض السصفات د. محميد محميد عبيد العليم ● ســـد الـــذرانع في مــسانل العقيــدة أ.د. عبسدالله شاكر الجنيسدي ● بيان أهل الإتباع في نقض شبهات أهل الابتداع أ.د. عبسالله شاكر الجنيسدي • موقف الأزهر الشريف من الشيعة الإثنى عشرية أ. طـــه الـــهواح

